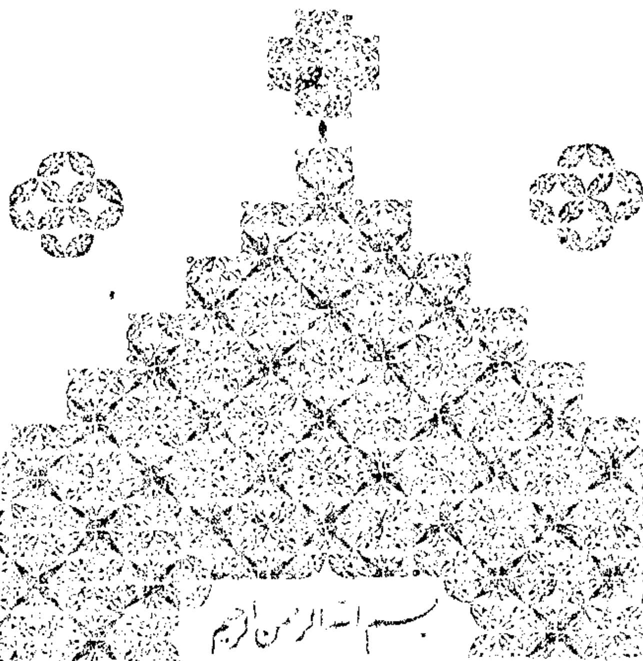
شرح الامام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي على متن
الهمزية في مدح خير البرية للشيخ الامام شرف
الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد
البوصيري نفعنا الله
ببركتهما
آمين

وبهامشه حاشيته لشيخ الاسلام ملك العلماء الاعلام العارف بالله تعالى
سيدي محمد الحفني تغمده الله برضوانه ورحمته ونفعنا والمسلمين ببركته




الحمد لله الذى اختص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتاب أخرس الفصحاء وأعجز البلغاء
عن التقوه بمثل اقصر سورة من سوره بل آية من آياته وبجوامع الكلم وبدائع الحكم
وعظيم الخلق فى سائر اقواله وافعاله وحالاته وخرق له خوارق الوجود بمعجزات لهرت
العقول وقصر عن احصائها استقصاء المادحين لسيره وآياته وبخصوصيات قطعت
الخلائق عن ان يصلوا الشأو علاه وكال شرفه وشرف كمالاته وبامتناع علمها بدر
وجوده فى أفق سعوده وفاض عليها فائض جوده فى عالم شهوده فآثار من اخلاقها
وعقولها وكل من اقبالها وقبولها وزين من بديع فصاحتها وعجيب بلاغتها وراض
ما استصعب من ابائها واعاض ما اشرأب من نوائها ما صارت به خير الامم والعدول
والشهود على من عليهم تقدم بنص القرآن وقطعى البرهان القاصم لظهور المعاند
وترهاته واوجب على الكافة غاية تعظيمه ومنه ذكر مناقبه ومآثره وبيان أوصافه
السنية واحواله العلية وخصائصه ومعجزاته ولذلك ذهب الناس فى هذه الفنون كل
مذهب واظهروا تعظيمه نظما ونثرا سرا وجهرا كما وجب فحباهم بلطفه واسعافه
وامداداته وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انتظم بها فى سلك أهل عناياته

بسم الله الرحمن الرحيم

قال قرة عيون اعيان العارفين وغرة جباه وجوه وجوه العارفين ملاذ من الى جنابه التجا ومعاذ كل ملهوف منقطع الرجا من اهوارف المعارف حاوى الواصل الكامل سيدى محمد الحفناوى متع الله بوجوده الوجود واظلهم فى ظل امداده الممدود بسم الله الرحمن الرحيم حمدا لمن جعل احبابه ادلاء على سبيل الهداية وامدهم بلوامع الانوار وسواطع الاسرار فى البداية والنهاية وصلاة وسلاما على صاحب الرتب العلية وعلى آله وأصحابه كنوز المعارف الالهية (وبعد) فيقول فقير المغنى عبد مولاه محمد الحفنى هذه حواش تفوق نفائس الدرر على شرح الهمزية للعلامة الشهاب بن حجر جادبها الكريم الوهاب ايام قرائى المتن ومطالعتى عليه هذا الكتاب ضاعف الله لى ولمؤلفيهما الاجور انه جواد كريم غفور (قوله اختص) يستعمل لازما ومتعديا يقال اختصه بكذا فاختص والاختصاص كناية عن التمييز أى ميز نبينا بكذا (قوله بكتاب) الباء داخلة على المقصور فصحيح ونقل عن السيد أن دخولها على المقصور عليه هو الاكثر كاختص السواد بزيد وقد اطال الشهاب الخفاجى فى شرح الشفاء عند الكلام على خطبته فى هذا فراجعه ان شئت (قوله ما اشرأب) قال فى الصحاح اشرأب للشئ اشرئبابا مد عنقه لينظر (قوله وترهاته) الترهات الاباطيل وأصلها الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها الواحدة ترهة وهو فارسى معرب استعير فى الباطل (قوله ومآثره) جمع مأثرة وأشهد

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المؤيد منه بخوارق هباته والمفوض اليه امداد
الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين بمعالي القرب وبيناته صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وأصحابه حماة الدين القويم عن زيغ كل زائغ وتحريفاته وهداة الخلق الى الصراط
المستقيم بايضاح كلماته وجزئياته صلاة وسلاما دائمين متلازمين بدوام نعم الله تعالى على
خواصه وأهل طاعاته * وبعد * فمما يتعين على كل مكلف ان يعتقد أن كمالات نبينا
صلى الله عليه وسلم لا تحصى وان احواله وصفاته وشمائله لا تستقصى وان خصائصه
ومعجزاته لم تجتمع قط فى مخلوق وان حقه على الكمل فضلا عن غيرهم اعظم الحقوق
وانه لا يقوم ببعض ذلك الا من بذل وسعه فى اجلاله وتوقيره واعظامه واستجلاء مناقبه
ومآثره وحكمه واحكامه وان المادحين لجنابه العلى والواصفين لكماله الجلى لم
يصلوا الا الى قل من كل لاحد لنهايته وغيض من فيض لا وصول الى غايته ومن ثم كان
ابلغ بيت هذا المطلع الآتى كلام مما يأتى فيه وفى بردة المديح

فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

ثم يليه    دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ثم يليه    فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن اداء كل ما تعين من ذلك كيف وآى الكتاب
مفصحة عن علاء عباهر العقول ومصرحة من كل صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول
وقد قيل *

ماذا عسى الشعراء اليوم تمدحه * من بعد ما مدحته سور تنزيل

فعلم من ذلك انه لو بالغ الاولون والآخرون فى احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء
ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه ولكان الملم بساحل بحرها مقصرا عن حصر
بعض ثغرها ولقد صح لمحبيه ان ينشدوا فيه

وعلى تفنن واصفيه بوصفه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وانه لحقيق بقول القائل

فما بلغت كف امرئ متناولا * من المجد الا والذى نال أطول

ولا بلغ المهدون فى القول مدحة * ولو حذقوا الا الذى فيه أفضل

ولابن خطيب الاندلسى

مدحتك آيات الكتاب فما عسى * يثنى على علياك نظم مديحى

واذا كتاب الله اثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح

وقد رؤى العارف المحقق السراج بن الفارض السعدى رضى الله عنه فى النوم فقيل له
لم لا مدحت النبى صلى الله عليه وسلم أى بالتصريح والا فنظمه فى الحقيقة انما فى الحضرة

= بفتح الثاء وضمها أى مكرمة
لانه اثرأى تذكر (قوله
وتحريفاته) أى تغييراته اذ
التحريف التغيير (قوله وغيض
من فيض) أى قليل من كثير قال
فى المختار فى فصل الغين المعجمة
غاض الماء قل ومنه
وما تغيض الارحام أى ما تنقص
وقال فى فصل الفاء وفاض الماء أى
كثر (قوله حذقوا) بابه ضرب
حذقا وحذاقا بكسرهما
وحذاقة وحذق بالكسر ايضا لغة
فيه أى مهروا كذا فى المختار (قوله
قصار) أى غاية (قوله أى بالتصريح
الخ) هذا الايلائم جوابه بقوله
ارى كل مدح الخ اذ المدح بالتلويح
كالمدح بالتصريح مقصر فتأمل

الالهية أو فيه صلى الله عليه وسلم فقال رضى الله عنه

اری کل مدح فی النبی مقصرا * وان بالغ المثنی علیه فا کثرا

اذا الله اثنی بالذی هو أهله * علیه فما مقدار ما تمدح الوری

وقال البدر الزركشي ولهذا الاحتياط فحول الشعراء المتقدمين كأبى تمام والبحترى وابن الرومى مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعانى وان جلت دون مرتبته والاوصاف وان كملت دون وصفه وكل غلو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الا قليلا من كثير هذا وان من ابلغ ما مدح به النبى صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع واحسن ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع واجمع ما حوته قصيدة من مآثره وخصائصه ومعجزاته وأفصح ما أشارت اليه منظومة من بدائع كمالاته ما صاغه صوغ التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الامام العارف العامل الهمام المتفنن المحقق البليغ الاديب المدقق امام الشعراء واشعر العلماء وبليغ الفصحاء وأفصح البلغاء الحكماء الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجى كان أحد ابويه من بوصير الصعيد والآخر من دلاص بكسر الدال فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيرى ثم اشتهر بالبوصيرى قيل ولعلها بلد ابيه فغلبت عليه ولد سنة ثمان وستمائة وأخذ عنه الامام أبو حيان والامام اليعمرى أبو الفتح بن سيد الناس ومحقق عصره العز بن جماعة وغيرهم وتوفى سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة على ما قاله المقريزى لكن صوب شيخ الاسلام العسقلانى انه توفى فى سنة أربع وتسعين وكان من عجائب الله تعالى فى النثر والنظم ولو لم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة التى تسبب نظمها عن وقوع فالج به اعيا الاطباء ففكر فى اعمال قصيدة يتشفع بها اليه صلى الله عليه وسلم به الى ربه فانشأها فرآه ماسحا بيده الكريمة عليه فعوفى لوقته ثم لما خرج من بيته لقيه صالح فطلب منه سماعها فعجب اذ لم يخبر بها أحدا فقال سمعتها البارحة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب فاعطيته اياها وقيل انه اشتد رمده بعد نظمها فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقرأ عليه شيأ منها فتفل فى عينيه فبرئ لوقته لكفاه ذلك شرفا وتقدما كيف وقد ازدادت شهرتها الى أن صار الناس يتدارسونها فى البيوت والمساجد كالقرآن وكان يعانى صناعة الكتابة على الجبايات

(قوله وكل غلو) أى مجاوزة حد (قوله النطاق) قال فى الصحاح النطاق شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة والاسفل ينجر على الارض وليس له حجزة ولا نيفق ولا ساقان والجمع نطق (قوله الهمام) هو الذى اذا هم بالشئ أمضاه (قوله دلاص) بفتح الدال المهملة ٤ وآخره صاد مهملة أيضا كورة بصعيد مصر من الجانب الغربى وبوصير بضم الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون التحتية وبالراء بلدة بصعيد مصر كذا قيدها فى اللباب كأصله والمراصد وقد اشتهر على ألسنة العامة أبو صير بلفظ الكنية اسم للبلد ويقولون الابوصيرى ولا وجه لذلك كذا نقل من خط العجمى (قوله اليعمرى) بفتح الياء مع فتح الميم وضمها نسبة الى يعمر بن شداخ بفتح المعجمة وتشديد المهملة وآخره معجمة من بنى ليث (قوله فاعطيته اياها) الذى رأيته فى كلام غيره فانشدته اياها وهو المناسب لقوله فطلب منه سماعها وقد يقال طلب منه سماعها فاتفق انها كانت معه فاعطاها له (قوله اشتد رمده) الذى رأيته فى كلام غيره ان الذى اشتد رمده غير الناظم حيث نقل عن الناظم انه قال ثم بعد أن انشدتها الصالح ودعنى وانصرف ثم بعد أيام استدعانى الصاحب بهاء الدين وزير الملك الظاهر وقال انشدنى القصيدة التى مدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم واقسم ان لا يسمعها الا قائما على قدميه مكشوف الرأس فانشدته اياها فسر بها وكتبها له بيدى فلم تزل عنده متبركا بها يقرؤها فى المهمات حتى مات فاستقرت عند ولده فخر الدين ثم حصل رمد لسعد الدين الفارقى تابع فخر الدين أشرف منه على العمى فرأى فى منامه من يقول له امض الى النبى أو غيره امض الى فخر الدين ابن الصاحب واطلب منه البردة وضعها على عينيك تبرأ فلما انتبه حضر بين يدى فخر الدين وأخبره فاخرج له القصيدة فوضعها على عينيه فعافاه الله ببركتها انتهى فالذى اصابه الرمد سعد الدين ويمكن تعدد الواقعة =

= بأن حصل رمد لناظمها فاشتفى بما ذكره الشارح وحصل لسعد الدين فشفي بوضعها فلا منافاة ولا معارضة (قوله المرسى)
نسبة لمرسية بضم الميم مدينة بالغرب وأما مرسة بفتح الميم فقرية بقرب المدينة المنورة كما في ع ش (قوله من قصيدته) بيان لما من
قوله ما صاغه صوغ التبر (قوله الجزلة) اللفظ الجزل خلاف الركيك كما في الصحاح وقال السنوسي في شرح كبراه الجزالة عبارة عن
دلالة اللفظ على معناه بشرط قلة الحروف وتناسب مخارجها (قوله اذلم ينسج أحد الخ) بضم السين وكسرها مضارع نسج

وباشر بلبيس الشرقية ثم ترك ذلك وصحب القطب أبا العباس المرسى رضى الله عنه
وأرضاه وجعل جنات المعارف متقلبه ومثواه فعادت عليه بركته وساعده لحظه
وهمته الى أن فاق أهل زمانه ورزقه الله من الشهرة والحظ مالم يصل اليه أحد من
اقرانه فرحمه الله ورضى عنه من قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الالفاظ الجزلة
المباني العجيبة الاوضاع البديعة المعاني العديمة النظير البديعة التحرير اذلم
ينسج احد على منوالها ولا وصل الى حسنها وكمالها حتى الامام البرهان القيراطي
المولود سنة ست وعشرين وسبعمائة والمتوفى سنة احدى وثمانين وسبعمائة فانه مع
جلالته وتضلعه من العلوم النقلية والعقلية وتقدمه على أهل عصره في العلوم العربية
والادبية لاسيما علم البلاغة ونقد الشعر واتقان صنعته وتمييز حلوه من مره ونهايته
من بدايته أراد ان يحاكيها ففاته الشنب وانقطعت به الحيل عن ان يبلغ من
معارضتها الدنى أرب وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها وبراعة
صنعها وامتلائها لفائقين بأنوار جمالها وادحاض دعاوى أهل الكتابين ببراهين جلالها
فهي دون نظائرها الآخذة بأزمة العقول والجامعة بين المعقول والمنقول والحاوية
لاكثر المعجزات والحاكية للشمائل الكريمة على سنن قطع اعناق افكار الشعراء عن ان
تشرئب الى مثلها كما تلك الحكايات والسالمة من عيوب الشعر من حيث فن العروض
كاختلال عروض على أخرى وضرب على آخر ومن حيث فن القوافي كالايطاء وهو تكرير
لفظ القافية بمعناه قبل سبعة أبيات وقيل عشرة وكالاكفاء وهو اختلاف حرف
الروي والاقواء وهو اختلاف حركته ولكنها وان شرحت وتعاورتها الافكار
وخدمت تحتاج الى شرح جامع ودستور مانع يجلو عرائس ابكارها على منصات
الالباب مع الاختصار ويظهر مخبآت اسرارها ظهور الشمس في رابعة النهار ويفتح
مقفلات معمياتها بما يوجب التصور والعثار وينبه على نفائس فرائدها ويتوج
بجلالة عرائس فوائدها ويعرب عن غرائب تعقيدها ويفصح عن فنون بلاغتها
وبدائع تأنيقها وتشييدها فاستخرت الله تعالى في شرح كذلك وان كنت لست هنالك
راجيا ان اندرج به في سلك خدمة جنابه صلى الله عليه وسلم وان اطوق بسببه سوابغ
مدده ولحظه الاعظم ومستعينا بالله ومتوكلا عليه ومفوضا امورى اليه وسائلا

اذا ضم اللحمة الى السدى على
وجه يستحكم به تداخلهما وتشبيه
التصنيف بالثوب الرفيع في بديع
صنعته وتفرده بحسن اسلوبه
استعارة بالكناية واثبات المنوال
له استعارة تخييلية والنسج ترشيح
ويحتمل أن يكون المعنى و
مصنف على طريقته أي ناسجا
عليها فتكون استعارة في هذه
الاجزاء تحقيقية لكنها تبعية في
الاول والثاني اصلية في الثالث
قال في الصحاح المنوال الخشب
الذي يلف عليه الحائك الثوب
وهو النول أيضا وجمعه انوال
ويقال للقوم اذا استوت
اخلاقهم هم على منوال واحد
أي نسق واحد (قوله ففاته الشنب)
في المختار الشنب حدة في الاسنان
وقيل برد وعذوبة وامرأة شنباء
بينة الشنب انتهى والمراد هنا فاته
الامر المحبوب المستلذ المقبول
الذي تميل اليه نفوس البلغاء
(قوله لطلاوة نظمها) الطلاوة
مثلثة الحسن والبهجة والقبول
قاموس (قوله ودستور) قال في
شرح المطالع الدستور بضم
الدال فارسي معرب معناه في الاصل الدفتر الذي يجمع فيه قوانين الملك وضوابطه وفي مفتاح العلوم الدستور نسخة الجماعة المنقولة
من السواد ثم سمي به الوزير الكبير الذي يرجع الى ما يرسمه في احوال الناس لكونه صاحب هذا الدفتر ومتصرفا فيه انتهى
(قوله تأنيقها) أي تحسينها قال في المصباح أنق الشيء من باب تعب ثم قال وتأنق في عمله احكمه وقال في شيد الشيد بالكسر الجص
وشدت البيت اشيده من باب باع بنيته بالشيد فهو مشيد وشيدته تشييدا طولته ورفعته انتهى ع ش

الالهية أو فيه صلى الله عليه وسلم فقال رضى الله عنه

اری كل مدح فی النبی مقصرا * وان بالغ المثنی عليه فاكثرا

اذا الله اثنی بالذی هو أهله * عليه فما مقدار ما تمدح الوری

وقال البدر الزركشی ولهذا التماط فحول الشعراء المتقدمين كابی تمام والبحتری وابن الرومی مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعانی وان جلت دون مرتبته والاوصاف وان كملت دون وصفه وكل غلو فی حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الا قلا من كثر هذا وان من ابلغ ما مدح به النبی صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع واحسن ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع واجمع ما حررته قصيدة من مآثره وخصائصه ومعجزاته وأفصح ما أشارت اليه منظومة من بدائع كمالاته ما صاغه صوغ التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الامام العارف العامل الهمام المتفنن المحقق البليغ الاديب المدقق امام الشعراء واشعر العلماء وبليغ الفصحاء وأفصح البلغاء الحكماء الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجی كان أحد ابويه من بوصير الصعيد والآخر من دلاص بكسر الدال فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيری ثم اشتهر بالبوصيری قيل ولعلها بلد ابيه فغلبت عليه ولد سنة ثمان وستمائة وأخذ عنه الامام أبو حيان والامام اليعمری أبو الفتح بن سيد الناس ومحقق عصره العز بن جماعة وغيرهم وتوفی سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة على ما قاله المقريزی لكن صوب شيخ الاسلام العسقلانی انه توفی سنة أربع وتسعين وكان من عجائب الله تعالى فی النثر والنظم ولو لم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة التی تسبب نظمها عن وقوع فالج به اعيا الاطباء ففكر فی اعمال قصيدة يتشفع بها اليه صلى الله عليه وسلم ثم به الى ربه فانشأها فرآه ماسحا بيده الكريمة عليه فعوفی لوقته ثم لما خرج من بيته لقيه صالح فطلب منه سماعها فعجب اذ لم يخبر بها أحدا فقال سمعتها البارحة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب فاعطيته اياها وقيل انه اشتد رمده بعد نظمها فرأى النبی صلى الله عليه وسلم فی النوم فقرأ عليه شيأ منها فتفل فی عينيه فبرئ لوقته لكفاه ذلك شرفا وتقدما كيف وقد ازدادت شهرتها الى أن صار الناس يتدارسونها فی البيوت والمساجد كالقرآن وكان يعانی صناعة الكتابة على الجبايات

(قوله وكل غلو) أی مجاوزة حد (قوله النطاق) قال فی الصحاح النطاق شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة والاسفل ينجر على الارض وليس له حجزة ولا نيفق ولا ساقان والجمع نطق (قوله الهمام) هو الذی اذا هم بالشئ أمضاه (قوله دلاص) بفتح الدال المهملة وآخره صاد مهملة أيضا كورة بصعيد مصر من الجانب الغربی وبوصير بضم الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون التحتية وبالراء بلدة بصعيد مصر كذا قيدها فی اللباب كأصله والمراصد وقد اشتهر على ألسنة العامة أبو صير بلفظ الكنية اسم للبلد ويقولون الابوصيری ولا وجه لذلك كذا نقل من خط العجمی (قوله اليعمری) بفتح الياء مع فتح الميم وضمها نسبة الى يعمر بن شداخ بفتح المعجمة وتشديد المهملة وآخره معجمة من بنی ليث (قوله فاعطيته اياها) الذی رأيته فی كلام غيره فانشدته اياها وهو المناسب لقوله فطلب منه سماعها وقد يقال طلب منه سماعها فاتفق انها كانت معه فاعطاها له (قوله اشتد رمده) الذی رأيته فی كلام غيره ان الذی اشتد رمده غير الناظم حيث نقل عن الناظم انه قال ثم بعد أن انشدتها للصالح ودعی وانصرف ثم بعد أيام استدعانی الصاحب بهاء الدين وزير الملك الظاهر وقال انشدنی القصيدة التی مدحت بها النبی صلى الله عليه وسلم واقسم ان لا يسمعها الا قائما على قدميه مكشوف الرأس فانشدته اياها فسر بها وكتبها له بيدی فلم تزل عنده متبركا بها يقرؤها فی المهمات حتى مات فاستمرت وباشر عند ولده فخر الدين ثم حصل رمد لسعد الدين الفارقی تابع فخر الدين أشرف منه على العمی فرأى فی منامه من يقول له امض الى النبی أو غيره امض الى فخر الدين ابن الصاحب واطلب منه البردة وضعها على عينيك تبرأ فلما انتبه حضر بين يدی فخر الدين وأخبره فاخرج له القصيدة فوضعها على عينيه فعافاه الله ببركتها انتهى فالذی اصابه الرمد سعد الدين ويمكن تعدد الواقعة =

= بان حصل ومد الناظم ما افتتح بما ذكره الشارح وحصل اسعد الدين فتتح بوضعها فلا منافاة ولا معارضة (قوله المرسي) نسبة لمرسية بضم الميم مدينة بالغرب واما مرسة بفتح الميم فقرية بقرب المدينة المنورة كما في ع ش (قوله من قصيدته) بيان لما من قوله ما صاغه صوغ التبر (قوله الجزلة) اللفظ الجزل خلاف الركيك كما في الصحاح وقال السفروي في شرح كبراه الجزالة عبارة عن دلالة اللفظ على معناه بشرط قلة الحروف وتناسب مخارجها (قوله اذ لم ٥ ينسج أحد الخ) بضم السين وكسرها مضارع نسج

وباشر بلبيس الشرقية ثم ترك ذلك وصحب القطب أبا العباس المرسي رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنات المعارف متقلبه ومثواه فعادت عليه بركته وساعده لحظه وهمته الى أن فاق أهل زمانه ورزقه الله من الشهرة والحظ ما لم يصل اليه أحد من اقرانه فرحمه الله ورضي عنه ومن قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الالفاظ الجزلة المباني العجيبة الاوضاع البديعة المعاني العديمة النظير البديعة التحرير اذ لم ينسج احد على منوالها ولا وصل الى حسنها وكمالها حتى الامام البرهان القيراطي المولود سنة ست وعشرين وسبعمائة والمتوفى سنة احدى وثمانين وسبعمائة فانه مع جلالته وتوسعه من العلوم النقلية والعقلية وتقدمه على أهل عصره في العلوم العربية والادبية لاسيما علم البلاغة ونقد الشعر واتقان صنعته وتميز حلوه من مره ونهايته من بدايته أراد ان يحاكيها ففاته الشنب وانقطعت به الحيل عن ان يبلغ من معارضتها ادنى أرب وذلك لطلاوة نظمها وسلاسة رقتها وبلاغة جمعها وبراعة صنعها وامتلاء الخافقين بأنوار جمالها وادحاض دعاوى اهل الكذابين ببراهين جلالها فهي دون نظائرها الآخذة بأزمة العقول والجامعة بين المعقول والمنقول والحاوية لاكثر المعجزات والحاكية للشمائل الكريمة على سنن قطع اعناق افكار الشعراء عن ان تشرئب الى مثلها كانت تلك المحكيات والسالمة من عيوب الشعر من حيث فن العروض كادخال عروض على أخرى وضرب على آخر ومن حيث فن القوافي كالايطاء وهو تكرير لفظ القافية بمعناه قبل سبعة أبيات وقيل عشرة وكالاكفاء وهو اختلاف حرف الروي والاقواء وهو اختلاف حركته ولكنها وان شرحت وتعاورتها الافكار وخدمت تحتاج الى شرح جامع ودستور مانع يجلو عرائس ابكارها على منصات الالباب مع الاختصار ويظهر خبايا اسرارها ظهور الشمس في رابعة النهار ويفتح مقفلات معمياتها على ما يوجب السرور والفخار وينبه على نفائس فرائدها ويبرز بجلالة عرائس فوائدها ويعرب عن غرائب تعقيدها ويفصح عن فنون بلاغتها وبدائع تأنيقها وتشييدها فاستخرت الله تعالى في شرح كذلك وان كنت لست هنالك راجيا ان اندرج به في سلك خدمة جنابه صلى الله عليه وسلم وان اطوق بسببه سوابغ مدده ولحظه الاعظم ومستعينا بالله ومتوكلا عليه ومفوضا اموري اليه وسائلا

اذا ضم اللحمة الى السدى على وجه يستحكم به تداخلهما وتشبيه التصنيف بالثوب الرفيع في بديع صنعته وتفرده بحسن اسلوبه استعارة بالكناية واثبات المنوال له استعارة تخييلية والنسج ترشيح ويحتمل أن يكون المعنى ولم يصنف على طريقته اي ينسج عليها فتكون استعارة في هذه الاجزاء تحقيقية لكنها تبعية في الاول والثاني اصلية في الثالث قال في الصحاح المنوال الخشب الذي يلف عليه الحائك الثوب وهو النول أيضا وجمعه انوال ويقال للقوم اذا استوت اخلاقهم هم على منوال واحد أي نسق واحد (قوله ففاته الشنب) في المختار الشنب حدة في الاسنان وقيل برد وعذوبة وامر أشنب بينة الشنب انتهى والمراد هنا فاته الامر المحبوب المستلذ المقبول الذي تميل اليه نفوس البلغاء (قوله لطلاوة نظمها) الطلاوة مثلثة الحسن والبهجة والقبول قاموس (قوله ودستور) قال في شرح المطالع الدستور بضم الدال فارسي معرب معناه في الاصل الدفتر الذي جمع فيه قوانين الملك وضوابطه وفي مفتاح العلوم الدستور نسخة الجماعة المنقولة من السواد ثم سمي به الوزير الكبير الذي يرجع الى ما يرسمه في احوال الناس لكونه صاحب هذا الدفتر ومتصرفا فيه انتهى (قوله تأنيقها) أي تحسينها قال في المصباح أنق الشيء من باب تعب ثم قال وتأنق في عمله احكمه وقال في شيد الشيد بالكسر الجص وشدت البيت اشيده من باب باع بنيته بالشيد فهو مشيد وشيدته تشييدا طولته ورفعته انتهى ع ش

منه بدائع الطافه وتتابع اتحافه وتيسير هذا المطلب ونجاح هذا المأرب انه الجواد الكريم الرؤف الرحيم * (وسميته) * المنح المكية في شرح الهمزية ثم بلغني ان الناظم سماها أم القرى تشبيها لها بمكة بجامع انها احتوت بطريق التصريح والايماء على ما في أكثر المدائح النبوية وحينئذ سميته أفضل القرى لقراء أم القرى وقد بين شارحها الامام المحقق في العلوم الآلية والشرعية الشمس الجوجري شيخ مشايخنا رحمه الله تعالى ولا أعلم شارحا لها غيره رحمه الله تعالى وشكر سعيه بحرها وعروضها وضربها وقافيتها وما يدخلها من العلل والزحاف بما أطال فيه لكنه ليس له كبير جدوى هنا لان من يعرف فن العروض وتوابعه لا يحتاج اليه الا لمجرد التذكير ومن لا يعرفه يستوى عنده ذكر ذلك وحذفه اليسير منه والكثير وخلاصة شيء منه انها من بحر الخفيف وهو مركب من ستة اجزاء سباعية الحروف فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين وقد يدخله الخبن في مستفعلن فيصير متفعلن فينقل الى مفاعلن لانه اخف بل وفي جميع اجزائه فحذف ثاني كل وهو حسن والكف وهو حذف سابعه من البعض أو الكل غير السابع اذ لا يوقف على متحرك وهو صالح وقد يجتمعان وهو قبيح ويدخله التشعيث فتنقل صورة الوتد فيصير فعولن على صورة ثلاثة اسباب خفيفة ووقع في كثير من ابيات هذه القصيدة وهو من جملة الزحاف وان أجرى مجرى العلل وقافيتها من المتواتر وهو ما فصل بين ساكنيها حرف واحد متحرك اذ ليس ههنا بين الالف والواو الساكنين سوى الهمزة التي هي الروي والقافية قيل هي آخر كلمة من البيت والاصح انها من آخر حرف متحرك منه قبل ساكنين فقافية البيت الآتي على الاول انطق سماء وعلى الاصح من الميم منه وسترى كثرة ما راعاه الناظم من أنواع البديع لاسيما الاقتباس القرآني لكن فيه كلام منتشر للعلماء وخلاصة المحقق منه انه مجمع على جوازه كما قاله بعض المتأخرين المطلعين قال وقد استعمله العلماء قاطبة في خطبهم وانشائهم واستنكره قوم جهلاء منهم بالمنصوص والمنقول فقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث له والصحابة والتابعون والعلماء قديما وحديثا ونصوا في كتب الفقه على جوازه وزعم بعض المالكية منعه يرده استعمال مالك رضى الله تعالى عنه له ونص على جوازه غير واحد منهم كابن عبد البر والقاضي عياض وقد نقل الشيخ داود المناخلي اتفاق المالكية والشافعية على جوازه وفي شرح مجمع البحرين لابن الساعاتي التصريح بجوازه ولا فرق فيه بين ان يزاد على اللفظ القرآني أو ينقص منه أو يغير اعرابه وأن لا، قال السكاكي اعلم ان شأن الاعجاز عجيب لا يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن وكالملاحة ولا طريق لتحصيله لغير ذوي الفطن السليمة الا بالتمرن في علمي المعاني والبيان وقال غيره لا تدرك معرفة الفصيح والافصح

(قوله أفضل القرى) بكسر القاف قال في المصباح قريت الضيف اقريه من باب رمى قرى بالكسر والقصر والاسم القراء بالفتح والمد (قوله لقراء) بكسر اللام وضم القاف وتشديد الراء جمع قارئ (قوله شارحها) قد شرحها شرحين صغيرا وكبيرا (قوله ولا أعلم لها شارحا الخ) لعل هذا باعتبار حالة الشروع والا فقد نقل الشارح رحمه الله تعالى في مواضع تتعلق بالنظم عن شارحها أحمد بن يوسف الشهير بابن قطيع المالكي اصرفة قال بعضهم وينقل كلامه بلفظه وقد شرحها أيضا الشيخ الشارح الفاضل المتقن الشمس الدلجي شرحا لطيفا مشتملا على كثير من اسرار البلاغة ودقائق المعاني والبديع مع رقة المباني وحسن الترصيع وشرحها أيضا الشيخ أبو الفضل المالكي وشرحها أيضا العلامة الشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطي شرحا لطيفا لكن شرح السنباطي متأخر عن شرح حج (قوله لان من يعرف الخ) لا يخفى ما في ذلك من المنع على ان الشارح معارض بما ذكره في هذا الشرح من انواع العلوم التي لا يوقف على بعضها الا المشايخ كانواع الاستعارة واسرار المعاني الدقيقة واما علما العروض والقافية فامرهما يسير على المحصل كما لا يخفى انتهى طبلاوي (قوله غير السابع) صوابه غير السادس (قوله وهو من جملة الزحاف) صوابه من العلة الجارية مجرى الزحاف في عدم اللزوم (قوله لاسيما الاقتباس القرآني) لم يذكر الاقتباس الحديثي وان كان هو الغالب فيها لعلم بان مبناها على ذكر شمائله الفاخرة وصفاته الباهرة ومعجزاته المتظاهرة وأكثر ذلك بينته الاحاديث كما بين الكتاب أيضا بعضها

والرشيق

والرشيق والارشق الا بالذوق ولا يمكن اقامة الدليل عليه كما ان التى أدوت فى المحاسن قد يكون أحلى منها فى العيون والقلوب ولا يدرك سبب ذلك ولكنه يدرك بالذوق والمشاهدة واهل الذوق ليسوا الا الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا انفسهم بالرسائل وبالخطب وبالكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فاليه يرجع فى فضل بعض الكلام على بعض ولكون علم المعانى والبيان والبديع بهذه المثابة كان يسمى قديما صنعة الشعر ونقد الشعر ونقد الكلام وتسميته بالمعانى والبيان والبديع حادثة من المتأخرين كما أشار الى ذلك الكمال ابن الانبارى والعسكرى وغيرهما وقد حصلت لى رواية هذه القصيدة وغيرها من شعر الناظم من طرق متعددة منها بل اعلاها انى أرويها عن شيخنا شيخ الاسلام خاتمة المحققين المتأخرين أبى يحيى زكريا الانصارى الشافعى عن العز أبى محمد ابن الفرات عن العز أبى عمر بن البدر بن جماعة عن ناظمها وعن حافظ العصر ابن حجر عن الامام المجتهد السراج البلقينى والسراج بن الملقن والحافظ زين الدين العراقى عن العز بن جماعة عن الناظم رحمهم الله وأرويها أيضا عن مشايخنا عن الحافظ السيوطى عن جماعة منهم الشمنى بعضهم قراءة وبعضهم اجازة عن عبد الله بن على الحنبلى كذلك عن العز بن جماعة عن الناظم وقد راعى الناظم رحمه الله أمرين مهمين أحدهما البداءة بالبسملة لحديث الحسن والصحيح كل امر ذى بال أى حال يهتم به لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم أى مقطوع البركة ولا تنافيه رواية الحمد لله لان القصد البداءة بأى ذكر كان كما افادته رواية لا يبدأ فيه بذكر الله فذكر البسملة والحمدلة لبيان افضل الذكر لا غيرهما ثم ابتدى القرآن بهما ولم ينظر الناظم الى ماقيل ان الشعر لا يبدأ فيه بالبسملة لان محله على مافيه فيما ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت على افضل العلوم والمعلومات فهى احق بالبداءة بالبسملة من كثير من العلوم ثانيهما ماهو الاحق بالرعاية على كل بليغ من براعة المطلع وهو سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب وتجنب الحشو وتناسب المعانى وعدم تعلق البيت بما بعده ويسمى أيضا حسن الابتداء وقد انتزعوا من هذا براعة الاستهلال فى النظم والنثر بان يكون مبدأ الافتتاح دالا على مابنى ذلك النظم او النثر عليه من الغرض المسوق اليه كقول أبى تمام الطائى

السيف اصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب

لما كان غرضه ذكر الفتح والتحريض على الحرب وما افتتح به الناظم هذه القصيدة جمع

(قوله الا بالذوق) هو قوة وجدانية يدرك بها دقائق الكلام ووجوه محاسنه الخفية فان كان سليقيا فذاك والا احتيج فى تحصيله الى خدمة هذين العلمين واذا تأيد السليقى بقواعدهما كتسابية فهو الغاية القصوى فى ادراك اعجاز القرآن (قوله ولا يمكن الخ) وهو بمنزلة جاريتين احداهما بيضاء مشربة بحمرة رقيقة الشفتين نقية الثغر كحلاء العينين أسيلة الخد دقيقة الانف معتدلة القامة والاخرى دونها فى هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى فى العيون والقلوب منها ولا يدرى سبب ذلك ولكنه يعرف بالذوق والمشاهدة ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام انتهى الاتقان (قوله البداءة) صريح ان الناظم اتى بالبسملة أول نظمه والظاهر انه اثبتها خطا فكان المناسب لهذا المحقق ان يكتبها بالاحمر قبل قوله كيف ترقى فان حمل كلام الشارح على البداءة اللفظية دون الخطية بان ثبت عنده التلفظ بها دون رقمها كان عدم كتابتها بالاحمر كما صنع هو المناسب انتهى (قوله فيما ليس كهذه القصيدة) كالقصائد المشتملة على هجو محرم أو تشبيب بمعين من امرد او امرأة اجنبية (قوله براعة المطلع) أى المطلع البارع الفائق على غيره قال فى المختار برع الرجل فاق على أصحابه فى العلم وغيره فهو بارع وبابه خضع وظرف انتهى (قوله ورقة التشبيب) هو ذكر أيام الشباب واللهو والغزل وذلك يكون فى ابتداء قصائد الشعر فسمى ابتداء كل أمر تشبيبا وان لم يكن فى ذكر الشباب انتهى مطول ونقل عن ع ش ان التشبيب التحسين قال فى المصباح شبب قصيدته حسنها وزينها بذكر الشباب (قوله وقد انتزعوا الخ) يفيد ان براعة الاستهلال أخص من براعة المطلع حيث ذكر فى بيان حقيقتها زيادة عن بيان حقيقة براعة المطلع كون مبدا الافتتاح دالا على مابنى النظم والنثر عليه فتأمل (قوله كقول أبى تمام) يمدح المعتصم بالله الملقب بسيف الدولة فى فتح عمورية وكان اهل التنجيم قد زعموا انه لا تفتح فى ذلك الوقت انتهى مطول

(قوله فلله دره) قال في المختار يقال من المدح لله دره أي عمله ولله دره من رجل ويقال من الذم لا در دره أي لا كثر خيره واستعمال الدر في الخير ونفيه في الشر مجاز والا فحقيقة الدر اللبن وانما استعمل ما ذكر في المدح تعظيما ومعنى لله دره ان اللبن الذي نبت لحمه بسببه وتربى به لا يثبت لغيره تعالى لخروج كمال الممدوح به عن العادة فلم ينسب لغيره سبحانه (قوله كيف ترقى رقيك الانبياء) اعلم ان هذا الشطر كقوله لم يساو ولك الخ انما يفيدان نفي المساواة وبالاولى تنتفي شهادتهم عليه المصرح به في قوله يا سماء ما الخ واما نفي مقاربتهم له فلم يستفد من كلامه هنا وقد صرح به في قصيدته المسماة بالبردة حيث قال فاق النبيين في خلق وفي خلق * ولم يدانوه في علم ولا كرم لكنه قاصر على نفي المقاربة في صفتي العلم والكرم مع انهم صلوات الله وسلامه عليهم وان بلغوا في علو الشان ما بلغوا لا يقاربونه في جميع صفات الكمال (قوله في الاصل) الاولى حذفه لان الحكم المذكور ثابت لها في الاصل والحال وقد يجاب بان مراده ان الاسمية والبناء على الفتح اصليان لا طارئان فيها تأمل (قوله اسم) لدخول الجار عليها في قولهم على كيف تبيع الاحمرين أي اللحم والخمر فاذا قلت الاحامرة دخل فيه الخلوق وهو اللبن او الطعام المتغير طعمه كما في القاموس ولابدال الاسم الصريح منه نحو كيف زيد أصحيح أم سقيم (قوله وترد للشرط) قال في المغني فتقتضي فعلين متفقي اللفظ والمعنى غير مجزومين نحو كيف تصنع اصنع ولا يجوز كيف تجلس اذهب باتفاق انتهى وبهذا تعلم رد قول الشارح وخرج الخ لعدم مماثلة جوابها لشرطها في اللفظ والمعنى ولعل هذا هو وجه عزوه لغيره بالبناء للمفعول كالمتبري منه لكن اذا لم تكن شرطية جريا على كلام المغني فماذا تكون لانها لا تخرج عن الاستفهام والشرط وغير خاف عدم صحة استفهاميتها ولعل الظاهر وانما ان كلام المغني يجري على الغالب في استعمالها فيكون ما في الآية من النادر فحرر لكن يعكر عليه قوله باتفاق الا ان يقال اتفاق الاكثر (قوله من ترقى) أي من فاعل ترقى (قوله يستفهم بها الخ) ومن ثم قال شارحها الدلجي السؤال ليس للاستفهام عن حال الرقي بل لانكار ذاته بانكار حاله بطريق الكناية لان حال الشيء تابع لذاته ولازم لها فهو من حيث كونه تابعا لها بمنزلة الخاصة المساوية لها توجد بوجودها وتنتفي بانتفائها فيكون امتناع ثبوتها مستتبعا لامتناع ثبوته ضرورة انتفاء التابع والعارض بانتفاء متبوعه ومعروضه واذا كان امتناع ثبوته تابعا لامتناع ثبوتها كان انكاره انكارا لها بطريق الكناية من حيث التبعية فكما يكنى باثبات التابع عن اثبات متبوعه يكنى بانكاره عن انكاره أي لا ترقى رقيك الانبياء

فيه تلك الشروط وزيادة كما لا يخفى على متأمل لغرضه وهو ذكر أوصافه صلى الله عليه وسلم التي ارتقى فيها الى غاية لم يبلغها غيره ولذلك كان جميع ما بعده من المدح الى آخر القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا المطلع فلله دره من مطلع جامع بديع لم يسبق ناظمه لمثله * (كيف) هي في الاصل اسم مبني لتضمنه معنى حرف الشرط او الاستفهام على الفتح تلخفته وعلى حركة لالتقاء الساكنين وترد للشرط وخرج عليه نحو ينفق كيف يشاء وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وللاستفهام وهو الغالب اما حقيقيا نحو كيف زيد اوغيره كما هنا اذ هي للانكار المشوب بالتعجب المتضمن للنفي كما يعلم مما يأتي وكما في الآيتين الآتيتين وتقع خبرا قبل ما لا يستغني نحو كيف أنت وحالا قبل ما يستغني نحو كيف جاء زيد أي على اي حالة جاء ومنه ما هنا في النظم اذ هي حال من ترقى أي على اي حالة ترقى رقيك الانبياء عليهم الصلاة والسلام أي لا يكون ذلك ولا كان وعن سيبويه انها ظرف فموضعها نصب دائما وتقديرها في اي او على أي حال وجوابها المطابق على خير ونحوه وانكر ذلك الاخفش والسيرافي فموضعها عند الاخفش والسيرافي رفع مع المبتدا نصب مع غيره وتقديرها في نحو كيف زيد أصحيح زيد ونحو كيف جاء زيد أراكبا جاء زيد ونحوه وجوابها صحيح ونحوه وقال ابن مالك لم يقل احد ان كيف ظرف اذ ليست زمانا ولا مكانا ولكنها لما كانت تفسر بقولك على أي حال لكونها سؤالا عن الاحوال العامة سميت ظرفا لانها في تأويل الجار والمجرور واسم الظرف يطلق عليهما مجازا قال ابن هشام وهذا أحسن انتهى وعلم من قوله لكونها الخ انه يستفهم بها عن حال الشيء لا عن ذاته قال الراغب

وانما يستعمل بها عما يصح ان يقال فيه شبيه وغير شبيه ولهذا لا يصح ان يقال في الله كيف قال وكل ما أخبر الله به بلفظ كيف عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب او التوبيخ والانكار كما في كيف تكفرون بالله كيف يهدي الله قوما كفروا وفرق الزمخشري بين كيف والهمزة بان كيف سؤال تفويض لاطلاقه فكان الله في الآية الاولى فوض الامر اليهم في ان يجيبوا باي شئ أجابوا ولا كذلك الهمزة فانه سؤال حصر وتوقيت فانك تقول أجدك زيرا كأم ماشيا فتوقت وتحصر ومعنى الاطلاق ما قاله صاحب المفتاح كيف سؤال عن الحال وهو ينتظم فيه الاحوال كلها والكفار حين صدور الكفر منهم لا بد ان يكونوا على احدى الحالتين اما عالمين بالله تعالى او جاهلين به فاذا قيل كيف تكفرون بالله افاد أفي حال العلم تكفرون بالله أم في حال الجهل هذا معنى التفويض في الآية (ترقى رقيك) الحسي فماضيه مكسور القاف من رقي السلم وهو رقيه صلى الله عليه وسلم ببدنه يقظة بمكة ليلة الاسراء قبل الهجرة الى السماء ثم الى سدرة المنتهى ثم الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار ثم الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكالمة والكشف الحقيقي وغير ذلك مما لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل والمعنوي من رقي بالفتح وهو التنقل من كل صفة كاملة وخلق عظيم الى صفة اخرى وخلق آخر اكمل واعظم وهكذا الى ما لا غاية له ففي كلامه استعمال المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو الاصح عندنا في الاصول وعلى مقابله المنقول عن الاكثرين يكون هذا من عموم المجاز (الانبياء) جمع نبي فعيل بمعنى فاعل او مفعول من النبا بهمز وقد لا يهمز تخفيفا وهو الخبر لانه مخبر او مخبر عن الله تعالى او من النبوة فلا يهمز لانه مرتفع أو مرفوع الرتبة على غيره من الخلق ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لا تقولوا يا نبيء الله بالهمز بل قولوا يا نبي الله بلا همز لانه قد يرد بمعنى الطريد فخشي صلى الله عليه وسلم في الابتداء سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوي الاسلام وتواترت به القراءة نسخ النهي عنه لزوال سببه وهو حر ذكر من بني آدم سالم من منفر طبعا وما وقع ليعقوب وشعيب صلى الله على نبينا وعليهما وسلم لم يكن عمى حقيقيا وكذا بلاء ايوب صلى الله عليه وسلم لم يستقر بل صار بدنه بعد الشفاء اجمل منه قبله أوحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فان امر فرسول أيضا وان لم يكن له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله على

(قوله عما يصح الخ) أي وذلك صفات غير الله واما صفات الله فلا يقال فيها شبيه لان صفاته سبحانه كذاته وافعاله لا شبيه لها وحينئذ فلا يستفهم عنها بكيف تأمل ان كان هذا هو المراد فانظر ما المانع من ان يقال كيف صفات الله من جهة تعلقها وعدمه أي على أي حال هي من هذه الجهة وجوابها حينئذ منها ما يتعلق ومنها ما لا يتعلق فحرر (قوله شبيه وغير شبيه) انظر المراد منه ثم رأيت عن مفردات الراغب بعد قوله شبيه وغير شبيه كالابيض والاسود والصحيح والسقيم (قوله كما في كيف تكفرون بالله) كيف في هذه الآية منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه أي في أي حال تكفرون وعلى الحال عند الاخفش أي على أي حال تكفرون والعامل فيها على القولين تكفرون وصاحب الحال الضمير في تكفرون وجاء تكفرون مضارعا لا ماضيا لان المنكر الدوام على الكفر والمضارع هو المشعر بذلك ولئلا يكون ذلك توبيخا لمن آمن بعد كفره انتهى من اعراب السمين (قوله وتوقيت) لم يظهر لي فأين التوقيت في المثال الذي ذكره (قوله بمكة) فيه ان الاسراء من مكة والرقي من المسجد الاقصى ففي العبارة تساهل (قوله صريف الاقلام) أي صوتها حال كتابتها (قوله من رقي بالفتح) كرعى يرعى وعكس ذلك علي وعلا فعلي بالكسر يعلى بالفتح في المكارم علاء بفتح العين والمد واما علا يعلو علوا ففي المحسوس كالجبل بمعنى صعد وعلا في الارض علوا تجبر وتكبر ولا يخفاك اختلافهما مضارعا ومصدرا باختلاف رقي ورقي فان مضارعهما ومصدرهما واحد ثم رأيت في المختار ان علي يعلى في المعالي ماضيا ومضارعا لا مصدرا كما سيأتي في شرح قوله في علالك (قوله يانبيء الله بالهمز) وفي المواهب والصغاني انما انكره لان الاعرابي اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من ارض الى ارض اذا خرجت منها الى اخرى (قوله ولم يؤمر) ليس شرطا في النبي فكان الظاهر ان يقول كغيره وان لم انتهى وقد يدفع باحتمال انه انما اراد تعريف النبي المنفرد عن الرسول ويرشح له قوله فان الخ تأمل لكن هذا لا يلايم الحكم بعموم النبي من جهة

الاشهر فالرسول اخص مطلقا من النبي ولا يطلق على غير الآدمي كالملك والجني الا مقيدا ومنه جاعل الملائكة رسلا الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس على ان معنى الارسال فيهما غيره في الاول اذ هو فيه ايحاء ما يتعبد به هو وامته وفيهما مجرد الارسال للغير بما يوصله اليه فان قلت نفي رقي الانبياء رقيه لا يستلزم نفي رقي الرسل رقيه لتصريحهم بان الاعم لا دلالة له على الاخص والمراد انما هو نفي رقي كل منهما رقيه ولم تف به عبارته قلت ممنوع بل هي وافية بل مصرحة به لان قوله ما طاولتها سماء صريح في نفي رقي الكل رقيه كما يعلم مما يأتي في شرحه لان النكرة في حيز النفي للعموم وفي انه أراد بالانبياء هنا ما يشمل الرسل وأيضا فنفي الحقيقة مطلقة كالنبوة التي تضمنها لفظ الانبياء هنا يستلزم نفيها مع قيدها ولا عكس كما صرحوا به فتعين ما ذكره الناظم ولا يصح ذكر الرسل فتأمله على ان المحقق الكمال بن الهمام نقل في مسايرته ان المحققين على ترادف النبي والرسول فلعل الناظم ممن يرى ذلك وان كنت رددته في شرح المنهاج لمخالفته للاحاديث الصريحة الصحيحة في عدد الانبياء والرسل وسيأتي بعضها *(تنبيهات)* منها ما صرح به كلامه السابق في معنى كيف انها استفهام متضمن انفي رقيهم كرقيه وللتعجب ممن يتشكك في ذلك وهو اولى ممن قال للتعجب من وقوعه لو وقع من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك الرقي بعنيه السابقين وانه المفرد بغاية كمال الشرف والرفعة اجماع اما الاول فواضح واما الثاني فكذلك عند من تأمل آي القرآن وما اشتملت عليه اما تصريحا وتلويحا من الاشارة الى انافة قدره العلي عنده وانه لا احد يساوي مجده وقال المفسرون في قوله تعالى ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري في هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ومن تلك الدرجات ان آياته ومعجزاته اكبر وابهر اذ ما من معجزة انبي قبله الا وله مثلها أو ابهر منها كما بينه الائمة وسيأتي بعضه وزاد عليهم بمعجزات لم يقع نظيرها لاحد منهم وناهيك بكتابه القرآن فانه لا تتناهى معجزاته ولا تنقضي آياته وان أمته أزكى وأكثر وأخير وأطهر من بقية الامم بنص كنتم خير امة اخرجت للناس وخيرية الامة تستلزم خيرية نبيها وافضلية دينها اذ لا شك ان خيريتهم بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم وان صفاته أعلى واجل وذاته افضل واكمل كما يصرح به قوله تعالى فبهداهم اقتده لانه تعالى وصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاوصاف الحميدة ثم امره ان يقتدي بجميعهم وذلك يستلزم أن يأتي بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة فاجتمع فيه ما تفرق فيهم وفي حديث الشفاعة العظمى وانتهائها اليه بعد تنصل كل منهم واعترافه بانه ليس اهلا لها التصريح بذلك أيضا وكذلك الحديث الصحيح انا سيد ولد آدم وفي رواية انا اكرمهم على ربي وفي حديث الترمذي انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم

= التبليغ وعدمه وخصوص الرسول بالتقييد بالتبليغ فتدبر (قوله ولم تف به عبارته) فيه ان العام يستغرق افراده من غير حصر والانبياء هنا كذلك وفي كلام الشارح اشارة لذلك (قوله صريح) انما هو صريح في عدم زيادة كل عليه لان ذلك معنى المطاولة وهذا لا يستلزم نفي المساواة فتدبر واما وفاء عبارته بنفي مساواة الرسل ايضا على كون المراد بالانبياء ما يشمل الرسل فظاهر (قوله اجماع) بالرفع في نسخة المصنف وهو خبر ما في قوله ما صرح والمعنى اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك الرقي والتفرد بغاية كمال الشرف والرفعة مجمع عليه (قوله تنصل) اي تبرأ كل يقال نصل الشيء من موضعه من باب قتل خرج منه ومنه تنصل فلان من ذنبه والمراد بتنصلهم منها تباعدهم وعدم تعاطيهم لها

فى سواه الا تحت لوائى وهو صريح فى دخول آدم لحديث البخارى وغيره انا سيد
الناس يوم القيامة وحديث انا سيد العالمين صححه الحاكم واعترض وبذلك تعلم أفضليته
على الملائكة لان آدم أفضل منهم بنص الآية ويؤيده الحديث الآتى على الاثر ليس
أحد من الملائكة وحديث الترمذى الحسن كما بينه البلقينى فى فتاويه ردا على الترمذى
وانا اكرم الاولين والآخرين وهذا صريح فى شموله الانبياء والملائكة جميعهم
وحديث قال آدم يارب اسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم لما غفرت لى الحديث وفيه
انه تعالى قال يا آدم كيف عرفته ولم اخلقه قال يارب لما خلقتنى بيدك أى بقدرتك
الباهرة ونفخت فى من روحك أى سرك العجيب الذى لا يعلم حقيقته احد غيرك رفعت
رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف
الى اسمك الا احب الخلق اليك قال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذ
سألتنى بحق محمد فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك صححه الحاكم واعترض لكن
صح عن ابن عباس رضى الله عنهما وله حكم المرفوع ولولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد
ما خلقت الجنة والنار لقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله
محمد رسول الله فسكن وفى روايات أخر لولاه ما خلقت السماء والارض ولا الطول
ولا العرض ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا وصح انا
أول من تنشق عنه الارض فألبس الحلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس
أحد من الملائكة يقوم ذلك المقام غيرى وفى رواية ذكرها السراج البلقينى فى فتاويه
انه تعالى قال له قد منت عليك بسبعة اشياء اولها انى لم اخلق فى السموات والارض
اكرم على منك وفى اخرى ذكرها أيضا ان جبريل عليه السلام قال له ابشر فانك خير
خلقه وصفوته من البشر حياك الله بما لم يحب به أحدا من خلقه لا ملكا مقربا ولا نبيا
مرسلا الحديث وصح عن بحيرا الراهب وهو من علماء أهل الكتاب الذين لا يقولون
شيأ الا عنه هذا سيد العالمين وصح عن عبد الله بن سلام الصحابى الجليل امام أهل
الكتاب بشهادته صلى الله عليه وسلم انه ذكر بالمسجد يوم الجمعة أمورا منها وان أكرم
خليقة الله على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فقيل له فاين الملائكة فضحك وقال
للسائل يا ابن أخى هل تدرى ما الملائكة انما الملائكة خلق كخلق السموات والارض
والرياح والسحاب والجبال وسائر الخلق التى لا تعصى الله شيأ وان اكرم الخلق على الله
أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وبين السراج البلقينى ان هذا له حكم المرفوع وهو كذلك
فانه من اجل الصحابة فلا يقول الا عنه صلى الله عليه وسلم أو عما صح من التوراة قال
واختيار الباقلانى والحليمى افضلية الملائكة يمكن حمله على غير نبينا صلى الله عليه وسلم
أى وبهذا جزم بعض اجلاء تلامذته كالبدر الزركشى أو على تفضيل فى نوع خاص أى
لانه قد يوجد فى المفضول مزية بل مزايا لا توجد فى الفاضل ثم قال ولا يظن باحد من ائمة

(قوله لوائى) قيل المراد باللواء علو شأنه بحيث صارت الانبياء اتباعا له وظهر عليهم امره فى الآخرة ظهور اللواء الذى يرى فى الجيش لعامة الناس فيقتدون به وقيل غير ذلك اه ع ش على المواهب (قوله لما غفرت لى) اى الا كما فى رواية

المسلمين انه يتوقف فى أفضلية نبينا على جميع الملائكة وكذلك سائر الانبياء وأطال
فى الخط والرد على من توقف فى ذلك وزعم ان هذا ليس مما كلفنا بمعرفته ثم قال وهذا الزعم
باطل فان هذا من مسائل اصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف والبيان بسوق
ادلتها وايضاحها على كل من تأهل لذلك وقد صح فى الحديث المشهور ثلاث من كن فيه
وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وتأمل قوله مما
سواهما تجده ظاهرا بل صريحا فى كل ماذكرناه * ومنها ما افاده كلامه من جواز التفضيل
بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو ما عليه عامة العلماء لما مر من الادلة الصريحة فيه
واما قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فهو باعتبار الايمان بهم وبما أنزل اليهم واما
الاحاديث الصحيحة لا تفضلوا بين الانبياء لا تفضلونى على الانبياء لا تخيروا بين الانبياء
فهى اما قبل علمه بالتفضيل وانه أفضلهم واما محمولة على التواضع منه صلى الله عليه وسلم
لتصريحه بالتفضيل أو على تفضيل يؤدى الى تنقيص أو الى غض من مقام أحدهم
وعليه ما يدل سياق الحديث أو على التفضيل فى ذات النبوة أو الرسالة فانهم كلهم
مشتركون فى ذلك لا يتفاوتون فيه وانما يتفاوتون فى زيادة الاحوال والمعارف
والخصوصيات والكرامات وزعم حملها على التفضيل بالرأى ليس فى محله لان تفضيل
ذلك بالرأى المحض مجمع على منعه وبالدليل الدال عليه لا وجه لمنعه واما الحديثان
الصحيحان ما ينبغى لاحد أن يقول انا خير من يونس بن متى من قال انا خير من يونس بن متى
فقد كذب فحكمة التخصيص فيهما بيونس نفى توهم التفاوت بينهما فى القرب من الحق
لاختلاف محلهما الصورى برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول يونس
صلى الله عليه وسلم الى قعر البحر اى لا تتوهموا من هذا التفاوت الصورى تفاوتا فى
القرب والبعد من الله تعالى بل نسبة كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما لتعاليه عن
الجهة والمكان فهو نهى عن تفضيل مقيد بالمكان لا مطلقا * ومنها ان قوله الانبياء يشمل
من عرف منهم ومن لم يعرف قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك
واختلفوا فى عدد من عرف منهم والمشهور وفيه ما فى حديث أبى ذر عند ابن مردوية
فى تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة الف وأربعة وعشرون الفا قلت
يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان
أولهم قال آدم ثم قال يا أباذر اربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس
وهو اول من خط بالقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا اباذر واول نبى
من بنى اسرائيل اى من بعد أولاد اسرائيل وهو يعقوب صلى الله على نبينا وعليه وسلم
موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك وروى هذا الحديث بطوله الحافظ
ابو حاتم بن حبان فى كتابه الانواع والتقاسيم وصححه لكن خالفه ابن الجوزى فذكره فى
موضوعاته واتهم به ابراهيم بن هشام قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه تكلم فيه غير واحد

(قوله مردوية) بضم الميم واسكان الراء المهملة وضم الدال واسكان الواو وبعدها ياء مفتوحة
(قوله واول نبى) انظر هذا مع ان اولاد يعقوب الذين منهم يوسف ونبوته بالاتفاق هم قبل موسى وقد يقال اولهم ممن انزل عليه الكتاب انتهى وهذا الايراد المحوج للجواب المذكور غير وارد مع قوله اى من بعد الخ

من ائمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث فالله اعلم وبينت فى شرح المنهاج فى الخطبة ان حديث كون الانبياء مائة الف واربعة وعشرين الفا وحديث كون الرسل ثلثمائة وثلاثة عشر صحيحان فاعلمه وروى ابو يعلى كان فيمن خلا من اخوانى من الانبياء ثمانية آلاف نبى ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت انا (يا) حرف نداء للبعيد أو للقريب المنزل منزلته وهو هنا اشارة الى بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم عن ان تلحق أو تسامى (سماء) بالتنوين والنصب بناء على أنها نكرة موصوفة وهى من حيز الشبيه بالمضاف فمنصب لاغير على الاصح وقال الكسائى يجوز فيها النصب والضم وفصل الفراء فاوجب النصب اذا كان العائد من الصفة اليها ضمير غيبة كما هنا وكيا رجلا ضرب زيدا والرفع اذا كان ضمير خطاب كيا رجل ضربت زيدا *(تنبيه)* لا ياتى هنا الخلاف فى النكرة غير المقصودة وهو قول الاصمعى لاتنادى مطلقا والمازنى لايتصور نداؤها لانه يقتضى الاقبال عليها وعدم قصدها يقتضى عدمه قال ولا يتصور ان يوجد فى النداء نكرة غير مقبل عليها الى ان قال وما جاء منونا فانما لحقه التنوين ضرورة والكوفيون شرط صحة ندائها ان تكون صفة فى الاصل حذف موصوفها نحو ياذاهبا والمنع ان لم تكن كذلك وذلك لان محل هذه الاقوال الاربعة حيث لم توصف النكرة بمفرد أو بجملة او ظرف والاجاز نداؤها مطلقا اتفاقا * فان قلت سماء هنا نكرة مقصودة قطعا كما يعلم مما يأتى وموصوفة بجملة ما طاولتها سماء كما تقرر وحكمهما متناف فان قصدها اوجب بناءها على الضم ووصفها اوجب نصبها على الاصح كما تقرر فما المغلب منهما حينئذ قلت لم ار للنحاة فى مثل هذه الصورة نصا وانما اطلقوا فى المقصودة البناء وفى الموصوفة النصب ومفهومهما متخالف اذ اطلاق الموصوفة يقتضى انه لافرق بين المقصودة وغيرها واطلاق المقصودة يقتضى انه لافرق بين الموصوفة وغيرها لايقال الوصف يستلزم القصد ومع ذلك لم ينظروا القصد معه لانا نمنع استلزامه له اذ لابدع ان الاعمى يقول يارجلا صالحا خذ بيدى من غير ان يقصد أحدا بعينه ولكن لايبعد ان يدار الامر فى هذه الصورة على نظر الناظر فان اعتبر الوصف أجرى عليه حكمه السابق او القصد اجرى عليه حكمه المذكور له *(فائدة)* يجوز تنوين المنادى المبنى للضرورة اجماعا ثم اختلفوا هل الاولى بقاء الضم أو الاولى النصب فالخليل وسيبويه والمازنى على الاول علما كان أو نكرة مقصودة وعيسى بن عمر والجرمى والمبرد على الثانى ردا الى أصله كما رد غير المنصرف الى الكسر عند تنوينه فى الضرورة واختار ابن مالك فى شرح التسهيل ابقاء الضم فى العلم والنصب فى النكرة المعينة لان تشبيهها بالمضمر أضعف وبعض المتأخرين العكس وهو اختيار النصب فى العلم لعدم الالتباس فيه والضم فى النكرة المعينة اذ لا تلتبس بالنكرة غير المقصودة اذ لا فارق حينئذ الا الحركة لاستوائهما فى التنوين اذا تقرر ذلك وقلنا بأن النكرة المنونة هنا مبنية على الضم على أحد شقى كلام الكسائى أو على ما ذكرته انه اذا

(قوله وفصل الفراء) وجه تفصيل الفراء انه اذا كان العائد ضمير خطاب كان التعريف حينئذ أتم فتعين البناء على الضم كزيد فى يا زيد (قوله والرفع) مراده به الضم (قوله الاربعة) فيه نظر فان الاقوال ثلاثة قول الاصمعى وقول المازنى وقول الكوفيين بالتفصيل المذكور (قوله قلت الخ) قال العلامة الدنوشرى ردا على الشارح النحاة مصرحون بان النكرة المقصودة اذا وصفت نصبت وهذا تقييد لقولهم ان النكرة المقصودة يجب بناؤها على الضم فهم المطلقون والمقيدون

(قوله والذى اقوله الخ) فيه نظر فانا لانسلم ان النصب هنا يوهم المحذور الذى ذكره الشارح لدفعه بالسوابق واللواحق فان قوله كيف ترقى الخ نص فى ان المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله لم يساووك الخ ويلزم على ماذكره الشارح تخطئة الناظم فانه اتى بالنكرة منصوبة لا مضمومة وقوله اذ هى اسم جنس مردود بأن النكرة المقصودة المراد بها معين وقوله يشمل سائر الاجرام ربما ينافى ذلك وسيأتى فى كلام الشارح ان المراد بسماء الاولى نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال وفيه استعارة لفظ السماء الاولى لنبينا صلى الله عليه وسلم اهـ (قوله كالدليل الخ) لايخفى ان المراد بنفى المطاولة نفى زيادتهم عليه وحينئذ لا يظهر كونه علة لانه يصير التقدير لا يرتقون مثل رقيك أى لايساووك لانهم لايزيدون عليك فى الرقى وفيه خفاء فتأمل فالظاهر انه تصريح بما علم بالطريق الاولى من نفى مساواتهم له فيما ذكر تأمل وأيضا قوله كالدليل زاد على هذا الشارح الدلجى قوله ويمكن رده الى صورة قياس استثنائى هكذا لو رقوا رقيك لطاولوك لكن اللازم منتف فكذا ملزومه ومما ورد على صورة القياس الاقترانى قوله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه أى الاعادة أهون من البدء وكل ما هو اهون فهو أدخل فى الامكان فالاعادة ادخل فى الامكان وقوله فلما أفل قال لا احب الآفلين أى القمر افل وربى ليس بآفل اهـ كلامه وقولنا فى صدر القوله لايخفى ان المراد الخ فيه ان المطاولة المغالبة فى الطول والارتفاع كما صرح به الشارح فيما يأتى ومثله فى القاموس لا الزيادة قال فى القاموس طاولنى فطلته كنت أطول منه فى الطول اهـ فلم تعلم الزيادة الا من قوله فطلته والا فالمطاولة المغالبة فى الطول أى الارتفاع اللهم الا ان يراد اصل الفعل بأن يراد بقوله ماطاولتها ماطالت أى ارتفعت عليها سماء وحينئذ يظهر ماذكرناه اذا علمت ذلك فلا يظهر القياس الذى ذكره الدلجى اذ يصير نظمه لو رقوا مثل رقيك لزادوا الخ وغير خاف ان الزيادة لا تترتب على رقيهم مثل رقيه وقد اشار الشارح الى صحة كونه كالدليل لما قبله وعلة له بحمله النظم على عدم استطاعتهم رقيا مثل رقيه فكأن الناظم قال لا ترقى الانبياء مثل رقيك لان الله سلبهم القدرة والاستطاعة ان يساووك وان يأخذوا فى اسباب ذلك فتدبر (قوله وفيه استعارة) أى تحقيقية وعبارة الدلجى والسماء اسم جنس يقع على واحد فاكثر والمراد بها هنا هذه الاجرام وقد استعار اسمها للانبياء بجامع العلو والرفعة وان اختلفا حسا أو رتبة اذ هى اعلى مايرى من الاجرام وهم اعلى مايرى من البشر فى درجات الكمال بعضهم أفضل من بعض فشبههم بها على طريق الاستعارة التحقيقية وقرنها بما يلائم المستعار منه اعنى الارتقاء أو بما لزم بقرينة المقام من نفى المطاولة من الارتفاع ترشيحا للمجاز من رشحت الام ولدها باللبن قليلا قليلا الى أن يقوى على المص وفلان يرشح للوزارة اى يربى لها ويؤهل لها فكان المستعار له يرشح ويؤهل بما قرن به الاستعارة من صفة او تفريع كلام ملائم للمستعار منه كان يكون من جنسه أو فردا من افراده مبالغة فى التشبيه مما يورث الكلام زيادة رونق وبهاء والمجاز كالعلو وسناء وا كثر ما يكون فى الاستعارة وقد يكون فى المجاز المرسل مثل وله اليد الطولى اى القدرة الكاملة

أريد بالنكرة الموصوفة مقصود بنيت على الضم فالاولى هنا على الاول والرابع الضم وعلى الثانى والثالث النصب والذى أقوله ان الضم متعين هنا على الكل لانه الظاهر خلافا لما يوهمه الرأى الرابع ان محل الخلاف حيث لا الباس يتولد منه محذور وهنا النصب يترتب عليه محذور ولا يهامه ان السماء الاولى نكرة غير مقصودة وحينئذ يفسد المعنى لان النكرة غير المقصودة لايصح نفى مطاولة نكرة غير مقصودة أيضا لها بخلاف ما اذا كانت الاولى نكرة مقصودة كما هو المراد هنا اذ هى اسم جنس يشمل سائر الاجرام العلوية فان هذه بهذا المعنى هى التى لا تطاولها سماء أى مرتفع غيرها لانه لم يوجد فى هذا الوجود أرفع منها فتأمل ذلك حق التأمل واحفظه فانه مما يتعين استفادته لاستماع النظر لما قاله الشارح مما لم يعثر فيه على شئ مما ذكرته (ما) نافية (طاولتها) أى غالبتها فى الطول والارتفاع (سماء) وهذا الشطر الثانى كالدليل للشطر الاول اذ التقدير لم يرق أحد منهم ارتقاءك لانه لم يستطع مطاولتك فى ارتقائك الحسى ولا المعنوى وان كانت درجاتهم كلها ومراتبهم وصفاتهم باسرها ارفع الدرجات واكمل المراتب واجل الصفات قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وهذه الآية صريحة فى فضلهم على جميع الملائكة [illegible] الخلق اذ العالم ماسوى الله تعالى وانما جمع جمع العقلاء تغليبا لهم وفيه استعارة لفظ

لفظ السماء الاول لنبينا صلى الله عليه وسلم والثاني لبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان السماء أعلى ما يرى من الاجرام الحسية كما انهم اعلى الخلق ورشح لذلك بذكر الارتقاء الملايم للمستعار منه (لم يساووك) جملة مستأنفة على ما يأتي فيكون من اسلوب الحكيم أو حال من فاعل ترقى (في علاك) جمع عليا تأنيث الاعلى من علا بالفتح يعلو علوا في المكان وعلى بالكسر يعلى وعلى بالفتح يعلى علاء في الشرف قال الشارح ولما كان نفي المطاولة لا يلزم منه نفي المساواة وكان المعنى لا يتم الا بنفيها صرح بذلك وتبعه غيره فقال لما لم يلزم من نفي المطاولة نفي المساواة أشار الى نفيهما وان كان يؤخذ مما تقدم لكن لا بطريق التصريح اه وهو عجيب مع ما مر في كيف انه أفاد بطريق التصريح نفي رقي كل أحد منهم رقيه وهذا مساواة فقوله لم يساووك فالحق انه تأكيد واطناب فقط على ان لذكره فائدة أخرى هي البرهان عليه بطريق أخرى وحينئذ يكون ما سلكه من ذكر الجملة الاولى في شطر البيت الاول والبرهان عليها في الشطر الثاني ثم اعادتها بعناها في اول البيت الثاني والبرهان عليها في بقيته من بديع تحقيقه وكمال بلاغته والله أعلم (وقد حال) أي حجز ومنع جملة مستأنفة أو حالية من الفاعل أو المفعول وقد هنا واجبة الذكر أو التقدير عند البصريين قالوا لتقرب الماضي من الحال واعترضهم المحقق السيد الجرجاني وتبعه المحقق الكافيجي وغيره بأن هذا غلط منهم سببه اشتباه لفظ الحال عليهم فان الحال الذي تقربه قد حال الزمان والحال المبين للهيئة حال الصفات ولك رده بانهما ارادوا ان تعاير الكلمة ما اغتفار بان كما هو شأن الحال وعاملها وحينئذ لزم من تقريب الاولى تقريب الثانية المقارنة لها في الزمن فتأمله فانه مهم اذ تغليط أولئك الائمة الذين لا يحصرون مع امكان تأويل كلامهم تساهل واقتصار الشارح على الاول بعيد كتخصيصه له بفاعل ترقى البعيد دون فاعل يساووك القريب وان كان متحدا والاول أولى لما قدمته ان هذه الجملة كالبرهان والتعليل لما قبلها كذا قيل وفيه نظر لان الحالية تفيد ذلك هنالك أيضا على أنها الظاهر المتبادر (سنا) بالقصر أي ضوء عظيم ظاهر (منك) خصك الله تعالى به وهو مجاز عن علوم القرآن المحيطة بعلوم الاولين والآخرين وغيرها التي اختصه الله بها وامره بأن يسأله ان يزيده منها

(قوله لفظ السماء الاول) قد جعله الشارح الدلجي جناسا تاما مماثلا وفيه نظر اذ المعنى لم يختلف وغايته انه استعار اللفظ الاول لنبينا والثاني لسائر الانبياء كما افاده الشارح وعبارة الدلجي وفيه الجناس التام بين سماء وسماء لاتفاقهما في أنواع الحروف وأعدادها وهيآتها وترتيبها كما في قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة اه وقوله لم يختلف غير مسلم لظهور اختلاف المعنى (قوله ورشح) تقدم له ان الرقي مستعمل في الرفعتين الحسي والمعنوي وحينئذ فلا يظهر كونه ترشيحا ملائما للمشبه به الا ان أريد به الرقي الحسي فقد برز في البيت الترديد لتعليقه ترقى أولا بالانبياء وثانيا به صلى الله عليه وسلم والتصريع وهو موافقة العروض لضربها فيما تنسب اليه القصيدة ثم قد يتعلق اول مصراعي البيت بثانيه فيسمى تصريعا وقد لا يتعلق به كما هنا ورد العجز على الصدر في ترقى ورقيك اه دلجي (قوله جمع عليا) ويجوز ان يكون العلا بمعنى الشرف والرفعة كما يأتي وعليا هنا بضم العين ككبرى وكبر والمذكر أكبر فليس كأحمر وحمراء (قوله وعلى بالكسر) عبارة المختار وعلى في الشرف بالكسر علاء بالفتح والمد وعلى يعلى لغة فيه (قوله وتبعه غيره) هو الشهاب البراسي المالكي الشهير بالاقيطع (قوله وهو عجيب) لا عجب اما أولا فلانا نمنع مساواة كيف ترقى لهذا في الدلالة على ما ذكروا اما ثانيا فلان الشارح الجوجري رحمه الله تعالى قال قبل ذلك والشطر الثاني كالدليل للشطر الاول وكأنه يقول لم يرق أحد منهم ارتقاءك لانه لم يستطع مطاولتك أي معالاتك في الطول أو الطول (قوله أو المفعول) او منهما (قوله وقد هنا الخ) أي على جعله الجملة حالية (قوله تقربه) أي تقرب به منه فهو من الحذف والايصال (قوله ولك رده الخ) يوضح ذلك ما ذكره الدماميني في الجواب عن اشكال السيد بان التحلي بقد يشعر بالحضور حال وقوع العامل لانه التقريب الى الحاضر في الجملة فان الماضي لاستقلاله بالمضي لا يفيد المقارنة وان كان العامل أيضا ماضيا بل ربما يوهم انه ماض بالنسبة اليه اه فما ذكره الشارح للرد غير صالح له فهو ممنوع (قوله منك) قال الدلجي أتى بلفظ منك احتراسا عما عسى يتوهم ان ما حال بينهم وبين مساواته ليس منه

وهو مقتبس من تسميته تعالى للقران نورا فى آيات كثيرة من كتابه نحو واتبعوا النور الذى أنزل معه وعما اختصه الله تعالى به من جمال المنظر الظاهر بما آتاه من الحسن فى خلقه بما لم يلحقه فيه يوسف فضلا عن غيره كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وفى خلقه بما ابان الله تعالى رفعته فيه الى الغاية بقوله عز قائلا وانك لعلى خلق عظيم وهو مقتبس من تسميته تعالى النبيه نورا فى نحو قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء بان الله يجعل كلا من حواسه واعضائه وبدنه نورا اظهارا لوقوع ذلك وتفضل الله تعالى عليه به ليزداد شكره وشكر امته على ذلك كما انا أمرنا بالدعاء الذى فى آخر البقرة مع وقوعه وتفضل الله تعالى به لذلك ومما يؤيد انه صلى الله عليه وسلم صار نورا انه كان اذا مشى فى الشمس او القمر لا يظهر له ظل لانه لا يظهر الا لكثيف وهو صلى الله عليه وسلم قد خلصه الله من سائر الكثائف الجسمانية وصيره نورا صرفا لا يظهر له ظل أصلا خرقا للعادة كما خرقت له فى شق صدره وقلبه مرارا ولم يتألم بذلك (دونهم وسناء) بالمد أى رفعة عظيمة أوتيتها لم ينته خلوق اليها اى انقطعوا واتسم له المانع منهم عن اللحوق به هو ما اختص به من ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم يصل أحد الى ادناهما أو هما فضلا عن كماله وفى جعله هذين حاجزا استعارة تجريدية كما ان فى جمعهما الجناس المذيل ويعبر عنه بالمطرف لان الزيادة وقعت ذيلا وطرفا وهو ان يتماثل اللفظان وينفرد احدهما بزيادة حرف آخر فى آخره كقولهم العار ذل العارف وهو احد اقسام الجناس الناقص ومنها نحو الساق والمساق ويسمى بالمردوف لان حرف الزيادة مردوف بما وقع فيه التجانس نحو داء ودواء ويسمى بالمكتنف لان حرف الزيادة مكتنف أى متوسط بين ما اكتنفاه وقد يقع الاختلاف باكثر من حرف نحو من آمن ويسمى متوجا ونحو جهد ومجاهد وجوا وجوانح سماه فى التلخيص مذيلا واهل البديعيات على ان الزائد من آخره حرف أو اكثر يسمى مذيلا ومن اوله كذلك يسمى مطرفا * (تنبيه) * الجناس تشابه اللفظين من حيث اللفظ وفائدته الميل الى الاصغاء اليه فان مماثلة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء اليها فلذا أكثر منه الناظم فى هذه القصيدة وربما تركت التنبيه على كثير منه فى محله استغناء بظهوره أو تقدم التنبيه على نظيره ومع كون الجناس يوجب الميل والاصغاء فجعل مراعاته مالم تعارضه قوة المعنى وتمكنه مع فقده والا لم يراع ومن ثم قال تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ولم يقل بمصدق رعاية لجناس الاشتقاق لان معنى قولك فلان مصدق لى انه قال لى صدقت ومعنى مؤمن لى انه صدقنى وامننى والمقصود الثانى لا الاول فترك الجناس لذلك وترك أيضا فى اتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين

(قوله لا يظهر له ظل) هذا الظاهر فى ذاته عليه افضل الصلاة والسلام ومعلوم انه كان عليه ملبوس وهو ليس نورا فله ظل وقد يقال ان ملبوسه وان كان بالنظر لنفسه كثيفا لكن لملابسته ذاته التى هى نور صار ذلك الملبوس بواسطة نورها نورا فلا يظهر له ظل أيضا (قوله دونهم) دون فى الاصل ظرف بمعنى ادنى مكان من الشئ ثم استعير للرتب المتفاوتة فيقال زيد دون عمرو أى ادنى منه شرفا ثم تجوز به واستعمل فى تجاوز حكم الى حكم نحو فعلت بزيد الاكرام دون الاهانة أو محكوم عليه الى آخر نحو اكرمت زيدا دون عمرو افاده القانى فى بعض حواشيه والظاهر انها فى المتن حال كما فى التجوزين الاخيرين فى عبارة القانى والمعنى وقد حال سنا وسناء منك حال كونهما متجاوزين ما فيهم من السنا والسنا فيكون من تجوز استعمالها فى الرتب المتفاوتة فتدبر (قوله وفى جعل هذين الخ) الاستعارة انما هى فى السنا المقصور واما الممدود فباق على حقيقته ويصح المجاز العقلى فى اسناد حال الى السنا والسناء تأمل وكون الممدود باقيا على حقيقته غير ظاهر فى الرفعة المعنوية تأمل (قوله تجريدية) قال الدنوشرى انظر ما مراده اه وقد قالوا فى نحو قولهم لقينى من زيد اسد ان فيه تجريدا أى لان المتكلم جرد من ذات زيد اسدا وحكم عليه باللقاء وجعل ذلك تجريدا ظاهر لكن لا لاستعارة للجمع بين الطرفين ولعله لما عبر بقوله منك وجعل الشئ ظاهرا منه كانه جرد من ذاته وجعل مشبها أطلق على ذلك تجريدا فتأمل اما (قوله أتدعون بعلا) البعل صنم كانت تعبده بعل المسماة أيضا بعلبك بالشام أى اتعبدون هذا الصنم وتتركون احسن الخالقين

امالان التجنيس تحسين وانما يستعمل في مقام الوعد والاحسان لافي مقام التهويل أولان يدع أخص من يذر لانه ترك الشيء مع سبق الاعتناء به فلو قيل تدعون لتوهم انهم كانوا معتنين بالاله الحق ثم تركوه وليس كذلك بل كانوا تاركين له مطلقا فتعين تذرون مبالغة في التشنيع عليهم بانهم بلغوا الغاية في الاعراض عن ربهم وامتنع تدعون لايهامه وبهذا يظهر غباوة بعض الادباء في قوله لو قال وتدعون لراعى الجناس وبقيت اجوبة أخرى ليست بذاك فلذا تركتها وفي قوله وقد الخ التذييل وهو ان يؤتى بعد تمام الكلام بجمل تشتمل على معناه تجري مجرى العلة لتؤكد ما قبلها وتحققه كقوله تعالى وهل يجازى الا الكفور بعد ذلك جزيناهم بما كفروا وقول النابغة أي الرجال المهذب بعد ولست بمستبق الخ * (تنبيه ثان) * سمر بك استعارات بليغة يحتاج الى معرفتها في هذه القصيدة فلا بأس بالاشارة الى بعض شيء مما يتعلق بها فخذها انها مجاز يتضمن تشبيه ما عني به بما وضع له فهي مجاز لغوي لانها لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ومن ثم احتاجت لقرينة كرأيت اسدا يرمي ثم ما قصد اشتراك طرفيها المستعار له والمستعار منه فيه اما داخل فيهما كاستعارة الطيران للعدو بجامع ان في كل قطع المسافة أولا كاستعارة الاسد للشجاع اذ الشجاعة عارضة للاسد وهي باعتبار طرفيها والجامع اقسام كثيرة باعتبارات كلا ماعقلي أوحسي ثم اللفظ المستعار ان كان اسم جنس ولو تأويلا كعلم اشتهر بوصف سميت اصلية أوفعلا أومشتقا منه بان يقصد به المعنى القائم بالذات أوحرفا فتبعية لان الاستعارة تعقد التشبيه المقتضي لكون المشبه موصوفا بوجه الشبه أومشاركا للمشبه به فيه وانما يصلح للموصوفية الحقائق أي الامور الثابتة دون معاني الافعال ونحوها ومتى لم تقترن بما يلائم احد طرفيها سميت مطلقة أوبما يلائم المستعار له فمجردة أو بما يلائم المستعار منه فمرشحة وهي أبلغ لانه مبني الاستعارة على تناسي التشبيه وادعاء ان المستعار له نفس المستعار منه لا شيء يشبهه وما كان وجه الشبه فيه منتزعا من عدة أمور يسمى استعارة تمثيلية كما يقال للمتردد في أمر اني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى * ومن اقسامها الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وهما عند صاحب التلخيص معنويتان غير داخلتين في تعريف المجاز فاذا اضمر التشبيه في النفس ولم يصرح بشيء من اركانه سوى المشبه ودل على ذلك التشبيه بذكر شيء من خواص ذلك المشبه به سمي ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية واثبات تلك الخاصة استعارة تخييلية لانه يخيل ان المشبه من جنس المشبه به (وانما) للحصر عند الجمهور وقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر خلافا لمن فرق وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويعبر عنه أيضا بانه اثبات الحكم للمذكور

(قوله لراعى الجناس) هذا كلام حق لايدل على الغباوة نعم لو قال بعد ذلك وهو أحسن أونحوه لدل على مزيد الغباوة تأمل (قوله بمستبق) والبيت بتمامه واست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب أي لاتجمعه على تفرق وذميم خصال فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال وعجزه تأكيد لذلك وتقرير لان الاستفهام فيه للانكار أي لامهذب في الرجال انتهى مطول (قوله عند الجمهور) ومقابله قوله الآتي وأنكر قوم افادة انما له (قوله قيل الخ) اعلم أن اثبات الالوهية لله في نحو انما الهكم الله منطوق اتفاقا واما نفي الالوهية الحقة عن غيره ففيه خلاف قيل مفهوم وهو مذهب الجمهور وقيل منطوق أي بالاشارة وهو المنطوق غير الصريح أي لم يوضع له اللفظ بل هو لازم ما وضع له فقوله قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم خاص باحد شقي ما يستفاد من انما وهو نفي الحكم عن غير المذكور اذ هو محل الخلاف والا فاثبات الحكم للمذكور منطوق به اتفاقا كما عرفت واما نحو ما قام الا زيد مما يشتمل على نفي واثبات فمنطوقه اتفاقا نفي القيام عن غير زيد واما اثبات القيام لزيد فقيل مفهوم وهو الراجح وقيل منطوق أي صراحة لسرعة تبادره الى الاذهان وعليه فلا مفهوم له بل له منطوقان صريحان كذا يؤخذ من المحلي الاصولي وحواشيه في مبحث المفاهيم ثم رأيت عن التمهيد للاسنوي وعن الشيخ أبي علي في الشيرازيات توجيه القول بكون نفي الحكم عن غير المذكور في انما قام زيد ونحوه منطوقا بان ما للنفي وان للاثبات فجمع بينهما على الوجه الممكن أي فيكون حكمهما كحكم =

ونفيه عما سواه وينقسم الى قصر موصوف على الصفة وعكسه وكل اما حقيقي واما مجازي فالحقيقي نحو ما زيد الا كاتب أي لا صفة له غير ذلك وهو كالمحال لتعذر ان يكون لذات صفة واحدة فقط ولم يقع منه شئ في القرآن والمجازي نحو وما محمد الا رسول أي مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبري من الموت الذي استعظموه ذهولا عن كونه من شأن الاله وانكر قوم افادة انما له ويرد عليهم آيات كثيرة نحو وانما العلم عند الله انما يأتيكم به الله واعلم ان انما المحصور فيه هو الاخير ومن ثم كان مفاد انما قائم زيد اثبات القيام لزيد ونفيه عن غيره وانما زيد قائم اثباته له ونفي غيره عنه (مثلوا) أي صوروا الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو الواصفون لشمائلك وهو الاقرب وان لم يجر له ذكر لانه معلوم على حد حتى توارت بالحجاب (صفاتك) جمع صفة وهي ما دل على معنى زائد على الذات محسوس كالابيض أو معقول كالعالم (للناس) من الانس فيختص ببني آدم فاصله الاناس حذفت همزته تخفيفا لا التعويض أل عنها للجمع بينهما أو من نوس اذا تحرك فيعم الجن كذا قيل والذي في القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس أصله اناس جمع عزيز ادخل عليه أل ثم قال وناس الابل ساقها وانا سه حركه (لك) نعت لمصدر محذوف مفعول مطلق لمثلوا أي تمثيلا مثل (ما) مصدرية (مثل النجوم الماء) اصله موه بالتحريك فهمزته بدل من الهاء وهو جوهر قيل لا لون له وانما يتكيف بلون مقابله والحق خلافه فقيل أبيض وقيل اسود والمعنى على ان الضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام أن ما شاركتهم فيه من الصفات وان كملت لم يصلوا الا دناها لانها بلغت فيه من الكمال مالم يبلغه مخلوق فهي فيه حقيقة كالنجوم الحقيقية المرئية من غير حائل وفيهم كصور النجوم التي ترى في الماء دون حقيقتها وشتان ما بينهما واسناد ذلك التصوير اليهم على هذا مجاز عقلي كقول الموحد أنبت الربيع البقل ويحتمل انه لمح بذلك الى ما علم من حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم نعتوا صفاته الكريمة لاممهم وصوروها لهم لكنهم مع ذلك لم يصلوا التصوير كنهها لعدم احاطتهم به وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لمباديها كما ان الماء لم يحك من النجوم الا مجرد صورها لا غير وفي هذا من الابلغية في المدح ما لا يخفى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع كمالهم الاكبر اذا عجزوا عن ادراك حقائق صفاته العلية كان غيرهم اعجز لا يقال هذا يستغنى عنه بما يأتي في قوله الابشرت قوم هاباك الانبياء لان ذاك في مطلق تبشيرهم بانه سيوجد وهذا في بيان صفات ذلك المبشر به وعلى انه للواصفين انهم وان اكثروا الاوصاف وتفننوا في ايرادها على ابلغ انواع البلاغة واكمل قوانين الفصاحة فغاية ما وصلوا اليه ان ادركوا لوائح منها وعجزوا عن ادراك شئ من حقائقها كما ان غاية من يرى النجوم في الماء انه يدرك مبادي أوصافها ويعجز عن ادراك حقائقها وقد شرح الناظم هذا بقوله في بردة المديح اعيا الورى فهم معناه البيتين وهذا البيت من جملة التذييل أيضا بناء على المعنى



ما والا في القول بان نفي الحكم في تركيبهما عن غير المذكور منطوق ورده هذا التوجيه ظاهر اذ لا دلالة لانما على النفي بوجه فتأمل وحينئذ فالتوجيه الصحيح ان يقال انما كان مفهوم انما منطوقا لان قولك انما زيد قائم وانما القائم زيد معناه لا قائم في الاول ولا غيرو في الثاني فمحل النطق في الاول زيد وفي الثاني القائم والنفي حال من احواله فيكون منطوقا لانه معنى دل عليه اللفظ في محل النطق لكنه لم يوضع له اللفظ بل هو لازم ما وضع له فيكون غير صريح وغير مقصود للمتكلم لا يتوقف عليه صدق ولا صحة فيكون اشارة (قوله ونفيه عن غيره الخ) لكن التعريف الاول أولى لشموله نحو انما زيد قائم اذ لا يصح ان يقال فيه ونفيه عما سواه وانما فيه اثبات الحكم المذكور ونفي غيره عنه كما سيأتي في الشرح فتأمل (قوله وهي ما دل) كان الظاهر وهي معنى زائد الخ ويجعل بدل الابيض والعالم بالبياض والعلم وكأن الشارح اشتبه عليه اصطلاح النحاة بغيرهم تأمل (قوله أو من نوس) صرح بالواو ليفيد انها اصل الالف والا فكان يقول من ناس تأمل (قوله البيتين) وهما

اعيا الورى فهم معناه فليس يرى
في القرب والبعد منه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد
صغيرة وتكل الطرف من أمم

أي قرب (قوله وهذا البيت) قال الدلجي وفي البيت اتساع وهو ان يؤتى ببيت يتسع فيه التأويل

(قوله برهان على مطلعها) فيه انه جعل البيت تذييلا لنفي المساواة وليس ذلك من المطلع بل هو من البيت الذي يليه وقد يقال المراد بنفي المساواة أي المستفاد من قوله كيف ترقى الخ فتأمل (قوله المعرف) فيه نظر لانها في الآية مضافة الى منكر سواء اضيفت لفظ قلب ثم لا فهي لاستغراق الاجزاء في اضافتها للمنكر اذا لم ينون قلب ولاستغراق الافراد اذا نون وفي الشارح اشارة لذلك فافهم ومثال اضافتها للمفرد المعرف فتكون لاستغراق اجزائه كل زيد حسن (قوله بأن تلاها) صوابه تلت العامل (قوله وعلى كل ضامر) اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فقوله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه

لاول لانه برهان ظاهر على ماقدمه من نفي المساواة بل في الحقيقة القصيدة كلها برهان على مطلعها وشرح وبيان له كما مر * ولما قرر ان ما أوتيه من المزايا لا تدرك غاياتها بل ولا حقائقها اراد ذلك تقريرا وتمكينا في النفوس فقال (انت) أيها العلم المفرد الذي لا يساوى بل ولا يداني (مصباح) أى سراج فهو مقتبس من قوله تعالى وسراجا منيرا (كل) اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر المضاف هو اليه كما هنا والمعرف المجموع نحو وكلهم آتيه يوم القيامة فردا وأجزاء المفرد المعرف نحو يطبع الله على كل قلب متكبر جبار باضافة قلب الى متكبر أى على كل اجزائه وقراءة التنوين لعموم افراد القلوب ثم ان لم تكن نعتا لنكرة ولا توكيدا لمعرفة بان تلاها العامل كما هنا جازت اضافتها كما هنا وقطعها نحو وكلا ضربنا له الامثال واعلم انها حيث اضيفت لمنكر وجب في ضميرها مراعاة معناها نحو وكل شئ فعلوه في الزبر وعلى كل ضامر يأتين أو لمعرف جاز مراعاة لفظها في الافراد والتذكير ومراعاة معناها وكذا اذا قطعت نحو كل يعمل على شاكلته وكل أتوه داخرين وانها حيث وقعت في حيز نفي بان سبقتها أداته أو فعل منفي نحو ما جاء كل القوم وكل الدراهم لم آخذ لم يتوجه النفي الا لسلب شمولها فتفهم اثبات الفعل لبعض الافراد ما لم يدل الدليل على خلافه نحو والله لا يحب كل مختال فخور مفهومه اثبات المحبة لاحد الوصفين لكن لا نظر اليه للاجماع على تحريم الاختيال والفخر مطلقا وحيث وقع النفي في حيزها كقوله صلى الله عليه وسلم في خبر ذي اليدين كل ذلك لم يكن توجه الى كل فرد فرد كذا ذكره البيانيون واعتمدت هذا جميعه هنا لانه لنفاسته وكثرة الاحتياج اليه ما ينبغي ان يستفاد ويحفظ (فضل) وكمال برز افيرلك في الوجود لانك الخليفة الاكبر الممد لكل موجود وشاهده ما صح من خبر آدم فمن دونه تحت لوائي وخبر انما أنا قاسم والله يعطي وخبر لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وخبر ان ابراهيم قال انما كنت خليلا من وراء وراء وآثر التشبيه بالسراج على القمرين لانه يقتبس منه الانوار بسهولة وبخلافه فروعه فتبقى بعده ووجه الشبه ان نوره صلى الله عليه وسلم يظهر الاشياء المعنوية كنور البصائر ونور السراج يظهر

أو استئناف فيكون الضمير للناس وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان بيضاوي وفي المغني ليس الضامر مفردا في المعنى لانه قسيم الجمع وهو رجالا بل هو اسم جمع كالجامل والباقر أو صفة لجمع محذوف أى كل نوع ضامر ونظيره ولا تكونوا أول كافر به فان كافرا نعت لمحذوف مفرد لفظا مجموع معنى أى أول فريق كافر به ولولا ذلك لم يقل كافر بالافراد (قوله وكل أتوه) أى كل من في السموات والارض أتوه في الموقف صاغرين وقرئ أتاه بالافراد مراعاة للفظ كل (قوله بان سبقتها أداته) أى ولو رتبة بدليل التمثيل بقوله كل الدراهم لم آخذ فان أداة النفي وان تأخرت لفظا سابقة رتبة (قوله مفهومه ما الخ) تامل هذه العبارة فان الظاهر بدلها ان يقول مفهومه اثبات المحبة لبعض مختال فخور (قوله من وراء وراء) قال السيوطي في البدور السافرة ضبط بفتح الهمزة وضمها على حد من قبل ومن بعد واختاره أبو البقاء بلا تنوين فيهما بناء قال النووي وغيره الفتح أشهر ومعناه لم أكن في التقريب والادلال بمنزلة الحبيب وقال صاحب التحرير هذه كلمة تقال على وجه التواضع انتهى ما قاله الجلال وقيل مراده ان الفضل الذي اعطيته كان بسفارة جبريل ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة وكرر وراء اشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة فكأنه قال انا من وراء موسى الذي هو من وراء محمد صلى الله عليه وسلم

(قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق) فان الظاهر العكس لان الخطاب لعبدة الاوثان الذين سموها آلهة تشبيها بالله سبحانه فجعلوا
غير الخالق كالخالق فخولف في خطابهم لانهم بالغوا في عبادتهم وغلوا حتى صارت عندهم أصلا في العبادة فجاء الرد على وفق ذلك
اه من الاتقان للسيوطي (قوله واذا تقرر الخ) يقتضي ان ماذكره من التشبيه قد مضى وليس كذلك بل سيأتي فيما بعده وكان حق
التعبير ان يقول واذا تقرران كالاته المشبهة بالاصباح مستمدة منها كالات غير المعبر عنها بكل فضل الخ فتأمله (قوله الاضوائك) بالجر
(قوله فجعل ذلك النور) ومن هنا قال العارف ٢٠ السراج بن الفارض على لسان حضرته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

المحسوسة كنور البصر ولاريب ان المحسوس أظهر من المعقول من حيث هو معقول
فالمشبه نوره صلى الله عليه وسلم لكونه معنويا لا بنور السراج لكونه محسوسا فلا ينافى
ذلك ان السراج دونه صلى الله عليه وسلم بل لانسبة ويمكن انه من التشبيه المقلوب كما
في قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق واذا تقرران كالات غيره المشبهة بالاضواء مستمدة
من كماله الذي هو الضوء الاعلى (ف) بسبب ذلك (ما يصدر) أي يبرز في الوجود ضوء ناشئا
عن ضوء أحد مطلقا الا ضوئك فانت المخصوص بالك الذي تبرز (عن ضوئك) الذي
اكرمك الله به (الاضواء) كلها من الآيات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات وان
تأخر وجودك عن جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان نور نبوتك متقدم عليهم
بل وعلى جميع المخلوقات وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضي الله تعالى
عنه يارسول الله اخبرني عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال ياجابر ان الله تعالى
خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم
يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر
ولا جني ولا انسي فلما أراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة اجزاء فخلق
من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة
اجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم
الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي
المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله
الحديث وصح حديث أول ما خلق الله القلم وجاء باسانيد متعددة أن الماء لم يخلق قبله شئ
ولا ينافيان ما في الاول في نور نبينا لان الاولية في غيره نسبية وفيه حقيقية فلا تعارض
وفي حديث عند ابن القطان كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم باربعة عشر ألف
عام وفي الخبر لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب
على سائر نوره الحديث وصح خبر متى كنت أو كتبت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد

واني وان كنت ابن آدم صورة
فلي فيه معنى شاهد بابوتي
(قوله العرش) وقد خلقه الله قبل
القلم كما في المواهب أي خلق
العرش بعد النور المحمدي (قوله
فخلق من الاول السموات) في
المواهب زيادة وهي فخلق من
الاول حملة العرش ومن الثاني
الكرسي ومن الثالث بقية
الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة
اجزاء فخلق من الاول السموات
الخ (قوله ومن الثالث نور انسهم
الخ) والباقي من نوره بقي حتى
أودع في صلب آدم عليه الصلاة
والسلام أي بعد ان خلقت منه
أرواح الانبياء كما سيأتي التصريح
به عند قوله أمرما الخ فان ارواحهم
مخلوقة من نوره صلى الله عليه وسلم
وما بقي من النور جعل في ظهر آدم
الخ خبر (قوله باربعة عشر ألف
عام) عبارة عن طول الزمن أو عن
مدة لو قدرت بزمن بلغت ذلك فلا
يقال لا زمن ثم لان الزمن يقدر
بحركة الفلك وهو لم يخلق (قوله ذلك
النور) أي بعضه كما عرفت (قوله وآدم بين الروح والجسد) فان أورد ان حقيقة آدم هذا الهيكل المخلوق من طين وليس
المنفوخ فيه الروح فمجموعهما هو آدم فما معنى البينية أجيب بانه مجاز عما قبل تمام خلقه قريبا منه كما يقال فلان بين الصحة
والمرض أي في حالة تقرب منهما وقال في النسيم الظاهر انه ظرف زمان بمعنى ان نبوته محكوم بها ظاهرة بين خلق روح آدم وخلق
جسده حيث نبأه في عالم الارواح واطلعها على ذلك وأمرها بمعرفة نبوته واقرارها بها وهذا المعنى يؤيده قوله بين الماء والطين
أي بعد خلق عناصره غير مركبة ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذي صححوه فيكون رواية بالمعنى اذ لم يوجد بهذا
اللفظ قال الشارح في النعمة الكبرى بمولد سيد أهل الدنيا والاخرى ولفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين لم يوجد مرويا انتهى

وليس المراد من ذلك التقدير لان غيره كذلك بل الاشارة الى كون روحه العلية ثبت لها ذلك الوصف دون غيرها في عالم الارواح اذ ورد ان الارواح خلقت قبل الاجساد بألفي عام وفي حديث عبد الرزاق السابق تأييد لما قيل انه تعالى لما خلق نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أمره ان ينظر الى نور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به وقالوا يا ربنا من الذي غشينا نوره فقال هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم انبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين وفي هذه الآية كما قاله التقي السبكي من التنويه بقدره العلي ما لا يخفى وفيها مع ذلك انه على تقدير مجيئه يكون مرسلا اليهم والى اممهم فتكون رسالته عامة لجميع الخلق فهو نبي الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذا يكونون كلهم يوم القيامة تحت لوائه صلى الله عليه وسلم * واستعارة المصباح للفضل المبني على تشبيهه ببيت واسع يحتاج الناس الى دخوله

(قوله وليس المراد من ذلك التقدير) أي كما نقله في المواهب عن الغزالي وقوله بل الاشارة الخ أي كما ذكره التقي السبكي متعقبا به الغزالي كما قاله في المواهب أيضا حيث قال فقد تكون الاشارة الى روحه الشريفة أو الى حقيقة من الحقائق والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده بنور الهي ثم ان تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بان يكون خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليها من الحضرة الالهية وانما يتأخر البعث والتبليغ وكل ماله من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تأخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتأخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا ان من فسره بعلم الله تعالى بانه سيصير نبيا لم يصل لهذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها أخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله تعالى (قوله بل الاشارة الخ) ما المانع من تحقق النبوة والرسالة لروحه الشريفة معتمد بان خلقت قبل الارواح ثم أمرت بان تأمر الارواح بأمور شرعها الله لها حينئذ أو بان تخبرها بما يتعلق بها من الاحكام بعد خلق الاجساد بشروطه وهذا بعث وارسال فليتأمل ابن قاسم (قوله بألفي عام) وروي باربعة آلاف اه ابن قاسم (قوله لما خلق نور نبيه الخ) قضية هذا ان نور الانبياء مخلوق قبل نور نبينا صلى الله عليه وسلم لما هو معلوم من ان تعلق الحكم على الشيء يستدعي وجوده قبله ويمكن الجواب بان المراد لما كمل خلق نبينا بافاضة الكمالات والنبوة عليه أمره الخ وهو يقتضي تأخر ذلك عن خلق انوار الانبياء وهو لا ينافي تقدم خلق نوره على سائر الموجودات كما مر أو ان المراد انه لما خلق نوره اخرج منه أنوار بقية الانبياء ثم أمره بذلك ولو قبل افاضة النبوة على ذلك النور لكن الاول ارفق بقوله آمنا به وبنبوته اذ المتبادر افاضة النبوة عليه بالفعل انتهى ع ش على المواهب (قوله أمره) أي النور اي بعد ان جعله صورة روحانية هي صورته صلى الله عليه وسلم وكذا يقال في قوله الى نور الانبياء (قوله واذ أخذ الله الخ) سيأتي للشارح في شرح قول الناظم ما مضت فترة البيت ما ينبغي مراجعته لانه يوضح ما هنا فراجعه ان شئت (قوله على تقدير مجيئه) أي في زمنهم (قوله واستعارة المصباح) أي واثبات المصباح الخ أي لان اثبات المصباح للفضل هو التخييلية وتشبيه الفضل بالبيت هو المكنية على أحد المذاهب تأمل (قوله يحتاج الناس الى دخوله) عبارة الدلجي فشبه فضله صلى الله عليه وسلم على طريقة الاستعارة التحقيقية بالضوء بجامع الانتفاع اذ كل فضيلة كالعلم مماله ضياء واشراق يوصل الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل كما ان بالضياء يدرك المطلوب ويفصل بين الاشياء بعد تشبيهه صلى الله عليه وسلم لاستمداد كل فضل من افضاله بمصباح تستمد منه الاضواء على اسلوب حمل المشبه به

= على المشبه وهو كما في الكشاف عند محققي علماء البيان يسمى تشبيها بليغا نظرا الى ظاهر جعل المشبه نفس المشبه به مذكورا معه على وجه ينبئ عن التشبيه اما اذا ذكر معه بطريق لا ينبئ عنه فيكون استعارة لانها وان كانت مبنية على التشبيه فمبنية أيضا على تناسيه سواء ذكر الطرفان أو احدهما كما هو الغالب ومن ثم قال في المفتاح ان القمر في قوله قد زر ازراره على القمر استعارة أي تحقيقية مجردة لاقترانها بملائم المشبه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم لوروده على وجه لا ينبئ عن التشبيه لعدم حسن دخول اداة التشبيه على المشبه به اذ لا يحسن ان يقال وهم كيد (قوله جعل الشمس ضياء) أي ذات ضياء أو مضيئة أو نفس الضياء مبالغة وكذا يقال في نورا (قوله غالبا) فيه ان ذو لا تقطع عن الاضافة ابدا فكان الظاهر حذف قوله غالبا تأمل (قوله فقالوا ذاتي) وصفات ذاتية (قوله وكما في قول خبيب) هو من الصحابة صلب على خشبة بمكة فانشد وهو مصلوب

ولست ابالي حين اقتل مسلما ✽ على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الاله وان يشأ ✽ يبارك على اوصال شلو ممزع ٢٣ الشلو بكسر الشين وسكون اللام هو العضو

ومراج فيما استعارة بالكناية يتبعها استعارة تخييلية والضوء الذي هو اعلى من النور بدليل جعل الشمس ضياء والقمر نورا الصفات الكمال استعارة مصرحة بجامع ان كلا من الضوأين المعنوي والحسي يهدي الى المقصود وأيضا الكمالات الدينية تنور الظاهر والباطن (لك) لا لغيرك (ذاته) اصلها مؤنث ذو والمقتضية لموصوف والملازمة للاضافة غالبا كرجل ذي مال ثم استعملوها استعمال الاسماء المستقلة فقالوا ذات قديمة ونسبوا الى لفظها فقالوا ذاتي وقد تستعمل بمعنى نفس الشيء وحقيقته كما هنا وكما في قول خبيب رضي الله تعالى عنه وذلك في ذات الاله (العلوم) جمع علم وهو هنا صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به انجلاء تاما والادراك الجازم الذي لا يحتمل النقيض وحده يحدود اخرى كلها مدخولة ايضا وترادفه المعرفة لكن لا يقال لله تعالى عارف لانها تستدعي سبق جهل بخلاف العلم واليقين لكن فرق بينهما بعض المحققين بان اليقين خاص بما من شأنه ان يتطرق اليه شك فلا يقال تيقنت ان الواحد نصف الاثنين وقال الراغب اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتهما يقال علم اليقين ولا يقال معرفة اليقين وهو سكون النفس مع ثبات الحكم حال كونها واصلة اليك على لسان الملك او بالالقاء في الروع او بخلق العلم الضروري او بسماع الكلام النفسي (من) فيض (عالم الغيب) مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل اي الغائب وهو ما لم

والاوصال المفاصل (قوله في ذات الاله) اي في طاعة الله او سبيل الله انتهى كرماني (قوله العلوم) هي هنا المعلومات فانه النبي صلى الله عليه وسلم دون آدم على ما يأتي واما العلم بمعنى الصفة المذكورة وبمعنى الادراك الجازم المذكور فلا يختص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقول الشارح وهو هنا الخ فيه شيء فليتأمل (قوله لا يقال لله عارف) وفي شرح الورقات لابن امام الكاملية انه ورد اطلاق العارف على الله انتهى ولعله لم يصح لكون المشهور خلافه (قوله لانها تستدعي الخ) وخصص بعضهم العلم بادراك المركبات والكليات والمعرفة بادراك البسائط والجزئيات وقيل المعرفة تقال للادراك المسبوق بالعدم او للاخير من الادراكين المتعلقين بشيء بعد تخلل العدم بينهما بان وقع الادراك به ثم الذهول عنه ثم الادراك والعلم الادراك المجرد عن هذين الاعتبارين ولذا يقال في الله عالم ولا يقال عارف (قوله بان اليقين خاص) قال الشنري في حاشية المطول واليقين العلم بزوال الشك ولهذا لا يوصف به الباري (قوله حال كونها) أي العلوم (قوله في الروع) هو بضم الراء القلب وبفتحها الخوف (قوله من عالم الغيب) قال بعضهم الذي هو فرد من مسمى العالم الذي هو كل جنس يعلم به الله سواء كان من ذوي العلم ام لا كالخاتم والطابع لما يختم ويطبع به يقال عالم الانس وعالم الجن وعالم الملك وعالم الملكوت وعالم الافلاك وعالم النبات وعالم الشهادة وعالم الغيب انتهى وقوله في صدر القولة الذي هو الخ يفيد ان عالما بفتح اللام وفي الشرح ما يفيد انه بكسرها حيث قدر فيض بين من وعالم والاول هو الرواية ويمكن فتح اللام مع تقدير فيض بمعنى من عالم الغيب الناقص أي الكثير وفي قول الشارح فالكل من عالم الشهادة ما يؤيد الرواية فتأمل

يشاهد لكن بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة لا المعقول اى المغيب خلافا لمن زعمه لان غاب لازم وخص بالذكر على حد قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الآية لان العلم به اتم واظهر ولان اكثر علوم نبينا صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت علم الاولين والآخرين فى الحديث المشهور ولانه تعالى اختص به لكن من حيث الاحاطة والشمول لعلمه بالكليات والجزئيات فلا ينافى ذلك اطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من الخمس التى قال فيهن صلى الله عليه وسلم فى خمس لا يعلمهن الا الله تعالى لانها جزئيات معدودة لا غير وانكار المعتزلة لذلك مكابرة فقد وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء من ذلك ما لا يمكن عده لاسيما ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم وسيأتى بسط جملة مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات فى شرح قوله وكم اخرج خبأ له الغيوب خبأه وجملة مما يتعلق بانكار المعتزلة اواخر الكتاب (ومنها) اى العلوم بمعنى المعلومات وهو متعلق بالاسماء (لآدم) ابى البشر صلى الله عليه وسلم واصله أأدم لكنهم لينوا الهمزة الثانية تخفيفا وجعلوها فى التصغير واوا نظرا لتليينها من الادمة بالسكون أو الفتح أو من أديم الارض كما صح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وورد عن على وابن مسعود رضى الله عنهما وأديم الارض ظاهر وجهها والادمة السمرة وهو مراد من قال لون يقارب السواد ومن قال

(قوله بمعنى المعلومات) ربما يشير بذلك الى ان فى كلام الشارح استخداما فان الضمير راجع الى العلوم بغير هذا المعنى كما اشار الى ذلك الشارح سابقا وقد علمت ما فيه (قوله بالسكون) أى للدال و بالفتح أى فتحها واما الهمزة فهى مضمومة فيهما (قوله أديم الارض الخ) لانه خلق منه كما فى حديث فخرجت ذريته على ألوان الارض وطباعها فمنهم الابيض والاسود والاحمر والسهل بفتح فسكون أى الرفق واللين والحزن بفتح فسكون أى العنف والغلظة والطيب والخبيث فمن سهلها سهل الخلق ومن حزنها غلظه ومن طيبها المؤمن الذى هو نفع كله ومن خبيثها الكافر الذى هو ضرر وقال وهب خلق الله رأس آدم من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويديه من الرابعة وبطنه من الخامسة وعجزته ومذاكيره من السادسة وساقه وقدميه من السابعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان طينة آدم من ست ارضين وأكثرها من السادسة وليس فيها من السابعة شئ لان فيها نار جهنم وروى عنه انه قال خلق من أقاليم الدنيا فرأسه من تربة الكعبة وصدره من الدهناء وظهره وبطنه من تربة الهند ويداه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب وكان طوله ستين ذراعا وعاش ألف سنة وذكر بعض الائمة انه ورد ان الله لما أراد خلق آدم أمر جبريل ان يأتى بالقبضة البيضاء التى هى قلب الارض فهبط فلما أراد قبضها أقسمت عليه الارض فقالت بالذى أرسلك لا تقبض منى ما يخلق منه من يعصيه فوق ظهرى فتركها فارسل لها ميكائيل فحصل مثل ذلك فارسل لها اسرافيل فحصل مثل ذلك فارسل لها عزرائيل فلما أقسمت عليه قال لها طاعة ربى خير من طاعتك ثم هز الارض فاختلط بعضها ببعض ثم قبض من ترابها الوانا مختلفة فقال له الله تعالى من قبض شيأ فعليه تسليمه انت قابض الارواح ونازعها من الاشباح ثم أمر الله الملائكة بعجن التراب بماء الرحمة فلم يلتئم فقال صبوا عليه من ماء الحزن فصبوا عليه فالتئم فقال تعالى قد سبق فى على أنه وذريته يعيشون فى الدنيا فى حزن فمن صبر واطاعنى فله الجنة ومن لم يصبر على قضائى وعصانى انتقل من حزن الى حزن اكبر منه ثم خمرت اربعين سنة قبل أن يصور بشرا فتفضلت من الطين فضلة صورها الله نخلة ثم أوقف روحه بين يديه سبحانه وأمرها بالدخول من يافوخه فاستضيقته فقال لها ادخلى كرها وستخرجين كرها فلما وصلت الى انفه عطس فلما وصلت الى فمه الهمه الله ان يقول الحمد لله رب العالمين فقال له الله يرحمك ربك يا آدم ولرحمتى خلقتك ثم وصلت لسرته فنظر الى سرادق العرش فرأى مكتوبا بيد القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فقال ومن محمد يا رب فقال تعالى ذلك سيد أولادك لولاه ما خلقتك فقال آدم اشهد انى أقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلما وصلت الروح الى قدميه نهض ليقوم عريانا فنفخ وألبس ثوبا ولباسا وتاجا وعمامة ولما نفخت فيه الروح كان نور النبى فى ظهره فصارت الملائكة خلفه صفوفا متعجبين من ذلك النور فسأل الله ان يجعله فى مقدمه لتستقبله الملائكة فجعله فى جبهته فسأل الله أن يجعله فى محل يراه فكان فى سبابته فقال رب هل بقى

يشبه التراب واستشكل بما ورد من براعة جماله وان يوسف صلى الله عليه وسلم كان على الثلث من جماله وقد يجاب بان الجمال لا ينافى السمرة لانها بين البياض والحمرة قيل اشتقاقه مما ذكر يؤيد القول بانه عربى وبه صرح الجواليقى وغيره ورد بان توافق اللغتين غير منكر وبانه لا دليل على ان الاشتقاق من خواص كلام العرب وأجيب بان الاصل عدم التوافق وبان الوجه ان الاشتقاق خاص بكلام العرب فقد اطبقوا على ان التفرقة بين اللفظ العربى والعجمى بصحة الاشتقاق وصح خبر ان آدم كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه كان يتكلم بالسريانى (الاسماء) مبتدأ مؤخر جمع اسم وهو هنا مادل على معنى فيشمل الفعل والحرف أيضا واحتاج الناظم الى هذا التفصيل مع العلم به مما قبله لان آدم ميزه الله تعالى على الملائكة بالعلوم التى علمها له وكانت سببا لامرهم بالسجود والخضوع له بعد استعلائهم عليه بذمه ومدحهم انفسهم بقولهم أتجعل فيها من يفسد الخ فربما يتوهم ان هذه المرتبة الباهرة لم تحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ قد يوجد فى المفضول ما ليس فى الفاضل فرد ذلك التوهم ببيان ان آدم عليه الصلاة والسلام لم يحصل له من العلوم الا مجرد العلم باسمائها وان الحاصل لنبينا صلى الله عليه وسلم هو العلم بحقائقها ومسمياتها ولا ريب ان العلم بهذا أعلى واجل من العلم بمجرد اسمائها لانها انما يؤتى بها لتبيين المسميات فهى المقصودة بالذات وتلك بالوسيلة وشتان ما بينهما ونظير ذلك ان المقصود من خلق آدم صلى الله عليه وسلم انما هو خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه فهو المقصود بطريق الذات وآدم بطريق الوسيلة ومن ثم قال بعض المحققين انما سجد الملائكة لاجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذى فى جبينه ثم ما سلكه الناظم من ان آدم انما علم أى بأحد الطرق السابقة آنفا الاسماء فقط أى الالفاظ الموضوعة بازاء الاعيان والمعانى هو الوارد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعليه فقيل علم الاسماء الموضوعة بكل لغة وعلمها أولاده فلما افترقوا فى البلاد وكثروا اقتصر كل قوم على لغة وهذا يقوى ما هو الاصح فى الاصول ان اللغات كلها توقيفية وقيل انما علم لغة واحدة لان الحاجة لم تدع الا اليها واما بقية اللغات فبالوضع ويقابل ما سلكه الناظم قولان احدهما انه انما علم مدلولاتها الا ان المزية فى العلم انما تحصل بمعرفة مقاصد المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة ان اسماءها كذا وكذا قال بعض المحققين وهذا وان قرب من المعنى فهو بعيد من اللفظ أى لان قوله باسماء هؤلاء وما بعده ظاهر أو صريح فى الاسماء فقط ومعنى ثم عرضهم أى الاعيان لانها التى تعرض دون الاسماء انها ابرزت اليهم ليخبروا باسمائها ولا تأييد فيه لكون العلم بالمسميات خلافا لمن زعمه ثانيهما وهو الذى سلكه صاحب الكشاف انه علم الامرين معا جمعا بين مقتضى اللفظ والمعنى

* ولما ذكر شرف ذاته وترقيه صلى الله عليه وسلم بما بهر العقول انتقل الى ذكر نسبه كذلك فقال مستأنفا (لم تزل) حال كونك (فى ضمائر الكون) أى الوجود وضمائره

= منه شئ فى ظهرى فقال نعم نور اخصاء اصحابه فقال يارب اجعله فى بقية ابنى فكان نور الاربعة فى أصابعه الاربع (قوله انما سجد الملائكة الخ) قال عمر ابن عبد العزيز لما امرت الملائكة بالسجود لآدم كان اول من سجد منهم اسرافيل فجازاه أن كتب القرآن فى جبهته انتهى من البداية لابن كثير (قوله فبالوضع) اى من البشر رضى الله تعالى اللغات

مستوراته الخفية من الاصلاب والارحام (تختار) أي تصطفى (لك الامهات) جمع أم وهي الوالدة وان علت واصلها امهة بجمعه على أمهات وقيل أمهات للآدميات وامات لغيرهن (والآباء) جمع أب واصله ابو بالتحريك حذفت واوه تخفيفا أي كما طابت ذاتك عنا وتيته من الكمال الاعلى كذلك طاب نسبك فلم يكن في أمهاتك من لدن حواء الى امك آمنة ولا في آبائك من لدن آدم الى ابيك عبد الله الا من هو مصطفى مختار وشاهد ذلك حديث البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وحديث الترمذي بسند حسن ان الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا أي روحا وذاتا وخيرهم بيتا أي اصلا وحديث الطبراني ان الله اختار الخلق فاختار منهم بني آدم ثم اختار من بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختارني من العرب فلم أزل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي أحبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم * واعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام ولد من حواء أربعين ولدا في عشرين بطنا الا شيثا وصيه فانه ولد منفردا كرامة لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله ثم لما توفي وصى بنيه بوصية أبيه له أن لا يضع هذا النور الذي كان بجبهة آدم ثم انتقل الى شيث الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها في القرون الى أن وصل ذلك النور الى جبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد في الاحاديث كحديث في سنن البيهقي ما ولدني من سفاح الجاهلية شئ ما ولدني الا نكاح الاسلام وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت المرأة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم مائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيأ مما كان في أمر الجاهلية * والطبراني وابو نعيم وابن عساكر خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني ابي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شئ * وابو نعيم لم يلتق ابواي قط على سفاح ولم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما * وابن مردويه قرأ صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم أي بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح * (تنبيه) * لك ان تأخذ من كلام الناظم الذي علمت ان الاحاديث مصرحة به لفظا في اكثره ومعنى في كله ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم غير الانبياء وامهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال في حقه انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في آية

(قوله من خير قرون) قال الهروي في غريبه القرن كل طبقة مقترنين في وقت ومنه قيل لاهل كل مدة بعث فيها نبي قلت السنون أو كثرت قرن ومنه الحديث خيركم قرني يعني اصحابي ثم الذين يلونهم يعني التابعين باحسان واشتقاقه من الاقتران وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون وقيل القرن مائة سنة ويدل على ذلك ما روي في الحديث انه مسح رأس غلام وقال عش قرنا فعاش مائة سنة (قوله أربعين ولدا) مقتضى قوله الا شيثا ان يقول تسعة وثلاثين ويزيد بعد قوله بطنا كل بطن اثنين الا الخ تأمل (قوله الا شيثا) قال النووي الفصيح صرفه ويجوز تركه وكذا كل اعجمي ثلاثي ساكن الوسط انتهى قال السيد النسابة في شرح منظومة ابن العماد ودفن شيث في غار أبي قبيس مع ابيه آدم عليهما الصلاة والسلام (قوله وسفاحهم) قال ابن الاثير في النهاية مأخوذ من سفحت الماء اذا صببته ودم مسفوح أي مراق (قوله مائة أم) كذا في نسخة المؤلف وفي بعض النسخ خمسمائة قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب وقدمت الجواب عن استشكاله بان أمهاته لا تبلغ ذلك بان مراده الجدات وجدات الجدات من قبل الابوين انتهى وقال التلمساني في شرح الشفاء هذا العدد والله اعلم يرجع الى امه عليه الصلاة والسلام وام أبيه وام كل اصل من الطرفين من جهة الآباء والامهات انتهى

(قوله نسبا) قال العزيزي يعني قرابة النسب وصهرا النكاح انتهى تلمساني على الشفاء

انما المشركون نجس وقد صرحت الاحاديث السابقة بانهم مختار ون وان الآباء كرام والامهات طاهرات وايضا فهم الى اسمعيل كانوا من اهل الفترة وهم فى حكم المسلمين بنص الآية الآتية وكذا من بين كل رسولين وايضا قال تعالى وتقلبك فى الساجدين على أحد التفاسير فيه ان المراد تنقل نوره من ساجد الى ساجد وحينئذ فهذا صريح فى ان ابوى النبى صلى الله عليه وسلم آمنة وعبد الله من اهل الجنة لانهما اقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل فى حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه أن الله تعالى احياهما فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم فقول ابن دحية يرده القرآن والاجماع ليس فى محله لان ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قرآن ولا اجماع وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله فى غير الخصوصية والكرامة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى على رضى الله تعالى عنه العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم فكذا هنا وطعن بعضهم فى صحة هذا بما لا يجدى أيضا وخبر انه تعالى لم يأذن لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الاستغفار لامه اما كان قبل احيائها وايمانها به أو ان المصلحة اقتضت تاخر الاستغفار لها عن ذلك الوقت فلم يؤذن له فيه حينئذ * فان قلت اذا قررتم انهما من اهل الفترة وانهم لا يعذبون فما فائدة الاحياء قلت فائدته اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية أمرهم انهم الحقوا بالمسلمين فى مجرد السلامة من العقاب واما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فاتحفا بزيادة الايمان زيادة فى شرف كمالهما لحصول تلك المراتب لهما وفى هذا مزيد ذكرته فى الفتاوى ولا يرد على الناظم آزر فانه كافر مع ان الله تعالى ذكر فى كتابه العزيز انه ابو ابراهيم صلى الله عليه وسلم وذلك لان اهل الكتابين اجمعوا على انه لم يكن اباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمى العم ابا بل فى القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تاويله بهذا جمعا بين الاحاديث واما من اخذ بظاهره كالبيضاوى وغيره فقد تساهل واستروح وحديث مسلم قال رجل يا رسول الله اين ابى قال فى النار فلما قفا دعاه قال ان ابى واباك فى النار يتعين تاويله وأظهر تاويل له عندى انه اراد بابيه عمه ابا طالب لما تقرر ان العرب تسمى العم ابا وقرينة المجاز فيه الآية الآتية الشاهدة بخلافه على اصح محاملها عند اهل السنة وان عمه الذى كفله بعد جده عبد المطلب او امه انما قصد بذلك ان يطيب خاطر ذلك الرجل خشية ان يرتد للوقوع فى عمه اولأن اباه فى النار بدليل انه انما قاله له بعد ان ولى او كان ذلك قبل ان ينزل عليه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اطفال المشركين فقال هم من آبائهم ثم سئل عنهم فذكر انهم فى الجنة واما قول النووى رحمه الله تعالى فى حديث مسلم ان من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهم فى النار وليس فى هذا

مؤاخذة

(قوله فى الاستغفار لامه) ما وجه المنع من الاستغفار قبل ذلك مع الحكم عليهم انهم فى حكم المسلمين وانهم غير معذبين انتهى طبلاوى واعل وجه المنع انه لم ينزل عليه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فكان قبل علمه بان أهل الفترة غير معذبين كما يأتى الجواب بذلك فى الشارح عن نظير ذلك (قوله أو انه انما قصد الخ) ان كان مراده بهذا ان المراد ابو النبى حقيقة فغير ظاهر لان مجرد مراعاة تطييب خاطره خشية ما ذكر مع علمه بانه ناج من النار لا يجوز ذلك فكان الظاهر ان يجعل ذلك عذر الارتكاب ذلك المحوز من رسول الله وقصده بذلك الخ تأمل (قوله قبل ان ينزل الخ) أى وقبل احيائهما والايمان به (قوله من آبائهم) فى نسخة مع آبائهم

مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء قد بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره عليهم الصلاة والسلام انتهى فيعلم بجدا الاتفاق على ان ابراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب ورسالة اسمعيل اليهم انتهت بموته اذ لم يعلم لغير نبينا صلى الله عليه وسلم عموم بعثة بعد الموت وقد يؤول كلامه بحمله على عباد الاوثان الذين ورد فيهم انهم في النار وبهذا يرد كلام الفخر الرازي القريب من كلام النووي ثم رأيت الابي شارح مسلم بالغ في الرد على النووي بان كلامه متناف لحكمه عليهم بانهم اهل فترة وبأن الدعوة بلغتهم ومن بلغتهم الدعوة ليسوا اهل فترة لانهم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثاني ثم قال ولما دلت القواطع على أن لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا ان اهل الفترة غير معذبين انتهى وهو موافق لما ذكرته وما احسن قول بعض المتوقفين في هذه المسئلة الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لخبر الطبراني لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات انتهى واما الذين صح تعذيبهم مع كونهم من اهل الفترة فلا يردون نقضا على ما عليه الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء من ان اهل الفترة لا يعذبون وسبب ذلك انا عهدنا في الغلام الذي قتله الخضر انه حكم بكفره مع صباه لامر يعلمه الله تعالى وحده فكذا هؤلاء يحكم بكفرهم بخصوصهم وان لم تبلغهم الدعوة لامر يعلمه الله تعالى ورسوله فلا يرد هؤلاء نقضا على ما استفيد من الآية ومشى عليه اولئك الائمة ان اهل الفترة لا يعذبون وهذا الذي ذكرته في الجواب اولى من الجواب بان احاديثهم آخبار آحاد فلا تعارض القاطع بان اهل الفترة لا يعذبون او بان التعذيب المذكور في الاحاديث مقصور على من بدل او غير من اهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع وكأن قائل هذا ممن يرى وجوب الايمان بالعقل والذي عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب توحيد ولا غيره الا بعد ارسال الرسل اليهم ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل صلى الله عليه وسلم وان اسمعيل انتهت رسالته بموته عليه الصلاة والسلام فلا فرق بين من غير او بدل وغيره ماعدا من صح تعذيبه فيقتصر ذلك عليه لانه لا قياس في ذلك وقول ابي حيان ان الرافضة هم القائلون ان اباء النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنون مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين فلك رده بان ابا حيان انما يرجع اليه في علم النحو وما يتعلق به واما المسائل الاصولية فهو عنها بمعزل كيف والاشاعرة ومن ذكر معهم فيما مر آنفا على انهم مؤمنون ونسبة ذلك للرافضة وحدهم مع ان هؤلاء الذين هم ائمة اهل السنة قائلون به قصور واى قصور وتساهل واى تساهل (ما مضت فترة) وهي ما بين موت الرسول وبعثة الرسول الذي يليه كما بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا في قدرها والمشهور انه ستمائة سنة اى زمن خال (من الرسل) جمع رسول ومر تعريفه اول الكتاب اى ما مضى زمن خال من الرسل نبي فيه ذكرك (الا) جددته و (بشرت) من البشارة وهي الخبر السار (قومها) ليس فيه اضمار قبل الذكر لان مرجع

(قوله بان كلامه متناف) زعم التنافي ممنوع بل وهم فان مراد النووي بقوله فان هؤلاء كانت بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره من الانبياء لا ينافي فرض الكلام في الفترة فانه ليس المراد دعوة ابراهيم وغيره اليهم بل لغيرهم فهم اهل فترة اذ لم يدعهم رسول فلا يؤاخذون على المعاصي لكنهم يعذبون على عبادة الاوثان لانهم بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره بالمنع منها وان كانت الدعوة لغيرهم لان المنع منها مما اتفقت الانبياء عليه ثبت في حق كل أحد وان لم يكن مدعوا منهم ومنشأ الوهم انه فهم ان المراد دعوة ابراهيم وغيره اليهم وهو غلط كما تقرر انتهى سم (قوله وقول ابي حيان) أى في البحر (قوله بأن ابا حيان الخ) هذا لا يحوج الى الوقيعة في أبي حيان فان نسبته ذلك للرافضة غير ضار وكأنه ترك النقل عن غيرهم ممن ذكر لمزيد شهرته لمفص القرآن وكيف يقال مثل ذلك في أبي حيان مع تفسيره القرآن التفاسير العديدة ومعلوم ان التفسير محتاج لعلوم كثيرة من اصول وغيرها فكيف يكون عن الاصول بمعزل (قوله آنفا) بمد الهمزة والنصب على الظرفية أي اول وقت يقرب مني وهو الآن انتهى قسطلاني وقيل منصوب على الحال (قوله ما مضت فترة) لو قال ما مضى مرسل من الرسل لكان احسن ليشمل آدم صلى الله عليه وسلم فانه ليس قبله نبي انتهى دنوشري

الضمير الفاعل وهو متقدم الرتبة وان تأخر لفظه على انه يحتمل على بعد ان الضمير للفترة اى
الابشرت الاقوام الكائنين فى تلك الفترة (بك) اى بقرب بعثتك وباهر رسالتك وعظمتك
(الانبياء) اى الرسل الذين اتوا بعد تلك الفترة وهذا استدلال واضح على كمال شرفه
صلى الله عليه وسلم ورفعته على سائر الرسل وانه نبى الانبياء المقدم عليهم التابعون له هم
واممهم وشاهد ذلك قول الله عن عيسى صلى الله عليه وسلم ومبشرا برسول يأتى من بعدى
اسمه احمد ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابى ابراهيم أى فى آية ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم وبشارة عيسى وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين اى واممهم وحذف
استغناء بذكر المتبوعين عن ذكر الاتباع واللام المفتوحة موطئة للقسم الذى تضمنه اخذ
الميثاق ولتؤمنن به سد مسد جوابه وجواب ما الشرطية ومكسورة اى لاجل ما آتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم أى وهو محمد صلى الله عليه وسلم لتؤمنن
به ولتنصرنه الآية * وقد اختلف المفسرون فيها والذى قاله على وابن عباس رضى الله
عنهم وتبعهم الحسن وطاوس وقتادة رحمهم الله انه تعالى اخذ على كل نبى بعثه من لدن
آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم ان من أدرك محمدا صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به
ولينصرنه ويلزم من هذا ان الانبياء كانوا يأخذون الميثاق من اممهم بأنهم ان ادركوا
محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به ونصروه ودعوى أن هذا هو معنى الآية دون الاول
مردودة ولا ينافى الاول العلم بان الانبياء لا يدركون حياته صلى الله عليه وسلم ولا الحكم
فى آخر الآية بالفسق على من تولى عن ذلك لان التعليق فى مثل ذلك لا يستلزم الوقوع
الاترى الى قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا
منه باليمين والمقصود انه لو فرض انه بعث وهم أحياء لزمهم ذلك كما ان القصد من هاتين
الآيتين الفرض والتقدير ايضا ومن ثم قال الامام التقى السبكى دلت الآية على انهم
لو أدركوا زمنه صلى الله عليه وسلم كان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع
الخلق الانبياء واممهم من لدن آدم عليه السلام الى قيام الساعة وحينئذ يدخلون فى قوله
وارسلناك للناس كافة وحكمة أخذ هذا الميثاق على الانبياء اعلامهم وأممهم بانه المقدم
عليهم وانه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك فى الدنيا بكونه أمهم ليلة الاسراء ويظهر فى
الآخرة بانهم كلهم تحت لوائه بل وفى آخر الزمان بكون عيسى ينزل حاكما بشريعة محمد
صلى الله عليه وسلم دون شريعة نفسه * ثم بين الناظم بعض فوائد تلك البشارات فى تلك
الفترات فقال (تتباهى) اى تتفاخر (بك) اى بوجودك (العصور) اى الازمنة الطويلة
من لدن آدم الى يوم القيامة ومابعده فكل عصر يفتخر على العصر الذى قبله لوجودك
فيه بكمال اعلى مما قبله ولو فى ضمن آبائك لكن اعظمها افتخارا عصر بروزك الى هذا
العالم ثم عصر نشأتك ثم عصر رضاعك ثم شق بطنك فتعبدك بحراء وغيره ثم عصر نبوتك
ثم عصر رسالتك ثم عصر دعائك الخلق الى دين الله تعالى ثم عصر اقبالهم عليك ثم عصر

(قوله بقرب بعثتك) لو حذف
القرب لكان احسن فلفظ القرب
فيه بعد انتهى دنوشرى (قوله
التابعون) نعت مقطوع عن
النعمة والاقال التابعين
(قوله وجواب ما الشرطية)
أى التى هى مفعول آتيتكم ومن
كتاب تفسير لما وآتيتكم ماض
أريد به المستقبل والآية مما
اجتمع فيه القسم والشرط
فالجواب للسابق منهما وهو القسم
وجواب الشرط محذوف لدلالة
جواب القسم عليه فقول
الشارح سد مسد جوابه وجواب
القسم فيه نظر ولعله أراد بيان
المعنى لا بيان الاعراب والا
فالشرط يقتضى جوابا يعمل فيه
جزما والقسم ليس كذلك ومحال
ان يكون الشئ الواحد له موضع من
الاعراب ولا موضع له (قوله لاجل
ما آتيتكم) أى الذى آتيتكموه
فالعائد محذوف وكذا من قوله
ثم جاءكم أى به أى بنظيره (قوله
هذا) اى اخذ الميثاق على كل نبى
دون الامم والاول اخذه على
الانبياء والامم (قوله أى تتفاخر)
يعنى تمدح بذكر هذا الامر الجليل
الذى لا يدانيه جليل

(قوله ليغان) قال في المختار غين على كذا غطي عليه ومنه الحديث انه ليغان على قلبي (قوله هذا غين انوار الخ) نقل الشيخ زروق في بعض شروحه على الحكم العطائية ان ابا الحسن الشاذلي اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال انك قلت انه ليغان على قلبي قال نعم قال ما هذا الغين فقال له صلى الله عليه وسلم هو غين انوار لا غين اغيار يا مبارك فعاد مباركا واجابه

معارجك ثم عصر هجرتك ثم عصر جهادك ثم عصر سرايالك و بعوثك وفتوحك ثم عصر دخول الناس في دين الله تعالى افواجا ثم عصر حجك ثم عصر أتباعك على تفاوتهم الى يوم القيامة كما دل عليه الحديث المشهور ولا تزال طائفة من امتي فمزاياه تتزايد في كل عصر من أعصار حياته صلى الله عليه وسلم على ما قبله وبحسب ذلك يكون افتخار ذلك العصر على غيره وكذلك عصر اتباعه بتفاوت مزاياهم المستمدة من مزاياه فيفتخر كل عصر على غيره بحسب ذلك أيضا وأعمالهم المتضاعفة له تضاعفا يفوق الحصر لان كل عامل يتضاعف له صلى الله عليه وسلم بحسب عمله وكذلك كل واسطة بينه وبينه لانه الدال له كل ومن دل على خير له مثل اجر فاعله بكل حال يتضاعف له بحسب تضاعف من بعده و يتضاعف للنبي صلى الله عليه وسلم بحسب تضاعف الجميع وهذا شيء يقصر عن ادراك كثرته العقل ثم عصر مقامه المحمود وشفاعته العظمى في فصل القضاء ثم عصر بقية شفاعاته ثم عصر حوضه ثم عصر وسيلته ونفائسه التي يعطاها في الجنة مما لا تدرك غايته ولا تحد نهايته فكل هذه العصور تفتخر وتسمو به بحسب ما يتم فيها من كماله لان الازمنة والامكنة تشرف بشرف من يكون فيها وما يكون فيها من المزايا والكمالات ولذا قال بعضهم ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر وهو صحيح لولا النص على خلافه على ان ليلة القدر من خصوصياته فتفضلها الغير لاجله أيضا (وتسمو) اى تعلو وترتفع من سموت وسميت كعلوت وعليت (بك) أى بتلبسها بك مرتبة (عليا) تأنيث الاعلى (بعدها) في الزمان والعلو مرتبة أخرى (عليا) أى أعلى منها أى انك في كل عصر من العصور المذكورة مرتبة أعلى مما قبلها وأعلى منها ما بعدها وهكذا الى ما لا نهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما ذكر قوله تعالى وقل رب زدني علما ولا شك ان علومه ومعارفه متزايدة متفاوتة الى ما لا نهاية له وقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله قال العارف القطب أبو الحسن الشاذلي هذا غين أنوار لا غين أغيار أى لانه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي فكان كلما توالت أنوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة أعلى مما هو فيها ورأى ان ما قبلها دونها فيستغفر الله تواضعا طلبا لتزايد كماله وفي قول الناظم وتسمو الخ من المدح ما لا يخفى عظيم وقعه لانه جعل تلك المراتب هي التي تسمو وترتفع به ولم يجر على ما هو المتبادر أنه الذي يسمو ويرتفع بها والحق انه تعالى خلقه في عالم الامر على أكمل كمال لم يمكن ان يوجد لمخلوق ثم ابرزه في عالم الخلق متدرجا في تلك المراتب لتتشرف به لا ليتشرف هو بها مع علمت انه كامل قبلها فتأمل ذلك فانه دقيق غفل عنه الشارح رحمه الله

بهذا الجواب (قوله غفل عنه) ما وجه نسبة الشارح للغفلة مع ان كلامه مفيد له ومقرر لما افاده المتن ومنه قوله لكل عصر من العصور به افتخار لوجوده فيه ولو كان في عالم الاصلاب والارحام واعظمها افتخار اعصر ميلاده الى قوله ولا ينبغي ان يتوهم من هذا انقطاع تفاخر العصور بوفاته صلى الله عليه وسلم بل ذلك باق الى يوم القيامة نظرا الى ازمنة استقامة شريعته وحسن العمل على سنته فان ذلك باق الى يوم القيامة لقوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وايضا فان ثواب كل عامل على عمله من امته لاحق به صلى الله عليه وسلم اخذا من قوله من استن بسنة حسنة فله أجرها وأجر العامل بها الى يوم القيامة فهو في كل عصر متزايد الكمال متميز الشرف والجلال وله كمال ليس فوقه كمال الا جلال الله جل جلاله ولا ينقطع أيضا بقيام الساعة بل يفتخر به ذلك اليوم ايضا لوجود علو مرتبته فيه من المقام المحمود والشفاعة العظمى ورجوع الناس كلهم

الى شفاعته صلى الله عليه وسلم وفي الجنة لما يعطاه من الوسيلة والفضيلة وما لا عين رأت ولا اذن سمعت صلى الله عليه وسلم ولا منافاة فيه لما قرره الشارح بل هو موف بجميع ما قرره في معنى البيت فتأمله بانصاف واما التصريح بقوله وفي قول الناظم الخ فهو مستغنى عنه لظهوره لا سيما في المقام وتقرير الكلام

تعالى (وبدا) اى ظهر (للوجود) اى لهذا العالم (منك كريم) اى سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا احد انواع التجريد الذى هو من ادق انواع البديع وهو اعنى التجريد ان ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مماثل لذلك الامر فى تلك الصفة مبالغة لكمالها فى ذلك الامر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة وهو انواع منها مايكون بمن التجريدية كما هنا نحو قولهم لى من فلان صديق حميم اى قريب يهتم لامرى اى بلغ فلان من الصداقة حدا يصح معه ان يستخلص منه فلان آخر مثله فى الصداقة فهو صلى الله عليه وسلم لكماله فى صفة الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة فى صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذى ظاهر وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجد (من) اصل اب وام (كريم) أى سالم من نقص الجاهلية فالكريم هنا وفيما بعده غيره ثم كما علم مما مر ويأتى وهذا ظاهر فى اسلام ابويه صلى الله عليه وسلم ومر ما فى ذلك (آباؤه) اى جميعهم كما افادته الاضافة من لدن آدم اليه صلى الله عليه وسلم واراد بالآباء مايشمل الامهات لما قدمه ان النوعين مختاران والاختيار والكرم ما آلهما واحد (كرماء) اى سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم * (تنبيه) * قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز عدنان وفى مسند الفردوس عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا لكن قال البيهقى الاصح ان هذا من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله قال كذب النسابون اى لانهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين اسمعيل وعدنان ثلاثون ابا لا يعرفون ومن ثم انكر مالك رضى الله تعالى عنه على من يرفع نسبه الى آدم وقال من اخبره بهذا اى ان ذلك من كلام المؤرخين الذى لادليل عليه ولا ثقة به مع ما فيه من التخليط والتغيير وقلة الفائدة هذا (نسب) عظيم بل لا اظهر ولا أجل منه فى الانساب وهو اسم لعمود القرابة الذى يجمع متفرقها (تحسب) ايها المخاطب

---

(قوله منها مايكون الخ) قال الدلجى ومنها مايكون بباء تجريدية فى المنتزع منه كما فى لئن سألت فلانا لتسألن به البحر بالغ فى وصفه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا فيها ومايكون بباء فى المنتزع كما فى قوله وشوهاء تعدو بى الى صارخ الوغا * بمستلئم أى تعدو بى ومعى من نفسى لابس لأمة اى درع لكمال استعدادى للحرب بالغ فى وصف نفسه باستعداده للحرب حتى انتزع منها مستعدا مثله لابس لأمة قال فى المختار وفرس شوهاء صفة محمودة فيها قيل المراد به سعة اشداقها وقوله صارخ الوغا أى المعان بالصوت للاستغاثة فى الوغا اى الحرب ومايكون بفى فى المنتزع منه كما فى قوله تعالى لهم فيها أى فى جهنم دار الخلد بالغ لكمال شدتها فيها اتم وبالامر ها حتى انتزع منها دارا وجعلها فيها معدة للكفار ومايكون بلا حرف كما فى قوله

فلئن بقيت لارحلن بغزوة
تحوى الغنائم أو يموت كريم

أى الا ان يموت كريم بالغ فى وصف نفسه بالكرم حتى انتزع منها كريما (قوله من لدن آدم اليه صلى الله عليه وسلم) كان الظاهر ان يزيد ومن لدن حواء الى آمنة لان المراد بالآباء مايشمل الامهات كما صرح به على الاثر ثم يعبر بفاء التفريع بدل الواو فى قوله وأراد (قوله تحسب) قال فى المختار وحسبته صالحا بالكسر احسبه بالفتح والكسر محسبة ومحسبة بفتح السين وكسرها وحسبانا بالكسر ظننته اه وقوله والكسر فيه ان فعل بكسر العين لايأتى مضارعه على يفعل بكسرها قياسا فيكون كسرها فى المضارع شاذا والفتح هو القياس كما يؤخذ من شرح الاشمونى على الخلاصة فى باب ظن (قوله تحسب العلا بحلاه الى آخر البيت) حاصله ان المراد بالحلى نفس الزينة القائمة بالاشخاص فكأنه اى قال تحسب بسبب المحاسن القائمة بهم ان العلا قلدتها الخ والعلا هى المراتب الشريفة ويكون الشارح ناظرا لبيان الحلى فى الاصل لا للمراد بها هنا ويصح ان يراد بالحلى الصفات المحسوسة وبالعلا المراتب الناشئة عنها فيكون كلام الشارح ظاهرا وقوله قلدتها الخ فيه ثلاث استعارات كلها تصريحية الاولى فى النجوم حيث شبه افراد النسب من حيث ارتفاع كل واحد منها فى زمانه حتى صار كأنه النجم فى علو المرتبة والاضاءة والاهتداء به بنجوم الجوزاء واستعار لفظ النجوم لتلك الافراد الثابتة =

= في الجوزاء حيث شبه مجموع تلك الافراد المسمى بالنسب فان النسب اسم لمجموع افراد الاصول بالجوزاء من حيث التناسب بين أفراد كل والشهرة الى آخر ما تقدم واستعار لفظ الجوزاء لهذا النسب الثالثة في قوله قلدتها حيث شبه اعطاء النسب افراده للمراتب العلية لتتزين تلك المراتب بالافراد على خلاف المتعارف بالباس القلادة لمن يتزين بها واستعار الباس القلادة لاعطاء الافراد واشتق منها قلدتها بمعنى أعطتها فتكون استعارة تصريحية تبعية والمعنى تحسب أيها المتأمل فيه بسبب الزينة القائمة به ان مراتبه العالية القائمة بأفراده قد تقلدت بتلك الافراد لتتزين بها فيكون في هذا البيت قد جرى على اسلوب ما سبق في قوله وتسمو بك علياء بعدها علياء حيث جعل هناك ٣١ المرتبة العالية هي التي تعلو به على خلاف المعتاد من ان الشخص يعلو ويرتقي بالرتب العالية فيكون قد جعل هنا مراتب النسب هي التي تتزين وتتقلد بالافراد فأفراد النسب تكسب المراتب العالية الزينة والشرف فكأنه قال تحسب العلا تقلدت بأفراد النسب لكن على هذا في الكلام اظهار في مقام الاضمار حيث قال قلدتها نجومها الجوزاء فان الجوزاء المراد بها ههنا النسب وهو مذكور سابقا وارتكبه للتوصل الى تشبيهه بالجوزاء وادعاء انه هي (قوله جمع عليا) بضم العين ككبرى وكبر وهي كل فعلة عالية توجب لصاحبها الشرف والرفعة اه (قوله نطاق) قال في القاموس المنطقة ككنسة ما ينتطق به وكمنبر وكتاب شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة والاسفل ينجر على الارض ليس لها حجزة ولا نيفق ولا ساقان وانتطقت لبستها والرجل شد وسطه بمنطقة كتنطق اه وقال في نفق نيفق السراويل بالفتح أي فتح النون الموضع المتسع منه فيكسر النون من لحن العامة (قوله وان مجموع هذا النسب الخ) وفي الدلجي شبه مجموع النسب لشرفه وسموه وتحليه بمجموع نطاقها المشبه بالقلادة استعارة مكنية خيل لها بقوله قلدتها فكان نسبه صلى الله عليه وسلم قلادة في عنق العلا المشبهة على طريقة الاستعارة المكنية بذوات قلائد مقلدة بها (قوله ولما قرر) أي بطريق الاشارة من قوله قلد اذ التقليد انما يكون للعقد وتقدم ان المراد بالنجوم نسبه الشريف واما بطريق التصريح فما يقرر من قوله عقد (قوله أي صار حبيبا) اي محبوبا فهو كظرف وقوله لاحبب بالفتح أي لانه بمعنى صار محبا وليس بمراد هنا

اى تظن (العلا) جمع عليا تأنيث اعلى كامر (بحلاه) بضم اوله وكسره وهو افصح جمع حلية بكسر اوله أي بسبب حلى ذلك النسب (قلدتها) أي العلا في محل مفعول تحسب الثاني والاول العلا (نجومها) اى بنجومها (الجوزاء) اسم لبرج في السماء كما في القاموس وعليه فنجومه هي الآتية وتطلق عرفا على النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهي تشبه المرأة فلذا نسب التقليد اليها وحينئذ لابد ان ينسب الى الشيء من حيث هو مجموع انه قلد غيره كلا من تلك الافراد التي اشتمل عليها او يقال ان المراد بنجومها هنا ما حوالها من النجوم التي تسمى نطاق الجوزاء وقبة الجوزاء كما قال القائل

لولم تكن قبة الجوزاء تخدمه * لما رأيت عليها عقد منتطق

أي من كمال هذا النسب وشرفه ان من تأمل فيه حسب بسبب ما تحلى به من الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزاء بنجومها اى جعلت نجومها قلادة لها فعلم ان كلا منه يشهد ان كل واحد من اولئك الآباء الكرام قد ارتفع في زمانه حتى صار كأنه النجم في الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به في ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وان مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذى تقلده عنق تلك المراتب العلية فعلم من هذا مع ما قدمته في مبحث الاستعارة من انواعها ما في هذا البيت من المبالغة البالغة الغاية في البلاغة كاستعارة نجوم الجوزاء المتتابعة لتتابع ذلك النسب في الشرف وعلو المراتب العلية ولما قرر ان مجموع ذلك النسب كالعقد الثمين الذى تقلدته تلك المراتب العلية اخذ في مدح ذلك فقال (حبذا) هي كنعم عملا ومعنى مع زيادتها عليها باشعارها بأن الممدوح بها محبوب للقلب واصله حبب بالضم اى صار حبيبا لا حبب بالفتح ثم ادغم فصار حب والاصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد والتذكير وان كان المخصوص بخلاف ذلك لانه كالمثل والامثال لا تغير ولان فيه حذفا تقديره في نحو حبذا هند حبذا حسنها او حبذا زيد حبذا

امره وشأنه فالمقدر المشار اليه مفرد مذكر دائماً حذف واقيم المضاف اليه مقامه اولانه
على ارادة جنس شائع اقوال والاكثرون على الاول وقيل حبذا كله فعل وفاعله
المخصوص وقيل الكل اسم واحد واختاره ابن عصفور فهو مرفوع اتفاقاً هل هو
مبتدأ خبره المخصوص اوعكسه قولان وعلى ان ذا هو الفاعل والمخصوص مبتدأ الجملة
هي خبره والرابط ذا وقيل مبتدأ محذوف الخبر وقيل عكسه وكأنه قيل من المحبوب
فقيل زيد اى هو وقيل بدل من ذا وقيل عطف بيان له ولا يتقدم مخصوص حبذا عليها وان
جاز تقديمه بقلة على نعم لانها فرع عنها فلا تساويها فى تصرفاتها ويحذف بقلة ويكون قبل
المخصوص أو بعده نكرة منصوبة مطابقة نحو حبذا الصبر شيمة وحبذا رجلين الزيدان
ثم ان اشتق اعرب حالا والا فهو تمييز على خلاف منتشر فيه والناظم حذف هذا الدلالة
المقام عليه والتقدير حبذا كمالا وتدخل عليها الافتساوى بئس فى العمل والمعنى مع زيادة
ما تقدم ضده فى حبذا وهى غير متصرفة فلا مصدر لها ومن ثم عملت فيما عداه كالظرف
والتميز والحال وان توقف ابو حيان فى الاخيرين وتجرد من ذا فيضم اولها ويجوز بقاء
فتحه وجر فاعلها بالباء كحب بها وانما أطلت فى هذا لان كلام الشارح فيها غير موف بالمراد
مع انه لا يخلو كالنظم فى حذف ما مر من ايهام فتأمله (عقد) بكسر اوله وهو القلادة من
الجوهر (سودد) أى سيادة (وفخار) أى تمدح بالخصال الجليلة (انت فيه) أى ذلك العقد
وفى نسخ فيها نظرا الى المعنى لما تقرر ان العقد القلادة (اليتيمة) التى لا شبيه لها فى حسنها
(العصماء) من العصمة أى الحفظ او المنع لان من شأن هذه الدرة ان يبالغ فى حفظها ومنعها
عن ان تصل اليها يد الاغيار وجملة انت وما بعده صفة لعقد او حال منه لتخصصه
بالاضافة وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم ولنسبه أى حبذا نسبك الذى اذا
ذكر وعددت معه آباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر ثمينة لها السيادة والفخار
على جميع الجواهر وكنت انت اعظمها وانفسها واغلاها بحيث تكون انت واسطتها
لعديمة النظير والمخصوصة من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد لغيرها لتميزها ببلوغها من
صفات الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقول ويفوق الوصف وشاهد هذا ما مر من
الاحاديث الصحيحة الصريحة فى انه صلى الله عليه وسلم أفضل المخلوقين والخليقة الا كبر
عن رب العالمين ولما تم مدح كماله ونسبه أخذ فى مدح ذاته فقال (و) حبذا أيضا (محيا)
أى وجه (كالشمس منك) حال من محيا (مضىء) مبتدأ خبره كالشمس والجملة صفة
لمحيا أو حال منه لتخصصه بمنك وشاهد هذا حديث البخارى عن الربيع بنت مسعود
لو رأيته لقلت الشمس طالعة وحديث أحمد والترمذى والبيهقى وابن حبان عن ابى
هريرة رضى الله عنه ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس

(قوله شائع) انظر ما فائدته (قوله عقد سودد وفخار) قال الدلجى وعقد سودد وفخار تشبيه بليغ لاضافته الى ما يليه فاخرجهما
من سلك الاستعارة ولولاه لانتظما فيه ولذا أثبت فيه اليتيمة اللهم الا أن يكون واردا على تناسى التشبيه مع ذكر طرفيه
فيكون استعارة وان كانت
مبنية على طى ذكر المشبه اذ قد
يتناسى مع ذكرهما كما فى
قد زر أزراره على القمر
بادعاء ان المشبه نفس المشبه به
لا غيره مشبها به انتهى فقول الدلجى
تشبيه بليغ أى سودد وفخار
كالعقد والسودد بضم السين كما
فى المختار وقوله تشبيه بليغ الخ
اضافته لما ذكر لا تعين ذلك فلا
يحتاج لما تكلفه فى تقرير
الاستعارة بل هى جارية فى العقد
وما بعده تجريد (قوله انت فيه) قد
يقال لا تظهر الظرفية لان النسب
المعبر عنه بالعقد اسم لاصوله
عليه الصلاة والسلام فهو ليس
منه فكيف يظرف اللهم الا ان
يقال راعى كونه نورا فى الاصلاب
والارحام وظرفيته بهذا المعنى
ظاهرة فان روعى جسمه احتيج
لتكلفه جعل فى بمعنى من أى
انت اليتيمة العصماء حالة كونك
كائنا منه أى منفصلا منه (قوله
التى لا شبيه لها) فى القاموس
اليتيم الفرد وكل شئ يعز نظيره اه
ثم ان كان المراد بقوله الفرد أى
المنفرد عن النظير ساوى قول
الشارح لا شبيه لها وقوله فيما
يأتى العديمة النظير ويكون قوله
وكل شئ الخ مفيدا لمعنى آخر لليتيم
أى اثبات النظير لكنه عزيز تامل (قوله ومحيا) معطوف على عقد فهو معرب اعراب فتى وكالشمس صفة اولى له
ومضىء صفة ثانية فما تكلفه الشارح من الاعراب التابع فيه للجوجرى لا داعى له

تجرى

تجرى فى وجهه وحديث مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له قائل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وبين بذلك الرد على من شبهه بالسيف فى الطول وانه جمع صفة الشمس من الاشراق والاضاءة وصفة القمر من الحسن والملاحة وفى حديث على عند الترمذى والبيهقى لم يكن بالمطهم أى كعظم السمين الفاحش السمن ولا بالمكلثم أى المدور والوجه كان فى وجهه تدوير أى قليل مع سهولة خديه وهو أحلى ما يكون عند العرب وعلم مما تقرر أنهم لم يقصدوا بالتشبيه بالشمس والقمر الاماذكر لامطلقا فاندفع ما توهم من عيب التشبيه بهما أخذا من قول أبى نواس

تشبه الشمس والقمر المنير * اذا قلنا كانهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسى * وان البدر ينقصه المسير

ثم قول ابن أبى هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ربما يذوق التشبيه بالشمس من حيث ان القمر حينئذ يملأ نوره الارض أحوج ما كانت اليه ويؤنس كل من شاهده فهو يجمع النور من غير أذى ويتمكن الناس من مشاهدته بخلاف الشمس فانها تعشى البصر وتمنع من تمكن الرؤية اليها ولك أن تقول لا تفوقه لما علم مما قدمته ان وجه الشبه مراعى فيه الاشراق والاضاءة وحينئذ فالتشبيه بالشمس مع رعاية وجه الشبه أبلغ منه بالقمر قال تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وشتان ما بينهما (أسفرت) صفة أو حال أيضا أى انحسرت وانقضت (عنه) أى عن ذلك الضيا اواضاءت متجاوزة عنه (ليلة) عظيمة (غراء) أى بيضاء بظهور نوره فيها اوعقبها وهذا أولى من جعل ذلك لظهور القمر فيها بناء على انها الليلة ثانى عشر او لكونها من الغرر بناء على انها الليلة ثانى الشهر وغرته ثلاث ليال لان كلا من هذين لا مدح فيه له صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول من الغرة وهى بياض فى وجه الفرس فهو غرة فى وجه الدهر ثم أبدل منها قوله (ليلة المولد) بكسر اللام زمن الولادة وبفتحها مكانها وكلاهما هنا بعيد فالاحسن انه مصدر ميمى أى ليلة الولادة (الذى كان) أى دام واستمر على حد وكان الله غفورا رحيما (للدين) وهو لغة الجزاء واصطلاحا الشرع المبعوث به النبى الكريم وحد أيضا بانه وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود (سرور) أى فرح عظيم (بيومه) واليوم فى عرف الفلكيين ونحوهم من طلوع الشمس وفى عرف الشرع من طلوع الفجر وأضاف ذلك ليوم المولد دون ذاته مبالغة فى زيادة عظمته لان ذلك اذا وقع لظرف التابع له فكيف بذاته (وازدهاء) أى هذه الليلة الغراء هى ليلة ولادتك وأنت أشرف مولود

(قوله كان وجهه) أى أكان فهمزة الاستفهام مقدرة (قوله سهولة خديه) أى قلة لحمهما قال فى القاموس رجل سهل الوجه قليل لحمه ويقال اسيل الخدين ناعمهما مع طول قليل انتهى (قوله يملأ نوره  الارض) قد يقال الشمس يملأ نورها الارض فلا فرق ثم بانضمام المعطوف لذلك يحصل الفرق تأمل (قوله تعشى البصر) أى تضعفه كما فى المختار (قوله غراء) أى بظهوره فيها ان قلنا ولد ليلا او عقبها ان قلنا ولد نهارا وهو الاصح (قوله أو لكونها من الغرر) أى الذى هو جمع غرة بمعنى اول الشهر بقرينة ما بعده والا فالغرة بمعنى البياض الذى ذكره وجعله المراد هنا جمعها غرر أيضا تأمل (قوله وبفتحها مكانها) اسم الزمان والمكان من الولادة كلاهما على وزن مفعل بكسر العين لا غير فانظر كلام الشارح انتهى دنوشرى قال أبو الفضل فى شرحه المولد بالكسر زمن الولادة ومكانها انتهى (قوله وازدهاء) قال الفاضل الدلجى وأصل ازدهاء ازتهاء من الزهو أعنى التكبر والتفخر وقعت تاء الافتعال وهى من الحروف الرخوة بعد زاى شديدة فتنافرتا فابدلت دالا ثم أبقيت بلا ادغام ويجوز ادغامها بعد قلبها زايا أو الزاى دالا فى الاخرى وقد شبه الدين على طريقة الاستعارة المكنية بمن يتأتى له ان يسر ويفرح وخيل له بالسرور لوروده به صلى الله عليه وسلم

موارد الاظهار على الدين كله وانتطاقه الشرف وتوشحه وشاح الاستقامة الى يوم القيامة بشهادة لا تزال طائفة من أمتى الحديث وفى البيت مراعاة النظير ويسمى توفيقا وائتلافا وتلفيقا وهو جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد امرين مثل الشمس والقمر بحسبان والسرور والازدهاء هنا أو ثلاثة كقول البحترى يصف ابلا

= كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار أو أربعة كقوله للمهلب أنت أيها الوزير اسماعيلي الوعد شعيبي التوفيق يوسفي العفو محمدي الخلق أو اكثر  كقول ابن رشيق اصح واقوى ما سمعناه في الندى * من الخبر المأثور منذ قديم

فلاجل ذلك سر الدين وأهله اليوم الذي برزت فيه الى هذا الوجود على الوجه الاكمل وافتخر به على سائر الاديان والايام * (تنبيه) * أضاف الناظم كلا من اليوم والليلة الى المولد فاحتمل ان يكون من القائلين بانه ولد ليلا واستدلوا بما رواه ابن السكن من حديث عثمان بن العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله الثقفية أنها شهدت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شئ انظر اليه من البيت الا نور وانى لانظر الى النجوم تدنو حتى انى لاقول ليقعن على ورواه البيهقي ولم يذكر فيه الا النور وتدلى النجوم وبتصريح عائشة رضي الله عنها ايضا بذلك كما رواه الحاكم وان يكون من القائلين بأنه ولد نهارا وهو ما يصرح به قوله الآتي * يوم نالت بوضعه ابنة وهب * وهذا هو الاصح كما صرح به حديث مسلم وغيره لكن بعد الفجر كما في حديث وان كان فيه ضعف لان الضعيف في الفضائل والمناقب حجة اتفاقا فمن أطلق انه ولد ليلا أراد بالليل ما قبل طلوع الشمس أو أراد مجاز المجاورة وليس في رواية ان النجوم تدلت عند ولادته الآتية ما يدل على ان ذلك كان قبل الفجر لانها تكون بعد الفجر فيمكن تدليها حينئذ بل بعد طلوع الشمس خرقا للعادة للمبالغة في اكرامه صلى الله عليه وسلم * وعلى انه ولد ليلا قيل ليلة مولده أفضل من ليلة القدر واستدل قائله بوجوه كثيرة كلها مدخولة كما يعلمه الواقف عليها ان حقق ودقق وعلى انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا وصح به خبر مسلم ثم قيل انه في شهر غير معين والمشهور انه معين وهو صفر او ربيع الاول أو الآخر أو رجب أو رمضان أو يوم عاشوراء أقوال والاصح انه في شهر ربيع الاول وقيل ان اليوم فيه غير معين والاصح انه معين فقيل لليلتين منه وقيل لثمان واختاره أكثر أهل الحديث وغيرهم بل أجمع عليه أهل التاريخ وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه واعلم انه لم يكن في يوم الجمعة ولا في بعض الاشهر الحرم او رمضان لئلا يتوهم انه صلى الله عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول لتظهر مزيته به على الفاضل ونظير ذلك دفنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة دون مكة لانه صلى الله عليه وسلم لو دفن فيها لكان يفضل بها الها فانفرد صلى الله عليه وسلم بموضع مفضول عند أكثر العلماء ليتشرف به بل ليفوق به الفاضل عند كثير منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق الاستقلال لا التبعية اظهار المزيد كرامته على ربه واختلفوا في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون على انه عام الفيل بل حكى الاتفاق عليه والمشهور انه ولد بعده بخمسين يوما ووراء ذلك أقوال أخر خمسة وخمسون شهرا أربعون شهرا عشر سنين خمس عشرة سنة وأيد كونه بعده بانه ارهاص لنبوة هذا الذي ولد بمكة ومقدمة لظهوره صلى الله عليه وسلم وفي مكانها والصواب انه ولد في مكة قيل بالشعب وقيل بالردم والمشهور انه بالمسجد

أحاديث ترويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الامير تميم فناسب بين الصحة والقوة والسماع والخبر والاحاديث والرواية وبين السيل والحيا وكف تميم مع ما في الثاني من صحة الترتيب في العنعنة حيث جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع في سند الاحاديث فان السيول أصلها المطر واصل المطر البحر على ما قيل واصل البحر كف تميم ادعاء من الشاعر انتهى (قوله في الفضائل) قال الكمال بن ابي شريف فاذا ثبت لعمل فضل شرعا على الاطلاق كالصلاة والدعاء والذكر وورد حديث يتضمن فضل دعاء أو ذكر خاص أو صلاة خاصة وذلك الحديث ضعيف استحب العمل بمقتضى ذلك الحديث لا بمعنى اثبات الاستحباب الذي هو حكم شرعي بذلك الحديث بل لدخول ذلك فيما ثبت فضله مطلقا مع احتمال صحة ذلك الحديث الضعيف انتهى (قوله حجة) قيده الحافظ ابن حجر بأن لا يكون شديد الضعف وان يكون مندرجا تحت اصل عام وان لا يعتقد عند العمل به ثبوته فخرج بالاول من انفرد بالكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه وبالثاني ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا وقوله في الثالث وان لا يعتقد عند العمل به ثبوته أى لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله انتهى

المشهور

(قوله بل قيل الخ) تدي على ضعف هذا القيل لعدم تسليم دليله الذى ذكره اذ لا يلزم من عدم علم محل دفنه وولادته انكار وجوده عليه الصلاة والسلام كما لا يخفى (قوله بشارة) بضم الباء وكسرها (قوله والمراد هنا أعم) فيشمل ما يرى شخصه كالاحبار

المشهور الآن بالمولد وزعم انه بعد فان شاذ لا يعول عليه فقد صرح بعض أئمتنا ان أول واجب على الاولياء ان يعلموا صبيانهم ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة بل قيل ان انكار ذلك كفر لاستلزامه انكار وجود النبي صلى الله عليه وسلم الذى هو محمد (وتوالت) أى تتابعت (بشرى) أى بشارة (الهواتف) للناس جمع هاتف وهو ما يسمع هتفه أى صوته وقيل صوته الخفى ولا يرى شخصه والمراد هنا أعم من ذلك لان البشارة به جاءت فى كتب الله تعالى وعلى السنة الاحبار والكهان والجان كما استوعبه أهل السير وجمع أكثره ابن ظفر فى كتابه البشر بخير البشر (أن) أى بأن متعلق ببشرى (قد ولد المصطفى) أى المختار على الخلق كلهم (وحق) أى ثبت (الهناء) أى الفرح والسرور والكل الخلائق به قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين * والبشارات به صلى الله عليه وسلم على الانواع المذكورة كثيرة لا يحتملها هذا المحل لكن منها ما جاء انه حين ولد هتف هاتف على الحجون وقال

فاقسم ما أنثى من الناس انجبت * ولا ولدت أنثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات مفخر * مجنبة لؤم القبائل ماجده

وهتف آخر على جبل أبى قبيس بأربعة أبيات فيها معنى ذلك وزيادة * ومنها ان سواد بن قارب الدوسى لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه أخبره ان رئيه أنشده أبياتا ثلاث ليال متوالية وذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حث سواد ابن قارب على المجئ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به وعظيم مدحه * ومنها ما جاء بسند ضعيف ان راهبا كان بمر الظهران يقول يوشك أن يولد منكم يا أهل مكة مولود اسمه محمد تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سأل عنه فجاءه عبد المطلب صبيحة ولادته صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه وقد طلع نجمه البارحة فاسميته قال محمدا وروى الحاكم عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان بمكة يهودى فصاح ليلة ولادته يا اهل مكة هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا الا نعلمه قال ولد هذه الليلة نبى الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف الفرس فادخلوه على امه وأخرج له فكشف عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ما لك ويلك قال ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل وذكر الحافظ أبو سعيد النيسابورى ان نور النبي صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد الله بن عبد المطلب وكان يضئ فى غرته ويفوح من فيه رائحة المسك الاذفر وكانوا يستقون به فيستقون نام فى الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسى حلة البهاء والجمال فتحير فيمن فعل به ذلك فانطلق به أبوه الى كهنة قريش فقالوا له ان اله السموات

(قوله فى كتب الله) كان الظاهر أن يقول جاءت فى ألسنة الخ بحذف الكتب لانه علق قوله ان قد ولد بقوله بشرى والبشارة بوقوع الولادة بالفعل لم تأت فى كتب الله القديمة وانما اتت فيها البشارة به صلى الله عليه وسلم فتأمله (قوله الاحبار) جمع حبر اى عالم والرهبان جمع راهب أى متعبد اى علماء النصارى وعبادهم (قوله وحق) قال ابن السبكى حق يحق بالضم والكسر انتهى وحق بفتح الحاء وقوله أى ثبت قال الله تعالى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين أى ثبتت وهو من أسمائه تعالى بهذا المعنى لانه الثابت أزلا وأبدا لذاته ويقال الحق لما يقابل الباطل لانه جدير بالثبوت كما ان الباطل جدير بالزهوق انتهى من شرح منهاج البيضاوى لابن السبكى (قوله الحجون) بفتح الحاء جبل باعلى مكة (قوله رئيه) أى جنيه قال فى القاموس الرئى كغنى ويكسر جنى والحية العظيمة تشبيها لها بالجنى انتهى (قوله وذكر الحافظ الخ) ما ذكره الشارح من هنا الى المتن غير مناسب للمقام لان الكلام فى البشارة بولادته وليس فيما ذكره

بشرى بانه ولد وانما يدل على مناقب وكرامات لعبد الله والد رسول الله ببركة اسعد الخلق (قوله الاذفر) الذفر بفتحتين كل ريح ذكية يقال مسك اذفر بين الذفر وبابه طرب انتهى من المختار

قد اذن لهذا الغلام أن يتزوج ونام مرة أخرى في الحجر فرأى رؤيا وقصها على الكهان فقالوا لئن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السموات والارض وليكونن في الناس علما مبينا وذكر الحافظ ان زمزم كانت اندرست فرأى عبد المطلب ما دله عليها فحفرها فآذاه سفهاء قريش ولم يكن له الاولد واحد الحرث فنذر ان رزق عشرة بنين ليذبحن أحدهم لله تعالى فلما تموا عشرة بنين رأى من يأمره بوفاء نذره فانتبه وذبح كبشا فرأى انه لا يجزئه وهكذا حتى أمر ان يذبح أحد بنيه كما نذر فاقرع بينهم فخرجت القرعة على عبد الله فجاء به ليذبحه عند باب الكعبة فمنعه سادة قريش وأمروه بمشاورة كاهنة فاشارت ان يقرع بينه وبين عشر من الابل وانه كلما خرجت القرعة عليه زاد عشرة فلما بلغت مائة خرجت القرعة عليها فذبحها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وصح انه صلى الله عليه وسلم اقر من قال له ذلك والثاني اسمعيل وعلى انه اسحق وعليه الاكثرون فقد مر أن العرب تسمى العم أبا (و) من عجائب ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم انه (تداعى) أى تهادم أى اشرف على الهدم لانه انشق شقا بينا آل به الى خرابه (ايوان) بكسر الهمزة ويقال فيه اوان ككتاب وفسره الجوهرى بانه الصفة العظيمة كالازج وغيره بانه بيت مؤزج أى مبنى طولا غير مسدود الوجه أى فهو صفة طويلة واسعة باولها عقد واسع بابه قال وهو فارسى وقيل هو البيت العالى وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرافات وقيل بيت الملك المعد لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه والحاصل ان ذلك الايوان كان من أعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما (كسرى) أنوشروان بفتح الكاف وكسرها معرب قسرى أى واسع الملك وهو لقب لكل من ملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب من قبل العجم والنجاشى لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك (ولولا) حرف امتناع لوجود

(قوله كلما خرجت القرعة) اى على ابنه عبد الله (قوله شقا) وهذا الشق باق الى الآن كما نقله ابن الجوزى (قوله ايوان) أصله إووان قلبت احدى واويه ياء لكسر ما قبلها وقوله بكسر الهمزة أى بوزن الديوان وجمعه أواوين كديوان ودواوين وايوانات انتهى طبلاوى وقد بناه سابور ذو الاكتاف ولم يتمه وأتمه ابرويز بن هرمز الملقب بكسرى في نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع وسمكه أى ارتفاعه كذلك وعرضه خمسون ذراعا مبنى بالجص والآجر ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان وأخرجوا منه الف الف دينار (قوله ككتاب) وجمعه على هذا اون كخوان وخون بوزن دون انتهى طبلاوى (قوله ذو شرافات) جمع شرافة ويقال فيها شرفة وجمعها شرف كغرف وغرفة وطول كل شرفة خمسة عشر ذراعا (قوله كسرى) ذكر الدميرى ان كسرى هذا اول من اقتص من قاتله وذلك انه قال له منجموه انك تقتل فقال والله لاقتلن قاتلى فعمد الى سم ناقع فوضعه في حق وكتب عليه دواء للباءة صحيح مجرب اذا استعمل منه وزن كذا وكذا انعظ وجامع كذا وكذا فلما قتله ابنه قباذ فتح خزائنه فوجد ذلك الحق مختوما فقرأ ما كتب عليه فقال بهذا كان كسرى يقوى على مجامعة النساء فتحصه واستعمل منه ماذكر فمات وكان لكسرى ثلاثة آلاف امرأة انتهى وكان كسرى مجوسيا (قوله أنوشروان) معناه بالعربية مجدد الملك انتهى من نور النبراس (قوله معرب قسرى) في الجوهرى وهو معرب خسرو والنسبة اليه كسروى وكسرى كحرمى وجمعه أكاسرة على غير قياس وقياسه كسرون كعيسون وموسون بفتح السين انتهى (قوله وتبع) كان رجلا صالحا ملهما آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم عن سمعه لانه آمن به قبل المبعث بسبعمائة سنة (قوله وفرعون) فقوله تعالى وقال موسى يا فرعون فيه محاورة من موسى لفرعون حيث خاطبه باحسن ما يدعى به واحبها اليه اذ كان من ملك مصر يقال له فرعون وفى تفسير القرطبى ان فرعون كان علجا من همذان قاله الحسن وعن مجاهد كان من اهل اصطخر وعن الحسن أيضا كان من أهل اصبهان طوله أربعة أشبار انتهى قال فى المختار العلج بوزن العجل الواحد من كفار العجم والجمع علوج واعلاج وعلجة بوزن عنبة وقوله من همذان بفتح الهاء والميم والذال المعجمة ومن خاصيتها ان لا يكون الانسان بها حزينا ولو كان ذا مصائب كذا فى عجائب البلدان للقزوينى

(قوله آية) نقل أبو الفضل فى شرحه عن سيبويه ان أصلها أوية قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها (قوله ثم قتل فى زمن عثمان) بذلك تعلم رد ماذكره بعض أهل السير من قتله فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم (قوله فلا كسرى) أى فلا كسرى مثله (قوله وقال لسراقة الخ) أى حين أراد الانصراف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى طريق الهجرة وقد خاص فرسه بعد ان خسف به الى الركبتين وطلب من رسول الله كتابة أمان فأمر عامر بن فهيرة فكتبه له فى رقعة أخرجها سراقة يوم حنين فأمنه وكل من يلوذ به فعلمت ان النبى لم يقل له ذلك فى حفر الخندق وان توهمه بعضهم فى عبارة الشارح لان سراقة لم يكن فى حفر الخندق لانه انما أسلم بالجعرانة بعد الانصراف من غزوة حنين وذلك بعد حفر الخندق وبعد فتح مكة هكذا ذكر بعضهم



لو جود أى امتنع جوابه الوجود تاليها (آية) صادرة (منك) الى الوجود أى علامة عظيمة على نبوتك ورسالتك العامة وان كل من عاندك لا يرتفع له رأس وفيه التفات من الغيبة الى الحضور والاصل منه أى من المصطفى صلى الله عليه وسلم (ما تداعى البناء) أى هذا المبنى المذكور مع ماهو عليه من العظم والاحكام الذى كان يظن به انه لا تهدمه الا نفخة الصور فاذا هو قد تحرك وسقط منه أربع عشرة شرافة حينئذ فليس ذلك الا محض آية منه صلى الله عليه وسلم للوجود على نبوته صلى الله عليه وسلم وانه لا ملك ولا عز يبقى لاحد مع ملكه وعزه وسر تلك الاربع عشرة شرافة الاشارة الى انه لم يبق من ملوكهم الا أربعة عشر فملك عشرة فى أربع سنين وأربعة الى زمن عثمان وقد فتح فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه أكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان وتقهقر الى اقصى مملكته ثم قتل فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه وزال ملكه بالكلية وصح انه صلى الله عليه وسلم أخبر بانه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وان أموالهم وكنوزه تنفق فى سبيل الله تعالى فانقطع ملكه وزال من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه فمزقه وقد بشر صلى الله عليه وسلم أمته فى حفر الخندق بملك بلاده وقال لسراقة وكان من فقراء الصحابة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فلما أتى بهما عمر رضى الله عنه ألبسهما اياه أى اظهارا للمعجزة وذلك عند رمي ج وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة ولما رأى كسرى ما وقع بايوانه ورأى تلك الليلة الموبذان أعلم علماء مملكته ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها أفزع كسرى ذلك فسأل الرائى فقال حدث يكون من ناحية العرب فكتب كسرى الى النعمان ابن المنذر ملك العرب ان يرسل اليه اعلم من فى أرضه من العرب فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو الغسانى وكان معمرا فأخذ يسأله عن ذلك فقال علم ذلك عند خال لى فدلهم على خاله سطيح وهو بالشام فامره كسرى بالذهاب اليه فجاءه فوجده مشفيا على الموت فاخبره سطيح

ثم رأيت فى الاصابة نقلا عن رواية البخارى قصة سراقة انه أسلم يوم الفتح وقد أنشد بعد اسلامه رضى الله عنه مخاطبا لابى جهل

أبا حكم والله لو كنت شاهدا
لامر جوادى اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

(قوله الموبذان) بضم الميم ثم واو ساكنة ثم موحدة مكسورة ثم ذال معجمة وهو للمجوس كقاضى القضاة للمسلمين والجمع الموابذة (قوله عرابا) هى خلاف البراذين والفرس ان كان أبواه عربيين فهو عتيق وان كانا أعجميين فهو برذون وان كان الاب عربيا والام عجمية فهو هجين وان كان بالعكس فهو مقرف (قوله فدلهم الخ) أى لان كسرى قال له هل عندك علم بما أريد ان اسألك عنه قبل ان أسألك فقال هذا يعلمه خال لى سكن الشام يقال له سطيح فبعثه كسرى اليه فاتى اليه فاخبره سطيح بما ذكر من غير ان يذكر له شيأ منه (قوله سطيح) السطيح المستلقى على قفاه من الزمانة واسمه ربيع عاش سبعمائة سنة وأدرك الاسلام فلم يسلم وروى انه هلك عند ما ولد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ان الله خلق سطيحا لحما على وضم وكان يحمل فيؤتى به حيث شاء ولم يكن فيه عصب ولا عظم الا الجمجمة والعنق والكفين وكان يطوى من ترقوته كما يطوى الثوب ولم يكن فيه شئ يتحرك الا لسانه ولا يتكلم الا بالسجع والوضم كل شئ يوضع عليه اللحم من خشب أو نحوه يقيه من الارض والمراد هنا انه لحم خلقه الله من غير عظم يوضع على شئ يقيه من الارض (قوله مشفيا) وفى نسخة مشرفا

عيامن بجملته عبد المسيح على جمل مشيح الى سطيح وقد أوفى على الضريح يبعثه ملك ساسان لارتجاس الايوان أى تحركه وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ياعبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادى السماوة أى قرية بين الكوفة والشام وايست من العواصم وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا بابل للفرس مقاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات وكل ماهو آت آت ثم قضى سطيح مكانه وسمى صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان يمسك فى يده القضيب كثيرا وكان يمشى بين يديه بالعصا ويصلى اليها قال القاضى وأراها العصا المذكورة فى حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن أى لاجلهم ليتقدموا ويسمى أيضا صاحب القضيب أى السيف كما فى الانجيل فهو صاحب العصا المعبر بها فى الاخبار والقضيب بيده الاشرار (و) من العجائب التى ظهرت ليلة ولادته أيضا لينتبهوا ويسألوا عن سبب ذلك انه (غدا) أى صار فى تلك الليلة (كل بيت نار) أى كل واحد من بيوت نار الفرس التى كانوا يعبدونها ويشتدا يقادهم لها حتى ان لها ألف سنة لم تخمد ونار من ذوات الواو وانما جمعت على نيران لانكسار ماقبل الواو المستلزم انقلابها ياء (و) هى للحال وفيه موافقة لما ذهب اليه الجمهور وتبعهم ابن مالك ان المنصوب بعد غدا حال اذ لا يوجد الا نكرة وخالفهم الزمخشرى وأبو البقاء والجزولى وابن عصفور فجعلوه خبرا سواء كانت بمعنى صار أو بمعنى وقع بتلة فى وقت الغدو أو الرواح وجعلوا من ذلك اغد عالما وحديث تغدو خماصا وغدا زيد ضاحكا أى صار فى حال ضحك (فيه كربة) بضم أوله أى غم يأخذ الانفس وربما اهلكها (من) اجل (خمودها) أى سكون لهبها من غير ان يطفأ جمرها والا قيل همدت (وبلاء) عظيم صبه الله عليهم صبا بازالة مايعتقدونه الههم ومتعبدهم لانهم مجوس فكان فى اقليم الفرس من بيوت النار الموقدة المئات من السنين ماتحيل العادة انطفاءه فى الزمن الكثير فاذا انطفأت تلك النيران كلها فى ساعة واحدة تلك الليلة علموا ان ذلك لامر عظيم حدث فى العالم وكان كذلك وسببا لازالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق كما مر (و) من تلك العجائب أيضا (عيون) فهو مبتدأ سوغه وصفه بقوله (للفرس) بالضم ويقال فارس ومنه حديث وخدمتهم فارس والروم وهم أمة عظيمة كان مسكنهم فى شمال العراق من الفراسة بالفتح أى الشجاعة وكسرى من اجل ملوكهم (غارت) فى الارض حتى لم يبق منها قطرة • ومنها بحيرة طبرية التى كان فيها من كثرة المياه وسعتها ماتحيل العادة غيضها ولذا قيل طولها ستة أميال وعرضها مثل ذلك وتسمى عين ساوة البلد معروف بينها وبين الرى اثنان

(قوله مشيح) بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية وحاء مهملة أى مسرع (قوله الضريح) أى القبر (قوله الهراوة) بكسر الهاء هى العصا الضخمة والجمع الهراوى بفتح الواو ومثل المطايا (قوله بحيرة ساوة) ويقال لها عين ساوة وبحيرة طبرية وساوة بلد معروف وطول تلك العين ستة أميال وعرضها كذلك كانت تحيل العادة ان يغيض ماؤها لكثرته وبحيرة بصيغة التصغير وهو تصغير تعظيم لما علمت من عظم سعتها (قوله وخمدت) بفتح الميم من باب دخل (قوله قال القاضى الخ) قال النووى هذا ضعيف لان المراد بوصفه بالهراوة تعريفه بصفة يراها الناس معه يستدلون بها على صدقه وانه المبشر به فى الكتب السابقة ولا يصح تفسيره بعصا تكون فى الآخرة (قوله اذود) أى اطرد من لا يستحق الشرب (قوله ليتقدموا) أى أى مجازاة لحسن صنيعهم وتقدمهم فى الاسلام (قوله وفيه) أى فى أهله على حد قوله واسأل القرية (قوله فجعلوه خبرا) فيه ان الواو هنا مانعة من الخبرية لان الخبر لا يقترن بها فتأمل (قوله أو الرواح) يعنى اذا كان الفعل راح (قوله تغدو الخ) فى التمثيل بذلك نظر لان الظاهر ان تغدو بمعنى تذهب وتروح بمعنى ترجع فليسا بمعنى صار وعليه فانتصاب مابعدهما على الحال ليس الا (قوله خماصا) جمع خميص البطن وهو الضامر (قوله همدت) بابه دخل وكذلك خمد (قوله طولها ستة أميال) كانت تسير فيها السفن الى ماحولها من البلدان فاصبحت ليلة مولده يابسة كان لم يكن بها ماء ثم بنى محلها مدينة ساوة (قوله الرى) مدينة مشهورة قيل أول من بناها رازين خراسان ولهذا كانت النسبة اليها رازى كذا فى عجائب البلدان للقزوينى وعشرون

وعشرون فرسخا وقيل موضع بالشام (فهل) استفهام للتعجب من حالهم أو للتوبيخهم وتقريعهم (كان لنيرانهم بها) أى بتلك المياه التى غارت (اطفاء) أى لا بل لم يطفئها الا سر وجود نبينا صلى الله عليه وسلم وظهوره المضمحل به كل لهو و باطل ولذا قال (مولد) عظيم بالجر بدل من المولد والرفع خبر مبتدا محذوف (كان) أى صار على الدوام (منه) أى من اجله ومن لابتداء الغاية (فى طالع الكفر) أى فى نحو النجم أو الالهام الذى يطلع به على عواقب الكفر وغايات أهله المترتبة عليه كرؤيا الموبذان والهام سطيح السابقين آنفا ويصح ان يراد ان المولد نفسه اطلع كل ذى بصيرة على ان الفرس أو الكفار يحل بهم (وبال) أى وخم عظيم (عليهم) أى على أهله الذين هم الفرس بدليل السياق أو اعم بدليل الواقع (ووباء) ويجوز قصره وهو المرض الشديد العام وهما فيهما الجناس اللاحق كائنان مما اعتراهم بوجوده من اشراف ملكهم على الزوال ومما حل بهم من البوار والهوان والوبال والنكال (ف) بسبب ما حصل بوجوده صلى الله عليه وسلم فى هذا الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا ولآبائه ولامهاته صلى الله عليه وسلم من الشرف الاكبر والتميز الاظهر حق ان يقال فى شأن أمه (هنيأ به لآمنة الفضل) اى ثبت لها الفضل أى الكمال والشرف والعلو حال كونه هنيأ أى لا آفة فيه ولا نكد فهو حال عند الاكثرين مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره اذ لم يسمع الا كذلك وقال المبرد انه مصدر كالعاقبة واصل ذلك انهم أنابوا عن المصدر صفات كعائذا بك وهنيأ لك قال بعض المغاربة وهى موقوفة على السماع وقال غيره انه مقيس عند سيبويه يقال لكل من لازم صفة وهنيأ اسم فاعل من هنئ أو هنؤ كشريف من شرف وهو ما أتاك بلا مشقة (الذى شرفت به حواء) فمن دونها من أمهاته الى آمنة فان الولادة منسوبة الى كل منهن لكنها اليهن بواسطة ولآمنة بدونها فمن ثم خصها من بينهن بذلك وزاد فى مدحها بانها شرفت بها

(قوله من المولد) أى فى قوله ليلة المولد (قوله أى فى نحو الخ) جعل ماذكر تفسيرا لقوله فى طالع الكفر ولم يظهر ذلك والظاهر ان ذلك من اضافة الصفة للموصوف أى فى الكفر الطالع اه دنوشرى ثم رأيت فى ابن عبد الحق فى طالع أهل الكفر الذى يطلع به على ما يحل بهم من نجم أو رؤيا أو غيرهما و بال أى مكروه عظيم ثم رأيت بخط بعض الفضلاء ما هو أوضح من ذلك حيث قال الطالع فى الاصل اسم النجم يستدل به الكهنة والمنجمون من الكفرة على أمور تحدث فى العالم فيقولون اذا طلع النجم الفلانى يحصل كذا وأضيف للكفر من حيث تعويلهم عليه واستعيرها للامور التى دلت على وقوع الوبال والوباء بهم كرؤيا الموبذان واخبار سطيح و وجه الشبه المبنية عليه الاستعارة دلالة كل على أمر خفى وان كانت دلالة النجم بحسب زعمهم ودلالة الامور المذكورة على سبيل التحقق وعلى هذا فالظرفية من ظرفية المدلول فى الدال فان الوبال مدلول كما علمت والطالع باعتبار المراد منه دال وتنوين وبال ووباء للتعظيم لانهما أكبر الكبائر اذ هو الركن الاعظم فى حصولهما ومن ثم جعل طالعه ظرفا (قوله الجناس اللاحق) وهو اختلاف اللفظين فى حرفين متباعدى المخرج فمخرج اللام بعيد من مخرج الهمزة واما المضارع فبخلافه كقوله وهم ينهون عنه وينأون عنه فالهاء والهمزة متقاربان مخرجا وبسط ذلك فى فن البديع (قوله هنيأ) قال الاشمونى أى ثبت الخير هنيأ أو يهنؤك هنيأ انتهى وكتب من حشاه أى هى مؤسسة على الاول مؤكدة على الثانى (قوله مؤكدة لعاملها) فيه نظر فان المؤكدة هى ما يستفاد معناها بدون ذكرها نحو ولى مدبرا ولا تعثوا فى الارض مفسدين بل هى مؤسسة لعدم استفادة معناها من عاملها اذا أصل أى لان حل الشارح يقتضى ان الحال من الفضل أو من ضميره فى الخبر وان العامل ثبت ويمكن تصحيحه بان الحال هو الجملة وان هنيأ حال من محذوف دل عليه السياق والعامل من مادته والمعنى هنئت بالفضل حالة كونه هنيأ وعلى جعل الجملة حالا التقدير ثبت الفضل حالة كون الفضل هنئت به هنيأ أى مهنئا لها فقول الشارح حالة كونه هنيأ أى مهنئا بكون وصفا مأخوذا من الجملة المجعولة حالا ويرشح هذا التصحيح قوله مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره فتدبر (قوله اسم فاعل) مراده به ما يشمل الصفة المشبهة (قوله من هنئ أو هنؤ) كفقه وفقه هناءة بالمد أى صار هنيأ لا آفة فيه

(قوله حملت) قال في القاموس حملت المرأة تحمل علقت ولا يقال حملت به اوقليل انتهى وقال أبو الفضل المالكى الحمل بفتح الحاء ما كان في بطن أو رأس شجرة والحمل ٤٠ بكسر الحاء ما كان على رأس او ظهر (قوله بالتنوين للضرورة) هو سبق نظر والصواب عدم التنوين للنظم فهو على اصله (قوله ابن زهرة) قال في الصحاح زهرة بضم الزاى وسكون الهاء حى من قريش وهو اسم امرأة كلاب بن مرة نسب ولده اليها وهم أخوال النبي صلى الله عليه وسلم و زهرة بفتح الهاء نجم (قوله بيانية) أي لما في قوله مالم بتقديم البيان على المبين (قوله مالم تنله النساء) احتراس ويسمى تكميلا وهو ان يؤتى في كلام موهم خلاف المقصود بما يدفعه اما في اثناء الكلام كما مر كثيرا وكما في قوله

فسقى ديارك غير مفسدها
صوب الربيع وديمة تهمى

لان نزول المطر قد يكون سببا لخراب الديار وفسادها فدفعه بتوسط غير مفسدها او في آخره كما في قوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اذ لو اقتصر على وصفهم بالذل على المؤمنين لتوهم انه لضعفهم فأتى على سبيل التكميل بقوله اعزة على الكافرين دفعا للوهم واشعارا بأن ذلك تواضع منهم لهم ومن ثم عدى الذلة بعلى لتضمنه معنى العطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع وهذا دفع توهم ان

شرفت به أم البشر وزيادة عدم الواسطة فذكرها لهذا وللجمع بين طرفي الولادة الاول والآخر وللتنبيه على ان حواء امتازت بابرازه الى وجود عالم الاصلاب وآمنة امتازت بابرازه الى وجود عالم الاستقلال مع عدم الواسطة ومن ثم قال مبينا تميزها على حواء بذلك (من) استفهام استبعادى بمعنى النفي (لحواء) أي من ذا الذى يفرح لها بأنها أو يشفع لها في (انها حملت أحمد) بالتنوين للضرورة أي حملت به وهو من غرر أسمائه صلى الله عليه وسلم وقد سماه الله به على لسان موسى عليه الصلاة والسلام كما في الحديث وعيسى صلى الله عليه وسلم كما في القرآن وهو منقول من الصفة التى معناها التفضيل فمعناه أحمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لانه يفتح عليه يوم القيامة عند سجوده تحت العرش ليسأل في الشفاعة العظمى وهو مقامه المحمود بمحامد لم يفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ويكون تحته آدم فمن دونه (او انها نفساء) أي اصابها النفاس وهو الدم الخارج عقب الولادة سمى بذلك لانه اثر نفس اى وبانها ولدته بلا واسطة اى لوقدر لها أن تحمله وتلده من غير واسطة لكان لها به غاية الشرف لكن لم يقدر ذلك لها بل لآمنة لما سبق في علم الله تعالى انها الفائزة بشرف الانتهاء وهو أفضل مما فازت به حواء من شرف الابتداء ولهذا قال (يوم) بدل من مولد اسم زمان (نالت) أي اعطيت (بوضعه) اى بسببه آمنة (ابنة وهب) بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة فهى تلتقى مع النبي صلى الله عليه وسلم من جهة آبائه في كلاب وكان وهب سيد بنى زهرة نسبا وشرفا وام آمنة برة ابنة عبد العزى بن قصى بن عبد الدار بن قصى بن كلاب (من) بيانية (لفخار) وهو التمدح بالخصال العلية والشيم الطاهرة المرضية (مالم تنله النساء) حتى حواء كما مر وهذا لا يقتضى افضليتها على حواء مطلقا لانها انما فضلت من وجه واحد وهو ولادتها له صلى الله عليه وسلم بلا واسطة والتفضيل من حيثية مزية واحدة او مزايا لا يقتضى الافضلية على الاطلاق وانما ذكرت ذلك لان الاجماع قام في حق حواء على ايمانها الكامل وآمنة وقع الخلاف في ايمانها بل وفي نجاتها ونقل عن الاكثرين عدمهما ولكن الاصح بل الصواب خلافه كما مر ومما نالته ما أخرجه أبو نعيم والخرائطى وابن عساكر ان عبد المطلب لما خرج بعبد الله ليزوجه للرؤيا التى رآها وقد مرت رآته كاهنة قرأت الكتب فرأت نور النبوة في وجهه ومن ثم كان أجمل رجل رئي في قريش فسألته ان يقع عليها وتعطيه مائة من الابل فابى وقال * اما الحرام فالممات دونه * فقربه أبوه حتى أتى به وهبا أبا آمنة فزوجه بها وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى عند الجمرة ثم خرج ومر على تلك المرأة فلم تكلمه فسألها الم تعرضى نفسك الآن

ما نالته آمنة من الفخار بوضعه صلى الله عليه وسلم قد نالته امهاته بقوله مالم تنله النساء انتهى (قوله مزية) هي على فعيلة اى فضيلة ولا فعل لها يقال له عليه مزية وفي الاساس فزت عليه اى فضلت (قوله ثم خرج ومر الخ) غير خاف ان عرضه عليها لم يكن لريبة بل ليستبين الامر الذى دعاها الى بذل كثير من الابل في مقابلته على خلاف عادة النساء مع الرجال وبذلك =

على قالت فارقك النور الذي سألتك لاجله وذكروا انه لما استقرت تلك النطفة الكريمة فيها أصبحت أصنام الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار وكانت قريش في جدب شديد فسميت تلك السنة سنة الفتح ونودي في الملكوت ان النور المكنون قد انتقل الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفضل الظاهر وقد خصها الله تعالى بهذا الحبيب لانها أفضل قومها حسبا وأزكاهم أصلا وفرعا وفي حديث ابن اسحق انها حدثت انها لما حملت به صلى الله عليه وسلم قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقالت ماشعرت بحمله ولا وجدت له ثقلا ولا وحما أي في الابتداء لرواية انها وجدته وحملت على غير الابتداء جمعا بين الاحاديث وأتاني آت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بأنك حملت بسيد الانام ثم أمهلني حتى دنت ولادتي أتاني فقال لي قولي

أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد

ثم سميه محمدا وبعد هذا البيت أبيات أخر مشهورة ولا أصل لها كما قاله الزين العراقي وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال كان في دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت قد حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج العلماء ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذا أهل البحار بشرت بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الارض ونداء في السماء ان ابشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا وروى أبو نعيم ان آمنة أتاها آت بعد ستة أشهر من حملها وقال يا آمنة انك قد حملت بخير العالمين فاذا وضعتيه فسميه محمدا واكتمي شأنك ثم لما أخذها الطلق وكانت وحدها رأت كأن طائرا أبيض قد مسح فؤادها فذهب روعها ثم أوتيت بشربة بيضاء فتناولتها فاضاء لها نور عال ثم رأت نسوة كالنخل طولا فاحدقن بها فقالت من أين علمن بي وفي رواية فقلن لي نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء الحور العين ثم رأت ديباجا أبيض مد بين السماء والارض ورجالا بايديهم أباريق فضة وقطعة من الطير أقبلت حتى غطت حجرتها مناقيرها من الزمرذ وأجنحتها من الياقوت ورأت مشارق الارض ومغاربها وثلاثة أعلام منصوبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذها النفاس فوضعته صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأت سحابة بيضاء غشيته فغيبته عنها فسمعت مناديا يقول طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا انه سمي الماحي لانه لا يبقى شئ من الشرك الا محي في زمنه صلى الله عليه وسلم ثم انجلت عنه في أسرع وقت وروى الخطيب البغدادي بسنده انها لما وضعته رأت سحابة عظيمة لها نور عظيم تسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنها فسمعت مناديا يقول

تعلم رد قول بعضهم كانه تندم على امتناعه منها اولا فتعرض لها لتعاوده اذ ذلك لا يليق بهذا المطهر المختار ليكون أبا السيد الكائنات كما سبق (قوله ماشعرت) بفتح العين شعرا بكسر الشين علمت ومنه مشاعر الانسان حواسه وأصله العلم الدقيق المستنبط كذا قاله الكواشي في تفسيره عند قوله تعالى وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون قال البرماوي في شرح ألفيته الشعور هو اول مراتب وصول العلم الى القوة العاقلة مأخوذ من الشعار وهو ما يلي الجسد ولهذا كان وصف الكفار بأنهم لا يشعرون أبلغ من نفي العلم ونحوه عنهم (قوله أبيات أخر) منها

وكل خلق رائد

أي متقدم بمكروه وأصل الرائد الذي يتقدم القوم يلتمس لهم الكلأ ومساقط الغيث كذا في الغريبين للهروي (قوله فاحدقن) أي طفن بها وأحطن بها (قوله الزمرذ) هو بالذال المعجمة آخره كما في الصحاح

طوفوا به جميع الارض واعرضوه على كل روحانى من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش واغمسوه فى اخلاق النبيين ثم انجلت عنه وقد قبض على حريرة بيضاء مطوية طيا شديدا ينبع منها ماء واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها حتى لم يبق أحد من أهلها الا دخل طائعا فى قبضته ثم رأت ثلاثة نفر بيد أحدهم ابريق فضة والثانى طشت من زبرجد أخضر والثالث حريرة بيضاء أخرج منها خاتما يحار الناظرون دونه فغسله سبع مرات ثم ختم به بين كتفيه ثم احتمله فادخله بين أجنحته ساعة ثم رده الى أمه (و) يوم (أتت) آمنة (قومها) اسم جنس للذكور وقد يدخل فيه النساء تبعا كما هنا (ب) مولود (أفضل) بالاجماع (مما) أوقع ما على العاقل وهو عيسى صلى الله عليه وسلم وان كان نادر الوقوع فى القرآن نحو لما خلقت بيدى والسماء وما بناها الآيات ولا أنتم عابدون ما أعبد وكلام العرب سمع من كلامهم سبحان ما سخركن لنا ولو رود هذا وامثاله زعم قوم منهم ابن درستويه وأبو عبيدة ومكى وابن خروف وقوعها على آحاد من يعقل كثيرا مطلقا وقال السهيلى لا تقع على اولى العلم الا بقرينة وتقع على صفات من يعقل نحو فانكحوا ما طاب لكم من النساء اى الطيبة منهن وعليه فما هنا نظير الآية لان من صفات من يعقل الحمل المذكور فى قوله (حملته) أى (قبل) أى قبل آمنة وبين زمانيهما نحو ستمائة سنة امه (مريم) بنت عمران الصديقة بنص القرآن قيل هى من ذرية سليمان صلى الله عليه وسلم بينها وبينه أربعة وعشرون ابا وفى الصحيح خير نسائها مريم ولذا فضلت على جميع النساء وللخلاف فى نبوتها وان كان شاذا ولما رفع عيسى الى السماء كان منها ثلاثا وخمسين سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين (العذراء) أى البكر لانها لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها بعيسى صلى الله عليه وسلم انما هو من نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام فى جيب درعها فحملت به ووضعته من وقتها على الاشهر كرامة لها او معجزة له صلى الله عليه وسلم

(قوله روحانى) قال الشارح فى النعمة الكبرى روحانى بضم الراء نسبة للروح بضمها واما بفتحها فنسبة للروح وهو نسيم الريح الطيب والالف والنون من زيادات النسب اه وفى الشافية وشرحها لشيخ الاسلام وروحانى بفتح الراء نسبة لروحاء بلد وهو المراد هنا أى فى عبارة الشافية وبضمها فى النسبة الى الملائكة والجن ويقال لهم الروح للطافتهم واستتارهم عن الناس وعليه فلا تظهر زيادة الشارح الانس والطيور والوحوش وان كان ذلك هو المراد هنا وزادوا الالف والنون للفرق بينه وبين المنسوب الى روح الانسان اه (قوله بيضاء) قال فى المواهب خضراء وقد يقال انه قبض عليهما فلا مخالفة (قوله بخ بخ) فيه لغتان اسكان الخاء وكسرها ٤٢ منونا وهى كلمة تطلق لتفخيم الامر وتعظيمه فى الخير اه شرح مسلم للنووى وقال فى الصحاح هى كلمة تقال عند المدح والرضا بالشئ وتكرر للمبالغة فيقال بخ بخ فان وصلت خفضت ونونت فقلت بخ بخ وربما شددت كالاسم اه وقال الهروى فى غريبه وسكنت الخاء كما سكنت فى هل وبل ويقال بخ بخ بالخفض منونا فى فعل ذلك شبهها بالاصوات كصه وما أشبه ذلك وقال ابن السكيت بخ بخ وبه به بمعنى واحد اه (قوله فغسله) نسخة الشارح فقبله بدل فغسله (قوله اسم جنس) فى شرح الاشمونى على الخلاصة آخر باب جمع التكسير ذكر الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس ومثل لاسم الجمع بقوم ورهط فقول الشارح اسم جنس غير مسلم (قوله على العاقل) الاولى العالم للتمثيل بقوله وما بناها الخ فانها واقعة على الله وانما يقال له عالم لا عاقل (قوله مطلقا) أى بقرينة وغيرها فالاطلاق فى مقابلة قيد لاحق (قوله بنت عمران) واسم أمها حنة بالمهملة وتشديد النون (قوله بنص القرآن) حيث قال وامه صديقة (قوله وللخلاف) كان الظاهر أن يقول وللخلاف بواو العطف على العلة السابقة اذ مراده الاستدلال على فضلها على جميع النساء بدليلين فكأنه قال حينئذ ففضلت على من ذكر للخبر الصحيح وللخلاف الخ وبدون واو العطف لا يظهر ذلك المراد تأمل ثم ان هذا الدليل فيه نظر لان حواء وآسية اختلف فى نبوتهما فالدليل لا يثبت فضلها عليهما الذى اقتضاه قوله على جميع النساء نعم الحديث الصحيح الذى ذكره يثبت فضلها عليهما بمجرد (قوله والعذرة البكارة) بضم العين وتطلق أيضا على معان منها الناصية وهى الخصلة من الشعر وقلفة الصبى والشعر على كاهل الفرس (قوله ومعجزة له صلى الله عليه وسلم) فيه ان تعريف المعجزة المشهور يقتضى عدم تسمية ذلك معجزة =

= لانه غير مقرون بالتحدى وانما يسمون مثل ذلك ارصاها من كل خارق للعادة متقدم على النبوة وسيأتى الجواب عن ذلك فى الشارح عند قوله وبدت فى رضاعه معجزات فراجعه (قوله بشريعة نبينا) فهو مستند فى حكمه الى كتاب أو سنة أو اجماع وقد يجتهد ولا يخرج فى اجتهاده عن مذهب امام من الائمة الاربعة وغيرهم وليس هناك وحى لانقطاعه بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وعدم قبوله الجزية مع ان شريعتنا قبولها غير خارج عنها لان نبينا انما قبولها بنزوله فيكون عدم قبوله لها من شرعنا والسر فى ذلك ان المسلمين قبل نزوله محتاجون للمال فوسع لهم واما بعده فالمال كثير لا يلتفت اليه أحد وهذا أظهر من توجيه الشارح كغيره بقوله لانتفاء مالهم الخ لانه انما يظهر بالنسبة لقومه دون نحو اليهود  وحكمة نزول عيسى دون غيره من الانبياء

وخصه بهذا مع تصريحه قبل بانه أفضل الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه ينزل من السماء على منارة جامع بنى أمية البيضاء شرقى دمشق كما رواه مسلم فى آخر هذه الامة ويقتل الدجال والخنزير ويبطل الجزية فربما يتوهم من ذلك مع باهر معجزاته عليه الصلاة والسلام وولادته من غير أب وان كان لنبينا عليه الصلاة والسلام ما هو مثلها أو أبهر منها كما يأتى انه الخاتم الافضل فنفى ذلك على الوجه الاكمل ونزوله عليه الصلاة والسلام انما هو بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ومنها ان الجزية لا تقبل بعد نزوله لانتفاء مالهم من نوع شبهة تمسك بكتاب بتكذيبه لهم فيكون من اتباعه ولاجل ذلك يصلى وراء المهدى اولا ثم يتقدم بعد اعلاما بانه صلى الله عليه وسلم لم ينزل مستقلا بل تابعا مؤيدا حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولخبر البخارى انا اولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة وليس بينى وبينه نبى وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان نبى أصحاب الرس ولخبر الصحيحين من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق وان النار حق أدخله الله الجنة على ما كان منه من عمل وفى خبر الصحيحين ان كل مولود ينخسه الشيطان فيصيح الا عيسى عليه الصلاة والسلام قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولا ينافى هذا أفضلية نبينا صلى الله عليه وسلم لان لنبينا من المزايا ما يغمر هذا فى جنب ادونها وقد تكون فى المفضول مزية أو مزايا ليست فى الفاضل لكن فيه ما يخالف ذلك ويفوقه (شمتته) من التشميت وهو ان يقال للعاطس يرحمك الله بالمعجمة والمهملة أى دعا له بالسلامة من الشوامت أو بقاء سمته كما هو لان العطاس ربما كان سببا لتعويج نحو العنق (الاملاك) جمع ملك وهذا هو القياس فى جمعه كجمل وأجمال ولفظ الملك مشتق من الالوكة وهى الرسالة ويقال لها مألكة فالاصل فيه مألك ثم قلب فصار ملأك كا

الرد على اليهود فى زعمهم انهم قتلوه فبين الله كذبهم وانه الذى يقتلهم وقيل حكمته دنو أجله ليدفن فى الارض اذ كل مخلوق من تراب لا يموت فى غيره اه ملخصا من افتاء لابن قاسم (قوله ومنها) أى من شريعة نبينا لانه عليه الصلاة والسلام غيا قبولها بنزول عيسى فاندفع ما عساه يقال اعتراضا على قولهم بنزوله بشريعة نبينا ان قبول الجزية منها وهو لا يقبلها (قوله انا اولى الناس الخ) أى أخص به (قوله كان بينهما الخ) وقال بعض الناس ان الحواريين كانوا رسلا الى بعض الناس بعد عيسى وهذا قول أكثر النصارى لعنهم الله (قوله أصحاب الرس) قوم كانوا يعبدون الاصنام بعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس وهى البئر غير المطوية

فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل غير ذلك كما فى تفسير البيضاوى فراجعه ان شئت وقوله غير المطوية أى غير المبنية بالحجارة والآجر وغيرهما (قوله الا عيسى) ظاهر الحديث اختصاص هذه الفضيلة بعيسى وامه وأشار القاضى الى ان جميع الانبياء يشاركونه فيها فقوله ولا ينافى الخ لا حاجة اليه على ما ذكره القاضى وهو الحق ان شاء الله (قوله من التشميت) فى القاموس التشميت التسميت كذا فى فصل الشين من باب التاء وذكر فى فصل السين منه ما نصه والتسميت ذكر الله والدعاء للعاطس (قوله من الشوامت) جمع شامت وهو الذى يفرح ببلية عدوه قال فى القاموس شمت كفرح شماتا وشماتة فرح ببلية عدوه (قوله مشتق) أى مأخوذ فلا يرد ان ملكا ليس فعلا ولا وصفا فكيف يقال فيه مشتق (قوله مألكة ومألك) بضم اللام فيهما صحاح وقول الصحاح ومألك اى الذى هو بمعنى الرسالة واما مألك الذى هو أصل ملك فبفتح اللام كما يدل له قول الشارح ونقلت حركة اللام فقول =

= الشارح والاصل فيه أى فى ملاك مألك أى بفتح اللام (قوله على وزن مفعل) الرسم يقتضى انه بتقديم الفاء وهو غير ظاهر لان الهمزة فاء الكلمة فى اصله فلا تتغير فى الفرع فالصواب على وزن معفل بتقديم العين على الفاء (قوله وزن فعل) كان الظاهر وزن معل لان الهمزة التى هى فاء الكلمة قد حذفت والميم زائدة بدليل قوله آنفا على وزن مفعل على مافيه كما علمت آنفا وذلك هو مذهب الجمهور الآتى واما كون وزنه فعل فانما يلائم مذهب غير الجمهور الآتى أيضا فى قوله وذهبت طائفة الخ تأمل (قوله من مارج) المارج اللهب المختلط بسواد النار (قوله كالثالث) أى آدم (قوله تأويل الاولين) اى انهما ليسا من النور والنار حقيقة بل لشدة جلالة الملائكة واشراقهم جعلوا كأنهم من نور ولشدة قوة الجن وسرعة حركاتهم جعلوا كأنهم من نار (قوله الاولين) أى الملائكة والجن (قوله أى فرحتنا وسرتنا) لم نجد الشفاء بهذا المعنى فى اللغة وقد ذكر فى القاموس اطلاقه على الدواء ولاشك ان قولها الآتى دواء القلوب ٤٤ نافع فيلزمه الفرح والسرور فيكون فيه تجوز قال فى القاموس الشفاء هو الدواء والجمع اشفية وشفاه يشفيه برأ وطلب له الشفاء كاشفاه اه فقول الشارح يحصل بها الشفاء أى الدواء (قوله وسرتنا) عطف تفسير قال فى المختار فرحه تفريحا أى سره والفرح أيضا البطر ومنه قوله تعالى ان الله لا يحب الفرحين (قوله أو من الشفاء) فيه ان هذا التعبير يوهم انه على التفسير الاول ليس مأخوذا من ذلك مع انه ليس كذلك فكان الظاهر أن يقول من الشفاء بمعنى فرحتنا وسرتنا أو بمعنى الرقية لانها الخ وفى البيت جناس الاشتقاق بالجمع بين شفتنا والشفاء وحقيقته أن يجمع بين الفاظ مشتركة فى المادة وأصل المعنى واما تجنيس المشابهة فالشرط فيه الاشتراك فى المادة لا فى أصل المعنى كما سيأتى عند قوله قصو رقيصر وقد يقال الشفاء علم فمعناه غير مشارك لمعنى شفتنا فيكون من شبه الاشتقاق اللهم الا أن يقال هو ناظر لاصل قبل العلمية كما فى محمد وأحمد فى البيت الآتى ومثاله فى التنزيل قوله تعالى فأقم وجهك للدين القيم بناء على ان المراد بقوله أقم استقم لتبليغه والدعاء اليه لوجود اشتراك اللفظين فى أصل المعنى فلا ينافى عد الصفى الحلى له من شبه الاشتقاق لانه نظر الى ان المعنى أفرغ وسعك فى صرف جميع أزمنتك فى نشره والعمل به كما سيأتى ذلك فى الشرح عند قوله قصو رقيصر وقوله يمحق الله الربا ويربى الصدقات ومثاله من الشعر قول الزفتاوى فى بديعيته محمد أحمد اشتقت محامده * من حمد حامده المحمود فى القدم (قوله الغليل) فى الصحاح الغلة حرارة العطش وكذلك الغليل (قوله الشفاء) قيل هو اسمها وقيل لقب واسمها ليلى وقيل صفية كما ذكره الشيخ عبد السلام اللقانى فى مولده (قوله بالفاء المشددة) هذا الضبط متعين هنا لاستقامة الوزن وفيها ضبط آخر كسر الشين وتخفيف الفاء والوزن معه غير مستقيم

على وزن مفعل ثم خفف بعد قلبه ونقلت حركة الهمزة الى اللام فصار ملكا على وزن فعل وحينئذ فقياس هذا جمعه على افعال كما جرى عليه الناظم رحمه الله تعالى وانما جمعوه على ملائكة لانهم راعوا ملأك بعد القلب وقبل أن يخفف وقولهم من الالوكة مصرح بان ميمه زائد وهو رأى الجمهور وذهبت طائفة الى انها أصلية ثم اختلفوا اهل هو من الملك بالفتح أى القوة لقوتهم أو بالكسر بمعنى مملوك قولان قيل وأحسن من الجميع قول النضر ابن شميل انه غير مأخوذ من شئ وهو التحقيق الذى دلت عليه الآثار وقوله تعالى الا ابليس كان من الجن وزعم ان نوعا من الملائكة يسمون بذلك ليس فى محله لتوقفه على صحة خبر به ان ابليس ابو الجن كما ان آدم أبو البشر وانه لم يكن من الملائكة طرفة عين وان المصحح للاستثناء فى الآية التغليب لكونه كان فيهم أو هو منقطع وفى خبر مسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وظاهره ان عنصرهما متمحض من النور والنار وقيل بل هما من العناصر الاربعة كالثالث وانما غلب عليهما ذلك وزعم تأويل الاولين بانه على التمثيل ليس فى محله لانه يلزم عليه ان الثالث كذلك ولان مدار المعتزلة على هذه الطريقة فانهم اولوا أحاديث السؤال فى القبر وعذابه والصراط والميزان والحوض والشفاعة ودابة الارض ونحوها ولم يبالوا بمنابذتهم للسنة الغراء قبحهم الله (اذ وضعته) أى فى وقت وضع امه له (وشفتنا) أى فرحتنا وسرتنا أو من الشفاء لانه رقية والرقية كثيرا ما يحصل منها الشفاء لان قولها الآتى يشفى العليل ويبرد الغليل (بقولها الشفاء) بالفاء المشددة وهى ام عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة رضى الله

الله تعالى عنهم بنت عمرو بن عوف وقولها وما أخرجه أبو نعيم عن ولدها عبد الرحمن عنها
قالت لما ولدت آمنة محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قائلا
يقول رحمك الله ورحمك ربك قالت الشفاء واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى
بعض قصور الروم قالت ثم ألبنته واضجعته فلم ألبث ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة
ثم غيب عني فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث مني
على بالي حتى بعثه الله تعالى فكنت في أول الناس اسلاما وحمل الناظم قولها استهل على
انه صلى الله عليه وسلم عطس حتى عبر بشمتته الذي لا يطلق الا على ما يقال عند العطاس
يحتاج فيه لاسناد اذ حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند الولادة وهذا هو الغالب من
أحوال المولودين بخلافه فلا يصار اليه الا بتصريح ممن يعتمد عليه ولم أره وقولها فسمعت
قائلا يقول حمله على الملك هو الظاهر وجمعه مبالغة واشارة الى ان عصمة الملائكة توجب
ان الفعل المسند الى أحدهم كأنه مسند الى الجميع وعلى ما قاله الناظم مع ما استقر من
شرعه صلى الله عليه وسلم ان التشميت انما يسن لمن حمد الله عقب عطاسه يحتمل انه صلى الله
عليه وسلم حمد الله فشمت فيكون من جملة من تكلم في مهده وان كان صلى الله عليه وسلم
عدهم ولم يذكر نفسه منهم (رافعا) حال من مفعول وضعته (رأسه) الى السماء كما رواه ابن
سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس ان آمنة قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله
عليه وسلم خرج مني نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم
أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء (وفي ذلك الرفع) الذي هو اول فعل
وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم وهو خبر مقدم (الى كل سودد) أي رفعة وسيادة على
الخلق وهو متعلق بالمبتدأ الذي هو (ايماء) اي اشارة الى ان شأنه وقدره يرتفع ويعلو في
الدنيا والآخرة الى مراتب لا يصلها غيره من ملك ولا جن ولا انس (راقيا) حال مما منه
الاولى وتعدد الاحوال جائز كتعدد الاخبار أو من ضمير رافعا فهي من الاحوال المتداخلة

(قوله ألبنته) في نسخة ألبسته وهذه النسخة ظاهرة واما نسخة ألبنته بمعنى سقيته اللبن بارضاعي له فغير ظاهرة لان مرضعاته كما
سيأتي أربع ولم تعد منهن الشفاء وهي أمه آمنة وحليمة السعدية وثويبة وام ايمن (قوله عطس) بفتح الطاء وكسرها كما في كتب
اللغة (قوله الذي لا يطلق الخ) قد سبق عن القاموس ان معناه ذكر الله والدعاء واما تخصيصه بالذي يقال عقب العطاس
فهو شرعي وفي حين الولادة لم يكن تشريع وبذلك يندفع قول الشارح الآتي وعلى ما قاله الخ فتدبر (قوله يحتاج فيه لاسناد الخ)
في شرح الدلجي فاستهل أي عطس بشهادة قولها فسمعت قائلا يقول رحمك الله ورحمك ربك اذ هو شرعا قول القائل للعاطس
رحمك الله ولغة كل دعاء بخير اه وقصده ان استهل استعمل في عطس مجازا بقرينة رحمك
الله واستعماله مع القرينة جائز ولا يخفى ان ما نقله من اللغة ربما يمنع هذه الشهادة لا سيما وما تقرر في الشرع متأخر عن ذلك ودعوى موافقة شرعه صلى الله عليه وسلم لما قبله وسبق استعماله يحتاج لدليل اذ الاصل مخالفة كل شرع لما قبله فتأمله وفي القاموس ان التشميت ذكر الله والدعاء للعاطس كما سبق وظاهره انه لا فرق بين ان يحمد اولا والتقييد بحمد العاطس أمر شرعي وقولنا وقصده الخ قد يرد بأن الاستهلال رفع الصوت وأخذ من قول الملك رحمك الله انه رفع الصوت بالعطاس فيكون استعمال استهل في عطس حقيقة وعلم منه رد قول الشارح وحمل الخ اذ دليل الناظم قول الملك رحمك الخ الذي يدعى به للعاطس تامل الا أن يقال ان رحمك الخ
لا يختص بالعاطس فمن أين حمل استهل بمعنى عطس فما ذكره الشارح ظاهر ثم ظاهر ان التشميت يطلق على ذكر الله والدعاء
للعاطس لغة كما تقدم عن القاموس فيحمل كلام الناظم على هذا المعنى ولا شك ان قول الملك رحمك الله الخ دعاء له وفيه
ذكر الله تأمل (قوله قبضة) قال الشارح في النعمة الكبرى اي اشارة الى انه يملك الارض كلها وانه ينثر التراب يوم بدر وغيره في
وجوه أعدائه فيكون سببا لهزيمتهم وهلاكهم (قوله الذي هو اول فعل) فيه ان اول فعل كما علم من الرواية السابقة آنفا وقوعه
على الارض ثم اعتماده على يديه ثم قبضه التراب بيده ويجاب بان عطف الرفع فيها وقع بالواو فيحتمل أن يكون الرفع قبل الفعلين
المذكورين

(طرفه) أى بصره (السماء) أى ناظرا الى جهتها نظرا خفيا كما علم من حديث عطاء وابن عباس المذكور وروى الطبرانى انه لما وقع على الارض وقع مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وسبقت رواية انها لما وضعته نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل (و) سر هذا الرمق الاشارة الى علو سماء اذ (مرمى) وفى الاصل غرض الرامى الذى يصيبه سهمه وهنا ما انتهى اليه البصر (عين من) موصول (شأنه) أى قصده (العلو) ارتفاع مكانه والجملة الصلة وخبر مرمى (العلاء) بالفتح والمد أى الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع القصر اى كما ان رفع رأسه ايماء الى ما مر فكذلك رمقه ببصره الى جهة العلو ايماء الى انه لا يقصد الا اعلى المراتب اذ من شأنه العلو لا يقصد الا جهاته وما يوصل اليها دون غيرها مما لا يناسب قصده فعلم ان المترتب على الرفع والرمق متحد بالذات مختلف بالاعتبار اذ التوجه الى جهات العلو الذى هو مفادهما الا اعتبارات مختلفة (و) يوم (تدلت) اى قربت ودنت فهو عطف على نالت (زهر النجوم) من اضافة الصفة الى الموصوف اى الكواكب المضيئة (اليه) صلى الله عليه وسلم كرامة له وتعظيما لم يقع نظيره لغيره كما رواه البيهقى وابن السكن عن عثمان بن ابى العاص عن امه فاطمة الثقفية رضى الله تعالى عنها انها قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلا نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها تقع على (فـ) سبب هذا التدلى (اضاءت بضوئها) اى تلك الكواكب المضيئة (الارجاء) أى نواحى البيت اونواحى السماء اونواحى الوجود باسره (و) يوم (تراءت) من رأى بمعنى ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل أصل الفعل كيخادعون الله وعاقبت اللص اى رئيت (قصور قيصر) ومر انه لقب لكل من ملك الروم (بالروم) أى فى بلاد الروم وهو ابن عيصو وبين قيصر وقصور التجنيس المطلق وسماه قوم كالسكاكى وغيره تجنيس المشابهة وهو تماثل الكلمتين بحيث يشبه ان المشتقين الراجع معناهما الى اصل واحد كقوله تعالى أزفت الآزفة يا أسفا على يوسف اسلمت مع سليمان فأقم وجهك للدين القيم وزعم الحلى ان هذا ليس من أصناف التجنيس وان عد أكثر المؤلفين له تجنيسا غلط وليس كما زعم لانهم لم يطلقوا كونه تجنيسا وانما قيدوه بتجنيس المشابهة فبينوا انه أشبه التجنيس وليس فى الحقيقة تجنيسا وسمى بذلك كثير منهم معبرا عنه بنحو وفيه تجنيس شبه الاشتقاق وماذكر

(قوله طرفه) مفرد لا جمع له وهو فاعل رامقا والسماء مفعول وفيه اشارة الى انه علوى ليس من جنس من فى الارض بل صفاته البشرية كما الملكية منزهة عن الشهوات الدنيوية مطهرة من الآفات البشرية (قوله خفيا) لان الرمق النظر الخفى لا مطلق النظر كما فى اللغة (قوله كما علم الخ) فيه ان الذى علم من رواية ما رفع رأسه الى السماء ولا يلزم منه الرمق بطرف اليها فتدبر (قوله وسبقت رواية الخ) يجمع بين الروايات بان وقت انفصاله واتصاله بالارض وقع منه جميع ما ذكر فتارة قبض بيده التراب وتارة رفع اصبعيه السبابتين وتارة رفع احداهما وتارة وقع مقبوض الاصابع وتارة رؤى قابضا على حريرة بيضاء وقيل خضراء وتارة رؤى ساجدا وتارة رافعا رأسه لجهة السماء (قوله الرمق) بسكون الميم لانه مصدر رمق وبابه نصر كما فى المختار (قوله ما انتهى اليه البصر) شبهه بغرض الرامى على طريق الاستعارة التحقيقية بجامع قصد كل (قوله مع القصر) أى فى غير النظم فان المد فيه متعين ومده اذا ضمت العين للضرورة (قوله يخادعون) أى يخدعون وبذلك قرئ وبابه قطع وفيه مضاف محذوف أى رسول الله والمؤمنين لا يقصد عاقل به الذات العلية اذ هو ايهام غيرك خلاف ما تخفيه لتنزل به ما يكرهه وتصرفه عما هو بصدده من قولهم ضب خادع اذا أوهم قاصده اقباله عليه ثم خرج من باب آخر وذلك المعنى مستحيل على الله تعالى (قوله وهو ابن عيصو) عبارة الجوهرى والروم هو من ولد الروم بن عيصو وعبارة المالكى والروم من ذرية عيصو بن يعقوب اه وهذا بحسب الاصل والا فقد صار اسما للقطر المعروف فى ولذا قال الشارح قبل لكل من ملك الروم (قوله يا أسفا على يوسف) قال بعضهم فى كون هذين اللفظين يرجع معناهما الى أصل واحد نظر وكذا أسلمت وسليمان اه وفيه نظر لان الرجوع لمعنى واحد انما هو فى المشتقين حقيقة والامثلة التى ذكرها الشارح للمشبهين بالمشتقين لا للمشتقين كما فهم هذا البعض فتأمل

فى الاخير هو ماذكره الحلبى ولا ينافيه عدغيره له من تجنيس الاشتقاق لانه نظر الى ان المراد من أقم وجهك للدين افرغ وسعك فى صرف جميع أزمنتك فى نشره والعمل به وغيره نظر الى ان المراد استقم لتبليغه والدعاية اليه حال كون تلك القصور (يراها) رؤية كاملة (من) أى الذى (داره البطحاء) أى مكة والابطح والبطحاء المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصباء وأصل ذلك الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال انى عبد الله خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم عن ذلك أنا دعوة أبى ابراهيم و بشارة عيسى ورؤيا أمى التى رأت وكذلك امهات الانبياء يرين وان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاء له قصور الشام وفى رواية عنها قالت رأيت كانه خرج من فرجى شهاب اضاء له الارض حتى رأيت قصور الشام وفى اخرى رأيت ليلة وضعه نورا حتى أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها وفى اخرى لما ولدته خرج من فرجى نور اضاء له قصور الشام فولدته نظيفا مابه قذر وفى اخرى لما فصل منى خرج معه نور اضاء له مابين المشرق والمغرب وفى رواية الشفاء السابقة وأضاء لى مابين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم ولا ينافى هذه الروايات رواية انها رأت مثل ذلك عند ابتداء حمله لان تلك الاضاءة وقعت مرتين عند حمله وعند ولادته زيادة فى البشارة بظهوره وظهور دينه وخصت الشام بالذكر فى اكثر الروايات لما اختصت به من سبق نور نبوته صلى الله عليه وسلم اليها ومن ثم نقل كعب عن الكتب السابقة انها دار ملكه اى باعتبار سبقه اليها قبل نظرائها ولذا اسرى به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس منها كما هاجر اليها ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام وبها ينزل عيسى عليه السلام وهى أرض المحشر والمنشر *(فائدة)* صح عند الضياء انه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة حتى لايرى احد سوأته وزاد الحاكم ان ذلك تواترت به الاخبار واعترضوا التصحيح بانها كلها ضعيفة والتواتر بانها اذا لم تصح كما تقرر فكيف تواترت قيل على ان كثيرا من الناس ولد مختونا فلا خصوصية فيه بل قال ابن الكلبى ان آدم واثنى عشر نبيا بعده ولدوا مختونين وروى بعض الحفاظ بسنده الى ابن عساكر ان عبد المطلب ختنه يوم سابع ولادته وجعل له مأدبة وسماه محمدا وفى طريق منكر انه ختن عند حليمة حين شق قلبه * ولما تم الكلام على عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ومعجزاتها شرع فى ذكر عجائب الرضاع ومعجزاته فقال مستأنفا أو عاطفا عطف الجمل (وبدت) أى ظهرت لمن فى عصره صلى الله

(قوله واصل ذلك الخ) الذى يناسب كونه أصلا لما هنا حديث الشفاء الآتى اذ هو المذكور فيه قصور الروم وما عداه مما ذكره من الروايات انما فيها قصور الشام (قوله دعوة أبى ابراهيم) وذلك انه لما فرغ من بناء البيت ودعا بجعل ذلك البلد آمنا وان افئدة من الناس تهوى اليهم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فاستجاب الله له وجعل نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله وجوزى سيدنا ابراهيم صلى الله عليه وسلم على ذلك ببقاء الثناء عليه فى صلوات امته وبامر محمد صلى الله عليه وسلم باتباعه (قوله الشام) قال ابن هشام فى التيجان اسم أعجمى من لغة بنى حام ومعناه بالعربية خير طيب (قوله عند ابتداء وضعه) أى حال كونه حملا (قوله لان تلك الخ) وفى تاريخ ابن كثير ان مارأته حين الحمل كان مناما ومارأته حين الوضع كان عيانا (قوله فكيف تواترت) وقد اجيب بان المراد بتواترها اشتهارها وكثرتها فى السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند أئمة الحديث كما سيأتى عن القسطلانى نقلا عن امام السير (قوله ان آدم واثنى عشر نبيا) نظمها بعضهم فى قوله

تولد مختونا محمد آدم
وشيث شعيب نوح عيسى وحنظلة
سليمان موسى هود لوط ويوسف
كذا زكرياء وصالح فادع له

(قوله وسماه محمدا) وسبق ان امه أمرت بان تسميه محمدا ولا مانع انها سمته بذلك سرا وان جده سماه به جهرا كل ذلك ليطابق تسميته به قبل فقد صح ان آدم رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك انتهى كلام الشارح فى النعمة الكبرى (قوله ختن عند حليمة) ختنه جبريل عليه الصلاة والسلام حين طهر قلبه فالحاصل ان هذه الاقوال الثلاثة لم يثبت منها شئ من طريق الاسناد لكن أكثرها طرقا القول الاول وهو الذى جزم به امام السير محمد بن اسحق ولم يذكر غيره انتهى من أمالى الحافظ القسطلانى

عليه وسلم بطريق العيان ولمن بعدهم بطريق البرهان (في) فعل وزمن (رضاعه) وهو
امتصاص اللبن من الثدي (معجزات) تسميتها بذلك مجازا وجرى على اصطلاح السلف
كالامام أحمد فانهم يطلقون المعجزة على كل خارق ليس بسحر وجدت فيه الشروط
الآتية أم لا ولكن الاشهر الذي عليه أكثر علماء الكلام وغيرهم ان المعجزة لا تطلق
حقيقة الا على الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الانبياء عليهم
الصلاة والسلام فعلم ان لها شروطا أحدها خرقها للعادة بان تخيل وقوعها كانشقاق
القمر ثانيها اقترانها بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة مع أمن معارضتها من تحديت
فلانا نازعته لاغلبه وهو مجاز اذ أصله الحداء يتعارض فيه الحاديات فيتحدى كل الآخر
أي يطلب حداءه فخرج الخارق من غير تحد وهو كرامة الولي والخارق المتقدم على
التحدي كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فهي
كرامات لا معجزات وتسمى ارهاصا أي تأسيسا للنبوة لا يقال تخرج به أيضا الخارق
المتأخر عند التحدي بما يخرجه عن المقارنة العرفية لانه يلزم عليه اخراج أكثر آياته صلى
الله عليه وسلم كنطق الحصا والجذع والدواب ونبع الماء بل قيل لعله لم يتحد بغير القرآن
وتمني الموت وزعم أنه لا معجزة الا هذان أقرب الى الكفر منه الى البدعة فالحق أن المراد
بالتحدي ليس معناه الاصلي بل المراد به دعوى الرسالة وكل معجزاته مقارنة لذلك
والخارق الذي لا تؤمن معارضته كالسحر سواء أقلنا انه قلب الاعيان أو احالة الطبائع
لانا وان جوزنا ذلك فقد جرت العادة الالهية بانه لا يقع من مدعي النبوة كذبا وانما يقع
من مدعيها صادقا لم نقل بذلك وهو ظاهر ولا ينافي ذلك ما يظهر على يد الدجال من
الخوارق العظيمة لانه ليس مدعيا للنبوة بل للالوهية وقد دلت القواطع على كذبه وان
بروز ذلك على يديه لمحض الفتنة لا غير ثالثها دلالتها على صدق المتحدي فخرج الخارق
المكذب له كان قال آيتي نطق هذه الدابة فنطقت بكذبه كما وقع لمسيلمة الكذاب اللعين
انه تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت لا يقال كان ينبغي للناظم رحمه الله تعالى أن يقول آيات
أو بينات أو برهان لان هذه هي الواردة في القرآن والسنة دون لفظ المعجزة لانا نقول هي
وان لم ترد لكن صارت في اصطلاح المتأخرين أبين وأظهر فلذا خصت بالذكر (ليس فيها)
متعلق بخفاء (على العيون خفاء) لوضوحها وهو اسم مصدر لاخفيته لانه الذي بمعنى كتمته
لا مصدر خفيته لانه بمعنى اظهرته وبين بدت وخفاء الطباق (اذ) أي وقت او لاجل انه
(أبته ليتمه) أي لاجل موت أبيه وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل سبعة أشهر وقيل
مات وهو في المهد وهذا قد ينافي ما في المتن الا أن يقال يحمل عليه انه مات عقب الوضع

(قوله بطريق العيان) أي لبعض أهل عصره (قوله فعل) انظر أي حاجة لتقديره على انه تصير الحل من فعل امتصاص اللبن وفيه
تهافت (قوله الحداء) بضم الحاء والمد  ويقال حدا حدوا كغدا غدوا كذا يؤخذ من المختار (قوله فالحق الخ) وقد
يجاب أيضا بان المراد بقوله مقرون
بالتحدي تصريحا او بلسان الحال
كما أشار اليه استاذنا البكري في
شرحه نقلا عن شارح الدلائل
(قوله الطباق) وهو الجمع بين
متضادين فكان المتكلم يطابق
الضد بالضد ومنه وانه هو أضحك
وابكى وأنه هو امات وأحيى ومنه
قول الصفي في بديعيته
قد طال ليلي واجفاني به قصرت
عن الرقاد فلم أصبح ولم أنم
(قوله لا مصدر الخ) في القاموس
ما يقتضي ان خفيته بمعنى سترته
وبمعنى أظهرته فيكون مما يستعمل
في المتنافيين وعبارته خفاه يخفيه
أظهره كاخفاه وخفي كرضي خفاء
فهو خاف وخفي لم يظهر وخفاه
هو وأخفاه ستره وكتمه انتهى
المراد منه فما اقتضاه ظاهر
الشارح من أن خفاء لا يكون
مصدر لخفيته بمعنى سترته غير مسلم
تأمل (قوله قد ينافي ما في المتن) ان
كان مراده به قوله ليتمه لم يظهر
لان وصف اليتم لا يتوقف على
موت الاب قبل الوضع بل على
موته قبل بلوغه وان كان مراده
قوله أبته بقرينة قوله يحمل عليه
انه مات عقب الخ المقتضي ان
الاباء قبل ان يرضع من أحد حتى
من أمه لم يظهر أيضا لانها من جملة مرضعاته الاربع ولم يروا انها أرضعته بعد أخذ حليمة له فيكون ارضاعها قبل
له بعد وضعه قبل أخذها وذهابها به ثم سيأتي ان اول لبن دخل جوفه لبن حليمة وهذا لا ينافي ارضاع امه له قبل ذهاب حليمة به
والحاصل انه ان لم يثبت طلب المرضعات عقب الوضع فما المانع من أن يكون طلبهن بعد موت أبيه على القول بانه مات بطيبة =

= اوالابواء على القول به و وصفه باليتم صحيح حينئذ لانه صغير لا أب له وتكون امه اوغيرها من مرضعاته غير حليمة قد ارضعته هذه المدة قبل موته وطلب المرضعات الرضعاء لكن هذا قد ينافيه ان حليمة أول من أرضعته وقد يقال لا مانع من ارضاعها له اولا حين وضعه ثم أرضعه غيرها ثم رجع أخذها له وذهابها به الى قبيلتها هذا وقد علمت ان الراجح موته وهو حمل (قوله وقد تقرر) ان كان المراد من كلام غيره فسلم والافني اى محل سبق فى كلام الناظم تقريره (قوله واغما يتم) قال فى القاموس اليتم بالضم الانفراد أو فقدان الاب ويحرك وفى البهائم فقدان الام واليتيم الفرد وكل شئ يعز نظيره وقد يتم كضرب وعلم يتما ويفتح وهو يتيم و يتمان مالم يبلغ الحلم (قوله ثم لا يكون الخ) فيه نظر فانه ارتضع من حليمة وان كان له الفضل عليها فى ذلك ولو عاش أبوه وامه حتى كبر لكان فضله عليهما اه دنوشرى (قوله ماهذا اليتيم) ذكر بعضهم فى حكمة يتمه انه لا يجب عليه طاعة لغير الله وأن لا يكون عليه ولاية لغير الله اه وفيه ان الجد أب الاب ٤٩ كالاب تجب طاعته وله الولاية (قوله عنا غناء) راعى الناظم الجناس وترك جزالة المعنى ولو قال ما فى اليتيم هذا غناء لكان ظاهر المعنى وأشار الشارح الى تصحيح المعنى بقوله يغنى عنا شيأ وفيه تكلف فان جعلت عن بمعنى اللام ظهر المعنى و برز من غير احتياج لذلك التقدير ولا التعبير عنا بهذا (قوله بفتح المعجمة) واما بكسرها والمد فالسماع و بكسرها والقصر فاليسار مقابل الفقر والعسر (قوله على خلاف فيه) يوهم أو يصرح بان بعضهم منع ذلك وفيه نظر والتصحيف راجع للنقط والتحريف باعتبار تشديد النون وعدم تشديدها والنقص باعتبار زيادة الهمزة والتحريف هو اختلاف ٧ هيئة الحروف بان يكون الحرف مشددا فى كلة وغير مشدد فى أخرى ومفتوحا فى كلة ومكسورا فى أخرى كغدا وغذاء فى البيت الآتى (قوله فقول الشارح) الذى رأيته فيه وفتاة فاعل ومن آل سعد متعلق بفتاته وليس فيه الكلام على خصوص معنى من (قوله بحصول غايات الخ) فيه أن الذى يؤخذ من لفظ حليمة دوام الحلم او كثرته ومن لفظ سعد وجود أصل السعد لكونه ليس صيغة مبالغة ولا صفة مشبهة فمن اى وجه دلالتها على غايات ماذكروا ما حصولها له فى الواقع فسلم عند كل مسلم (قوله يحب الفأل الحسن) وفى الاثر فى بئر الحديبية انهم نزحوها فقال عليه الصلاة والسلام من يمتح لنا الماء فقال رجل أنا قال ما اسمك قال مرة قال تأخر فقال آخر انا يارسول الله قال ما اسمك قال ناجية قال انزل واخرج الطبرانى فى معجمه أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول يا خضراء فقال لبيك أخذنا فألك من فيك والفأل بالهمز ضد الطيرة كأن يسمع مريض يا سالم او طالب ضالة يا واجد ويستعمل فى الخير والشر كذا فى القاموس فى المهموز وتخفيف الهمزة بقلبها الفاصحيح

قد رأت رضيع لكن يرده ان موته انما كان بطيبة المنورة وهو آت من تجارة الشام من عند اخوال أبيه عبد المطلب بنى النجار وقد تقرر ان المرضعات عقب وضعه عليه السلام ثم قيل انما سمى عبد المطلب لانه لما ولد بطيبة ذهب اليه عمه المطلب ليأتى به مكة فكان كل من يراه معه يتوهم انه عبده فيناديه بعبد المطلب ثم اشتهر به وقيل دفن بالابواء محل قريب من رابغ قال جعفر الصادق واغما يتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون لمخلوق فى عنقه حق (مرضعات) كن يأتين الى مكة يلتمسن الرضعاء لان ارضاع المرأة ولدها عار عندهم (قلن) انما تركناه لانا انما نبغى الرضعاء رجاء المعروف من آبائهم واما الام والجد فما عسى أن يصنعا و(ما فى) هذا (اليتيم) بينه وبين يتم جناس الاشتقاق (عنا) متعلق بقوله (غناء) بفتح الغين المعجمة أى ليس فيه لبتمه وفقره نفع يغنى عنا شيأ وبينهما الجناس المصحف المحرف الناقص على خلاف فيه منتشر (ف) بعد ان تركنه لذلك (اتته من آل سعد) بن بكر ونسبت اليه مع انه الجد التاسع لانه اشهر و به عرفت القبيلة وزوجها منهم أيضا (فتاة) أى شابة كريمة كائنة من بعض هذه القبيلة فقول الشارح انه من بيانية بعيد وفى كونها حليمة السعدية من الفأل الحسن والبشارة العظيمة بحصول غايات الحلم والسعد لهذا الرضيع ما لا يخفى عظيم وقعه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن (قد أبتها لفقرها الرضعاء) جمع رضيع أى أهلوهم لان الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزمة عادة لقلة اللبن المضرة بالرضيع غالبا وما اعطاه من جعل ربما تصرفه فى حوائجها الخارجة فلا يفيدها فى دفع الجوع الذى هو المحذور ره واصل ذلك ما رواه ابن اسحق واسحق بن

(قوله صبيها) واسمه ضمرة أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة (قوله ماتبض) بالضاد المعجمة ماترشح وروى بالصاد المهملة اى مايبرق عليها أثر لبن من البصيص وهو البريق واللمعان وكل منهما من باب ضرب (قوله قالت لزوجي) فقال لها زوجها الا عليك أن تفعلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة (قوله يغط) بكسر الغين من الغطيط وهو صوت النائم (قوله فأشفقت ان أوقظه) اى بدون تلطف بقرينة قولها رويدا والافوضع يدها على صدره سبب ليقظته الا ان يقال هو وان كان سببا لها لكنها لم تقصد ايقاظه فلا ينافي قولها اشفقت ان ارقظه ولو بدون تكلف زيادة تلطف قال في القاموس شفق واشفق حاذر ولا يقال الا أشفق اه وقال البيضاوي عند قوله تعالى أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اخفتم الفقر اه



وهو بمعنى ما في القاموس (قوله وأعطيته ثديي) وأول لبن دخل جوفه قبل لبن حليمة كما ذكره في شرح تائية السبكي ومرضعاته صلى الله عليه وسلم أربع أمه وحليمة وثويبة مولاة أبي لهب وأم أيمن ولم ترضعه امرأة الا أسلمت كما قاله السيوطي في خصائصه الصغرى (قوله بما شاء من لبن) انظر معنى هذه العبارة ثم رأيت في شرح تائية السبكي أقبل عليه ثدياي والمعنى على ماذكر الشارح ظاهر أيضا اى أقبل ثديي عليه بالذي شاءه النبي صلى الله عليه وسلم من لبن بيانا لما (قوله الى شارفنا) قال في القاموس الشارف من النوق المسنة الهرمة كالشارفة اه فاستعماله في الشاة مجاز علاقته المشابهة كما سيأتي نظيره في الشارح في شائل (قوله حافل) اى كثيرة اللبن والتحفيل كالتصرية وهو ان تترك الشاة اياما ليجتمع لبنها في الضرع للبيع (قوله روينا) بكسر الواو بوزن رضي (قوله ويحكن) قال في المختار ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى واحد وتقول ويح لزيد وويل له فترفعهما على الابتداء ولك ان تنصبهما باضمار فعل تقديره ألزمه الله ويحا وويلا ونحو ذلك وكذا ويحك وويلك وويح زيد وويل زيد منصوب بفعل مضمر (قوله لان معنى لبانها الخ) أحسن من هذا ماذكره في اقامة الآلة موضع المصدر من قولهم في ضربته سوطا ضرب سوط تأمل فيه (قوله يختص الخ) قد ينافيه قوله لان معنى لبانها ارضاعها اه دنوشري وقد يقال لامنافاة لان الاول بيان لمعنى مجازي من اطلاق اسم المسبب على سببه والثاني بيان لمعناه الحقيقي

راهويه وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وأبونعيم عن حليمة رضي الله تعالى عنها انها قدمت مكة في نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء في سنة مجدبة ومعها صبيها وشاة ماتبض بقطرة لبن ولا لبن بثديها فلا ينام صبيها من الجوع قالت وماعلمت امرأة منا الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل يتيم فوالله مابقي من صواحبي امرأة الا أخذت رضيعا غيري فلما لم أجد غيره قلت لزوجي والله اني لاكره ان أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب من صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقدا على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره صلى الله عليه وسلم فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر اليه فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديي الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فأبى وكانت تلك حاله صلى الله عليه وسلم بعد قال أهل العلم أعلمه الله ان له شريكا فألهمه العدل ثم أخذته فما هو الا أن جئت به رحلي فقام صاحبي تعني زوجها الى شارفنا تلك فاذا بها حافل فحلب ماشرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله تعالى يزيدنا خيرا وفي رواية انها لما ودعت أمه وذهبت به على اتانها سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت فسبقت دوابهن فصرن يتعجبن ويقلن لها أهذه أتانك التي كانت ترفعك طورا وتخفضك أخرى فتقول نعم فيقلن لها ان لها لشأنا عظيما فسمعت الاتان تقول ان لي لشأنا عظيما بعثني الله بعد موتي ويحكن هل تدرين من على ظهري على ظهري خير الاولين والآخرين وأبدل من أتته قوله (ارضعته لبانها) بكسر أوله مفعول به ويجوز على بعد كونه مفعولا مطلقا لان معنى لبانها ارضاعها الذي نال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبنها فاللبان يختص بلبن الرضاع (في) بسبب هذا الارضاع لهذا المولود الافضل من سائر المخلوقات

(قوله فيه استعمال الخ) مبنى على نسخته التى وقع فيها لفظ البان وفى عدة نسخ ألبانهن (قوله ومكروا) اى الذين أحس عيسى منهم الكفر من اليهود بان وكلوا على عيسى من يقتله ومكر الله حين رفع عيسى وألقى شبهه على من قصد اغتياله حين قتل والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لايسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج وهو المشاكلة التى عبر بها الشارح وهى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته ومنها وجزاء سيئة سيئة مثلها فليس الجزاء عنها سيئة حقيقة بل لوقوعها فى صحبة لفظها أطلق عليها اسمها (قوله ويجوز كونه حالا) اى بتقدير قد (قوله تشول) اى بذيلها (قوله



المخلوقات (سقتها) اى حليمة (وبنيها) وقد كانوا أشرفوا على الهلاك من الجوع لما مر ان أرضهم كانت فى غاية المحل والجدب (ألبانهن) فيه استعمال البان فى غير لبن الرضاع وكان الحامل عليه مقابلته بلبانها السابق فيكون من باب المشاكلة نحو ومكروا ومكر الله وتعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك (الشاء) جمع شاة كرامة لذلك المولود صلى الله عليه وسلم وانما سقتهم مع ذلك المحل لا لبانها ببركته صلى الله عليه وسلم (أصبحت) فهو من أسلوب الحكيم ويجوز كونه حالا لانظار الصورة تعريفه وصفة نظرا لكون أل فيه جنسية نحو * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (شولا) بالتشديد جمع شائل وهى فى الاصل الناقة التى تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها أصلا فاستعمالها فى الشاة مجاز علاقته المشابهة (عجافا) اى هزيلات (وأمست) لم يرد باصبح وامسى معناهما بل أنها كانت فى حال فاعتراها نقيضه فى أقرب زمن وأسرعه فبينهما الطباق وان لم يرد بهما موضوعهما (ما بها) اى فيها (شائل) مبتدأ أو فاعل الظرف (ولا عجفاء) اى هزيلة وبين اثبات الشول والعجاف ونفيهما طباق على حد قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ولك ان تقول ليس ما هنا على وزان الآية لان الذى فيها نفى العلم عنهم واثباته لبعضهم لا بقيد زمن ولا غيره وما هنا فيه الاثبات فى زمن والنفى فى زمن آخر وهذا لا تضاد فيه حقيقة ولا ايهاما وشرط الطباق التضاد أو ايهامه ولو ببادئ الرأى كما هو معلوم من استقراء أمثلتهم وذكر الزمنين المختلفين يمنع من ذلك ولا ينافيه عدهم من الطباق قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه اذ الفاء تاتى لغير التعقيب فالايهام موجود على انا نمنعه قد لا تمنعه أيضا لان ضمير أحييناه للميت فكأنه قال أحيينا الميت وهذا فيه اجتماع الحياة والموت فتأمله (الخصب) من الخصب بكسر أوله وهو ضد الجدب (العيش) اى كثر قوت الآدميين والدواب (عندها) اى حليمة أو الشاء ويرجحه منها الآتى (بعد محل) اى شدة جدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ والزرع (اذ) اى ذلك الاخصاب وقت أو لاجل أن (غدا) اى صار (للنبى) الاعظم صلى الله عليه وسلم (منها) اى من الشاء (غذاء) بالمعجمة اى لبان يغذيه وبين غدا وغذاء الجناس السابق فى عنا وغناء

وهذا فيه اجتماع) فيه نظر ظاهر اذ كيف يأتى هذا الايهام مع الحكم بوقوع الموت فى الماضى الذى هو مدلول كان ثم خلفه الحياة اذ المعنى أومن كان ميتا بالكفر فأحييناه بالهدى فالزمان مختلف البتة والحق المنافاة وأنه مساو لما فى النظم كما لا يخفى على المنصف على أن الذى أفاده الفاضل الدلجى فى شرح هذا الكتاب أخذا من كلامهم ان المطابقة هى الجمع بين معنيين متضادين لا بمعنى كونهما أمرين وجوديين يتعاقبان على محل واحد بينهما غاية الخلاف كالسواد والبياض بل أعم منه بان يكون بينهما تناف وتقابل فى الجملة حقيقة أو اعتبارا تقابل تضاد أو تناقض او ايجاب وسلب أو ملكة وعدم ولا يخفى شموله لما فى النظم اه طبلاوى (قوله ويرجحه منها) قد يقال بل الاظهر كون حليمة مرجعا لان غذاءه صلى الله عليه وسلم منها بلا واسطة ومن الشاء بواسطتها (قوله الجناس السابق) تقدم انه المصحف المحرف الناقص والذى هنا المصحف الناقص فقط ثم راجعنا بعض شروح البديعيات فوجدنا المحرف ان تستوى الكلمتان فى الخط ويكون الشكل فارقا بينهما فيشمل اختلاف الشكل بالتشديد والتخفيف كما سبق واختلافه بالفتح والكسر كما هنا ومثلوا له بقول الحريرى

وقلت للائمى أقصر فانى * سأختار المقام على المقام

اى مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام على المقام فى بلده فالاختلاف بين الكلمتين بفتح ميم الاولى وضم ميم الثانية فما ذكره الشارح من وجود الثلاثة هنا صحيح

(قوله مردود) ذكر صاحب المغنى فى قوله الايا اسجدوا ان بعضهم حمله على حذف المنادى وبعضهم على التنبيه فهو من جملة محالها (قوله والتقدير الخ) يقتضى ان المنادى عاقل محذوف وذلك ينافى قوله آنفا فالنداء الخ وقوله فيه مجاز التشبيه الخ ويجاب بان مراده ان طلب الاقبال لا يكون حقيقة الا للعاقل فلا ينافى قوله والتقدير الخ وفيه نظر فحرر المقام والذى يظهر ان قوله وفيه مجاز التشبيه الخ ينافى قوله والتقدير الخ لان ما قرره فى التجوز يقتضى ان النداء واقع على النعمة المشبهة ولا يظهر لذلك معنى فى تركيب المتن وقوله والتقدير يقتضى ان المنادى محذوف عاقل والمعنى ظاهر عليه وقد علمت عدم منافاته لكون



الكلمة للتعجب لانه بيان للمعنى لا للوجه الاعرابى فتأمل (قوله اى نعمة منها عليه) اى ظاهر الكونها سببا فى غذائه بلبنها وأما فى نفس الامر فالمنة عليها بكون الله تعالى سخرها له لترضعه اذ هو عليه الصلاة والسلام أصل وجود كل خير لكل مخلوق (قوله والتأكيد) اى لمضمون الجملة التى بعدها فى المغنى ان اللام غير العاملة من أقسامها لام الابتداء وذكر من فوائدها توكيد مضمون الجملة وأنها تدخل باتفاق فى موضعين الابتداء نحو لأنتم أشد رهبة وبعد ان وتدخل على ثلاثة باتفاق الاسم والمضارع والظرف نحو ان ربى لسميع الدعاء ان ربك ليحكم بينهم وانك لعلى خلق عظيم وعلى ثلاثة باختلاف الماضى الجامد والماضى المقرون بقد والماضى المتصرف المجرد من قد اجازه الكسائى على اضمار قد نحو ان زيدا لعسى أن يقوم او لنعم الرجل وان زيدا لقد قام وان زيدا لقام واختلف فى دخولها فى غير باب ان على شيئين الاول خبر المبتدا المقدم نحو لقائم زيد الثانى الفعل المضارع نحو ليقوم زيد وقال ابو حيان فى ولقد علمتم هى لام الابتداء مفيدة لمعنى التأكيد ويجوز أن يكون قبلها قسم مقدر وأن لا يكون اه ماذكره فى المغنى باختصار وايضاح وبه تعلم ان قول الناظم لقد ضوعف على حد ماذكره ابو حيان فتكون للتأكيد بدون تقدير قسم او بتقديره فيصح اجتماعهما اى تقدير القسم والتأكيد خلافا لما اقتضاه ظاهر عبارة الشارح من التعبير باو (قوله ولان الارواح جنود مجندة) أخرجه البخارى ومسلم قال البيهقى سألت الحاكم اباعبد الله الحافظ عن معناه فقال المؤمن والكافر لا يسكن قلبه الا الى شكله اه

(ياالها) كلمة تعجب من هذه النعمة الجليلة من حليمة وهى مرضعته صلى الله عليه وسلم من غير مقابل ذوى ترجوه ونظير هذا التعجب قوله فى البردة *ياطيب مبتدا منه ومختتم* فالنداء فيه للتعجب اذ لا ينادى الا العاقل أو المنزل منزلته والعرب اذا استعظمت شيأ نادته على سبيل التعجب وهذا فيه مجاز التشبيه لتشبيه ما تعجب منه لعظمته بمنادى يسمع ويعقل وزعم ان ياللتنبيه مردود بانهم لم يذكروا هذا من محالها قيل والتقدير يامتعجبا تأمل طيب مبتداه ونظيره هنا يامتعجبا تامل ما استقر لها (منة) تمييز اى نعمة منها عليه (لقد) اللام للقسم أو للتأكيد (ضوعف الاجر) اى كرر الثواب اذ ضعيف الشئ ان يزاد عليه مثله أو أكثر (عليها) اى توالى وتتابع حال كونه مستوليا على حليمة فعلى على بابها من الاستعلاء المجازى أو على تلك المنة اى لاجلها على حد قوله ولتكبروا الله على ماهداكم اى لاجل هدايته اياكم وحال كونه (من جنسها) كما علم من قوله فسقتها الخ (والجزاء) من عطف الرديف اذ هو الاجر وذلك لان الجزاء من جنس العمل فلما سقته صلى الله عليه وسلم لبنها سقتها او بنيها اشياهها مع انها كانت وقت أخذه صلى الله عليه وسلم من أمه على غاية من الهزال وعدم اللبن فلاجل أن غذاءه كان من لبانها أزال الله عنها المحل والجدب وابدلها منهما الخصب والخير الكثير جزاء وفاقا واعلم ان ما حصل لحليمة من هذه المزية الجليلة انما نشأ عن تسخير الله اياها لهذا الفعل الجميل الصادر منها المنبئ عن سبق سعادتها (و) قد تقرر فى المعقول والمنقول أنه (اذا سخر) اى ذلل ووفق (الاله أناسا) اى فى الناس (لسعيد) اى لخدمته ومحبته والقيام بشأنه (فانهم) بسبب ذلك (سعداء) جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد وعونه وبره تتابع عليهم حتى يكونوا من سعداء الدنيا والآخرة ولان المرء مع من أحبه من الاكابر وان لم يعمل بعملهم كما صح الحديث به ولان الارواح كما فى الحديث

ايضا

أيضا جنود مجندة فما تعارف منها في عالم الارواح ائتلف في عالم الاجساد ومن أعظم ابرها وسعادتها توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها بل ردّ صلى الله عليه وسلم سبي هوازن اليهم بواسطة كونهم قومها وكانت تقدم عليه صلى الله عليه وسلم فيكرم مثواها ولذلك زاد في اكرام بنتها الشيماء لما اعتقها من جملة من أعتق من سبيهم كما يأتي وهذا من فن البديع المسمى بالكلام الجامع وهو ان يأتي الشاعر ببيت تكون جملته حكمة أو موعظة أو تنبيها أو نحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال كقول أبي الطيب

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام

وهو كثير في كلام الناظم * وأصل ما ذكره بقوله أرضعته الى هنا ما رواه ابن اسحق وغيره من قولها بعد ما قدمنا به عليها آتانا قدمنا أرض بني سعد ولا أعلم أرضا اجدب منها فكانت غنمي تروح على شباعا البنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان غيرنا قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى تؤمر الرعيان ان تسرح غنمها حيث تسرح غنمي فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعا البنا فلم نزل نتعرف من بركته صلى الله عليه وسلم الزيادة والبركة حتى مضت له سنتان وفطمته * ولما قرر ما حصل لها من الخصب بعد الجدب ببركة ارضاعها له صلى الله عليه وسلم ومن الجزاء من جنس عملها بكثرة لبن شياهها عقبه بما يبين ان تلك المضاعفة في قوله ضوعف بلغت مراتب كثيرة فقال (حبة) اي هذه الفعلة الصادرة من حليمة كما دل عليه السياق وبه يعلم ان هذا ليس من الاستعارة لان شرطها طي ذكر المستعار له بأن لا يكون في الكلام رمز اليه ولو تقديرا ومن ثم كان التحقيق في صم بكم الآية انه من التشبيه البليغ لدلالة السياق على المشبه الذي هو صم وقول البهاء السبكي انه استعارة رأي مخالف للجمهور فلا يعول عليه كحبة وأشار الى وجه الشبه الذي هو تضاعف الجزاء ليبين أنه ليس من التشبيه البليغ لان شرطه أن لا يذكر وجه الشبه بقوله (انبتت سنابل) كثيرة جمع سنبلة وهي مجتمع الحب في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ففيه اقتباس وحذف لفظ سبع لبيين أن العرب قد يذكرونها كالسبعين مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد المعروف (والعصف)

(قوله جنود مجندة) قال النووي جموع مجتمعة وأنواع مختلفة واما تعارفها فقيل انه موافقة صفاتها التي خلقها الله عليها وتناسبها في اخلاقها وقيل انها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها فمن وافق لصفته ألفه ومن باعده نافره اه من بعض شروح البخاري ثم قال الخطابي فيه وجهان أحدهما ان يكون اشارة الى معنى التشاكل في الخير والشر وان الخير من الناس يحن الى شكله والشرير يميل الى نظيره فالارواح انما هي تتعارف بضرائب طباعها التي جبلت عليها من الخير والشر فاذا اتفقت الاشكال تعارفت وتألفت واذا اختلفت تنافرت وتناكرت * والآخر انه روي ان الله خلق الارواح قبل الاجساد وكانت تلتقي فلما التبست بالاجسام تعارفت بالذكر الاول فصار كل منها انما يعرف وينكر على من سبق له من العهد المتقدم (قوله توفيقها للاسلام) قال السيوطي في الخصائص الصغرى قال بعضهم ولم ترضعه مرضعة الا أسلمت قال ومرضعاته أربع أمه وقد مر احياؤها وايمانها في حديث وحليمة السعدية وثويبة وأم ايمن وقد تقدم ذلك (قوله وهي مجتمع الحب) قال البيضاوي في قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم الآية اي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف أنبتت اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب المنفق اخلاصا وتعبا ومن أجل ذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب اه (قوله والعصف) قال البيضاوي في قوله والحب ذو العصف والريحان ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم وفي الخازن ان العصف ورق الزرع الاخضر اذا قطع رأسه ويبس

اي والحال ان ورق النبات اليابس كالتبن (لديه) اي عنده (يستشرف)
اي يتطلع (الضعفاء) اي حصلت تلك المضاعفة الكثيرة في تلك السنابل والحال ان
الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن
النبات فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها ذلك الخصب واللبن والحال ان قومها
يتطلعون الى ورقة حبة أو قطرة لبن فلا يجدونها (و) بعد أن انتهى امد رضاعه ببلوغه
سنتين (اتت) به (جده) عبد المطلب الذي في الرواية الآتية امه فلعل الناظم ذكر جده
لانه الاصل أو لان امه ما كانت تفعل شيأ الا بعد مشاورة جده ثم في سيرة ابن هشام ان
حليمة رضي الله عنها لما أتت به مكة اضلته في الناس فأتت جده واخبرته بذلك فدعا الله
حتى وجده (و) الحال انها (قد فصلته) اي فطمته (و) الحال انه قد لحق (بها من) أجل
(فصاله) اي فطامه (البرحاء) اي التألم الكثير لما شاهدت من توالي الخيرات وتتابع
البركات بسبب رضاعه واقامته عندها (اذ) اتت به وقت أو لاجل انه (أحاطت) أي
احدقت (به ملائكة الله) لاجل شق قلبه الشريف الآتي وهذا ظاهر على الرواية
الآتية انهم ثلاثة وكذا على رواية أنهم اثنان لانهما أقل الجمع عند جماعة (فظنت) حليمة
(بأنهم) الباء زائدة (قرناء) اي شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه واسرعت به الى جده
لتسلم من تبعته (ورأى) جده وامه حين ردته اليهما (وجدها) اي شدة محبتها له صلى الله
عليه وسلم وتعلقها (به) فرداه معها لذلك وليسلم من وباء مكة كما يأتي في الرواية وهذا حذفه
الناظم لكن سياقه يدل عليه (و) هي للحال المبينة لعظمة ذلك الوجد الذي رآه بها (من)
أجل (الوجد) الذي بها (لهيب) اي نار (تصلى) اي تحترق (به الاحشاء) جمع حشى وهو
ما انضمت عليه الضلوع ويحتمل انها استئنافية فمن ابتدائية وحينئذ فهذا من ارسال
المثل أو هو حكمة مفيدة ان شأن الوجد انه ينشأ عنه ذلك اللهيب الذي يحرق الاحشاء
وان وجدها من هذا القبيل فمن ثم رئي لها واطفأ نار ذلك الوجد برده اليها (فارقته)

(قوله لبلوغه سنتين) فيه ان كلام الناظم انما هو في اتيان ثان بعد بلوغه سنتين وشهرين أو ثلاثة بقرينة قوله اذ احاطت به الخ
وأما المقيد بسنتين انما هو في الاتيان الاول الذي رد صلى الله عليه وسلم فيه على حليمة اطابها الذلك كما سيأتي بسطه في قولنا وفي
الشرح (قوله أضلته) اي اضاعته فلم تعرف موضعه (قوله وبها من فصاله الخ) لا يخفى ان مجرد فطامه لا يترتب عليه تألم وانما
يترتب على بعده عنها ويجاب بان الفطام يلزمه البعد عنها الاخذ أهله له فتألمها ناشئ عما تعلمه من هذا اللازم (قوله فرداه الخ)
غير ظاهر لان الرد انما كان في الذهاب به لهما أولا عقب تمام السنتين وكلام الناظم انما هو في ذهابها به بعد أن مكث عندها
شهرين أو ثلاثة بعد رده لان احاطة ملائكة الله به انما هو في هذه المرة الثانية ولم يرداه بل أخذاه ولذا قال فارقته
وصرح بذلك الشارح نفسه في
شرح قوله ولا الافضاء فتأمل
(قوله لكن سياقه يدل عليه)
فيه ان ما دل عليه من السياق
كقوله وقد فصلته غير صريح
في هذه الدلالة فيمكن ان يريد
فصله بعد فطامه بشهرين أو
ثلاثة فلا يترك لاجله الصريح
من سياقه في عدم الرد كقوله اذ
أحاطت الخ وما هو الى الصراحة
في ذلك أقوى كقوله فارقته كرها
(قوله من ارسال المثل) وهو
الاتيان في بعض البيت بما
يجري مجرى المثل السائر من
حكمة أو نعت أو نحوهما كقول
أبي الطيب

لأن حلمك حلم لا تكلفه
ليس التكحل في العينين كالكحل

وكقول الصفي الحلي في بديعيته

رجوتكم نصحاء في الشدائد لي
لضعف رشدي واستسمنت ذا ورم

فقول الشارح أو هو حكمة الخ
من جملة ارسال المثل كما علمت من بيان حقيقته فكيف يعطف الحكمة المقتضى انها مغايرة بدل
له (قوله فارقته) فيه انها لم تفارقه وانما رده اليها كما علمت آنفا ويجاب بانها بعد رده عليها مكث عندها شهرين أو ثلاثة فخافت
عليه وزوجها بسبب ما علماه من شق صدره ولم يعلما انه أمر الهي وظنا أنه من الشيطان فرجعا به الى أمه وتركاه عندها كما
سيأتي في الشرح بابسط عبارة فيحتمل ان الناظم أراد مفارقته في هذه المرة الثانية وهذا الاحتمال ظاهر بقوله اذ احاطت
ويحتمل ان ذلك في المرة الاولى والمراد بفارقته ظنت المفارقة لكن ينافيه ما علمت من قوله اذ أحاطت الخ لان المرة الاولى
لم تحصل فيها هذه الاحاطة تأمل

(قوله كرها) الكره بالضم المشقة وبالفتح الاكراه يقال قام على كره اى على مشقة واقامه فلان على كره اى اكرهه على القيام وقال الكسائى هما لغتان بمعنى واحد مختار وفى القاموس الكره ويضم الاباء والمشقة أو بالضم ما اكرهت نفسك عليه وبالفتح ما اكرهك غيرك عليه كرهه كسمعه كرها ويضم وكراهة وكراهية بالتخفيف ومكرهة وتضم راؤه اه (قوله اى حال كونها ذات كراهية) فيه ان الكراهية لم يذكرها فى المختار ولا القاموس من معانى الكره ولعل الشارح ذكر لازم الكره بمعنى المشقة اذ يلزم من المشقة الكراهية وعدم الرضا (قوله شق عن قلبه) اى شق بطنه عن قلبه فأخرج ثم شق (قوله فى زمن الرضاع) فيه انه لم يقع فى الابعد الفطام بشهرين أو ثلاثة ويجاب بان المراد فى قرب زمن الرضاع وسيشير لذلك فى قوله عقب الرضاع فافهم وحاصل مرات الشق التى ثبتت أربع عقب رضاعه وبعد بلوغه نحو عشر سنين وعند مجئ جبريل له بالوحى بغار حراء وليلة الاسراء كما سيأتى ذلك فى الشرح (قوله ويؤيده الخ) قد تتبعت كلام الشارح فيما يأتى فلم اجده صرح بمجئ جبريل الا فى شق صدره عند مجيئه بالوحى وهو فى غار حراء ولم يذكر فى هذه المرة من مرات الشق الاربع ان جبريل ٥٥ ختم ولم يذكر الشارح الختم الا فى شق صدره بعد فطامه فان كان الخاتم من الملائكة الثلاثة جبريل رد كلامه هنا وان كان غيره فانظر فى اى مرة من مرات الشق الباقية ختم جبريل ليصح كلامه هنا فانا تأملنا كلام الناظم مع القصة الآتية فلم نره ذكر الختم الا فى المرة الواقعة بعد فطامه والحق ان جبريل هو الخاتم فى مرة شق صدره عقب الرضاع كما صرح به الشارح نفسه عند قوله صان اسراره الختام حيث قال الواقع من جبريل فاذكره هنا مردود (قوله بالنياط) هو عرق علق به القلب يسمى بالوتين اذا قطع مات صاحبه (قوله والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب) الظاهر أن هذا غير قول الشارح قبله القلب مضغة فى الفؤاد بان يكون كل منهما داخل الغشاء والقلب جزء من داخل الفؤاد تأمل (قوله ألين قلوبا) الذى فى تفسير القرطبى عند قوله تعالى ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا قال صلى الله عليه وسلم اتاكم أهل اليمن هم أضعف الناس قلوبا وارق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية وروى انه صلى الله عليه وسلم قال انى لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وفيه تأويلان احدهما الفرج لتتابع اسلامهم أفواجا الثانى ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه باهل اليمن وهم الانصار وقوله أضعف قلوبا اى اسرع فهما وانقى الا للخير وليراجع ٢قوله فرج ربكم هل هو بالجيم اى الذى أزال به الشدة بتتابع الاسلام أو بالحاء المهملة اى السرور الذى خلقه ربكم بكثرة المسلمين لاجل قمع الكافرين (قوله مشتق من التقلب) اى مأخوذ والا فالتقلب ليس فعلا ولا وصفا وقد قرروا ان الاخذ أوسع دائرة من الاشتقاق

بدل من انت (كرها) اى حال كونها ذات كراهية لفراقه لما شاهدت فى اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى زوجها او بنيها وسائر متعلقاتها (و) الحال انه (كان لديها) اى عندها (ثاويا) اى مقيما (لا عل) بالبناء للمجهول (منه) متعلق بقوله (الثواء) وهو الاقامة فهو مع ثاويا من جناس الاشتقاق اى لا عل اقامته بل تحب وترغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع المجبولة على حبه النفوس * ولما فرغ من قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم ذكر قصة شق صدره لانه السبب فى احضاره لجده وامه المذكورة آنفا ولذلك ابدل من قوله احاطت قوله (شق عن قلبه) بالكيفية الآتية فى القصة ويحتمل ان قوله شق عن قلبه استئناف لبيان مطلق الشق الشامل للواقع فى زمن الرضاع ومابعده مما يأتى ويؤيده انه ذكر فى قصته اشياء ككون الخاتم جبريل لم ترد فى قصة شقه عقب الرضاع بل فى شقه الذى بعد ذلك كما يعلم بتأمل كلام الناظم مع القصة الآتى بسطها وهو أعنى القلب مضغة فى الفؤاد معلقة بالنياط فهو اخص من الفؤاد قاله الواحدى والذى فى الصحاح انهما مترادفان قال البدر الزركشى والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم ألين قلوبا وارق افئدة وفرق الزمخشرى بان الفؤاد وسط القلب سمى به لتفوده اى توقده والقلب مشتق من التقلب الذى هو المصدر لفرط تقلبه

٢(قول المحشى وليراجع قوله فرج ربكم لعل ذلك وقع فى رواية غير التى ذكرها المحشى)

كما فى الحديث ومثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة فى فلاة يقلبها الريح بطنا لظهر (واخرج منه) اى القلب (مضغة) اى قطعة لحم قدر ما يمضغ (عند غسله) ظرف لأخرج (سوداء) صفة لمضغة وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم خرجت لانها من جملة الاجزاء الانسانية فعدمها نقص فى البدن وايضا فاخراجها بعد خلقتها على هذه الصورة البديعة ادل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقته صلى الله عليه وسلم بدونها ويأتى فى رواية صحيحة انه اخرج منه علقتان سوداوان ولا ينافى ماذكره الناظم انها واحدة لان المراد بها الجنس على ان الشق تكرر كما يأتى فلا بدع انه صلى الله عليه وسلم أخرج منه واحدة ثم ثنتان لان المراد المبالغة فى تطهيره صلى الله عليه وسلم وتكريمه وذلك يستدعى استقصاء تنظيف جوفه صلى الله عليه وسلم (ختمته) اى ذلك الشق المفهوم من شق وهى استئنافية او معطوفة على شق بحذف حرف العطف اى ثم بعد شقه لأمته واعادته الى ما كان عليه (يدى) جبريل عليه الصلاة والسلام (الامين) على كتب الله ووحيه (و) الحال ان ذلك القلب الكريم (قد أودع) حالة الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار الالهية (ما) اى الذى أو شيأ (لم تذع) بضم التاء وكسر الذال المعجمة اى تنشر (له) اللام زائدة اى مالم تنشره وتحيط به (انباء) أى أخبار لانه لا يعلمه الا موليه والمتفضل به عليه قال العلماء رضى الله تعالى عنهم جعل الله القلب فى الانسان هو الذى يعقل عنه وهو أصل وجوده وبه صلاحه وفساده وهو محل اسراره التى يودعها القلب من يشاء فأول قلب أودعها قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول خلق وصورته آخر صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو صلى الله عليه وسلم أولهم وآخرهم فلذا حاز جميع كمالاتهم وزاد عليهم بما لا يعلمه الا الله تعالى (صان) اى حفظ (اسراره) التى أودعت فيه وهو مفعول مقدم ذلك (الختام) الواقع من جبريل عليه الصلاة والسلام وهو ما يختم به الكتاب ونحوه من طين أو نحوه وبينه وبين ختمته جناس الاشتقاق (ف) بسبب هذه الصيانة (لا الفض) اى الكسر بالتفرقة (ملم) اى واقع (به) اى بذلك الختم (ولا الافضاء) اى الاشاعة واقعة لذلك السر وبين الفض والافضاء التجنيس المطلق ومن فيه فى قصر وقصور زيادة ويجرى ذلك فى قوله يدى الامين * وأصل قوله واتت جده الخ قول حليمة رضى الله تعالى عنها بعد ما قدمته عنها كما فى السير ثم لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته فكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن احرص شئ على بقائه عندنا لما نرى من بركته فقلنا لامه لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى

(قوله كما فى الحديث) وهو قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك وكان اذا اشتد اليمين قال لا ومقلب القلوب اهـ دنوشرى (قوله مضغة) ٥٦ هى المعبر عنها بالعلقة فى الحديث (قوله لأمته الخ) ظاهره ان هذا معنى ختمته وانه لا آلة قد ختم بها وسيأتى انه ختم بها فالمراد لأمته بعد ختمه بالآلة النورانية كما سيأتى لكن هذا الختم بالآلة المذكورة انما هو فى مرة الشق قرب زمن الرضاع وقد سبق للشارح ان جبريل لم يختم فيها وقد تقدم الكلام فى ذلك وقد يجاب بان التئامه واعادته من الملك الثالث والختم بالآلة من الثانى كما سيأتى فى رواية ابى يعلى فاذا كان الثالث هو جبريل وافق كلام الشارح هنا وفيما سبق لكنه سيصرح فى شرح صان اسراره الختام ان الختم واقع من جبريل (قوله اى أخبار) قال الراغب النبأ الخبر ذو الفائدة الجليلة يحصل به علم أو ظن غالب وحق الخبر الذى يسمى نبأ أن يتعرى عن الكذب (قوله صان اسراره الختام) قال الجوجرى وضمير اسراره يجوز ان يكون للنبى ويجوز ان يكون للقلب ويجوز جعله للامين وجملة فلا الفض ملم به مؤكدة لجملة صان اسراره الختام (قوله وهو ما يختم به الخ) بيان أصل معناه والمراد به هنا كما سيأتى فى الشارح آلة من نور يحار الناظر دونها (قوله لا الفض ملم به) راجع للختام وقوله ولا الافضاء راجع للاسرار المصونة بالختم ففيه لف ونشر غير مرتب كما أشار اليه ردته الشارح والمراد بكون الافشاء غير حاصل لتلك الاسرار اى على سبيل الاحاطة والا فبعضها قد اشيع كما لا يخفى (قوله يشب) بكسر الشين فهو من باب ضرب (قوله جفرا) اى قويا على الاكل

(قوله مع أخيه) اى واترب له من الصبيان بقرينة الرواية الآتية والاتراب جمع ترب وهو المساوى فى السن (قوله فى بهم) البهم جمع بهمة وهى أولاد الضأن اسم للمذكر والمؤنث والسخال أولاد المعز اه صحاح والبهام جمع بهم (قوله يشتد) اى يعدو (قوله رجلان) لا ينافى الرواية الآتية انهم رهط ثلاثة لانه نظر الى من باشر الاضجاع والشق والغسل والختم واخراج العلقة السوداء ومن وقع منه ذلك اثنان من الثلاثة ولم ينظر للثالث الذى ٥٧ وقع منه امرار اليد على الشق للالتئام

رده معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا به بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة فى بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أى بنى ماشأنك قال صلى الله عليه وسلم جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيأ فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به صلى الله عليه وسلم معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب فانطلقى نرده الى أهله قبل ان يظهر به ما نتخوفه قالت فاحتملناه الى امه فقالت ما رد كما به فقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى الاختلاف والاحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقانى شأنكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت أخشيتما عليه الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن فدعاه عنكما وفى حديث عند ابى يعلى وابى نعيم وابن عساكر كنت مسترضعا فى بنى ليث بن بكر فبينما انا ذات يوم فى بطن واد مع أتراب لى من الصبيان فاذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ ثلجا فاخذونى من بين اصحابى وانطلق الصبيان هرابا مسرعين الى الحى فعمد احدهم فاضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وانا انظر اليه ولم اجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح عنه ثم أدخل يده فى جوفى واخرج قلبى وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال باى اشار بيده يمنة ويسرة كانه يتناول شيأ فاذا بخاتم من نور يحار الناظر دونه فختم به على قلبى فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدى فانهضنى من مكانى انهاضا لطيفا الحديث وفى رواية عند البيهقى ان احد الثلاثة فى يده ابريق من فضة وبيد الثانى طست من زمردة خضراء وورد فى خبر التابوت المذكور فى الآية أنه كان فيه الطست الذى غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحكمة ختم قلبه المقدس الاشارة الى ختم الرسالة به صلى الله عليه وسلم قيل وانما يسلم هذا ان لم يختص الختم به اما اذا لم يختص به

واما الرواية الآتية فنظر فيها اليه فتأمل (قوله كنت مسترضعا الخ) وقد سبق أن الشق انما وقع بعد فطامه بشهرين أو ثلاثة ولم يثبت وقوع شق زمن الرضاع (قوله طست) باهمال السين واعجامها والجمع طساس وطسوس وطسات قال السيوطى فى المزهر وطست جمعه طساس بالسين لانها الاصل وأبدلت فى المفرد تاء لاجتماع سينين فى آخر الكلمة فكره للاستثقال فاذا جمع ردت الفرق الالف اى أو الواو بينهما اه (قوله فعمد) من باب ضرب بمعنى قصد اى عمدنى قال فى المختار وعمد للشئ قصد له اى تعمد وهو ضد الخطا (قوله مفرق) بفتح الراء وكسرها اى اعلى صدره (قوله فختم به على قلبى) وهذا غير خاتم النبوة الذى على أعلى كتفه الايسر فلا يعارض ما ذكره هنا ما سيأتى فى التنبيه الثانى (قوله فامتلأ الخ) ظاهره ان الامتلاء عقب الختم والروايات قاضية بان الامتلاء قبل الختم (قوله فأمر يده الخ) ظاهره عدم احاطة الشق لكن سيأتى فى التنبيه الثانى عن أنس كنت أرى أثر المخيط فى صدره فيحمل ما هنا جمعا بين الروايتين على ان الامرار بعد الخياطة لزيادة الالتئام والتبرك كمس اليد اوان فى بعض مرات الشق لم يكن خياطة وحصل الالتئام بمر اليد على الشق وفى بعضها خياطة وجاء فى رواية انه ذر على الشق ذرور فلعله فى بعض مراته أيضا تأمل (قوله من زمردة) لينظر التوفيق بين هذه الرواية ورواية من ذهب فان ثبت ان الثالث كان بيده طست من ذهب انتفى التعارض

٨ ج

كما مر قال الحكمة انه من جملة علامات النبوة ولذا شاركه فيها غيره على أن هذه الكيفية
المذكورة في شق قلبه صلى الله عليه وسلم الظاهر انها من خواصه سيما مع تكرار الشق
لان الوارد فيهم عليهم الصلاة والسلام مجرد غسل قلوبهم وهذا لا يستلزم هذه الكيفية
البديعة البالغة من خرق العادة والتعظيم مبلغا لايدركه العقل وروى الشق ايضا وهو
ابن عشر سنين او نحوها مع قصة له مع عبد المطلب ابو نعيم في الدلائل ورواها عبد الله بن
الامام احمد في زوائد مسند ابيه بلفظ قال ابو هريرة يارسول الله ما اول ما ابتدئت به من
امر النبوة قال اني لفي صحراء واسعة امشي ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق رأسي يقول
احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذاني فاضجعاني لحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان
أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي فقال أحدهما لصاحبه
افلق صدره فاذا صدري فيما أرى مفلوقا لا أجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال
اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذه ثم قال أدخل الرحمة والرأفة قلبه
وأدخل شيئا كهيئة الفضة ثم أخرج ذرورا كان معه فذره عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد
فرجعت بما لم أغد به من رحمتي للصغير ورأفتي للكبير وروى خامسة ولا تثبت وحكمة شق
صدره الشريف في حال صباه واستخراج ما مر منه تطهيره عن نقائص الصبا ليكون حينئذ
على أكمل صفات الرجولية ولذلك نشأ صلى الله عليه وسلم على أكمل الاحوال قال بعض
الائمة ولعل هذا الشق كان سببا لاسلام قرينه المروي عند البزار أو اشارة الى حظ
الشيطان المباين له كالعفريت الذي أراد أن يقطع عليه صلاته وأمكنه الله منه واما قول
الرازي وقوعه في حالة الطفولية مشكل لانه معجزة وهي لا يجوز تقدمها على النبوة لان
الذي عليه أكثر أهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالتحدي فمردود بان هذا من باب
الارهاص لا المعجزة ونظائر ذلك كثيرة قيل وهذا الشق هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك
صدرك * (تنبيه اول) * ثبت شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبريل عليه
الصلاة والسلام له بالوحي وهو صلى الله عليه وسلم بغار حرا كما يأتي وممن رواها
الطيالسي والحرث في مسنديهما وكذا أبو نعيم ولفظه ان جبريل وميكائيل شقا صدره
صلى الله عليه وسلم وغسلاه ثم قالا له اقرأ باسم ربك الآيات والحكمة فيه كمال انتهى
والتقوى على ما يلقى اليه من القول الثقيل بقلب قوي في أكمل احوال التطهير وثبت
مرة اخرى تواترت بها الروايات خلافا لمن أنكرها ليلة الاسراء في البخاري وغيره انه صلى
الله عليه وسلم شق قلبه فيها وهو بالمسجد قبل أن يخرج به الى ركوبه البراق فشق من ثغرة
نحره الى عانته فاستخرج قلبه فغسل في طست من ذهب أي لان تحريم الذهب انما كان
بعد على أن الغالب في أحوال تلك الليلة انه من أحوال الغيب فيلحق باحكام الآخرة
مملوءة حكمة وايمانا ثم حشي وتجسيم المعاني جائز ومنه الرواية الصحيحة بذبح الموت ثم

لا الختم على قلبه فحرر (قوله
لحلاوة القفا) قال في الصحاح
ووقع فلان على حلاوة القفا
بالضم اي على وسط القفا وكذلك
على حلاوى القفا وحلواء اذا
فتحت مددت واذا ضممت قصرت
(قوله من القول الثقيل) أي
القرآن فانه لما فيه من التكاليف
الشاقة ثقيل على المكلفين سيما
على الرسول صلى الله عليه وسلم
اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها
امته انتهى بيضاوي (قوله ثغرة)
بضم المثلثة وسكون الغين
المعجمة وهي الموضع المنخفض
الذي بين الترقوتين (قوله بذبح
الموت) هذا مبني على ان الموت
عرض لا جسم وقد وردت آثار
تصرح بأنه جسم لا عرض أخرج
ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله
تعالى الذي خلق الموت والحياة
قال الحياة فرس جبريل والموت
كبش أملح وقال مقاتل والكلبي
خلق الموت في صورة كبش لا يمر
على أحد الا مات وخلق الحياة
في صورة فرس لا يمر على أحد
الا حيي وأخرج أبو الشيخ في كتاب
العظمة عن وهب بن منبه قال
خلق الله الموت كبشا أملح مستترا
بسواد وبياض له أربعة أجنحة
جناح تحت العرش وجناح في
الثرى وجناح في المشرق وجناح
في المغرب قال له كن فكان ثم قال له ابرز فبرز الموت لعزرائيل وبهذه الآثار علم ان الموت جسم خلق في صورة اعيد
كبش لا عرض واتضح ما ورد في حديث الصحيحين يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار =

أعيد وحكمة هذا الشق الثاني التهيؤ للرقي الى الملا الاعلى والتقوى على استجلاء ما شاهد تلك الليلة ولما لم يتفق هذا لموسى صلى الله عليه وسلم لم يطق الرؤية وجميع ما ورد من الشق واخراج القلب وغيرهما يجب الايمان به وان كان خارقا للعادة ولا يجوز تأويله لصلاحية القدرة له ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة المكفرين عند أكثر العلماء في تأويلهم نصوص سؤال الملائكة وعذاب القبر ووزن الاعمال والحوض وغير ذلك بالتشهي فقبح الله هؤلاء ومن تبعهم وقد رمى ابراهيم صلى الله عليه وسلم في النار فكانت عليه بردا وسلاما وهذا الشق أبلغ في الصبر والكرامة مما وقع لاسمعيل عليه الصلاة والسلام فانه من مقدمات ذبح لا حقيقته كما هو رأى أهل السنة وبتقديره الذى ذهب اليه المعتزلة انه اضجعه وأمر السكين على حلقه فلم تقطع شيأ وبتقديره فذلك مقتل واحد وهذه مقاتل عديدة شق الصدر ثم اخراج القلب ثم شقه ووقع له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق الاول نوع مشقة لرواية فأقبل وهو منتقع اللون اى صار كلون النقع اى الغبار وهو شبيه بألوان الموتى ومعنى قول ابن الجوزى فشقه وما شق عليه انه صبر صبر من لم يشق قلبه ومما يدل على المشقة انه بعد ما فطم مع انفراده عن امه ويتمه من أبيه واختطافه من بين الاطفال ليكون ذلك تسهيلا لما يلقاه في المآل ومن ثم لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم أحد قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وفي رواية انه غسل ليلة الاسراء بماء زمزم أى لانه يقوى القلب ويسكن الروع وأخذ البلقيني من ايثار الملك له على ماء الكوثر انه افضل منه وهو ظاهر خلافا لمن نازع فيه بما لا يجدى كما بينته في شرح العباب وفي وضع الايمان والحكمة بالقلب دليل لما عليه أكثر أهل السنة ان العقل في القلب كما دلت عليه الآيات لا في الدماغ * (تنبيه ثان) * قال القاضى عياض رحمه الله تعالى خاتم النبوة أثر شق الملكين بين كتفيه وابطله النووى رحمه الله تعالى بان شقهما كان في بطنه وصدره أى كما في الروايات ومن ثم صح عن أنس رضى الله تعالى عنه كنت أرى أثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم فالصحيح أو الصواب انه كان عند نغض كتفه الايسر وهو بنون مضمومة وقد تفتح فمعجمتين أعلاه ورواية الايمن ضعيف قيل ولد به صلى الله عليه وسلم وروى ابو نعيم انه جعل عقب ولادته صلى الله عليه وسلم والذى في حديث البزار وغيره عن أبي ذر يا رسول الله متى علمت انك نبى وبما علمت حتى استيقنت قال أتانى اثنان وفي رواية ملكان وأنا ببطحاء مكة الحديث وفيه قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطنى فأخرج قلبى فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء أى الثوب الذى يتغطى به ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن وولياعنى فكأنى أرى الامر معاينة وعند الامام أحمد وصححه الحاكم استخرجا قلبى فشقاه فأخرجا منه علقتين

= ثم يقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم وكل قد رآه هذا الموت فيذبح زاد أبو يعلى في روايته عن أنس كما تذبح الشاة والاملح المختلط بياضه بسواد كما سبق عن وهب (قوله في هوة) الهوة بالضم الوهدة العميقة (قوله مقدمات ذبح) وهى انقياده وانقياد أبيه لذبحه وتله أى اضجاعه على جنبه ووضع جبينه بالارض كما ذكره الله في كتابه العزيز بقوله فلما أسلما وتله للجبين وما زاد على ذلك ليس مذهب أهل السنة ولم يثبت وان أكثر منه كثير من المفسرين كالخازن (قوله وبتقديره) أى الذبح ما ذكره عن المعتزلة ليس على تقدير الذبح وانما فيه مجرد الاضجاع وامرار السكين على حلقه ولم تقطع والذبح الذى هو قطع الحلقوم لم يقولوا به وقوله ثانيا وبتقديره أى القطع فذلك الخ (قوله انه صبر الخ) أو معناه ما شق عليه مشقة عظيمة ويدل له قوله الشارح قريبا نوع مشقة (قوله كان عند نغض كتفه الايسر) وقد ورد انه رفع عند موته (قوله الملاء) الملاءة بالضم ممدود الريطة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقتين والجمع ريط ورياط وجمع ملاءة ملاء من غير هاء فقول الشارح أى الثوب حقه الثياب (قوله وجعل الخاتم بين كتفى) هذا يرد القول بأنه ولد بالخاتم وفي الدلائل لابى نعيم انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت آمنة ان الملك غمسه في الماء الذى انبعه ثلاث غمسات ثم أخرج صرة من حرير أبيض فاذا فيها خاتم فضرب به على كتفه كالبيضة المكنونة تضيء كالزهرة شرح البخارى للقسطلانى

سوداوين فقال أحدهما لصاحبه ائتنى بماء وثلج فغسلا به جوفى ثم قال ائتنى بالسكينة فذراها فى قلبى ثم قال أحدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة * (تنبيه ثالث) * اختلفت الروايات فى كيفية تشبيه ذلك الخاتم على أنواع كثيرة بيضة الحمام شعر مجتمع بضعة ناشزة بندقة سلعة شئ يختم به تفاحة شامة خضراء محتفرة فى اللحم شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات زر الحجلة أى البشخانة وزعم انها هنا هى الطائر المعروف وزرها بيضها مردود قال المحققون ولا اختلاف فى الحقيقة بل كل شبه بما سنح له وكلها ألفاظ مرادها واحد وهى قطعة لحم بارزة عليها شعرات اذا قال قيل كبيضة الحمام واذا كثر قيل كجمع الكف أى على هيئته لكن أصغر منه ويشكل عليه رواية محتفرة فى اللحم ويجاب بانه يحتمل ان حواليه احتفارا ليزداد ظهورها وتميزها عن الجلد وفى المستدرك عن وهب ان شامات الانبياء فى ايمانهم فعليه وضعه عند الكتف الايسر من خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم * (فائدة) * أخرج البيهقى والخطيب وابن عساكر وغيرهم عن العباس رضى الله تعالى عنهما قلت يا رسول الله دعانى الى الدخول فى دينك امارة النبوة رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال انى كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء واسمع وجبته اى سقطته حين يسجد تحت العرش قال البيهقى تفرد به مجهول وقال الصابونى هذا حديث غريب الاسناد والمتن فى المعجزات حسن وبفرض صحة الاول هو من حيز الضعيف وهو يعمل به فى المناقب قال بعض حفاظ المتأخرين اتفاقا كالفضائل انتهى وقس على ذلك كل حديث ورد فى المناقب ولم يعارضه غيره مما هو مقدم عليه فاستحضر ذلك عند رؤيتك لكل حديث ضعيف وجدته فى المناقب فان هذه القاعدة مما يعظم نفعها جدا ويجهلها أكثر المحصلين ولما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق صدره صلى الله عليه وسلم ذكر حكم نشأته صلى الله عليه وسلم فى حال طفوليته وما بعدها مبينا ان الفه الآتى نتيجة ما أودعه الله فى قلبه بعد شقه من الاسرار والكمالات فقال (ألف النسك والعبادة) عطف تفسير اى اعتادهما واستمر عليهما (والخلوة) عن الناس فى حال كونه (طفلا) فما بعده كما نهم بالاولى واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله والجمهور لا والا لنقل وعليه قيل كان يتعبد الهاما من الله تعالى ولانه لو تعبد بشرع أحد لظن انه من اتباعه ولاحتج أهله به عليه ولم يوجد وعلى الاول فقيل بشرع لم يعرف وقيل بشرع نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى ومعنى أن اتبع ملة ابراهيم أى فى التوحيد وخص لانه الاب الاقرب المبشر به الداعى ببعثته مع مدحه له بانه صاحب الكتاب والحكمة البالغين من كمال التزكية ما لم يبلغه كتاب غيره على ان المراد فى كيفية الدعوة من الرفق والحلم الذى لم

(قوله وختم عليه بخاتم النبوة) ظاهره على القلب فتنافى هذه الرواية رواية ابى ذر فان عاد الضمير للنبى وان كان بعيدا انتفى التنافى يعنى وختم على كتف النبى (قوله مردود) أى لان الزر لم يأت بمعنى البيض وحمله على الاستعارة تشبيها لبيضها بازرار الحجال انما يصار اليه ان ورد ما يصرف اللفظ عن ظاهره واما اذا لم يرد ذلك فلا ينبغى صرفه عن ظاهره المتبادر الى هذا الانشاء البعيد ورواية كبيض الحمام لا تؤيد ذلك الصرف خلافا لمن زعمه انتهى من شرح الشمائل للشارح (قوله اذا قال قيل كبيضة الحمام) فيه ان البندقة التى قيل بها أقل فكان الظاهر أن يقول اذا قال قيل كالبندقة (قوله كجمع) بضم الجيم واسكان الميم وحكى كسر الجيم والمراد صورته بعد ان تجمع الاصابع وتضم (قوله مبينا الخ) أى بقوله واذا حلت الهداية الخ لان المراد بها الوصول المرتب على القاء الحكمة والعلم والسكينة فيه بعد شقه (قوله واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله) قال شيخ الاسلام فى حاشية شرح جمع الجوامع للمحلى محل اختلافهم فى فروع اختلفت فيها الشرائع اما الاصول التى اتفقت عليها الشرائع كالتوحيد ومعرفة الله تعالى وصفاته فلا خلاف فى التعبد بها لجميع الانبياء لان دينهم واحد انتهى (قوله ومعنى ان اتبع الخ) أى على القول بتعبده بشرع غير ابراهيم بناء على هذا القول الضعيف (قوله وخص الخ) جواب عما يقال ان غير ابراهيم مثله فى ذلك فما وجه تخصيصه بالامر بالاتباع (قوله الداعى الخ) أى بقوله كما حكاه الله عنه فى كتابه العزيز ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية (قوله على ان المراد) ==

= أى وتجرى فى الجواب زيادة عما سبق على ان الخ ولو قال أو فى كيفية الخ عطفا على فى التوحيد لكان أوضح (قوله والذى فى الآية بعدها) اى ومعلوم ان له شرعا انزل عليه مأمورا باتباعه فلا يتوهم انه من أتباع سيدنا ابراهيم ولا يحتج أهل شرعه بما سبق (قوله الى حراء) بكسر الحاء والمد وحكى الاصيلى فتحها والقصر وعزاها فى القاموس للقاضى عياض ويمنع من الصرف ان أريد البقعة ويصرف ان أريد المكان وقباء كذلك أى فيما ماذكر ٦١ فى حراء (قوله والظاهر الخ) أى ليس تنسكه قاصرا

يوجد كماله الا لابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين وغايته الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد أمر باتباع الكل فى فبهداهم اقتده مع اختلاف شرائعهم ومع ان فيهم من ليس برسول كيوسف على قول فتعين ان المراد أصول التوحيد والاخلاق فان قلت لا يحتاج للجواب عن ذلك لان الكلام فيما قبل النبوة والذى فى الآية بعدها قلت بل يحتاج اليه كما ستعوه لان القائلين بأنه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى انه أمر باتباعه فيما لم ينزل عليه فيه شئ فأمره بذلك بعد النبوة يدل على انه كان يأتيه ويعمل به قبلها والا فكيف يؤمر باتباع مالم يعرفه قال السراج البلقينى ولم يجئ فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام لكن روى ابن اسحق وغيره انه كان يخرج الى حراء فى كل عام من السنة يتنسك فيه وكان من تنسك قريش فى الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة انتهى والظاهر كما قاله غير واحد ان عبادته صلى الله عليه وسلم كانت الذكر والفكر مع اكثاره للخلوة والانفراد عن الناس بحراء وغيره (وهكذا النجباء) أى ومثل هذا الشان العلى شأن الكرام الكمل فما بالك بأكملهم وسيدهم على الاطلاق ويليه فى ذلك ابوه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه اعتزل قومه وانقطع الى الله تعالى منتظرا لفرج مولاه فان انتظاره عبادة كما فى الحديث وفى البيت من انواع البديع ثانى اقسام التناسب وهو تشابه الاطراف بأن تتناسب معانيها اذ النجابة آخره يناسبها الف ماذكر لانها السبب فى ذلك وثالث اقسامه أيضا وهو مناسبة اللفظ للمعنى فى الرقة والسهولة او الشدة والصعوبة ومنه حديث الا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف اغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لابره الا أخبركم بأهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر فأتى من اوصاف أهل الجنة بما يناسب حالهم فى الرقة والانكسار ومن أوصاف أهل النار بما يناسب حالهم فى الشدة والغلظة والاباء والترفع عن قبول الحق والفاظ البيت تناسب معناه فى السهولة وحسن السبك والانقطاع عن النظير وقوله وهكذا النجباء تذييل وهو تعقيب الجملة بأخرى تشتمل عليها للتأكيد وهو ضربان أحدهما وهو ماهنا ما خرج مخرج المثل نحو وهل يجازى الا الكفور وكما (و) انما كان

على تنسك الجاهلية بل كان يزيد عليهم بالذكر والتفكر وان أوهم كلام الشارح اقتصاره عليهما فانه عليه الصلاة والسلام أكرم الخلق فيكون اطعامه لمن جاءه عمن ذكر أبلغ من اكرام غيره (قوله النجباء) جمع نجيب وهو الكريم المصطفى والنجيب كظرف وانتجبه اختاره واصطفاه (قوله كل ضعيف) برفع كل لاغير أى هم كل ضعيف عن أذى الناس أو عن المعاصى ملتزم الخشوع والخضوع وقوله متضعف قال النووى فى شارح مسلم بفتح العين وكسرها والمشهور الفتح ولم يذكر الاكثرون غيره ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله فى الدنيا وقال واما رواية الكسر فمعناها متواضع متذلل خامل (قوله ذى طمرين) تثنية طمر وهو الثوب الخلق والجمع أطمار (قوله الا أخبركم باهل النار الخ) وفى الحديث ان رجلا قال يارسول الله من أهل النار قال

كل شديد قعبرى قيل يارسول الله وما القعبرى قال الشديد على الاهل الشديد على العشيرة الشديد على الصاحب انتهى هروى فى غريبه ومنه أيضا فى الحديث أهل النار كل جظ قيل يارسول الله وما الجظ قال الضخم (قوله كل جعظرى) قال الهروى فى الغريبين الجعظرى الفظ الغليظ وفى رواية أخرى هم الذين لا تصدع رؤسهم ويقال رجل جعظرى وجعظار وجعظارة وهو الذى ينتفخ بما ليس عنده وفيه قصر والجواظ الذى جمع ومنع (قوله أحدهما الخ) و الثانى تعقيب الجملة بأخرى تحققها ولا تزيد على المعنى الاول وانما هى لمجرد التأكيد ولم تجر مجرى المثل كقول بعض العرب ودعوا نزال فكنت أول نازل * وعلام اركبه اذا لم انزل =

هذا شأن النجباء من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم صالحى اممهم لما هو المستقر المعلوم انه (اذا حلت الهداية) وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة فقط ومن الاول انك لا تهدى من احببت أى لا توصله ومن الثانى واما ثمود فهديناهم اى دللناهم ولم نوصلهم بدليل فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا لم يستحبوا ذلك (قلبا نشطت فى العبادة الاعضاء) لان القلب هو رئيس البدن المعول عليه فى صلاحه وفساده ومن ثم صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وهذا من الكلام الجامع الذى مرت نظائره واعلم ان بين انتهاء رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع له بعده وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقائع وقعت له لا بأس بالاشارة اليها باختصار وذلك ان حليمة رضى الله تعالى عنها لما ردته الى امه وجده كان فى كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتا حسنا ويوفقه لافضل الاعمال والاحوال كما أشار الى ذلك الناظم بقوله ألف النسك الخ ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين وقيل اثنتى عشرة وشيأ وبين ذلك أقوال أخر ماتت امه وكانت قد قدمت به طيبة تزور اخوال أبيه فأقامت به عندهم شهرا ومعهاام ايمن كما اخرج ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما رأى دار النابغة قال ههنا نزلت بى أمى واحسنت العوم فى بئر بنى النجار وكان قوم من اليهود يختلفون وينظرون الى قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبى هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما رجعت به امه ماتت بالابواء وفى رواية انها دفنت بالحجون وفى أخرى فى بعض دور مكة كما فى القاموس وحضنته بعدها امته ام ايمن بركة ثم مات جده كافله وله ثمان سنين وقيل أكثر وقيل أقل فقيل ست وقيل ثلاث فكفله عمه أبو طالب شقيق والده واخرج ابن عساكر عن عرفطة قال قدمت مكة وهم فى سنة قحط فقالت قريش يا أبا طالب اقحط الوادى وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن انجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب الغلام والصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما فى السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادى واخصب النادى والبادى وفى ذلك يقول أبو طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهذا البيت من جملة قصيدة له فيها مدح عجيب له صلى الله عليه وسلم حتى أخذ الشيعة منها القول باسلامه ويوافقه رواية ضعيفة عن العباس انه أسر اليه الاسلام عند موته ويوافق ذلك أيضا ما فى رواية البيهقى الآتية لله در أبى طالب الخ لكن صرائح الاحاديث المتفق

= كذا فى بعض شرح البديعيات (قوله ماخرج مخرج المثل) أى ليتحقق به ماقبله لما يتضمن من زيادة المعنى (قوله نشطت) نشط كسمع (قوله كلاءة الله) كلاه الله يكلؤه مثل ٦٢ قطع يقطع كلاءة بالكسر والمد حفظه انتهى مختار (قوله النابغة) قال الشامى فى سيرته بالتاء المثناة والباء الموحدة والعين المهملة (قوله بالابواء) تقدم فى الشرح انه محل قريب من رابغ انتهى (قوله بالحجون) جبل بمكة (قوله عرفطة) بضم العين واسكان الراء وبفاء مضمومة وطاء مهملة مفتوحة ثم تاء التأنيث وهى فى الاصل شجر من العضاه الواحدة عرفطة سمى بها عرفطة بن الحباب الصحابى قاموس (قوله كأنه شمس دجن) الدجن الباس الغيم السماء (قوله أغيلمة) اعلم ان المفرد غلام وهو الطار الشارب والكهل ضدا ومن حين يولد الى أن يشيب والجمع أغلمة وغلمة وغلمان وهى غلامة انتهى من القاموس فقياس التصغير غليمة تصغير غلمة بكسر الغين وسكون اللام جمع غلام فقول الشارح فى تصغيره اغيلمة شاذ كما صرح به الاشمونى فى شرح قول الخلاصة وحائد عن القياس كل ماخالف الخ (قوله وما فى السماء قزعة) قال فى الصحاح القزع قطع من السحاب رقيقة الواحدة قزعة (قوله واغدق) اى كثر قال فى القاموس واغدق المطر واغدودق كثر قطره (قوله ويوافقه الخ) قال القرطبى فى المفهم وكان أبو طالب يعرف صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما يقوله ويقول لقريش تعلموا والله ان محمدا لم يكذب قط ويقول لابنه على اتبعه فانه على الحق غير انه لم يدخل فى الاسلام ولم يزل على ذلك حتى حضرته الوفاة فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم طامعا فى اسلامه وحريصا عليه باذلا فى ذلك جهده مستفرغا ما عنده ولكن عاقت عن =

ذلك عوائق الاقدار التى لا ينفع معها حرص ولا اعتذار فقال يا عم ٦٣ قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله انتهى

على صحته اثر ذلك وهى أكثر من ثمانين بيتا استوفاها ابن اسحق لكنه ذكر ان انشاءها كان بعد المبعث وقد يجمع بأنه ذكر هذا البيت اثر هذه الواقعة ثم كلها بعد المبعث ثم رأيت فى شرح المنهاج للدميرى فى باب الاستسقاء عن الطبرانى وابن سعد ان عبد المطلب استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم فسقوا ولذلك يقول فيه عبد المطلب يمدحه صلى الله عليه وسلم وأبيض يستسقى الغمام بوجهه البيت وفيه مخالفة لما مر ان المستسقى به أبو طالب وانه القائل للبيت فاما الاول فيمكن الجمع بين الروايات المتخالفة فيه بتكرر الواقعة اذ واقعة أبى طالب كان الاستسقاء به فيها عند الكعبة وواقعة عبد المطلب كان أولها انهم أمروا باستلام الركن ثم برقى أبى قبيس ليدعو عبد المطلب ومعه النبى صلى الله عليه وسلم ويؤمن القوم عليه ففعل فسقوا لكن قال الحافظ نور الدين الهيثمى شيخ الحافظ بن حجر وتلميذ الزين العراقى عن رواية الطبرانى فى سندها رجال لا أعرفهم أى لكن لا يؤثر ذلك فيها لان الحديث الضعيف يعمل به فى الفضائل اتفاقا قال بعض الحفاظ وكذا المناقب كما مر آنفا على ان صاحب الروض ذكر روايتين عن ابن الاعرابى وغيره يوافقانها وحينئذ تعين الجمع بما ذكرته وأما الثانى فكون أبى طالب هو الذى انشأ ذلك البيت هو ما درج عليه أئمة السير وغيرهم ومن ثم جعله السهيلى فى روضه أمرا مقررا ثم بنى عليه اشكاله وجوابه الآتى ردهما واما قول الدميرى انه من انشاء عبد المطلب فهو وهم منه وسبب الوهم انه فى آخر قصة عبد المطلب ان رفيقة بنت أبى صيفى بن هاشم وهى التى سمعت الهاتف فى النوم أو اليقظة لما تتابعت على قريش سنون أهلكتهم يصرخ يا معشر قريش ان هذا النبى المبعوث قد أظلتكم ايامه وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحيا والخصب ثم أمرهم أن يستسقوا به وذكر قصة يطول شرحها وحاصلها ما مر فلما قصت الرؤية وهى الرائية المذكورة فى القصة انشأت تمدح النبى صلى الله عليه وسلم بابيات آخرها

مبارك الوجه يستسقى الغمام به • ما فى الانام له عدل ولا خطر

فكان الدميرى لما رأى هذا البيت فى رواية قصة عبد المطلب التى رواها الطبرانى وهو يشبه بيت أبى طالب اذ فى كل استسقاء الغمام به وهو المقصود توهم ان بيت أبى طالب لعبد المطلب فوهم من وجهين أحدهما نسبته هذا البيت لعبد المطلب وانما هو لرفيقة والحكم عليه بانه عين البيت المنسوب لابى طالب وليس كذلك بل شتان ما بينهما فتأمل هذا المحل فانه مهم وقد اغتر بكلام الدميرى هذا من لا خبرة له بالسير المأخوذة من الكتب المعتمدة ثم رأيت ما يقطع بغلط الدميرى وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم نسب وأبيض يستسقى الغمام البيت لابى طالب كما أخرجه البيهقى عن أنس رضى الله عنه لما جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم يجر رداءه فقال يا رسول الله أتيناك وما لنا صبى يغط ولا بعير يئط أى ما لنا بعير أصلا لانه اذا وجد لا بد ان يئط وانشد ابياتا فقام النبى صلى الله

(قوله وهى أكثر من ثمانين بيتا) قال العينى فى شرح البخارى وهى مائة بيت وعشرة أبيات (قوله رفيقة) بالفاء بخطه مصغرا والذى فى الاصابة انه بقافين مصغرا انتهى (قوله ابان) بالكسر والتشديد اى وقتها (قوله بالحيا) بالقصر وبمد أى المطر واما بالمد فهو التوبة والحشمة والفرج من ذوات الخف والظلف وقد يقصر انتهى من القاموس ورايت فى كلام بعض العلماء ان الحياء انقباض النفس عن شئ وتركه حذرا من اللوم فيه وهو الجبلة التى خلقها الله فى النفوس كلها كالحياء من كشف العورة وايمانى وهو ما يمنع المؤمن من فعل المعاصى خوفا من الله وهذا القسم مما يكتسبه المؤمن ويتخلق به وسيأتى فى الشرح عند قوله وراته خديجة البيت ما فيه نوع مخالفة لذلك مع بيان ان الملكات تزيد فانظره (قوله عدل) بالكسر المثل وبالفتح أصله مصدر عدلت هذا عدلا انتهى (قوله ولا خطر) قال الجوهرى وخطر الرجل قدره ومنزلته انتهى (قوله يغط) الغطيط الصوت الذى يخرج مع نفس النائم وهو ترديده حيث لا يجد مساغا (قوله يئط) الاطيط صوت الرحل والابل من ثقل أحمالها وكذلك صوت الجوف من الخوى وحنين الجذع

عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فارديده الى نحره حتى انبعثت السماء بابراقها وعادوا يضجون فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا القرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على رضى الله عنه يارسول الله كأنك تريد قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

مع ابيات أخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل فهذا نص صريح من الصادق بان منشئ البيت أبو طالب فنسبته لعبد المطلب غلط صريح * (تنبيه) * تصريحي برواية ابن عساكر هذه يسقط قول السهيلي في روضه فان قيل كيف قال ابو طالب وابيض البيت ولم يره قط استسقى انما كان استسقاؤه صلى الله عليه وسلم بالمدينة في سفر وحضر وفيها شوهد ما كان من سرعة اجابة الله تعالى له فالجواب ان أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضا في حياة عبد المطلب مادله على ماقاله انتهى ووجه سقوطه ماتقرر ان اباطالب استسقى به صلى الله عليه وسلم فسقى فانشد ذلك حينئذ والعجب من شيخ الاسلام ابن حجر انه غفل أيضا عن رواية ابن عساكر هذه فأجاب عن استشكال السهيلي بقوله ويحتمل أن يكون ابو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك اذ لو استحضر رواية ابن عساكر هذه لم يبد هذا الاحتمال والثمال بكسر المثلثة الملجأ والعصمة الحفظ من الضياع والارامل المساكين رجال أو نساء لكنه في النساء أكثر استعمالا ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة سنة خرج به أبو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فقال هذا سيد العالمين انكم حين أشرفتم به من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي واني أعرفه بخاتم النبوة عند غضروف كتفه كالتفاحة ثم سأل عمه أن يرده خوفا عليه من اليهود رواه ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله وبحيرا بفتح فكسر مقصور ذكر في الصحابة بناء على ان الشرط رؤيته والايمان به ولو قبل المبعث وصح ان سبعة من الروم أقبلوا يريدون قتله صلى الله عليه وسلم فمنعهم بحيرا ورد أبا طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وقوله وبعث معه الخ وهم من أحد رواته لان أبا بكر اذ ذاك لم يكن متأهلا لذلك ولا اشترى بلالا وفي حديث عند البيهقي وابي نعيم انهم لما أقبلوا رأى بحيرا غمامة بيضاء تظله من بينهم ثم نزل تحت شجرة فانحنت عليه أغصانها حتى أظلته وروى أبو نعيم وابن عساكر ان اخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ولما بلغ ثمان عشرة سنة سافر الى الشام مرة أخرى لتجارة على ماورد لكن بسند ضعيف وفيه ان أبا بكر كان معه وان بحيرا قال هذا والله نبي وان ذلك سبب ايمان أبي بكر به لما بعث قبل غيره ثم خرج وله خمس وعشرون سنة مرة ثالثة في تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة فرأى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس وكذا رأت خديجة ذلك لما أقبلوا وهي في علية لها

(قوله للأرامل) مفرده أرمل وامرأة أرملة محتاجة مسكينة والجمع أرامل وارملة والارمل العزب وهي بهاء ولا يقال للعزبة الموسرة أرملة انتهى وعبارة المختار والارمل الرجل الذى لا امرأة له والارملة المرأة التى لا زوج لها وقد أرملت المراة مات عنها زوجها انتهى (قوله عند غضروف كتفه) الغضروف هو الغض المتقدم معناه اى أعلى الكتف وتقدم انه الايسر (قوله غمامة) أي سحابة قال السيد النسابة في شرح منظومة ابن العماد يقال ان طول العمامة عشرة اذرع وعرضها كذلك وكان علوها على راسه كذلك (قوله ذكر في الصحابة الخ) قال ابن عبد الحق في شرح بسملة شيخ الاسلام وقد تردد الحافظ ابن حجر في الاصابة في ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل لكن المفهوم من كلامه في شرح النخبة ثبوتها له وان يفرق بينه وبين بحيرا بان ورقة ادرك البعثة وان لم يدرك الدعوة بخلاف بحيرا انتهى وقد صرح الحلبي في حاشيته على المنهج ان المجتمع بنبينا لا يسمى صحابيا الا اذا اجتمع به بعد رسالته (قوله في علية) العلية الغرفة والجمع العلالي قال بعضهم هي العلية بالكسر انتهى مختار

وفى هذه السنة تزوجها وكانت تسمى بالطاهرة وكان سنها أربعين سنة ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة خافت قريش ان تهدم السيول الكعبة لتشعثها فأمروا باقوم النجار القبطى مولى أحدهم ان يبنيها وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة ثم لما تقارب مبعثه صلى الله عليه وسلم تحدث بذلك احبار اليهود ورهبان النصارى لما فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن كانت لا تحجب عن خبر السماء فتسترق السمع وتخبر الكهنة به فيعلمون بعض خبر السماء لكن كانت العرب لا تلتفت لذلك بالا فلما دنى مبعثه صلى الله عليه وسلم حجبت الشياطين عن السمع كما قال (بعث) اى أرسل (الله) علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد من الخلق لذاته (عند) بتثليث العين اى قرب (مبعثه) اى زمن بعثه صلى الله عليه وسلم أى ارساله الى الخلق كلهم كما قال فى خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة وبين بعث ومبعث جناس الاشتقاق (الشهب) على الشياطين الذين يسترقون السمع فيخطف احدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة كما فى الحديث ثم يلقيها الكاهن وهو جمع شهاب وهى شعلة نار تحرق الشيطان المسترق للسمع أو تخبله (حراسا) جمع حارس على غير قياس كقائم وقيام فهو حال أو مصدر اى لاجل الحراسة اشريعته صلى الله عليه وسلم التى سيأتى بها من الشياطين ان يخلطوا بها ما ليس منها وهو للمبالغة والتأكيد لانه معلوم من قوله تطرد الخ ففيه التتميم كعلى حبه فى ويطعمون الطعام على حبه (و) لكثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين فى نواحى السماء (ضاق عنها الفضاء) اى المفازات الواسعة فلم يبق محل يجدونه حتى يسترقوا السمع منه وبين ضاق والفضاء الطباق (تطرد) حال من الشهب او صفة له كما فى قوله

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى * لكن ظاهر المقام يرجح الحالية اذ رعاية التنكير هنا بعيدة (الجن) وهم أجسام نارية تقدر على التشكل فى الصور المختلفة (عن مقاعد) اى امكنة قريبة من السماء يقعدون فيها (للسمع) أى ليسمعوا شيأ من الملائكة المتكلمين بما سيقع فى الارض من الاقضية والمغيبات اما لكون رئيسهم يلقيه عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه او ان بعضهم ينسخه من كتب البعض الآخر زيادة فى الاعتناء والظهور للملائكة وأصل هذا قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن الى قوله فمن يستمع

(قوله فتسترق السمع) يقال استرق السمع اذا سمع مستخفيا (قوله عند مبعثه) قال فى القاموس وعند مثلثة الاول ظرف فى المكان والزمان انتهى والمراد هنا الزمان وبالمبعث الحدث أى البعث كما ذكره بقوله أى ارساله أى زمن بعثه على تقدير مضاف أى قرب زمن الخ كما اشار اليه الشارح تأمل (قوله او تخبله) قال فى المواهب ثم يصير بعد ذلك أى بعد خبله غولا فى البرارى يضل الناس وسيأتى فى الشرح يقال خبله وخبله واختبله اذا أفسد عقله أو عضوه (قوله ففيه التتميم) هو عبارة عن الاتيان فى النظم او النثر بكلمة او جملة اذا زيدت فى الكلام التام افادته حسنا متمما لحسنه وهو قسمان متمم المعنى ومتمم الوزن فمثال الاول ماذكره الشارح من الآية وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فقوله وهو مؤمن بذكرها تم معنى الكلام ومثال الثانى ما فى المتن وقول المتنبى

وخفوق قلب لو رايت لهيبه ۞ يا جنتى لرايت فيه جهنما

فأتى بقوله يا جنتى لاقامة الوزن مع افادة معنى من انواع البديع وهى المطابقة بينها وبين قوله جهنما (قوله على التشكل الخ) اى بأن يعلمهم الله تعالى قولا او فعلا اذا اتى به نقله من صورة الى اخرى لان تصويره لنفسه محال وكذا يقال فى الملائكة ثم رأيت لبعض الفضلاء توجيه التشكل والتطور بأنه من باب تعدد الصور او انه من طى المسافة وانزواء الارض من غير تعدد فيراه الرائيان فأ كثر لكن الله تعالى

٩ ج طوى الارض ورفع الحجب المانعة من الاشراف فظن انه فى مكانين او اكثر وانما هو فى مكان واحد وهذا اجود ما حمل عليه حديث رفع بيت المقدس حتى رآه النبى صلى الله عليه وسلم اوانه من باب عظم الجثة حتى ملأ الكون فشوهد فى كل مكان انتهى قال الشارح فى شرحه على المنهاج ونوزع فى قدرتهم على التشكل باستلزام رفع الثقة بشئ فان من رأى ولو ولده يحتمل انه جنى تشكل به ويرد بان الله تعالى تكفل لهذه الامة بعصمتها عن ان يقع فيها ما يؤدى لمثل ذلك المترتب عليه الريبة فى الدين ورفع الثقة بعالم وغيره فاستحال شرعا الاستلزام المذكور (قوله اى امكنة قريبة الخ) اى بعد ان منعوا من دخول السماء كما سيأتى فى الشرح

الآن يجد له شهابا رصدا فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فآمنوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قائلين ما حكاه الله تعالى عنهم أواخر سورة الاحقاف ويوافق هذا ما رواه أهل السير انه لما حيل بينهم وبين خبر أهل السماء قالوا ان ذلك لامر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما حال بينكم وبين خبر السماء فخرجت طائفة منهم من جن نصيبين باليمن قبل تهامة فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة قريبة على ليلة من مكة مع اصحابه يصلي الصبح وهو يقرأ فاستمعوا له ثم قالوا هذا هو الذي حال بينكم وبين خبر السماء فاسلموا وولوا الى قومهم منذرين وفي ذلك نزل قل أوحى الى الآيات واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية قال الحافظ ابن كثير ذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى أهل الطائف يدعوهم الى الاسلام وانه انصرف عنهم فبات بنخلة يقرأ تلك الليلة فاستمع جن نصيبين أي مدينة بالشام انتهى وماذكره صحيح الا قوله ان استماع الجن كان تلك الليلة ففيه نظر فان استماعهم انما كان في ابتداء الوحي كما يدل له حديث ابن عباس عند احمد كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعونه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده الا رمى بشهاب يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا لأمر امر أي عظيم قد حدث فبعث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض ورواه النسائي وصححه الترمذي قال اعني ابن كثير واما خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف فانما كان بعد موت عمه أبي طالب وروى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انهم هبطوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة يقرأ القرآن فلما سمعوه قالوا أنصتوا فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية فهذا مع رواية ابن عباس يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى قومهم منذرين ثم بعد ذلك وفدوا اليه أرسالا قوما بعد قوم انتهى وصح ان الذي آذنه صلى الله عليه وسلم بهم لما وفدوا اليه شجرة وانهم سألوه الزاد فقال لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدكم أوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم وفيه رد على من زعم ان الجن لا تأكل ولا تشرب والحاصل ان ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الطائف انما كان بعد موت عمه ابي طالب سنة عشر من البعثة ثم موت خديجة بعده بثلاثة أيام أو خمسة ثم تزوجه بسودة بعد أيام وكان خروجه الى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر في شوال لما ناله من قريش وكان معه مولاه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورواعقبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا أذاقته الحجارة أي بالمعجمة ثم القاف اضعفته قعد الى الارض فيأخذون

(قوله اواخر سورة الاحقاف) من قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن (قوله أي مدينة بالشام) تقدم انها باليمن وهو الصواب (قوله الوحي) تقدم انهم منعوا عن استماع خبر السماء قبل البعث فانظر قوله يستمعون الوحي (قوله فيزيدون فيها عشرا) تقدم انهم يزيدون مائة واصل بعضهم يزيد مائة وبعضهم يزيد عشرا (قوله وكانت النجوم الخ) هذا يقتضي ان النجوم نفسها يرمى بها وتقدم ان المرمى به الشهب التي هي الشعل المنفصلة من النجوم وسيأتي ذلك أيضا وحكاية قول بقيل انها نفسها تنقض ثم ترجع الى محالها فماهنا على هذا القيل ان ابقى على ظاهره فان أريد ترجيعه للاول قدر مضاف أي يرمى بشهبها (قوله فلما بعث صلى الله عليه وسلم) ظاهره يوافق حديث ابن عباس ويخالف ما سبق له عند قول الناظم بعث الله وقد يدفع التخالف كما أشار اليه الشارح فيما يأتي وصرح به في تفسير الخازن بأن الرمى بالشهب كان موجودا قبل المبعث لكنه اشتد بعده (قوله ما هذا الا لأمر امر) قال في المختار الامر كالاصر الشديد وقيل العجب ومنه قوله تعالى لقد جئت شيأ امرا وقال البيضاوي أي اتيت أمرا عظيما من أمر الامر اذا عظم (قوله أرسالا) قال في القاموس الرسل محركة القطيع من كل شيء والجمع ارسال انتهى فقول الشارح قوما بعد قوم تفسير مراد لقوله ارسالا (قوله وكل بعر علف لدوابكم) أي بعد عوده لما كان عليه من تبن وحب بعضديه

بعضد يه فيقومونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون و زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجا * وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم لقي منهم أشد مما لقيه يوم احد وان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه حينئذ ومعه ملك الجبال ليأمره في قومه بما شاء فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو أن يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله تعالى وحده ولا يشرك به شيأ وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من أحد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البرار قال الائمة وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولم يذكره أحد قبل زمانه وانما ظهر في بدء أمره صلى الله عليه وسلم تأسيسا لنبوته صلى الله عليه وسلم ثم جاء عن معمر انه قال للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قال أفرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظت وشدد أمرها حين بعث صلى الله عليه وسلم وجرى على هذا ابن قتيبة فقال كان الرجم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثله بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم ويؤيده رواية ابن عباس الاخيرة ان صحت وعلم من قول ابن عباس شعلة نار ان الكوكب لا ينفصل عن محله وانما الذي ينفصل عنه تلك وقيل ينقض ثم يرجع الى مكانه وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين طردا بالغ جدا (كما) موصولة أو مصدرية (تطرد الذئاب) جمع ذئب بالهمز وقد يخفف وتشبيه شياطين الجن بالذئاب صرح به الحديث الصحيح (الرعاء) بضم أوله وكسره للغنم اذا أرادت العدو عليها (فـ)بسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء (محت آية الكهانة) مفعول مقدم وهي بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا أي مخبرا بالامور الخفية والمغيبات البعيدة أي علامتها وهي ما كانت تأتي به الكهان وتذكره من المغيبات التي تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام الملائكة ثم القائه اليهم مع ما يضمونه اليه من الكذب كما مر (آيات من) جملة (الوحي) وهو الكتابة والاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفي ولذلك كان الوحي الآتي اليه صلى الله عليه وسلم على اقسام * الرؤيا الصادقة فكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وهو ما يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه للحديث الصحيح ان روح القدس نفث في روعي ان تموت نفس حتى تستكمل

(قوله لم يكن ظاهرا الخ) أي بشدة بقرينة ما يأتي (قوله ثم الخ) ظاهره استدراك على قوله وانما ظهر الخ لافادة انه رمي بها قبل زمانه صلى الله عليه وسلم وسوابق الكلام ولواحقه تفيد انه انما وجد بعد وجود النبي قرب مبعثه لكن لا بشدة ثم وجد بشدة بعده فيحمل قوله في الجاهلية على ما قبل بعثه وبعد وجوده صلى الله عليه وسلم ٦٧ بدليل قوله وشدد امرها الخ لتلازم اطراف الكلام فتأمل (قوله موصولة) واقعة على الذئاب ويكون قوله الذئاب من وضع الظاهر موضع الضمير وهو كاف في الربط كقوله * وأنت الذي في رحمة الله اطمع * (قوله صرح به الحديث) كقوله ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد وحديث فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية (قوله الرعاء) جمع راع كجائع وجياع ويجمع على رعاة كقاض وقضاة ورعيان كشاب وشبان ويطلق على راعي الغنم وغيره والمراد هنا راعي الغنم لذكره الذئاب وهي لا تتعرض غالبا الا للغنم وهذا يقتضي انه اذا ضمت الراء ختم بالهاء واذا كسرت ختم بالهمزة وعبارة الشارح تقتضي الختم بالهمزة مطلقا ويزاد عليه الختم بالهاء مع ضم أوله فحرر (قوله من الوحي) هو هنا ما نزل به جبريل قاله البرلسي المالكي في شرحه لكن التقسيم الآتي له ليس بهذا المعنى كما لا يخفى بل بمعنى ما ألقي الى الرسل والانبياء أقسامه كلام الله بالواسطة ولا يشمل ما ذكره البرلسي (قوله وهو الكتابة) أي لغة (قوله والكلام الخفي) قال البرلسي كالوسوسة (قوله في النوم[2]) ذكره بعد الرؤيا المخصوصة بالنوم لزيادة الايضاح أو لدفع توهم ان الرؤيا تطلق على ادراك العين وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر (قوله مثل فلق الصبح) أي ضيائه ومثله فرق (قوله وقلبه) عطف تفسير لان الروع بضم الراء القلب واما بالفتح فهو الفزع

[2] قول المحشي قوله في النوم ليس في نسخ الشارح التي بايدينا

(قوله واجملوا فى الطلب) قال ابن عطاء الله الاجمال فى الطلب يحتمل وجوها كثيرة منها ان لا يطلبه أى الرزق مكباً عليه مشتغلا عن الله به ومنها ان يطلبه من الله ولا يعين قدرا ولا وقتا لان من طلب وعين قدرا أو وقتا فقد تحكم على ربه واحاطت الغفلة بقلبه ومنها ان يطلب وهو شاكر لله ان اعطى شاهد حسن اختياره ان منع ومنها ان يطلب من الله ما فيه رضاه لا ما فيه حظوظ دنياه ومنها ان يطلب ولا يستعجل الاجابة وفى حديث ضعيف اطلبوا الحوائج بعزة الانفس فان الامور تجرى بالمقادير انتهى وقيل الاجمال طلب الرزق من وجه حل بعزة نفس (قوله فى صورة دحية) أى بعد اسلامه رضى الله عنه (قوله خرجت الظعن) جمع ظعينة وهى المرأة ما دامت فى الهودج فاذا لم تكن فيه فليست بظعينة (قوله كما فى الابدال) قال عليه الصلاة والسلام الابدال فى هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا انتهى وورد انهم بالشام وورد انهم أربعون رجلا واربعون امرأة وجمع بان الحديث الذى فيه انهم ثلاثون أى ممن كانت قلوبهم على قلب ابراهيم الخليل كما ذكره فيه فالعشرة الزائدة مع الاربعين امرأة قلوبهم على قلب غيره من الانبياء ومعنى كونهم على قلب ابراهيم انهم يتقلبون فى المعارف الالهية التى يتقلب اذ واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب كبير من ملك أو رسول يرد على هذه القلوب التى هى على ٦٨ قلبه وربما يقولون فلان على قدم فلان ومعناه ما ذكر وانما سموا ابدالا لان كل من مات منهم أبدل الله مكانه غيره روى الحكيم الترمذى ان الارض شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف اجعل على ظهرك اربعين صديقا كلما مات منهم رجل ابدل مكانه رجلا وقيل انما سموا ابدالا لتبدل سيآتهم حسنات وهذا المعنى يشمل غير الابدال بالمعنى الخاص المقتضى حصرهم فى العدد السابق ولذا قال العارف المرسى كنت جالسا بين يدى استاذى الشاذلى فدخل جماعة فقال هؤلاء الابدال فنظرت ببصيرتى فلم ارهم ابدالا فحيرت فقال الشيخ من بدلت سيآته حسنات ذلك فهو بدل فعلمت انه أول مراتب البدلية ومن علامة البدل انه لا يولد له واذا رحل البدل عن موضعه جعل موضعه حقيقة روحانية فاذا جاء موضعه أحد تجسمت له تلك الحقيقة الروحانية التى تركها بدله تكلمه ويكلمها وهو غائب عنهم (قوله مناط بأى صورة أرادها) وحينئذ ينظر فى النكاح ونحوه للزوجة والامة هل هو خاص بالصورة الاصلية أو بما صارت اليه الصورة عند ارادة النفس اياها فليحرر بالنقل الصحيح وقد يقال النكاح من جملة التكاليف الذى صرح الشارح بانه متعلق بالصورة التى يريدها سواء كانت الاصلية أو غيرها (قوله مثل صلصلة الجرس) أى اتيانا مثل أو حالة كونه مشابها صوته صلصلة الجرس قيل هى صوت الملك بالوحى وقيل صوت خفيف احنجته والحكمة فى تقدمه ان يفرغ وسعه للوحى فلا يبقى فيه متسع لغيره والجرس الجلجل يعلق فى رؤس الدواب (قوله تبرك به) بضم الراء لانه من باب دخل (قوله واختص بالكليم) قال فى المواهب اللدنية فان قلت اذا ثبت انه صلى الله عليه وسلم كلمه ربه بلا واسطة وقام به هذا الوصف فلم يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتق منه لموسى أجيب بان اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل فيطرد بمعنى ان كل من قام به ذلك الوصف اشتق له اسم منه وجوبا وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم فى كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق له =

رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب * تمثل الملك له رجلا يخاطبه وصح انه كان يأتيه فى صورة دحية أى لانه كان جميلا جدا اذا قدم لتجارة خرجت الظعن لتراه وتشكل جبريل عليه الصلاة والسلام مع عظم صورته وأن له ستمائة جناح كل جناح منها يسد الافق فى صورة رجل غير بعيد لان الاجسام النورانية تقبل الانضمام حتى تصغر الصورة جدا كما ان القطن يقبل الانكباس فتصير الصورة الكبيرة منه صغيرة وهذا أولى من قول بعضهم ان صورته الاصلية باقية على حالها وصورة الرجل صورة أخرى له وروحه متعلقة بهما أى كما فى الابدال الذين تتعدد صورهم فى الوجود وروحهم واحدة والتكليف حينئذ مناط باى صورة ارادها الانسان * يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو اشده عليه ولذا كانت ناقته صلى الله عليه وسلم تبرك به وكانت رأسه على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترتض من شدة الثقل حتى انه يقول لا امشى بعد اليوم على رجلى أبدا يأتيه على صورته الاصلية ووقع له ذلك مرتين كما فى سورة النجم * كلام الله له بلا واسطة كموسى واختص بالكليم لان

ذلك وقع له وهو بالارض ونبينا صلى الله عليه وسلم انما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين او أدنى
وصح عن الشعبي انه صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين
ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن * ثم وصف آيات الوحي
بأنهن (ماالهن انمحاء) من محا يمحو ويمحى ويمحا كذا ذكره بعضهم وعبارة القاموس محاه
يمحوه ويمحاه أذهب اثره وامحى كادعى والمحو السواد في القمر انتهت ملخصة والمعنى
ههنا ماالهن ذهاب ولا تغير كيف وقد تكفل الله تعالى لهذه الشريعة الغراء بانها باقية
على ممر الدهور الى ان ينزل عيسى صلى الله عليه وسلم فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام
الساعة بموت الطائفة الذين اخبر الصادق المصدوق عنهم صلى الله عليه وسلم بانهم لا يزالون
قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله أي ريح لينة تقبض ارواحهم
فحينئذ لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله فتقوم الساعة وبين محت وانمحاء
جناس الاشتقاق * ثم ذكر قصة زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله تعالى عنها
ولو قدمها كما فعلت ليوافق الواقع لانها قبل قوله بعث الله الخ لكان أولى فقال (ورأته)
أي علمته وابصرته لما سبق لها من الفضل الذي فاقت به سائر أمهات المؤمنين رضي الله
تعالى عنهن (خديجة) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت ذات
شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر (و) هي للحال (التقى) هو البراءة من كل شيء
سوى الله تعالى وهذا غايته ومبدؤه اتقاء الشرك واوسطه اتقاء المحارم وكذا يقال
في التقوى وصح خبر ان اتقاكم واعلمكم بالله انا وخبر اني لأعلمكم بالله واشدكم له خشية
(والزهد) هو أخذ أقل الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك وقد صح خبر
ماشبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم يبيت
الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن
بشير رضي الله تعالى عنه لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من
الدقل ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضي الشهران ولا يوقد صلى الله عليه وسلم في ابياته
نارا وانما طعامهم التمر والماء وخبر انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند
يهودي على ثلاثين صاعا من شعير أخذها صلى الله عليه وسلم قوتا لاهله (فيه) كل منهما
(سجية) بالسين المهملة أي خلق غريزي طبيعي والاختلاف في كون حسن الخلق
غريزة او مكتسبا يتعين ان يكون محله في غيره صلى الله عليه وسلم وتمسك من قال بانه غريزة
بالحديث الصحيح ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والتحقيق ان اصول
الاخلاق غرائز وملكات في نوع الانسان وانما التفاوت في ثمراتها وهذا هو الذي به
التكليف لان الغريزي لا تكليف به لانه ليس في الطاقة نعم من فيه غريزة منها اعانته على
المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا فيؤمر بالمجاهدة في الضعيف حتى يقوى وفي غير المحمود

أي يظهر (قوله محا يمحو) والمصدر المحو والمحي (قوله ورأته) أي ابصرته او علمته بمعنى عرفته كما بينه الشارح لعدم وجود مفعول ثان (قوله خديجة) قال العلامة ابن عبد الحق في شرحه بالتنوين للضرورة انتهى ولا داعي لهذا التنوين لان مستفعلن في بحر القصيدة مفروق الوتد فآخره سبب خفيف فيدخله الكف وغايته ان اجتماعه مع الخبن المسمى أي اجتماعهما بالشكل مكروه قبيح مع جوازه كما هو مصرح به في فن العروض فراجع كلام الشارح الآتي عند قوله فاستبانت خديجة وانظر ما كتبنا عليه يظهر لك المقام (قوله ابن قصي) هو ثالث جد لها رابع جد لرسول الله لانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي (قوله تباعا) أي ولاء (قوله في أبياته) جمع بيت ويجمع ايضا على بيوت وأبابيت عن سيبويه مثل أقوال وأقاويل وتصغيره بييت بضم أوله وكسره والعامة تقول بويت والبيت أيضا عيال الرجل وقول الشاعر

وبيت على ظهر المطي بنيته
باسمر مشقوق الخياشيم يرعف

يعني بيت شعر كتبه بالقلم انتهى مختار وقوله يرعف ماضيه من بابي نصر وقطع وكونه من باب ظرف لغة قليلة وهو في الاصل الدم يخرج من الانف والمراد به هنا المداد النازل من القلم (قوله وانما التفاوت في ثمراتها) أي وفي كيفياتها كما يفيده قوله فيؤمر بالمجاهدة

حتى يصير محمودا وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة قال يارسول الله قديما كانا فى أو حديثا قال قديما قال الحمد لله الذى جبلنى على خصلتين يحبهما الله فترديد السؤال وتقريره عليه يشعران بان فى الخلق الجبلى والمكتسب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم كما حسنت خلقى بفتح أوله فحسن خلقى وكان يقول فى دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا انت ولما اجتمع فى نبينا صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وخصال الجلال والجمال مالا يحيط به أحد اثنى الله تعالى عليه فى كتابه العزيز فقال مؤكدا لذلك بذكر على الاستعلائية وانك لعلى خلق عظيم والخلق ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل ووصفه بالعظيم مع ان الغالب وصفه بالكريم لان خلقه صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على الكريم المقتضى للسماحة والدماثة بل يعم صفتى الانعام والانتقام اذ كان رحيما بالمؤمنين شديدا غليظا على غيرهم (والحياء) فيه سجية أيضا على اكمل غاياته ففى البخارى من حديث أبى سعيد كان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء أى البكر فى خدرها وقيد به لان حياءها فيه أشد لانه مظنة ان يظفر منها طامع يدخل عليها فيه بشئ بخلافها بحضرة الناس والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف مايعاب به من الحياء ولذلك سمى المطر حياء لكنه مقصور وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ومنه التقصير فى حق من له حق ومن ثم صح انه لا يأتى الا بخير وانه من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم (واناها) الخبر بكرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وهما (ان الغمامة) وهى السحابة (والسرح) وهو كما فى القاموس شجر عظام او كل شجر لا شوك فيه أو كل شجر طال انتهى وقضية سياق القصة الآتية ان المراد هنا الاول أو الثالث واما الثانى فلم أر مايدل عليه (اظلته منهما) حال من قوله (افياء) جمع فئ وهو مابعد الزوال من الظل من فاء يفئ رجع لرجوعه من جانب الى جانب وفرق بعضهم بين الظل والفئ بأن الظل مانسخته الشمس والفئ مانسخها ومر ذكرهاتين الآيتين قبيل قوله بعث الله عند مبعثه الشهب وحاصلهما مع بعض زيادة انها ارسلته فى تجارة لها ومعه عبدها ميسرة الى بصرى فنزل تحت شجرة فاظلته فقال راهب ثم مانزل تحتها الا نبى وسأل ميسرة أفى عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال له الراهب هو آخر الانبياء ليتنى ادركه اذ يؤمر بالخروج وقال له من خالفه فى بيع وهو بسوق بصرى احلف باللات والعزى فقال ماحلفت بهما قط فقال خصمه لميسرة هذا نبى والذى نفسى بيده انه هو الذى تجده احبارنا منعوتا عندهم فى كتبهم فوعى ذلك ميسرة وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه فى الهاجرة ورأت خديجة ذلك لما اقبل صلى الله عليه وسلم وهى فى علية لها فأرته نساء عندها فعجبن من ذلك فلما جاء ميسرة اخبرته بما رأت فاخبرها بجميع مارآه منه وبقول الراهب السابق وبقوله ماحلفت بهما قط

(قوله والدماثة) أى سهولة الخلق (قوله والحياء بالمد) وقد يقصر (قوله لكنه مقصور) وقد يمد (قوله وأناها الخبر الخ) يقتضى انها لم تبصر اظلالهما له وانما أخبرها به ميسرة عبدها أو غيره والذى رأته اظلال الملكين له (قوله والسرح) قال السنباطى جمع سرحة (قوله انها ارسلته) هذا الذى ذكره الى التنبيه له المام بتظليل السرح المعبر عنه بالشجرة حيث قال ونزل تحت شجرة الخ وليس له المام بتظليل الغمام فيكون قوله وحاصلهما الخ بالنسبة الى الاول دون الثانى الا ان يريد بحاصلهما ماذكره الى قول الناظم واحاديث ان وعد رسول الله البيت وحينئذ فلا اشكال فى ضمير التثنية فى قوله وحاصلهما (قوله الى بصرى) بضم أوله والقصر مدينة بين المدينة ودمشق (قوله فقال راهب) وهو نسطورا كما فى شرح البرلسى (قوله ماحلفت بهما قط) فقال له القول قولك كذا هذه الزيادة فى شرح البرلسى

*(تنبيه)* ورد فى تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم احاديث اصحها مارواه جماعة وهو على شرط الصحيح الا ان فى راويته غرابة ان أبا طالب خرج به الى الشام فى اشياخ من قريش فروا ببحيرا فخرج اليهم على خلاف عادته فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين زاد البيهقى ورسول رب العالمين هذا ابتعثه الله رحمة للعالمين فقالوا له ومن اعلمك بذلك قال انكم حين اشرفتم من الثنية لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا اذ لا يسجدون الا لنبى وانى اعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان صلى الله عليه وسلم فى رعية الابل فقال لهم ارسلوا اليه فاقبل صلى الله عليه وسلم وغمامة تظله فلما دنا الى القوم وجدهم قد سبقوه الى ظل الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فىء الشجرة عليه فقال انظروا الى فىء الشجرة مال اليه الحديث رواه أبو موسى الاشعرى وهو اما ان يكون تلقاه عنه صلى الله عليه وسلم فيكون ابلغ عنه صلى الله عليه وسلم أو من بعض كبار الصحابة أو كان مشهورا أخذه بطريق الاستفاضة وروى ابن اسحق معضلا والبيهقى فى الدلائل موصولا انهم لما نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا لانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصانها أى مالت وانعطفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها القصة وورد ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وورد ذلك عن أخيه من الرضاعة وأشار غير واحد الى ان تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا للنبوة صلى الله عليه وسلم كما يأتى ومما يدل على انقطاع ذلك ان الصديق رضى الله تعالى عنه أظله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فى الهجرة لما اصابته الشمس فظلل عليه بردائه وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمى جمرة العقبة وظلل عليه مرة أخرى وهو بالجعرانة وانهم كانوا فى اسفارهم اذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى شرح قوله واذا ما مشى بحانوره الظل الخ ماله تعلق بذلك (و) أتاها أيضا (احاديث) الاحبار والرهبان والكهان (ان) أى بان (وعد رسول الله) مصدر مضاف للمفعول أى وعد الله له صلى الله عليه وسلم وهو عند الاطلاق لا يستعمل الا فى الخير (بالبعث) أى الارسال الى الخلق كافة (حان) أى قرب (منه) أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله (الوفاء) أى قرب وفاء الله سبحانه وتعالى بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم (ف) بسبب ما رأته منه وما بلغها عنه مما يحمل من له ذرة من عقل على ان يغسل قدميه ويشرب ماء غسلهما (دعته) أى خطبته (الى الزواج) أى الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمى انى قد رغبت فى نكاحك لما رأيته وعرفته منك ومر ان سنها حينئذ كان أربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين على الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبله

(قوله ابتعثه الله) أى يبتعثه والا فالكلام فى الخوارق قبل البعثة فعبر بالماضى اشارة لتحقق ذلك (قوله من الثنية) هى طريق العقبة كما فى المختار (قوله اذ لا يسجدون) كان الظاهر اذ لا تسجد وقد يقال نزلهما منزلة العاقل لوجود السجود منهما فجمعهما جمعه (قوله فى رعية) بكسر الراء الهيئة (قوله واذا ما مشى) الذى سيأتى فى النظم واذا ما نضحا الخ (قوله الاحبار) علماء اليهود والرهبان عباد النصارى والكهان المخبرون عن المغيبات الملقاة اليهم من الجن حين استراقهم السمع كما سبق (قوله وهو متعلق بقوله الوفاء) لو جعله متعلقا بحان والمتعلق بالوفاء محذوفا أى به أى قرب من رسول الله الوفاء بوعد الله له لكان أوضح تأمل

برجلين (وما احسن) هذا احدى صيغتي التعجب (ما) مصدرية فتؤول مع (يبلغ) بمصدر منصوب المحل على التعجب (المنى) أي الاماني جمع امنية وهي ما يتمناها الانسان (الاذكياء) جمع ذكي كغني والذكاء بالمد حدة القلب ومزيد تفطنه أي شيء عظيم حسن بلوغ الاذكياء كل ما يتمنونه ومنهم بل من اكملهم خديجة رضي الله تعالى عنها فانها ادركت بقوة ذكائها وتفرسها فيه صلى الله عليه وسلم منذ رأته كل ما تمنته واملته مما لم تبلغه امرأة من هذه الامة اذهي على الاصح أفضل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وهذا من أنواع البديع المسمى بارسال المثل السائر وهو ان يذكر الشاعر في بعض بيت ما يجري مجرى المثل السائر من حكمة أو نحوها كقول أبي الطيب

لان حلمك حلم لا تكلفه * ليس التكحل في العينين كالكحل

وهو كثير في كلام الناظم ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على ابيها خويلد فخطبها منه اليه فاجاب فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة وحضر أبو بكر ورؤساء مضر فخطب أبو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد بهمزتين أو معدن أصل معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته أي الكافلين له وسواس حرمه أي المتولين لامره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل

(قوله منصوب المحل) فيه ان ذلك المصدر منصوب لفظا عند النطق به بدلا عما اول به (قوله جمع أمنية) قال في المختار والمنية واحدة الاماني انتهى فقول الشارح جمع أمنية راجع للاماني لا للمنى وانما فسر المنى بالاماني مع اتحاد معناهما دفعا التوهم ان المنى مفرد (قوله وتفرسها) التفرس استحضار العلم بالفراسة وهي كما في الصحاح بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيرا وهو يتفرس أي يتثبت وينظر تقول منه رجل فارس النظر وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن والفراسة بالفتح مصدر قولك رجل فارس على الخيل بين الفراسة والفروسة والفروسية انتهى (قوله فانها ادركت بقوة ذكائها وتفرسها الخ) قد تقدم ان ما رأته سبب حامل لمن له ذرة عقل ان يغسل قدميه بل ان يستشفي بفضلاته كبوله ودمه أي فلا تحتاج لقوة ذكاء وتفرس لما توفر من الآيات البينات وقضية ما ذكره هنا انه حصل بقوة الذكاء الخ وهو شبه تناف الا ان يقال كلامه انما هو بالنسبة لما لاحظته منه من السعادة الفاخرة في الدنيا والآخرة ٧٢ أو انه بالنسبة لمبادرتها لذلك وعبارة ابلغ جرى دعته الى ان يتزوج بها فحصل لها الشرف التام والفضل العظيم على نساء عصرها فكان هو المخطوب لفرط جلاله والمرغوب فيه لكثرة افضاله فشرفت بزواجه اياها حتى كانت من افضل أمهات المؤمنين او افضلهن ثم تعجب من قوة ذكائها وفرط عرفانها حيث بادرت الى هذا الامر العظيم والفضل الجسيم ولم تمش على عادة النساء في انتظار ان تكون مسؤلة غير سائلة لما سبق لها من السعادة وكتب لها من الفضل والسيادة وقد يدفع أيضا ما ذكر من التنافي بان التفرس كما علمت استحضار العلم بالفراسة وهي الاستدلال بالظواهر على البواطن ولاشك انها قد استدلت بما رأته وعرفته من الآيات على ما منحه صلى الله عليه وسلم في باطن الامر من الكمالات (قوله كقول أبي الطيب) ومحمد مثال لنحو الحكمة من نعت أو مدح فان ما ذكره مثل يضرب لكل من تكلف شيأ وليس خلقيا فيه فتقول لمن تكلف الكرم وليس خلقيا فيه ليس التكحل الخ ومثال الحكمة قول الناظم ولذ اللبي الخ (قوله عشرين بكرة) البكر الفتي من الابل والانثى بكرة وبكرة البئر ما يستقى عليها والجمع بكر وهو من شواذ الجمع لان فعلة لا يجمع على فعل الا شذوذا (قوله وضئضئ) مضاف لمعد وما بينهما معترض بين المتضايفين للضبط وبيان المعنى وهو بكسر الضادين وبهمزتين (قوله وعنصر) أي اصل فهو بمعنى ضئضئ (قوله الحكام على الناس) أي اشراف الناس في الجاهلية وهم العرب وعدهم في القاموس نحو خمسة عشر حاكما وانما قدرنا ذلك لانهم لم يكونوا حكام جميع الناس كما لا يخفى (قوله فان كان في المال قل) القل والكثر بضم أولهما وكسره قال في الصحاح القل القلة مثل الذل والذلة انتهى (قوله حائل) أي متحول أو منقلب من يد الى يد فقد ذكر في اللغة ان حال يأتي بمعنى انقلب وبمعنى تحول وهو المراد هنا

وبمحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها أبوها منه وذكر الدولابي وغيره انه صلى الله عليه وسلم اصدقها ثنتي عشرة اوقية ذهبا ونصف اوقية قالوا وكانت كل اوقية اذ ذاك أربعين درهما (و) مما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها انه (أتاه) بعد النبوة والرسالة (في بيتها جبرئيل) كعندليب لغة في جبريل ليلقي اليه ما أمر به من الوحي وكان عندها من الايمان به علم اليقين فاحبت ان تنتقل عنه الى عين اليقين كما وقع لابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم في قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي وكيف لا تريد هذه المرتبة العلية (ولذي) أي لصاحب (اللب) أي العقل الكامل وخديجة رضي الله تعالى عنها من اكمل أولي الالباب واذكاهم (في الامور) أي الاحوال التي قد تشتبه (ارتياء) أي استبصار من ارتأيته أي نظرته بالعين والقلب كما في القاموس وفراسة خديجة تقضي لها على تلك الامور بتمييز حسنها من قبيحها فعلم ان هذه الجملة اعتراضية وان فيها غاية المناسبة لما قبلها وما بعدها اذ الاعتراضية لا بد لها من نكتة فهي هنا الاشارة الى كمال عقلها واستبصارها مع افادة ان هذا أمر كلي جار مجرى المثل أو الحكمة فهو من ارسال المثل (ف) بسبب تلك المحبة مع ما عندها من كمال العقل (اماطت) أي ازالت (عنها) أي عن رأسها (الخمار) وهو ما يخمر أي يغطى به الرأس (لتدري) أي لكي تعلم علم اليقين (أهو) أي هذا الذي عرض له صلى الله عليه وسلم حتى أخرجه عن حالته المألوفة منه (الوحي) أي حامله وامينه الذي كان يأتي به الانبياء قبله ومرت اقسامه (ام) هي معادلة الهمزة المطلوب بها وبأم التعيين ولها قسم ثان وهو ان تقع بعد همزة التسوية وسميت فيهما معادلة لمعادلتها الهمزة في افادتها الاستفهام في الاول والتسوية في الثاني وتسمى فيهما متصلة لان ما قبلها وما بعدها لا يستغنى باحدهما عن الآخر وتقابلها المنقطعة وهي ثلاثة أقسام مبسوطة في محلها (هو الاغماء) الذي هو من بعض الامراض العادية ومن ثم جاز على الانبياء دون الجنون (ف) بسبب ازالتها الخمار عن رأسها (اختفى عند كشفها الرأس) مفعول كشف المضاف لفاعله (جبريل فما عاد أو اعيد الغطاء) يعني الى ان اعادت غطاء رأسها فاعيد ماض مبني للمفعول والغطاء نائب الفاعل ووقع للشارح هنا انه قال واعيد منصوب بان مضمرة بعد أو التي يصلح موضعها حتى والغطاء فاعل اعيد انتهى وهو سهو عجيب لما تقرر ان اعيد ماض الخ وكان هذا الوهم سرى اليه مما صرح به كلام النحاة ان او غير العاطفة التي بمعنى الى أن لا تدخل الا

(قوله ثنتي عشرة أوقية) تقدم قريبا انه اصدقها عشرين بكرة فانظر التوفيق بين الكلامين فان كانت الاواقي المذكورة قيمة العشرين بكرة بان كانت من جياد الابل حصل التوفيق بجعل المذكور اولا هو الصداق حقيقة والمذكور ثانيا قيمته (قوله ومما يدل الخ) الدليل على ذلك اماطتها الخمار لتدري انه الوحي واما اتيان جبريل في بيتها فلا دخل له في الدلالة على ما ذكر (قوله علم اليقين) قال الشيخ قاسم في كتابه السير والسلوك علم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل العقلي وعين اليقين هو العلم الحاصل بالمشاهدة وحق اليقين هو فناء صفات العبد في صفات الحق وبقاؤه به علما وشهودا وحالا لا علما فقط فالذي يفنى على التحقيق صفاته لا ذاته فحينئذ لا بد من بقاء عين العبد الفاني فلا تفنى ذاته في ذات الحق كما يفهمه الجاهلون الذين كذبوا على الله بل ان العبد كلما تقرب الى الله بالعبودية واظهار العجز والفناء عن جميع الصفات المناقضة للعبودية وهبه الله تعالى فضلا منه صفات حميدة حقيقية عوضا عما فنى منه من الصفات الذميمة الخلقية والله تعالى هو القادر على كل شئ والعبد هو العاجز عن كل شئ فمتى شاء اذهب عن العبد ما فيه من الخبائث وامده بما يعجز عنه كل ما سوى الله تعالى فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى ولا مبدل لما حكم فاذا وهب عبده العاجز ما وهبه تصرف في الاكوان بارادة سيده انتهى (قوله تلك المحبة) أي محبة انتقالها من علم اليقين الى عين اليقين (قوله الذي كان الخ) فالمراد بالوحي ما نزل به جبريل وقوله ومرت اقسامه أي لا بهذا المعنى بل بمعنى ما جاء به عن الله والا فبعض اقسامه لم ينزل به جبريل ككلام الله من غير واسطة (قوله غير العاطفة) مردود وحاشا النحاة من دعوى انها غير عاطفة فكلهم مصرحون بانها عاطفة

على مضارع كما فى حتى الغائية المرادفة لا والمذكورة كما صرحوا به وحينئذ فاضطره ذلك الى ماذكره غفلة عن ان بعده ماض لكن كان عليه ان يقول وقول الناظم اعيد صوابه يعاد ويذكر ما اشرت اليه واما كونه يبقى أعيد على حاله ويجعله منصوبا بأو فهو جلى الفساد لا يقال هو ماض لفظا مستقبل معنى فليجز دخول أو الناصبة عليه لما صرحوا به فى حتى المرادفة لها ان شرط النصب بعدها ان يكون الفعل مستقبلا أو ماضيا فى حكم المستقبل نحو سرت حتى ادخل المدينة فهذا يؤول بالمستقبل نظرا الى انه غاية لما قبل حتى فهو مستقبل بالاضافة اليه لانا نقول معنى قولهم أو ماضيا فى حكم المستقبل ان لفظه لفظ المضارع ومعناه ماض فكان قضية القياس ان لا تدخل عليه حتى الغائية فاجابوا بان ما فيه من المضى يؤول بالاستقبال نظرا الى انه غاية كما تقرر واما ما لفظه ماض فلا تدخل عليه حتى الغائية أصلا (فان قلت) كيف هذا مع قوله تعالى حتى أتاهم نصرنا حتى عفوا حتى جاءهم العلم وفى البخارى حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء (قلت) حتى هنا ابتدائية لا غائية واو الناصبة انما تكون بمعنى حتى الغائية لا غير وقد صرح بذلك الائمة ونلخصه الجلال السيوطى فى شرح جمع الجوامع له حيث قال ما ملخصه ان حتى الابتدائية تليها الجملات الاسمية والمضارعية والماضوية والمصدرة بشرط واما زعم ابن مالك انها جارة غائية قبل الفعل الماضى باضمار ان بعدها على تأويل المصدر فغلطه أبو حيان فيه وتبعه ابن هشام فقال لا اعرف له فى ذلك سلفا وفيه تكلف اضمار من غير ضرورة وردوا زعمه هو والاخفش انها جارة قبل اذا وان اذا فى موضع جر بها بانه خلاف ما عليه الجمهور وانها ابتدائية فاذا فى موضع نصب بشرطها أو جوابها ثم قال الجلال قال بعض شيوخنا ضابط حتى انها اذا وقع بعدها اسم مفرد مجرورا ومضارع منصوب بحرف جر او اسم مرفوع او منصوب بحرف عطف أو جملة أى ماضوية فحرف ابتداء ولا محل لما بعده الجملة انتهى وهذا كله صريح كما ترى فى ان كل جملة ماضوية دخلت عليها حتى فى القرآن وغيره تكون حتى حينئذ ابتدائية ولا تكون جارة بمعنى الى ان وان صح المعنى لما مر ان ذلك يحتاج لتقدير لا حاجة اليه واذا تقرر ان حتى الغائية لا تدخل على الماضى فأو التى بمعناها اولى (فان قلت) لم قست أو على حتى الغائية فى منع دخولها على الماضى ولم تقسها على الى ان أو الا ان اللذين بمعناها (قلت) اما كونها بمعنى الا ان فهو ماذكره ابن مالك وقد ردوا عليه حتى ولده ومن ثم قال ابو حيان قد أغنانا ولده عن الرد عليه وعلى التنزل فالا ان لا تدخل على الماضى الا عند قوم بشرط ان يتقدمه فعل أو قد كما هو مقرر فى محله وأما كونها بمعنى الى ان فوجهه ان حتى انما امتنع دخولها على الماضى لكونها غائية كما مر مبسوطا وهذا المعنى موجود فى الى ان بطريق الاصالة فليمتنع دخولها على الماضى بنص كلامهم لا بطريق القياس فان قلت تقرر ان أو بمعنى الى ان وهذه تدخل على الماضى كما فى الحديث قام الى ان تورمت قدماه فلتكن أو كذلك قلت هذا اشتباه لان

وقوله كما فى حتى الغائية الخ مردود بانها فى قوله تعالى حتى عفوا بمعنى الى ان وهى داخلة على الماضى فلتكن أو بمعنى الى ان كذلك فليحرر انتهى دنوشرى أى فجعل الشارح حتى فى المثال ونحوه ابتدائية غير مسلم عند العلامة الدنوشرى (قوله ماضوية) اى مثلا والا فالمضارعية والاسمية كذلك

ان

ان المتضمنة فی آو هی الناصبة وهی خاصة بالمضارع فلم یتـه ورد خول أو المتضمنة لها علی الماضی واما أن الملفوظ بها بعد الی فهی التی لا یتصور لها عمل وهی تدخل علی الماضی فلا جامع بین هذه وتلك فان قلت بعضهم یقدرا و بالی ان و بعضهم یقدرها بالی فقط وهذا یدل علی ان أن لا نظر الیها قلت لا یدل ذلك بوجه وانما سبب ذلك أنهم اختلفوا فی ناصب المضارع الداخل علیه أو فالاصح أن أن مقدرة بعدها وقال قوم هی الناصبة نفسها فعلی الاول تقدر بالی ان وعلی الثانی بالی فقط فان قلت قد ادخل الناظم أو علی الماضی فی موضع من البردة وسكت علیه شراحها قلت الاعتراض علیه فی ذلك أیضا وأما الشراح فیحتمل انهم انما سكتوا علی ذلك نظرا للمعنی أو انهم غفلوا عما ذكرته من صریح كلامهم الدال علی ان او الغائیة لا تدخل علی الماضی ثم رایت شارحها العلامة ابن مرزوق تنبه لما ذكرته فقال فی او خلت البطاح بها ان او هنا عاطفة ثم جعلها بمعنی الواو او بل او انها علی حالها الشك او التخییر وتكلف بیان ذلك ولم یعرج علی انها او الغائیة بوجه ولیس سر ذلك الا امتناع دخولها علی الماضی والا كان معنی الغائیة فی البیت اقرب مما تكلفه ولا یتأتی نظیر ما تكلفه هنا بوجه والا لبادرت الیه ومما یصرح بذلك ایضا ان النحاة لم یذكروا لا و الا قسمین عاطفة وناصبة وهی الغائیة فالعاطفة امرها واضح ولا كلام فیها والناصبة تختص بالمضارع فمن اثبت لها قسما ثالثا وهو دخولها علی الماضی ولا یكون للعطف فعلیه البیان ولا یجد ذلك كما دل علیه كثرة البحث والتتبع فتأمل ذلك كله فهو نفیس مهم غفل عنه الناظم وغیره (فاستبانت خدیجة) قیل صرفها للضرورة ویرد بانه انما صرفه وان كان الوزن صحیحا مع عدم الصرف لیسلم من قبح زحاف الشكل وهو اجتماع الكف والخبن لان مستفعلن یحذف سینه فیسمی خبنا كما مر وهو علی انفراده غیر قبیح ویدخل مع ذلك الكف وهو حذف حرفه السابع وهو النون لیصیر متفعل وهذا هو الشكل القبیح الذی هو اجتماع هذین وان كان الاول وحده حسنا والثانی وحده صالحا وهو من العجائب اذ اجتماع الحسن والصالح یصیر قبیحا عندهم ای ظهر لها أتم ظهور لانها علمت من ابن عمها ورقة بن نوفل الآتی أو من غیره ان

(قوله فاستبانت) ای فسبب ما ترتب علی اختبارها بانه ان كان الملك لم یمكث عند كشف رأسها والا مكث بان وظهر لها بعدم مكثه عند الكشف ظهور عین الیقین انه الملك الخ (قوله ویرد الخ) فیه نظر ظاهر لان قوله لیسلم الخ هو عین قول الجوجری وغیره للضرورة لانها ان فسرت بما لیس للشاعر عنه مندوحة فمعناه انه لا غنی له عنه فی كون الكلام علی المیزان المرضی المقبول بالطبع حتی انه لو ارتكبه لم یقبله الذوق السلیم والطبع المستقیم وان لم یخرج عن ذلك البحر بالكلیة وان فسرت بما وقع فی الشعر وهو المختار فالامر ظاهر ولیس مراد الائمة بالضرورة علی التفسیر الاول انه لو ارتكبه خرج عن الوزن الشعری بالكلیة والا لزم علیه ابطال حكمهم فی جمیع أمثال هذا أو غالبها بالضرورة كما یعلم باستقراء كلامهم ثم رأیت بعض محقق شراح الكافیة أشار الی ما ذكرته فقال للضرورة ای لامر ضروری فی الشعر بمعنی انه لو لم یدخله التنوین لزم الخلل فی الشعر سواء خرج من الوزن أم لا قال وأقول تحقیق المقام ان الضرورة الشعریة لا تقتضی الوجوب بحسب النحو بل اذا قرئ الشعر بحیث یظهر الخلل ولم ینون للافساد فی التركیب من جهة النحو لكن یجوز بحسب قواعد النحو فعل العرب ان یراعی جانب الشعر وینون فالتركیب حینئذ أیضا صحیح الاعراب كما هو مقتضی كلام محقق النحویین فالضرورة الشعریة لا تنافی الجواز ولا تقتضی الوجوب النحوی كما توهمه جماعة المتأخرین فلذا قال ویجوز الصرف قال واصرف الضرورة أمثلة مشهورة لم تحتج للبیان نحو

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته یتضوع

فانه لو لم ینون نعمان لظهر الزحاف المخل وان صح الوزن فنون وكسر بتبعیته اه وقوله بتبعیته ای تبعیة الكسر للتنوین والزحاف المذكور هو الكف وهو فی مفاعیلن حذف السابع الساكن فاستفده (قوله وهو من العجائب) مراده اظهار نكتة ذوقیة وهی التعجب من حسن وصالح وكل حسن وحده فعند اجتماعهما یصیر شكلا قبیحا وكان القیاس زیادة الجمال واما صناعة فلا عجب كما هو ظاهر

جبريل عليه الصلاة والسلام لا يأتى محلا فيه امرأة مكشوفة الرأس (انه) اى ما يعرض للنبى صلى الله عليه وسلم الذى طلبت الوقوف على عين اليقين فيه (الكنز) اى الشئ النفيس بل الذى لا انفس منه (الذى حاولته) اى اردت حيازته والظفر به (و) انه (الكيمياء) اى العلم البديع الذى يقلب الاعيان الرديئة الى الاعيان النفيسة فاستعار الكنز وهو المال المدفون والكيمياء وهو العلم المعروف للوحى لانه بهما تحصل الذخائر النفيسة المنتفع بها حالا ومآلا كما ان الوحى كذلك وأيضا هما لا يظفر بهما الا النفر النادر كما ان الوحى لا يظفر به الا أكمل البشر وهو فى غاية الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس وأشار بذكر ما وقع لخديجة الى سبب ذلك وهو قصة ابتداء بعثه صلى الله عليه وسلم وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ أربعين سنة قيل وكسرا بعثه الله تعالى يوم الاثنين كما فى خبر مسلم لسبع عشرة من رمضان وقيل من ثمان من ربيع الاول وقيل كان فى رجب رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الخلق أجمعين كما قال صلى الله عليه وسلم وأرسلت الى الخلق كافة روى البخارى وغيره أول ما بدئ به صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وابتدئ بها لان الملك لو جاءه بغتة لم تحتمله قواه البشرية وكان يأتى حراء فيتعبد فيه الليالى الكثيرة ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق اى جاءه جبريل وهو بغار حراء فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ اى لست بقارئ قاله امتناعا لانه صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرأ ولا يكتب فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله وقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ قاله اخبارا بالواقع فغطه ثم أرسله كذلك وقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ اى ما الذى اقرؤه فغطه وأرسله كذلك وحكمة الغط ثم تكريره مزيد التأهل الى لقاء الملك لما بين البشرية والملكية من التباين ثم الى التلقى منه ثم قال له اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال زملونى زملونى فزملوه صلى الله عليه وسلم

(قوله ما يعرض) ان كان المراد به جبريل كما هو الظاهر مما سبق فى قوله أمر الوحى اى حامله ومن قوله فاختفى الخ كان المراد بقوله حيازة علمه علما هو عين اليقين كما علمت وان كان المراد به ما نزل به عليه فكذلك وظاهر ابن عبد الحق ان الضمير للنبى حيث قال انه صلى الله عليه وسلم وانما قلنا ظاهر لاحتمال ارادته جبريل لانه كالنبى فى طلب الصلاة عليه وعليه يظهر قوله اردت حيازته الخ من غير تكلف واما على كون الضمير مجرورا فالمراد حازت علمه علم عين اليقين أو لما جاء به فالمراد حازت علم حامله كذلك (قوله حاولته) قال فى القاموس حاوله حوالا ومحاولة رامه اه فقول الشارح اى اردت تفسير لرامه الذى هو معنى حاول فى اللغة (قوله اى العلم الخ) لكن قال فى القاموس الكيمياء بكسر الكاف الاكسير اه وعليه فاطلاقه على العلم مجاز لانه سبب فى حصول الاكسير (قوله فاستعار الخ) الذى يظهر انه تشبيه بحذف الاداة لوجود الجمع بين طرفى التشبيه اذ مرجع الضمير هو المشبه (قوله بذكر ما وقع الخ) اى بقوله فاماطت الخ (قوله الصادقة) وفى رواية الصالحة (قوله فلق الصبح) اى ضيائه ومثله فرق بالراء بدل اللام وقد تقدم التنبيه على ذلك (قوله الليالى الكثيرة) فى البخارى الليالى ذوات العدد قال شارحه القسطلانى مع ايامهن واقتصر عليهن للتغليب لانهن أنسب للخلوة ووصف الليالى بذوات العدد لارادة التقليل كما فى قوله تعالى دراهم معدودة أو الكثرة لاحتياجها الى العدد وهو المناسب للمقام وكانت تلك الليالى شهرا ففى رواية البخارى ومسلم جاورت بحراء شهرا وعند ابن اسحق هو شهر رمضان (قوله لمثلها) اى الليالى (قوله فجأه) بفتح الجيم وكسرها اى جاءه بغتة (قوله بغار) الغار والمغارة الكهف فى الجبل (قوله فغطه) اى ضمه وعصره ويقال غته وضغطه وعصره وخنقه وغمره كلها بمعنى اه عراقى (قوله الجهد) بفتح الجيم والدال اى بلغ الغط منى غاية وسعى أو حتى بلغ جبريل فى الجهد غايته ويروى الجهد بالضم والرفع اى بلغ منى الجهد مبلغه وهذا الغط من خصوصيته عليه الصلاة والسلام فلم يقع لغيره من الانبياء (قوله فرجع بها) اى بالآيات المذكورة من قوله اقرأ الى قوله ما لم يعلم (قوله يرجف) بضم الجيم اى يضطرب (قوله زملونى) زملونى من التزميل وهو التلفيف قال ذلك لشدة ما لحقه من هول الامر والعادة جارية بسكون الرعدة بالتلفيف

حتى

(قوله خشيت على) فى نسخة الشارح خشيت على نفسى (قوله الضرورى) اى خلق الله فى رسوله علما ضروريا علم ان الجائى جبريل وانه ملك من عند الله لا جنى كما ان الله تعالى خلق فى جبريل علما ضروريا بان المتكلم معه هو الله تعالى وان المرسل له هو ربه لا غيره اه من المواهب (قوله فقالت له كلا) كلمة نفى وابعاد اه (قوله لا يخزيك الله) بضم الياء المثناة من تحت واسكان الخاء المعجمة وبعد الزاى مثناة من تحت أيضا من الخزى وهو الفضيحة والهوان وفى رواية لا يحزنك بالحاء المهملة والنون ويجوز فيه فتح أوله وضم ثالثه وضم أوله وكسر ثالثه فانه يقال حزنه وأحزنه اه عراقى (قوله وتحمل الكل) اى الشئ الذى يحصل منه التعب والاعياء لغيرك (قوله وتكسب المعدوم) اى تكسب غيرك المال المعدوم اى تعطيه له تبرعا منك أو تعطى غيرك ما لا يجده من النفائس الا عندك فاحد مفعولى تكسب محذوف ٧٧ (قوله وتقرى الضيف) بفتح أوله (قوله نوائب الحق) اى حوادثه (قوله تنصر) اى صار نصرانيا وترك عبادة الاوثان (قوله من ابن أخيك) تعنى النبى صلى الله عليه وسلم لان الاب الثالث لورقة هو الاخ للاب الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو قالته على سبيل الاحترام (قوله هذا الناموس) هو صاحب سر الخير والجاسوس هو صاحب سر الشر ولم يقل الناموس الذى أنزل على عيسى مع قربه وحكمه بشر يعته بعد نزوله لان ورقة كان نصرانيا والنصارى لا يقولون فى عيسى انه نبى يأتيه الوحى وانما يقولون ان اقنوما من الاقانيم الثلاثة حل فى ناسوت المسيح وهو اقنوم الكلمة والكلمة عندهم عبارة عن العلم فلذلك كان المسيح عندهم يعلم الغيب ولذا عدل الى ذكر موسى لاعتقاده ان جبريل كان ينزل عليه وأيضا موسى متفق على نبوته عند أهل الكتابين واما عيسى فكثير من اليهود ينكرون نبوته وفى رواية الزبير بن بكار بلفظ عيسى (قوله مؤزرا) اى قويا بالغا (قوله ينشب) بفتح التحتية والمعجمة اى لم يلبث وقوله أن توفى بدل اشتمال من ورقة اى لم تلبث ولم تتأخر وفاته عن هذه القصة (قوله لا اطلب النبوة) انما يناسب ذكره هذا تعبده بغار حراء قبل نبوته اذ هو وقت توهم طلب النبوة فيتعرض لنفيه واما تعبده فيه فى هذه الرواية فكان بعد النبوة والرسالة كما سيأتى للشارح قريبا فكيف يتوهم طلب ما ذكر فكان الصواب ان يذكر الشارح ذلك عند قوله وكان يأتى حراء فيتعبد الخ (قوله لا تنال بكسب) قال الشارح فى شرح الاربعين يكفر من قال ان النبوة مكتسبة (قوله فقرن بنبوته اسرافيل) وقرنه كان فى مدة فترة الوحى ليؤنسه ويقويه على تحمل اعباء ما سينزل عليه وان كان ظاهر كلامه ان قرنه

حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة مالى وأخبرها الخبر ثم قال قد خشيت على نفسى اى قبل ان يحصل له العلم الضرورى بان الجائى جبريل عليه الصلاة والسلام أو خشيت أن لا أقدر على حمل اعباء الرسالة أو ان يقتلنى قومى ولا بدع فانه صلى الله عليه وسلم بشر فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة وكان شيخا كبيرا قد عمى وهو ممن تنصر من العرب وعرف الانجيل فقالت له اسمع من ابن أخيك فأخبره صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال هذا الناموس الذى انزل على موسى يا ليتنى فيها اى فى ملتك جذعا اى شابا بالغا فى نصرتك اذ يخرجك قومك قال أومخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن صلى الله عليه وسلم وتكرر ذهابه صلى الله عليه وسلم الى رؤس شواهق الجبال ليرمى نفسه فيبرز له جبريل ويقول يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وأخرج الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا اى لا لطلب النبوة فانها موهبة لا تنال بكسب اتفقا لم حيث يجعل رسالته فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت فلم أر شيأ فرفعت رأسى فرأيت شيأ فأتيت خديجة فقلت دثرونى دثرونى فدثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر الآية وهذا بعد نزول اقرأ باسم ربك وبعد فترة الوحى اذ أول ما نزل اقرأ على الاصح بل الصواب وصح عن الشعبى انه قال انزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه

بالقرآن على لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب الروع الذى وجده صلى الله عليه وسلم ومزيد تهييجه الى الاشتياق للعود وروى أصحاب السير انه صلى الله عليه وسلم لما أخبر خديجة رضى الله تعالى عنها الخبر قالت له صلى الله عليه وسلم ألا تستطيع ان تخبرنى بهذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل أخبرها به فقالت له اجلس على فخذى الايسر ففعل فقالت أتراه قال نعم قالت فعلى الايمن ففعل فقالت أتراه قال نعم قالت فاجلس فى حجرى ففعل فقالت أتراه قال نعم فألقت خمارها ثم قالت أتراه قال لا قالت اثبت وأبشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان (ثم) بعد تلك الفترة ونزول قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ (قام النبى) اى جد واجتهد فى حال كونه (يدعو الى) عبادة (الله) والايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وذلك لان أول ما وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله عليه من قيام الليل ما ذكره فى أول سورة المزمل ثم نسخه بما فى آخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة قاله النووى رحمه الله تعالى وقال فى فتح البارى كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلى قطعا وكذلك اصحابه لكن اختلف هل افترض قبل الخمس صلاة ام لا فقيل ان الفرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وروى ان جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم فى احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسولى الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الى الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم امره ان يتوضأ وقام جبريل يصلى وامره ان يصلى معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فأخبرها فغشى عليها

به عقب نبوته قبل فترة الوحى وكانت نبوته متقدمة على رسالته كذا قيل قال الشارح فى شرحه للشمائل قال ابن علان فى شرح الخصائص الصغرى من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على أحد من الانبياء والرسل وقال صلى الله عليه وسلم رأيت بين عينى اسرافيل كل شئ أنزل على قبل نزوله وفى شرحه لها أيضا ان النبوة والرسالة مقترنان (قوله من قيام الليل) قال السيوطى فى الاتقان لا خلاف ان فرض الصلاة كان بمكة ولم يحفظ انه كان فى الاسلام صلاة بغير الفاتحة ذكره ابن عطية وغيره اه (قوله لكن اختلف الخ) هذا الذى نقله عن فتح البارى ينافى ما نقله قبل عن النووى لاقتضاء ذلك انه أول ما وجب قبل الخمس ما فرض عليه فى سورة المزمل واقتضاء هذا ان أول ما وجب قبلها صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها (قوله يقرئك) قال فى المختار فلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى اه لكن قرأ يتعدى بعلى واقرأ يتعدى بنفسه كما أشار اليه صاحب المختار سئل العلامة الشيخ أحمد العجمى عن قول جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم الله يقرئك السلام ما صورة جوابه له فأجاب بان العلامة السيد السمهودى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نودى بعد مجاوزة الحجب ليلة الاسراء حى ربك فقال التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله فأجابه مولاه بقوله السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وجاء فى بعض طرق حديث الاسراء انه قال فى جوابه حين قيل له حى ربك سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فيحتمل انه أتى بهذا بعد فراغه من تحياته فقد جعل ما ذكروا بالسلام الله عليه اذ لا يجاب سلام الله الا بالثناء عليه كما صنعت ام المؤمنين خديجة حين من ابتدئت بالسلام من الله على لسان جبريل فبلغه للنبى صلى الله عليه وسلم والنبى بلغه لها فأجابت بقولها ان الله هو السلام ورحمة الله وبركاته فعرفت خديجة ان الله لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين لان السلام من أسمائه تعالى وهو أيضا دعاء بالسلامة وكلاهما لا يصلح ان يرد عليه به لعدم مناسبته فى مقابلة سلامه وانما يناسب الثناء وبالجملة لم يثبت تعيين صيغة ثناء فى كل سلام من الله وانما الثابت ذلك فى ليلة الاسراء وفى قصة خديجة كما علمت وقد علمنا حكم الرد لسلام العباد وأما سلام الله عليهم فانظر ما حكمه هل هو الوجوب أو غيره

من الفرح ثم امرها صلى الله عليه وسلم فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها ركعتين الحديث (و) هي للحال (فى) اهل (الكفر نجدة) اى قوة تامة وتحزب عليه (واباء) اى امتناع عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به (امما) مفعول يدعوا اى جماعات هم امة الدعوة (اشربت) بالبناء للمفعول (قلوبهم الكفر) اى اختلطت به بتقدير تجسمه وتمكن فيها حبه حتى صارت لاتقبل على غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ (فداء الضلال) الذى استقر (فيهم) اى مرضه والاضافة بيانية اى فالداء الذى استقر فيهم وهو الكفر داء لا يرجى برؤه (عياء) بمهملة مفتوحة فتحتية اى داء عضال اعيا الاطباء مداوته وحصول شفائه ولما قام صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله تعالى دخل فى الاسلام رجال ونساء حتى كمل السابقون الاولون واولهم على الاطلاق خديجة ثم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان على وصح اسلامه مع صباه لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتميز ومن الموالى زيد ومن الارقاء بلال وروى ان ورقة اسلم فان صح كان اول من اسلم من الرجال وبهذا تجتمع الاقوال المتباينة فى اول من اسلم ثم دخل الناس فى الاسلام ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم مخفيا امره الى ان امره الله تعالى باظهار امره بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر قالوا وكان ذلك بعد النبوة بثلاث سنين ولم يبعد منه قومه ولا ردوا عليه حتى عاب آلهتهم سنة اربع من النبوة فأجمعوا على عداوته الا من عصمه الله تعالى بالاسلام او صدق المحبة كابى طالب فانه حدب عليه ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم وتوامرت قريش على من اسلم منهم يوذونهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه ابى طالب وبنى هاشم غير ابى لهب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس فى منازلهم يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وابو لهب وراءه يحذر منه ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وكان بعضهم يحثوه بالتراب ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن أبى معيط على عنقه وهو ساجد عند باب الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر ومنعه منهم ثم اسلم عمه حمزة رضى الله تعالى عنه سنة ست من النبوة فعز به فكفت عنه قريش قليلا وسألوه ان يكفوه عليهم ويبذلوا له من الاموال ما شاء ويترك ما هو فيه فأبى وقال أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم * وفى سنة خمس اذن الله لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة فكان اولهم عثمان مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم عمر بعد حمزة رضى الله تعالى عنهما بثلاثة ايام فعز صلى الله عليه وسلم كثيرا فاجتمعت قريش على قتله صلى الله

(قوله ثم امرها الخ) يقتضى ان ذلك بعد الرجوع من العروج وفيه نظر لان أول صلاة صلاها جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد الرجوع صلاة الظهر ولم يعلم انه صلى به ركعتين قبلها فلو قدم ذلك على قوله ثم عرج الى السماء لزال النظر فان ثبت ان جبريل صلى ركعتين به بعد رجوعه من غير الخمس فلا ينافى كون أول صلاة صلاها به الظهر لان المراد من الخمس صح ما ذكره (قوله وتحزب عليه) اى تجمع اى اجتمعوا على مخالفته صلى الله عليه وسلم (قوله فاستعار لفظ الشرب الخ) أو شبه الكفر بالمسكر بجامع السريان والمحبة على طريق الاستعارة بالكناية واشربت تخييل (قوله الشرب) كان الظاهر فى التعبير الاشراب لانه المناسب للفظ المتن (قوله بيانية) أو من اضافة المشبه به للمشبه (قوله عياء) قال فى المختار وداء عياء اى صعب لادواء له أعيا الاطباء فقول الشارح عضال اى شديد صعب تفسير لعياء (قوله السابقون الاولون) قيل هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم جميع الصحابة لحصول السبق لهم بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ومن الموالى زيد) اى ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ارسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتح الراء والسين اى أفواجا وفرقا اهـ من نور النبراس (قوله حدب) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين والباء الموحدة قال فى الصحاح يقال حدب عليه وتحدب عليه اى تعطف عليه (قوله وتوامرت) اى تشاورت وتوافقت (قوله يحثوه) قال فى المختار حثا فى وجهه التراب من باب عدا ورمى فكما يقال يحثوه يقال يحثيه

عليه وسلم فبلغ ذلك اباطالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فادخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه (ورأينا) معشر امة الاجابة اى ابصر الصحابة رضى الله تعالى عنهم وعلم من بعدهم بطريق التواتر او الشهرة ويصح انها بمعنى علم فى الكل وهو واضح وابصر فى الكل وهو فيمن بعد الصحابة بالنسبة لمشاهدة حروف القرآن الدالة على آيات لا تحصى (آياته) اى معجزاته وخلقه وخلقه من بديع صفاته (فاهتدينا) اى وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع (و) انما بادرنا الى ذلك لانا اصحاب عقول كاملة وقد رأينا الحق عيانا لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه (اذا الحق جاء) زهق الباطل وبين بجاء ان الحق فاعل مثله المحذوف لان اذا لا تدخل الا على الجمل الفعلية على الراجح (زال المراء) اى الضلال والجدال فيه وفى هذا أبلغ التعريض لكفار قريش حيث لم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من كماله الاعظم خلقا وخلقا وعلما وسيرة ومن معجزاته الدالة على صدقه يا (رب ان الهدى) اى اتباع الحق ليس الا (هداك) اى ليس الا بتوفيقك وهدايتك كما قلت فى كتابك العزيز فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له (و) ان (آياتك) التى اقتضى دلالتها على صدق انبيائك ويصح رفعه فعلى الاول كل من الجملتين مؤكدة لما قبلهما وعلى الثانى هى مؤكدة ايضا لكن فيها شبه اعتراض بها بناء على جواز وقوعه بعد تمام الكلام (نور) كما قلت قد جاءكم من الله نور (تهدى بها من تشاء) هدايته وتضل عنها من تشاء غوايته ففى كلامه اقتباس من الآيتين المذكورتين كما اشرت اليه وايماء الى ان الآيات لا تنفع مع سبق الشقاوة ولما قرر ان الهدى هدى الله وانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان الآيات وحدها لا تجدى شيئا ذكر ما يستغرب من ذلك ويقربه وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا ما يحرمه العاقل فقال (كم) مرة اى مرار كثيرة فهى خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعله الناظم فان ذكر جر باضافتها اليه عند البصريين وجوز بنو تميم نصبه وافراده اكثر وافصح من جمعه فان فصل نصب حملا على كم الاستفهامية (رأينا) اى علمنا وابصرنا نظيرما مر واستعمال المشترك فى معنييه واللفظ فى حقيقته ومجازه جائز وعلى منعه الذى ذهب اليه الاكثرون هو من عموم المجاز (ما) اى شخصا (ليس يعقل) اصلا كالحيوان والجمادات (قد ألهم) من المصالح وهذه الجملة فى موضع ثانى مفعولى راى (ما) اى كثيرا (ليس يلهمه) (العقلاء اذ) ظرف او علة لرأى (أبى) اى امتنع (الفيل) المذكور فى الآية من ان يفعل (ما اتى) الامر اى عزم عليه (صاحب الفيل) وهو أبرهة ملك صنعاء وهو دخوله الحرم لهدم

(قوله اى ابصر الصحابة) وعلم من بعدهم امامن الجمع بين الحقيقة والمجاز ان كان حقيقة فى أحدهما مجازا فى الآخر واما من استعمال المشترك فى معنييه ان كان موضوعا لهما اومن منع ذلك ذهب الى ان مثل ذلك من عموم المجاز بان يراد به معنى عام يشمل المعنيين كالادراك فتأمل (قوله وعلم من بعدهم) اى عرف فليست قلبية لعدم وجود مفعول ثان وكذا يقال فى قوله بمعنى علم فى الكل اى الصحابة ومن بعدهم (قوله وهو فيمن بعد الصحابة الخ) وعليه فالمعنى أبصرنا معجزاته اى دالها اذ النقوش ليست معجزة بل دال المعجزة وقد أشار لذلك بقوله الدالة الخ (قوله يجعل صدره) اى يصيره لان الانسان يخلق أولا على الفطرة وهى كونه مهيأ لما يلقى اليه ولما يجعل فيه فاذا أراد الله اضلاله أضله وجعله لا يقبل الايمان وقوله ضيقا اى ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقوله حرجا اى شديد الضيق وذلك على قراءة كسر الراء ظاهر واما على قراءة فتحها فمن الوصف بالمصدر على حد مررت برجل عدل والقراءتان سبعيتان وقوله كأنما يصعد فى السماء شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة تنبيه به على ان الايمان يمتنع معه كما يمتنع عليه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه (قوله اذا ظرف أو علة لرأى) ان كانت علمية فان كانت بصرية أو عرفانية فهى حال (قوله ابرهة) هو بلسان الحبشة الابيض الوجه قال الواقدى ابرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اه من تفسير القرطبى وعبارة البيضاوى ان ابرهة بن الصباح الاشرم قال فى القاموس هو صاحب الفيل سمى = الكعبة

الكعبة و بين ابى واقى الجناس المصحف ومنه قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (ولم يتنبه) (الحجا) اى العقل الوافر (والذكاء) اللذان اتصف بهما فلم يوفق لما وفق له الفيل مع وضوح فرقان ما بينهما فى الذكاء والعقل فعلم ان الهداية والضلال ليسا الا بتوفيق الله تعالى وهدايته أو خذلانه وعدم رعايته * وبسط هذه القصة ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشى قد بنيت لك كنيسة واريدان اصرف حج العرب اليها فجاء رجل من بنى كنانة فأحدث فيها فسمع بذلك ابرهة فغضب وحلف ليسيرن الى كعبة العرب ويهدمها فأمر الحبشة فتهيأت ثم سار وخرج معه بالفيل قيل واحد يسمى محمودا وقيل اكثر فخرج عليه ملوك فهزمهم واسرهم الى ان قرب من المغمس من عرفة فبلغ ذلك عبد المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت ان له ربا يحميه ثم أرسل ابرهة خيلا فاستاقت ابل قريش وغيرهم ولعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة فركب فى قريش حتى بلغ جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل السراج فقال ارجعوا فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا النور منى الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا ثم أرسل ابرهة رجلا لسيدهم وهو عبد المطلب ليخبره انه لا حاجة له بدمائهم وانما غرضه تخريب الكعبة فان مكنتمونى نجوتم فقال له عبد المطلب لا طاقة لنا بحربه والبيت بيت الله تعالى فان منعه فهو بيته ثم جاء له اليه فاكرمه واجله ونزل عن سريره واجلسه معه على بساطه ثم قال له ما حاجتك قال ان ترد على ابلى فقال له كنت أعجبتنى ثم زهدت فيك تكلمنى فى ابلك دون بيت هو دينك ودين آبائك فقال اما الابل فانا ربها واما البيت فله رب يحميه فرد عليه ابله فرجع فأخبرهم فتحرزوا فى شعف الجبال والشعاب ثم اخذ عبد المطلب ومعه نفر من قريش بحلقة باب الكعبة ودعوا واستنصروا وفى رواية ان رسول ابرهة لما دخل مكة ورأى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروى ان عبد المطلب لما ذهب لابرهة احضر فيله الابيض العظيم فلما رأى عبد المطلب

= بالاشرم لان أباه ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه وقيل غير ذلك اه (قوله من قبل) اى جهة فكان عاملا لاصحمة (قوله أصحمة) بمهملات بوزن أربعة وقيل صحمة بفتح الصاد واسكان الحاء ومعناه بالعربية عطية ذكره ابن قتيبة (قوله بنى كنيسة) ذكر السهيلى ان ابرهة استذل أهل اليمن فى بناء هذه الكنيسة الخسيسة وكان من تاخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لامحالة وجعل ينقل اليها من قصر بلقيس رخاما واحجارا وأمتعة عظيمة وركب فيها صلبانا من ذهب وفضة وجعل فيها منابر من عاج وآبنوس وجعل ارتفاعها عظيما جدا واتساعها باهرا فلما هلك ابرهة ٨١ وتفرقت الحبشة كان من تعرض لاخذ شئ من بنائها وامتعتها اصابته الجن بسوء لانه كان بناها على اسم صنمين وهما كعيب وامرأته وكانا من خشب طول كل منهما ستون ذراعا نحو السماء وكانا معه وبين من الجان فلم تزل كذلك الى زمن السفاح أول خلفاء بنى العباس فبعث اليها جماعة من أهل الحزم والعزم والعلم فنقضها حجرا حجرا واندرست كذا فى البداية لابن الاثير (قوله النجاشى) بفتح النون والجيم وبالشين المعجمة وتشديد الياء كذا فى تحرير النووى قال ابن الملقن النجاشى تابعى لانه آمن ورأى الصحابة ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم ومن مسائل المعمى صحابى طويل الصحبة كثير الرواية أسلم على يد تابعى وهو عمرو ابن العاص فانه أسلم على يد النجاشى اه من ازهار العروس للسيوطى (قوله فأحدث فيها) اى ولطخ قبلتها بالعذرة (قوله المغمس من عرفة) قال فى القاموس المغمس كمعظم ومحدث قال الشامى فى سيرته موضع فى طرف الحرم ١١ = (قوله ونزل عن سريره) اى لانه كره ان يجلسه على السرير وخاف ان تنكر الحبشة عليه اجلاسه معه على سرير الملك (قوله يحميه) فقال له ابرهة لم يكن ليمتنع منى مع كثرة جيوشى فقال له عبد المطلب أنت وذاك فرد اليه الخ (قوله فى شعف الجبال) بشين معجمة فعين مهملة مفتوحة رؤسها الواحدة شعفة والشعاب جمع شعب بالكسر الطريق من الجبل (قوله وخار) قال فى القاموس الخوار بالضم صوت البقر والغنم والظباء والسهام وفى المختار خار الثور يخور خوارا صاح ومنه قوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار

خر ساجدا وقال السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب *(تنبيه)* مر آنفا
امران لا يخلوان عن اشكال وهما النور الذى فى جبهة عبد المطلب والذى فى صلبه وان
ذلك نور محمد صلى الله عليه وسلم مع ان الاشهر ان ولادته صلى الله عليه وسلم كانت
قبل الفيل قبل بخمسين يوما فكل ذلك جرى وهو صلى الله عليه وسلم حمل قريب وضعه
وسبب اشكال هذين ما علم مما مر ان نوره صلى الله عليه وسلم كان ينتقل فى اصلاب
الآباء وارحام الامهات بحسب ترتيبهم فى الوجود فاذا وجد واحد انتقل اليه ما كان فى
الذى قبله وهكذا وقضية هذا المعلوم المستقر ان النور لما انتقل الى آمنة ولم يبق منه شئ
فى عبد الله فضلا عن عبد المطلب ويؤيد هذا ما مر فى الكاهنة التى شاهدت ذلك النور
فى عبد الله فبذلت له مالا عظيما ليتزوجها فينتقل النور اليها فتراخى فى اجابتها ثم ذهب
فواقع آمنة فحملت فانتقل النور اليها ثم جاء لتلك الكاهنة فأبت فقال لها لمه قالت لان
النور الذى كنت أشاهده فيك قد انتقل لغيرك فعلم انتقاله لآمنة وقد يجاب عن ذلك بان
النور وان انتقل كما ذكر لكن الله سبحانه اكرم عبد المطلب فأحدث فيه كما يدل عليه
سياق القصة حتى احتاج الى كرامة عظيمة تخلصه وماله من ذلك الملك وجنده الذين طغوا
فى العتو والجراءة على الله تعالى وعلى بيته الذى أجمع الامم من لدن ابراهيم على صيانته
وتعظيمه وانه لا يحاكى ولا يغالب نورا يحكى ذلك النور الذى استقر فى آمنة بل مع زيادة
حتى صار فى جبهته كالشمس ثم اكرمه ثانيا بنور آخر اوجده فى صلبه وأطلع الفيل عليه
فسجد ليعلم الخلق بهاتين الكرامتين ان جميع ما وقع فى قصة الفيل انما هو من كمالات
الارهاص لتحقيق نبوة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل وجوده مع الاشارة الى انه
سيظهر دينه على الاديان كلها وانه لا يناويه أحد الا أهلكه الله واستأصل اتباعه
حتى لا يبقى منهم أحد الا الشاذ ليخبر الناس عن الكيفية التى أخذهم الله بها والى ان
ربه سبحانه وتعالى سيعطيه من خوارق المعجزات وباهر الآيات ما لم يعطه لنبى مرسل
ولا ملك مقرب لان هذا الامر الباهر اذا وقع لاجله وهو حمل لم يبرز فى الوجود فما بالك بما
سيقع له بعد وجوده ثم فى تنويع كرامة عبد المطلب لكون أحد ذينك الباهرين ظهر
للناس وشاهدوه والثانى بطن فيه ولم يطلع عليه الا الفيل فسجد له الاشارة الباهرة أيضا
الى ان الله سبحانه وتعالى سيظهر آيات ذلك الحمل وكراماته الى حد لا يمكن أحدا أن يخفى
عليه من ذلك شئ والى انه سيطلعه على حقائق علومه الباطنة ما انبأ عنه صلى الله عليه وسلم
بعد فى قوله فى الحديث المشهور فعلمت علم الاولين والآخرين والى ان تلك العلوم الباطنة
يطلع الله على بعضها خلفاءه ووارثيه ليتم لهم حقائق الخلافة وغاية الوراثة والحاصل انه
صلى الله عليه وسلم كان له مقامان باهران ظاهر فى العالم كالشمس وباطن يوجب خضوع
سائر الارواح الكاملة من البشر وغيرهم بين يديه وان استمدادهم منه وانه الممد لسائر
الكمل من لدن وجودهم الى ما لا غاية له ولا انقضاء ولما أصبح ابرهة بالمغمس وهيأ فيله

(قوله خر ساجدا) اى وكان لا يسجد للملك ابرهة كما تسجد سائر الفيلة (قوله فأحدث) اى الله سبحانه وتعالى فيه اى فى عبد المطلب وقوله نورا الآتى مفعول أحدث

(قوله وجنوده) وكانوا المحو تين الفالم يرجع منهم الاملكهم وشرذمة قليلة (قوله برك) من باب دخل اى سقط الى الارض رأيس من شأن الفيل أن تبرك وقيل ان فيها ما يبرك كالبعير اى يجمل البرك وهو الصدر بالارض (قوله محسر) كمحدث وهو واد بين المزدلفة ومنى (قوله ومراق بطنه) اى مارق من أسفل البطن ولان ولا واحد له من لفظه كذا فى الصحاح والمصباح (قوله أبابيل) اى جماعات ولم تتكلم العرب له بواحد (قوله كامثال الخطاطيف) قال العوفى سألت أبا سعيد الخدرى



وجنوده لدخول مكة برك الفيل فى محله بناء على الاصح انهم لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوا وانما برك لما وصلوا الى وادى محسر ولذا سمى بذلك لان فيلهم حسر اى اعيا فيه فضربوه فى رأسه ومراق بدنه حتى مزقوه بالحديد فأبى فوجهوه نحو اليمن فقام ثم نحو الشام فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فأبى ثم أرسل الله عليهم طيرا أبابيل كامثال الخطاطيف من البحر مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه كامثال العدس لا تصيب احدا منهم الا قتلته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق وأصيب ابرهة فى جسده بداء فتساقطت أنامله أنملة أنملة حتى وصل صنعاء وهو مثل فرخ الطائر وسال منه الصديد والقيح والدم ومامات حتى تصدع قلبه وقد ذكر الله هذه القصة فى سورة الفيل وافتتحها بألم تر كيف مع انها قبل مبعثه بل قبل ولادته اشارة الى ان المراد من الرؤية العلم والتذكر وان الخبر متواتر فكان العلم بذلك ضروريا مساويا للعلم الحاصل بالرؤية البصرية وقد دلت هذه القصة على غاية شرف نبينا وانها كانت ارهاصا وتأسيسا لنبوته ويجوز تقديم المعجزة على زمن النبوة تأسيسا كما مر فى تظليل الغمام والشجر والملكين بل جاءان الشجر والحجارة قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم كان لا يمر منها بشئ الاسلم عليه سلاما يسمعه باذنيه وعلى شرف قومه وحماية الله لهم ولذا دانت العرب لشرفهم لعلمهم بان ابرهة لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله فاذا تولى الله نصرتهم عليه دل ذلك على عظم اعتناء الله بهم والمقدم معنى الارهاص بعد مجئ النبوة وثبوتها بالدلائل القطعية أملى للحجاج فحبسه الله حتى خرب الكعبة ولم يعاقب بشئ * ولما ذكر ما يتعلق بالهام الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجمادات فقال (والجمادات) وهى ما لا روح فيه (أفصحت) اى اظهرت ونطقت بكلام بين فصيح لا تلعثم فيه قيل يخلق الله تعالى فيها حينئذ من غير حياة وان من شئ الا يسبح بحمده وقيل بل يخلق الله فيها حياة وإسانا وادرا كا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق به ويدل لهذا ما يأتى فى حنين الجذع وأنينه فان ذلك يدل على ان الله تعالى خلق فيه الحياة والعقل والشوق حتى حن وأن ولا يعارضه ان مذهب الاشعرى ان خلق الصوت فى محل لا يستلزم خلق الحياة والعقل فيه لانا لم نأخذ الحياة من تصويته بل من اطلاق الصحابة عليه انه حن وأن ومذهب الاشعرى ان الذكر المعنوى والكلام النفسى يستلزمان الحياة استلزام العلم لها ولذا عامله صلى الله عليه وسلم معاملة الحى بالتزامه كما يلتزم الغائب أهله بالشهادة (له) الانباء والارسال

فقال حمام مكة منها اه من تفسير القرطبى فليتأمل فيه مع ما سيأتى فى قصة الغار من ان حمام مكة من نسل الحمامتين اللتين عششتا فى الغار وهما حمامتان وحشيتان (قوله ثلاثة أحجار) قال ابن عباس كان الحجر اذا وقع على أحدهم نفط جلده فكان ذلك أول الجدرى (قوله أملى للحجاج) قال فى المصباح وأملى الله له اى امهله (قوله لا تلعثم فيه) يقال تلعثم الرجل فى الامر اذا تمكث فيه وتأنى اه مصباح (قوله فى حنين الجذع وأنينه) قال فى القاموس الحنين الشوق وشدة البكاء والطرب والانين التأوه (قوله بالشهادة) اذا تأملت ما سيأتى لم تجد التصريح بالشهادة بالارسال الا فى حديث الشجرة وحديث على الذى فيه فما استقبلنا شجر ولا حجر الخ وحديث البزار وأبى نعيم اذ ليس المراد بالشهادة بالارسال خصوص لفظها حتى يختص بحديث الشجرة بل الاقرار بالرسالة ولو بغير لفظ الشهادة وفى حديث العذق على أحد

التقريرين الا تبين فيه واما فى غير ذلك فاتما فيه خوارق للعادات تدل على رسالته كتسبيح الحصى والطعام تأمل (قوله بالانباء) قد تتبعت كلام الشارح فلم أجد فيه ذكر الشهادة بالانباء من جماد من الجمادات وانما جميع ما ذكره قاصر على الاخبار بالارسال اللازم له الانباء فكان الظاهر حذف الانباء لايهامه انه ذكر ما يفيد الشهادة به مجردا عن الارسال

(الذى أخرس عنه لاجد) متعلق بأفحمت (الفصحاء) نائب فاعل أخرس وفيه اطباق
اى ان العرب قريشا وغيرهم مع كونهم أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت
ألسنتهم من النطق له صلى الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة له بالرسالة اليهم وشهد له بذلك
الجمادات الصم بأفصح لسان وأبلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى فى يديه ثم فى يد أبى بكر
ثم فى يد عمر رضى الله عنهما بسمع تسبيحهن من فى الحلقة رواه جماعة وهو مشهور لكن
فى سنده ضعف وصح عن ابن مسعود كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيح الطعام وفى سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم وصح أيضا انى لاعرف حجرا بمكة
كان يسلم على قبل أن أبعث انى لاعرفه الآن قيل هو الحجر الاسود وقيل البارز بزقاق
المرفق لانه كان يمر به صلى الله عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه أهل مكة سلفا
وخلفا وصح عن على كرم الله وجهه كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا
فى بعض نواحى مكة فما استقبلنا شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى
البزار وأبو نعيم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله والبيهقى وابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس وبنيه بملاءة
فقال يا رب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى
هذه فقالت اسكفة الباب وحيطان البيت آمين آمين وصح انه صلى الله عليه وسلم كان هو
وأبو بكر وعمر وعثمان على أحد فتحرك وصح أيضا على حراء فتحرك فقال اثبت وضربه
برجله فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل
الايمان فقال له هل من شاهد قال هذه الشجرة فدعاها صلى الله عليه وسلم وهى على شاطئ
الوادى فأقبلت تخد الارض خدا اى تشقها شقا فقامت بين يديه صلى الله عليه وسلم
فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفى رواية قل لتلك الشجرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها ومن بين يديها ومن خلفها فسقطت
عروقها ثم جاءت تخد الارض خدا تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يديه فقالت السلام
عليك يا رسول الله فقال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك
الموضع فاستقرت فقال الاعرابى ائذن لى ان اسجد لك فقال لو كنت آمر احدا ان يسجد
لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها وصح ان اعرابيا قال له بم أعرف انك رسول الله
قال بان ادعو هذا العذق من هذه النخلة يشهد بانى رسول الله فدعاه فسقط اليه ثم قال له
ارجع فعاد فأسلم الاعرابى *(تنبيه)* علم من كلام الناظم على مولده صلى الله عليه وسلم
وما بعده ان من دلائل نبوته ما وجد فى كتب الله تعالى من نعته وخروجه بأرض العرب

(قوله من فى الحلقة) قال فى المختار الحلقة بالسكون الدروع وحلقة الباب وحلقة القوم والجمع الحلق بفتحتين على غير قياس
وقال الاصمعى الجمع حلق كبدرة وبدر وقصعة وقصع وحكى يونس عن ابى عمرو بن العلاء حلقة فى الواحد
بفتحتين والجمع حلق وحلقات
قال ثعلب كلهم يجيزه على ضعفه
قال ابو عمرو الشيبانى ليس فى
الكلام حلقة بالتحريك الا فى
قولهم هؤلاء قوم حلقة للذين
يحلقون الشعر جمع حالق اه
وقوله بفتحتين على غير قياس
اى والقياس الحلاق والحلق
كقصاع وقصع فى جمع قصعة
(قوله وبنيه) اى العباس رضى
الله عنه وسيأتى فى شرح قوله
ومن حوته العباء التصريح بهذه
الرواية وبذكر روايات فيمن
حوتهم العباء فراجعه (قوله
اسكفة الباب) بضم الهمزة
والكاف وتشديد الفاء وهى
عتبة الباب السفلى (قوله أو
صديق الخ) أو فى الموضعين بمعنى
الواو (قوله العذق) قال فى
المصباح العذق بالفتح النخلة
بحملها ومنه قول الحباب بن
المنذر انا عذيقها المرجب
وبعضهم ضبطه بالكسر ثم رأيت
فى المختار العذق بالفتح النخلة
بحملها والعذق بالكسر
الكباسة ولعل المراد بالعذق هنا
بعضه كحمله أو شئ منه لقوله من
هذه النخلة وقوله فسقطت ثم
رأيت فى القاموس ما لا يحوج
لتكلف حيث قال العذق النخلة بحملها الجمع اعذق وعذاق وبالكسر القنو منها والعنقود من العنب او اذا أكل وما
عليه والجمع اعذاق وعذوق اه فالظاهر انه هنا بالكسر القنو فيلائم قول الشارح من هذه النخلة وقوله فسقطت (قوله
فدعاه الخ) ليس فيه شهادته بالرسالة فلعل الاعرابى اكتفى بسقوطه وعوده أو هناك حذف اى فشهد انه رسول الله ثم قال الخ

وماظهر بين يدى مولده ومبعثه من العجائب المبطلة لسلطان الكفر والمنوهة بشرف العرب كقصة الفيل وما حل بأصحابه وخمود نار فارس وما ذكر معها وما سمع من الهواتف الصارخة بأوصافه صلى الله عليه وسلم وانتكاس الاصنام المعبودة على وجوهها من محالها فيه من غير فعل فاعل مع شدة ثباتها واحكامها وماسبق بعضه من العجائب التى ظهرت ايام رضاعه وبعده الى مبعثه صلى الله عليه وسلم واتباع الخلق له مع انه لم يكن له مال يطمع فيه ولاقوة يقهر بها الرجال مع ما كانوا عليه من محبة الاصنام والمبالغة فى الحمية لها بالقتالة وشن الغارات لاتجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء افعالهم النظر فى عاقبة ولاخوف لائمة فألف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء واجتمعت القلوب فصاروا يدا واحدة على من سواهم وهجروا أوطانهم وأهاليهم فى محبته صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجهم لنصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف فى اعزاز كلمته بلادنيا افاضها عليهم فى العاجل ولاوعدهم فى الآجل بما أطمعهم فى نيله يحرزونه بل كان من شأنه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغنى فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتئم مثل هذه الامور من قبل اختيار عقلى أو تدبير فكرى لاوالذى بعثه بالحق نبيا انما ذلك أمر الهى وتأييد سماوى تعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الامن له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وبهذا الذى ذكرته يتضح تعقيب الناظم لما مر بقوله (ويح) منصوب بفعل محذوف أو بحرف النداء اى ياويح على حد ياحسرة على العباد اى احضرى هذا وقتك كذا قيل والذى صرح به الائمة انه حيث كان المصدر بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله ثم بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح فقد قالوا ومما استعمل مفردا أو مضافا قولهم ويح فلان وويحا له قال ابن طاهر متى اضفت ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدا لاخبر له ومتى افردته جاز كل منهما وكذا ويل والنصب فيه غير قوى لانه مصدر لافعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح الرفع بل قال ابن أبى الربيع يجب رفعه دون ويل ثم ان عطف ويح على تب تعين نصبه ومنع المازنى عطف ويح على تب وعكسه لتناقض معناهما ورد بان ويح اخرج مخرج الدعاء وليس معناه الدعاء وتبا يستعمل كقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا وانه لادخل للنداء هنا واعلم انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم فتقال لمن وقع فى مهلكة لايستحقها وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى واحد وعلى الاول فقد ينتقد كل اتيان الناظم بها فى هذا المحل لان الجافين له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك الدائم وقد يجاب بان كثيرا منهم أسلم بعد ذلك فالترحم لهم باعتبار ما آل اليه حالهم ويرد بانهم بهذا الاعتبار لايقال فيهم ويح لانهم لم يقعوا فى هلاك أصلا فالاحسن الجواب بان الترحم من حيث النظر الى القرابة التى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم من

(قوله وشن الغارات) قال فى المصباح شن الماء على الشراب فرقه عليه ومنه قيل شن عليهم الغارة وأشن اذا فرقها من كل وجه (قوله بفعل محذوف) فيكون مفعولا مطلقا والفعل المقدر هو اهلكهم الله ونحوه وقوله أو بحرف النداء فيكون مفعولا به ونصبه بعامل مقدر لابحرف النداء تأمل دنوشرى (قوله لاخبر له) قد يقال ان الخبر محذوف تقديره ويح زيد حاصل فامتناع الرفع لاجل ذلك ممنوع وهو القول الاول (قوله والنصب فيه) اى ويح وينبغى ان يكون مثله ويل (قوله ومن ثم غلب الخ) ينظر الفرق بينهما على كلام ابن أبى الربيع (قوله على تب) التباب خسران يؤدى الى الهلاك (قوله اتفقوا) اى اتفق غالبهم ليصح قوله وقيل هما بمعنى (قوله فالاحسن الجواب الخ) يقتضى ان الجواب الاول حسن وان احتاج لمعونة بان يقال هم فى حال كفرهم واقعون فى مهلكة بحسب ظاهر حالهم فالترحم باعتبار الباطن ومايؤل اليه الحال من اسلامهم على ان الجواب الذى جعله أحسن فيه نظر لان أقاربه ان أراد بهم من أسلم توجه عليه رده الذى رد به الجواب الاول وان أراد بهم من لم يسلم فهم فى مهلكة يستحقونها وقد شرط فى استعمال ويح عدم استحقاقها فتدبر

عمود نسبه وجلادته والترحم اهم من هذه الحيثية لامحذور فيه (قوم جفوا نبيا) بالغ من مراتب الجلال والتعظيم مالم يبلغه نبي اى ابغضوه وآذوه الايذاء البالغ بل قصدوا قتله كامر آنفا مبسوطا (يارض الفته ضبابها) جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه البيهقي فى أحاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزني لا يصح اسنادا ولا متنا وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا ومن بك حتى يؤمن بك هذا فقال له ياضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وكلمات أخر قال من أنا قال رسول رب العالمين فأسلم الاعرابى الحديث بطوله قيل وهو موضوع ورد بان نهايته الضعف لا الوضع وفى معجزاته صلى الله عليه وسلم ماهو أبلغ من هذا (والظباء) جمع ظبى روى حديثه من طرق كثيرة أبو نعيم والطبرانى وساق الحافظ المنذرى حديثه فى الترغيب والترهيب لكن ضعفه الائمة بل قال الحافظ ابن كثير لا أصل له ومن نسبه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقد كذب وورد بانه ورد فى الجملة فى عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم انه حديث صحيح قال التاج السبكى وهو وان لم يتواتر اليوم فلعله استغنى عنه بغيره أو لعله تواتر اذ ذاك وهو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحراء اذ هاتف يهتف يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة فى وثاق واعرابى نائم عندها فقال ماحاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب فأرضعهما وارجع قال صلى الله عليه وسلم وتفعلين قالت عذبنى الله عذاب العشار اى المكاس ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابى فقال يارسول الله ألك حاجة فقال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء فرحا وهى تضرب برجليها الارض وتقول أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ولم يرد الناظم الحصر فى هذين فقد صح ان الذئب ألفه واخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم أيضا كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما انه أخذ شاة فانتزعها الراعى منه فقال ألا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله الى فتعجب الراعى من كلامه له فقال الا أخبرك باعجب من ذلك محمد

---

(قوله ان اعرابيا) نسبة لاعراب اسم جمع لعرب لا جمع له لان الاعراب سكان البوادى من العرب والعرب خلاف العجم وان لم يسكنوها فلو كان جمعا له لكان المفرد اعم من الجمع وهو ممتنع (قوله وكلمات اخر) هى وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه (قوله رسول رب العالمين) تتمته وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك (قوله الحديث) وتمامه كما فى شرح تائية السبكى لا اثر بعد عين والقد جئتك وما على وجه الارض ابغض الى منك وانك اليوم احب الى من نفسى وولدى ووالدى وانى لاحبك بداخلى ٨٦ وخارجى وسرى وعلانيتى اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك للاسلام وهداك الى هذا الدين فرجع الاعرابى الى قومه فاخبرهم بالقصة وكان من بنى سليم قال الماوردى فاتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الف انسان منهم فامرهم ان يكونوا تحت راية خالد بن الوليد قال الماوردى ولم يؤمن من العرب ألف فى وقت واحد غيرهم اه (قوله خشفان) الخشف مثلث الخاء ولد الظبى أول ما يولد أو أول مشيه اه قاموس (قوله فذهبت) فى الحديث فقال لها أولادها وقد اختفت عنهم ثلاثة ما غيبتك فذكرت لهم القصة والضمانة فقالوا جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضامنا فوالله لا نرضع منك قطرة حتى توفى ضمانته فرجعت (قوله فاطلقها) لا يقال اطلاق الغزالة يشبه سوائب الجاهلية فلا يجوز لانا نقول ان فيه معجزة له صلى الله عليه وسلم فجاز أو أن ذلك كان لغرض سقى أولادها أو ان ذلك خصوصية اه دنوشرى (قوله فتعجب) حيث قال العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس صلى

فقال الذئب أنت أعجب وقفت على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون الى قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير من جنود الله قال الراعى فمن لى بغنمى فقال انا ارعاها حتى ترجع فأسلم الراعى اليه غنمه ومضى فوجد النبى يقاتل وأسلم فقال له النبى عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها واحدة وقوله وأشرف أهلها الخ لعل المراد باهلها الحور والولدان والا فذوات الانس ونحوهم لا تدخلها الا يوم القيامة

صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق وفى رواية صحيحة بما مضى وما هو كائن فأتى الراعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فامر صلى الله عليه وسلم ان ينادى الصلاة جامعة ثم أمر الراعى فأخبرهم وفى رواية عن سعيد بن منصور فى سننه ان الذئب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذا وافد الذئاب جاء يسئلكم ان تجعلوا له شيأ من أموالكم قالوا والله لانفعل وأخذ رجل من القوم حجرا رماه به فادبر الذئب وله عواء فقال صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب * وكلمه صلى الله عليه وسلم الحمار ايضا على ماروى فى حديث طويل لكن قال ابن الجوزى انه موضوع وكلمه أيضا الجمل كما جاء فى عدة طرق بعضها اسناده جيد وبعضها اسناده صحيح وحاصلها ان جماعة من الانصار شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جملهم وانه امتنع من العمل حتى عطش النخل والزرع فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحائط فمشى اليه فقالوا يا رسول الله انه صار كالكلب الكلب اى عضوضا فقال ليس على منه بأس فلما نظر الجمل اليه أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ بناصيته اذل ما كان قط حتى أدخله فى العمل الحديث وفى رواية صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فرآه جمل فحن اليه وذرفت عيناه فمسح قريب رأسه من قفاه ثم قال لربه الا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه اى تتعبه وجاء بسند صحيح ان غنما سجدت له صلى الله عليه وسلم (وسلوه) اى نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله (و) الحال انه قد (حن جذع اليه) كما جاء من طرق صحيحة وغيرها يفيد مجموعها التواتر المعنوى الموجب لتيقن وقوع ذلك والقطع به وعلى التواتر المعنوى يحمل قول التاج السبكى والصحيح عندى ان حنينه متواتر وسبقه لذلك عياض وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع المسقوف عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضعه الآن بمسجده ثم تخطى الجذع يوم جمعة ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من فى المسجد وفى رواية انه خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفى رواية أخرى حتى تصدع وانشق وفى أخرى فجعل يئن أنين الصبى وفى اخرى حن حنين الناقة التى انتزع ولدها فنزل اليه صلى الله

(قوله وله عواء) يقال عوى الكلب والذئب وابن آوى يعوى بالكسر عواء بالضم والمد اى صاح اه مختار (قوله عطش) ضد روى وبابه طرب اه مختار (قوله ودخل الحائط) اى البستان سمى بذلك لانه حائط لا سقف له (قوله كالكلب الكلب) قال فى الصحاح الكلب شبيه بالجنون والكلب الكلب الذى يكلب بلحوم الناس يأخذه شبه جنون فاذا عقر انسانا كلب (قوله فحن اليه) الحنين الشوق وتوقان النفس كما فى المختار ويطلق على البكاء 87 الشديد وهذا هو المناسب هنا اى اشتد بكاء هذا البعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذرفت عيناه) قال فى المختار ذرف الدمع سال وبابه طرب وذرفانا أيضا بفتح الراء وذرفت عينه اى سال دمعها (قوله التواتر) وهو خبر جمع يمتنع تواطؤهم على الكذب عن محسوس لا عن معقول لجواز الغلط فيه كخبر الفلاسفة بقدم العالم فان اتفق الجمع المذكور فى اللفظ والمعنى فهو اللفظى وان اختلفوا فيهما مع وجود معنى كلى فهو المعنوى كما اذا أخبر واحد عن حاتم انه أعطى دينارا وآخر انه أعطى فرسا وآخر أنه أعطى بعيرا وهكذا فقد اتفقوا على معنى كلى وهو الاعطاء اه محلى على جمع الجوامع ولاشك ان ماهنا كهذا المثال فقد روى صاح وروى خار وروى يئن انين الصبى وروى حن حنين الناقة التى انتزع ولدها وفى رواية بكى وهذا ظاهر ان أريد باختلاف المعنى ما يشمل كونه متقاربا فان خار الذى هو بمعنى صاح ويئن وحن وبكى متقاربة المعانى والمعنى الكلى المتفق عليه صوت صوتا صادرا عن قلق وشوق (قوله المسقوف الخ) لعل المراد قبل زمن فراقه بقرينة قوله الآتى وأمر به فدفن ولو كان السقف باقيا عليه لم يظهر الامر بدفنه الا أن يقال أمر بدفنه بعد انفصاله عن السقف ولا يخفى ان المراد بكونه مسقوفا عليه ان وضعه كان كالعمود طرفه الاعلى عليه السقف والاسفل بالارض فحرر (قوله خار كخوار الثور) قال فى المختار خار الثور يخور خوارا صاح ومنه قوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار وقد سبق ذلك مع زيادة فى قصة الفيل

عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفي رواية فمسحه بيده واعله فعل به الامرين وفي
أخرى ان هذا بكى لما فقد من الذكر عنده وفي أخرى والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل
يصوت هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من أكبر
معجزاته صلى الله عليه وسلم بل أشار الشافعي رضي الله عنه الى انه أبدع من احياء عيسى
عليه الصلاة والسلام للموتى لانهم عهدت لهم حياة رجعت اليهم بخلاف هذا وفي رواية
عند الدارمي انه صلى الله عليه وسلم خيره بين ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وان يغرسه
في الجنة يأكل أولياء الله من ثمره ثم أصغى اليه فقال اختار دار البقاء على دار الفناء وامر
به فدفن ومر في شرح قوله والجمادات افصحت الى آخره ماله تعلق بذلك (وقلوه) اى
أبغضوه (و) الحال انه قد (وده) اى احبه وبين السلو والحنو والقلا والود الطباق كما هو
بين الاخراج والايواء الآتيين وكان المراد في الاولين ان السلو يدل على سبق المحبة
والالفة والحنو يدل على البغضاء والايذاء كما مر (الغرباء) الذين هم ابعدوا من عشيرته ولا
من قومه ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعظم كالانصار الاوس والخزرج وذلك انه
صلى الله عليه وسلم خرج في الموسم الذي تقيم فيه يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان
يصنع في كل موسم فلقي بعض الخزرج عند العقبة فقال من أنتم قالوا من الخزرج فقال
الا تجلسون اكلمكم فجلسوا فدعاهم الى الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه
فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه
فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه واسلم منهم ستة نفر فقال لهم تمنعون ظهري حتى أبلغ
رسالة ربي فقالوا ندعو قومنا الى ما دعوتنا اليه فان اجابوك فلا أحد أعز منك وموعدك
الموسم العام القابل فلما وصلوا المدينة لم يبق دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلقيه في العام القابل اثنا عشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج أيضا
الا رجلين فمن الاوس وهذه هي العقبة الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا
فاظهر الله الاسلام فيهم فكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة من أسلم ثم ارسلوا يطلبون من
يعلمهم القرآن فارسل اليهم مصعب بن عمير فأسلم على يديه جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن
معاذ وأسيد بن حضير واسلم باسلامهم جميع بني عبد الاشهل في يوم واحد رجالهم
ونساؤهم الا واحدا فيوم احد ولم يكن فيهم اعني بني عبد الاشهل منافق ولا منافقة ثم
قدم في العام القابل في الموسم نحو سبعين رجلا وهي العقبة الثالثة فبايعهم على انهم
يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وصح عن جابر مكث
صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها يقول من
ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة حتى بعث الله له من يثرب وذكر الحديث وفيه وعلى
ان تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم
وأبناءكم ولكم الجنة وحضر العباس رضي الله عنه هذه المبايعة فاكد عليهم لرسول الله

(قوله ثم أصغى اليه) أي ليسمع ما يقول فقال بلى تغرسني في الجنة فيأكل أولياء الله مني وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال صلى الله عليه وسلم اختار الخ وكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه فأنتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه (قوله أبغضوه) في القاموس ٢ ان أبغض لغة رديئة والفصيحة بغض ككرم ونصر وفرح فكان الاولى ان يقول بغضوه من باب نصر وباب كرم لازم (قوله والحنو) كان الظاهر والحنين لان الحنو مصدر حنا عليه اى عطف من باب غدا وما نحن فيه من حن يحن من باب ضرب وان تقاربا في المعنى (قوله وكان المراد الخ) اى داع لهذا فقد تقدم ان السلو النفرة وفي المختار ان الحنين الشوق وتوقان النفس اللازم له الالفة وبين النفرة وما ذكره التنافي (قوله الموسم) وموسم الحاج مجمعهم (قوله عند العقبة) وهذه العقبة الاولى وستأتي الثانية والثالثة (قوله أسيد بن حضير) بضم الهمزة والحاء المهملة وفتح السين والضاد المعجمة

٢ قول المحشي في القاموس ان أبغض الخ الذي في القاموس وأبغضه وبغض بالضم لغة رديئة اهـ فقوله بالضم اى للغين المعجمة فما في المحشي الى آخر القولة سهو فتأمل

صلى الله عليه وسلم ذلك ثم أمر صلى الله عليه وسلم من بقى معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا وأقام ينتظر الاذن له فى الهجرة فاستأذنه أبو بكر فقال لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فطمع أبو بكر فى ان يهاجر معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وأمر من معه ان يلحق بالمدينة وانه ظهر أمره بها اشتوروا بدار الندوة ثم اجمعوا ان يحبسوه أو يقتلوه أو يخرجوه فاعترضهم ابليس لعنه الله فى صورة رجل جميل واظهر لهم انه يريد نصحهم وأمرهم ان يعرضوا عليه آراءهم ليختار انفعها لهم فقيل نحبسه فقال قد ينتزع منكم فقيل نخرجه فقال يأتيكم بما لا طاقة لكم به فقال أبو جهل لعنه الله ارى ان تأخذوا من كل قبيلة غلاما قويا ثم تعطوهم شفارا فيضربه كل ضربة فيتفرق دمه فى القبائل فلم يقدر أهله على حرب قومهم فيأخذوا ديته فقال ابليس لله درك هذا هو الرأى فأجمعوا عليه فأتاه جبريل عليه السلام فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا فى الليل ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه وثبة واحدة فأمر صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه بأن ينام مكانه ثم خرج عليهم فلم يبق منهم أحد الا أخذ الله على بصره فلم يره ونثر على رأس كل منهم ترابا كان فى يده وهو يتلو يس الى لا يبصرون وصح انه ما أصاب احدا منهم تراب الا قتل كافرا ثم اعلوا بخيبتهم فوضع كل يده على رأسه فوجد التراب وفى هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية * ثم اذن الله تعالى لنبيه فى الهجرة كما قال (اخرجوه) بدل من جنوه (منها) اى كانوا السبب فى خروجه من تلك الارض التى هى مولده ومرباه ووطنه ووطن آبائه وأحب أرض الله الى الله والى رسوله كما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ولولا انى أخرجت منك كرها ما خرجت وبقولى كانوا السبب الخ اندفع ما يقال هو لم يخرج منها الا باذن فهو السبب فقط ووجه اندفاعه ان تسببهم فى خروجه بمبالغتهم فى ايذائه وايذاء أصحابه لاستضعافهم هو الحامل على انتظاره الاذن له فى الخروج مدة حتى وجد فتسببهم سبب للاستئذان ووقوع الاذن فاسناد الاخراج اليهم لذلك أظهر منه للاذن تعويلا على اسبق السببين مع كون الاول سببا للثانى أيضا كما تقرر وكان ذلك بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة أشهر يوم الاثنين هلال ربيع الاول أو الخميس الذى يليه ووصل المدينة يوم الاثنين ثانى عشر الشهر وجمع بان خروجه من مكة يوم الخميس ومن الغار ليلة الاثنين وخلف عليا رضى الله عنه ليؤدى ما عنده من الودائع وكان مجيئه بيت ابى بكر وقت الظهيرة فقال انه قد أذن لى فى الخروج قال الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتى قال بالثمن اى لتتمحض هجرته لله ولا يكون لاحد فيها امنة فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاستخفيا فيه كما قال (وآواه غار) ولما فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة أثره فى كل وجه فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل الغار قيل انبت الله على

(قوله أرسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتح الراء والسين أى أفواجا كما سبق (قوله الصحبة) أى أسألك الصحبة (قوله احدى راحلتى) وهى القصوى وكان الثمن عنها أربعمائة درهم وقد بقيت بعده وماتت فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وقد وردانه ابرأه من ذلك الثمن (قوله ولا يكون لاحد فيها امنة) لعل المراد بحسب الظاهر والعرف والا فالمنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الصديق وعلى غيره ثابتة ولو بذل له ما بذل نحر جا ليلا وكان مال أبى بكر حين أسلم أربعين ألف درهم فخرج الى المدينة للهجرة وليس له الا خمسة أو أربعة آلاف درهم فبعث ابنه عبد الله فحملها الى الغار اهـ ع ش (قوله وآواه غار) وهو نقب فى الجبل وهذا الغار يمنى مكة فى مسافة ساعة كذا فى شرح استاذنا قدس الله سره العزيز (قوله وبعثوا القافة أثره) قال فى المختار وخرج فى اثره بكسر الهمزة اى فى أثره والاثر بفتحتين وقال فى القاموس وخرج فى إثره وأثره بعده اهـ

بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار اعين الناس وأرسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار كما قال (وحمته) منهم (حمامة) فيه جناس سبق نظيره (ورقاء) وهي ما في لونها بياض يخالطه سواد قيل وحمام الحرم من نسلها ومعنى حمايتها له ان فتيان قريش من كل بطن لما اقبلوا بسلاحهم جعل بعضهم يتطرف الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له مالك قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال آخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية بن خلف وما اربكم في الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وفي مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال الناظم (وكفته بنسجها عنكبوت) يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى (ما) أي الاعداء الذين (كفته) اياهم (الحامة الحصداء) أخذ من قولهم شجرة حصداء أي كثيرة الورق فاستعاره للحمامة الكثير ريشها ووصف الحمامة بورقاء وحصداء لاجتماعهما فيها والممتنع انما هو الوصف بمتضادين أو متماثلين وروى أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج العنكبوت على أعلاه فقالوا لو دخلاه لتكسر البيض وتفتح نسج العنكبوت قال الائمة وهذا أبلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار لظنهم ان الحمام لا يحوم حوله وان العنكبوت لا تنسج عليه وفيه أحد لما جرت به العادة انهما متوحشتان مهما احسا بالانسان فرا منه وما علموا ان الله يسخر ماشاء من خلقه لمن شاء من عباده وان وقاية الله عبده بما أراده تغنيه عن التحصن بالامكنة والاسلحة وصح ان أبا بكر قال يارسول الله لو ان أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما ولذا قال الناظم (واختفى) صلى الله عليه وسلم أي استتر والاحسن عطفه على وآواه غار (منهم على) أي مع (قرب مرآه) أي محل رؤيته وفي ذكر الناظم لهذا تعجيب للسامع وبيان لهذه المعجزة العظيمة (و) حكمة استتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر أحدهم الى ما تحت قدميه لرآه كما تقرر ان (من) جملة (شدة الظهور) عليهم بالغلبة والمعونة الالهية له (الخفاء) عنهم الذي حصل له خرقا للعادة ظاهرا عليهم وخيبة لهم واستعماله الظهور وفيما ذكر مع أن مقابلته بالخفاء يوهم انه أراد به ضده من الفن المسمى بالتورية والايهام وهو أن يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك أو التواطئ أو الحقيقة أو المجاز أحدهما بعيد فيقصده ويورى عنه بالقريب ليتوهمه السامع من أول وهلة وهو هنا ضد الخفاء الموهم له قوله واختفى قال الزمخشري لا نرى بابا ادق ولا الطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المتشابهات في كلام

(قوله حمامة) المراد الجنس لان ما كان بفم الغار حمامتان كما ذكر (قوله عنكبوت) قال في حياة الحيوان ما ينسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها وعن علي كرم الله وجهه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيوت يورث الفقر (قوله أي الاعداء الذين الخ) عبر عنهم بما التي أصلها لغير العاقل تنزيلا لهم منزلته (قوله فاستعاره الخ) غير ظاهر فكان حق التعبير ان يجعل المتن من باب التشبيه المحذوف اداته أي الحمامة التي هي كالحصداء أي كالشجرة الحصداء بجامع كثرة ما على كل من الريش في الاولى والورق في الثانية أو من باب الاستعارة بالكناية بتشبيهها بالشجرة تشبيها مضمرا في النفس واثبات لازم المشبه به وهو الحصداء فتأمل (قوله الخفاء) مصدر خفي كرضي خفاء فهو خاف وخفي لم يظهر وخفاه هو واخفاه أظهره واستخرجه كاختفاه انتهى من القاموس ببعض تصرف (قوله من الفن) كان الظاهر من النوع لان التورية نوع من أنواع فن البديع (قوله والايهام) بالمثناة من تحت وعطفه على التورية من عطف أحد المترادفين على الآخر وتسمى توجيها وتخييلا قال العمادي وأولى الاسماء التورية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته وأظهرت غيره كان المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر وتسميتها بالايهام لان المتكلم يوهم السامع أول وهلة انه أراد المعنى القريب وليس كذلك (قوله التواطئ) المتواطئ هو المتساوي الافراد ذهنية كانت أو خارجية في حصوله وصدقه عليها كالانسان والشمس ويسمى متواطئا لتوافق الافراد في معناه من التواطئ وهو التوافق

الله

الله ورسوله نحو الرحمن على العرش استوى أريد من الاستواء معناه البعيد الذي هو الاستيلاء دون القريب الذي هو استقرار في المكان لاستحالته على الله تعالى انتهى ملخصا وهذه تسمى مجردة لانه لم يذكر فيها شئ من لوازم المورى به ولا المورى عنه والحق بها ماذكر فيه لازم كل منهما لانهما تكافا حينئذ ومنه ما في البيت فانه ذكر فيه لازم كل منهما بذكر اختفى وبالخفاء اذا المتبادر منه انه ليس المراد بالظهور ضد الخفاء فان ذكر لازم أحدهما سميت مرشحة نحو والسماء بنيناها بأيد فانه يحتمل الجارحة وهو المورى به ورشح له بذكر البناء ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود وزاد بعضهم في حد التورية مع صحة كل من المعنيين ولا معنى لهذه الزيادة كما علم مما تقرر في آية الاستواء والبناء ولعله أراد في الجملة لا بالنظر لما الكلام فيه وعليه فوجه صحة الظهور الذي هو ضد الخفاء هنا ان من المعلوم ان شدة قرب المرئي من العين توجب عدم ادراكها له فكذلك هنا لما اشتد قربهم منه لم يدركوه ولا يمنع منه ان الاول عادي والثاني خارق للعادة وكالتورية في كونه أشرف أنواع البديع الاستخدام بل فضله بعضهم عليها اولهم في حده عبارتان اشهرهما أن يؤتى بلفظ له معنيان فاكثر يراد به أحد معانيه ثم يؤتى بضميره ويراد به المعنى الآخر وروى ان أبا بكر رضي الله عنه نظر الى قدميه صلى الله عليه وسلم في الغار يقطران دما لانه لم يعتد الحفاء فبكى وانه دخل قبله ليقيه بنفسه وانه رأى جحرا فيه حيات فالقمه عقبه فجعلت الحيات والافاعي تضربه وتلسعه فجعلت دموعه تنحدر وفي رواية عند رزين فدخل صلى الله عليه وسلم وجعل رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك قال لدغت فتفل عليه

(قوله نحو الرحمن الخ) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل في مجيئه الى بدر فقيل له ممن أنتم فلم يرد ان يعلم السائل فقال من ماء اراد أنا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء ومنه قول أبي العلاء المعري

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط

فان هذا البيت يوهم انه اراد بدال وراء حرفي الهجاء لانه صدر بيته بذكر الحرف واتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا هو المعنى القريب والمراد بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيهها به في تقويسها وضمورها وبراء اسم الفاعل من رأى اذا ضرب الرئة وبدال اسم الفاعل من دلى اذا رفق في السير وبالرسم أثر الدار وبالنقط المطر (قوله المتبادر منه) أي الخفاء انه ليس المراد الخ اذ لو كان المراد ضد الخفاء لزم اجتماع الضدين تأمل (قوله لازم أحدهما) الذي ذكره شراح بديعية ابن حجة كشرح العمادي الدمشقي ان المرشحة ماذكر فيه لازم المورى به كمثال الشارح وهو يقتضي ان ذكر لازم المورى عنه لا تكون التورية به مرشحة وظاهر كلام ٩١ الشارح حيث عبر باحدهما الصادق بكل منهما انها تسمى مرشحة وليس كذلك فكان عليه أن يقول فان ذكر لازم المورى به الخ ويدل لذلك تقريره تأمل (قوله أن يؤتى الخ) كقوله تعالى لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا الخ فالاستخدام في لفظ الصلاة فاحد المعنيين الاقوال والافعال والآخر موضع الصلاة ويدل للاول حتى تعلموا ماتقولون وللثاني ولا جنبا الا عابري سبيل وكقول بعض البلغاء في تكلمه على صلاة الجمعة ويصلي الجمعة بهم او بالمنافقين فاستخدم بها تين اللفظتين المصيرتين مفهومي الجمعة وسورة الجمعة ولا يخفاك ان المثال الاول لا يلائم أشهر العبارتين الذي ذكره الشارح لعدم ضمير عائد على لفظ الصلاة بالمعنى الآخر الذي هو المكان وقد يقال الضمير محذوف من جملة المقدر اذ التقدير ولا تقربوها جنبا الخ تأمل (قوله انه دخل الخ) فسد بثوبه مافيه من جحر فبقي جحر فالقمه عقبه فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ثوبك يا أبا بكر فاخبره بالذي صنع فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة فاوحى الله اليه قد استجاب لك (قوله فلدغ) اللدغ بالدال المهملة والغين المعجمة وعكسه للنار وأما اهمالهما واعجامهما فهو المهمل الذي لا معنى له (قوله فتفل الخ) قال بعضهم وقاه بعقبه فبورك في عقبه ولما تفل في عقبه سرت في العقب بركته سراية الحياة في الجسد ويقال انه دعا فقال بارك الله في عقبك الى يوم القيامة وفي الحديث ما اعطيت فضيلة الا وقد اعطيت شطرا منها حتى الشهادة فاني أعطاها ابسم أكلة خيبر وتوفتاها بسم افعى ليلة الغار وفي الحديث ما طيب مالك منه بلال مؤذني وناقتي التي هاجرت عليها وزوجتني ابنتك وواسيتني بمالك كاني انظر اليك على باب الجنة تشفع لامتي وفي حديث رحم الله أبا بكر زوجني ابنته

= وحالى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار وأعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الاسلام ما نفعنى مال أبى بكر (قوله وهى أمنة) يقال أمن من باب فهم وسلم أمانا وأمنة بفتحتين من الامن ضد الخوف فهما بمعنى انتهى من المختار (قوله ثم يدلج) بتشديد الدال وهو السير آخر الليل وأما يدلج بسكونها من أدلج فهو السير أول الليل قال فى المختار ادلج سار من أول الليل

فذهب ما يجده وروى ان أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا أى بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته عليه أى أبى بكر لانه الذى انزعج وهى امنة تسكن عندها القلوب وأيده أى رسوله صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها أى ملائكة يصرفون أبصار الكفار عنه وبين قول نبينا ان الله معنا وقول موسى صلى الله عليه وسلم كلا ان معى ربى سيهدين ما بين مقاميهما اذ كمال الامداد للاتباع ليس الا لنبينا فامد الله أبا بكر بشهود المعية أيضا وقصرها موسى على نفسه وأيضا فشتان بين معية الالوهية ومعية الربوبية والمشهور انه صلى الله عليه وسلم مكث فى الغار ثلاث ليال وكان عبد الله بن أبى بكر مع صغر سنه يأتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يأتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن واستأجرا عبد الله بن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما وسار معهما عامر بن فهيرة فاخذ بهما طريق البحر (ونحى) أى قصد (المصطفى) على الخلق كلهم محمد صلى الله عليه وسلم (المدينة) المسماة بطيبة لان الله طيبها بهجرته اليها ووقعت فى طريق الهجرة غرائب منها انهم مروا بقديد على أم معبد الخزاعية وكانت تسقى وتطعم من يمر بها وكانت فى سنة جدباء فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوه فنظر الى شاة خلفها الجهد عن الغنم فسألها هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك فقال أتأذنين لى ان أحلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فدرت وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل رتركوه وذهبوا فاتى زوجها فتعجب منها فذكرت له القصة وأوصافه صلى الله عليه وسلم فقال هذا والله صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته وأخرج ابن سعد وأبو نعيم ان تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها ليلا ونهارا الى زمن عمر رضى الله عنه ثم تعرض لهما بقديد سراقة كما يأتى وروى البيهقى انهما اجتازا بعبد يرعى غنما فاستقياه لبنا فاتاهما بشاة لا لبن فيها فحلبها صلى الله عليه وسلم بعد ان دعا وسقى أبا بكر ثم الراعى ثم شرب وهذا محمول على علم بسيد العبد مع ظن رضاه والجواب بان هذا مال حربى غير صحيح لان هذا قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال أهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا تتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم ولما سمع المسلمون

والاسم الدلج بفتحتين والدلجة والدلجة بوزن الجرعة والضربة وادلج بتشديد الدال سار من آخره والاسم أيضا الدلجة والدلجة انتهى (قوله راحلتيهما) اضافهما اليهما لركوبهما لهما أو باعتبار المآل ان أريد اضافة الملكية بالنسبة لناقة رسول الله والا فهما وقت دفعهما لابن الاريقط كانتا مملوكتين للصديق ثم اشترى منه رسول الله احداهما كما سبق (قوله أم معبد) قال شيخنا الحلبى وفى كلام ابن الجوزى ان أم معبد هاجرت واسلمت وكذا زوجها هاجر وأسلم (أقول) فى شرح السنة للبغوى وهاجرت هى وزوجها وأسلم أخوها خنيس بن الاصغر واستشهد يوم الفتح وكان اهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك انتهى ع ش وأم معبد اسمها عاتكة (قوله ان احلبها) بضم اللام (قوله حلب فيه) الضمير للاناء المعلوم من المقام وفى بعض الشروح ذكر الاناء بعد قوله فدعا بها وقبل قوله فاعتقلها حيث قال فدعا بها وباناء فاعتقلها الخ (قوله عللا) العلل الشرب الثانى والنهل الشرب الاول يعنى ليشرب منه ثانيا بعد الشرب منه أولا والا فظاهر عبارة الشارح انه لم يقع شرب ثانيا بالفعل حيث قال وتركاه الخ (قوله فاتى زوجها) قيل لا يعرف اسمه وقيل اسمه أكثم بن أبى الجون ويقال ابن الجون انتهى من المواهب (قوله وهذا محمول الخ) ذكر ابن العربى ان أقوى الاجوبة انه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأموالهم انتهى فتأمل فيه فان دليله خاص بالمؤمنين فلا يطابق المدعى ان كان سيد العبد كافرا كما هو مقتضى الجواب الذى نقله الشارح

بالمدينة

بالمدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم صاروا يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى قرب الظهر فانتظروه يوما وعادوا الى بيوتهم واذا بيهودي علا على موضع عال فرآه فصاح هذا جدكم أي حظكم يا بني قيلة أي الاوس والخزرج فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم فنزل بقباء فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكتا فكانوا يحسبون ان أبا بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه أسرع اليه الشيب مع انه أصغر سنا منه صلى الله عليه وسلم حتى اذا أصابته الشمس ظلل عليه فعرفوه وكان ذلك يوم الاثنين قيل أول ربيع وقيل ثاني عشره وقيل غير ذلك فادركه علي كرم الله وجهه بقباء ولم يتم بعده بمكة الا ثلاثة أيام ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وأقام بقباء أربع عشرة ليلة كما في مسلم واسس مسجدها وهو أول مسجد بني في الاسلام ولذا كان الاصح انه الذي أسس على التقوى من أول يوم ثم ركب من قباء يوم الجمعة وصلاها بمسجد الجمعة المشهور ثم ركب فكان كلما مر بدار من دور الانصار سألوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها أي ناقته فانها مأمورة وأرخى زمامها فاستمرت الى ان بركت بموضع باب المسجد ثم سارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت بباب أبي أيوب رئيس بني النجار أخوال عبد المطلب ثم سارت منه وبركت في مبركها الاول ثم صوتت فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى (واشتاقت) من الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسأل القرية بل حقيقة اذ لا بدع في ميل الجمادات له صلى الله عليه وسلم حقيقة بان يخلق الله فيها ادراكا حقيقيا ومنه وان من شيء الا يسبح بحمده لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية وتسبيح الحصا وتأمين أسكفة الباب وحنين الجذع ونحو ذلك مما مر اذ الاصح في مثل ذلك مما لا يحيله العقل ولا الشرع حمله على حقيقته كما في حديث ما بين منبري وقبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ولذا قال جماعة واختاره بعض المحققين انه صلى الله عليه وسلم أرسل حتى الى الجمادات لتصريح خبر مسلم بذلك في قوله صلى الله عليه وسلم وأرسلت الى الخلق كافة (اليه من مكة) التي هي مولده وأم القرى وأفضلهن عند أكثر العلماء (الانحاء) أي الجهات والنواحي لانها كانت معمورة بأنفاسه صلى الله عليه وسلم فاستوحشت لفقده وبين نحا والانحاء جناس الاشتقاق ان قلنا ان الانحاء جمع ناحية بمعنى منحوة أي مقصودة ورد العجز على الصدر وكذا بين تغنت والغناء وناداه والنداء الآتيان (وتغنت بمدحه) أي اظهرت أوصافه الجميلة

(قوله الى الحرة) هي أرض ذات حجارة نخرة سود (قوله جدكم) بفتح الجيم (قوله بقباء) ممدود موضع بالحجاز يذكر ويؤنث انتهى مختار (قوله ولذا كان الاصح الخ) ومقابله ما قيل انه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من أول يوم) أي من أيام وجوده (قوله يوم الجمعة) هذا يشكل على ما تقدم انه نزل يوم الاثنين وأقام أربع عشرة ليلة اذ مقتضاه ان يكون ركوبه يوم الاثنين والا فيوم الجمعة ثاني عشر يوم نزوله فلا يلائم مدة اقامته التي ذكرها والاشكال ظاهر على ما ذكره من اقامته بقباء أربع عشرة ليلة وهو قول ذكره النجم الغيطي أيضا في مولده ثم ذكر قولا آخر لا اشكال معه حيث قال والمشهور عند أصحاب المغازي ما ذكره ابن اسحق انه أقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس ثم خرج منها ضحى يوم الجمعة فادركته صلاتها في الطريق فصلاها في بني سالم بن عوف في المسجد الذي في بطن الوادي بمن كان معه من المسلمين وهم مائة فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة انتهى بحروفه ثم ان كان بطن الوادي الذي صلى به داخل المدينة كما هو ظاهر قوله فكانت أول جمعة فلا اشكال على مذهبنا وان كان خارجها ولم يكن في ابنية بها أربعون مقيمون اشكل عليه (قوله ان قلنا ان الانحاء الخ) انظر القول المقابل لذلك ما هو (قوله ورد العجز على الصدر) ويسمى التصدير بأن يأتي الشاعر بكلمة في صدر بيته ثم يعيدها في آخره بلفظها ومعناها أو بلفظها دون معناها أو يعيد ما يوافقها في المادة وان اختلفا صورة ومنه قول الشاعر

يسار من سجيتها المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار

ومنه قول الصفي الحلي في بديعيته

فمن يحدث عن سرى فما ظهرت * سرائر القلب الا من حديث فمي

وبقولي تبعا لبعض أهل البديع أو يعيد ما الخ يدخل بيت الناظم ومنه قولي

ضرائب ابدعتها في السماح * فلسنا نرى لك فيه ضريبا

والضرائب جمع ضريبة أي طبيعة والضريب المثيل والضريب المثل

(قوله فى صورة الغناء) فى القاموس ان الغناء الصوت المطرب (قوله ذا الـ الغناء) بكسر الغين والمد وامابفتحها والمد فمعناه النفع وبكسرها والقصر فمعناه اليسار مقابل الفقر (قوله فيا القصى) أى ادعوكم لا تعجب منكم فيما اغفلتموه من حظكم واضعتموه من عزكم بعصيانكم رسول الله والجائكم اياه الى الخروج من بين اظهركم ويلى هذا البيت بيت وجدته فى شرح تائية السبكى وهو قوله فما حملت من ناقة فوق ظهرها * ابر واوفى ذمة من محمد (قوله مازوى) بفتح الزاى والواو أى جمع وقبض (قوله به) أى بخروجه من بين اظهركم فحذف المضاف للعلم به (قوله من فعال) وفى نسخة من فعال بفتح الفاء وتخفيف العين وهو الكرم وبكسر الفاء جمعا انتهى



(قوله لا يجارى) ضبط بالراء والزاى (قوله وسودد) بضم السين واسكان الواو مصدر يقال ساد سيادة وسوددا (قوله ليهن بنى كعب) أى الذى أم معبد منهم لانها كعبية خزاعية (قوله بمرصد) المرصد بوزن مذهب موضع الرصد يقال رصد الشئ أى رقبه اذ الراصد الراقب للشئ وبابه نصر فالمصدر رصد بسكون الصاد ورصد أيضا بفتحتين كما فى المختار (قوله فغادرها) أى تركها (قوله رهنا) أى ثابتة تقول رهنت الشئ عنده أى اثبته وبابه قطع (قوله فى مصدر) أى فى مكان رجوعها يقال صدر عن الماء وعن البلاد أى رجع وبابه نصر ودخل وقوله مورد من الورود ضد الصدر أى مكان ورود الماء (قوله ولما وصل الخ) فيه ان اقتفاء أثره كان قبل وصوله من حين جاءه رسل قريش (قوله سراقة)

فى صورة الغناء الذى تتولع به النفس ولا يصبر فيها مع لغيره (الجن) المؤمنون ومرت قصة ايمانهم وارساله صلى الله عليه وسلم الى جميع الجن أمر معلوم من الدين بالضرورة فمكفر منكره كما اجمع عليه الامة (حتى اطرب الانس) المؤمنين بل وغيرهم (منه) اى الغناء (ذا الـ الغناء) الذى سمعوه والطرب خفة تعترى الانسان عند شدة حزن أو سرور ذكر أهل السير عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما انها قالت لما خفى علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فقال أين أبوك قلت والله لا أدرى فلطم خدى لطمة خرج منها قرطى والم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وأنشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى ام معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من أمسى رفيق محمد
فيا القصى مازوى الله عنكم * به من فعال لا يجارى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها واناتها * فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد

الضرة لحمة الضرع والصريح بمهملتين أوله وآخره الخالص أى بلبن خالص مزبد نازل من ضرة الشاة

فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددها فى مصدر ثم مورد

أى خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر قالت أسماء فلما سمعنا قول الجن علمنا أين توجه النبى صلى الله عليه وسلم (و) لما وصل صلى الله عليه وسلم فى سفر هجرته الى قديد محل قريب من رابغ (اقتفى) أى تبع (اثره سراقة) بن مالك بن جعشم المدلجى قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا أو أسرا ديتين فركبت متخفيا فلما دنوت منهما

هو الذى ألبسه عمر رضى الله عنه سوارى كسرى وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وهو صحابى اسلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من الطائف وكان شاعرا مجيدا توفى رضى الله عنه فى أول خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وقيل بعد عثمان اهـ شرح الشفاء قال فى نور النبراس والصحيح الاول وقد تقدم فى الكتابة على شرح قول الناظم وتداعى ايوان كسرى مافيه زيادة على ذلك فيما يتعلق بسراقة رضى الله عنه فراجعه ان شئت (قوله ابن جعشم) بفتح الجيم والشين كجعفر الوسط وكقنفذ وجندب القصير الغليظ الشديد والطويل الجسيم ضد اهـ قاموس

عثرت بي فرسي فخررت ثم قمت وركبته حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت فبكى أبو بكر وقال يارسول الله اتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات (فاستهوته في الارض صافن) أي طلبت أن تهوى به فيها هذا مقتضى الصيغة وليس مرادا بل السين لمجرد التأكيد لان الذي في القصة انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بتلك الدعوات غاصت قوائم فرسه في الارض حتى بلغت الركبتين فخر عنها ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة كان لاثر يديها غبار ساطع في السماء كالدخان والصافن من الخيل الذي يقوم على ثلاثة قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر (جرداء) أي رقيقة الشعر قصيرته وهي صفة مدح في الخيل وأصله للشجرة التي قل ورقها فاستعير للفرس (ثم ناداه) أي سراقة النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما وصل اليه وقال الامان يا محمد (بعدما) مصدرية (سمت) الفرس (الخسف) بفتح أوله وضمه قال الشارح في موضع أي أوليته ذلا وقال في آخر أي بعد اسامة الخسف للفرس أي بعد حصول الذل للفرس المذكورة وكأن الحامل له على هذا ان ظاهر النظم انه لم يخسف بالفرس حقيقة وليس كذلك لما علمت ان قوائمها غاصت في الارض فحصل لها الخسف الحقيقي لكن لبعضها فعبر الناظم بسمت الخسف بالنظر الى كلها أي سمت أن يخسف بها كلها وحينئذ لا يحتاج الى ما قاله الشارح فتأمله ثم رأيت بعضهم صرح بنحو ما ذكرته فقال يقال سمته خسفا أوليته ذلا أو كلفته مشقة ويحتمل أن يراد بعدما قاربت أن يخسف بها (و) من الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها فهو تذييل انه (قد ينجد الغريق النداء) أي الدعاء لله بانكسار وتذلل كما وقع ليونس صلى الله عليه وسلم قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أي نضيق عليه بسبب مغاضبته وفراقه لقومه لا بانهم عليه فنادى في الظلمات الآية والنداء رفع الصوت لطلب تخليصه لانه قد لا يعلم تخليصه او لا يعبأ به احد فاذا رفع صوته ونادى وصاح تنبه الناس له وانقذوه ولما طلب الامان قال اعلم انكما قد دعوتما علي فادعوا الي ولكما علي ان أرد الناس عنكما ولا اضركما قال فوقفا لي فركبت فرسي حتى جئتهما قال ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني اي لم يأخذا مني شيأ وقالا اخف عنا فسألته كتابا آمن به فامر عامر بن فهيرة فكتب لي في ورق وقيل في عظم وقيل في رق والرق على قول من قال من أدم اخرجها له يوم حنين فنفذها وأمنه ومن يلوذ به * (تنبيه) * ذكر الناظم الهجرة وبعض ما وقع فيها من المعجزات مع انه سيذكر وقائع وقعت له بمكة قبل الهجرة كالاسراء وكان مقتضى الواقع ان يذكر هذه كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب في الذكر الترتيب في الواقع ولعله اهتم بشأن الهجرة فقدمها لتتنبه النفس الى حكمة ذلك

(قوله عثرت) قال في المختار وقد عثر في ثوبه يعثر بالضم عثارا بالكسر ويقال عثر به فرسه فسقط وعثر عليه اطلع وبابه نصر ودخل انتهى وفي القاموس عثر كضرب ونصر وعلم وكرم عثرا وعثارا وتعثر كبا ثم قال والعثور الاطلاع كالعثر واعثره اطلعه وعثر كذب انتهى (قوله ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات) وهي اللهم اكفنا أمر سراقة بما شئت وكيف شئت واني شئت (قوله أي طلبت الخ) سيأتي تذكيرها في قوله الذي يقوم الخ فيفيد انها تذكر وتؤنث قال في القاموس والفرس للذكر والانثى (قوله فاستعير للفرس) كان الاولى شبه به الفرس لوجود الطرفين وقد يقال مراده أطلق عليها لا الاستعارة الاصلاحية (قوله ثم رأيت بعضهم) هو شارحها أحمد بن الاقيطع المالكي أي بقوله ويحتمل أن يريد الخ والا فصدر عبارته كعبارة الشارح التي نقلها عن الشارح فتأمل (قوله أي نضيق عليه) والافظن في القدرة عليه لا يتوهمه مؤمن فضلا عن هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ومغاضبا من بناء المغالبة للمبالغة أولانه أغضب قومه بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا انتهى من البيضاوي وقال على قوله أن ان نقدر عليه لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا انتهى (قوله فلم يرزآني) بتقديم الراء المهملة على الزاي المعجمة بعدها همزة فالف لينة هي ضمير التثنية

(قوله استأصل شأفتهم) الشأفة قرحة تخرج فى أسفل القدم فتكوى فتذهب يقال فى المثل استأصل الله شأفته أى أذهبه كما أذهب الله تلك القرحة بالكى انتهى مختار وهى بشين معجمة وهمزة ساكنة وفاء مخففة وتاء فوقية (قوله كما طويت الخ) هذا يقتضى ان وصوله الى المدينة على خلاف العادة كوصوله لمكان سمع فيه الخطاب من غير واسطة ورأى فيه ربه بعين بصره ليلة الاسراء وفى مولد النجم الغيطى ما يقتضى خلافه وان سيره فى الهجرة الى المدينة على العادة حيث ذكر انه خرج من مكة يوم الخميس هلال ربيع الاول ودخل قباء يوم الاثنين ثانى عشره فتكون مدة سيره عشرة ايام كاملة وبعض يوم دخوله ويمكن ان يجاب بان الطى لا يلزم ان يكون سيرا على خلاف العادة قال فى القاموس طوى البلاد قطعها وطوى الله البعد لنا قربه انتهى وما هنا من الاول بخلاف طى السموات المشبه به فانه من الثانى فتأمل ثم ان قوله كما طويت قد غير به اعراب المتن فكان الاولى ان يقول كما طوى مع ما علمت فيه اول القولة من عدم ظهور التشبيه (قوله مسيرة) مصدر ميمى بمعنى السير كالمعيشة بمعنى العيش فليست التاء للوحدة (قوله ثمانية آلاف) فيه ان سمك السموات السبع وما بينها وما بين الارض والسماء الاولى سبعة آلاف فقط وسيأتى فى الشرح فى رواية لم تثبت كسائر روايات الحجب انه زج به فى النور فخرق سبعين الف حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة حجاب (قوله والمعاريج ليلة الاسراء عشرة) فى معراج الشهاب القليوبى التصريح بنصب جبريل المعراج من الارض الى فوق سدرة المنتهى وفيه ايضا ان درجاته ثمان الاولى صعد عليها رسول الله ومعه جبريل فارتفعت بهما الى السماء الاولى وهكذا الى الثامنة ثم قال فيها صعدت بهما الى الكرسى ثم الى فوق سدرة المنتهى قيل بدرجة تاسعة وقيل بلا درجة وهو اقرب لانها داخل الكرسى ثم زج به اى دفعه جبريل فى النور فخرق الله له سبعين الف حجاب الى اخر ما ذكره وظاهر كلامه انه ليس هناك ما يعرج عليه بعد سدرة المنتهى وكلام الشارح يقتضى وجود ذلك فحرر والمعراج من جنة الفردوس منضد باللؤلؤ (قوله الى المستوى) بفتح الواو اى المصعد اى المكان العالى كما فى نور النبراس (قوله صريف الاقلام) اى صوتها (قوله والرفرف) قال فى القاموس الرفرف شئ يشبه الطاق (قوله بالمكافحة) اى المباشرة من غير واسطة (قوله الى بيت المقدس) بفتح الميم واسكان القاف وكسر الدال ويقال البيت المقدس بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اى المطهر وعلى اللغة الاولى يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان والمعنى على الاول بيت الطهارة وعلى الثانى بيت مكان الطهارة وتطهيره =



وهى انه انقطع بها عنه صلى الله عليه وسلم كل ايذاء كان يصل اليه من قريش وترتب عليها الظفر بهم حتى استأصل شأفتهم اى بقيتهم وقطع دابرتهم (فطوى الارض) فى حال كونه (سائرا) عليها (و) هذا كما طويت له قبل ذلك (السموات العلى) لما كان (فوقها له اسراء) ليلة الاسراء الى ان جاوزها جميعا فى اسرع وقت فقطع مسيرة ثمانية آلاف سنة فى اسرع وقت اذ بين السماء والارض خمسمائة سنة وكذا سمك كل سماء وما بين كل سماءين هذا بالنسبة الى السماء السابعة واما ما بينها او بين ما وصل اليه مما كان فيه قاب قوسين او ادنى فلا يعلمه الا الله تعالى فبالهما من مسيرين مسير فى الارض ومسير فى السماء اظهر الله عليه فيهما عظم قدره فى سيره واسرائه وافضلية تقدمه على جميع خلقه فى ارضه وسمائه قال بعض الائمة والمعاريج ليلة الاسراء عشرة سبعة فى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم فى سنى الهجرة العشرة ما كان منها مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشرة ولهذا ختمت بوفاته التى فيها القاء ربه والعروج بروحه الكريمة الى الوسيلة وهى المنزلة التى لا ارفع منها كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء والحضور بحضرة القدس (فصف) ايها الناظر فى شمائله صلى الله عليه وسلم وخصوصياته وما أكرمه الله به تلك (الليلة) وهى ليلة الاثنين أو الجمعة أو السبت من رمضان أو شوال أو رجب وبه جزم النووى فى الروضة والحجة أو ثالث عشر ربيع الآخر وجرى عليه النووى فى فتاويه أو من ربيع الاول وجرى عليه فى شرح مسلم بعد المبعث بخمس سنين ورجحه النووى أو بعشر أو باحدى عشرة أو ثنتى عشرة أقوال رجح كلا قوم (التى) وقع ذلك الاسراء فيها من مكة الى بيت المقدس

ثم منه الى السماء ثم الى حيث شاء الله ومارأى من آيات ربه الكبرى أى اذ كر صفاتها الجليلة بما يمكنك والاجمال أن تستوعبها اوان تأتى بتفصيل ما يحيط بها كيف وقصة الاسراء والمعراج من اشهر المعجزات واظهر البراهين والبينات واقوى الحجج واصدق الانباء واعظم الآيات ومن ثم قال بعض المفسرين انها افضل من ليلة القدر لكن بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه اوتى فيها مالا يحيط به الحد ولذا كان الاسراء بالجسم فى اليقظة من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخالف فى كونه بالجسم وكونه فى اليقظة من لا يعتد بخلافه و زعم تعدد الاسراء لتباين الروايات فيه تباينا منتشرا ولا يمكن الجمع بينها الا بدعوى التعدد بالجسم تارة والروح اخرى مردود والاصح انه اسراء واحد بالجسم والروح فى اليقظة وان ما خالف الجادة من الروايات ان امكن تأويله تعين والا حكم عليه بانه وهم كرواية ان الاسراء كان قبل البعثة فان الاجماع على انه بعدها على انها أولت و (كان للمختار) صلى الله عليه وسلم (فيها) عجائب منها انه جاءه جبريل وفى رواية وميكائيل وفى اخرى ذكر ثالث ولا مانع ان جبريل نزل اولا ثم ميكائيل ثم الثالث بالحطيم اوشعب ابى طالب أو بيته او بيت ام هانئ بعد ان اندرج سقفه روايات جمع بينها بانه بات فى بيت ام هانئ و بيتها عند شعب ابى طالب واضيف اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى المسجد فاضطجع لاثر نعاس كان به ثم اخذه فاخرجه من المسجد فاركبه البراق فاستمرت يقظته ورواية انه كان بين النائم واليقظان محمولة على ابتداء الامر ورواية فلما استيقظت اى من شغل البال بمشاهدة الملكوت وحكمة كونه لم يأته من باب البيت انه انصب من السماء انصبابة واحدة بازاء محله الذى هو فيه فلم يعرج على غيره مبالغة فى المناجاة وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد ولاظهار انه مراد ووقع فى موسى بميعاد تنبيها على انه مريد وشتان ما بينهما وايضا فى فرج سقف البيت والتئامه عقبه تنبيه على شق صدره الشريف تلك الليلة وانه لا بأس عليه فيه ومرت قصة شقه هنالك عند ذكر الناظم اشقه عقب رضاعه عند حليمة ومنها ان الملك لما اخرجه من المسجد اركبه (على البراق) فكان له عليه (استواء) اى استقرار وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه الآدميون وهو كما صح به الخبر دابة اى يشبهها اذ هو ليس بذكر ولا انثى دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوته عند أقصى طرفه وذكره باعتبار كونه مركوبا وسمى بذلك من البرق لسرعة سيره او من البريق او من قولهم شاة برقاء اذا كان فى خلال بياضها سواد وقوله يضع خطوه الخ معناه أنه يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره وقال ابن المنير أى يقطع ما انتهى اليه بصره فى خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء فى خطوة واحدة لان بصره الذى فى الارض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات فى سبع خطوات انتهى وهذا انما يأتى على رواية فحملت عليه أى البراق حتى انطلق بى جبريل الى السماء الدنيا اذ ظاهرها انه استمر عليه حتى وصل الى السماء والمشهور انه استمر عليه

= اخلاؤه من الاصنام او المراد الطهارة من الذنوب (قوله على انها اولت) ومما اولت به ان المراد بالبعثة قبل ان يوحى اليه فى شأن الاسراء والمعراج اى وقع ذلك بغتة قبل ان ينذر به انتهى غيطى فى معراجه (قوله جمع بينها الخ) الجمع ظاهر بالنسبة لغير القول بالمجىء والنزول بالحطيم اذ لم يكن نزوله ومجيئه له به بل قبله فتدبر (قوله الى المسجد) اى الى الحطيم منه لينم الجمع (قوله اى تشبهها اذ هو الخ) فيه انه لا يحتاج لذلك الا ان كانت التاء للتأنيث وليس كذلك بل هى للوحدة (قوله يضع خطوته) وفى نسخة حافره وهى اوضح لان الخطوة بالفتح هى نقل القدم وبالضم ما بين القدمين وذلك المعنى غير ظاهر هنا ولذلك احتاج الشارح الى حمل اللفظ على غير ظاهره بقوله معناه انه يضع الخ

الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج كما يأتى وفى رواية لابى يعلى والبزار اذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفى رواية شاذة له جناحان واخرى ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كقوائم الابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره من ياقوتة حمراء وفى رواية صحيحة اتى به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك قط أكرم على الله منه فارفض عرقا وظاهرها كصريح رواية النسائى وابن مردويه وكانت تسخر للانبياء قبله ان الانبياء كانوا يركبونها ولم يطلع عليها بعضهم فنفى ركوب غيره صلى الله عليه وسلم لها فاستصعابه ليس لعدم الفة الركوب بل لبعد عهدها به او ليظهر جبريل له مرتبته صلى الله عليه وسلم وانها علت على سائر المراتب وانما لم يكن البراق على شكل الفرس اشارة الى ان ركوبه فى سلم وأمن لا حرب ولا خوف والى ظهور المعجزة بوقوع هذا الاسراع الباهر من دابة على هذا الشكل وصح ان جبريل حمله على البراق رديفا له ورواه احمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس واول بعضهم ذلك بالاحتياج اليه اذ ركوب جبريل معه لا ينافى كونه فى خدمته وصح انهما مرا بيثرب فامره أن ينزل ويصلى وبمدين فامره بذلك وبيت لحم الذى ولد فيه عيسى عليه الصلاة والسلام فأمره بذلك واراه عجائب اخرى الى ان وصل الى بيت المقدس فنزلا وربطه اى جبريل كما مر فى رواية لكن فى اخرى النبى صلى الله عليه وسلم ويجمع باحتمال انهما ربطاه معا بالحلقة التى كانت الانبياء تربطه بها ثم دخل وبعث له جماعة من الانبياء فصلى بهم وصح فى رواية أتى بارواح الانبياء أى مع اجسادهم لرواية ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم أذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم وفى رواية لاحمد فاذا النبيون اجمعون يصلون معه وفيها زيادة على رواية جماعة منهم فيؤخذ بتلك الزيادة وفى حديث ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم بهم فى بيت المقدس بعد العروج أيضا وتلك الصلاة قبل الصبح أى بناء على انه صلى فيه بعد العروج وقيل العشاء أى بناء على انه صلى فيه قبله ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج كما فى رواية ابن هشام والبيهقى وغيرهما ووضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب سماء الدنيا فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السماء السابعة ورأى فى السماء الاولى آدم وعن يمينه أرواح المؤمنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره أرواح بنيه الكفار فاذا نظر اليهم بكى أى انه يكشف له عنهم وهم فى النار التى هى مستقر أرواحهم والنيل والفرات أى انتهاؤهما

الدال المهملة وفتح المثناة التحتية بلد بالشام تلقاء غزة سميت باسم مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قوله بالحلقة) بسكون اللام على اللغة الفصحى وحكى فتحها وجمعها على الفتح حلق وحلقات وعلى السكون حلق بفتح الحاء وكسرها (قوله أى مع أجسادهم) سيأتى له قريبا أقوال ثلاثة ولعله اقتصر على هذا القول هنا لرجحانه عنده (قوله ثم اذن الخ) ان كان المراد بالاذان والاقامة المعروفين ففيه انهما لم يشرعا الا بعد فرض الصلاة (قوله فقدمنى فصليت بهم) تقدم للشارح فى شرح قول الناظم ثم قام النبى يدعو الى الله نقلا عن فتح البارى انه افترض قبل الاسراء صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فراجع ماهنالك وما كتبناه ثم (قوله قبل الصبح بناء الخ) فيه ان أول صلاة صلاها بعد العروج الظهر (قوله وقيل العشاء بناء الخ) فيه ان الصلاة لم تكن فرضت حينئذ والتأويل ممكن (قوله مرقاة) بالكسر والفتح أى درجة فمن كسرها شبهها بالآلة التى يعمل بها ومن فتح جعلها موضع الفعل (قوله وهم فى النار) كان الظاهر ان يقول وهم فى الجنة والنار ليشمل أرواح المؤمنين (قوله أى انتهاؤهما) أى انتهاء اضافيا والا فانتهاؤهما الحقيقى فى الارض

والا فابتداؤهما من سدرة المنتهى وفي الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي حديث البيهقي وغيره فاذا أنا برجل أي يوسف أحسن ما خلق الله وقد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب والمراد غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لخبر الترمذي ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين قولا مشهورا اعتمده النووي في موضع واعتمده آخرون أيضا ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ومن ثم قال بعض المحققين المراد اعطى شطر الحسن الذي أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم وهذه مقدمة على رواية لم تضبط به منازلهم وعلى رواية ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة لان سياقها يدل على انه لم يضبط منازلهم كما صرح به الزهري فالاولى التي فيها انه ضبطها على انه يجمع بين الروايات المختلفة في ذلك بانه رآهم في الصعود على كيفيات وفي الهبوط على كيفيات أخر فلما جاوز موسى بكى فقيل ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي وبكاؤه ليس بحسد حاشاه الله من ذلك بل غبطة وحزنا على ما فاته من مضاعفة أجور نبينا صلى الله عليه وسلم بكثرة اتباعه وصالحيهم الى ما لا نهاية له أو رحمة لامته لما وقع منهم بعده مما لم يقع نظيره لهذه الامة وذكره بغلام لانه اصغر منه سنا أو لان قوة الشباب معه الى سن الشيخوخة وحكمة تخصيص هؤلاء بالالقاء الاشارة بكل الى ما سيقع له كالاخراج من الجنة ثم العود اليها والهجرة من مكة ثم العود اليها وكمعاداة اليهود له أوائل الهجرة كما عادوا عيسى وأرادوا قتله ويحيى وقتلوه وكرجوع قومه الى محبته كما رجع قوم هرون الى محبته وكمعالجته لقومه كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة والكعبة وتمتعه بها كما وقع لابراهيم ومن ثم رآه مسندا ظهره الى البيت المعمور الذي بحيال الكعبة ويدخله من يوم خلق الله الخلق الى يوم الابد كل يوم سبعون ألف ملك فلا يعودون اليه وأخذ منه ان الملائكة اكثر المخلوقات * واختلفوا في رؤيته لهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقيل لارواحهم الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول واختلاف قالوا هذا في الذين صلوا معه في بيت المقدس فقيل الارواح أيضا وقيل بل الاجساد وقيل خرق الله لهم الحجب حتى رأى كلا في قبره من المحل الذي اخبر به وقيل رفعوا من قبورهم تلك الليلة لتلك المواضع اكراما له صلى الله عليه وسلم وبعد ان جاوز السماء السابعة رفعت له سدرة المنتهى فرآها وقد غشيها من أمر الله ما غشي حتى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها ورأى النيل والفرات وسيحان وجيحان تخرج من اصلها وفي رواية انها من الجنة

ادريس (قوله البيت المعمور) ويسمى الضراح بالضاد المعجمة واهمالها غلط وآخره حاء مهملة أي البعيد سمي بذلك لبعده عن الارض وسمي بالمعمور لكثرة عمارته بدخول الملائكة فيه وتعبدهم عنده كذا في المفهم للقرطبي (قوله ويدخله الخ) وفي تفسير الكواشي يدخله كل يوم سبعون ألف دحية مع كل دحية سبعون ألف ملك انتهى والدحية بالكسر رئيس الجند وابن خليفة الكلبي ويفتح كذا في القاموس (قوله سدرة المنتهى) ومغرسها يحتمل انه في الهواء وانه في الجنة (قوله والفرات) بالتاء الممدودة في الخط وفي النطق وصلا ووقفا فجعله بالهاء خطأ ومعناه الماء العذب جدا وهو نهر بالكوفة (قوله وسيحان) وعبارة الوافي بالوفيات مانصه سيحون بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء وسكون الواو وبعدها نون وهو وراء جيحون مما يلي بلاد الترك وجيحون بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء المهملة وسكون الواو وبعدها نون نهر عظيم فاصل بين خوارزم وبلاد خراسان وبين بخارى وسمرقند وما داناها فكل من كان من تلك النواحي فهو ممن وراء النهر اذ النهر في كلامهم هو جيحون وهذان النهران مع عظمهما يجمدان في زمن الشتاء وتمر القوافل عليهما ويقيمان على ذلك مقدار ثلاثة أشهر

لا تعارض ذلك لان ذلك ينبع منه تلك الانهار فى الجنة فلا ينافى ماقيل اصلها فى السماء السادسة وعليه تحمل رواية انه رآها فيها واعلاها فى السابعة وعليه يحمل مامر انها فيها وسميت بذلك لانه ينتهى اليها علم الخلائق ولم يجاوزها أحد الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاله النووى ويتعين حمله على انه لا يجاوزها من الملائكة الذين ينزلون الى الارض ويصعدون بالاعمال لما يأتى من انه صلى الله عليه وسلم جاوزها الى مستوى يسمع فيه صريف أقلام الملائكة ثم ادخل الجنة واحاط بها ثم عرج به صلى الله عليه وسلم كما فى رواية البخارى حتى ظهر بمستوى أى بمحل عال يسمع فيه صريف الاقلام أى تصويت أقلام الملائكة بما يكتبونه من اقضية الله تعالى وفى رواية لم تثبت كسائر روايات الحجب ثم زج بى فى النور زجا فخرق بى سبعين ألف حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلى لى رفرف أخضر ثم احتملنى حتى وصلت الى العرش وهذه الحجب بفرض صحتها انما هى بالنسبة الى المخلوقين واما هو تعالى فلا يحجبه شئ وصح عن أنس عنه صلى الله عليه وسلم قال عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار أى بقربه المعنوى كما أرشد اليه قول رب العزة جل جلاله فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى كما قال الناظم (وترقى) أى صعد البراق (به الى قاب قوسين) وقاب القوس مابين مقبضه وآخر وتره ولكل قوس قابان ومن ثم قيل فى الآية قلب أى قابى قوس ويرد بانه لا يتعين ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوى من ربه بقرب قاب القوس اذا ألصق بقاب قوس آخر ثم رأيت بعضهم قال قاب قوسين أى مقدار قوسين وقاب القوس مقدار طولها وقيل قدر الوتر منها قال الجوهرى تقول بينهما قاب قوس أى قدر قوس * (تنبيه) * ما افهمه كلام الناظم ان البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو مادلت عليه رواية البخارى ولفظها فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قال ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية وهكذا لكن صحت الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت المقدس

(قوله الى مستوى) هو بفتح الواو كذا قيده النووى وهو باصل سماعنا بالبخارى ومسلم منون وهو المصدر وهو المكان العالى انتهى من نور النبراس (قوله صريف الاقلام) أى تصويتها حالة الكتابة والمراد بالكتبة الملائكة يكتبون اقضية الله والقدر المكتوب قديم والكتابة حادثة وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل السموات والارض وانما فيه الكتابة فى صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ماذكره فى الاثر انتهى من المواهب (قوله مابين مقبضه) بكسر الباء كمجلس كما فى المختار (قوله فى الآية قلب) ليس المراد بالقلب التقديم والتأخير بل المراد تبديل المفرد بالمثنى والمثنى بالمفرد كما أشار اليه بالتفسير (قوله بانه لا يتعين ذلك) أى التقرير المؤدى الى دعوى القلب (قوله بل المراد) أى فى الآية كما هو ظاهر عبارته وهذا مناف لما سيأتى له فى قوله واعلم ان التدلى الخ حيث جزم بان الدنو والتدلى فيها فى حق جبريل وسيأتى ذكر خلاف الائمة فى ذلك باختصار فلو جرى على ماسيأتى له لقال بل المراد تشبيه قرب جبريل من النبى بقرب الخ فتدبر ماسيأتى يظهر لك المقام ثم ان أصل هذا التشبيه ان الحليفين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحاج كل منهما عن صاحبه (قوله بقرب قاب القوس) أى فيكون قاب مفردا مضافا فانهم القابين أى قابى قوسين فمغايرة هذا المراد لما قبله فى الشارح واضحة (قوله أى مقدار قوسين) وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التى يقاس بها من قاس يقيس انتهى من تفسير الخازن (قوله وقاب القوس الخ) هذا من جملة قول ثم بعضهم مشيرا به الى تقدير مضاف وهو طول فعلى هذا القول القاب بمعنى المقدار وفى الكلام مضاف محذوف (قوله وقيل قدر الوتر منها) هذا كقول بعضهم المذكور وانما خالفه فى بيان المضاف ففى ذلك لفظ طول وفى هذا لفظ وتر فتلخص من كلام الشارح تقرير رابع لقوله قاب قوسين (قوله لكن صحت الاحاديث الخ) هذا هو المشهور المعتمد فتحمل رواية البخارى على ان راويها اسقط منها ما وافق بها رواية غيره ويمكن على بعد ان يجعل ضمير به فى كلام الناظم راجعا للاسراء وضمير ترقى للنبى صلى الله عليه وسلم أى ترقى المختار بسبب الاسراء ووجه بعد ذلك بعد الراجعين للضميرين

ثم نصب له المعراج فارتقى فيه كما مر وظاهرها انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس لاغير ولهذا التنافى ذهب بعضهم الى ان الاسراء على البراق وقع مرتين مرة الى بيت المقدس ومرة من مكة الى السماء لكن رد هذا بان الاصح انه لم يتعدد وانه لا تنافى وانما الذى ذكرها به عليه من مكة الى السماء اختصر ذكر بيت المقدس وفيه نظر لان رواية البخارى السابقة صريحة فى انه لا معراج وانه استمر راكبا البراق الى السماء الدنيا ثم التى بعدها وهكذا وجرى عليها الناظم كما علمت فالاولى الجواب جمعا بين الروايتين بان من ذكر بيت المقدس والمعراج معه زيادة علم فقدم وعليه فيكون لما وصل فى المعراج الى السماء الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها وبهذا اعنى رواية البخارى الظاهرة فيما فى النظم والجمع بينها وبين الرواية الاخرى المشهورة التى عليها العمل يظهر عذر الناظم فى ذكره انه ركبه الى منتهى وصوله لكن فى جزمه به نظر ظاهر والحاصل انه بعد وصوله الى السماء الدنيا يحتمل انه استمر راكبا على البراق على ظاهر الرواية الاولى وانه جىء به له ثانيا على الرواية الثانية ويحتمل انه ذهب من غير ركوب شئ تعظيما للسموات ومن فيهن اذهن افضل من الارضين عند الاكثرين وعلى مقابله المنصور لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الارض وهى مدفنهم ومستقرهم وهم أفضل من الملائكة فتعظيما لمن فيهن ممن اجتمع به من الانبياء والملائكة لا يقال السماء لم يعص الله فيها احد بخلاف الارض لانا نقول لهذه مزية وقد يكون فى المفضول مزايا على ان ذلك منتقض بما وقع لآدم وحواء وابليس وادعاء انهم لم يكونوا فى السماء يحتاج لدليل وعلى التنزل فكون المعصية تقع فى محل دون محل يقتضى افضلية الثانى لذاته غير مسلم فعلى مدعيه اثباته بدليل يدل له وانما قلنا فالاولى الجواب الخ ولم نقل بالتعدد لان مجرد اختلاف الروايات فى هذا الامر الجزئى لا يقتضيه على ان ما وقع تلك الليلة من فرض الصلوات وغيره ذكر فى كل من رواية الى السماء ورواية الى بيت المقدس وهذا صريح فى اتحاد الاسراء وعدم تعدده فتأمل ذلك كله فانه مهم واعلم ان هذا التدلى والدنو المذكور فى حديث انس وغيره من احاديث المعراج غير الدنو والتدلى فى اول سورة النجم فان هذا فى حق جبريل كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وصح ايضا انه لم يره فى صورته التى خلق عليها الا

(قوله وعلى مقابله المنصور) أى عنده والا فقد صرح الشربينى فى شرحه على أبى شجاع بان الاصح تفضيل السماء وعبارته وبدأ المصنف بالسماء لشرفها على الارض كما هو الاصح انتهى وكتب عليه محشيه الاجهورى ما نصه قوله كما هو الاصح اعتمده هذا الشهاب الرملى فى حواشى الروض والخلاف فى غير البقعة التى ضمت اعضاءه صلى الله عليه وسلم فانها افضل حتى من العرش والكرسى انتهى بحروفه وعبارة النووى فى التحرير نصها وجمع السموات  لشرفها وهذا يؤيد المذهب الصحيح المختار الذى عليه الجمهور ان السموات أفضل من الارضين وقيل الارض أفضل لانها مستقر الانبياء ومدفنهم وهو ضعيف انتهى (قوله فتعظيما) أى فذهب من غير ركوب تعظيما الخ (قوله بما وقع لآدم) أى صورة اذ الواقع له صورة معصية لان الانبياء جميعا معصومون من ارتكاب الذنوب صغيرها وكبيرها (قوله فان هذا فى حق جبريل) وهو الذى صدر به البيضاوى ثم قال وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما فى قوله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه رفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس انتهى قال فى القاموس الشراشر النفس والاثقال والمحبة وجميع الجسد انتهى أى جذبه بجميع جسده أو بسبب محبته الى آخر ما ذكر قال فى الخازن وكونه أى جبريل شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحى على الانبياء اسرع من رجعة الطرف (قوله وصح أيضا الخ) عبارة البيضاوى قيل ما رآه أحد من الانبياء فى صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض انتهى وجزم فى الخازن بعدم رؤية أحد من الانبياء غير نبينا له على صورته الاصلية وذكر قبل ان المرة التى فى السماء عند سدرة المنتهى والتى فى الارض بالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق فسد الافق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل

في هذه المرة المذكورة في الآية ومرة اخرى عند اوائل البعثة كامر (وتلك) المرتبة التى وصل اليها صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هى (السيادة القعساء) اى الثابتة الدائمة التى لا يطرقها نقص ولا تغير ولا زوال ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذلك القرب الذى لم يصل اليه مخلوق فرض الله عليه وعلى أمته فى كل يوم وليلة خمسين صلاة فرجع فمر على موسى فسأله عما فرض الله تعالى عليه وعلى امته فاخبره فأمره ان يرجع الى ربه ويسأله التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وسأل فحط عنه خمسا ثم رجع فامره بالرجوع ايضا فرجع فحط عنه خمسا وهكذا الى ان بقيت خمسا فامره بالرجوع وقال له ان بنى اسرائيل فرض عليهم صلاتان فما قاموا بهما فقال استحييت من ربى وفى رواية علمت انها عزمة من ربى فلا اراجعه فقال تعالى هن خمس اى فى الفريضة وهن خمسون اى فى الثواب لا يبدل القول لدى وحكمة فرضها فى هذه الليلة انه صلى الله عليه وسلم لما شاهد تعبد الملائكة فيها وان منهم مديم القيام ومديم الركوع ومديم السجود أعطاه الله ذلك كله لامته فى ركعة يصليها الواحد منهم بشروطها وآدابها واختص موسى صلى الله عليه وسلم بامره بتلك المراجعة لانه اطلع من صفات هذه الامة على ما حمله على قوله اللهم اجعلهم أمتى فقال له الله تعالى تلك أمة محمد فقال اللهم اجعلنى منهم وهو حديث مشهور فكان اعتناؤه بهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم وفى رواية كان أشدهم على حين مررت به وخيرهم لى حين رجعت *(فائدة)* اختلف العلماء قديما وحديثا فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فى هذا المقام الذى وصل اليه دون غيره من الخلق بعينى رأسه أو بعين قلبه فقط والذى صح عن ابن عباس فى رواية انه رآه بعين بصره وفى أخرى انه رآه بعين قلبه ولا تخالف لانه صح عنه كما رواه الطبرانى باسناد رجاله رجال الصحيح الا واحدا فوثقه ابن حبان انه رآه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له بل ولغيره فلا خصوصية ورواية ابن مردويه عنه لم يره بعينه لم تصح وبتسليمها فالاثبات مقدم على النفى وجاء عن أنس باسناد قوى رأى محمد ربه واطلاق الرؤية انما تنصرف لرؤية العين وكان الحسن البصرى يحلف انه رأى ربه وبذلك قال عروة وسائر أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهرى ومعمر وآخرون وهو قول الاشعرى وغالب اتباعه وانكرت عائشة وابن مسعود الرؤية قال النووى لكن خالفها غيرها من الصحابة والصحابى اذا خولف لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة لها فيما فى مسلم عنها ان مسروقا قال لها لم أنكرت الرؤية ألم يقل الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقالت

---

= فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنا فتدلى أى دنا جبريل بعد استوائه فى الافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدنى أى بل أدنى وهو أحد معنيين فى الآية ذهب اليه ابن عباس والحسن وقتادة والمعنى الثانى وهو ماذهب اليه الضحاك ثم دنا محمد من ربه فتدلى أى هوى للسجود فكان منه قاب الخ (قوله الى ربه) أى الى مكان حدد له ان ينتهى اليه فكان ذلك الترديد بين ذلك المكان وبين موسى (قوله لامته) فالعجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبى لانه عليه الصلاة والسلام يطيق اكثر من ذلك فقوله بعد فحط عنه أى عن أمته ولذلك قيل ان الخمسين لم تنسخ فى حقه قال ع ش على م ر المعتمد ان الخمسين صلاة نسخت فى حقنا وفى حقه صلى الله عليه وسلم ولكن كان يفعلها على وجه النفلية انتهى المراد منه واعتمد الحلبى فى حاشيته على المنهج والبرماوى فى حاشيته عليه انها نسخت فى حقنا لا فى حقه وارتضاه شيخنا الشهاب الخليفى لان أصحاب القولين متفقون على فعله صلى الله عليه وسلم للخمسين غير ان القائلين بالنسخ فى حقه يقولون ان فعله لها على وجه النفلية وهذا يحتاج لدليل اذ الاصل بقاء الفرضية حتى يثبت خلافها وقد علمت ان سؤال التخفيف عن الامة يؤيد ذلك أيضا تأمل (قوله فحط عنه) أى عن أمته وكذا فيما بعده بقرينة قوله ويسأله التخفيف لامته (قوله لانه اطلع) قال بعضهم أى ولانه كليم فنصبه الكلام والمراجعة بخلاف ابراهيم فانه خليل فمقامه التسليم وان كان افضل واقرب اذ هو فى السماء السابعة

يارسول الله هل رأيت ربك قال لا انما رأيت جبريل وذلك لانها انما سألت عما فى الآية فاجابها بانه لم يره أى فى قصة الآية وقدمر انها غير قصة المعراج وان التدلى والدنو الذى فى قصة المعراج غيرهما فى الآية ولاحجة لها فى لاتدركه الابصار لان المراد لاتحيط بحقيقة ذاته العين بدليل الى ربها ناظرة واذا جازت فى الآخرة جازت فى الدنيا لتساويهما بالنسبة للمرئى وسؤال موسى اياها فى الدنيا أظهر دليل على ذلك اذ لايجوز على نبى ان يسأل محالا وانكار المعتزلة قبحهم الله لها حتى فى الآخرة من بدعهم التى خالفوا فيها الكتاب والسنة وعلى جوازها فى الدنيا لم تقع الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وصح فى مسلم واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ومعنى خبر مسلم عن ابى ذر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور انى أراه ان النور حال بينه وبين رؤيته ببصره فكيف يراه مع ذلك وقدمر انه مرة رآه ببصره ومرة بقلبه فسبب هذه حصول ذلك النور فلا ينافى وقوع الاولى وسئل احمد رضى الله عنه عن قول عائشة من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية بم يدفع قولها قال بقول النبى صلى الله عليه وسلم رأيت ربى وقول النبى صلى الله عليه وسلم أكبر واذا تأملت ماوقع له صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من الكرامات التى تميز بها على سائر الخلق علمت انها (رتب) جليلة (تسقط الامانى) جمع امنية (حسرى) جمع حسير من حسر اعيا (دونها) ظرف لتسقط أى لجلالة هذه الرتب وعزتها على الخلق سقطت امنياتهم وتخلفت طلباتهم وآمالهم عن نيل هذه الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة عن التأهل لها ولم لا وهى (ماوراءهن وراء) أى ماقدامهن قدام بمعنى انه ليس بعدهن مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ثم لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء مر على عير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان سوداء وبيضاء فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ورأى بعيرا ضل وجمعه واحد منهم (ثم وافى) مكة قبل الصبح فاصبح (يحدث الناس) بما رأى من تلك العجائب والكرامات امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث (شكرا) أى من جهة الشكر او لاجل قيامه بشكر ربه أو حال كونه شاكرا لانعمه (اذ) أى لاجل أو وقت (أتته من ربه النعماء) أى فى تلك الليلة وحينئذ ارتد ناس كانوا اسلموا فذهب المشركون لابى بكر رضى الله عنه وذكروا له انه يخبر انه ذهب الى بيت المقدس وجاء فى ليلة فقال صدق فانكروا عليه فقال انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك فى خبر السماء فى غدوة وروحة فلذلك سمى الصديق رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه رواه الحاكم فى مستدركه وابن اسحق وزاد

(قوله فقال نور انى أراه) بتنوين نور وفتح الهمزة فى انى وتشديد النون المفتوحة وأراه بفتح الهمزة كذا فى شرح مسلم للنووى استفهام على جهة الاستبعاد قال النووى فى شرح مسلم معناه حجابه نور فكيف أراه ثم قال قال المازنى الضمير فى أراه عائد على الله تعالى ومعناه ان النور منعنى فى الرؤية كما جرت العادة باعشاء النور الابصار ومنعها من ادراك ماحالت بين الرائى وغيره قال وروى نورانى أراه بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء أى خالق النور المانع من رؤيته فيكون راجعا لما سبق قال القاضى عياض وهذه الرواية لم تقع لنا ولا رأيتها فى شئ من الاصول انتهى وقال القرطبى ليست هذه الرواية بصحة النقل ولعلها تصحيف (قوله فقد أعظم على الله الفرية) أى الافتراء وهى اختلاق الكذب ومايقبح التحدث به (قوله من حسر) يقال حسر البصر أعيا وحسر بصره كل وانقطع وبابه جلس كما فى المختار (قوله سقطت امنياتهم) أشار الى جمع آخر لامنية (قوله وتخلفت طلباتهم) جمع طلبة بكسر اللام الشئ المطلوب ككلمة وكلمات (قوله وتصرع) كان الظاهر وصرع أى طرح أى على الارض قال فى القاموس الصرع ويكسر الطرح على الارض (قوله فسلم عليهم) ان كان فيهم مسلم وقصد السلام عليه فظاهر والا فالسلام غير مشروع على الكفار أو ذلك قبل النهى عنه عليهم (قوله النعماء) بالفتح ممدود الجمع أنعم وأنعم جمع نعمة وتجمع أيضا على نعم كذا فى القاموس وفى شرح ابن عبد الحق على بسملة شيخ الاسلام انه جمع نعمة بمعنى منعم به وفى شرح الشنوانى عليها ويصح كونه اسم جمع للنعمة أو الانعام

(قوله ورفعه) مبتدا وقوله رواه البخاری خبره (قوله فكرب) كربه الامر شق عليه حتى ملأ صدره غيظا وبابه قتل انتهى مصباح
(قوله فى مكان كذا) أى بادبالر وحاء على نحو اربعين ميلا بالمدينة (قوله يقدمهم) بضم الدال وماضيه بفتحها (قوله آدم) أى
اسمر والادمة السمرة (قوله مسح) بكسر الميم ١٠٤ بوزن ملح وهو البلاس انتهى من المختار وفى القاموس البلاس كسحاب
المسح (قوله فارتاب كل مريب)
قال البرلسى المالكى فى شرحه أى
حصلت له الريبة فى دينه والشك
فى كفره ومنه يؤخذ جواب
عما عساه يقال ان المتن يحل الى
حصلت الريبة لكل ذى ريبة
وفيه تهافت وحاصل الجواب ان
الريبة المفهومة من مريب
متعلقة بنبوة النبى ورسالته والريبة
المفهومة من ارتاب متعلقة
بدينهم وكفرهم اى حصل لهم شك
فى كفرهم ودينهم بعد ان كانوا
فى شك فى نبوة النبى ورسالته
فتأمل (قوله مريب) اى ذى
ريبة قال فى المختار واراب الرجل
صار ذا ريبة فهو مريب انتهى
فهو من اراب اللازم كتقيم من
اقام الرجل فى مجلس كذا فليس
اسم فاعل فعل متعد كاكرم والا
لصار المعنى موقعا غيره فى ريبة
وهو غير مراد هنا فتأمل (قوله
وجحدوا بها) اى بالآيات واستيقنتها
اى وقد استيقنتها لان الواو للحال
انفسهم ظلما وعلوا ترفعا عن
الايمان وانتصابهما على العلة من
جحدوا انتهى بيضاوى ومعلوم ان
هذه الآيات فى حق قوم موسى
عليه الصلاة والسلام ولما كان
قوم نبينا من الكفرة حصل منهم مثل ما حصل من قوم موسى مع مشاهدتهم آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ذكر هذه كل
الآية لشبههم بقوم موسى فيما ذكر فتأمل (قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى) اى وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل
دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده فى التركيب او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شئ حى بسبب الماء لا يحيا=

---

ان أبا بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة أتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه لى فانى جئته
فوصفه له كما هو لانه رفع اليه فجعل ينظر اليه ويصفه وأبو بكر يصدقه وقوله صفه اى ما هو
ابرد به على من تشكك فى ذلك ورفعه له حتى ينظره رواه البخارى وكذا مسلم وزاد انه
سألوه عن اشياء فيه لم يثبتها فكرب كربا ما كرب مثله قط ورفعه له اما بحمل مثاله ووضعه له
قريبا منه وعليه تحمل رواية فجئ بالمسجد أى بمثاله واما بحمل المسجد نفسه اليه وهذا
اظهر لما مر فى واشتاقت اليه من مكة الاتحاد ونظيره مجئ عرش بلقيس الى سليمان صلى
الله عليه وسلم فى طرفة عين واما بازالة الحجب بينه وبينه وبهذا ظهرت الحكمة فى الاسراء
الى بيت المقدس ثم العروج منه الى السماء لما تقرر ان فيهم من رأى بيت المقدس فوصفه
لهم كما هو مع علمهم بانه لم يذهب اليه قط أوضح آية على صدقه صلى الله عليه وسلم فى جميع
ما اخبر به من أمر السماء وعما اخبرهم به انه قال لهم ان من آية ما اقول لكم انى مررت
بعيركم فى مكان كذا وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا
ويأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف
الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار اقبلت العير كما وصف وفى رواية
اخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء ففى يومه كادت الشمس ان تغرب ولم يقدموا فدعا الله
تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعطف على وافى قوله (وتحدى) صلى الله عليه
وسلم كفار مكة وغيرهم بما وقع له ليلة الاسراء وما تقدمه من المعجزات كانشقاق القمر اى
طلب منهم ان يعارضوا ما جاء به شاهدا على نبوته بابداء نظيره والا كانوا كاذبين
مدحوضين (فارتاب) أى شك وخرس (كل مريب) فانقطع عن المعارضة ولم يسعه
الا التسليم فنهم من اسلم ومنهم من مات كافرا وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا
ويلزم من انقطاعهم عن معارضته ايضاح أمره صلى الله عليه وسلم وانه لم يبق فيه شك
ولاريب ومن ثم قال منكرا على من بقى عنده من ذلك شك (أ) يتضح ذلك الامر
(ويبقى) معه ريب لا بل اتضح وما بقى معه شك أصلا وكيف يبقى (مع السيول) حال من
قوله (الغثاء) وهو بضم المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يجف من النبات فكما ان هذا
الغثاء لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويهلكه فى اسرع وقت فكذلك ما جاء به صلى الله
عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه لولا الخذلان الالهى
شك بل يذهب ويضمحل فى اسرع وقت فعلم انه استعار السيول لما أتى به صلى الله عليه
وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لان بها الحياة الحسية وجعلنا من الماء

كل شيء حي كأن ما جاء به الحياة المعنوية والغثاء عما تخيلوه ولانه أمر حقير لا بقاء له كما
ان الغثاء كذلك وفي ارتاب ومريب جناس الاشتقاق وفي الختم بالجملة الاستفهامية
التذييل نحو وهل نجازي الا الكفور *(تنبيه)* ماقدرته بعد همزة الاستفهام هو
رأي الزمخشري ومن تبعه وهو التحقيق وان كان خلاف ما عليه سيبويه والجمهور
فيقدر في نحو أولم يسيروا في الارض أمكثوا ولم يسيروا وفي أفلا تعقلون أتجهلون فلا
تعقلون وفي أثم اذا ما وقع آمنتم أتكفرون ثم اذا ما وقع آمنتم به فالهمزة في الكل في محلها
الاصلي والعطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف محافظة على اقرار حرف العطف
على حاله من غير تقديم ولا تأخير ورد أبي حيان لذلك بانه تقدير ما لا دليل عليه وابن هشام
بان فيه تكلفا وانه غير مطرد فيه نظر بل اليه حاجة وهي ان المعنى معه أقوم وأوضح
مع رعاية قاعدة الهمزة وحرف العطف ودعوى عدم اطراده ممنوعة لان السياق
حيث وجد فيه ذلك يكون قاضيا بذلك المحذوف واعلم ان الهمزة أصل ادوات
الاستفهام ومن ثم اختصت بجواز حذفها نحو هذا ربي في المواضع الثلاثة أي أهذا ربي
وفي وتلك نعمة تمنها علي أي أو تلك نعمة تمنها علي وبانها ترد لطلب التصور تارة والتصديق
أخرى وهل تختص بالثاني والبقية بالاول وبانها تتقدم على العاطف كما هنا تنبيها على
اصالتها والبقية تتأخر عنه وبانها تدخل على الشرط نحو أفإن مات أو قتل وعلى الاثبات
والنفي (وهو يدعو) حال من فاعل تحدى أي تحدى الناس والحال انه صلى الله عليه
وسلم مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما أمر به من التبليغ والدعاء (الى الاله) أي المعبود
بالحق الذي لا يعبد غيره وهو الله تعالى وفي الى والاله الجناس الناقص ولم ينظر الناظم
الى كون الاله اسم جنس في الاصل لكل معبود لان الائمة أعرضوا عن هذا الاصل
واستعملوه في المعبود بحق فقط فصار علما بالغلبة ولم يزل صلى الله عليه وسلم يجدد دعاءه
الى الله تعالى (وان شق عليه كفر به) اي الاله او النبي (وازدراء) اي احتقار وانتقاص
له فهو مديم لذلك الدعاء متحمل لمشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم لما جاء به
*اخرج اهل السير انه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم يقول يا أيها
الناس ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وابو لهب وراءه يقول يا أيها الناس
ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم ورماه الوليد بن المغيرة لعنه الله بالسحر وتبعه
قومه على ذلك وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو
التراب على رأسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على رقبته الشريفة
وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا رأسه
ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه قائلا اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله
وصح ان عقبة بن ابي معيط لف بعنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا وهو بفناء
الكعبة فخنقه خنقا شديدا فقام ابو بكر ودفعه عنه وروى احمد في مسنده أول من أظهر

ماهو حي مخلوق من غير النطفة
كآدم وعيسى والملائكة والجان
واجاب بان المراد الغالب اى
وجعلنا من النطفة غالبا كل شيء
حي (قوله وفي الى والاله الجناس
الناقص) ويسمى المذيل ايضا
بان تنقص احدى الكلمتين
حرفا من آخرها عن الاخرى
بخلاف المطرف فهو ما نقص
احد ركنيه عن الآخر حرفا في
طرفه الاول نحو والتفت الساق
بالساق الى ربك يومئذ المساق
(قوله واستعملوه الخ) اى فهو
علم على الذات (قوله بالغلبة) اى
التحقيقية بخلاف لفظ الجلالة فانه
علم عليها بالغلبة التقديرية واما
المبدوء بالالف واللام فهو اسم
جنس لكل معبود بحق أو باطل
كما صرح بذلك ابن عبد الحق في
شرحه على بسملة شيخ الاسلام
نقلا عن السعد وغيره اه والفرق
بين الغلبتين ان الاولى بالنظر الى
الاستعمال بأن استعمل اللفظ
في غير ما غلب عليه أولا ثم ترك
ذلك الاستعمال وصار لا يستعمل
الا فيما غلب عليه والثانية بالنظر
الى القياس بأن يقتضي القياس
استعماله في غير ما غلب عليه
لكنه لم يستعمل فيه وانما
استعماله من اول الامر فيما غلب
عليه تأمل (قوله الوليد) هو والد
خالد رضي الله تعالى عنه (قوله


وصح ان عقبة الخ) مكرر مع قوله وخنقوه خنقا شديدا وسهل ذلك زيادة بيان كيفية الخنق ودفع أبي بكر عنه

الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب و بلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى اى من القتل بعمه ابى طالب واما ابو بكر فمنعه الله تعالى بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم فى الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه فى الله عز وجل وهان على قومه فأخذوه وأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد احد أى ليمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهى تعذب فطعنها بحربة فى فرجها فقتلها وأخرج البيهقى عن عروة ان أبابكر رضى الله تعالى عنه أعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة منهم الزنير بكسر الزاى وتشديد النون المكسورة فعميت فقالوا ما اعماها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ماهو كذلك فرد الله عليها بصرها (و) هو مع ذلك أيضا (بدل الورى) اى الخلق وكأن الناظم أخذ هذا من الحديث الصحيح وأرسلت الى الخلق كافة فاما الانس والجن فبالاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما مر وأما الملائكة فعلى الاصح عند جمع محققين كما يصرح به هذا الحديث وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ويشهد لذلك اذ العالم ماسوى الله واستعمال هذا فى العقلاء انما هو لتغليبهم لفضلهم وقول الرازى أجمعنا على ان المراد الانس والجن مؤول بل مردود وأما بعثته للجمادات فعلى ماذهب اليه بعض محققى المتأخرين ومعنى ارساله الى الملائكة وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه والايمان به واشادة ذكره وللجمادات انه يركب فيها ادراكات لتؤمن به وتخضع له وان من شئ الا يسبح بحمده اى حقيقة لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه (على الله) اى على العلم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وبما يجب له من اثبات كل صفة كمال وسلب كل صفة نقص بل وكل مالم يصل الى اعلى غايات الكمال وبما يجوز له من ايجاد الخلق واعدامهم وبما يمتنع عليه من المحالات التى لا تتعلق بها القدرة كما هو مقرر فى محله (بالتوحيد) اى بطلبه منهم توحيده تعالى بأن يقروا بأنه تعالى واحد فى ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وافعاله فلا معين ولا شريك له فيها بوجه وظاهر المتن ان الباء فى بالتوحيد باء الآلة الاستعانة نحو كتبت بالقلم ويوجه بأن العلم بالتوحيد كما ذكر ينشأ عنه العلم بما يليق بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله كما تقرر (وهو) اى العلم بكل ذلك والدلالة عليه (المحجة) اى الطريقة الى رضا الله تعالى التى مر بها وحث عليها (البيضاء) اى النيرة المضيئة الواضحة التى لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ عنها الا هالك ولما صبر صلى الله عليه وسلم على تبليغهم مع ما حصل له منهم مما أشار اليه الناظم بقوله وان شق عليه الخ أطاع الله له اكثرهم حتى صار وامن أكابر اتباعه كما قال (فما) الباء زائدة (رحمة) واصلة اليه (من الله) اى وهى فى الاصل ميل وعطف نفسانى غايته التفضل والاحسان والانعام او ارادتهما

(قوله وعمار) ولم يشهد بدرا فخص ابن مؤمنين غير عمار بن ياسر (قوله وأمه سمية) بضم السين المهملة كذا فى المجموع للنووى ثم قال وعمار وأبوه ياسر وأمه سمية صحابيون رضى الله عنهم وكانوا ممن تقدم اسلامهم فى أول الامر وكانوا يعذبهم الكفار على الاسلام فيمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم فيقول صبرا صبرا آل ياسر فوعدكم الجنة وسمية أول شهيد فى الاسلام (قوله وصهروهم) اى اذابوهم منها يقال صهره وأصهره ومنه المصاهرة فى النكاح وهى المقاربة اه هروى والمراد هنا ادخلوهم فى الشمس فتأمل ثم رأيت فى القاموس ما يوافق المراد هنا حيث قال وصهرته الشمس كمنع صهرته وقال فى الصاد مع الحاء صحرته الشمس آلمت رأسه (قوله وهو يقول أحد احد) اى أنت أحد أنت أحد ويجوز ضمه من غير تنوين اى يا أحد يا أحد (قوله وأما بعثته للجمادات) كان الاولى ان يقول وأما الجمادات لانه لم يذكر قبل بعض الجمادات ليظهر اتيانه بلفظ بقية وقد يجاب بأن الاضافة بيانية (قوله واشادة ذكره) اى رفعة قدره (قوله وهو المحجة البيضاء) اى كالمحجة البيضاء فشبه العلم المذكور بالطريق النيرة بجامع الوصول الى المقصود من غير ضرر (قوله واصلة اليه) مقتضى ما يأتى فى قوله فبسبب رحمة الله لهم وفى قوله انما هو بواسطة الخ ان يقول هما اليهم وان كان ما ذكر احسانا عليه أيضا صلى الله عليه وسلم تأمل

ارادتهما والمراد هنا هذه الغاية لاستحالة العطف والميل على الله تعالى وكذا كل صفة وردت في القرآن او السنة لله تعالى واستحال عليه معناها اريد بها غايتها اى فبسبب رحمة من الله لهم وعطفه عليهم لين رسوله وصبره عليهم كما يشير لذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذى اقتبس الناظم منه هذا أيقظ قلوبهم وازال ما فيها من كبر وعمى فحينئذ (لانت صخرة) هى الحجر العظيم (من) بيانية وجعل الشارح ذلك صفة لصخرة مع كون من بيانية بعيد (اباتهم) اى امتناعهم (صماء) اى صلبة لا يؤثر فيها معول على خلاف العادة وبه يظهر حسن التقابل بين لانت وصماء وهو من الطباق ويسمى المطابقة والتضاد أيضا وهو ان يجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة بتضاد أو نفى واثبات أو عدم وملكة أو نحو ذلك اى زال امتناعهم عن طاعته فيما يأمرهم به فأطاعوه واتبعوه فعلم انه استعار الصخرة التى فى غاية الصلابة لابائهم عنه أولا اذ كانوا على غاية النفرة عنه والبغض والايذاء له صلى الله عليه وسلم وليونتها او زوال صلابتها الاتباعهم له صلى الله عليه وسلم وانقيادهم لجميع أوامره ونواهيه آخرا وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته لهم لا بحوله صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (و) بعد أن لانوا له صلى الله عليه وسلم ببركة لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد حتى (استجابت له) اى أجابت دعوته وامتثلت اشارته (بنصر وفتح) اى مع أو بسبب ما أعطاه الله من النصر على الاعداء بكثرة الاتباع والقاء الرعب فى القلوب والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم واستئصال شأفتهم (بعد ذلك) اى الضعف الذى كان به صلى الله عليه وسلم وبأتباعه لقلتهم وتحريم قتال الاعداء وتصميمهم على مناواته ومعاداته لقوة شوكتهم وكثرة عددهم وعددهم (الخضراء) اى السماء سميت بذلك لانها ترى كذلك فقد قال القاسم بن أبى برة ليست السماء مربعة ولكنها مقبوة يراها الناس خضراء وبين الثورى سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة تحت الارض خضراء كما فى حديث البزار وغيره منها خضرة السماء وليست فى الحقيقة كذلك للحديث انهم قالوا يا رسول الله ما هذه السماء قال هذا موج مكفوف عنكم ومن ثم سئل ابن عباس رضى الله عنهما السماء من اى شئ فقال انها من موج مكفوف ويوافقه قول على رضى الله عنه وكرم وجهه فى حلفه والذى خلق السماء من ماء ودخان وقال كعب السماء أشد بياضا من اللبن وقال الربيع بن أنس السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وجاء عن سلمان الفارسى رحمه الله تعالى لكن بسند واه السماء الدنيا من زمردة خضراء والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمراء والرابعة من درة بيضاء والخامسة من ذهبة حمراء والسادسة من ياقوتة خضراء والسابعة من نور (والغبراء) اى الارض سميت بذلك لان جميع طباقها من طين كما جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما أراد الله ان يخلق الاشياء اذ كان عرشه على الماء واذ لا أرض ولا سماء خلق الله الريح فسلطها على

(قوله فعلم انه استعار) ليس المراد الاستعارة الاصطلاحية للجمع بين الطرفين بل مراده اطلاقها عليه على خلاف الاصل تأمل (قوله ومعاداته) عطف تفسير (قوله ولكنها مقبوة) قال الهروى فى غريبه والسماء مقبوة اى مضمومة ولا تقل مقبوبة ولكن مقبية اه ولعل المراد هنا مقوسة قال فى القاموس التقبا تقويس الشئ ويكون المراد بتقويسها كونها كرية كما هو مذهب اهل الفلك تأمل (قوله منها خضرة السماء) فيه أن جرم الارض يمنع ظهور الخضرة فى السماء سواء قلنا السماء كرية أم لا (قوله اى وليست فى الحقيقة الخ) اى على غير رواية سلمان الفارسى الواهية الآتية اذ عليها هى خضراء حقيقة (قوله قال هذا موج) قال فى القاموس الموج اضطراب امواج البحر اه ولعل المراد هنا دخان ناشئ عن اضطراب ماء كما يدل له خبر ابن عمر الآتى قريبا اى دخان مشوب بماء ليوافق قول الامام على رضى الله تعالى عنه (قوله مكفوف) اى ممنوع من السيلان بقدرة الله عز وجل (قوله مرمرة بيضاء) قال الجوهرى المرمر الرخام (قوله من ذهبة) هى القطعة من الذهب كما فى الجوهرى (قوله على الماء) ليس المراد بالماء ماء البحر بل هو ماء تحت العرش ويحتمل ان يكون على البحر بمعنى ان الرجل حلفه على البحر كما وردت فى الآثار اه من بعض شروح البخارى

(قوله وأثار ركامه) الركام الرمل المتراكم ١٠٨ اى المجتمع ويطلق على السحاب (قوله وزبدا) قال البيضاوى فى تفسير

الماء حتى اضطربت أمواجه وأثار ركامه فاخرج من الماء دخانا وطينا وزبدا فأمر الدخان فعلا وسما فخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من الزبد الجبال وبين الخضراء والغبراء مامر فى لانت وصماء لكن هذا يسمى التدبيج لذكر الالوان فيه ومعنى استجابة السماء والارض له صلى الله عليه وسلم استجابة أهلهما ويحتمل انه استعار السماء للرفيع من الناس والارض للوضيع اى أجابه الرفيع والوضيع حتى لم يتخلف من أهل مكة وغيرهم احد عنه اذ لم يبق الا مسلم أو مسالم وعلى الاول فتقييد الناظم استجابة أهل الارض بالنصر والفتح بتلك البعدية ظاهر واما تقييد استجابة أهل السماء بها فهو بمعنى انه لم تنزل الملائكة لنصرته الا ببدر وما بعدها وذلك انما هو بعد قوته والقاء رعبه صلى الله عليه وسلم فى القلوب والاذن له فى الجهاد والفتح عليه (و) من جملة استجابة أهل الارض له بعد ذلك انه (أطاعت لامره) وهو القول الدال على الطلب بلفظ افعل ونحوه ونهيه وحذفه لفهمه مما ذكره (العرب) بضم فسكون أو بفتحتين كما هنا وهم ولد اسمعيل صلى الله عليه وسلم (العرباء) ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وفى القاموس والعرب بالضم والتحريك خلاف العجم اى بالضم والتحريك أيضا كما ذكره فى مادته وهم سكان الامصار أو عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع على أعاريب وعرب عاربة وعرباء وعربة صرحاء اى خلص ومتعربة ومستعربة دخلاء وقال ويعرب بن قحطان ابو اليمن قيل أول من تكلم بالعربية وفى النهاية الاعراب من العرب ساكنو البادية الذين لا يقيمون فى الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة والعرب اسم لهذا الجيل من الناس أقام بالبادية او المدن وفى الصحاح ليس الاعراب جمع عرب اى لان الجمع لا يكون أخص من واحده وانما العرب اسم جنس وذكر ابن قتيبة ان الاعرابى هو البدوى والعربى هو المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا والاعجمى الذى لا يفصح وان كان بدويا والعجمى المنسوب للعجم اه وبين المبرد فى كتاب نسب عدنان وقحطان ان جميع العرب ترجع اليهما وعدنان هو الجد الاعلى للنبى صلى الله عليه وسلم وسائر العرب العرباء وبينه وبين اسمعيل ثمانية آباء وقحطان قال الكلبى هو الهميسع ابن بنت ابن اسمعيل عليه السلام (والجاهلية الجهلاء) هو كالعرباء فيه تجنيس الاشتقاق وشبه التأكيد اللفظى كليل أليل وخص هذين لان تصميمهما على الكفر بلغ من القوة والشدة ما لم يبلغه تصميم غيرهما (وتوالت) اى تتابعت (للمصطفى) صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله (الآية) مفرد محلى بال فيكون فى معنى الآيات وأيضا فالتوالى انما يكون فى متعدد اى العلامات الدالة على نبوته والمحضة لمن تقولوه وافتروه عليه وعلقه الشارح بتوالت وهو وان كان هو الظاهر صناعة الا ان الثانى فيه افادة ان ما توالى له انما هو آياته الخاصة به لا آية من تقدمه (الكبرى عليهم) كالقرآن وانشقاق القمر (و) توالت له عليهم أيضا (الغارة)

قوله تعالى زبدا رابيا اى عاليا والزبد وضر الغليان قال فى القاموس الوضر محركة وسخ الدسم واللبن وغسالة السقاء اه المراد منه والمراد هنا وسخ الماء الذى يعلو الماء عند اضطرابه (قوله والفتح عليه) فيه ان غزوة بدر كانت قبل الفتح وعليه فالبعدية بالنظر للمجموع اى النصر واما على تفسير السماء بالرفيع والارض بالوضيع فتقييد النصر والفتح بالبعدية واضح فحرر (قوله أطاعت) ضمن اطاع معنى انقاد فعداه باللام (قوله وحذفه لفهمه مما ذكره) على حد سرابيل تقيكم الحر أو جرد الامر عن بعض معناه وهو قوله بلفظ افعل فيكون المراد به القول الدال على الطلب وذلك يشمل طلب الفعل وطلب الترك فيكون شاملا للنهى تأمل (قوله العرب المستعربة) ضبطها السيوطى بكسر الراء (قوله كليل أليل) اى شديد الظلمة ومثله ليلة ليلاء وليل لائل مثل شعر شاعر (قوله متعلق) اى مرتبط به ارتباط الحال بصاحبها لا التعليق الاصطلاحى لجمود الآية تدبر (قوله الا ان الثانى) فيه انه اول تأمل (قوله لا آية من تقدمه) اى الذى يوهمه تعلقه بتوالت وان كان ايهاما بعيدا لان الظاهر وتوالت له آياته (قوله الغارة) فيها ما سبق فى الآية

على

على بالادهم وأموالهم ونفوسهم وذراريهم وهى اسم مصدر لاغار (الشعواء) بالعين المهملة اى الغاشية المستغرقة المحيطة بهم من سائر الجوانب التى لم تظفرلهم بنفس ولا مال الاأهلكته (و) بعد ان استجاب له أهل السماء والارض ودخل الناس فى دين الله أفواجا وكثرت اتباعه جدا حتى صار (اذاما) زائدة (تلا) اى قرأ (كتابا) أنزل عليه (من الله) وهو القرآن (تلته) اى تبعته لاجل القراءة معه أواستماع قراءته الكتائب مزدحمين عليه صلى الله عليه وسلم لاسيما (كتيبة) بالفوقية اى جيش (خضراء) اى يملوها سواد السلاح والحديد ومن عكسه سواد العراق لانه لكثرة شجره من بعيد يرى اسود وهى كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى دخل صلى الله عليه وسلم مكة وهو فيها على ناقته القصوى بين أبى بكر وأسيد بن حضير ولما رآها أبوسفيان رأى مالا قبل له به فقال للعباس لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما فقال له العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها النبوة وروى البخارى عن عبد الله بن مغفل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع وقال لولا أخشى ان تجتمع الناس حولى لرجعت كما رجع صلى الله عليه وسلم وبين تلا وتلته وكتاب وكتيبة تجنيس الاشتقاق اوشبهه (وكفاه) صلى الله عليه وسلم ربه فضلا منه وكرما النفر الاشقياء الذين زادوا فى ايذائه والعتو عليه (المستهزئين) به كما قال تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون فى ايذائه والسخرية به اى تولى اهلاكهم من كنيت فلانا المؤنة اذا توليتها له فلم تحوجه اليها ومع توليه تعالى اهلاك المستهزئين به سلاه فأعلمه بأن هذا ليس خاصا به بل الانبياء قبله كانوا كذلك بقوله عز قائلا فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ومن ثم اقتبس المصنف من هذا كقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قوله (وكم) مرات كثيرة (ساء) اى أحزن (نبيا) بينهما الجناس المصحف كقوله تعالى استهزئ برسل من قبلك الآية (من قومه) متعلق بقوله (استهزاء) اى سخرية وايذاء ففيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة أوشعر أومثل سائر وذكرنا التلميح هنا مع كثرته فى كلامه لانه هنا اظهر باعتبار ظهور قصة المستهزئين وشدة الاعتناء بها وفيه أيضا

(قوله وهى اسم مصدر لاغار) قال فى القاموس أغار على القوم غارة واغارة دفع عليهم الخيل (قوله حتى صار) اعل الظاهر حذف حتى ليستقيم المعنى بتعلق بعد بصار (قوله ولما رآها أبوسفيان) اى ابن حرب اسلم وحسن اسلامه وأصيبت عينه يوم الطائف فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وعينه فى يده فقال له ايما احب اليك عين فى الجنة او ادعو الله ان يردها عليك فقال بل عين فى الجنة (قوله ويرجع) ترجيع الصوت ترديده فى الحلق كقراءة أصحاب الالحان اه مختار (قوله المستهزئين) قال الحافظ ابن حجر فيما الخصه من السيرة المستهزئون به صلى الله عليه وسلم لم يسلم منهم سوى الحكم بن العاص وكان اسلامه مع ذلك مدخولا وهو من غير الخمسة التى فى النظم قال البراسى والمستهزئ هو الذى يبدى الاساءة على نوع من الهزل (قوله اقتبس المصنف من هذا الخ) الاقتباس من قوله ولقد استهزئ الخ ظاهر واما من قوله فاصبر الخ ففيه نظر (قوله وهو الاشارة الى قصة) كما هنا وكما فى قوله

فوالله ماأدرى أأحلام نائم ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

وصف حرقته بالاحبة المرتحلين وطلوع شمس وجه الحبيب من جانب الخدر فى ظلمة الليل ثم استعظم ذلك حتى كأنه لا يمكن عادة كرد الشمس واستغرب وتجاهل وقال اهو حلم أراه فى النوم أم كان فى الركب يوشع عليه الصلاة والسلام واستيقافه الشمس على ماروى انه قاتل الجبار يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ من قتالهم فيدخل السبت فلا يحل قتالهم فيه فدعا الله فى استيقاف الشمس فوقفت حتى فرغ من قتالهم ومثال الاشارة الى شعر وقصة أيضا قول الحريرى فى المقامة السابعة والعشرين مسجعا فبت بليلة نابغية واحزان يعقوبية أشار الى قول النابغة

ابيت كانى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى انيابها السم ناقع

قوله ساورتنى أخذت برأسى ضئيلة اى حية رقيقة من الرقش اى فيها نقط سود وبيض ناقع بالغ ثابت والى قصة يعقوب ومثال الاشارة الى مثل قوله فى المقامة الثالثة والاربعين فكنت كمن ضيع فى الصيف أشار بذلك الى المثل المشهور وهو الصيف ضيعت اللبن

التذييل والمثل السائر في الجملة الاستفهامية (ورماهم) اى أصابهم (بدعوة) منه عليهم وصلت اليهم فأهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمى به فيهلكه (من) اى بدعوة كائنة في (فناء البيت) اى حوالى الكعبة وقيل انه شكاهم لجبريل فقال أمرت ان أكفيكهم ثم أشار الى كل بما أصابه وذلك لا ينافي دعاءه عليهم لان دعاءه كان سببا الاشارة جبريل عليه السلام اليهم بالهلاك وتجويز تعلق من برمى وانها لابتداء الغاية بعيد لكن فيه دقة تشبيه وبلاغة ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة الوزن مع كل فايثارها مع كونها خلاف المتبادر انما هو عن قصد ثم وصف الدعوة أيضا بقوله (فيها) اى تلك الدعوة (للظالمين) متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم والظلم وضع الشئ في غير محله (فناء) اى استئصال لهم حتى لم يبق منهم أحد وبين فناء وفناء جناس محرف لاختلاف حركة الفاء (خمسة) بدل من المستهزئين أو الظالمين ويصح رفعه اى هم وخصه مع ان من المستهزئين أبا لهب وزوجته وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص لانهم أشدهم ولذا عجلت عقوبتهم (كلهم أصيبوا بداء) عظيم (والردى) اى الهلاك (من) جملة (جنوده) المعينة عليه (الادواء) جمع داء وهو المرض وهذا ساقه مساق الحكم المناسبة لما قبله فانه كالتعليل له اى انما أصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا في تحصيل أسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا وبين داء وادواء جناس ناقص كما مر ثم فصل ذلك الداء الذي أهلكهم الله به فقال (فدهي) من الداهية وهي الامر العظيم المهلك (الاسود بن مطلب) بن أسد بن عبد العزى فهو أسدي (اى عمى) اى عمى عظيم لانه كما طمس بصره طمس بصيرته حتى لم يبق له تمييز بين الحسن والقبيح وليس العمى الاعمى البصيرة (ميت به) اى بسبب ذلك العمى (الاحياء) اى هم في حكم الاموات الذين لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل ان المراد ان عماه كان سببا لموته على خلاف العادة مبالغة في هلاك ذلك اللعين فانه قتل بما لا يقتل عادة لانه حقت عليه الكلمة فمات فورا من غير سبب ظاهر لذلك وعلى تقرير علم ان ميت مبتدأ وما بعده سد مسد الخبر اى ان من شأن هذا العمى انه لو وقع للاحياء صاروا به في حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة فالجملة مؤكدة لما أفاده تنوين عمى اى انه عمى بصر وبصيرة ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد هذا المبتدا جريا على مذهب الكوفيين فانه قوي ومن ثم تبعهم الاخفش مع تقدمه وتحقيقه وقال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب وكأنه يريد ان يجمع بين رأي البصريين والكوفيين لكنه خلاف ما صرحوا به فيكون رأيا ثالثا لا يقال ميت خبر مقدم لانا نقول لو كان خبرا لقال ميتون لوجوب المطابقة ولا حجة في قوله خبير بنو لهب ان خبير خبر مقدم لان فعيلا لا تلزم فيه المطابقة وبين ميت والاحياء الطباق (ودهي) أيضا (الاسود بن عبد يغوث) بن وهب بن عبد مناف بن زهرة فهو زهري ويغوث في

لا استفهامية تأمل (قوله لكن فيه دقة الخ) انظر وجهه (قوله مع كل) اى من في ومن (قوله ثم فصل ذلك الداء الذي أهلكهم) اى معينا الخمسة المستهزئين الظالمين باسمائهم (قوله لانه حقت عليه الكلمة) يحتمل كلمة العذاب المذكورة في الآية ويحتمل ان المراد بها دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بفناء البيت (قوله وعلى تقرير) انظر التقرير الذي علم منه هذا الاعراب فانه لم يظهر لي (قوله ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد الخ) انظر ما المانع من جعله نعتا لسببا العمى على حد قوله وعزة ممطول معنى غريمها (قوله فيكون رأيا ثالثا) انما يظهر ذلك اذا قال الكوفيون بعدم استحسان الاعتماد في تجويزهم عدمه والا فالاستحسان مذهبهم فليس هناك مذهب ثالث ثم رأيت عن المغني انهم يقولون باستحسان الاعتماد وحينئذ فما ذكره الشارح غير ظاهر (قوله ولا حجة لهم) اى للقائلين بخبرية ميت على تقدير وجود قائلين بذلك وانما قلنا على تقدير الخ لعدم وجود قائل بالفعل فتدبر (قوله خبير بنو لهب) تمامه

فلا تك ملغيا
مقالة لهبي اذا الطير مرت

اى ان بني لهب عالمون بالزجر والعيافة فلا تلغ كلام لهبي اذا زجر وعاف حتى يمر عليه الطير والزجر والعيافة الاصل ضرب من التكهن كذا في المختار وقال في القاموس وزجر الطائر تفاءل به وتطير فنهره ثم قال والزجر العيافة والتكهن

الاصل اسم صنم (ان سقاه كأس الردى) اى الموت (استسقاء) حصل له فى جوفه واستمر به حتى أهلكه وهو داء خبيث على أنواع المراد منها هنا الزق وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية المفضى الى الهلاك عن قرب وبين سقاه واستسقاء جناس الاشتقاق وتشبيه الردى بالمشروب حتى اثبت له ماهو من لوازم المشبه به من الكاس والسقى استعارة بالكناية تتبعها الاستعارة التخييلية (وأصاب الوليد) بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فهو مخزومى (خدشة سهم) اى أثر جرحة بأسفل رجله من شخص فى يده نبل وقيل أصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر من ان يهوى لقلعها فضربها بالسوط فأصاب رجله فتأكلت ومات منها قبل وقعة بدر فكان سم ذلك الجرح أسرع لى هلاكه وأشنع من سم الافاعى فلذلك قال (قصرت عنها) اى عن تلك الخدشة (الحية الرقطاء) اى التى يخالط سوادها نقط بيض وهى أعظم الحيات اذى ووجه قصورها عنها فى الافضاء الى القتل ان الحية قد يقع البرء من سمها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة له حتما لانها أثر تلك الدعوة عليه المقبولة ثم رأيت ان بعضهم قال وانما كان الذى أصاب الوليد أعظم لان الحية انما تهلك بواسطة السم وهذا بلا واسطة اه وماذكرته أوضح وأحسن كما لا يخفى (وقضت شوكة) دخلت فى أخمص رجل العاص (على مهجة العاصى) بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم فهو سهمى اى قتلته قتلا عجيبا ومن ثم عقبه بما يفيد التعجب فقال (لله) هذه (النقعة) من قولهم الناس نقائع الموت اى انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة (الشوكاء) من قولهم بردة شوكاء اى خشنة الملمس اى ما أعجب هذه القتلة الشديدة التى حصلت له من تلك الشوكة القليلة التأثير عادة فلله درها من شوكة نحرته فى أسرع وقت (و) قضت (على مهجة الحرث) اى مولى الطلاطلة بالموت الفظيع (القيوح) جمع قيح وهى المدة البيضاء التى لا يخالطها دم (و) الحال انه (قد سال بها رأسه وساء) اى قبح ذلك الرأس الذى هو (الوعاء) لتلك القيوح القاتلة لصاحبه وبين سال وساء الجناس الناقص وفى الختم بساء الوعاء التذييل وهؤلاء الملاعين (خمسة طهرت بقطعهم) اى هلاكهم (الارض) اى مكة ونواحيها ومطلقا الان ضررهم يسرى الى جميع البلاد (فكف الاذى) الذى كان يصل للناس لاسيما النبى صلى الله عليه وسلم منهم (بهم) اى بسبب فقدهم اومع فقدهم (شلاء) اى فاقدة الحركة اعلم انه شبه الاذى بالانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده بأى وجه كان ثم اثبت له ماهو من لوازم المشبه به وهو الكف التى يتناول بها سائر المضار التى يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى لفقدهم صار معطلا لاحركة فيه ولا تأثير ففيه استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملايم للمشبه به ترشيح (فديت) بالبناء للمفعول يقال فداك بفتح أوله فيقصر وبكسره فيقصر ويمد وهو دعاء متضمن للتعظيم فهو من حيز الانشاء اى لو أمكن ان أحدا يكون فداء أحد من

(قوله وقيل أصابت الخ) والملايم للمتن ما صدر به لان السوط (قوله دخلت فى أخمص) الاخمص بفتح الميم مالم يمس الارض من باطن القدم والمرأة خمصانة نوقشته بالتاء (قوله الجناس الناقص) فيه نظر اذ هذا من الجناس اللاحق لاختلاف الكلمتين بحرفين متباعدى المخرج فان كانا متقاربين فالجناس المضارع ومنه قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه فالهاء والهمزة متقاربا المخرج فتأمل

(قوله اسألت ان يكون الخ) غير ظاهر لسبق موت الجميع زمن تكلم الناظم بذلك فلا يتأتى فداؤهم من الموت وان كان للكرام فداء حتى يسأله تأمل (قوله يدل على المعنى الاول) غير ظاهر لما علمت بل الظاهر الثاني و يكون المراد فداءهم من المؤذيات العذابية فلا يسأل لهم ذلك فتدبر وسيأتي ان ثلاثة من الخمسة الساعين في نقض الصحيفة كانوا كفارا وأما الاثنان الباقيان وهما هشام وزهير فقد ماتا مسلمين فلا مانع ١١٢ من سؤال فداء الكفار لهما من العذاب (قوله بعمارة) بضم

الموت اسألت ان يكون هؤلاء فداءهم أو المراد اللهم اجعلهم فداءهم من المؤذيات وقوله ان كان للكرام فداء يدل على المعنى الاول (خمسة الصحيفة) الآتي بيانهم (بالخمسة) الملاعين المار ذكرهم اى جماعة هؤلاء جميعهم فداء لكل واحد من أولئك من كل مكروه فالمقابلة هنا ليست من باب ركب القوم دوابهم (ان) جزاؤها محذوف لدلالة ما قبله عليه (كان للكرام فداء) وأولئك الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد ان نفع الفداء لانهم بذلوا نفوسهم في أمر عظيم جدا كما يعلم من ذكر قصتها وهي ان قريشا لما رأت عزة النبي صلى الله عليه وسلم بأمره في سنة خمس من النبوة بضعة عشر من أصحابه صلى الله عليه وسلم منهم عثمان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة واستقرارهم فيها وباسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة أيام وبفشو الاسلام في القبائل أجمعوا على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب فأتوا اليه بعمارة بن الوليد اعز فتى فيهم ليأخذه بدل ابن أخيه فأبى وجمع بني هاشم وبني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله واجابوه لذلك حتى كفارهم حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك أجمعوا واستمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيأ ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك في صحيفة بخط بعضهم فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيدا في حفظها وبيانها وكان ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه الا أبا لهب فكان مع قريش لعنه الله وأقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شئ الا سرا حتى ان حكيم بن حزام حمل غلامه حبا يريد به عمته خديجة رضي الله عنها فلاقيه أبو جهل اللعين فتعلق به وأراد ان يفضحه فانتصر له أبو البختري بن هشام بن الحرث بن أسد وقال خل سبيله فأبى فأخذ له لحي جمل فضربه به فشجه ووطئه وطأ شديدا فلما مضت تلك المدة قام أولئك الخمسة في نقض تلك الصحيفة وكان رأسهم هشام بن الحرث لقربه بعمه الذي هو أخو عبد المطلب ومن ثم كان واصلا لبني هاشم فكان يأتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام الى فم الشعب

العين (قوله وادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي خرجوا به جميعا من مكة وسكنوا به في شعبهم وهو الطريق بين الجبلين (قوله واستمروا) اى تشاوروا (قوله ان لا ينكحوا اليهم) أي منهم (قوله ولا يبيعوا منهم) أي لهم (قوله حتى جهدوا) قال في المختار وجهد الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مجهود من المشقة (قوله حتى ان حكيم بن حزام) اسلم بعد بدر وعاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الاسلام قيل هو ايضا ممن سعى في نقض الصحيفة (قوله فأخذه) اى ابو البختري لحي بعير وهو العظم الذي تنبت عليه الاسنان فضرب به اى ضرب ابا جهل اللعين (قوله ووطئه وطأ شديدا) اى داسه دوسا شديدا قال في القاموس وطئه داسه (قوله وكان رأسهم هشام الخ) أول من مشى في نقضه وكان كاتب الصحيفة وقد اسلم هشام المذكور يوم الفتح واعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين خمسين من الابل وقيل كاتب الصحيفة بغيض بن عامر بن هشام بن عبد مناف مات كافرا وقيل الكاتب النضر بن الحرث فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وقتل النضر كافرا قال ابن كثير والمشهور ان كاتبها منصور بن عكرمة وقد شلت يده وقيل كتب منها نسخ والذي كتب المعلقة في الكعبة هو الذي شلت يده وهي التي أكلتها الارضة كذا في السيرة الحلبية (قوله ابن الحرث) نسبة لجده اذ هو ابن عمرو بن الحرث

فيطلع

فيخلع خطامه ويضربه حتى يدخل ولعزة هشام بعمه هذا مشى الى زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب فقال أرضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا معى لنقضتها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا فذهب الى المطعم واستنخاه حتى قال لو وجدت رجلا قال انا قال ابغنا ثالثا قال قد وجدت زهير بن أبي امية قال ابغنا رابعا فذهب الى ابي البخترى واستنخاه ونحوا فقال وهل من معين فذكرله اولئك قال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة واستنخاه فقال هل من احد فذكرله القوم فاجتمعوا بالحجون واجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وانا اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير بحلة فطاف بالبيت سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم فيما ترون والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال له ابو جهل لعنه الله كذبت والله لا تشق فقال له زمعة انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت وقال ابو البخترى صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقربه وقال المطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها فقال ابو جهل هذا امر قضى بليل اشتور فيه بغير هذا المكان وابو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها الا باسمك اللهم ولا يمارض ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابي طالب يا عم ان الله سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا اثبتته ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم فأخبرهم أبو طالب بذلك وقال أنزلوها فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا والا دفعته اليكم فنظروها فاذا هى كما قال صلى الله عليه وسلم فازدادوا شرا وذلك انه لا مانع انهم لما رأوا ذلك وازدادوا شرا قام أولئك الخمسة فى اذهابها من أصلها فسعوا فى نقضها وبذلوا جهدهم فيه قال الشارح ويحتمل ان أبا طالب انما أخبرهم بعد سعيهم فى نقضها ويبعده ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى فالاولى بل المتعين ما قدمته اذا تقرر ذلك علم انهم (فتية) اى كرام جمع فتى وهو السخى الكريم وفيه تصريح بما أومأ اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق (بيتوا) اى دبروا واشتوروا بالحجون ليلا (على فعل خير) وهو نقضها او لخاطرة دونه بالنفوس لشدة قريش فى ابقائها مع كثرتهم وعتوهم (حمد الصبح) اى الفجر او الصباح وهو من الفجر الى الزوال ويدل على هذا مقابلته بالمساء الذى هو من الزوال الى الغروب (أمره) اى شأنه وغايته (والمساء) واسناد الحمد لهذين الزمانين مجاز دل على شدة المبالغة فى وقوع الحمد وطلبه على فعل ذلك الخير لان الزمان اذا حمد على ذلك فسائر العقلاء أولى واحق بذلك وبين الصبح والمساء الطباق كالشدة والرخاء والنقض والابرام فيما يأتى وجعل الشارح غير الاخيرين من المقابلة وهما من الطباق لا يتأتى على تفسيرهم الطباق بانه الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة كما مر مبسوطا (يا لامر) بفتح اللام هو نقضها ونادى على

(قوله فيخلع خطامه) بكسر الخاء حبل يقاد به البعير (قوله بنت عبد المطلب) فهى عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ابغنا ثالثا) اى اطلب قال الكواشى فى تفسيره يقال ابغنى بكسر الهمزة اى اطلب لى وبفتحها أعنى على طلبه (قوله واستنخاه) اى انتخاه اى مدحه كما فى القاموس (قوله فذهب الى ابى البخترى) بضم الباء والتاء بينهما خاء مهملة ساكنة كذا فى شرح ابن عبد الحق وسيرة الحلبى وبعضهم قال بالخاء المعجمة وبعضهم قال بفتح الباء والتاء وبينهما خاء معجمة والراء مكسورة (قوله بحلة) اى متجملا بلبس حلة (قوله فقال أبو جهل الخ) ذكر فى السيرة قبله ما نصه وقال هشام بن عمرو ونحوا من ذلك اه وهشام بن عمرو هو هشام بن الحرث أحد الخمسة فالشارح نسبه لجده وصاحب السيرة نسبه لابيه كما سبق (قوله فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها الخ) فى السيرة الى الصحيفة فشقها وقام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ثم خرجوا الى بنى هاشم وبنى المطلب فامروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا (قوله فازدادوا شرا) اى غالبهم والا فبعضهم ندم وقال بغينا على اخواننا وظلمناهم (قوله أوما) بالهمز ولا يقال اومى بالياء كما فى المختار

طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة فى تعظيمه ولذا كان ذلك مفيدا التعجب
من وقوعه كقولهم يا للدواهى اذا تعجبوا من كثرتها (أتاه بعد هشام) بن الحرث بن
حبيب بن خزيمة بن مالك بن جبل بن عامر بن لؤى فهو عامرى وقدمه الماتن لانه أول
الخمسة والسبب فى اجتماعهم (زمعة) بن الاسود بن المطلب بن أسد (انه) بالكسر
استئناف فيه معنى التعليل لكونه أول من كذب أبا جهل اللعين ورد عن هشام كما مر
(الفتى) اى الكريم فى قومه (الاتى) صيغة مبالغة من أتى ففيه مع تاه جناس الاشتقاق
كما فى فاديت وفداء (وزهير) بن ابى أمية بن المغيرة وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم (والمطعم بن عدى وأبو البخترى) وأتى هؤلاء الخمسة النقض لا عن
غير اتفاق ومواطأة بل انما أتوه اتيانا كائنا (من حيث) ظرف مكان حقيقة او مجازا
وجوز الاخفش كونها ظرف زمان ويجوز فتحها وجرها وحاث وحوث واعرابها لغة قليلة
وتلزم الاضافة لجملة وندرت لمفرد خلافا للكسائى وعدم اضافتها لكلية اندر فتح وضم
ما وتصرفها نادر بل أنكره أبو حيان والغالب كونها فى محل نصب على الظرفية أو خفض
بمن ولا تقع اسم ان ولا مفعولا به على خلاف فيهما وزعم الفارسى رحمه الله تعالى انها فى
قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته مفعول به اذ المعنى انه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق
لوضع الرسالة فيه لا شيأ فى المكان وناصبها يعلم المدلول عليه باعلم لا هو لان أفعل التفضيل
لا ينصب المفعول به الا ان اول بعالم (شاؤا) اى من المكان الذى قصدوه لتدبير أمرهم
وتشاورهم عليه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذى قصدوه ونتج الانتاج الذى دبروه (نقضوا)
بدل من فعل خبر من نقض العهد أبطله (مبرم) اى محكم وأصله كالبريم الحبل الذى يجمع
من مفتولين فتلا اى حبلا واحدا (الصحيفة) التى توافقت قريش على ابقائها على الدوام
الا أن يسلم بنو هاشم والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم (اذ) اى وقت اولاجل
ان (شدت) اى صممت (عليه) اى على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقض تلك الصحيفة
(من العدا) بيان لقوله (الانداء) جمع ناد وهو العشيرة ومنه فليدع ناديه واصله المكان
الذى يجلس فيه للتحدث والسمر سمى من فيه باسمه اى نقضوا هذا الامر المبرم الذى قواه
عشائرهم وصمموا عليه (اذ كرتنا) بعد نسيانها جملة استئنافية لبيان الاكل الارضة
للصحيفة نظيرا وهو اكلها العصا سليمان عليه الصلاة والسلام (باكلها) اى تلك الصحيفة
والضمير للارضة الآتية التى هى الفاعل فهو عائد على متقدم رتبة وهو سائغ (اكل)
مفعول أذكر الثانى (منساة) اى عصا (سليمان) بن داود صلى الله عليهما وسلم لما مات
وهو متكئ عليها فصار كذلك سنة والجن يعتقدون حياته فيدأبون فيما سخرهم فيه من
الاعمال الشاقة وما علموا موته الا باكل الارضة لمنساته فخر ساقطا وعلموا حينئذ ان لهم
سنة مسخرين فى العمل وانهم كانوا كاذبين فى ادعائهم علم الغيب ولذا قال تعالى عز قائلا
فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن

(قوله لكونه أول من كذب أبا جهل) تعليل لمحذوف اى وثق به لكونه (قوله كما مر) الذى مر انه رد عن زهير لا عن هشام ولم يتقدم فى الشرح لهشام كلام حين اجتماعهم مع ابى جهل وقومه (قوله أكل منساة) والحكمة فى الاكلين سواء منساة سليمان ليعجز الجن عن علم الغيب اى عن ادعائه والصحيفة لاذهاب ما فيها من القطيعة والبين ليظهر عجزهم عن بقاء مرادهم من دوامها وعن نفاذ ما فيها (قوله من الاعمال الشاقة) اى بناء بيت المقدس لان داود عليه السلام اسس بيت المقدس فى موضع فسطاط اى خيمة موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا أجله وأعلم به فأراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا اى قصرا من قوارير اى زجاج ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى أكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الخ (قوله ان لهم سنة مسخرين) وسبب معرفتهم ان المدة سنة انهم وضعوا الارضة على العصى فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة كما فى تفسير البيضاوى

(قوله وهي دويبة الخ) واذا مضى عليها سنة نبت لها جناحان تطير بهما وهي التي دلت الجن على موت سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام (قوله ذريعا) اى سريعا (قوله الغيوب) جمع غيب  وهو ما غاب عن العيون (قوله اما بوحي الخ)

ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (الارضة) بفتح الراء وقد تسكن كما هنا وهي دويبة تأكل الخشب اكلا ذريعا (الخرساء) فيه تعجيب من شأنها اذ ليس من شأن الاخرس التذكير واثبات الخرس لها مجاز اذ الخرس حقيقة فقد النطق عما من شأنه النطق (وبها) أي وبأكلها الصحيفة (اخبر النبي) صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب وهو أخبر قريشا كما مر مبسوطا (وكم) مرات كثيرة (اخرج) صلى الله عليه وسلم اى اظهر (خبا) اى شيأ مخبأ (له الغيوب خباء) اى ساترة وبين خبا وخباء الجناس المحرف وفي كم الخ التذييل * (تنبيهان) * أحدهما يجب على كل مكلف أن يعتقد ان الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وان ما حصل لرسله وأوليائه منه فهو اما بوحي من الله او الهام والاستثناء في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى الخ متصل كما هو الاصل وذكر الرسول لا للاختصاص به بل لان كرامة أولياء اتباعه من جملة كراماته ومعجزاته وفي الحديث اني لا اعلم الا ما علمني ربي * (ثانيهما) * في بيان ما أشار اليه الناظم من كثرة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيبيات * وحاصل شئ من ذلك مما يدلك على كثرة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب ما في القرآن منها ما لا يحيط به حد وخبر الطبراني ان الله قد رفع لي الدنيا فانا أنظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كما انظر الى كفي هذه وخبر أبي داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ الى قيام الساعة الا حدثنا به وفي الحديث الصحيح فعلمت علم الاولين والآخرين وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بموت النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى عليه باصحابه وانه وأبا بكر وعمر وعثمان صعدوا احدا فتحرك فضربه برجله وقال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فاستشهدا وان ملك كسرى وقيصر ينقطع بعده من العراق والشام فكان كذلك في زمن عمر وانه قال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فألبسهما عمر لما زال ملك كسرى في زمنه تحقيقا لذلك واخبر عمه العباس بما دفعه تركه بمكة من المال عند زوجته ولم يطلع عليه أحد غيرهما وأخبر بكتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت وتعلقت بخطامها في الشجرة وبان قريشا بعد الاحزاب لا يغزونه وباستشهاد أمراء الجيش الذي أرسله لموتة بالد بأرض الشام يوم قتلهم زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب فعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وبان بنته فاطمة رضي الله تعالى عنها أول أهله لحوقا به فعاشت بعده ثمانية أشهر أو ستة وبان اشقى الاولين والآخرين قاتل علي كرم الله وجهه يضربه في يافوخه فيبتل من دمها لحيته فضربه الشقي ابن ملجم ضربة كذلك فمات منها وبان معاوية رضي الله عنه يلي أمر أمته وبأنه لم يغلب رواهما ابن عساكر ومن ثم قال

فمن حصل له ذلك في جزئية او جزئيات لا يقال فيه انه يعلم الغيب وقد يحصل لغير الاولياء معرفة ذكورة الحمل وانوثته بطول التجارب وقد يخطئ الظن وتنخرم العادة والعلم الحقيقي عند الله سبحانه وتعالى وظاهر آية ان الله عنده علم الساعة الى آخرها ان الغيب الذي لا يعلمه الا الله مكان الوفاة لا وقتها ويوافق ذلك ما روي ان يهوديا كان يحسب حساب النجوم فقال لابن عباس ان شئت انبأتك عن نجم ابنك وانه يموت بعد عشرة أيام وانك لا تموت حتى تعمى وأنا لا يحول علي الحول حتى أموت قال أين موتك يا يهودي قال لا أدري قال ابن عباس صدق الله جل جلاله وما تدري نفس بأي أرض تموت فرجع ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فوجد ابنه محموما ومات بعد عشرة أيام ومات اليهودي قبل الحول ومات ابن عباس أعمى اهـ من شرح الترتيب للعراقي (قوله متصل) سيأتي له في مبحث الولاية آخر الكتاب ان الاستثناء منقطع فراجعه (قوله بكتاب حاطب) قال في المواهب ولفظ الكتاب الذي كتبه حاطب اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله جاءكم بجيش يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له فانظروا لانفسكم والسلام (قوله لموتة) بضم الميم ثم همزة ساكنة ويجوز ترك الهمز كما في نظائره (قوله وبان اشقى الاولين) اى من العصاة المسلمين والا فابو جهل وأبو لهب واضرابهما اشقى منه أفاده الدنوشري

علي كرم الله وجهه يوم صفين لوذ كرت هذا الحديث ما قاتلته وبان عثمان يقتل مظلوما ورواية تقتل وأنت تقرأ البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله موضوعة وبوقعة الحرة من عسكر يزيد عامله الله بعدله بالمدينة فاستبيحت نفوس أهلها وابضاعهم وأموالهم وقتل سبعمائة يحفظون القرآن منهم ثلثمائة صحابي وافتض منها ألف عذراء وبوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير لعلي رضي الله تعالى عنهم ولذلك قال علي للزبير لما برز له يوم الجمل أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت له ظالم فانصرف الزبير وقال بلى ولكن نسيت وقد يستشكل الوصف بالظلم مع ان الزبير مجتهد فغايته انه مخطئ وهو له اجر بنص الحديث الصحيح ويجاب بان أصل الظلم وضع الشيء في غير محله وان لم يكن فيه اثم فالمراد وانت قد وضعت القتال في غير محله خطأ منك لا تعمدا أو فأنت له ظالم حقيقة لو نظرت في الدليل حق النظر بقرينة ما تقرر ان المجتهد المخطئ له اجر وبقوله في الحسن بن علي كرم الله وجهه ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه بويع بعد أبيه فمكث خليفة ستة أشهر ثم سار لمعاوية باربعين ألفا فلما تراءى الجمعان علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب أحدهما حتى يقتل الفريق الآخر فرق على المسلمين ورحمهم ورفض الملك في جنب ذلك ابتغاء لوجه الله كما جاء عنه رضي الله عنه ثم أرسل لمعاوية يشترط عليه شروطا وينزل له عن الخلافة فأرسل اليه قرطاسا أبيض وقال اشترط ما شئت فاشترط ونزل له عن الملك فصار معاوية من يومئذ خليفة حقيقة وبقتل الحسين بن علي كرم الله وجهه بالطف وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وصح خبر استأذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فأمرها صلى الله عليه وسلم ان تحفظ الباب فجاء الحسين فاقتحمه فقبله صلى الله عليه وسلم فقال له الملك اتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت اريتك المكان الذي يقتل فيه فاراه فجاء بسهلة بالكسر رمل خشن أو تراب أحمر فاخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها قال الراوي كنا نقول انها كربلاء وفي رواية انه قال لها اذا صار دما فاعلمي انه قد قتل وأخبر ابن عمر انه سيعمى لما رأى جبريل معه في صورة رجل وأخبر أم عبد الله بن عباس رضي الله عنهم بانها ستلده وبانه أبو الخلفاء وبان منهم السفاح والمهدي واخبر بان الترك ستغلب على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم وبقوله يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال ابن عيينة وغيره هو مالك بن انس ومن ثم كان الناس يزدحمون على بابه لاخذ العلم حتى يقتتلوا وممن روى عنه من الاكابر الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام أهل الشام والليث امام اهل مصر وأبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف ومحمد وذو النون المصري

(قوله القيصوم) بالقاف والصاد المهملة اسم نبت النافع منه اطرافه وزهره مر جدا دخانه يطرد الهوام شرب سحيقه نافع لعسر النفس والبول ويقتل الدواب اهـ ١١٦ من القاموس (قوله عالم المدينة) الاضافة على معنى في (قوله هو مالك بن أنس) لا يقال علماء المدينة كثير منهم الفقهاء السبعة وغيرهم من مشايخ مالك لان مذاهبهم لم تنتشر في الاقطار كانتشار مذهبه وكذا يقال في عالم قريش (قوله وابو حنيفة) قال اشهب بن عبد العزيز رأيت ابا حنيفة بين يدي مالك كالصبي بين يدي امه قال الذهبي وهذا يدل على حسن ادب ابي حنيفة مع كونه أسن من مالك بثلاث عشرة سنة اهـ من طبقات المناوي قال المنلا علي قاري في شرح عين العلم الذي هو مختصر الاحياء ما نصه وقد أورد بعضهم حديثا في مدح أبي حنيفة وهو أبو حنيفة سراج أمتي وهو حديث موضوع كما قاله الصاغاني وغيره بل قال السيوطي وما يورد في ذكر أبي حنيفة من الاحاديث باطل لا اصل له ثم أخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس قال السيوطي هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة وفي الفضيلة التامة له قلت مع كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف في انه هل روى عن الصحابة أم لا ومما يصلح للاستدلال على عظم شان أبي حنيفة ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمة قال شمس الائمة الكردري هذا الحديث محمول على أبي حنيفة لانه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكي في الخيرات الحسان=

المصري والفضيل وابن المبارك وابن أدهم رحمهم الله وبعالم قريش وانه يملأ طباق
الارض علما قال أحمد وغيره نراه الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض اقرشي صحابي
او غيره ما انتشر للشافعي اي والذي انتشر لعلي وابن عباس ونحوهما مسائل قليلة جدا
كما يعلم ذلك من سبر كلامهم واطلع عليه وزعم الصغاني ان الحديث موضوع تهور منه
وانما فيه نوع ضعف ذكر والشواهد تجبره وقد جمع الحافظ العسقلاني طرقه في كتاب
مستقل واخبر بالخوارج الذين خرجوا على علي كرم الله وجهه وان فيهم رجلا اسود
احد عضديه مثل ثدي المرأة فقاتلهم علي واخرج ذلك الرجل حتى رآه الناس بالوصف
الذي وصفه به صلى الله عليه وسلم واخبر بالرافضة وانهم يرفضون الاسلام وبالقدرية
والمرجئة وبان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وبانها تكون كلها في النار الا
الفرقة التي تكون على ما كان عليه هو واصحابه وهم الطائفة الذين اخبر عنهم بانهم
لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم الى قيام الساعة اي قربه بقليل وبامارات
الساعة الكثيرة جدا فوقع كثير منها او ينتظر وقوع الباقي ومما وقع منها النار التي قال
عنها صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز
تضيء لها اعناق الابل ببصرى فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة المشرفة
وتقدمها زلزلة عظيمة بعد عشاء الاربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين
وستمائة ولم تزل تشتد وتغلي كغليان البحر الى ان ارتجت منها الارض ومن عليها حتى ايقن
اهل المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع منها في يوم واحد ثمان عشرة زلزلة لكن
ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد وريئت من مكة وجبال بصرى
وانطفأت ليلة الاسراء سابع عشري رجب وقد اوسع المؤرخون في اخبارها بما يطول
استقصاؤه واذا تأملت ما اطلعه الله تعالى عليه من الغيوب لاسيما ما يتعلق بأمر الصحابة
علمت ان ذلك من تمام عنايته به تعالى به وانه لا يضيعه أحد قط ومن ثم عقب الناظم ذلك
بقوله (لا تخل) بفتح التاء الفوقية والمعجمة من خلت الشيء خيلا وخيلة ظننته (جانب) هو
في الاصل شق الانسان وأريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل فالاضافة بيانية (النبي
مضاما) اي مضيعا (حين) وفي نسخة حيث والاول اظهر اذ هو ظرف لضاما (مسته) صلى
الله عليه وسلم (منهم) متعلق بقوله (الاسواء) اي الايذاآت الكثيرة حال كونها صادرة
منهم كضربه وخنقه واغراء سفهائهم به فرموه حتى سال الدم على قدميه وكشج وجهه
وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حله جبل لم يتحمله بل جانبه مع ذلك لم يزل يترقى في مراتب
النصر والفتح الى ان بلغ غاية العز والجلالة وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى
حضيض الذل والهوان قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الآيات ليظهره على الدين
كله والله يعصمك من الناس ثم ما اصابه صلى الله عليه وسلم من ايذاآتهم له فيه اسوة
بالانبياء قبله اذ أصابهم من ايذاآت أممهم مثل ذلك او اكثر منه لكن (كل أمر) من

---

= في مناقب أبي حنيفة النعمان
وقد ثبت ان أباه ثابتا ذهب به
الى علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه وهو صغير فدعا له بالبركة
فيه وفي ذريته اه وقوله وقد
ثبت الخ غير صحيح لان الامام عليا
مات قبل تمام سنة اربعين من
الهجرة والامام أبو حنيفة انما
ولد سنة ثمانين منها فقد مات
الامام علي قبل ولادة أبي حنيفة
بأربعين سنة الا أشهرا وقد ذكر
الشعراني في طبقاته انه لم يكن في
زمن أبي حنيفة من الصحابة الا
أربعة انس بن مالك وعبد الله
ابن ابي أوفى وسهل بن سعد وابو
الطفيل وهو آخرهم موتا ولم
يأخذ عن احد منهم اه كلام
الشعراني فعنده انه لم يأخذ عن
الصحابة ولم نعلم من اجتمع به من
هؤلاء الاربعة (قوله تهور منه)
التهور الوقوع في الشيء بقلة
مبالاة اه مختار (قوله اي
مضيعا) اي لا انتصار بعده (قوله
الاسواء) جمع سوء وساءه اي
فعل به ما يكرهه

الامور العظيمة (ناب) اى اصاب (النبيين فالشدة فيه) التى تحصل لهم منه (محمودة)
لانها لرفع درجاتهم العلية (والرخاء) اى السعة فيه محمودة ايضا لانه لتكثر اتباعهم وتفنى
اعداؤهم ومما يبين لك ذلك ويوضحه ان من المقرر فى المعقول انه (لو يمس النضار) اى
الذهب (هون) بالضم اى هوان (من) ادخاله الى (النار) لاختبار خلوصه من الغش
والنقص (لما اختير للنضار الصلاء) اى العرض على النار لعزته على النفوس وشبهها به
من ادنى نقص يصيبه فالانبياء كالذهب والشدائد التى تنوبهم كاصابة النار للذهب
فكما أن النار لا تزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة وفى لا تخل
الى هنا الكلام الجامع البالغ من الحكم والبلاغة مالا يخفى عظيم وقعه * ولما ذكر
ما يناسب قوله لا تخل جانب النبى مضاما برهن عليه بقوله (كم يد) اى جارحة (عن نبيه كفها
الله) اى منعها وخذلها فلم تصل اليه بسوء قصدته به صلى الله عليه وسلم (و) الحال انه قد وجد
(فى الخلق) اى المخلوقين الذين هم أعداؤه المريدين لاهلاكه (كثرة واجتراء) اى شجاعة
وتهور واقدام على فعل ماخطر فى النفس من غير نظر فى عاقبته (اذ) ظرف لكف اى وقت
ان (دعا) اى طلب حال كونه (وحده العباد) كلهم الى عبادة الله وترك ماهم عليه من
الجهالات والاباطيل والضلالات (و) ان (امست) اى صارت اذ أمسى يستعمل كثيرا
فى ذلك (منه) فى كل الازمنة (فى كل مقلة) منهم وهى شحمة العين التى تجمع البياض
والسواد (اقذاء) جمع قذى وهو ما يسقط فى العين مما يؤلمها او يكدرها وذلك لانه صلى الله
عليه وسلم فى ابتداء امره مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله
وحده وينادى عليهم فى انديتهم بتسفيه احلامهم وسب آلهتهم ورميها بكل عيب وسوء
فيبالغون حتى اقرب أقاربه كعمه ابى لهب فى ايذائه والتجرى عليه لكثرتهم ووحدته
وهو مع ذلك محروس بحراسة الله مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه متماد على ماهو فيه غير
ملتفت لايذائهم بل صابر عليه الصبر الجميل وأمره لا يزداد الا ظهورا وعلوا وأصحابه
واعوانه يكثرون ويتقوون على أعدائهم شيأ فشيأ الى ان مكنه الله تعالى من نواصى
أعدائه فاذاق من بقى منهم على كفره الهوان وأحل من خضع منهم لعزته مأمن البقاء
والامان ومما ينبئك بعظيم ايذائهم له ونصره عليهم ماذكره أهل السير ان عمرو بن العاص
قال للزبير ما اكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ان
اشرافهم اجتمعوا فى الحجر فذكروا ما يفعله بهم من سبهم وسب آلهتهم فطلع عليهم صلى الله
عليه وسلم فاستلم الركن وطاف فلما مر بهم انتقصوه فساءه ذلك ثم مر بهم فساؤه ثم مر بهم
فساؤه فوقف فقال اتسمعون يا معشر قريش اما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح
فأخذتهم كلمته وارتعدت منها فرائصهم فالانوا له القول وقالوا انصرف يا ابا القاسم فوالله
ما كنت جهولا فاجتمعوا له فى الغد فى الحجر وفعلوا معه مثل ما ذكر ثم وثبوا اليه وثبة رجل
واحد يؤنبونه بسبب آلهتهم فأخذ بعضهم بمجمع ردائه فقام اليه أبو بكر وحال بينهم

(قوله فالشدة فيه محمودة) اى
لانهم أجل من يتحلى بمقام الرضا
وشهود الشدة منه سبحانه
والتلذذ بذلك الشهود (قوله
لرفع درجاتهم) قال القاضى
عياض وليعلم انهم من البشر
يصيبهم محن الدنيا وما يطرأ على
أجسام البشر فيتيقن انهم
مخلوقون ولا يفتتن بما ظهر على
أيديهم من المعجزات اه (قوله
الصلاء) بكسر الصاد اه ابن
عبد الحق (قوله مكلوء) اى
محفوظ بكلاءته بالكسر والمد
اى حفظه (قوله وارتعدت منها
فرائصهم) جمع فريصة وهى
اللحمة بين الجنب والكبد اى
التى لاتزال ترعد من الدابة (قوله
يؤنبونه) قال فى الصحاح أنبه
تأنيبا عنفه ولامه

وبينه كامر *(تنبيه)* قرينة سياق النظم مصرحة بان القذى فى العين مستعار لما حصل لهم فى عيون بصائرهم من اذلاله صلى الله عليه وسلم لهم كما مر آنفا وأما قول بعضهم يحتمل ان يريد بالقذى ما على أعينهم من الغشاوة المانعة من النظر فى أمره الحاجبة لهم عن اتباعه أو يريد ما على قلوبهم من الران والصدا الحاجب عن الايمان فيكون عبر بالمقلة عن عين البصيرة عما يعلوها من الران والصدا اه فهو غفلة عن سياق المتن او عدم تأمل له بالكلية لانه انما حكم بأنه صلى الله عليه وسلم اسكن القذى بكل مقلة منهم وحينئذ فلا يصح تفسير القذى بشئ مما ذكره وانما يصح تفسيره بما ذكرته فتأمله والدليل على تلك الحراسة الباهرة انه (هم قوم) يدخل فيهم النساء تبعا (بقتله) بالسيف (فأبى السيف) اى امتنع من الوصول اليه والتأثير فيه (وفاء) اى لاجل وفائه بما أخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع غير مامر فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة تظله فبينما هو تحتها اذ جاءه اعرابى فاخترط سيفه ثم قال له من يمنعك منى قال الله عز وجل فرعدت يده وسقط السيف وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه كما روى وصح ان غورث بن الحرث اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم فاستيقظ فوجده فى يده صلتا فقال من يمنعك منى قال الله عز وجل فسقط من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى قال كن خير آخذ فعفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وروى انه صلى الله عليه وسلم وقع له نظير ذلك فى غزوة بدر مع منافق تبعه لما خرج لقضاء حاجته ووقع نظير ذلك مع رجل سيد لقومه شجاعة وغيرها اغروه على قتله فجاءه ثم رجع اليهم مسلما فأنكروا عليه فقال نظرت الى رجل أبيض طويل دفع صدرى فوقعت لظهرى وسقط السيف من يدى فعلمت انه ملك واسلمت (وفاءت) اى رجعت على راميها او بينه وبين وفاء الجناس اللاحق (الصفواء) اى رجعت الحجارة عن اصابته بل جمدت فى يد راميها الذى هم بقتله أيضا (و) هم (أبو جهل) بن هشام بن المغيرة المخزومى وكان من أشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اجتمع هو وقريش يوما فجاءهم صلى الله عليه وسلم وبالغ فى انذارهم وتسفيه أحلامهم وسب آلهتهم فاظهر واله شدة الاباء واتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم ابو جهل اللعين يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون وانى اعاهد الله تعالى انى لاجلس له غدا بحجر لا يطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه فاسلمونى عند ذلك او امنعونى فليصنع بى بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله ما نسلمك لشئ ابدا فلما اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش ينظرون

(قوله واما قول بعضهم) وهو شارحها المالكى الشهاب بن الاقيطع البراسى (قوله فأبى السيف) فى نسبة الاباء اليه تجوز (قوله وصح ان غورث) بضم الغين المعجمة وفتحها أسلم وصحب النبى صلى الله عليه وسلم ومات بعد ذلك (قوله اخترط سيفه) اى سله (قوله صلتا) بفتح الصاد وضمها اى مسلولا اه شرح مسلم للنووى (قوله مع رجل) هو غثور بن الحرث كذا فى شرح الشهاب البراسى (قوله الجناس اللاحق) فيه ان الجناس بين قوله وفاء وقوله وفاءت وحينئذ فهو جناس ناقص ويسمى مطرفا حيث وجد النقص فى الطرف كما هنا فلها ابمان اذوا والعطف وتاء التأنيث حرفان مستقلان (قوله اى رجعت على راميها) فيه انها لم ترجع عليه وانما جمدت فى يده فالظاهر ماذكره بعد من رجوعها عن الاصابة تأمل (قوله الصفواء) قال فى القاموس والصفاة الحجر الصلد الضخم لا ينبت الجمع صفوات وصفا جمع الجمع اصفاء وصفى وصفى كالصفواء والصفوانة جمعها صفوان ويحرك اه (قوله بل جمدت) من باب دخل ونصر (قوله وهو ابو جهل) هذا التقدير لا يناسبه واحد من الاعرابين الآتيين وكأنه لمجرد بيان المعنى فقط اه طبلاوى والضمير راجع للرامى فى قوله جمدت فى يد راميها ولعل هو محرف عن هم فيكون قد قدر ما يوافق الاعراب الاول من الاعرابين الآتيين فحرر وقد وجدت فى نسخ ذلك ويعين ذلك قوله بعد ظرف لهم الخ وقد يقال بعدم تعيين ما يأتى بعد لذلك لاحتمال أن يراد بقوله ظرف لهم المقدر على احد الاعرابين الآتيين له لا على ما قدره قبل ويكون ما يأتى له حل اعراب وما ذكره هنا حل معنى كما علمت من المنقول عن الطبلاوى تأمل

(قوله وضمها) والضم هنالك متعين للنظم (قوله والطائر العظيم المعروف) قال استاذنا فى شرحه نقلا عن الجامع الكبير عازيا اى الجامع للسيوطى المسعودى فى مروج الذهب عن ابن عباس مرفوعا ان الله تعالى خلق طائرا فى الزمن الاول يقال له العنقاء فكثر نسله فى بلاد الحجاز فكانت تخطف الصبيان فشكوا ذلك لخالد بن سنان وهو نبى ظهر بعد عيسى اى على قول تقدم رده فدعا عليها ان يقطع نسلها فبقيت صورتها فى المثل طارت به العنقاء وفى المختار العنقاء الداهية وأصل العنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم ١٢٠ (قوله جناس الاشتقاق او شبهه) ان كان المراد بالاشتقاق الاشتقاق النحوى وبشبهه مجرد المشاركة فى المادة فهذا من شبهه وان كان المراد بالاشتقاق المشاركة فى المادة أعم من الموافقة فى المعنى فهذا منه لكن رأيت فى كثير من شروح البديعيات ان الاشتقاق ان يشتق من الاسم العلم معنى لمدح أو هجاء كقول ابن دريد فى نفطويه النحوى

لو أوحى النحو الى نفطويه ... ما كان هذا النحو يعزى اليه
أحرقه الله بنصف اسمه ... وصير الباقى صراخا عليه

اه وعليه فعنق وعنقاء ليس من هذا القبيل وانظر المراد بشبه الاشتقاق على هذا المعنى حتى يكون هذا منه وفى مواضع من الشرح سابقا ولاحقا ما يدل على ان المراد بالاشتقاق الاتفاق فى المادة مع المشاركة فى أصل المعنى وبشبهه مجرد المشاركة فى المادة من غير مشاركة فى أصل المعنى كما فى بديعية الزفتاوى وسيأتى فى شرح وكم سام الشقوة الاشقياء وفى الكتابة عليه ما يصرح بأن المراد هذا وتقدم أيضا ما يؤيده عند قوله وشفتنا بقولها الشفاء (قوله قصر وقيصر) ولعل الاشتقاق عند أهل البديع قسمان القسم الاول ما نقلناه عن كثير من شراح البديعيات والقسم الثانى ما ذكرناه عن الزفتاوى فتدبر وحرر (قوله وظاهر قول القاموس) لم يقل ويعين لاحتمال ان تقاضاه فى القاموس المراد به تقاضى منه فيكون على نزع الخافض (قوله مع هذا الرجل وغيره) يشير بذلك الى ان الناظم أراد ذم بيعه وشرائه من حيث هو لا بخصوص الواقعة لكونه أبلغ فى الذم ومن ثم حسنت مراعاة النظير

احتمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على الحجر حتى قذفه فقاموا اليه وقالوا ما لك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل صورته وانيابه لفحل قط فهم بى ان يأكلنى وذكر انه صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا منى لاخذه (اذ) ظرف لهم اى القدر قبل ابو جهل لانه معطوف على هم قوم بقتله بالحجر اى وهم ايضا ابو جهل بقتله بالحجر الذى حمله وقت ان (رأى عنق) بسكون النون وضمها (الفحل) وقد برز اليه (كأنه العنقاء) اى الداهية العظيمة او الطائر العظيم المعروف وبين عنق وعنقاء جناس الاشتقاق او شبهه وما ذكرته من ان ابو جهل معطوف على قوم وان اذ ظرف لهم هو ما جزم به الشارح وهو بعيد لانه يلزم عليه انه وقت رؤية الفحل هم بقتله وذلك غير واقع بل حصل له حينئذ من الهيبة والخوف والذلة ما اذهله والحق انه معطوف على الصفواء اى رجعت الصفواء عن الوصول اليه صلى الله عليه وسلم ورجع ابو جهل عن الرمى بها وقت رؤية الفحل فاذ حينئذ ظرف لفاءت مع فاعلها او ما عطف عليه (واقتضاه) معطوف على هم قال الشارح وكأنه على نزع الخافض اى اقتضى منه وظاهر قول القاموس واستقضى فلان طلب اليه ان يقضيه وتقاضاه الدين قبضه انه متعد بنفسه اى طلب (النبى) صلى الله عليه وسلم من ابى جهل اللعين ان يؤدى (دين) كهلة بن عصام بن كهلة بن اراش بن الغوث بن عمرو بن الغوث (الاراشى) بكسر الهمزة لكونه لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها منه ابو جهل ثم مطله باثمانها فوقف الاراشى على نادمن قريش فقال هل من رجل يخلصنى من ابى الحكم فانى غريب وابن سبيل وقد غلبنى على حقى فقالوا لا يخلصك منه الا ذلك الرجل اى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا له ذلك استهزاء به فجاء اليه صلى الله عليه وسلم فقال له يا عبد الله ان ابا الحكم قد غلبنى على حقى وقد سألت أولئك القوم فأشاروا اليك فخلصنى منه يرحمك الله فقام معه ليخلصه منه كيف (وقد ساء بيعه) ذكر مع ان الكلام ليس الا فى الشراء لانه نظيره فهو من مراعاة النظير (والشراء) اى وشراؤه مع هذا الرجل وغيره ولما ذهب اليه أمر وا واحدا منهم ان

يتبعه

يتبعه لينظر ماذا يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم بابه عليه فقال من ذا قال محمد فاخرج
الى فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال أعط هذا الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى يأخذه
فدخل فأخرجه اليه فجاء الى أولئك وأخبرهم بما وقع فجاء أبو جهل فقالوا له ويلك والله
ما رأينا مثل هذا الذى صنعت قط قال ويحكم والله ما هو الا انه ضرب على بابى فسمعت
صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ولا
صورته ولا انيابه لفحل قط والله لو ابيت لأكلنى (و) من ثم (راى) ابو جهل اللعين محمدا
(المصطفى) صلى الله عليه وسلم وقد (اتاه عيانا) اى بفعل ابل (لم ينج) بفتح ثم ضم وبضم ثم
كسر مع تخفيف الجيم ولا يجوز كما هنا لاجل الوزن تشديدها من نجا ينجو او انجى ينجى
فهو ناج ومنج (منه دون الوفاء) لذلك الدين الذى للاراشى (النجاء) بوزن الضراب مبالغة
فى ناج فالوفاء مقصور ويجوز تخفيف الجيم مصدرا فالوفاء ممدود وفى القاموس نجا نجوا
ونجاء ونجاة ونجاية خلص كنجى واستنجى وانجاه الله ونجاه وعلى هذا الوفاء مقصور وعلى
كل هو فاعل ينج ونظيره فى المصدر قول الحاجرى ملا الوجد فؤادى وبرح التبريح
أى ذلك الفعل لا ينجى أو لا ينجو منه النجاء بالمبالغة اى من تكررت نجاته من الامور
الصعبة الان وفى ذلك الدين أو لا ينجو منه النجاء بالتخفيف الا بعد ذلك الوفاء (هو) اى
الفعل المرئى فى هذه الواقعة (ما) أى الفعل الذى (قد رآه من قبل) أى فى الواقعة السابقة
فى قوله وفاءت الصفوا الخ (لكن) لا استغراب فى ذلك لان هذا اللعين (ما على مثله) فى
العتو والتهور السالبين لادراكه الوجهين لاهلاكه وهو أبلغ من عليه لانه لحصر اثبات
الحكم عليه بينة على حد مثلك لا يبخل (يعد الخطاء) لان خطأه لا ينحصر فلا يعد وعد
الخطاء لغة مشهورة *(تنبيه)* قد يسئل عن الحكمة فى كون أبى جهل منع فى هاتين
الواقعتين من أن ينال من رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذيا مطلقا أشد المنع ولم يمنع من
القاء سلى الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو يصلى قلت كان السر فى ذلك امهاله
حتى تنفذ دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفى أمثاله ممن كانوا أشد الناس عليه
صلى الله عليه وسلم فيظهر عزه صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم للناس باهلاكهم بدعوته
والقائهم فى القليب على أخس حالة واقبحها ولو منع اللعين من ذلك لم تحصل هذه
الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل هو عين اهلاكه واهلاك نظرائه ومختصر تلك
القصة أنه صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى كان يصلى عند الكعبة وجمع من قريش فى
مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظرون الى هذا المرائى أيكم يقوم الى جزور آل فلان
فيعمد الى دمها وفرثها وسلاها فيجىء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث
أشقاهم وهو عقبة بن أبى معيط فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت صلى الله عليه وسلم
ساجدا اى لانه لم يعلم بخصوص ما وضع له وانما لم ينقل انه أعاد لاحتمال انه كان فى نافلة
بل هو الواقع لان هذه الواقعة قبل فرض الخمس ولم يكن فرض من الصلاة يومئذ الا ما فى

(قوله وقد انتقع لونه) ويقال امتقع بالميم اى تغير من حزن أو فزع (قوله مثل هامته) اى رأسه ولا صورته وفى نسخة قصرته قال فى الصحاح القصرة بالتحريك أصل العنق (قوله وبرح التبريح) قال فى المختار تقول برح به الامر تبريحا اى جهده ثم قال وتباريح الشوق توهجه (قوله ماقد رآه) انما عبر بما التى وضعها لغير العالم مع ان الفعل جبريل عليه الصلاة والسلام وهو من ذوى العلم فالمناسب التعبير بمن نظرا لصورته التى انتقل اليها بالتطور وهى من غير ذوى العلم (قوله من القاء سلى الجزور) اى من التسبب فى القاء والا فالمباشر لالقاء عقبة بن ابى معيط (قوله فى القليب) هو البئر قبل ان يطوى اى قبل ان يبنى بالحجارة اه من المختار (قوله اذ قال قائل منهم) هو ابو جهل (قوله وسلاها) السلى بفتح السين المهملة وتخفيف اللام مقصور وهو اللفافة التى يكون فيها الولد فى سائر الحيوان وهى من الآدمى المشيمة اه شرح مسلم للنووى (قوله فانبعث أشقاهم) هو عقبة ابن ابى معيط اى بعثته نفسه الخبيثة من دونهم فأسرع السير وانما كان أشقاهم مع ان فيهم أباجهل وهو أشد كفرا منه وايذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم اشتركوا فى الكفر والرضا بالفعل وانفرد عقبة بالمباشرة فكان أشقاهم ولذا قتلوا فى الحرب وقتل هو صبرا وفيه ان عمارة لم يمت فى الحرب كما سيأتى

سورة المزمل وهو صلاة الليل فلما رأوا ذلك ضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فانطلق منطلق الى فاطمة رضى الله تعالى عنها وهى جويرية فاقبلت تسعى وثبت النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو أبو جهل وقدمه لانه أشقاهم وأشدهم اذية له صلى الله عليه وسلم وعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن ابى معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله بن مسعود فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم وأتبع اصحاب القليب لعنة وظاهر السياق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عقب هذا الدعاء فيكون من تمامه وفيه علم من اعلام نبوته ويحتمل على بعد انه انما قال ذلك عند القائهم فى القليب وقول عبد الله بن مسعود رأيتهم صرعى فى القليب مراده أكثرهم فان عمارة انما مات بارض الحبشة لكن على أشرقتله فانه تعرض لزوجة النجاشى فأمر ساحرا فنفخ فى احليله من سحره عقوبة له فتوحش وصار مع البهائم الى ان مات فى خلافة عمر وأيضا عقبة بن ابى معيط انما قتل صبرا بالصفراء بعد بدر وألقى ثم وامية بن خلف وان قتل ببدر لم يطرح فى القليب (وأعدت) عطف على هم اى هيأت ام جميل بنت حرب بن أمية (حمالة الحطب) لقبت به لانها كانت تحمل الشوك وتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضاء لزوجها العم مالله (الفهر) اى الحجر الذى يملأ الكف لما أنزل الله فيها وفى زوجها تبت يدا أبى لهب السورة (و) الحال انها قد (جاءت) اليه وهو فى المسجد وأبو بكر عنده بذلك الحجر ترميه به وهى فى غاية الاسراع والعجلة (كأنها) الحمامة (الورقاء) اى الشديدة الاسراع اى حال كونها شبيهة بها فى ذلك فهى حال متداخلة (يوم) ظرف لأعدت (جاءت) فى حال كونها (غضبى) من شدة ما سمعت من ذمها فى تلك السورة وفى نسخة غيظا فهو تمييز والغضب نار كامنة فى طى الفؤاد يؤججها طروّ السبب المحرك لها فان لم يقدر على انفاذ شئ فى المغضوب عليه سمى غيظا كذا قيل وفى القاموس الغيظ الغضب أو اشده أو سورته أو أوله وحال كونها (تقول أنى مثلى) وأنا بنت سيد بنى مخزوم متعلق بيقال (من أحد) حال من الهجاء (يقال الهجاء) اى السب والذم ونسبة القول اليه اما حقيقة وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الها غير آلهتهم فمن ابتدائية ثم فيهم فرقة يعتقدون الاله وان اصنامهم تقربهم اليه فان كانت من هؤلاء فمن تعليلية اى يقول الهه ذلك لاجله (وولت) عطف على أعدت (و) الحال انها (ما رأته) اى وكيف تراه

(قوله عليك بقريش) اى باهلاك كفارهم أو من سمى منهم فهو عام أريد به خاص ثم سمى اى عين وفصل ما أجمل قبل (قوله وقدمه لانه اشقاهم) اى اشق من دعا عليهم اشدة تعنته فى كفره وشدة أذيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينافى ما ذكره سابقا من ان عقبة بن ابى معيط اشقاهم اى الجمع من كفار قريش ومنهم أبو جهل لان ذلك من جهة مباشرته لرمى القذر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل اشق من جهة (قوله والوليد بن عقبة) كذا بالقاف فى صحيح مسلم أيضا واتفق العلماء على انه غلط وان الصواب عتبة بالتاء كما ذكره مسلم فى رواية أبى بكر بن أبى شيبة وقد ذكره البخارى فى صحيحه على الصواب والذى بالقاف هو الوليد بن عقبة بن أبى معيط ولم يكن فى ذلك الوقت موجودا أو كان طفلا صغيرا جدا فقد أتى به النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقد ناهز الحلم ليمسح على رأسه اه من شرح مسلم للنووى (قوله ثم سحبوا الى القليب) اى تحقيرا لشأنهم ولئلا يتأذى الناس برائحتهم والا فالحربى لا يجب دفنه (قوله الورقاء) اى التى فى لونها بياض الى سواد كما فى المختار ولا يخفى ان ذلك معناها بحسب الاصل والمراد هنا تشبيهها بها فى الاسراع كما ذكره الشارح (قوله أو سورته) قال فى المختار سورة الغضب وثوبه وسورة الشراب وثوبه فى الرأس وسورة الحمى وثوبها وسورة السلطان سطوته واعتداؤه (قوله من أحد) بالتنوين للضرورة (قوله اما حقيقة) كذا بخط المؤلف رحمه الله تعالى وكأنه حذف المقابل اكتفاء بقوله ثم الخ

وهو

وهو فى ظهوره للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وهى أعنى تلك المرأة فى غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة (ومن أين ترى الشمس مقلة) اى عين (عمياء) ولما رآها أبو بكر رضى الله عنه قال يارسول الله انها امرأة بذية فلو قمت قال انها لن ترانى فجاءت فلم تره فقالت يا أبا بكر أين صاحبك كيف يهجونى فوالله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله انى لشاعرة وذكرت هجوا قبيحا فقلت لا وهو لا يقول الشعر فقالت أنت عندى تصدق وانصرفت فقلت يارسول الله لم ترك فقال لم يزل ملك يسترنى منها بجناحه وفى رواية قد أخذ الله ببصرها عنى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اما تعجبون لما يصرف الله عنى من أذى قريش يسبون و يهجون مذمما وانا محمد صلى الله عليه وسلم *(تتمة)* قرأ صلى الله عليه وسلم سورة والنجم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فحينئذ ألقى الشيطان فى امنيته اى فى تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وفى رواية ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فعند سجوده آخر السورة سجد المسلمون وسجد المشركون معهم لتوهمهم انه مدح آلهتهم وفى رواية ماذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الآية وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الآية ففشا ذلك فى الناس واظهره الشيطان حتى بلغ المسلمين فى الحبشة فاقبلوا سراعا ثم لما تبين للمشركين خلاف ذلك رجعوا الى أشد ما كانوا عليه والغرانيق جمع غرنوق أو غرنيق وهو طير الماء شبهت بها الاصنام لاعتقادهم انها تقربهم الى الله تعالى بطيور الماء لكونها تعلو فى السماء وترتفع *(تنبيه)* كثر كلام العلماء رحمهم الله تعالى فى هذه القصة فمن منكر لوقوعها ومبالغ فى انكارها وبطلانها وانه لا يجوز لاحد القول بها كعياض والفخر الرازى وسبقهما لنحو ذلك البيهقى وأيدوا بان البخارى وغيره رووا انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة والنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكروا فيها قصة الغرانيق وبان من جوزعلى نبى تعظيم وثن فقد كفر وبانها من وضع الزنادقة والحق خلاف ذلك كله بل لها اصل اصيل فقد خرجها من طرق كثيرة جدا ابن ابى حاتم والطبرانى وابن المنذر وابن مردويه والبزار وابن اسحق فى السيرة وموسى بن عقبة فى المغازى وابو معشر كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة لانه لم يرها مسندة من وجه صحيح اهـ ورد عليه وعلى عياض وغيره الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر بأن طرقها كثيرة جدا ثلاثة منها رجالها رجال الصحيح وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها تفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور وزعم ابن العربى وعياض ان رواياتها كلها لا اصل لها ليس فى محله اذ لا تمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا قال وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وحينئذ

(قوله من عمى البصيرة) فيه ان المقام لعمى البصر ولذا قال الناظم مقلة عمياء وقال فى الرواية الآتية لم يزل ملك الى آخرها وفى الرواية الثانية قد أخذ الله بصرها عنى (قوله اذ كرت هجوا الخ) فى نسخة وذكرت بتاء التأنيث هجوا قبيحا قال الشهاب البراسى المالكى وهو قولها مذمما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا * اهـ لكن قوله فقلت لا يؤيد نسخة أذكرت بهمزة الاستفهام وضمير المتكلم وقوله يسبون ويهجون مذمما ربما يؤيد النسخة الاخيرة لذكرها مذمما فيها نقل عنها البراسى اللهم الا ان ثبت ان مذمما وقع فى كلام غيرها من الكفار

يتعين تأويل ماوقع فيها مما يستنكر كقوله القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه ان يزيد فى القرآن عمدا او سهوا واختلفوا فى تأويله فاخرج الطبرى عن قتادة انه اصابته سنة تجرى على لسانه ولم يشعر به فلما علم اظهر بطلانه واحكم ربه آياته واعترض بأنه لا ولاية للشيطان عليه فى النوم ويجاب بأن هذا لا يثبت للشيطان ولاية عليه وانما غاية الامر ان الشيطان لما رآه اصابته تلك السنة حاكى قراءته بصوت يشبه صوته ثم بين الله للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بطلان ماوقع من الشيطان حتى لا يغتر به احد ثم رأيت من اجاب بما يؤيد ماذكرته وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يرتل قراءته فارتصد الشيطان سكتة ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه منهم فظنها من قوله واشاعها واستحسن هذا الجواب غير واحد من المحققين كعياض وابن العربى وايدوه بما جاء عن ابن عباس فى تفسير تمنى بتلا فمعنى فى امنيته اى فى تلاوته وفى ذلك اخبار منه تعالى بأن رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه محاكيا ثم بين الله تعالى بطلانه فعلم ان هذا نص فى ان الشيطان زاد فى قول نبينا صلى الله عليه وسلم ما قاله لا ان نبينا قاله وقد سبق الى هذا المعنى الامام المجتهد ابن جرير الطبرى مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده فى العلوم فصوبه وارتضاه واما الجواب بأن الشيطان الجأه الى التلفظ بذلك من غير اختياره فمردود بأن الشيطان لو قدر على ذلك لم يمكن احدا من طاعة او بأنه علق بحفظه ما كان يسمعه منهم من مدح آلهتهم فجرى على لسانه سهوا فهذا افسد مما قبله او بأنه قاله توبيخا للكفار فهو بعيد وان ارتضاه عياض كالباقلانى فقال هذا جائز مع قرينة تدل على المراد لاسيما والكلام فى الصلاة اذ ذاك كان جائزا او بأنه لما وصل الى قوله الثالثة الاخرى خشوا ان يأتى بذم آلهتهم فبادروا بذلك الكلام وخلطوه بتلاوته صلى الله عليه وسلم على عادتهم فى قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ونسب للشيطان لانه الحامل لهم عليه وفيه نوع بعد او بأن المراد بالغرانيق الملائكة وكان منهم من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله تعالى فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله ألكم الذكر وله الانثى فلما سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم آلهتنا فنسخ الله تلك الكلمة واحكم آياته فهو ابعد مما قبله (ثم) بعد ماوقع له صلى الله عليه وسلم من هذه الكرامات وقع له كرامة اخرى فى غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة وهى انه (سمت له) زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم (اليهودية الشاة) اى جعلت له فيها سما قاتلا لوقته لانها شاورت يهودا فى سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت به الشاة جميعها لكنها اكثرت منه فى الذراع والكتف لما قيل لها انه صلى الله عليه وسلم يحب الذراع (وكم) مرات كثيرة (سام) من السوم الذى هو مقدمة الشراء او الذى هو الرعى ربين سام وسمت تجنيس شبه الاشتقاق (الشقوة) اى ثابر عليها وتحلى بها (الاشقياء) الذين صاروا كالانعام بل

(قوله تجرى على لسانه) كان الظاهر ان يقول فألقاه الشيطان بصوت كصوته لملائم الجواب فتأمل (قوله سنة سبع) صوابه سنة ثمان لان غزوة حنين عقب فتح مكة والفتح كان سنة ثمان وسيأتى التصريح بذلك فى كلام الشارح عند قوله من فضلا على هوازن (قوله لما قيل انها الخ) انما يقتضى اكثارها السم فى الذراع مع ان المدعى انها اكثرته فيها وفى الكتف ولعل اكثارها فيه ملاحظتها احتمال فراغ اكله الذراع فيأكل منه لقربه منها فيزيد تأثير السم (قوله يحب الذراع) اى لنضجها وسرعة استمرائها مع التذاذ وحلاوة مذاقها (قوله الشقوة) بالكسر وفتحه لغة اه صحاح وقال فى القاموس هى الشدة والعسر وفى المختار انها خلاف السعادة (قوله اى ثابر عليها) المثابرة على الامور المواظبة عليها اه مختار

هم اضل سبيلا ومنهم تلك المرأة وبينهما تجنيس الاشتقاق وقول الشارح ان سام وسمت من هذا تساهل وفى البخارى انه صلى الله عليه وسلم لما علم ان فيها سما قال اجمعوا الى من هنا من اليهود فجمعوا له صلى الله عليه وسلم فسألهم عن اشياء منها من ابوكم قالوا فلان قال كذبتم ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم سألهم من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لا نخلفكم ابدا ثم قال لهم هل جعلتم فى هذه الشاة سما قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم ما حملكم على ذلك قالوا ان كنت كذابا استرحنا منك او نبيا لم يضرك وروى ابو داود انها سمت شاة مصلية ثم اهدتها الى النبى صلى الله عليه وسلم فأكل منها واكل رهط من اصحابه فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فارسل الى اليهودية فقال صلى الله عليه وسلم سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتنى هذه الذراع ومن ثم قال (فاذاع) اى اظهر له صلى الله عليه وسلم (الذراع ما فيه من سم) اى سم (بنطق) معجزة له صلى الله عليه وسلم كما يصرح بذلك اعنى انه اخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم اخبرتنى هذه الذراع (اخفاؤه) عن الحاضرين (ابداء) له صلى الله عليه وسلم اى هو وان خفى عليهم ظهر له صلى الله عليه وسلم وفيه طباق ولما قال صلى الله عليه وسلم لها ذلك صدقته ثم قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى اصحابه صلى الله عليه وسلم الذين اكلوا من الشاة واحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذى اكل منها وفى رواية غير أبى داود انها جعلت تسأل اى الشاة أحب اليه فقيل لها الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم موح اى يقتل لوقته فسمتها به وأكثرت منه فى الذراع والكتف ثم وضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم ومن حضر من أصحابه وفيهم بشر بن البراء فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر عظما آخر فادار القمتيهما وأكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع تخبرنى انها مسمومة وفيه ان بشرا مات وانه صلى الله عليه وسلم دفعها الى أوليائه فقتلوها رواه الحافظ الدمياطى ورواية انه قتلها تعارض رواية البيهقى عن ابى هريرة وجابر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقبها ومن ثم قال (وبخلق من النبى كريم) بل لا أكرم منه قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم اى بسبب ما تحلى به من كمال الحلم والعفو والصفح (لم تقاصص بجرحها) بواطنهم بذلك السم اذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر

(قوله وقول الشارح ان سام وسمت من هذا) اى من تجنيس الاشتقاق تساهل اى واغا هو شبه اشتقاق لانهما وان اشتركا فى غالب الحروف لم يشتركا معنى فتأمل (قوله فقال اخسؤا) قال فى القاموس خسأ الكلب كمنع طرده خسأ وخسوأ والكلب بعد كانخسأ وخسئ والبصر كل والخاسئ من الكلاب والخنازير المبعد لا يترك ان يدنو من الناس اهـ والمعنى هنا ابعدوا ولا تدنوا منا واوضح من ذلك ما ذكره البيضاوى فى تفسير اخسؤا فيها حيث قال اى اسكتوا سكوت هوان ثم قال من خسأت الكلاب اذا زجرته فخسأ (قوله مصلية) اى مشوية بالنار (قوله اعنى انه) اى الذراع وذكره مع انه مؤنث بدليل قوله فى الحديث أخبرتنى نظرا للتسمية عضوا (قوله واحتجم صلى الله عليه وسلم) اى بامر جبريل له بالحجامة لحديث الحجامة فى الرأس هى المغيثة أمرنى بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية وهذا صريح فى ان احتجامه لاكله طعام اليهودية المسموم كان فى الرأس والذى فى الشارح انه احتجم على كاهله فان ثبت انه احتجم فى الموضعين فلا اشكال تأمل (قوله فانتهش منها) قال فى الصحاح النهش أخذ اللحم بمقدم الاسنان وهو ينتهش بالسين والشين جميعا (قوله دفعها الى أوليائه الخ) فيه انه قد ذكر سابقا ان أصحابه الآكلين ماتوا فلم اختص دفعها لاولياء بشر دون أوليائهم ولعله لعدم تحقق موتهم بالسم بخلاف بشر فتأمل (قوله بجرحها العجماء) فيه تلميح الى قولهم العجماء جرحها جبار اى لاقصاص فيه ويحكى ان خطافا راود خطافة فى قبة سليمان عليه الصلاة والسلام فسمعه يقول بلغ من حبك انك لو قلت اهدم القبة على سليمان فعلت فاستدعاه عليه الصلاة والسلام فقال لا تعجل ان للمحبة لسانا لا يتكلم به الا المجنون والعاشقون ما عليهم من سبيل فانهم يتكلمون بلسان المحبة لا بلسان العلم والعقل فضحك منه صلى الله عليه وسلم ولم يعاتبه وقال هذا جرح جبار ذكره الاكبرى

(العجماء) اى المرأة ويقال للبهيمة أيضا وقال الزهرى أسلمت فتركها وفى مغازى سليمان التيمى نحوه وانها قالت استبان لى الآن انك صادق وانى أشهدك ومن حضر أنى على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وجمع البيهقى بأنه يحتمل ان يكون تركها اولا فلما مات بشر قتلها به وبذلك اجاب السهيلى وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل انه تركها لاسلامها فلما مات بشر تحقق بموته وجوب القصاص عليها فقتلت وقوله انه قتلها قصاصا فيه نظر اذ لم نر أحدا من الصحابة روى عنه انه قتلها قصاصا وانما الوارد انه قتلها وهو محتمل لكونه قتلها بنقضها العهد بما فعلته ويدل عليه ما جاء فى رواية انه صلبها اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو فرض انه لم يصلبها لم يكن قتلها بالسيف دليلا للقصاص لان المماثلة فيه معتبرة فقياسه ان يقتلها بمسموم كما ان اليهودى الذى رض رأس الجارية بحجر امر به صلى الله عليه وسلم فرض رأسه بمثل ذلك الحجر ايثارا للمماثلة المقصودة من مشروعية القصاص لا يقال الصلب لا يدل على انتفاء القصاص لان للامام ان يصلب من يريد قتله اذا رأى ذلك زجرا وتنكيلا لانا نقول ليس للامام الصلب فى قتل القصاص كما يصرح به كلام أئمتنا لما تقرر ان المدار فيه على المماثلة ما أمكن فلا يجوز للامام الزيادة عليها ولا النقص عنها ولم نر احدا من أئمتنا ولا من غيرهم جوز الصلب فى غير قاطع الطريق فمن ادعاه فعليه البيان بغير محل النزاع الذى نحن فيه فان قلت هو يرد على هذا الحصر لان هذه غير قاطعة طريق وصلبت قلت الذمى اذا انتقض العهد ملحق بقاطع الطريق فى احكام لا يبعد ان يكون هذا منها على ان ذاك صار كحربى واحكام الحربيين لا يقاس بها احكام المعصومين فان قلت قولكم ايثارا للمماثلة الخ انما يتأتى على القول بتعينها فى القود واما المخير بينها وبين السيف فيما ليس بمحرم او المخير بينها وبين السيف فى القتل بمسموم فلا يتأتى عليه ذلك البحث قلت بل يتأتى على التخيير ايضا لان القتل بالسيف لا يعين القود لانه يحتمله ويحتمل انه لنقض العهد والمدعى انما هو ان قتلها بالسيف لا يدل على خصوص كونه قودا وتأخير قتلها الى موت بشر لا يدل على القود أيضا لاحتمال انه لتحقق عظيم جنايتها وبهذا كله يعلم ان ما فى هذه القصة من قتلها بتقدير صحته لا يرد على قول أئمتنا من أضاف انسانا فقدم له طعاما مسموما فأكل منه فمات لا قود عليه لانه تناوله باختياره والمضيف لم يلجئه الى أكله وذلك لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم قتلها بقيد كونه قودا وبهذا الذى قررته يعلم تحقيق الناظم حيث نفى القصاص مع اطلاعه على الروايات المخالفة فى ذلك فان قلت لا نسلم ان نفيه لذلك بل لان ثبوته بقيد كونه قصاصا لم يصح والاصح عدمه قلت هذا يحصل منه مدعانا أيضا لان ثبوته اذا لم يصح من أصله او بذلك القيد فلا دلالة فيه للخصم بوجه ويخلق من النبى كريم (من) فهو معطوف بحذف حرف العطف على لم تقاصص خلافا لما يوهمه كلام الشارح انه استئناف اى انعم نعمة عظيمة (فضلا) مفعول مطلق كفرحت

جزلا

= عند قولهم مما انعقدوا به الحب انه كالدابة جرحه جبار (قوله اى المرأة) ظاهر تفسيره يدل على ان اطلاقه عليها بطريق الاشتراك وليس كذلك بل فى البهيمة حقيقة ويطلق على المرأة تشبيها بها فحق التفسير ان يقول اى المرأة اليهودية التى كالبهيمة اه دنوشرى (قوله وجمع البيهقى بأنه الخ) اى فقولهم لم يقتلها اى فى الحال وقولهم قتلها اى بعد ذلك (قوله بنقضها العهد) انظره مع ما سبق عن مغازى التيمى انها أسلمت وفى شرح م ر عند الكلام على التضييف بمسموم ان قتلها لنقض العهد كما ذكره الشارح هنا ولعله لم يثبت عنده ما ولم يصح ما روى من اسلامها فحرر (قوله ان يقتلها بمسموم) لان من قتل بسم يقتل بمثل السم الذى قتل به ما لم يكن مهريا يمنع الغسل والظاهران ما هنا لم يكن مهريا ومن ثم تأخر موت بشر مدة عن أكل السم اه من ع ش على م ر (قوله ان ما فى هذه القصة) فهى واقعة حال فعلية طرقها الاحتمال فيسقط بها الاستدلال على كون قتلها قصاصا تأمل (قوله من اضاف انسانا) اى مميزا بقرينة قوله لانه تناوله باختياره اما غير المميز ففيه القود كما هو مصرح به فى الفروع (قوله فهو معطوف) اى بحذف حرف العطف

بدلا او مفعول لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ما ذكره الله تعالى بقوله عز قائلا فاما منا بعد واما فداء فمن بتخلية سبيلهم بعد ان ملكهم المسلمون اى رفع الرق عنهم لاجل فضله اى احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا فهى هذه العلة والعلة التى تليها المستفادة من اذ كان له معالى بشيئين عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه تربى فيهم وعليه فحرف العطف مقدر الثبوت ويصح ان تكون الثانية علة للاولى وايهامه قصر فضلا عليهم غير مؤثر لانه لم يرد مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم سواء أعاق على هوازن بمن او بفضل اكتفاء بقرينة السياق (على هوازن) قبيلة حليمة السعدية رضى الله تعالى عنها وهم أهل حنين المذكورون فى القرآن وهو واد قريب من ذى المجاز السوق المشهور من أسواق الجاهلية بناحية عرفة بين ذلك الوادى وبين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم صلى الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما اتفقت اشراف هوازن وثقيف على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان فى اثنى عشر الفا عشرة جاء بهم والفان من طلقاء مكة ولما هزمهم صلى الله عليه وسلم قصد الطائف وامر ان يجعل سبى هوازن وغنائمهم بالجعرانة حتى يأتى اليهم وكان السبى وهو النساء والذرارى ستة آلاف رأس والابل أربعة آلاف وعشرين الفا والغنم فوق اربعين الفا واربعة آلاف أوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضع عشرة يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم اخذ فى قسمة الغنائم فجاؤا مسلمين فقالوا يارسول الله انا اهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالا يخفى عليك فامنن علينا من الله عليك وقام رجل من فخذ حليمة فقال يارسول الله ان مافى الحظائر عماتك وخالاتك اى من الرضاع لانهن قرابات حليمة أوحاضناتك اللاتى كن يكفلنك ولوانا ارضعنا الحرث بن ابى شمر او النعمان بن المنذر ثم نزل بمنامثل الذى نزلت فيه رجونا عطفه وأنت خير المكفولين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه ابناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فقالوا أبناؤنا ونساؤنا فقال أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر بالمسلمين فقوموا وقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك واسأل لكم ففعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب

(قوله اى رفع الرق عنهم) اى باعتاقهم لان مافى السبى نساء وذرارى وهم يرقون بنفس الاسر فقول النبى فيما يأتى اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم اى مسلم لكم بعد عتقه وكذا يقال فيما بعد فيحتمل ان العتق فى غير ما للنبى قد فوض اليه ففعل ويحتمل ان كل من سمح بماله من الغانمين نجز عتقه بقى ان طرو الرق على النكاح يفسخه فان كان رد النساء لهوازن من غير عود لازواجهن فلا اشكال والا أشكل الا ان ثبت تجديد عقد وانما لم يذكرهم النبى ذلك لكونهم عالمين بالحكم وفيه أيضا ان ثلاثة اخماس الخمس التى لليتامى والمساكين وابن السبيل لم يذكر فى القصة تبرعهم بها على انهم غير محصورين فلا يتأتى نزولهم عن حقهم الا ان يقال للامام ان يحصر حق بعض المستحقين فى بعض أنواع الغنيمة ويكون قد حصر حق هؤلاء الثلاثة من غير السبى كالابل مثلا (قوله وايهامه قصر فضلا) فيه نظر فان النص على الشئ لا ينفى ما عداه دلالة ولا ايهاما اه دنوشرى (قوله قريب من ذى المجاز) قال فى الصحاح وذو المجاز موضع بمنى كان به سوق فى الجاهلية اه انظره مع قول الشارح بين ذلك الوادى الخ اذ ليس بين مكة ومنى هذه المسافة تأمل (قوله فى اثنى عشر ألفا الخ) عشرة جاء بهم اى لفتح مكة والفان من طلقاء مكة اى الذين اسلموا من أهل مكة يوم فتحها فأطلقهم اى خلى سبيلهم ولم يسترقهم واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول (قوله وقام رجل من فخذ حليمة) قال فى القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق والورك مؤنث كالفخذ ويكسر وحى الرجل اذا كان أقرب من عشيرته والجمع افخاذ اه (قوله انما فى الحظائر) جمع حظيرة قال فى المختار والحظيرة تعمل للابل من شجر لتقيها البرد والريح (قوله قرابات حليمة) كان الظاهران يزيد وقرابات زوجها الاجل قوله عماتك اذ قرابات الام من الرضاعة خالات وقرابات الاب من الرضاعة عمات كالنسب (قوله الحرث) اى ملك الشام (قوله أو النعمان) اى ملك العراق

فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مرداس من بنى سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من أول سبى يصيبه عما طابت به نفوسهم فردوا من بقى عندهم ومن صلى الله عليه وسلم عليهم بذلك (اذ) اى لاجل انه صلى الله عليه وسلم (كان له قبل ذلك) اى وهو طفل (فيهم رباء) بفتح الراء والمد اى تربية من ربوت فى بنى فلان وربيت فيهم اذا انشأت بينهم اوطول باعتبار ما وصل اليه من ابن حليمة وتربيتها *(تنبيه)* جعل الناظم اذ تعليلية خلاف ما عليه الجمهور قالوا ولا دليل فى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الآية لان التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول هل هى حينئذ حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ قولان المنسوب الى سيبويه الاول وعلى الثانى فى الآية اشكالات ليس هذا محل بسطها وترد اسما للزمن الماضى وهو الغالب ثم قال الجمهور لا تكون الا ظرفا أو مضافا اليها الظرف نحو يومئذ تحدث أخبارها وقال الاقلون تكون مفعولا به نحو واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وكذا المذكورة أوائل القصص كلها بتقدير اذكرا وبدلا منه بدل اشتمال أو كل من كل ورده الجمهور بأن المفعول أو المضاف اليه محذوف وزعم الزمخشرى انها تكون فى محل المبتدا مما تفرد به وجوز كثيرون ورودها للمستقبل نحو فسوف يعلمون اذ الاغلال فى اعناقهم لاستقبال يعلمون لفظا ومعنى واجيب بأنه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الواقع (وأتى) ذلك (السبى) أصله الاسر والمراد به هنا المسبى اى المأسورون الى الجعرانة بأمره صلى الله عليه وسلم كما مر ليقسمه فيها على المسلمين وكان ذلك السبى (فيه أخت) النبى صلى الله عليه وسلم من (رضاع) واسمها الشيماء كما مر ولما شقوا عليها عند سبيها قالت والله انى اخت صاحبكم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى اختك قال وما علامة ذلك قالت عضة منك فى ظهرى فعرفها الكن (وضع) اى خفض (الكفر) القائم بها (قدرها و) كذلك وضع قدرها (السباء) اى الاسر القائم بها أيضا فاضمحل فى جنب ذلة هذين ما فيها من اخوته صلى الله عليه وسلم كما اضمحل فى جنب الكفر ما فى نحو أبى طالب من العمومة والتربية ومنع الاعداء بكل طريق امكنته ثم من الله عليها بالاسلام وبمعرفته صلى الله عليه وسلم لها (فحباها) اى أعطاها ما لم يكن فى حسابها وجاد على قومها لاجلها (برا) اى لاجل برها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز ان يكون هو المفعول الثانى ويؤيده انه أبدل منه قوله وبسط الخ كما يأتى ولما أتته بسط لها رداءه واجلسها عليه ثم خيرها وقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة وان أحببت ان أمتعك وترجعى الى قومك فعلت فاختارت قومها فمتعها وزاد فى الاحسان اليها كما هو شأنه وردها الى قومه وأعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجته بها فلم يزل فيهم من نسلهما بقية (توهمت الناس) الذين رأوا ذلك البراى وقع فى وهمهم اى ذهنهم واسناد



(قوله واسمها الشيماء) اى من غير ياء ويقال الشيماء بالياء (قوله وما علامة ذلك) بكسر الكاف لانه خطاب مؤنث (قوله السباء) بكسر السين وفتحها (قوله ما لم يكن فى حسابها) هذا المفعول الثانى المحذوف على جعل برا مفعولا لاجله (قوله وأعطاها غلاما له) الذى فى النعمة الكبرى فاعطاها نعما وشاء وثلاثة اعبد وجارية

ذلك اليهم باعتبار ما من شأنه (به) اى بسبب ذلك البر الذى وصل اليها منه (انما) بفتح الهمزة اداة حصر كسورتها (السباء) اى المسبيات او النساء لانهن يسبين سباء ففى القاموس والسبى ما يسبى وجمعه سباء والنساء لانهن يسبين القلوب او يسبين فيها لكن وحينئذ تصح قراءة النظم بسين ثم باء و بنون ثم سين اذ المعنى صحيح على كل منهما كما يعلم من تقريرى الآتى فتأمله وبينه وبين الناس الجناس المقلوب (هداء) بالكسر مصدر هديت المرأة الى زوجها اى مهديات كرجل عدل والجملة فى محل مفعول توهمت الناس اى توهموا ان النسوة اللواتى معها فى السبى لم يسبين لعظيم ما قابلهن به من الاكرام وانما بثن لاكرام هداء عروس وجد لاثماعليه صلى الله عليه وسلم لا لكونهن مسبيات لان ذلك الاكرام انما يفعل مثله لنساء يهدين عروسا الا النساء مسبيات *(تنبيه)* استعمال الناظم لانما هذه فى الحصر تبع فيه الزمخشرى والبيضاوى وغيرهما وجعل الاولان منه قوله تعالى قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فقالا انما لقصر الحكم على شئ او لقصر الشئ على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمعا فى هذه الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى اليه صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله تعالى بالوحدانية وقول ابى حيان يلزم الزمخشرى انحصار الوحى فى الوحدانية مردود بانه حصر مجازى باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر انه (بسط) فهو بدل من برا كما مر ويصح كونه بدلا من حبى (المصطفى) صلى الله عليه وسلم (لها من) الظاهر انها زائدة على مذهب الاخفش وجماعة (رداء) كان عليه أى نشره وجعله لها فراشا تجلس عليه ويصح جعل من للتبعيض فيكون صلى الله عليه وسلم بسط لها بعضه لتجلس عليه والاول اقرب وعلى كل فهنيئا لها ذلك الاكرام كيف وهو رداء (اى فضل) اى شرف عظيم لا غاية له (حواه) اى جمعه (ذلك الرداء) بمماسته لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم وما افهمه هذا التقرير من ان اى فضل الخ جملة نعت لرداء ومن زائدة او تبعيضية هو المتبادر كما لا يخفى ويصح ان تكون اى مفعول بسط وأن فضل بمعنى فضيلة فمن تبعيضية وانه على حاله فمن تعليلية داخلة على مضاف اى نشر لها من أجل فرش رداءه لها فضلا عظيما حواه ذلك الرداء اى تميزا ظاهرا على بقية نساء هوازن وفى رداء والرداء رد العجز على الصدر (فغدت) اى صارت مندرجة (فيه) اى فى ذلك الفضل (و) الحال انها (هى سيدة) اولئك (النسوة) اللواتى معها من سبى هوازن لما حصل لها من التميز الظاهر الباهر عليهن (و) ان اولئك النسوة هن (السيدات) قبل اسرهن (فيه) اى فى ذلك الفضل (اماء) اى صارت كأنها سيدتهن وكأنهن مع كونهن سيدات اماء لها وبين السيدات والاماء طباق وهذه مؤكدة للجملة الاولى التى هى حال من فاعل غدت كما علم مما مر ولما ذكر ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الرفعة والترقى الى ما لم يصل اليه مخلوق وما يتعلق

(قوله نعت لرداء) فيه انه الشائبة واعل المراد من حيث المعنى أو المراد معمولة نعت لان القول فى مثل ذلك مقدر اى مقول فيه اى فضل الخ تأمل (قوله وفى رداء والرداء رد العجز على الصدر) هو عبارة عن أن يأتى الشاعر بكلمة فى صدر البيت متقدمة كانت او متأخرة ثم يأتى بها بلفظها فى عجزه وأحسنه ما كانت اللفظة افتتاحا للبيت والاخرى ختاما له كقوله
فى حدث من سرى فما طهرت
سرائر القلب الامن حديث فى
وقد تقدم

بذلك من صفات تنقطع اعناق الاطماع عن أن تمتد اليها وخصال لم يعول آمال الكمل الاعليها طالب من كل سامع فانه مشاهدة رؤيته صلى الله عليه وسلم أن ينزه سمعه بالاصغاء الى صفات ذاته ومعانيه فقال (فتنزه) قال الشارح هو من قولهم خرجنا نتنزه فى الرياض اه وكأنه جرى فى ذلك على العرف اذ التنزه كما فى القاموس التباعد ثم قال وارض نزهة بعيدة عن الريف اى الخصب والزرع وعمق المياه وذبان القرى وومد البحار وفساد الهواء ثم قال واستعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح (فى) أوصاف (ذاته) من الكلام عليها فى تلك ذات العلوم (ومعانيه) اى صفاته الخارجة عن أوصاف ذاته صلى الله عليه وسلم (استماعا) اى من جهة اصغائك الى استماع أوصاف ذاته وجميل صفاته الآتية فى هذا النظم الجامع البديع وبين ذاته ومعانيه جناس المقابلة كالاستماع والاجتلاء الآتى (ان عز) اى فقد (منها) متعلق بقوله (اجتلاء) من جلوت العروس جلاء وجلوة واجتليتها اذا نظرت اليها مجلية اى مكشوفة مزينة اى ان فاتك رؤية ذاته الكريمة ومشاهدة صفاته العلية فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يتلى عليك من أوصاف ذاته صلى الله عليه وسلم وعلى صفاته وبه يظهر أن من زائدة فى الايجاب وهو ما اجازه جماعة وخرجوا عليه قوله تعالى ولقد جاءك من نبأ المرسلين يحلون فيها من أساور من ذهب من جبال فيها من برد يغضوا من ابصارهم وفيه نظر لامكان حمله على التبعيض فلا زيادة فتأمله (و) لا تقتصر على سماعك القليل من ذلك بل (املأ السمع) بأن تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض ان ما سمعته شئ محسوس وان سمعك اناء واسع الامتلأ ذلك من المحسوس (من محاسن) اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم لا يلحق أحد آثارها ولا يشق كامل غبارها وهو جمع على غير قياس لان مفرده حسن لا محسن الا تقديرا (عليها) من أملية الكتاب ويجوز أملاته (عليك) من هذه القصيدة وغيرها (الانشاد) لها من شجى الصوت بأتم الاعراب فقد قالوا من أقوى الاسباب الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا واريحية وطربا وذلك يحدث عندها بسببين احدهما انها فى نفسها توجب لذة قوية ينغمر فيها العقل الثانى انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره فى الذهن وقرب صورته فى القلب واستيلاؤها على الفكر وفى هذا من اللذة ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وأقوى فى اللذة من عناق

(قوله وذباب القرى) الذبان معروف الواحدة بهاء والجمع أذبة وذبان بالكسر وذب بالضم انتهى قاموس (قوله وومد البحار) الومد بالتحريك شدة حر الليل انتهى صحاح وفى القاموس الومد محركة الحر الشديد مع سكون الريح او ندى يجىء فى صميم الحر من قبل البحر (قوله واستعمال التنزه الخ) قد يقال يمكن اجراء كلام الناظم على قانون اللغة لا على العرف بأن يجعل فى ذات الخ متعلقا بمحذوف وصلة تنزه محذوفة اى فتنزه اى تباعد عن العفونات ونحوها متلذذا فى اوصاف الخ (قوله وبه يظهر) اى بقوله اجتليتها حيث عداه بنفسه (قوله ان من زائدة) قال سيبويه يشترط لزيادتها أن يتقدم نفى او شبهه وان يكون مجرورها نكرة والاخفش لا يشترط ذلك قال ابن مالك وبقوله اقول واستدل بقوله يحلون فيها من اساور من ذهب وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ولسيبويه أن يدعى انها فى الآيتين تبعيضية وكذا نظائرهما فيقال فى النظم ان عز اجتلاء بعضها ويعلم بالاولى طلب التنزه فيما ذكر ان عز اجتلاء كلها تأمل (قوله لان مفرده حسن) قال فى المختار الحسن ضد القبيح والجمع محاسن على غير قياس (قوله الانشاد) قال الهروى فى غريبه والنشد رفع الصوت ومنه انشاد الشعر اى رفع الصوت به وقولهم نشدتك الله اى سألتك بنشدى اى رفع صوتى (قوله من شجى الصوت) اى الصوت الشجى او من شخص شجى صوته فهو من اضافة الصفة للموصوف او الوصف لفاعله اى صوت شجى اى مطرب قال فى القاموس شجاه حزنه وطربه كأشجاه فيهما ضد (قوله واريحية) اى خفة يقال راحت يده بكذا اى خفت له (قوله وطربا) الطرب خفة تصيب الانسان لشدة حزن او سرور انتهى مختار فعطف طربا على أريحية مرادف

الشواب

الثواب وقد ذكر الامام أحمد رضي الله عنه وغيره أن الله تعالى يقول لداود في الجنة مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا فيقول كيف وقد أذهبته بالموت فيقول انا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش و يمجده فاذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم لا سيما ان انضم الى ذلك رؤية وجهه الكريم فان لذة ذلك تغني عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة (والانشاء) من ناظمها واسناد الاملاء اليهما مجاز ومما يحملك على استفراغ وسعك في ذلك التنزه واملاء السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك ان تحيط بها كيف و (كل وصف له) من صفاته الذاتية والمعنوية (ابتدات) انت او انا (به) في الذكر او ابتدات بذكره تحيط بغايته (استوعب اخبار الفضل) مفعول مقدم اى جميع اخبار الفضائل والكمال (منه) متعلق بقوله (ابتداء) اى كلما ابتدأت بوصف له صلى الله عليه وسلم وتأملت ما اشتمل عليه صريحا وايماء وجدت ذلك الوصف المبتدا به جمع انواع التفضل وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من اوصافه صلى الله عليه وسلم آخذ بحجز بقية تلك الاوصاف اذ لا يتحقق كمال وصف من صفات الانسان كالحلم مثلا الا ان كمل في بقية اوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وحينئذ فكل من صفاته صلى الله عليه وسلم يدل على ماوضع له مطابقة وعلى ما عداه منها ايماء واستلزاما كما لا يخفى على من سبر ذلك وتأمله وبهذا التحقيق الذي تنبه له الناظم يعلم انه سقى الله عهده ثاقب النظر كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف وليس ذلك بكثير على من حل عليه نظر القطب الكبير والامام الشهير سيدي ابي العباس المرسي وارث ابي الحسن الشاذلي قدس الله سرهما ونور ضريحهما وبما قررته في شرح هذا البيت يعلم انه من غرر ابيات هذه القصيدة وانه لا تعقيد فيه خلافا للشارح وانه يجب عليك ان تعتقد ايضا ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله تعالى اوجد خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده في آدمي مثله صلى الله عليه وسلم وسر ذلك ان محاسن الذوات دليل على ما بطن فيها من بدائع الاخلاق وجلائل الصفات ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل اليها غيره في كل من ذينك ومن ثم قال الناظم في بردة المديح * فهو الذي تم معناه وصورته * البيتين فتبين ان حقيقة الحسن الكامل كانت فيه وحده ولم تنقسم بينه و بين غيره لانه الذي تم معناه دون غيره ولو شورك لم يتم معناه وما أحسن قول بعضهم لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم والا لما طاقت اعيننا النظر اليه و بين ابتدأت وابتداء جناس الاشتقاق * (تنبيه) * شرح الناظم بيان تمام معناه بما مر ويأتي ولم يشرح تمام حسن ذاته كذلك وانما اشار لذلك بقوله برؤية وجه الخ ضحكه التبسم الخ و بتقبيل راحة الخ فتعين علينا ان نشير الى شيء من ذلك فنقول اما وجهه الشريف فصح عن البراء انه صلى الله عليه

(قوله و يمجده) اى فيرفع صوته لزبور (قوله والانشاء) قال تعالى وهو الذي أنشأكم اى ابتدأ خلقكم وكل من ابتدأ شيأ فقد أنشأه فهو مجاز اى لان الذي على هو الشخص المنشد والمنشئ فهو على حد واسأل القرية و بين لانشاد والانشاء الجناس اللاحق لبعد مخرجي الدال والهمزة (قوله بحجز بقية تلك الاوصاف) قال الجوهري وحجزة الازار معقده وحجزة السراويل التي فيها التكة

وسلم كان احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيأ احسن منه صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه صلى الله عليه وسلم وعن البراء انه قيل له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف قال لا بل كالقمر اى لم يكن كالسيف في الطول ولا في اللمعان بل كالقمر في التدوير وفوق لمعان السيف وصح عن جابر بن سمرة لم يكن كالسيف بل كالشمس والقمر وكان مستديرا فنبه بهذا انه جمع بين الحسن والاشراق والملاحة والاستدارة وجاء عن علي رضي الله تعالى عنه لم يكن بالمكلثم اى شديد استدارة الوجه بل فيه تدوير قليل وهو أحلى عند العرب وهو معنى قول ابي هريرة كان أسيل الخدين اى فيهما طول وسلامة من ارتفاع الوجنة ومد وتشبيه غير واحد لوجهه بشقة القمر اى عند التفاته وقيل احترازا عما في القمر من السواد ويرده تشبيه ابي بكر رضي الله تعالى عنه وغيره له بدارة القمر وفي النهاية انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اسر صار وجهه كالمرآة تفرى خيال الجدر فيه وفي رواية يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر وانما كان الاكثر تشبيهه بالقمر دون الشمس لان من شاهده بنظره كمال النظر ويستأنس به ولا يتأذى منه بخلاف الشمس في الكل ولذا كان من أسمائه صلى الله عليه وسلم البدر ومن ثم قال الخارجون للاقاته حين مرجعه من تبوك

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

ثم هذه التشبيهات جرت على عادة العرب والا فلا شيء يعادل صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية وأما بصره صلى الله عليه وسلم فيكفيك فيه ما زاغ البصر وما طغى وصح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وصح انه كان في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه اى رؤية ادراك هي بالبصر اذ الرؤية الواقعة على جهة الكرامة لا تتوقف عليه ولا على شعاع ولا على مقابلة عند أهل السنة وما قيل كان له عينان بين كتفيه كسم الخياط يرى بهما ولا يحجبهما الثياب لم يثبت ما يدل عليه والاصل عدمه كما زعم أن صورهم كانت تنطبع في قلبه او انها رؤية قلب او ان المراد بها العلم بوحي او الهام وحديث اني لا أعلم ما وراء جداري لم يعرف له سند وانما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بلا اسناد وبفرض وروده فهذا غير ما نحن فيه لان المنفي علم الغيب بما وراء الجدار حيث لم يعلم به بوحي او الهام ومن ثم قال لما ضلت ناقته وقال بعض المنافقين هو يزعم علم الغيب والله اني لا أعلم الا ما علمني ربي وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا احتبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم وبفرض التعارض فما مر في حالة الصلاة وهذا خارجها وجاء انه كان اذا التفت التفت جميعا اى لا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة كالطائش الخفيف وان جل نظره النظر بلحاظه صلى الله عليه وسلم وهو جانب العين الذي يلي الصدغ وانه صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أهدب الاشفار مشرب العينين بحمرة وروى مسلم

(قوله كان الشمس تجري) قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل أن يكون من تناهي التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس انتهى مواهب (قوله وصح انه كان في الصلاة) في الامداد استظهر عدم الفرق بين الصلاة وغيرها الاطلاق حديث الصحيحين

أشكل العينين والشكلة الحمرة في بياض العين وهي محمودة والشهلة حمرة في سوادها وفي رواية أدعج العينين اى شديد سوادهما أهدب الاشفار اى طويلها * واما سمعه صلى الله عليه وسلم فحسبك فيه خبر الترمذي انى ارى مالا ترون واسمع مالا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى وفي رواية لابي نعيم او قائم * واما شعره صلى الله عليه وسلم فصح انه كان بين شعرين لا رجل اى بفتح فكسر وهو ما يتكسر قليلا ولا سبط ولا جعد قطط وكان بين اذنيه وعاتقه وانه رجل ليس بالسبط ولا الجعد ولا تخالف لان فيه رجولة قليلة فالاولى انفي كثيرها وانه الى شحمة أذنيه وانه الى اسفلها وانه الى الكتفين ولا تخالف ايضا لانه ربما تركه تقصيره فيطول وربما تداركه فيقصر وكان اذا تفرق انفرق بنفسه والا تركه معقوصا واعل هذا كان اولا والا فالذى صح انه كان صلى الله عليه وسلم يسدله اى يرسله ثم فرق ثم رأيت ان العلماء قالوا ان الفرق سنة لانه الذى رجع اليه صلى الله عليه وسلم وكان في عنفقته صلى الله عليه وسلم وصدغيه شعرات بيض دون العشرين وانما لم يكثر فيه مع انه نور ووقار لرواية ما شانه الله بالشيب اى لان النساء يكرهنه غالبا ومن كره منه صلى الله عليه وسلم شيأ فقد خاب وكفر واختلفت الروايات في تغييره صلى الله عليه وسلم الشيب بنحو الحناء ولا مخالفة لانه صلى الله عليه وسلم فعله كثيرا وتركه اكثر ومن ثم كان سنة عندنا وصح انه صلى الله عليه وسلم كان كثير شعر اللحية الكريم وجاء انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر دهن شعر رأسه وتسريح لحيته وكان أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ولم يرد فيه أنه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه في غير حج أو عمرة ورواية انه كان يأخذ من عرض لحيته وطولها غريبة بخلاف رواية اعفوا اللحى فمن ثم أخذ بها أئمتنا رضى الله عنهم وورد انه صلى الله عليه وسلم كان ينظر في المرآة اذا سرح لحيته وانه صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل منها بالاثمد في كل عين ثلاثة قبل النوم * وأما جبينه صلى الله عليه وسلم وحاجباه وأنفه ورأسه فقد جاء انه واضح الجبين مقرون الحاجبين اى شعرهما متصل وانه غير متصلهما ورجحه ابن الاثير وقد يجمع بأنهما كانا كثيرى الشعر كما في رواية سابغين كما في أخرى دقيقين فهما مع كثرة شعرهما فيهما سبوغ الى آخر العين ودقة في طرفيهما فلكثرة شعرهما يريان من بعيد كأنهما متصلان وليسا في الحقيقة كذلك وصح انه ضخم الرأس ضخم الكراديس اى رؤس العظام وجاء انه صلى الله عليه وسلم أقنى الانف اى طويله مع دقة أرنبته وحدب في وسطه وعبر بعضهم بأنه سائل مرتفع وسطه وانه صلى الله عليه وسلم دقيق العرنين اى أعلى الانف وان من لم يتأمله يحسبه أنه أشم اى طويل قصبة الانف * وأما فمه صلى الله عليه وسلم فقد صح انه واسعه يفتتح الكلام ويختتمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب تمدحه وتذم ضده وانه صلى الله عليه وسلم أشنب اى لاسنانه غاية البريق واللمعان وانه اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من ثناياه وانه صلى الله عليه وسلم مفلج الاسنان اى متفرقها وفي رواية انه مفلج الثنيتين

(قوله أطت السماء) اى صوتت من ثقل ما عليها كاطت الابل اى صوتت لثقل احمالها (قوله كان يسدله) بضم الدال وكسرها (قوله يكرهنه) فعصم من ذلك رفقا بهن وقال بعضهم فيه نظر لان الكراهة الطبيعية خارجة عن الامور التكليفية ولك رده بان ذلك يجر الى الكراهة الاختيارية وهي كفر فنع الله تعالى ما يجرهن الى الكراهة الداعية لذلك انتهى شرح الخصائص لابن علان (قوله الحناء) بالمد والتشديد (قوله كان ينظر في المرآة) فيندب النظر فيها اقتداء به صلى الله عليه وسلم كما قاله ابن جماعة نقلا عن المحب الطبرى (قوله مكحلة) هو احد ما جاء على الضم من الادوات (قوله دقيق العرنين) عرنين كل شئ أوله وعرانين القوم سادتهم وعرنين الانف تحت مجمع الحاجبين وهو اول الانف حيث يكون فيه الشمم يقال هم شم العرانين

اى أكثر من البقية * وأما ريقه صلى الله عليه وسلم فقد صح انه يوم حنين تفل فى عينى على كرم الله وجهه ورضى عنه وكان به رمد فبرئ منه لوقته وأعطاه الراية ففتح الله على يديه وجاء انه صلى الله عليه وسلم مج فى بئر ففاح منه رائحة المسك وانه صلى الله عليه وسلم بزق فى أخرى فلم يكن فى المدينة أطيب ماء منها وانه صلى الله عليه وسلم كان فى يوم عاشوراء يبصق فى فم رضعائه ورضعاء فاطمة وينهى عن رضاعهم فيجتزئ به الى الليل وانه صلى الله عليه وسلم مضغ قطعة لحم وأعطاها لخمس نسوة فضغها كل فتن ولم يوجد لافواههن ريح خلوف وكان فى أفواههن نتن * وأما فصاحة لسانه صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فأمر أظهر من أن يذكر وأشهر من أن ينشر كيف وقد ارتقى فى كل ذلك الغاية التى لم يدركها مخلوق حتى قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن * وأما صوته صلى الله عليه وسلم فروى ابن عساكر خبر ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت والبيهقى خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى خدورهن وأبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال للناس يوم الجمعة على المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو فى بنى غنم فجلس مكانه وابن سعد انه صلى الله عليه وسلم خطب بمنى ففتح الله اسماعهم فسمعوه وهم بمنازلهم * وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم فهو انه (سيد) للعالمين الاولين والآخرين كما مر مبسوطا أول الكتاب (ضحكه) اى الذى يظهر به سروره هو (التبسم) كما رواه البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيته مستجمعا قط ضاحكا اى مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا ينافيه خبر البخارى أيضا فى المواقع أهله فى رمضان فضحك حتى بدت نواجذه وهى بالجيم والذال المعجمة الاضراس وهى لا تكاد تظهر الا عند المبالغة فى الضحك لان عائشة رضى الله تعالى عنها انما نفت رؤيتها وذلك لا ينافى وقوع غير التبسم منه ثم الذى دل عليه مجموع الاحاديث ان أكثر أوقاته صلى الله عليه وسلم هو التبسم وربما ضحك والمكروه انما هو الاكثار والافراط من الضحك سواء كان معه قهقهة أم لا ومن ثم روى البخارى فى أدبه وابن ماجه النهى عن كثرته وانه يميت القلب والفرق أن التبسم مبادى الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفى فان كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة * وأما بكاؤه صلى الله عليه وسلم فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه حتى تهملان ويسمع لصدره أزيز اى غليان يبكى رحمة لاميت وخوفا على أمته وشفقة من خشية الله تعالى وعند سماع القرآن وأحيانا فى صلاة الليل وجاء انه صلى الله عليه وسلم حفظ من التثاؤب بل جاء ان كل نبى كذلك * وأما يده صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد كما فى عدة طرق بانه شثن الكفين اى غليظ أصابعهما وبانه عبل الذراعين رحب الكفين ووصف أيضا

بان

(قوله ريح خلوف) اى وكان فى افواههن نتن كذا فى بعض النسخ وعبارة المواهب ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هى واخواتها يبايعهن وهن خمس فوجدنه يأكل قديدا فمضغ لهن قديدة فمضغنها كل واحدة قطعة فلقين الله وما وجد لافواههن خلوف رواه الطبرانى (قوله حتى أسمع العواتق) قال فى الصحاح وجارية عاتق اى شابة أول ما أدركت فخدرت فى بيت أهلها فلم تبن الى زوج من البينونة اى لم تبن من اهلها الى زوج (قوله وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم) يقال ضحك يضحك ضحكا وضحكا وضحكا وضحكا أربع لغات والضحكة المرة الواحدة ورجل ضحكة اى كثير الضحك وضحكة بالتسكين يضحك منه والاضحوكة ما يضحك منه وامرأة مضحاك كثيرة الضحك اه صحاح (قوله حتى بدت نواجذه) جمع ناجذ وهو ما يظهر عند الضحك من الاسنان وقيل هى الانياب وقيل الاضراس وقيل الدواخل من الاضراس التى فى أقصى الحلق (قوله حتى تهملان) يقال هملت عينه اى فاضت وبابه نصر (قوله من التثاؤب) بهمزة بعد الالف وأما بالواو فغلط اه قسطلانى على البخارى ثم قال وهو تنفس ينفتح منه الفم من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس

بأن يده صلى الله عليه وسلم ألين من الحرير والديباج وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك ولا ينافى هذا اللين ما مر آنفا لانه جمع له مع لين الجلد غلظ العظام وقوتها وتفسير الاصمعى الشثن بغلظ فى خشونة مردود بل نقل ابن خالويه عنه أنه قيل له ورد فى صفته صلى الله عليه وسلم أنه لين الكفين فأقسم أن لا يفسر شيأ فى الحديث وبتسليمه فهو صلى الله عليه وسلم كان ربما حصلت له خشونة فى كفيه من جهاد أو عمل فى مهنة أهله وتفسير أبى عبيد له بغلظ الاصابع مع قصرها يرده ما جاء انه كان سائل الاطراف فالتحقيق أن الشثن الغلظ من غير خشونة ولا قصر روى الحاكم وغيره انه صلى الله عليه وسلم مسح بيده الشريفة الدم عن وجهه وصدره من جرح فى وجهه فكان أثر يده الشريفة غرة سائلة كغرة الفرس وصح أنه صلى الله عليه وسلم مسح رأس ولحية أبى زيد الانصارى ثم قال اللهم جمله فبلغ بضعا ومائة سنة وما فى لحيته بياض ولا فى وجهه انقباض وروى أحمد وغيره أنه مسح رأس حنظلة بيده وقال بورك فيك فكان يمسح بمحل يده صلى الله عليه وسلم الورم فيذهب * وأما ابطاه صلى الله عليه وسلم فكانا أبيضين كما جاء عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لكن تعارضه الرواية الصحيحة كنت أنظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع وقد يجمع بحمل البياض فى الاول على البياض غير الناصع وذكر بعضهم أنه لا شعر بابطيه ورد بأنه لم يثبت بوجه وكان يسيل منهما مثل ريح المسك وكانت له مسربة وهى خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بل فى رواية له شعرات من لبته الى سرته تجرى كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيره * وأما بطنه وظهره صلى الله عليه وسلم فجاء انه مفاض البطن اى واسعه وقيل مستوى الظهر مع الصدر وان بطنه صلى الله عليه وسلم كالقراطيس المثنى بعضها على بعض وانه بعيد ما بين المنكبين اى عريض الصدر * وأما قلبه صلى الله عليه وسلم فهو أول قلب أودع الاسرار الالهية والمعارف الربانية لانه أول الخلق كما مر وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فهو أولهم وآخرهم فى حيازة أعلى الكمالات الخلقية والخلقية ومما ينبئك بأن قلبه أودع ما لم يودعه غيره تكرر شقه وملؤه ايمانا وحكمة واخراج حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا فى مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم ومحاسنه الظاهرة التى هى اعلام على الاخلاق الباطنة فكما ان تلك لم يساوه فيها مخلوق فكذلك هذه * وأما جماعه صلى الله عليه وسلم فقد صح عن أنس كنا نتحدث انه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة ثلاثين رجلا فى الجماع وروى الاسماعيلى أنه أعطى قوة أربعين رجلا زاد ابو نعيم عن مجاهد كلهم من رجال اهل الجنة والرجل فى الجنة يعطى قوة مائة كما صححه الترمذى وقال غريب واربعون فى مائة بأربعة آلاف ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم على جانب عظيم من تقليل الغذاء لخرق الله له العادة فى الامرين ولم يحتلم قط وكذا الانبياء لانه من الشيطان لكن ظاهر قول عائشة رضى الله عنها يصبح صائما جنبا من جماع

(قوله لكن تعارضه) فى الحقيقة لا تعارض

غير احتلام انه يحتلم ويسلمه فالاول محمول على ما اذا كان عن رؤية وقاع لان هذا هو الذي من الشيطان بخلاف مجرد نزول المني في النوم * وأما قدمه صلى الله عليه وسلم فجاء عن غير واحد انه شثن القدمين اي غليظ اصابعهما وكانت سبابة قدميه أطول من بقية اصابعهما ومن روى ذلك في اليد فقد غلط كما بينه غير واحد وكانت خنصرهما متظاهرة وكانا الاخمص اي ماليس في باطنهما كبير انخفاض بحيث يطأ به كله فهو معتدل الخمص ومعنى رواية مسيح القدمين ان فيهما مع ذلك لينا وملاسة دون تكسر وتشقق *وأما طوله صلى الله عليه وسلم فكان ربعة لكنه الى الطول اقرب كما جاءت به الاحاديث الكثيرة وفي حديث ما يفيد ان هذا ان مشى وحده او مع قصير والا طال على من ماشاه وهو صلى الله عليه وسلم ينسب الى الطول بل لو اكتنفه طويلان طالهما فاذا فارقاه نسب الى الربعة * وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فقد صح عن علي كرم الله وجهه انه كان اذا مشى تكفأ تكفئا كأنما ينحط من صبب وفي رواية عنه كان اذا مشى تقلع والتقلع والانحدار من الصبب قريب اراد به انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه الحالة استعجال ومبادرة بالمشي وهذا هو مراد الناظم بقوله (والمشي) الكائن منه (الهوينا) تصغير الهون وهو السكينة والوقار للتعظيم نحو قول الشاعر

وكل اناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وقد مدح الله من يمشون كذلك فقال عز قائلا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافي ذلك رواية الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ما رأيت اسرع من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث لان عجزهم عن لحوقه ليس لانه كان يجهد نفسه في المشي كما يدل عليه قوله غير مكترث بل لانه كان يبارك له في مشيه كما يدل عليه قوله كأن الارض تطوى له فهو مع هون مشيته لا يلحق ومعنى رواية ذريع المشي اي واسع الخطوة وقال ابن القيم في رواية كان اذا مشى تقلع والتقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية أولي العزم والهمة وهي أعدل المشيات وأروحها للاعضاء فكثير من الناس من يمشي دفعة واحدة كانه خشبة محمولة فهي مذمومة كالمشي بالانزعاج كالجمل الاهوج وهذه تدل على قلة عقل صاحبها لاسيما اذا أكثر فيها الالتفات وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى مع أصحابه قدمهم أمامه وقال خلوا ظهري للملائكة وكان اذا مشى في قمر أو شمس لا يظهر له ظل ويسره قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا وأما لونه صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور اصحابه بالبياض كما صح عنهم من طرق متعددة ولا ينافيه رواية مشرب بحمرة لانه مع ذلك يسمى ابيض نعم قد ينافيها رواية ابيض شديد البياض الا أن يحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط وما عداه شديد البياض كما تدل عليه رواية فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة وعلى الوجه يحمل رواية امهق اي أسمر ليس بأبيض وقول عياض

(قوله بمجرد نزول المني) عبارة ابن علان في شرحه للخصائص ويجوز بعضهم عليهم الاحتلام الناشئ من امتلاء البدن وترك الجماع لانه امر طبيعي ليس للشيطان فيه مدخل وفي قوله من امتلاء البدن نظر اذ الانبياء حاشاهم ان يملؤا أجوافهم وقد علمت قول الشارح قريبا كان على غاية من تقليل الغذاء وبقية الانبياء مثله في ذلك كما هو اللائق بمقامهم عليهم الصلاة والسلام (قوله تصغير الهون) والهونى تأنيث الاهون كقولك الاكبر والكبرى وفي الحديث المسلمون هينون لينون قال ابن الاعرابي العرب تمدح بالهين اللين مخففا وتذم بالهين اللين مثقلا وقال غيره هما شيء واحد والاصل فيه التثقيل فخفف اهـ من الهروي في غريبه قال البيضاوي عند قوله يمشون على الارض هونا هينين أو مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى يمشون بسكينة وتواضع (قوله الخطوة) بضم الخاء ما بين القدمين واما بفتحها فنقل القدم (قوله قدمهم أمامه) لعله غالبا بدليل قوله قبل لان عجزهم عن لحوقه اذ هو ظاهر في مشيهم خلفه

رحمه الله تعالى انها وهم غير صحيح وكذا رواية ليس بالابيض ولا بالآدم اى وقول عياض
ان هذه ليست بصواب مردود بأن المراد ليس شديد البياض ولا شديد الادمة وانما
يخالط بياضه حمرة والعرب تطلق على من هو كذلك انه اسمر الوارد فى رواية وتوافقها
رواية ابيض بياضه الى السمرة وفى رواية اسمر الى البياض او المراد انه صلى الله عليه
وسلم كان تحصل له السمرة اذا سافر لتأثره من الشمس وتظليل الغمام وغيره له انما كان
ارهاصا كما مر وقد انقضى وقته وذهب بعض المالكية الى أن من زعم انه صلى الله عليه
وسلم كان أسود كفر وفى رواية يقتل اى لان السواد يشعر بالنقص *وأما طيب ريحه صلى
الله عليه وسلم وعرقه وفضلاته فكان فى ذلك الغاية العليا وان لم يمس طيبا كما صح عن انس
وغيره وروى ابو يعلى والطبرانى ان رجلا استعان به فى تجهيز ابنته فاستدعى صلى الله عليه
وسلم بقارورة وسلت فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم أهل
المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين ومر انه كان اذا مر بطريق فمر الناس منه
وجدوا رائحته وعرفوا بذلك انه مر منه وحديث خلق الورد من عرقه أو من عرق
جبريل أو من عرق البراق موضوع وجاء من وجه غريب ان ما كان يخرج منه صلى الله
عليه وسلم تبتلعه الارض وايده الحافظ عبد الغنى بان أحدا من الصحابة لم يذكر انه رآه
بخلاف البول فانهم كانوا يستشفون به كدمه صلى الله عليه وسلم ومن ثم اختار جماعة
من أئمتنا رضى الله تعالى عنهم طهارة جميع فضلاته صلى الله عليه وسلم (و) اما (نومه)
فهو (الاغفاء) أى أخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عن نوم القلب
وغفلته المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء عليهم الصلاة
والسلام كان تنام عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض
وضوءه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه صلى الله عليه وسلم ويقظته ودوام شهوده لربه عز
وجل ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدرى ما هو فيه ولا ينافيه نومه
صلى الله عليه وسلم بالوادى عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة
العين والقلب انما يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهى نائمة والقلب
يقظان وكانه انما لم يدرك مرور الوقت الطويل فانه صلى الله عليه وسلم نام قبل الفجر الى
ان حميت الشمس لانه صلى الله عليه وسلم كان مستغرقا فى شهود ربه وما يفيضه عليه من
معارفه وانما لم ينبه على ذلك ليقع التشريع بتلك الاحكام الكثيرة جدا التى استفيدت
من تلك الواقعة كسهوه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وقيل كان له نوم ينام فيه قلبه أيضا
وهو الذى كان حينئذ وردوه بانه لم يثبت فهو مردود على قائله كتأويل بعضهم قوله صلى
الله عليه وسلم لا ينام قلبى بما يخرجه عن ظاهره من غير دليل واذ قد انتهى الكلام على شئ
من محاسن ذاته صلى الله عليه وسلم التى لم يخلق الله تعالى ذاتا أشرف منها فلنذكر شيأ مما
يتعلق بمحاسن أخلاقه وصفاته التى لم يخلق الله تعالى أشرف منها أيضا فنقول (ماسوى)

(قوله موضوع) قال السيوطى
فى حسن المحاضرة ما ورد فى الورد
رويت فيه أحاديث كلها موضوعة
منها حديث على رضى الله تعالى
عنه مرفوعا لما أسرى بى الى
السماء سقط الى الارض من عرق
فنبت منه الورد فمن أحب أن يشم
رائحتى فليشم الورد أخرجه ابن
عدى فى كامله وحديث أنس
رضى الله تعالى عنه مرفوعا الورد
الابيض خلق من عرقى ليلة
المعراج وخلق الورد الاحمر من
عرق جبريل وخلق الورد الاصفر
من عرق البراق خرجه ابن فارس
فى كتاب الريحان والحديثان
أوردهما ابن الجوزى فى
الموضوعات (قوله تبتلعه الارض)
اى ويشم منه رائحة المسك وكذلك
الانبياء اه من الخصائص
الصغرى للسيوطى (قوله أشرف
منها) بل ولا مساوية لها وكذا
يقال فيما يأتى (قوله وهذا مقتبس
الخ) فيه أن قول ابن عباس ليس
فيه ذكر النسيم فلا يظهر الاقتباس
ويجاب بأن الريح فى كلامه أل
فيه للاستغراق فيشمل سائر
أقسامه ومنها النسيم الصبا وفيه
أيضا ان المشبه فى كلام ابن عباس
الجود لا الخلق وقد يجاب بأن
الجود من ثمرات الخلق الحسن
فاذا شبه الفرع بالنسيم فالاصل
أولى

أى ليس غير (خلقه النسيم) أى الريح التى فى غاية اللطافة واللين والطيب يعنى لا يشبهها خلق أحد الا خلقه الكريم العظيم وهذا مقتبس من قول ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ثم قال أيضا فلرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة فان قلت صريح هذا ان خلقه صلى الله عليه وسلم أفضل من النسيم بل لا نسبة بينهما فكيف هذا التشبيه المؤذن بشرفها عليه صلى الله عليه وسلم قلت هذا الايذان انما هو باعتبار الغالب والا فقد يشبه الافضل بالمفضول لنكتة كما فى قوله كما صليت على ابراهيم الخ فكذا هنا تشبيهه بها البليغ انما هو باعتبار ما فيها مما يقيت الروح ويحيى القلب ويجلو صدأ النفس وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به وانما قلت لا يشبهها الخ لا بين أن هذا المراد من العبارة لا نفى هى به وذلك لان نفى مشابهة غير خلقه صلى الله عليه وسلم لها لا يفيد انه لا يشبهها الا خلقه صلى الله عليه وسلم لان هذا الحصر لا دليل عليه فى الكلام بل صريح كلام الراغب انه لا مفهوم للنفى بغير وعبارة غير تقال على أوجه الاول ان تكون للنفى المجرد من غير اثبات معنى به نحو مررت برجل غير قائم وقال تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال تعالى وهو فى الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسيأتى فى شرح قوله وما سواى هو العاصى ماله بما هنا تعلق فاستحضره والخلق بضم فضم أو سكون قال الراغب هو والمفتوح فى الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيآت والصور المبصرة والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة ثم قيل المضموم غريزة لخبر البخارى ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم والحق ان أصله غريزى وتمامه مكتسب لما صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله و رسوله الحلم والاناة قال يارسول الله قديما كانا فى أم حديثا قال قديما قال الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله و رسوله فترديده السؤال وتقرير النبى صلى الله عليه وسلم له على ذلك يدل على ان بعضه غريزى وبعضه مكتسب ويدل له أيضا الحديث الصحيح اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وما صح انه كان يقول فى دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق فانه لا يهدى لاحسنها الا أنت فهو جبلة فى نوع الانسان وهم متفاوتون فيه فمن عدم حسنه أو كماله أمر بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة يسهل على ذويها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد ولا يحيط به عد أثنى الله تعالى عليه فى كتابه العزيز فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظم وزاد فى المدحة باتيانه بعلى المشعرة بانه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالى الاخلاق واستولى عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره و وصف بالعظم دون الكريم الغالب فى وصفه به لان كرمه يراد به السماحة والدماثة وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عنده غاية

(قوله المرسلة) اى المطلقة يعنى انه فى الاسراع بالخير أسرع من الريح وعبر بالمرسلة اشارة الى دوام هبوبها بالرحمة والى عموم النفع بخيره كما تم الريح المرسلة (قوله وانما قلت الخ) يعنى جميع ما ترتب عليه وانما قلت يعنى الخ لان اصطلاحهم فى التفسير انه اذا كان المعنى لا يحتاج لعناية بأن أفاده جوهر اللفظ عبروا بأى والا عبروا بيعنى (قوله لا يفيد الخ) بل ولا يفيد أصل مشابهة خلقه لها على ما نقله عن الراغب فاذا قلت ما مررت برجل غير قائم لا يستفاد مرورك بقائم فضلا عن حصر مرورك به فتدبر (قوله بمعنى واحد) كالشرب والشرب (قوله قال للاشج) لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك لاثر فى وجهه واسمه المنذر بن عائذ (قوله والاناة) بزنة قناة أى التثبت وترك العجلة (قوله والدماثة) الدماثة سهولة الخلق انتهى قاموس

الرحمة للمؤمنين كان عنده غاية الغلظة والشدة على غيرهم فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم تكن له همة سوى الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ومن ثم ورد بسند فيه ضعف ان الله بعثنى بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفى رواية الموطا بلاغا بعثت لأتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه ومن ثم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن قال السهروردى رحمه الله تعالى ونفع به فى عوارفه فى قولها ذلك رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها انتهى وقال بعض العارفين لما كان خلقه صلى الله عليه وسلم أعظم خلق بعثه الله تعالى الى جميع العالمين وعلم من كلام عائشة رضى الله تعالى عنها ان كمالات خلقه صلى الله عليه وسلم لاتتناهى كما ان معانى القرآن لاتتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ثم ما انطوى عليه صلى الله عليه وسلم من كريم الاخلاق لم يكن باكتساب ورياضة وانما كان فى أصل خلقته بالجود الالهى والامداد الرحمانى الذى لم تزل تشرق أنواره فى قلبه الى ان وصل لاعظم غاية وأنهى نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشأ عن كمال العقل لانه الذى به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة نهو جوهر الانسان ولكن جوهره البصيرة وفى القاموس بعد الاشارة الى الخلاف فى تعريفه والحق انه روحانى به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لايزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى والحديث المشهور أول ما خلق الله العقل قال له أقبل الخ موضوع وعقل نبينا صلى الله عليه وسلم وصل فى الكمال الى غاية لم يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى أبو نعيم وابن عساكر عن وهب انه وجد فى احدى وسبعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال جميع الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة والمتباعدة حتى قاتلوا دونه أهاليهم وهجروا فى رضاه أوطانهم واحبابهم مع انه لم يطلع على سير الماضين ولا تعلم من العقلاء المحدثين وفى هذا ما فى الذى قبله مما مر آنفا (ولاغير محياه) أى وجهه صلى الله عليه وسلم (الروضة الغناء) أى الكثيرة النبات والازهار والثمار أى ليست الروضة الغناء الا وجهه صلى الله عليه وسلم لانه أحسن الخلق وجها كالمر مبسوطا هو (رحمة) وهى عطف وميل نفسانى غايتها التفضل والانعام أى عينها مبالغة أو ذوها وهو خبره قدم واخبر بهذه وبما بعدها بلفظ المصدر اشارة الى انها قد امتزجت بذاته صلى الله عليه وسلم واستحال انفصالها عنه حتى كأنها هو وكانه هى أى ركب منها وطبع عليها وخلق منها (كله) كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين

(قوله خلقه القرآن) أى كان يتخلق بما فيه من محمود الاوصاف ويجتنب ما فيه من ممنوعها ويحتمل ان تريد بقولها القرآن الآيات التى اقتضت الثناء عليه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم انتهى من المنهم للقرطبى (قوله من سبحات الجلال) بضم السين والباء أى عظمته (قوله لانه الذى به الخ) ولذا فضله بعضهم على العلم لانه يدرك به والمعتمد ان العلم أفضل لان الله سبحانه يوصف به ولا يوصف بالعقل (قوله أى ليست الروضة الخ) مقتضى قوله فى نظيره سابقا وانما قلت بعنى الخ ان يقول هنا يعنى ليست الخ (قوله هو رحمة) كان الظاهر عدم تقديره لجعله رحمة خبرا مقدما أى وكله مبتدأ فتأمل

و يجوز نصب رحمة على الحال على انها اسم فاعل أو مفعول لاجله وعلى حذف مضاف
أى ذا رحمة والعالمون قيل الانس والجن وعليه الجمهور وقيل والملائكة وعليه غير واحد
من المحققين و يدل له أيضا قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ونقل الفخر الرازى وغيره الاجماع
على انه لم يرسل للملائكة مردود بل أخذ بعض متأخرى أئمتنا المحققين بظاهر خبر مسلم
وأرسلت الى الخلق كافة كما مر وعلى كل فهو رحمة للمؤمنين بالهداية والامان من القتل
وللكافرين بتأخير العذاب ولسائر الحيوانات لانه بوجهه يستسقى الغمام وبدعائه
ينزل الغيث من السماء فينبت النبات فيكون لها سقيا ورعيا وللمنافق وقال ابن
عباس رضى الله عنه رحمة للبر والفاجر لان كل نبى اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد
صلى الله عليه وسلم أخر من كذبه الى الموت أو الى يوم القيامة واما من صدقه فله الرحمة
فى الدنيا والآخرة فعلم ان ذاته الشريفة رحمة للمؤمن والكافر كما قال تعالى وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم وروى الدارمى والبيهقى حديث انما أنا رحمة مهداة وقال بعضهم
زينه ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمائله رحمة على الخلق وقال آخر الانبياء
خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف هو عين الرحمة
وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما ذلك لمن ادبر واستكبر ولم ينفع فيه
وعظ ولا ارشاد ومن أوصافه تعالى الرحمن والرحيم والجبار والمنتقم وفى الشفاء حكى انه
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت أخشى العاقبة
فامنت ولما شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته يوم أحد قالوا له لو دعوت
عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون
أى اغفر لهم هذا الشئ المخصوص لا مطلقا والا لاسلموا كلهم ذكره ابن حبان وانما دعا
عليهم يوم الخندق بان الله يملأ قبورهم نارا لانهم شغلوه عن الصلاة الوسطى فكان الدعاء
لله لا لحظ نفسه صلى الله عليه وسلم (وحزم) كله أى كل جميع أحواله التى تصدر منه انما
تصدر على غاية من الضبط والقوة والشدة الباطنة والظاهرة لان منشأ ذلك العقل
الكامل وقد مر انه لا أكمل من عقله بل لا مساوى له من نبى ولا ملك (وعزم) كله من عزم
على الشئ قطع به أى جميع ما يفعله بوحى أو اجتهاد وانما يفعله مع امضائه والقطع به من
غير اعراض عنه ومن ثم كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا فعل خيرا لزمه
ادامته كما وقع له ان ناسا شغلوه عن سنة الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها
حينئذ واستمر يصلى ركعتين بعد العصر الى وفاته (ووقار) كله لان الله تعالى ألقى عليه
من المهابة مالا غاية له ومن ثم قال خارجة بن زيد كما رواه أبو داود كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم أوقر الناس فى مجالسه وعن أبى سعيد الخدرى كان اذا جلس فى المسجد احتبى
بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول
ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم وحياء وخير وأمانة

(قوله للمؤمن والكافر) قال ابن علان ولحوق عذاب الكفر بهم ليس من نقصان الرحمة بل لعدم استعدادهم للتأهل لاثرها (قوله وانت فيهم) ان قلت قد عذبهم يوم بدر والنبى فيهم قلت المراد وأنت فيهم مقيم بمكة وتعذيبهم ببدر انما كان بعد خروجه من مكة أو المراد ما كان الله ليعذبهم العذاب الذى طلبوه وهو امطار الحجارة وانت فيهم اهـ من فتح الرحمن لشيخ الاسلام زكريا (قوله مهداة) أى هدية من الله للخلق (قوله وكلامه فصلا) بالصاد المهملة أى بينا ظاهرا ينفصل بين الحق والباطل وفى المواهب بعد فصلا لا نذر ولا هذر ثم ضبط النذر بسكون المعجمة والهذر بفتحها

(قوله كانما على رؤسهم الطير) قال الشارح فى شرح الشمائل وأصل ذلك ان سليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان اذا أمر الطير بان يظلل أصحابه غضوا ابصارهم ولم يتكلموا حتى يسألهم مهابة منه فقيل للقوم اذا سكتوا مهابة

لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم صلى الله عليه وسلم أطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وجاء اليه رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هوّن عليك فانى لست بملك ولا جبار انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم وقال يا أيها الناس انى أوحى الى ان تواضعوا ألا فتواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا وروى أن قيلة بنت مخرمة فى المسجد قاعدا القرفصاء فارتعدت من الفرق رواه أبو داود وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت عينى منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لى صفه ما قدرت واذا كان هذا وهو من أجلاء الصحابة رضى الله تعالى عنهم كذلك فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لولا أنه كان يباسطهم ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويؤانسهم لما قدر أحد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما ألقى الله عليه من المهابة والجلالة وقد خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاشار لجبريل يستشيره فاشار اليه ان تواضع فاختار العبودية (وعصمة) كله أى حفظ يستحيل عليه شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها فى سائر حركاته وسكناته فى باطنه وظاهره سره وعلانيته جده ومزحه ورضاه وغضبه والخلاف فى بعض ذلك لا يعول عليه كيف وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على اتباعه صلى الله عليه وسلم والتأسى به فى كل ما يفعله من قليل وكثير صغير وكبير لم يكن عندهم فى ذلك توقف حتى أعماله صلى الله عليه وسلم فى السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم صلى الله عليه وسلم أولم يعلم ومن تأمل أحوالهم معه استحيا من الله كما قاله الامام المجتهد التقى السبكى ان يخطر له تشكك فى انه معصوم فى كل ما ذكرناه وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون كما ذكر وحكى فى عصمتهم قبل النبوة خلاف ومحله فى غير الجهل بالله تعالى وصفاته أما هذا فهم معصومون منه اجماعا بل لا ينشأ الا على أكمل الاحوال من الايمان بالله تعالى ومعرفته كما ينبغى وحكى فى عصمتهم من الصغائر بعد النبوة خلاف أيضا وهو فى غاية الضعف بل ألزم قائله بخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم ومحله فى غير صغائر الخسة كسرقة لقمة وفى غيرها مما يتعلق بطرق التبليغ أما هذا فهم معصومون منها اجماعا وأما قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فللمفسرين فيه أقوال كثيرة وأحسنها ما جاء عن ترجمان القرآن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وآخرين من صحابة وتابعين ان معناه ووجدك ضالا عما أتاك من معالم النبوة فهداك اليها ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدرى أى قبل الوحى ما الكتاب أى القرآن ولا

كانما على رؤسهم الطير أو من كونهم متلذذين بكلامه وأصل ذلك ان الغراب يقع على رأس البعير يلتقط عنه صغار القراد فيسكن سكون راحة ولذة ولا يحرك رأسه خوفا من طيرانه عنه (قوله القرفصا) مثلث القاف والفاء مقصور والقرفصاء بالضم ممدودان يجلس على أليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه يضعهما على ساقيه أو يجلس على ركبتيه متكئا ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه (قوله وسهوها) فان قلت امتناع الصغيرة والكبيرة سهوا يشكل عليه تسليمه عليه الصلاة والسلام سهوا من ركعتين من الرباعية مع حرمة السلام فى الفرض قبل محله لانه قطع له وهو محرم اتفاقا قلت يمكن ان يقال محل امتناعها سهوا ما لم يترتب على السهو تشريع والا فيقع أو بان المنع من السهو معناه المنع من استدامته لا من ابتدائه أو بان محله فى القول مطلقا وفى الفعل اذا لم يترتب عليه حكم شرعى لانه صلى الله عليه وسلم بعث لبيان المشروعات وقد يشكل تفرقته بين القول والفعل مع ثبوت السهو بالسلام الذى هو قول الا ان يحمل القول على المتعلق بتبليغ الاحكام

(قوله اذ الايمان يطلق عليها حقيقة) أي شرعية والا فهو لغة التصديق (قوله أعباء النبوة الخ) أي المعبر عنها بالاوزار على طريق
التشبيه بجامع المشقة (قوله أو المراد عصمناك) قال البرماوي غفر ذنبه صلى الله عليه وسلم المراد الحجز بينه و بينه بحاجز العصمة
فلا يلابسه أصلا وغفر ذنب غيره الحجز بينه و بينه بحاجز العفو والغفر وهو كلام حسن وقال السيد الصفوي فيما كتبه على
الشفاء وقد سنح لي معنى ليس بابعد من كثير مما ذكروه وهو ان العبد لا يأتي بما هو اللائق بجلال كبريائه الله تعالى ومنه



ما عبد ذلك حق عبادته فسمى هذا القصور بالنسبة الى كمال القرب مجازا ذنبا مبالغة وتخويفا ثم شرفه بتشريف لم يحم حوله أحد وهو ستر ذلك القصور بأن تعد عبادته على الوجه اللائق بجلاله ويجازي عليها كذلك وأي مرتبة فوق ذلك ولا يستبعد تسمية القصور مما هو في كمال القرب ذنبا لشرفه (قوله عفا الله عنك) قال الرازي في شرح أسماء الله الحسنى العفو أبلغ من المغفرة لان الغفران يشعر بالستر والعفو يشعر بالمحو والمحو أبلغ من الستر (قوله من خلاف الاولى) وهو الاذن للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك فالعفو لا يستدعي سبق ذنب بل قال بعض المفسرين ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت في أمري (قوله فاراد اربد) بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الموحدة بعدها دال مهملة هو أخو لبيد ابن ربيعة لامه بعث الله عليه

---

الايمان أي الدعاء اليه أو ولا الفرائض والاحكام اذ الايمان يطلق عليها حقيقة نحو
وما كان الله ليضيع ايمانكم أي صلاتكم الى بيت المقدس كما يصرح به سبب النزول
وما جاء مرفوعا أي وجدك ضالا عن جدك عبد المطلب حتى كاد الجوع يقتلك فردك
اليه أو هو من ضل الماء في اللبن اذا انغمر فيه أي وجدك مغمورا بين كفار مكة فنصرك
عليهم وأما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك فاختلف المفسرون فيه
على أقوال كثيرة منها يبطل الاحتجاج به للقول الساقط السابق آنفا ومن أحسنها ان
المعنى خففنا عنك أعباء النبوة التي اثقلت حقوقها والقيام بموجباتها ظهرك حتى كاد
ان يكون له نقيض أي صوت أو المراد عصمناك من الوزر الذي لو تحملته صوت ظهرك من
ثقله فسمى العصمة وضعا مجازا ورفعنا عنك أوزار امتك التي اثقل ظهرك خوف غائلتها
حتى أمنك الله ذلك في العاجل بقوله عز وجل قالا وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
وأعطاك الشفاعة فيهم في الآجل وأما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فاختلفوا فيه كذلك وأحسن ما فيه أيضا قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انك
مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان أو المراد بالذنب ذنوب أمته على وزان ما مر أو ترك
الاولى والاحرى كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وعليه قوله تعالى عفا الله عنك
لم أذنت لهم أي محا عنك ما ارتكبته من خلاف الاولى ووقع لبعض مشاهير المفسرين
في بعض هذه الآيات ما لا ينبغي من التساهل وسوء الادب فاحذره وحفظ أيضا صلى الله
عليه وسلم من أعدائه الحريصين على قتله فكان أصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك
من الناس فاخرج صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال يا أيها الناس انصرفوا عني
فقد عصمني ربي وتواعد جماعة على قتله فلما هموا به سمعوا صوتا مهولا فغشي عليهم ثم
تواعدوا مرة أخرى فلما رأوه جاءت الصفا والمروة فحالتا بينه وبينهم وواعد أبو سفيان
قريشا ان رآه ليطأن عنقه فاعلموه به فذهب اليه فولى هاربا فسئل فقال لما دنوت منه
أشرفت على خندق مملوء نارا فكدت أهوي فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة
قال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ووفد عليه عامر بن
الطفيل وأربد بن قيس ليقتلاه فشغله عامر فاراد أربد قتله فلم ير الا عامرا (وحماه) كما

---

صاعقة فاحرقته كافرا ولبيد صحابي كما في مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر ابن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من بني سلول فجعل يقول يا بني عامر أغدة
كغدة البكر في بيت من بني سلول ثم خرج أصحابه حتى واروه بالتراب ثم قدموا أرض بني عامر فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا
ما وراءك يا اربد قال لا شيء والله لقد دعانا الى عبادة شيء لوددت انه عندي الآن فارميه بالنبل حتى اقتله فخرج بعد مقالته بيوم
أو يومين معه جمل يبيعه فارسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فاحرقتهما انتهى من سيرة ابن سيد الناس

كما يصرح به خبر البخارى عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء أى البكر فى خدرها قيل ذكره من باب التتميم لان العذراء فى خدرها يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه لان الخلوة مظنة وقوع الفعل بها وقيل الظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها فى خدرها لا حيث تكون وحدها فيه والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق من الحياة وكذا الحيا المقصور وهو المطر وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفه وهو اقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام ان يقول لهم انصرفوا ومن ثم كان لا يواجه أحدا بما يكرهه بل اذا بلغه عن أحد شئ قال ما بال اقوام ولم يقل ما بال فلان قالت عائشة رضى الله عنها ما رأيت منه ولا رأى منى ومنها حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب فى غيبة محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحيى منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه ان رضيت بالنقص أو قنعت بالدون حتى كان له نفسين يستحيى باحداهما من الاخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتى الا بخير والحياء من الايمان رواهما البخارى وجعل من الايمان مع أنه غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم فالحياء المكتسب هو الذى جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزى غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين فكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها ومر ان عقله صلى الله عليه وسلم أوسع العقول ولذلك اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يحد فمن ذلك اتساع خلقه العظيم فى الحلم والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره لاسيما فى الشدائد حتى انه (لا تحل الباساء) أى الشدة وان أفرطت لاسيما فى الحروب وقد استعرت نيرانها واصطلت عقول شجعانها (منه) متعلق بما بعده من المضاف أو المضاف اليه أو يحل (عرا الصبر) وهو حبس النفس على ما تكره أى أسبابه من الحلم والعفو والصفح والشجاعة المشبهة فى اشتمالها على من قامت به حتى منعته من وقوع بادرة منه عند ثوران نار الغضب بحبال ربطت على شئ واحكمت فى عراها فتمسكت عليه ولم يمكن حلها ولا نقضها فذكر العرا استعارة تخييلية وتشبيه الصبر بالثوب السابغ ذى الازرار والعرا المحكمة استعارة بالكناية وذكر لا تحل ترشيح وحسبك صبره صلى الله عليه وسلم على من حاربوه فى يوم أحد فى أشد ما نالوه به من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف وشق ذلك على اصحابه فقالوا يا رسول

---

الخدر ناحية فى البيت يترك عليها ستر فتكون فيه الجارية البكر (قوله وجعل من الايمان الخ) قال ابن قتيبة معنى هذا الحديث ان الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصى كما يمنع الايمان فجاز ان يسمى ايمانا لان العرب تسمى الشئ باسم ما قام مقامه أو كان شبيها به (قوله وقد استعرت نيرانها) قال فى المختار سعر النار والحرب هيجها وبابه قطع ثم قال واسعرت النار وسعرت توقدت والسعير النار (قوله واصطلت) الاصطلام الاستئصال قال فى القاموس اصطلمه استأصله (قوله عرا الصبر) الصبر له ثلاث درجات ترك الشكوى الى غير الله وهى للتائبين والرضا بالقضاء وهى للزاهدين ومحبة ما يصنع الرب به وهى للصديقين (قوله من وقوع بادرة) قال فى المختار البادرة الحدة بدرت منه بوادر غضب أى خطأ وسقطات عند ما احتد (قوله فذكر العرا الخ) أى وذكر الحل ترشيح (قوله وتشبيه الصبر) لعل الواو بمعنى أو أى اما ان تشبه الاسباب المعبر عنها بالصبر أو تشبه نفس الصبر فتأمل وذكر الحل ترشيح والعرا تخييل (قوله من كسر رباعيته) هذا ما قبل نزول آية العصمة وهى والله يعصمك من الناس لان سورة المائدة آخر ما نزل من القرآن أو المراد العصمة من القتل

الله لودعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومي أو اهد قومي فانهم لا يعلمون أي لا تعاجلهم بالعقوبة من أجلي فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم في ذلك من أنواع العذاب وأصناف العقاب ۞ وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال بأبي وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر اللهم املأ قبورهم نارا الان الحق لله تعالى وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله امتثالا لقوله سبحانه وتعالى له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم في اماكن متعددة لاسباب مختلفة لكن مرجعها الى انه صلى الله عليه وسلم لم يغضب لنفسه بل لربه عز وجل وقد صح عن زيد بن سعنة بمهملة ونون مفتوحتين وهو من اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف به لان اخالطه فأعرف حلمه فابتعت منه تمرا الى أجل فأعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلاثة اتيته فأخذت بمجامع ردائه وقميصه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر اي عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنتين وذكرهما وقد عرفتهما فأشهدك أني قد اسلمت ۞ وروى ابو داود ان اعرابيا جاء اليه فجذبه بردائه وكان خشنا حتى اثر في عنقه الشريف وقال له احملني على بعيري هذين فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا وأستغفر الله وكررها ثلاثا حتى تقيدني في جذبتك التي جذبتني كل ذلك والاعرابي يقول له لا اقيدك ابدا ثم امر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا ۞ وروى البخاري ان اعرابيا جذبه حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فضحك ثم امر له بعطاء ۞ وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أي لم يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا ۞ وروى البخاري أن رجلا استأذن عليه فلما رآه قال بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس اليه ألان له القول وانبسط اليه

فلما

(قوله ان انتهكت) الانتهاك المبالغة في خرق محارم الشرع واتيانها (قوله يسبق حلمه جهله) الاولى جهل من جهل عليه لانه صلى الله عليه وسلم لا جهل له أو يقول يسبق حلمه الجهل تأمل ورأيت في نسخة بدل جهله غضبه ويؤيد هذه النسخة ما سيأتي قبيل قوله وسع العالمين من تصريح الشارح عند الاشارة لهذه القصة بقوله غضبه (قوله فرقه) أي خوفه (قوله فجذبه) قال النووي في الجذب والجبذ لغتان التحرير الجذب والجبذ لغتان بمعنى وهو مد الشيء اليك يقال جذب وجبذ واجتذب (قوله وكررها ثلاثا) وقال المال مال الله وأنا عبده (قوله حتى تقيدني) أي تمكنني من القود (قوله لا أقيدك أبدا) سيأتي في الشرح انه صلى الله عليه وسلم قال له لم فقال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك صلى الله عليه وسلم ثم أمر الخ (قوله فحاشا) اي منسوبا للفحش فليس للمبالغة بل للنسب على حد قوله

وليس بذي سيف وليس بنبال

اي ذي نبل

فلما مضى سألته عائشة رضى الله تعالى عنها عما قال وعما فعل فقال صلى الله عليه وسلم متى
عهدتنى فحاشا والعشيرة القبيلة وانبساطه اليه تألفه لانه رئيس قومه وتعليم للامة
وفيه جواز المداراة اتقاء الشر وهى بذل الدنيا لصلاح الدين أو الدنيا أو هما بخلاف
المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن
عشرته ولم يمدحه فكان قوله فيه حقا وفعله معه حسن عشرة وهذا الرجل بين بعضهم انه
عيينة بن حصن الفزارى وقد كانت منه أمور فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد
موته تدل على ضعف ايمانه بل ارتد فى زمن الصديق وحارب ثم أسلم فى زمن عمر رضى الله
عنه فما قاله صلى الله عليه وسلم فيه من علامات النبوة ولا ينافى ما مر انه لم ينتقم لنفسه
أمره بقتل عقبة بن أبى معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه
وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى فأيس من ايمانهم ومن ثم لما طمع فى
ايمان المنافقين أمهلهم مع شدة ايذائهم له بما لا يصبر عليه بشر وصبره على من أعلم بعدم
ايمانه للمصلحة العامة كما أشار لذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له اقتلهم لا تتحدث
الناس ان محمدا يقتل أصحابه وصح عن أنس كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود
الناس وأشجع الناس وان أهل المدينة فزعوا ليلة فخرجوا فرأوه راجعا من جهة
الصوت متقلدا سيفه على فرس لابى طلحة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لن تراعوا ما رأينا
من باس وصارع صلى الله عليه وسلم ابطالا معروفين بانهم لم يصرعوا فصرعهم صلى الله
عليه وسلم وفى البخارى عن البراء بن عازب انه قيل له أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة وانا لما حملنا
عليهم انكشفوا فأكببنا على المغانم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحرث آخذ بزمامها وهو صلى الله عليه
وسلم يقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وثباته حينئذ نهاية الشجاعة كيف وقد فر
جيشه عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر رجلا فوقف صلى الله عليه وسلم فى نحو ألوف مؤلفة
على بغلة لا تصلح لكر ولا فر وهو صلى الله عليه وسلم مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه
باسمه ليعرفه من جهله ومن ثم قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم كنا اذا احمر البأس اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم أى جعلناه بيننا وبين العدو وقمنا خلفه محتمين به ولما قال
اللعين أبى بن خلف يوم أحد أين محمد لا نجوت ان نجا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من
الحرث بن الصمة وقال لاصحابه بعد أن أرادوا التعرض له خلوا سبيله فطعنه فى عنقه طعنة
كان فيها انفلات نفسه الخبيثة اللعينة (ولا تستخفه) أى لا تخرجه عن ثباته وتواضعه
ووقاره (السراء) أى الرخاء والسعة فى الجيوش والفتوح التى مضها فى أواخر حياته
صلى الله عليه وسلم بل هو معها كهو قبلها لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن ثم لما
دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح فى تلك الجيوش الهائلة التى لما رآها أبو سفيان

(قوله وفيه جواز الخ) وفيه أيضا جواز غيبة الفاسق المعلن بفسقه ومن يحتاج الناس الى التحذير منه اه شرح مسلم وفى الحديث رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس اه وهى ان تلاينهم ولا تنفرهم عن نفسك وأصله من دريت الصيد اذا استترت عنه بشئ ثم ترميه لئلا ينفر ولا يعارض ذلك أمره بالاغلاظ على الكفار وبعثه بالسيف لانه أمر بالمداراة أولا فان لم يفد فالاغلاظ فان لم يفد فالسيف كما ذكره المناوى فى شرح الخصائص (قوله لا تتحدث الناس) جواب قوله لا اقتلهم فتتحدث الناس الخ (قوله اذا احمر الباس) احمرار الباس كناية عن اشتداد الحرب (قوله فطعنه فى عنقه) ولم يخرج من طعنته دم فرجع الى قومه وجعل يقول قد كان قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى وحكى عنه انه قال لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا جميعا قال فى الصحاح وذو المجاز موضع بمنى كان به سوق فى الجاهلية

قال للعباس لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكا عظيما فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها النبوة قال نعم وهو صلى الله عليه وسلم على ناقته القصواء في كتيبته الخضراء بين أبي بكر وأسيد بن حضير وجاء انه وضع رأسه تواضعا لله تعالى لما رأى ما أكرمه الله تعالى به من الفتح حتى ان رأسه ليكاد يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته اذ أحل له بلده ولم يحله لاحد قبله وانما اتصف صلى الله عليه وسلم بهذه الكمالات التي لم توجد في غيره لانه صلى الله عليه وسلم (كرمت نفسه) لان الله تعالى لما أراد ايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية في حضرته الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه كمال حكمه وسبق في ارادته وعلمه ثم أعلمه الله تعالى بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته وبانه نبي الانبياء وواسطة جميع الاصفياء وأبوه آدم بين الروح والجسد بل ولا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر بمداها في عالمها المتقدم على عالم الاشباح وكان هو الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس فهو صلى الله عليه وسلم وان تاخر وجود جسمه متميز عن العوالم كلها برفعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمداني ومحتد نفوذ الامداد الرحماني (ق) بسبب كرامة نفسه صلى الله عليه وسلم وتنزيهها عن كل رذيلة ونقيصة (ما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء) كيف وقلبه قد طهره الله تعالى بشق الملائكة المرات المتعددة عند تنقله في الاطوار المختلفة كما مر بيانه واخراج ما فيه مما جبل عليه النوع الانساني مما يقتضي ذلك ثم طهر وغسل وحشي من الحكم والعلوم ما لا يحيط به الا الآتي به عليه صلى الله عليه وسلم وذكر الفحشاء مع العلم بانتفائها بالاولى مع انتفاء السوء لانها السوء الذي جاوز حده لان المقام مقام اطناب واذا تاملت ما آتاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مما مر من تلك الكمالات التي لا تحد ولا تعد علمت انه قد (عظمت نعمة الاله عليه) عظمة قطعت سائر الخلق عن ان يصل أحد منهم الى مبادي غاياتها ومقاصد نهاياتها (ف) بسبب هذه العظمة المذكورة (استقلت لذكره) أي عند أو وقت ذكر ما أنعم الله به عليه ونظيره أقم الصلاة لذكرى (العظماء) أي جميع ما أنعم الله به عليهم لانه صلى الله عليه وسلم أوتي غايات الكمالات الباهرة التي لا يدرك شأوها مخلوق ولو عرض معها على ذوي العقول الكاملة جميع النعم والفضائل التي أوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها دون كمالاته وقطعوا بان ما عنده أعظم وأجل وأفخم وأعدت ضمير ذكره وجعلت العظماء على ما ذكرته لان المتن صريح في ذلك باعتبار انه فرع الاستقلال على عظم النعمة وحذرا من انه لو أفعل ذلك لاوهم ذكر الاستقلال على ما هو المتبادر منه عرفا الاحتقار للعظماء الشامل لبقية الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين لاسيما وقد استعمله الناظم فيه بعد بيتين حيث قال مستقل دنياك ولا نظر مع ذلك الى قبول ذلك الايهام للمنع بان يقال استقلال الشيء عده قليلا حتى في العرف ولا شك ان ما عداه صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه

(قوله في كتيبته الخضراء) الكتيبة الجيش كما في اللغة (قوله ونظيره الخ) اى في كون اللام للتاقيت اى وقت ذكرى وهي مواقيت الصلاة كذا في البيضاوي وذكر رضي الله عنه ان لها معنى آخر وهو العلية حيث قال اى لتذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لان اذكرك بالثناء أو لذكري خاصة لا تراني بها ولا تشوبها بذكر غيري (قوله لذكرى) ومثله أقم الصلاة لدلوك الشمس وقولهم لثلاث خلون

كنسبة القليل الى الكثير فان قلت يلزم على تسليم ذلك الايهام ان الاحتقار متبادر حتى على ماذكرته لان اضافة استقلال الى النعم توهم احتقارها وهو محذور أيضا قلت ممنوع لان النعم الواصلة للعظيم وغيره توصف بالقلة تارة والكثرة أخرى فلم يوهم ذكر الاستقلال فيها احتقارا أصلا بخلاف الذوات فان وصفها بانها استقلت يوهم احتقارها اذلا يستعمل الاستقلال فيها الا بهذا المعنى غالبا نعم قرينة المقام لاسيما مع مراعاة وصفهم بالعظمة تدفع ذلك الايهام كما هو جلي وبين عظمت والعظماء تجنيس الاشتقاق وكان صلى الله عليه وسلم من الحلم على من آذاه وزيادة الاحتمال لاعدائه وفرط الحلم عليهم والاغضاء عنهم بالغاية التي لم يصل اليها غيره ومن ثم قال (جهلت قومه) أي قريش وغيرهم (عليه) أي آذوه أذى لا يطاق فضربوه وخنقوه واغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ورجموه بالحجارة الى ان أدموا رجله فسال منها الدم على نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا الاجله بني هاشم وبني المطلب في شعبهم سنين حتى كادوا أن يهلكوا من الجوع كما مر جميع ذلك وفي رواية البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال صلى الله عليه وسلم لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر من ذهابه الى ثقيف فاغروا به سفهاءهم وصبيانهم فضربوه ورجموه (فاغضى) عنهم حلما وتكرما سيما وقد جاءه لما ان اشتد ايذاؤهم له ملك الجبال كما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة السابق آنفا فانه قال بعد ان ذكر ما آذاه به ثقيف لما خرج اليهم بعد موت أبي طالب يدعوهم الى الله تعالى ويستنصر بهم على قريش فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب أي ميقات أهل الحجاز فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتأمرني بامرك ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ وكان الامر كما رجا صلى الله عليه وسلم (واخو الحلم) اي التأني في الامور وعدم الانتقام ممن أتى بمكروه وان عظم أي الذي طبع عليه حتى صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه (دأبه) أي شأنه وعادته المستمر هو عليها (الاغضاء) أي التغافل عن ان يلتفت الى انه اوذي فضلا عن ان ينتقم ممن آذاه وفي كلامه المقابلة لما قررته ان المراد بالجهل لازمه من ايذائه بما لا يطاق ومن ثم لما آذوه يوم أحد بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له ادع عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون أي علما ينتفعون به اما لجهلهم أي اعتقادهم الشئ على خلاف ما هو عليه وكثير منهم كانوا كذلك فكانوا

(قوله والجنون) فان قلت ما اصل تهمتهم له صلى الله عليه وسلم بالجنون مع جودة عقلهم ومعرفتهم بان ذلك كذب لم يوجد منه شئ من أنواعه فالجواب انهم تعلقوا بصورة خيالية وهي ما كان يعترضه صلى الله عليه وسلم عند نزول الملائكة من الاستغراق لتلقي الوحي وحمرة وجهه وكثرة غطيطه وعميت قلوبهم عن طلب الفرق بين هذا وبين اغماء الجنون ونزول الشياطين اه خصائص الخيضرى (قوله بقرن الثعالب) قال القاضي قرن الثعالب هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير اه شرح مسلم للنووي (قوله ان اطبق عليهم الاخشبين) هما بفتح الهمزة وبالخاء والشين المعجمتين وهما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله اه شرح مسلم

استغراق بعض أفراد تلك الاجناس فقط ولاصحاب حواشي الكشاف هنا كلام متباين هذا أحسنه وغلب في جمعه بالواو والياء والنون العقلاء اشرفهم وجمع جمع قلة مع ان الظاهر مستدع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم وان كثرت قليلة في جنب عظمة الله تعالى وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذوي العلم وهم الانس والملائكة والجن وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع فهو مشتق من العلم وقيل عني به الناس فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع ولذلك سوى بين النظر فيهما فقال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقد بين حجة الاسلام في كتابه الانتصار لما في الاحياء من الاسرار وجه اشتمال الانسان على نظير ما في العالم بما فيه طول فراجعه فانه بديع ومنها ان العالم انقسم الى عوالم عالم الملك وهو الظاهر للحواس وعالم الملكوت وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف كل عالم منهما والانسان كذلك فالمناسب للاول اجزاء بدنه وللثاني نحو روحه وعقله وارادته وللثالث الادراكات الموجودة في الحواس والقوى الموجودة بأجزاء البدن (علما) تمييز أي وسع علمه صلى الله عليه وسلم علوم العالمين الانس والملائكة والجن لان الله تعالى أطلعه على العالم فعلم علم الاولين والآخرين ما كان وما يكون كما من وحسبك في ذلك القرآن الذي أوتيه صلى الله عليه وسلم ومثله معه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ويلزم من احاطته صلى الله عليه وسلم بالعلوم القرآنية ومثلها الذي أوتيه أيضا انه صلى الله عليه وسلم أحاط بعلوم الاولين والآخرين وأن علومهم مندرجة ومنغمرة في علومه صلى الله عليه وسلم (وحلما) تمييز أي وسع حلمه حلم العالمين باسرهم وكل من صدر منه هفوة في حقه صلى الله عليه وسلم ولا غضب ولا انتصر لنفسه قط كما عرف مما سبق انه ما من حليم قط الا وقد عرفت له زلة أو هفوة تخدش في كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيده شدة الايذاء والجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا وبين حلما وعلما الجناس المضارع (فهو) بسبب جمعه لتلك المعاني التي لم تجتمع لغيره (بحر) أي واسع العلم والحلم وغيرهما من اخلاق نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه بليغ أو استعارة على قول مردود أي كالبحر الذي هو خلاف البر والنهر في بحر الاتساعه وعمقه (لم تعيه) من أعيا فلان في مشيه أي تعب أو وقف (الاعباء) جمع عبء بكسر أوله وبالموحدة والهمز وهو الحمل والثقل من أي شيء كان أي لم يكدر بحر علمه شك ولا شبهة وبحر حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعباء لكدورة المشرب والاعباء للشبه والجهالات واذا تاملت ما تقدم من أوصاف كماله الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذي اندرجت البحار كلها في عموا الحليم والكريم الذي دخل كل كريم وحليم تحت حيطة كرمه وحلمه علمت انه صلى الله عليه وسلم لعصمته عن التلفت لما سوى الله تعالى (مستقل) أي محتقر (دنياك) أي الاموال التي هي من

(قوله وبين علما وحلما الجناس المضارع) لتقارب مخرجي العين والحاء (قوله دنياك) لم يقل دنياه لانه صلى الله عليه وسلم لم ينسبها الى نفسه فقال حبب الي من دنياكم ثلاث ولم يقل من دنياي

جملتها اذهي في الاصل اسم لما بين السماء والارض (ان ينسب الامساك منها اليه أو) ان ينسب اليه أيضا (الاعطاء) منها لانه الفنائها وكثرة الاشتغال بها عن المعالي حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو استحقها احتقارا لشأنها وتعليما للامة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها أشد الاعراض خبر الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بخطابه تعالى والا فهو عالم بالاشياء جملة وتفصيلا وروى الطبراني باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء أفزعته فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل أمر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن أمر اسرافيل ان ينزل اليك حين سمع كلامك فأتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ماذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وأمرني ان أعرض عليك ان أردت ان أسير معك جبال تهامة زمردا أو ياقوتا أو ذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فأومأ اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر الى همته العلية كيف عرضت عليه خزائن الارض فأعرض عنها وأباها مع انه لو أخذها لم ينفقها الا في طاعة الله تعالى لكن اختار العبودية المحضة فيالها من همة شريفة رفيعة ما اسناها ونفس زاكية كريمة ما ابهاها وقد أشار الناظم الى ما هنا بقوله في بردة المديح * وراودته الجبال الشم من ذهب * الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث وكيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وزينتها وهي وما فيها انما خلقت لاجله كما صح به الخبر السابق * (تنبيه) * قوله هنا مستقل الخ أحسن من قوله ثم وأكدت زهده فيها ضرورته لان بعض العلماء أنكر وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد ويؤيده قول محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها واذا أنكر وصفه بالزهد فالضرورة من باب أولى وفي السيف المسلول للتقي السبكي عن الشفاء وأقره أن فقهاء الاندلس أفتوا باراقة دم من وصفه صلى الله عليه وسلم بالفقر في أثناء مناظرته بالتيتم ثم زعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها وذكر البدر الزركشي عن بعض الفقهاء المتأخرين انه كان يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال ولا حاله حال فقير بل كان أغنى الناس بالله تعالى قد كفي أمر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا ان المراد استكانة القلب لا المسكنة التي هي أن لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك اهـ ولو قال لا المسكنة المرادفة للفقر او المقابلة له لكان أنسب بغرضه وأما خبر الفقر فخري وبه افتخر فموضوع وقد صح انه صلى الله عليه



(قوله اسم لما بين السماء والارض) ورجح النووي انها جميع الموجودات الحادثة الكائنة قبل الآخرة والجو والهواء وقيل هي كل موجود قبل الحشر وعليه فالبرزخ من الدنيا وسميت دنيا لدنوها وسبقها الآخرة فهي من الدنو وقيل لدناءتها فهي مأخوذة من الدناءة وجمعها دنا مثل كبرى وكبر وصغرى وصغر (قوله ان ينسب) عبارة ابن عبد الحق اي ان ينسب الامساك منها عن غير المستحق والاعطاء منها للمستحق اي يعد ذلك قليلا بالنسبة لما يمسكه عن غير المستحق ويعطيه للمستحق من العلوم والمعارف والارشاد والدلالة (قوله بطحاء مكة) قال الجوهري الابطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى والجمع الاباطح ومنه بطحاء مكة (قوله سفة من دقيق) قال في المختار وسفة من السويق بالضم اي حبة وقبضة (قوله هدة من السماء) الهدة صوت وقوع الحائط ونحوه والمراد هنا صوت اسرافيل (قوله ولو قال) اي البدر الزركشي وقوله لكان أنسب بغرضه اي لان صدر عبارته يصرح بان كلامه في الفقر لا المسكنة فان حملت على المرادفة للفقر ناسب آخر عبارته صدرها وقوله أو المقابلة له زائد عن الغرض وهو المذكور في قوله انه لا يجد الخ والقول بالمقابلة هو الراجح كما ذكره الفقهاء في بيان الفقير والمسكين عند الكلام على الاصناف الثمانية فليتأمل

وسلم استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنى *(فائدة)* أكثر القرآن يشتمل
على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من
سائر الشرائع كيف وهي عدوة لله تعالى لقطعها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ
خلقها وعدوة لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها
وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فخذلتهم
أحوج ما كانوا اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن حاطب الذي أنزل الله تعالى
فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآيات انه سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يدعو له بان الله تعالى يرزقه مالا فقال صلى الله عليه وسلم قليل تؤدي شكره
خير من كثير لا تطيقه فأعاد السؤال فقال صلى الله عليه وسلم اما لك في اسوة اما ترضى
ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة
لسارت الحديث بطوله وصح انه صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة فقال والذي نفسي
بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند
الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفي الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها
الا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما وصح ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه دعا بشراب فأتي
بماء وعسل فبكى حتى أبكى أصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه فسألوه فقال كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي
تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان
افلت مني لم يفلت مني من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر اخشى
عليكم انما أخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم
فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم *(تنبيهان)* أولهما المراد بالدنيا
المذمومة في الاحاديث وغيرها ما في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين الآية ويجمع ذلك كل ما لك فيه عاجل حظ أو شهوة من غير ان يعين على عمل
اخروي ولا يقصد به *ثانيهما تعارضت الاحاديث في ذم المال ومدحه لانه تعالى مع
ما سبق من ذم الدنيا سمى المال خيرا وفي الحديث نعم المال الصالح للمرء الصالح وكل ما جاء
في ثواب الصدقة والضيافة والاحسان والزكاة والحج ونحوها فهو ثناء على المال لانه
يتوصل به اليه وفي حديث البيهقي وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال وصح
على نزاع فيه ولذلك قال بعض الحفاظ انه حسن وزعم بطلانه غلط اصريح خبر اللهم من
آمن بي وصدقني وعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأقلل ماله وولده وحبب اليه لقاءك
وعجل له القضاء ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك فأكثر
ماله وولده واطل عمره وطرقه كثيرة مختلفة نعم اوهي صحيحة على شرط الشيخين ان أبا ذر

(قوله في قصة ثعلبة) أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع لي ان يرزقني الله مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير
لا تطيقه فراجعه وقال والذي
بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا
لأعطين كل ذي حق حقه فدعا
له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود
حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا
وانقطع عن الجماعة والجمعة
فسأل عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى
لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة
فبعث مصدقين لاخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة
واقرآه الكتاب الذي فيه
الفرائض فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا أخت الجزية فارجعا
حتى أرى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة
بالصدقة فقال ان الله منعني ان
أقبل منك فجعل يحثو التراب
على رأسه فقال هذا جزاء عملك
قد أمرتك فلم تطعني فقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء بها الى أبي بكر فلم يقبلها ثم
جاء بها الى عمر في خلافته فلم
يقبلها وهلك في زمن عثمان اه
بيضاوي وأين هذا من عبد
الرحمن بن عوف فقد روي انه
عليه الصلاة والسلام حث على
الصدقة فجاء عبد الرحمن بن
عوف باربعة آلاف درهم وقال
كان لي ثمانية آلاف فأقرضت
ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما امسكت فبارك الله له
حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم اه بيضاوي

(قوله فأعدّ للفقر تجفافا) قال النووي في شرح مسلم التجفاف بكسر التاء هو ثوب كالجل تلبسه الفرس لتقيه السلاح وجمعه تجافيف وروي جلبابا قال العيني معناه ان ترفض الدنيا وتزهد فيها وتصبر على الفقر والتقلل فكنى بالتجفاف أو الجلباب عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر البدن (قوله فالمال ليس خيرا الخ) هذا كله مع ما تقدم من الآيات والاحاديث مما يرجح القول بتفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر سيما ما تضمنته من اعراضه عن خزائن الارض مع انه سيد الشاكرين فترجيح بعضهم للغني الشاكر يحتاج الى مزيد نظر وقوة دفع وتحقيق جمع (قوله تحقق الخ) حال مؤكدة لاستفادة ما افادته من قوله شمس فضل وصاحب الحال ضميره صلى الله عليه وسلم وسيأتي ذلك في التنبيه في شرح البيت الآتي بعد هذا (قوله من حق بمعنى ثبت) وقال ابن عبد الحق اي صار الظن فيه تحقيقا اهـ ١٥٢ فابقى الظن على حقيقته وجعل مطابقة الواقع مستفادة من تحقق تامل

أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال اني أحبكم أهل البيت فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم الله قال الله قال فأعدّ للفقر تجفافا فان الفقر اسرع الى من يحبنا من السيل من أعلى الاكمة الى أسفلها مع دعائه صلى الله عليه وسلم لخادمه أنس بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان ووجه الجمع ان المدعوّ به في الاول من قلة المال والولد المراد منه قلة فتنتهما الان الغالب فيهما الفتنة كما هو واضح من الآيات والاحاديث وفي الثاني من كثرتهما فالمراد به كثرة فوائدهما وثمراتهما الاخروية فالمال ليس خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف في يد المقاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا أخرى أو كحية في يد انسان فيها سم وترياق ولكن معها أكثر وأغلب وأوحى للنفوس واذهب * واذا تاملت أيضا ما تقرر من كمالاته العلية علمت انه صلى الله عليه وسلم (شمس) سماء العلوم والكمالات بامرها كيف وكل (فضل) تحلى به كل كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك (تحقق) من حق بمعنى ثبت (الظن) يعني الاعتقاد الجازم المطابق للواقع (فيه) أي في ذاته وصفاته (انه) بالنسبة الى بقية الكمل في اشراقه ورفعته عليهم (الشمس) المشرقة على هذا العالم البائنة عنه (رفعة) فلا يصل اليها أحد منهم (و) انه (الضياء) المفيض عليهم اضواء الكمالات وخوارق الامدادات وبين الشمس والضياء تجنيس مراعاة النظير وفيهما التشبيه البليغ أو الاستعارة الاصلية المطلقة على القول الذي مر رده ومر أوائل الكتاب ما للبلغاء في التشبيه بالشمس فراجعه لكن ليس كون المشبه به أعلى من المشبه أمرا مطردا بل قد ينعكس الحال كما في صلاة التشهد كما صليت على ابراهيم على أحد الاجوبة فيه وما هنا من ذلك كما تنبه الناظم رحمه الله تعالى لذلك حيث بين انه صلى الله عليه وسلم أعلى شأنا في الضياء من الشمس فقال عاطفا بفاء

(قوله مراعاة النظير) النظير هو ضم الشيء الى ما يناسبه من أحد الوجوه ومنه قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فالنجم هنا هو النبت الذي لا ساق له لما ذكر الشمس والقمر اختار لفظة النجم على لفظة النبت مراعاة للنظير ويسماه قوم من أهل البديع التوفيق وبيت الصفي شاهده تجار لفظ الى سوق القبول بها من لجة الفكر تهدي جوهر الكلم (قوله على أحد الاجوبة) اعلم انه يحتمل رجوع التشبيه للصلاة على سيدنا محمد وآله فيشكل بان المشبه أعلى من المشبه به والواجب عكس ذلك وأجيب أولا بمنع كون الواجب العكس بل قد يكون المشبه أعلى ومراعى في المشبه به جهة

تكون مصححة التشبيه الاعلى بغيره وهي هنا كون الرحمة والبركة لم يجتمعا لغير ابراهيم وآله فطلب للنبيّ السببية وآله مثلهما زيادة على ما اعطيته مما لم يصل اليه أحد وأجيب ثانيا بالتسليم ويجعل التشبيه راجعا لآل رسول الله دونه ولا شك ان الخليل وآله لكونهم رسلا أفضل من آل النبيّ فالصلاة المتعلقة بهم أفضل من المتعلقة بآله صلى الله عليه وسلم (قوله حيث بين صلى الله عليه وسلم انه أعلى الخ) أي بقوله وقد أثبت الخ وأما قوله فاذا ماضحا الخ فقد يقال انما يظهر به بيان شيء من وجه الشبه أي ان ضوأه يمحو الظل كما ان ضوء الشمس يمحوه وان زاد ضوءه بانه لا يثبت معه ظل بخلاف ضوئها اذا علمت ذلك فكان الظاهر في الحل فبسبب كونه مشبها بالشمس كان شأنه الخ ثم يقول عند قوله وقد يثبت الخ أشار به الى ان المشبه أعلى من المشبه به فتدبر

السببية اشعارا بالنكتة التي ذكرنا انه تنبه لها (ف) بسبب ان المشبه قد يكون أعلى من المشبه به كان شأنه صلى الله عليه وسلم انه (اذاما) لم يتكلم الجمال بن هشام على هذه في المغنى مع أنها في القرآن في غير موضع وتكلم على اذما مع كونها ليست فيه وتكلم على تلك البهاء السبكي في عروس الافراح في أدوات الشرط لكنه لم يتعرض الى ان زيادة ما حولها الى الحرفية أولا قال الجلال السيوطي يحتمل ان يجرى فيها قولا اذما فقول سيبويه انها حرف والمبرد وغيره انها باقية على الظرفية ويحتمل ان يجزم ببقائها على الظرفية لانها أبعد عن التركيب بخلاف اذما انتهى وفيما علل به الجزم نظر لانه قابل للمنع فالذى يتجه جريان الخلاف وان الاصح بقاؤها على الظرفية لان ما تزاد في نحو ذلك كثيرا وحينئذ فيجرى فيها أحكام اذا غير الفجائية من ان الغالب انها ظرف للمستقبل متضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية ولو مقدرة كاذا السماء انشقت وتحتاج لجواب وتقع في الابتداء عكس الفجائية وجوابها ما فعل كما هنا أو جملة اسمية مقرونة بالفاء أو باذا الفجائية نحو اذا هم يستبشرون أو فعلية طلبية كذلك وقد يقدر الجواب لدلالة السياق والمقام عليه ثم المحققون على ان ناصبها شرطها والاكثرون على انه ما في جوابها من فعل أو شبهه ولا تخرج عن الظرفية عند الجمهور وزعم الاخفش في حتى اذا جاؤها انها مجرورة بحتى وابن جنى في اذا وقعت الواقعة بناء على نصب خافضة رافعة ان اذا الاولى مبتدا والثانية خبر والمنصوبان حالان وكذا ليس ومعمولاتها ثم قد تخرج عن الاستقبال فترد للحال نحو والليل اذا يغشى وللماضي نحو واذا رأوا تجارة الآية فانها نزلت بعد الرؤية والانفضاض وعن الشرطية نحو واذا ما غضبوا هم يغفرون فهى ظرف لهم المبتدا وزعم انه جوابها بتقدير فهم غفلة عن ان حذف الفاء ضرورة وان هم تأكيد لواو يغفرون الذى هو جوابها تعسف وان جوابها محذوف تكلف بلا ضرورة وقد تستعمل لاستمرار الازمنة نحو واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد ينظر فيه بأن الاستمرار هنا وفي نظائره التى استدلوا بها انما أخذ من قرينة السياق دون موضوع اذا وتفارق ان اذا في أحكام كثيرة منها ان اذا للمتيقن والمظنون الكثير الوقوع كما هنا في اذاما وان للمشكوك أو الموهوم النادر ولا يرد وائن مت لان الموت لكثرة الغفلة عنه والجهل بوقته نزل منزلة الموهوم ولا نحو واذا مس الانسان الضر لانه لتخويفهم واخبارهم بأنه لابد أن يمسهم شيء من العذاب (ضحى) اى مشى عقب طلوع الشمس وهذا ليس لتقييد الجزاء به اذ محو نوره الظل يكون في هذا الوقت وغيره لكنه في هذا الوقت أظهر لقوة ضياء الشمس وضعف نورها حينئذ (محا نوره) وبين محى وضحى التجنيس اللاحق وهذا والضحاء تجنيس الاشتقاق (الظل) مفعول اى ظل ذاته الكريمة أو مطلق الظل مبالغة بل حقيقة لان نوره صلى الله عليه وسلم أصل نور كل شيء وهو لا يبقى معه ظلمة ومنها الظل أو المراد بالظل كل ضلالة ونقص وبنوره ما جاء به صلى الله عليه وسلم من

(قوله ومعمولاتها) انظر المعمول الثانى لها فانه مع نصب ما ذكر لم يظهر الا معمول واحد وهو الجار والمجرور (قوله اذا يغشى) فالغشيان مقارن لليل (قوله ضحى) بفتح الحاء ويجوز كسرها اى برز للشمس اه ابن عبد الحق وفي القاموس ان الضحو والضحوة والضحية كعشية ارتفاع النهار ثم قال وضحا برز للشمس وكسعى ورضى اصابته الشمس اه ولم نر فيه أن ضحى بمعنى مشى عقب طلوع الشمس كما ذكره الشارح اولا ولا انه مجرد ارتفاع الشمس كما ذكره ثانيا تأمل (قوله اى مشى عقب الخ) سيأتى عن القاموس ان الضحاء بفتح الضاد ما قرب من انتصاف النهار وعليه فكان الظاهر أن يقول هنا اى مشى قرب انتصاف النهار وذلك هو الملائم لقوله بعد لكنه الخ اذ هو وقت قوة ضياء الشمس والا فعقب الطلوع لا قوة له تأمل (قوله اذ محو نوره الخ) اى فاذا حصل محو الظل بذلك النور في ذلك الوقت ففى غيره من باب اولى (قوله تجنيس الاشتقاق) اى ان اريد بالضحاء معنى مصدرى بأن فتحت ضاده وهو قرب انتصاف النهار فان اريد به الشمس بأن ضمت ضاده كان شبه اشتقاق (قوله او مطلق الظل) مع قوله لا يبقى معه ظلمة يقتضى تفسير ضحى بظهوره لا بخصوص مشيه عقب طلوع الشمس

الكتاب والسنة والعلوم والآداب لكن المراد بضحى على هذا مطلق ظهوره فى هذا الكون بأوصافه الكاملة (و) الحال انه (قد أثبت الظلال) جمع ظل وهو ما تنسخه الشمس أو ينسخها هو وأخص منه الفئ لانه اسم لما بعد الزوال من الظل فهو مانسخ الشمس وقيل كل ما نسخته فهو فئ وظل وكل مالم تنسخه فهو ظل لافئ (الضحاء) اى ارتفاع الشمس ومده اضرورة النظم فنبينا صلى الله عليه وسلم أكمل من الشمس رفعة وضوأ لان نورها يثبت الظل ونور نبينا صلى الله عليه وسلم يمحوه ويدل على المعنى الاول ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه اذا مشى فى الشمس لايظهر له ظل لطهارة ذاته عن كل نقص ولان الله تعالى استجاب له دعاءه المشهور انه يجعله كله نورا فكان بدنه فى غاية الاضاءة التى لايحجب ما يقابلها قيل مد الضحاء ضرورة النظم اه وفيه نظر بل الذى فى القاموس ان الممدود مع فتح أوله ماقرب من انتصاف النهار كمامر ثم ذكر ان المقصور الشمس وحينئذ ان أريد بالضحاء الشمس كان مده ضرورة أو قرب انتصاف النهار كان مده صحيحا لاضرورة فيه لكن المراد بضحى على هذا مطلق ظهوره فى هذا الكون بأوصافه الكاملة لكن لايصح ارادة هذا هنا كما هو ظاهر من جعل الناظم جملة وقد الخ حالا من فاعل ضحى *(تنبيه)* لك أن تستشكل تركيب قوله شمس فضل الخ بأن حكمه عليه بأنه شمس الفضل يغنى عن قوله تحقق الظن الخ لانه اذا ثبت أولا انه شمس الفضل الذى هو اسم يصح لكل كمال علم انه الشمس فى الرفعة وانه الضياء فقوله تحقق الخ لاحاجة اليه وجوابه أشرت اليه فى محله من ان جملة تحقق الظن فيه الخ حال مؤكدة لما قبلها وصاحب الحال الضمير العائد عليه صلى الله عليه وسلم اذ مستقل وشمس فضل معطوفان على بحر بحذف حرف العاطف أو يقدر لكل مبتدا استئنافا لتعداد شمائله صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان كلا مستقل كامل فى ذاته ليضمه لبقيته كما مر فى شرح قوله كل وصف له ابتدأت به الخ ولما ورد على ظاهر ماقرره نظرا للاحتمال الثانى من ان نوره صلى الله عليه وسلم يمحو الظل ماسبق له صلى الله عليه وسلم ان الغمامة كانت تظله بأن يقال كيف يمحو نوره الظل والغمامة أظلته فلم يمح نوره ظل الغمامة ولم احتاج اليه مع انه مع الضياء الاعظم من ضياء الشمس فلا يؤثر فيه أشار الى جواب لذلك لكن بما تقصر عنه عبارته بادئ الرأى فقال (فـ) بسبب محو نوره الظل الحسى على ما مر صار صلى الله عليه وسلم هو الظل المعنوى الاعظم على جميع اتباعه حتى (كأن الغمامة) لما أظلته قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا لما سيصير اليه أمره أعلمته بأنها (استودعته) الامة بأسرها لكن أصحابه بلا واسطة وهم الدنقاء ومن بعدهم بواسطة استمداد الاولين من ظله صلى الله عليه وسلم وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل فالذين بواسطتهم (من) اى الذين

(اظلت)

(قوله لايبقى معه ظلة) ان كان المراد الظلمة الحسية كما هو الظاهر لذكره المعنوية بعد توقفت صحة ذلك على ثبوت انه اذا مشى فى ظل حائط مثلا زال بنوره واذا كان ١٥٤ فى ظلمة ليل زالت بنوره وهذا غير بعيد لكنه يحتاج النقل فى ذلك فتأمل (قوله الضحاء بالضم)(٢) ثابت بخط المؤلف وفى نسخة لفظه له بدل قوله بالضم (قوله اى ارتفاع الشمس) لايناسب ضبطه كما فى بعض النسخ بالضم لان المضموم اسم للشمس لا لارتفاعها كما سيأتى وانما الذى هو اسم لارتفاعها فهو بفتح الضاد تأمل والمراد بارتفاع الشمس قرب انتصاف النهار كما سيأتى قريبا عن القاموس فارتفاعها قبل ذلك لايسمى ضحاء فتأمل (قوله كمامر) تأمله فانه لم يذكر هذا المعنى فيما مر وانما ذكر أن معنى ضحى المشى عقب طلوع الشمس وان معنى الضحا ارتفاع الشمس وتقدم مافيه فتدبر (قوله ان المقصور الشمس) اى مع ضم اوله كما علم مما مر ويطلق ايضا على ضوئها ومنه قوله وأخرج ضحاها اى أظهر ضوأها والشمس وضحاها اى ضوئها (قوله كان مده صحيحا) اى مع فتح الضاد كما علم مما مر (قوله ان الغمامة الخ) وكذلك الشجرة وثبت التظليل عليه صلى الله عليه وسلم وقت رميه الجمار وماقيل فى الجواب عن تظليل الغمامة يقال فى الجواب عن تظليل الشجر من الاعلام بعموم ظله واما جواب التظليل وقت الرمى فسيأتى انه كان للتشريع

(٢) قول المحشى الضحاء بالضم ليس فى نسخ الشارح التى بأيدينا النطق بالضم ولاله اه

(أظلت) هم (من) بعض (ظله) الاعظم (الدفقاء) جمع داف كعلماء جمع عالم وهم جموشه سمى الجموش بذلك لانهم يدفون نحو العدو اى يسيرون اليه لدفعه واستئصاله وحاصل الجواب أن ذلك التظليل الذى كان قبل النبوة كان لحكمتين احداهما الارهاص كما تقرر وثانيهما اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤل اليه أمره من أن الله سيجعل له أمة أكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد من القرن الذين قبلهم وان الكل مستمدون وممدون من ظله صلى الله عليه وسلم فسائر القرون مستمدون من أصحابه وأصحابه مستمدون وممدون من ظله وحينئذ فلا تنافى بين شحو نو رد الظل وبقاء الظل مع نوره عند تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم لان المحو هو الاصل المستمر والبقاء انما كان على خلاف الاصل للحكمتين المذكورتين احداهما الارهاص والثانية الاعلام له بعموم ظله المعنوى على الامة من أولهم الى آخرهم فتأمل ذلك فانه سهم بل انغلق معنى هذا البيت على الشارح فقال انه وجد هذا البيت فى نسخة وانه غير مفهوم المعنى وسبب انغلاقه عليه جعل الضمير المفعول فى استودعته للظل لا يقال بل ما قاله من رجوعه للظل يتضح به المعنى لكن ان جعلنا الدفقاء الطيور ويكون فى البيت حينئذ التلميح الى قصة هى ان الطيور كانت تظل الانبياء قبله كداود وسليمان بل بنى اسرائيل كما قال سبحانه وظللنا عليهم الغمام وحينئذ فكأنه يقول للغمامة لما أظلته استودعت الظل للانبياء الذين أظلتهم الطيور من ظله لانا نقول هذا المعنى لا يطابق اللفظ سلمناه مع ما فيه من البعد والتكلف فوزن دفقاء فعلاء وهو انما يكون جمع الفعيل اذا كان وصف ذكر عاقل بشروط أخر أو للمبادل على سجية مدح أو ذم بشروط أخر كشجاع وشجعاء وصالح وصلحاء وشاعر وشعراء وجاهل وجهلاء فعلم أنه لا يصح حمله على الطيور أصلا لانه انما يكون جمع الصفة عاقل مذكر أو سجية مدح أو ذم بشرطهما على أن الذى سمع فى الطيور دفوف فى العقاب وفعلاء لا تجمع عليه أصلا وداف فيما يطير بجناحيه ولا يصف وهو وصف لغير عاقل ودفيف وهو ليس وصفا للطائر بل لحركته وبتسليم أنه وصف له هو غير عاقل فان قلت

(قوله استودعته) يقال استودعت فلانا وديعة استحفظته عليها والمراد هنا استحفظت النبى الامة اى جعلته حافظا لها لكونه الظل المعنوى الاعظم الواقى لسائر اتباعه يعنى أن بقاء الظل الحسى اشارة الى بقاء ظله المعنوى تأمل (قوله احداهما الارهاص) اى الاستعجال اى عجل له ما يسمى معجزة بعد النبوة أو من أرهصه الله اى جعله معدنا للكل خير يعنى اعلاما بجعله معدنا الخ (قوله وثانيهما اعلامه الخ) ذكر الشارح المالكى لتظليل الغمام معنى لطيفا هو ان الشمس لما بهرت وقت سلطان ضوئها انجلت أن تقابل النور الاصلى الذى هو أعلى من نورها واصل له فأسدلت حجابا بينها وبينه حياء منه وهو الغمامة فنزلت منزلة عاقل أعطى التصرف فى السحاب لارسال قطعة منه حاملة لما ذكر (قوله سيجعل له أمة الخ) الذى يظهر فى الجواب هو قوله وان الكل مستمدون الخ وأما كون أمته أكثر الامم فليس فى المتن ما يفيده فتدبر (قوله للظل) اى الحسى لا للنبى الذى هو الظل المعنوى كما سبق (قوله من رجوعه الخ) اى ويراد بمن أظلت الانبياء كما أشار لذلك بقوله كانت تظل الانبياء (قوله وظللنا عليهم الغمام) هذا فى سورة الاعراف والآية التى فى البقرة عليكم الغمام وقد ذكر المفسرون ان الغمام السحاب فلا يظهر جعل الشارح ذلك دليلا لتظليل الطير لهم فتأمل فكان الظاهر حذف قوله بل بنى اسرائيل ودليله لان المقام لا يناسب ذلك كما لا يخفى (قوله لا يطابق الخ) لان الانبياء لم يكونوا موجودين وقت تظليلها فكيف تجعلهم حافظين له أو تجعله حافظا لهم (قوله أو للمبادل على سجية الخ) ربما يقتضى انه ان لم يكن صفة عاقل مذكر وليس كذلك وانما احتاج لذلك لقوله قريبا فعيل فذكر قوله أو للمبادل الخ ليشمل فعالا كشجاع وفاعلا كصالح تأمل (قوله دفوف) قال فى القاموس وعقاب دفوف تدنو من الارض اذا انقضت (قوله لا تجمع عليه أصلا) كان الظاهر لا تكون جمعا له تأمل (قوله ولا يصف) قال الهروى فى الغريب وفى الحديث كل ما دف ولا تأكل ما صف أى فما حرك جناحيه فى الطيران كالحمام ونحوه يؤكل وما صف جناحيه كالنسور والصقور لا يؤكل (قوله بل لحركته) قال فى القاموس والدفيف الدبيب والسير اللين ومن الطائر مره فويق الارض أو ان يحرك جناحيه ورجلاه فى الارض

المعنى الصحيح أن الغمامة لما أظلته استودعت الظل الطيور التى أظلت الانبياء عليهم الصلاة والسلام من ظله صلى الله عليه وسلم فهل لا يحمل النظم عليه قلت يعارضه ما تقرر فى قاعدة جمع فعلاء وبتسليمه تجوّزا فى الجمع فالنظم ينبو عن هذا المعنى بكل وجه كما هو واضح فان قلت ظاهر كلام الناظم فى البردة أنه احتاج لتظليل الغمامة اتقيه حر الشمس فينافى ما مر أن تظليلها للحكمتين السابقتين قلت ما أفهمه كلامه ثم يعارضه أن تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كما مر ولو كان لما ذكر لكان بعد النبوة أيضا فان قلت قد ظلل عليه صلى الله عليه وسلم عند رميه للجمرة بثوب وهو يشعر بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتأمله وأيضا فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس فى عرفة ولم يظلل اشارة الى أن السنة للمحرم أن يبرز للشمس وظلل عند الرمى اشارة الى أنه لا يسن البروز للشمس هنا كذا ذكروه وعليه فلا اشكال أصلا ومرت قصة تظليل الغمام ورواياتها فى شرح قوله

وأتاها ان الغمامة والسر * ح أظلته منهما أفياء

واذا تقرر أن كل فضل مستمد من فضله صلى الله عليه وسلم وان نوره يعلو الظل على ما سبق فى معناه علم أنه قد (خفيت عنده) اى فى جنب ما أوتيه (الفضائل) التى أوتيها غيره من الانس والملائكة والجن (و) انه قد (انجابت) اى انكشفت (به) اى بسبب ما بثه فينا من علومه وآدابه وأخلاقه (عن عقولنا) معشر أمة الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وفيه خلاف طويل أشار اليه فى القاموس وعبارته العقل العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين أو مطلق الامور أو القوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن أو لمعان مجتمعة فى الذهن تكون بمقدمات تستثبت بها الاغراض والمصالح أو هيئة محمودة للانسان فى حركاته وكلامه والحق أنه نور روحانى به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى أن يكمل عند البلوغ اه (الاهواء) اى الضلالات والنقائص فلم تقع فى ورطة شئ منها كما وقع فيها من أعرض عن الهدى وسلك سبيل الردى ثم استدل على ذلك الخفاء وكشف الهوى بما أفاده الاستفهام الانكارى فقال على طريق اللف والنشر المرتب (أ) يوجد (مع الصبح للنجوم تجل أو) يوجد (مع الشمس للظلام بقاء) اى انما خفيت الفضائل عنده لانه الفجر الصادق وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما ان النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك سائر الكمل وانما كشف عن عقولنا الاهواء لانه الشمس كما مر والاهوية والنقائص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حائل بينها وبين ما أشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام تجنيس التقابل وفى البيت

(قوله فالنظم ينبو الخ) اذ يصير المعنى استودعت الظل الطيور الذين اظلتهم الطيور وفيه أيضا استعمال من فى غير العالم (قوله فى البردة) حيث قال

مثل الغمامة انى سار سائرة
تقيه حر وطيس للهجير حمى

أى تجئ الاشجار مثل الخ أى المذكورة فى قوله

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة
تمشى اليه على ساق بلا قدم

وقوله سائرة بالنصب بمحذوف أى تسير سائرة حيث سار أو خبر مبتدا محذوف وقوله وطيس هو فى الاصل التنور والمراد هنا الشمس والهجير وسط النهار واشتداد الحر (قوله ثم) أى فى البردة (قوله وأيضا الخ) أى فتظليله وعدمه كان للتشريع لا لوقايته الحر به فتأمل (قوله ورطة) الورطة الهلاك

الكلام الجامع ولما قرر ما يتعلق بقوله ثمس فضل بما بعده الى هنا الا انه مناسب له عطف
بحذف حرفه أو استأنف تطبيرما مر فقال (معجز القول) لان الله تعالى امتن عليه
بجوامع الكلم التى أوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقرآن
وكان الناظم رحمه الله تعالى اعتمد هذا القول حيث عبر بما يوافقه وان احتمل أن يريد
ما يوافق مذهب الاكثرين ان كلامه صلى الله عليه وسلم غير معجز (و) معجز (الفعال) فلا
يقدر مخلوق أن يوجد فعلا مطابقا لسائر المصالح الظاهرة والباطنة فى ذلك الوقت الذى
أوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هى مرتبة وارث الحضرة الالهية
التى لا يدخل أحد اليها الا باذنه (كريم الخلق) كما يعلم مما قدمته مبسوطا فى شرح قوله
فمنزه فى ذاته الخ (و) كريم (الخلق) بضم أوله كما مر مبسوطا فى شرح قوله ماسوى
خلقه النسيم وبين والخلق والخلق القول والفعل تجنيس التقابل مع تجنيس التحريف
فى الثانى (مقسط) اى عادل فى أحكامه وأقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم فلا يصدر منه
شئ قط الاعلى غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من رآه وعلم أحواله حتى أعدائه
ومناويه ألا ترى أن قريشا لما بنوا الكعبة والنبى صلى الله عليه وسلم معهم قبل النبوة
فوصلوا الى موضع الحجر الاسود واختلفوا فيمن يضعه فى محله ثم أجمعوا على انهم يحكمون
أول داخل المسجد فكان النبى صلى الله عليه وسلم أول داخل فقالوا هذا الامين
فحكموه فأمر صلى الله عليه وسلم بوضعه بثوب وأمر كل رئيس قبيلة أن يمسك بطرف
الثوب ثم يرفعوه ففعلوا الى أن بلغوا به محله فأخذه صلى الله عليه وسلم ووضعه فى محله
وصح أن رجلا قال وهو صلى الله عليه وسلم يقسم اعدل فقال صلى الله عليه وسلم ويلك فمن
يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت ان لم أعدل وكان صلى الله عليه وسلم يقول أبلغوا حاجة
من لا يستطيع ابلاغ حاجته فانه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها أمنه
الله يوم الفزع الاكبر وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤاخذ أحدا بقول أحد ولا يصدق
أحدا فى أحد (معطاء) اى كثير العطاء الذى يعجز عن أدناه الملوك فقد صح عن أنس كان
صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس وأجود الناس واقتصاره على هذه
الثلاثة من جوامع الكلم التى منحها من امداده صلى الله عليه وسلم لانها من أمهات
الاخلاق اذ فى كل انسان ثلاث قوى الغضبية وكمالها الشجاعة والشهوانية وكمالها
الجود والعقلية وكمالها اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل وصح عنه أيضا ماسئل
صلى الله عليه وسلم شيأ الا اعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه
فقال اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخاف الفقر واعطى صفوان بن
أمية يوم حنين حين أسلم مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وصح عن جابر ما سئل صلى الله
عليه وسلم عن شئ قط فقال لا أى لا ينطق بالرد بلا بل ان كان عنده المسؤل وساغ الاعطاء

ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال كقول الصفى الحلى فى بديعيته

من كان يعلم ان الشهد مطلبه
فلا يخاف لادغ النحل من ألم

وكقول أبى الطيب

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الاجسام

(قوله وان احتمل الخ) بان يراد بالقول المشتمل على الاخبار بالمغيبات فان القول المشتمل على ذلك معجز باتفاق كما سيأتى قبيل قوله شق عن صدره الخ فقوله ان كلامه غير معجز أى كل كلامه لما علمته من ان كلامه المخبر بالمغيبات لا خلاف فى انه معجز (قوله ومناويه) أى معاديه قال الجوهرى وناواه أى عاداه انتهى فعطفه عطف أحد المترادفين على الآخر (قوله وأجود الناس) قال المرصفى فى كتابه اسفار الصباح القموة والايثار والجود والسخاء والسماحة مترادفة وبعضهم فرق بينها فجعل الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه ويسماه حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والشكاسة عسر الخلق قال تعالى شركاء متشاكسون أى مختلفون عسر والاخلاق انتهى مختار والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وضده التقتير (قوله غنما بين جبلين) أى غنما كثيرة كأنها قلأ ما بين جبلين

بان لم يرصد ما عنده لما هو أهم اعطاء والا سكت كما في حديث مرسل فحينئذ لا ينافي الحديث
الآتية قلت لا أجد ما أحملكم عليه فهو صلى الله عليه وسلم لا يقولها منعا للعطاء بل
اعتذارا حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل السائل وفي حديث الترمذي انه حمل اليه
تسعون ألف درهم فقام اليها فما رد سائلا حتى فرغ منها وقال لسائل ما عندي شيء ولكن
ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ما كلفك الله ما لا تقدر
فكره منه ذلك فقال انصاري انفق يا رسول الله ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم
وعرف البشر في وجهه صلى الله عليه وسلم وقال بهذا امرت وقوم ما اعطاه يوم حنين
فكان خمسمائة ألف ألف قيل هذا نهاية الجود الذي ما سمع لاحد بمثله وصح انه صلى الله
عليه وسلم أتي بمال من البحرين فامر صلى الله عليه وسلم بصبه في المسجد وكان اكثر مال
أتي به صلى الله عليه وسلم وفي رواية مرسلة كان مائة ألف فخرج الى الصلاة فلم يلتفت
اليه ثم بعدها جلس اليه ففرقه صلى الله عليه وسلم ومع هذا الجود الواسع الذائع كان
صلى الله عليه وسلم يعيش عيش الفقراء ويأتي عليه الشهران لا يوقد في بيته نار وربما
ربط الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع وجاء سبي فسألته فاطمة رضي الله تعالى
عنها خادم يكفيها مؤنة بيتها فامرها صلى الله عليه وسلم ان تستعين بالتسبيح والتكبير
والحمد وقال صلى الله عليه وسلم لا اعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع
واذا علمت اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوصاف الجليلة التي لم يوجد مثلها ولا
ما يقاربها في مخلوق غيره علمت ان من الواجب على كل من عرف ذلك ان يقول لمن لم يعرفه
حق معرفته (لا تقس) من قست الشيء بغيره قدرته على مثاله أي لا تشبه (بالنبي)
الموصوف بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم (في الفضل) الجامع لتلك الصفات بل ولا
في كل وصف منها على حدته لان كل وصف من أوصافه صلى الله عليه وسلم وصل فيه الى
غاية منه لم يلحقه مخلوق فيها (خلقا) نبيا أو ملكا أو غيرهما أي لا تعتقد ان مخلوقا يساويه
أو يقاربه في وصف من أوصاف كماله صلى الله عليه وسلم كما مر أول الكتاب في شرح قوله
لم يساووك في علاك الخ (فهو) لا غير (البحر) الجامع لكل وصف من أوصاف الكمال
البالغ النهاية فيه (والانام) هو كما في القاموس كسحاب والآنام بالمد والانيم كامير الخلق
أو الجن والانس أو جميع ما على وجه الارض انتهى والمراد هنا الاول بدليل قوله الآتي
في العالمين (اضاء) بالكسر والمد جمع اضاة كقناة وهي الغدير ويجمع أيضا على اضا كفتى
وشتان ما بين البحر والغدير ففيه مراعاة النظير وكيف لا و(كل فضل) وجد (في العالمين)
الانس والملائكة والجن (فهو) كائن (من فضل) ذلك (النبي) الاكرم على ربه من سائر
الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وبين فضل والفضلاء تجنيس الاشتقاق
(استعاره) حال من ضمير الظرف المستقر (الفضلاء) لانه الممد لهم اذ هو الوارث للحضرة
الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد منها الا بواسطته فلا يصل لكامل

منها

(قوله أهل الصفة) هي موضع مظال من المسجد كانت المساكين تأوي اليه (قوله والمراد هنا الاول بدليل الخ) سيأتي في تفسير العالمين بالانس والملائكة والجن وذلك يقتضي ان المراد بالخلق الذي هو الاول بعض ماصدقه وهو العوالم الثلاثة المذكورة فتأمل (قوله اضاء) في نسخة ركاء جمع ركية وهي الدلو الصغير (قوله وهي الغدير) هي القطعة من الماء يغادرها السيل اهـ جوهري

منها شئ الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فآيات كل نبي انما هي مقتبسة من نوره صلى
الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كالشمس وهم عليهم الصلاة والسلام كالكواكب
فهي غير مضيئة بذاتها وانما هي مستمدة من نور الشمس فاذا غابت أظهرت أنوارها فهم
قبل وجوده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يظهرون فضله وانوارهم مستمدة من نوره
الفائض ومدده الواسع ألا ترى ان ظهور خلافة آدم واحاطته بالاسماء كلها انما هو
مستمد من جوامع الكلم المخصوص به نبينا صلى الله عليه وسلم ثم توالت الخلائق الى زمن
بروز جسمه الشريف فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور
آياته كل آية لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة
الا وقد أعطي مثلها أو اعظم منها كما سبره الائمة ونحوه ومنه ان آدم لما اعطى خلق
الله تعالى بيده أعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انه شق صدره وملاه ذلك الخلق النبوي
فتولى من آدم الخلق الجسمي ومن نبينا صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي ولذا كان هو
المقصود من خلق آدم ومن ثم لم يكن سجود الملائكة الا لنور محمد صلى الله عليه وسلم الذي
في جبهة آدم كما قاله الفخر الرازي وادريس لما اعطى المكان العلي أعطي لنبينا المعراج
الافخم الاعظم ونوح لما ان نجي هو وقومه اعطى لنبينا صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم
يهلك أمته بعذاب عام ووقع في تفسير الرازي انه صلى الله عليه وسلم اعطى مكان السفينة
انه صلى الله عليه وسلم دعا حجرا وهو على شط ماء فانقلع وسبح الى ان جاء اليه وشهد له
بالرسالة وابراهيم عليه الصلاة والسلام لما نجي من النار نجا نبينا صلى الله عليه وسلم من نار
الحرب قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله وروى النسائي انه احترق جلد طفل
كان فمسحه صلى الله عليه وسلم فصار صحيحا ولما اعطى ابراهيم مقام الخلة أعطي نبينا صلى
الله عليه وسلم ذلك وزاد عليه بمقام المحبة الارفع من كل مقام ومن ثم يقول ابراهيم في
الموقف لما يسئل في الشفاعة العظمى انما كنت خليلا من وراء وراء ولما اعطى بناء الكعبة
اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم وضع الحجر الذي هو روحها في محله لما اشتد رأي قريش ولما
اعطي موسى عليه الصلاة والسلام قلب العصا حية اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم حنين
الجذع الذي هو أبهر واغرب وذكر الرازي وغيره ان أبا جهل اراد ان يرميه بحجر فرأى على
كتفه ثعبانين فانصرف مرعوبا واليد البيضاء التي بياضها يغشى البصر اعطي نبينا
عليه الصلاة والسلام انه كان عنده عباد بن بشر واسيد بن حضير ليلا فخرجا وبيد كل
واحد عصا فاضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها فلما افترقا اضاءت عصا الآخر صححه
الحاكم واخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم عن حمزة الاسلمي قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء فاضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم
وما هلك منهم وان اصابعي لتنير وانفلاق البحر اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق
القمر الذي هو أبهر لانه تصرف في العالم العلوي على انه نقل ان بين السماء والارض بحرا

(قوله لما أعطى المكان) اى السماء الخامسة أو السادسة على الخلاف (قوله مكان السفينة) أي مكان استقرارها على الماء (قوله انه دعا حجرا) حيث قال له عكرمة بن أبي جهل ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فدعاه الى آخر ما في الشرح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا فقال حتى يرجع لمكانه (قوله العصا) تكتب بالالف لانك تقول في التثنية عصوان وجمعها عصى وعصي في الكثرة ووزنها فعول عصو فاستثقلوا الواو في الجمع فقلبوا من الضمة كسرة ومن الواو ياء واجاز سيبويه في الجمع القليل عصا وأعص مثل دلو وادل واجاز الفراء قفا وأقف ومثالهما من الصحيح جمل واجمل وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم لا ترفع عصاك عن اهلك فلم يرد عليه الصلاة والسلام التي يضرب بها ولا ضرب صلى الله عليه وسلم خادما له قط ولا أمر بذلك صلى الله عليه وسلم وانما اراد الادب ويقال شق فلان العصا اى خرج عن السلطان والقى فلان العصا اى ترك السفر وانشد

فالقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالاياب المسافر

يسمى المكفوف بحر الارض بالنسبة اليه كقطرة من البحر المحيط فعليه يكون انفلاق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وتفجير الماء من الحجر أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم تفجيره من بين اصابعه وهو أبلغ لان الحجر من جنس الارض التى ينبع منها الماء والكلام أعطى نبينا مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والرؤية بعين البصر وشتان ما بين جبل الطور الذى نوجى به موسى عليه الصلاة والسلام وما فوق العرش الذى نوجى به نبينا صلى الله عليه وسلم وهرون الفصاحة اعطى نبينا ابلغ منها وأبهر على انها فى العبرانية والعربية أفصح منها ومن ثم لم تكن فصاحته معجزة بخلاف فصاحة نبينا فانها معجزة عند بعضهم وكذا عند الكل لكن بالنسبة لما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ولم يتحدى بها الانبيا عليه الصلاة والسلام ولقد قال له بعض أصحابه ما رأينا الذى هو افصح منك فقال صلى الله عليه وسلم وما يمنعنى وانما نزل القرآن بلسانى لسان عربى مبين ويوسف شطر الحسن وتأويل الرؤيا أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله كما فى الحديث وعبر عن المرائى فوقعت كما عبرها لا يدخله الحصر وتعبير يوسف عليه الصلاة والسلام انما كان فى ثلاث مرائى كما فى سورته وداود تليين الحديد اعطى نبينا ان العود اليابس اخضر بين يديه وان شاة أم معبد درت ببركة يده ولم تلد قط كما مر وسليمان كلام الطير اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انه كلمه الحجر وسبح الحصا فى كفه وكلمه ذراع الشاة المسمومة والظبى وشكى اليه البعير والريح التى غدوها شهر ورواحها شهر اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم البراق وهو أسرع من الريح بل من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش فى لحظة واحدة واقل مسافة فى ذلك سبعة آلاف سنة وما فوق العرش الى المستوى والرفرف لا يعلمه الا الله تعالى وأيضا الريح سخرت لسليمان عليه الصلاة والسلام لتحمله الى نواحى الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض أى جمعت له حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى له الارض وتسخير الجن اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله مكنه من شيطان تفلت عليه فى صلاته فاراد ان يربطه بسارية فى المسجد وسخر له الجن حتى أسلموا ولم يسخر والسليمان الا فى العمل وعد الطير من جملة جنوده تقاومه حمامة الغار وعنكبوته بل هذا أعجب لان فيه الحماية من العدد الكثير بالشئ القليل وعيسى عليه الصلاة والسلام ابرأ الاكمه والابرص واحيى الموتى اعطى نبينا عليه الصلاة والسلام رد العين الى محلها بعد ما سقطت فعادت أحسن ما كانت وذكر الرازى انه صلى الله عليه وسلم مسح برصاء فشفيت والبيهقى ان رجلا قال لا أومن بك حتى تحيى لى ابنتى فاتى قبرها فخاطبها فاجابته وتسبيح الحصا وحنين الجذع ابلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس ما لا تتكلم وبالجملة فقد أوتى صلى الله عليه وسلم مثلهم وزاد بخصائص لا تحصى اعلاما بانه صلى الله عليه وسلم الممد لهم دائما وفيه تجنيس الاشتقاق وعدل عن استعاروه ليصفهم بالفضل أى هم مع كونهم فضلاء كاملين على بقية العالم انما يستمدون

(قوله وعبر) بالتخفيف وعبرت الرؤيا اعبرها عبارة فسرتها والتثقيل مبالغة وضبطها بعضهم بالتثقيل (قوله فى ثلاث مرائى) هى رؤيا الاحد عشر كوكبا ورؤيا السبع سنين ورؤيا الذى يعصر خمرا والذى صلب فتأكل الطير من رأسه (قوله فحمله من الفرش الى العرش) هذا خلاف الراجح السابق من ان البراق انما حمله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وان صعوده الى السماء انما كان على المعراج

من محمد صلى الله عليه وسلم لا على وجه الاصالة والاستقلال به بل على وجه الاستعارة المستحقة الرد اذ أراده المعير ولم لا يكون ذلك كذلك وقد (شق عن صدره) الكريم وفى نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه صلى الله عليه وسلم شق عن صدره اولا ثم قلبه المرة بعد المرة الى ان تكرر ذلك الشق أربع مرات أو خمسا مبالغة فى التطهير والتخليص من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك ولا ما يقاربه وقد مر الكلام على ذلك مستوفى فى مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم فراجعه فانه نفيس (وشق له) أى لاجله صلى الله عليه وسلم (البدر) أى القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبه كفار مكة وبالغوا فى عناده فطلبوا منه آية يريها اياهم تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم وهى ان يشق لهم القمر نصفين فسأل ربه فانشق له كذلك كما نص عليه القرآن الشريف وتواترت به الاحاديث كما حققه التاج السبكى وغيره وأجمع عليه المفسرون وأهل السنة اعلاما بصدقه فى دعواه الرسالة والوحدانية لله تعالى وان ما يعبدونه باطل لا يضر ولا ينفع ولم يقع انشقاقه لغيره صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام لظهوره فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فلم يطمع أحد فى الوصول اليه بحيلة وفى روايات ما يوهم تعدد الانشقاق مرتين وظاهر كلام بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن رد بان احدا من أئمة الحديث لم يجزم بذلك وبان من قال مرتين أراد فرقتين كما فى روايات أو فلقتين كما فى أخرى وفى روايات ان فرقة كانت فوق جبل حرا وأخرى كانت اسفله فرواية انه كان بمكة المراد منها ان ذلك كان وهم بمكة قبل الهجرة فلا دليل فيه على انه صلى الله عليه وسلم كان بمكة ليلتئذ وفى رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وفى روايات انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسألوا السفار فسألوا من كل جانب وأخبروا به فقال بعضهم لبعض لا يستطيع محمد ان يسحر الناس كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة ذلك مبنى على انكارهم خرق الاجرام العلوية والتئامها وذلك من جملة كفرهم وتقولهم بمقتضى عقولهم معاندين للشرائع فيما وردت به وأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك أهل الارض كلهم فى معرفته ولم يختص به أهل مكة لتوفر الدواعى على نقل العجائب فهو من تهوراته لان ما قاله انما يتوجه لو كان نهارا أو أول الليل والناس مستيقظون اما اذا وقع لحظة والناس الا القليل قد ناموا ومن لم ينم لم ينظر الى السماء فلا يلزم ما ذكره بوجه على ان الاجماع الموافق للقرآن والسنة لا يخدش فيه مثل هذه التخيلات الفاسدة فكان هذا الملحد لم يسمع بما هو الواقع البديهى ان الكسوف قد يدركه أهل قطر دون أهل قطر آخر وما قيل ان القمر قد دخل فى جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فباطل لا اصل له *(تنبيه)* البدر القمر ليلة أربعة

(قوله وشق له البدر) اى تم التأم كما فى الخازن (قوله من تهوّراته) التهور الوقوع فى الشئ بقلة مبالاة

عشر وظاهر تعبير الناظم به دون القمر ان الشق كان ليلة أربعة عشر ولم أره في ذلك
سالنا ولعله أراد بالبدر مطلق القمر سمى بذلك لانه يبادر الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب
وقيل لتمامه ويناسب هذه المعجزة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم بعد ماغابت حقيقة لما
نام صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجر علي بالصهباء قرب خيبر حتى غابت ولم يمكنه ايقاظه
لاحتمال انه كان يوحى اليه فلما استيقظ سأله أصليت العصر قال لا فدعا الله ان يردها
عليه لانه كان في طاعة الله ورسوله فردت ليصلي العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم
وهذا الحديث اختلف في صحته جماعة بل جزم بعضهم بوضعه وصححه آخرون وهو الحق
وقوله اسماء في الرواية الصحيحة فرأيت الشمس بعد ماغربت حتى وقعت على الجبال وعلى
الارض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت رد لزعم انها وقفت ولم ترد ولزعم ان حركتها
انما ابطأت فقط وفي رواية سندها حسن أمر صلى الله عليه وسلم الشمس فتأخرت ساعة
من نهار ومر انها ردت عليه بعد الاسراء لما أخبرهم بعيرهم ولا يعارض ذلك كله الحديث
الصحيح لم تحبس الشمس على أحد الا ليوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ان
ادبرت خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله
فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم وذلك لان المراد على أحد غيري بل على ان كثيرين
أو الاكثرين من الاصوليين ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وروى حبسها يوم الخندق
حين شغل عن صلاة العصر وذكر البغوي في تفسير ردوها على انها حبست لسليمان صلى
الله عليه وسلم ورد بان المراد الصافنات لانها المذكورة دون الشمس وبين شق وشق
الجناس التام وهو ان يتفق اللفظان حروفا وعددا وهيئة ومنه قوله تعالى ويوم تقوم
الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة واعترض بان الساعة في الموضعين بمعنى واحد
وشرطه اختلاف المعنى وأن لا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا بل حقيقتين
وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة فاطلاق الساعة على
القيامة مجاز وعلى الآخر حقيقة وذلك يخرج الكلام عن التجنيس كالو قلت ركبت
حمارا ولقيت حمارا يعني بليدا اه فان قلت هذا يأتي هنا لان الشق في الموضعين بمعنى
واحد وبتسليم الاختلاف فهو في أحدهما حقيقة وفي الآخر مجاز قلت يمكن ان يقال
انه فيهما مختلف وحقيقي اذ شق الاجرام الجمادية غير شق الاجرام الحيوانية من حيث
الصورة والآلة وأيضا فشق القمر شق جرمه كله وشق الصدر ازالة غشائه لا غير وكفى
بهذا الاختلاف ثم المتبادر من كل منهما انه حقيقي كما لا يخفى قيل ليس في القرآن من
الجناس التام غير هذه الآية واستدرك عليه شيخ الاسلام ابن حجر بآية يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فانه استعمل
الابصار أولا بمعنى العيون وثانيا بمعنى البصائر وقد يتطرق فيه بان استعمال الابصار
في البصائر مجازي وقد تقرر انه لا يكفي وقد يجاب بادعاء أنه حقيقة عرفية وعلى كل

(قوله وقيل لتمامه) اى انما سمى بدرا لتمامه (قوله ردت عليه) الذى مر انها وقفت عن المغيب حتى دخل العير فالمراد بقوله ردت عليه حبست عليه اى لاجله عن المغيب لا انها غابت ثم ردت تأمل (قوله ابن نون) قال أبو حيان في النهر يوشع بن نون ابن أفرائيم بن يوسف وهو ابن أخت موسى ولما مات موسى وهرون نبأ الله يوشع بعد كمال أربعين سنة فصدقه بنو اسرائيل وأخبرهم بأن الله أمرهم بقتال الجبارين فبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين وأخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وفي تلك الحرب وقفت له الشمس (قوله فرد عليه) اى رده عن المغيب اى أمسكها لا انها غابت ثم ردها كما لا يخفى (قوله وذلك لان المراد) أو قال ذلك قبل ان تحبس له عليه الصلاة والسلام (قوله قلت يمكن الخ) فيه نظر اذ مثل هذا لا يكفي في تحقق التجنيس مع اتحاد معنى أصل الشق والا لكان كل لفظ باعتبار موارد استعماله جناسا ولا قائل به ثم رأيته أشار لذلك آخرا فتأمله طبلاوى

فأقول في القرآن آية أخرى أظهر من تينك وهي يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من
الكتاب وما هو من الكتاب فالاول ما كتبوه بأيديهم المذكور في فويل للذين يكتبون
الكتاب بأيديهم والثاني التوراة والانجيل والثالث الجنس الشامل لكتب الله كلها
اي ما هو شيء من كتب الله فان قلت هذا أعم من الثاني فليس مغايراله من كل وجه
قلت بل يسمى مغايراله حقيقة كما مر جوابه وعلى التنزل وان هذا التغاير لا يكفي هنا
فيكفي التغاير بين اللفظين الاولين فيتحقق الجناس التام فيهما فان قلت لم لا يعدوا منه أن
النفس بالنفس الخ قلت كأنه لكونه هنا مميزا يمنع تمام التجنيس وهو الباء الدالة على
المقابلة فتأمله فان قلت لم اكتفوا في التورية بكون أحدهما مجازا لاهنا قلت لوضوح
الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى البعيد والمجاز قد يكون كذلك ولا كذلك
الجناس التام فلم يكتف فيه كون أحدهما مجازا ومن ثم أقر بعض المحققين اشتراط
كونهما حقيقتين وعليه يحتمل ان يقال لابد ان يكون له حقيقة في الشرع او في العرف
أو في اللغة فلا يكفي كون أحدهما حقيقة شرعية والآخر حقيقة لغوية مثلا لان
هذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر انهما لا يكتفيان ويحتمل ان يقال يكفي ذلك ويؤيده
اطباقهم على ان الآية فيها الجناس التام مع ان حقيقة الساعة لغة أو عرفا أو شرعا شيء
واحد وانما الاختلاف من حيث انها في مطلق الزمن حقيقة لغوية وفي القيامة حقيقة
شرعية وهذا الثاني أقرب ومما يؤيد الثاني اشتراط كونهما حقيقتين انه ما من لفظ غالبا
أو دائما الا وله حقيقة ومجاز فلو قلنا بانه يكفي كون احدهما مجازا لزم وجود التجنيس في
غالب الالفاظ او كلها وهو بعيد جدا ولك ان تأخذ من قولهم ليس في القرآن جناس تام
الا ما مر مع ما فيه من نحو النفس بالنفس الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا الحر
بالحر ونحو ذلك أن شرط الجناس التام ان لا يكون في اللفظ قرينة ظاهرة تدل على مغايرة
معنى اللفظ المتحد وهو متجه لانه مع فهم التغاير ليس فيه تعمية أصلا ومبنى الجناس التام
انما هو التعمية على السامع ما أمكن نظير التورية ولم أر لاحد من أهل البديع في هذا
المبحث ما يشفي فتأمله فان قلت ما ذكر في شق من الاختلاف انما هو بالنظر لمتعلق الشقين
دون موضعهما وذلك لا يكفي قلت هذا وان كان ظاهر كلامهم الا انه لا يمنع من أن يلحق
به اختلافهما من حيث المتعلق اذا تباينت به صورتهما (و) انما شق له القمر لانه شق عن
صدره حتى أخرج قلبه ثم شق وطاهر فجوزي على ذلك اذ (من شرط كل شرط) وقع في
البدن لغرض مقصود ان يكون له (جزاء) اي من برء من مرض أو غيره فكذا هنا لما وقع
صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة وبما حصل له من الخوف والالم جوزي على
ذلك بجزاء عظيم مشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو أظهر معجزاته وابهرها بعد
القرآن وفي كلامه الجناس التام بين شرط وشرط اذ هما مختلفان معنى وحقيقة
ولا يقدح فيه كون الاول حقيقة نحوية والثاني حقيقة عرفية على ان الاول يحتمل ان

(قوله قلت كأنه) لا حاجة لهذا
اذ شرط التجنيس لم يوجد لعدم
اختلاف المعنى الحقيقي فيهما
فتأمله وبهذا يندفع قوله ولك
ان تأخذ الخ كما سيأتي اه
طبلاوي فيه نظر فان معنى
النفس الاولى المقتص منها ومعنى
النفس الثانية المقتص لها فهما
متغايران وحينئذ فلا يندفع
قوله ولك الخ فتدبر (قوله قلت
هذا وان كان) الى آخر
ما قدمه في توجيه عدم الاكتفاء
بكون أحدهما مجازا وانه مبني
على التعمية يمنع هذا أو يبعده
جدا وكلام أئمة الفن مصرح
بخلافه فتأمله طبلاوي (قوله
حقيقة عرفية) لعل الظاهر
لغوية

يكون بمعنى العلامة فيكون مع كون الثاني بمعنى الجرح كل منهما حقيقة لغوية فجاء
التجنيس التام اتفاقا ولو بفرض ان أحدهما مجاز يكون فيه التورية أو حقيقة أيضا
ولكنه أبعد فهما من اللفظ يكون فيه الجناس التام والتورية ومر الكلام فيها
مستوفى اذ الشرط المراد به في الاول ما علق بحصوله حصول شئ آخر يسمى جزاء وفي
الثاني شق الجلد واللحم والجزاء فيه تورية أيضا اذ هو يطلق على الجزاء الاخروي والجزاء
العرفي وهو المجازاة على صنيع وقع منه ومنه جزيته وجازيته بما صنع جزاء ومجازاة
(و) من معجزاته صلى الله عليه وسلم أيضا انه في غزوة بدر وغزوة حنين (رمى) اعداءه
(بالحصى فاقصد) اى أصاب قال في القاموس اقصد السهم أصاب فقتل مكانه اهـ
(جيشا) عظيما كانوا تألبوا عليه حتى ظن ظان انهم لا يبقون أحدا من المسلمين وبيان
ذلك انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به في
وجوههم وقال شاهت الوجوه اى قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك
الحصى الا دخل في عينيه ومنخريه منها شئ فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد قريش
واسر من اسر من اشرافهم قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر أخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة
القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا
وكذلك روى غير واحد انها نزلت في رميه يوم بدر وان كان رمى في غيره ولاهل الجبر في
هذه الآية غلط لا بأس بذكره ثم رده قالوا فيها سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه
واضافته الى ربه وهو عين الجبر وابطال نسبة افعال العباد اليهم وليس كما زعموا والا
لزمهم ان لا تكليف ولا عقاب وسر ما في الآية ان تلك الرمية من البشر لما لم تبلغ هذا
المبلغ كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف ومن الرب تعالى نهايتها وهو
الايصال فاضاف اليه رمى الحذف الذي هو مبدؤه ونفى عنه رمى الايصال الذي هو نهايته
ونظير هذا ما في الآية نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى انه المنفرد بالتأثير
وان غيره ليس منه الا الاسباب تظهر للناس قيل ورماهم بالحصى يوم الاحزاب وفيه نظر
وانما الذي نقل انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم فقال اللهم منزل
الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فارسل الله تعالى
عليهم الريح فرمتهم بالحصى وسفت عليهم التراب وقلعت أوتاد خيامهم فسقطت عليهم
وكفأت قدورهم وسمعوا في ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا آيسين
خائبين ومن ثم أخبر صلى الله عليه وسلم انهم لا يغزونه بعد اليوم فكان كذلك ولما التقى
الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن ما لم يروا مثله في السواد والكثرة فحملوا حملة
واحدة فانهزم المسلمون ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا ناس قليلون من أهل
بيته العباس وابي سفيان بن الحرث وعلي والفضل وأصحابه أبي بكر وعمر وآخرين فامر

صلى

(قوله لما بلغت القلوب الخ) اى
رعبا لان الرئة تنتفخ من شدة
الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس
الحنجرة وهي منتهى الحلقوم
مدخل الطعام والشراب اهـ
بيضاوى وعبارة الخازن وبلغت
القلوب الحناجر اى زالت عن
أماكنها حتى بلغت الحلقوم من
الفزع والحنجرة جوف الحلقوم
وهذا على التمثيل عبر به عن شدة
الخوف وقيل معناه انهم جبنوا
وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه
ان تنتفخ رئته فاذا انتفخت
رئته رفعت القلب الى الحنجرة
(قوله في ارجاء معسكرهم)
العسكر الجيش والموضع معسكر
بفتح الكاف (قوله وأصحابه)
اى غير أهل بيته والا فمن تقدم
من أهل بيته أصحابه أيضا (قوله
وآخرين) اى منهم بضعة
عشر اذ لم يبق معه الا هذا القدر

صلى الله عليه وسلم ان ينادى فى الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه أقبلوا كأنهم الابل اذا
حنت على أولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا مع الكفار واشتد القتال حتى قال
صلى الله عليه وسلم حمى الوطيس وهو التنور يخبز فيه اى اشتدت الحرب حتى اشبهت
التنور وحينئذ تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه
ورمى بها فى وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه من تلك القبضة وفى
رواية لمسلم قبضة من تراب والجمع بينهما انه يحتمل انه رمى بكل مرة أو انها قبضة واحدة
لكنها مختلطة وفى رواية عند أحمد وغيره ان المسلمين لما ولوا قال صلى الله عليه وسلم أنا
عبد الله انا عبد الله و رسوله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب فضرب به وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأ عيناه وفمه ترابا ولاحمد والحاكم عن ابن
مسعود فحادت به بغلته فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فضرب
وجوههم وامتلأت أعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كأنها
الشهب فولى المشركون الادبار واذ قد علمت ما ترتب على رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى
من تشتيت شملهم وافتراق جمعهم وهزيمتهم آن لك أن تقول لمن قال لك ان القاء موسى
لعصاه والسحرة لحبالهم وعصيهم يعادل الرمى بالحصى لا تقل ذلك (ما) استفهام انكارى
(العصى) التى القاها موسى على حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك (عنده)
اى الحصى المرمى (وما الالقاء) اى ذلك العصا على تلك الحبال والعصى الذى فعله سحرة
فرعون اى لا تقس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم فى القاء ذلك الحصى بمعجزة موسى صلى
الله عليه وسلم فى القاء عصاه على ما ذكر لان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر وابهر اذ
القاء موسى لعصاه حكى به القاء السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
لم يحاك شيأ قط و وصول تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك الجيش الذى هو الوف
مؤلفة حتى هزمهم عن آخرهم وشتت شملهم ابهر من قلب العصى حية وابتلاعها تلك
الحبال من حيث انها مع ذلك لم تقهر العدو ولا شتت شملهم بل زاد بعدها طغيانهم
وعتوهم على موسى وقومه وجانس بين الحصى والعصى وتفنن بين رمى والالقاء
*(تنبيه)* اكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعمى بصائرهم وأكثر
معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت
باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزات العقلية الباقية ليراها ذ
وو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى ما من الانبياء نبى الا اعطى ما مثله
آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله الى وانا ارجو ان أكون
اكثرهم تبعا وفى معناه قولان غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى أن المراد ان معجزات
الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى
وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر الى

(قوله انه رمى بكل مرة) يؤيد
ذلك رواية ابن مسعود الآتية
فانها تفيد انه ناول لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو راكب
وصرح فيها بالتراب وانه ضرب
به وغيرها رواية انه تناول الحصى
أو التراب بيده من الارض وذلك
ظاهر فى انه رمى بالحصى مرة
وبالتراب مرة وكونه أخذ بيده
من الارض كفا من الحصى ثم
ركب وأخذ مناولة ابن مسعود
كفا من تراب ورمى بهما جميعا
بعيد تأمل (قوله ثم اقتحم الخ)
اى رمى بنفسه قال فى القاموس
قحم فى الامر كنصر قحوما رمى
بنفسه فجأة بلا روية وقحمته
تقحيما واقحمته فانقحم واقتحم
(قوله عن فرسه) سيأتى عن ابن
مسعود فحادت به بغلته اى
مالت به (قوله وجانس) اى أتى
بالجناس المضارع لتقارب مخرجى
الحاء والعين

القيامة لا يمر عصر الا ويظهر فيه شيء أخبر بانه سيكون فكان من يتبعه لاجلها أكثر اذ مايدرك بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الاول (و) من معجزاته أيضا انه (دعا للانام) مر تفسيره لكن المراد به هنا غيره ثم اذ هم هنا اهل المدينة ومن ضاهاهم (اذ) اى وقت او لاجل ان (دهمتهم) اى غشيتهم (سنة من) اجل (محولها) متعلق بما بعده اى شدة جدبها وقحطها (شهباء) اى لا خضرة فيها ولا مطر والسنة زمن الجدب والمحل وتطلق على الزمن المخصوص فعلى الاول شهباء تاكيد وعلى الثانى تاسيس وسبب دعائه ما فى الصحيحين ان الناس أصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم فقام اعرابى وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وليس فى السماء قطعة سحاب فاوضعهما حتى صار السحاب امثال الجبال فلم ينزل حتى أصابه المطر واستمر الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابى أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فأقلعت السحابة وخرجوا يمشون فى الشمس وسال وادى قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير (ف) بسبب دعائه (استهلت بالغيث) اى صبت المطر بشدة (سبعة أيام) كوامل الساعات انه من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى بالغاء الكسر (عليهم سحابة) فاعل استهلت (وطفاء) اى مسترخية الجوانب لكثرة مائها حال كونها (تتحرى) اى تقصد تلك السحابة بمائها واسناد ذلك اليها مجاز كما يأتى فى جدارا يريد ان ينقض الا ان يراد الملائكة الموكلون بها (مواضع الرعى) اى الكلا الذى يرعى (و) مواضع (السقى) التى يجتمع الماء فيها ليشرب منها البهائم وفى الرعى والسقى مراعاة النظير والسقى والسقاء تجنيس شبه الاشتقاق (و) تتحرى أيضا (حيث العطاش) اى مواضعهم التى (توهى) بالبناء للمفعول اى تخرق (السقاء) منهم فيها اى ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمائها حتى انها تتحرى الامكنة المعطشة التى تتخرق اسقية العطاش فيها فيحتاجون الى الغدران للشرب منها وهذا اظهر وأولى مما سلكه الشارح كما يعرف بتأمله مما لا يقال مواضع السقى تشمل مواضع الشرب فلا يحتاج لقوله وحيث الخ لانا نقول قرينة قرن السقى بالرعى تصرفه الى سقى البهائم فاحتاج فى افادة عمومها الى التصريح بمواضع شرب العطاش أيضا قال الشارح أيضا وفى قوله حيث العطاش الخ اقتباس المثل وهو قولهم

خل سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق فى الفلاة ماؤه

يضرب لمن لا يستقيم أمره فضرب به المثل هنا فى المحل والجدب اه ملخصا وفيه نظر لبعد معنى المثل عما نحن فيه الا بتكلف لما تقرر ان مراد الناظم ما دلت عليه عبارته من ذلك النص على عموم ذلك الغيث لجميع الاماكن (و) لما استمرت عليهم سبعة أيام وكادت ان تهلكهم (أتى الناس) اليه صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر كحاله يوم سألوه ان يدعو لهم

(قوله فادع الله لنا) فى رواية يغثنا قال فى المواهب يغثنا بفتح أوله يقال غاث الله البلاد يغيثها اذا أرسل عليها المطر (قوله يريد ان ينقض) عبارة البيضاوى اى يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال

يريد الرمح صدر ابى براء
ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال

ان دهرا يلم شملى بجمل
لزمان يهم بالاحسان

وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه أو افعل من النقض (قوله تخرق السقاء) اى انقادمائه (قوله السقاء) قال فى الصحاح السقاء يكون للبن والماء والجمع القليل اسقية واسقيات والكثير أساق والوطب للبن خاصة والنحى والعكة بضم العين وتشديد الكاف وعاء صغير من جلد كل منهما للسمن والقربة للماء

(بشد كون أذاها) اى تلك السحابة اى الماء النازل منها القطعه السبل وتعطله المعاش
وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان الشاكى واحد لان مابه بهم فكان الكل شاكين
بلسان الحال فلذا أسنده الى كلهم ونظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول واحد كما هنا (ورخاء) اى سعة من المطر (يؤذى
الانام غلاء) اى شدة عظيمة وأصله ارتفاع السعر المؤدى الى الشدة وبين اذاها ويؤذى
جناس الاشتقاق والرخاء والغلاء جناس التضاد (ف) بسبب ان هذا الرخاء الذى هو
المقصود ومنه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو اهلاكها (دعا) صلى الله عليه وسلم ربه ان
يكشف عنهم (فانجلى الغمام) اى السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر
واذا تقرر هذا (فقل) أيها العالم بهذه الوقعة ماشئت من الكلام الدال على التعجب
او فتعجب (فى وصف غيث اقلاعه) اى انكشافه (استسقاء) اى ذو استسقاء على خلاف
المتعارف اذ الاستسقاء غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه وبهذا يندفع قول
الشارح الاحسن ان الاستسقاء بمعنى السقى لانه يلزمه فوات هذه النكتة التى هى سبب
التعجب (ثم) بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم (اثرى الثرى)
اى كثر المطر الواقع عليه حتى كثرت فوائد التراب لكثرة انباته الزرع والثمار المؤدية الى
كثرة الاموال من أثرى الرجل كثر ماله (ف) بسبب هذه الكثرة (قرت) اى فرحت
واطمأنت من أقر الله عينه اى اعطاه حتى لا تطمح عينه الى من هو فوقه (عيون) لاهل
المدينة بسبب ما زال عنهم من الكرب وحصل لهم من الخصب (و) بسبب عمارة (قراها)
اى العيون اى المدينة وبلادها بتلك الفوائد الكثيرة بعد خرابها (وأحييت) بعد
ما حصل لها من الجدب والشدة ما صيرها كالموتى من احياه الله فحيى بالفك وحى بالادغام
وهو الاكثر (احياء) جمع حى اى قبائل العرب بواسطة احياء نفوسهم ومواشيها وفيه
تجنيس الاشتقاق فى أثرى الثرى وقرت قراها وأحييت احياء (فترى) أنت لو شاهدت
تلك الواقعة (الارض غبه) اى عقب ذلك الغيث المتولد منه ما يدهش الابصار من النبات
والزهور (كسماء) حال ان جعلت رأى بصرية وهو الظاهر أو مفعول ثان ان جعلت
علمية (أشرقت) اى زالت عنها (من) أجل (نجومها الظلماء) ففيه تجوز اذ الاشراق
انما يستعمل للنور ووجه الشبه ما حصل للارض باصابة الغيث وللسماء من
النجوم من زوال ظلمتها الحقيقية فى السماء والمجازية فى الارض وبين الارض والسماء
والاشراق والظلمة الطباق وتراها أيضا (تخجل) اى تحير وتدهش (الدر) اى اللؤلؤ
(واليواقيت) وهى فارسى معرب واسناد الخجل اليها مجاز أو هو على حذف مضاف اى
أهلها بمعنى ان من بايديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عن
رؤية تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة (من نور) بفتح النون اى زهر وهو
بيان لفاعل تخجل الآتى (رباها) بضم الراء اى المحال المرتفعة منها وخصت لان ما بها

(قوله الذين قال لهم الناس) المراد بالناس الاول فى الآية نعيم الاشجعى وحده والمراد بالناس الثانى أبو سفيان وأصحابه (قوله اى ذو استسقاء) وتقدير ذلك المضاف لا يوضح المراد وعبارة ابن عبد الحق اى اقلاعه كاستسقاء فى النفع فالاستسقاء هنا بمعنى الاسقاء اه والمعنى الواضح الذى يبين به المتن ان يقال ان اقلاعه على حذف مضاف اى طلب اقلاعه وان استسقاء على حذف اداة التشبيه اى كاستسقاء أى طلب اقلاعه كطلب السقيا فى ترتب دفع الضرر على كل تأمل (قوله غالبا) وقد يكون لطلب زيادة بها نفع وقد يكون لطلب عذوبة الماء بعد ملوحته (قوله وفيه تجنيس الاشتقاق) الظاهر انه شبه اشتقاق لان أحد اللفظين وهو الثانى فى المواضع الثلاثة ليس مشتقا ولا مبدأ اشتقاق تأمل (قوله تجوز) اى على طريق الاستعارة التصريحية التبعية حيث شبه ازالة الظلام باشراق الضوء بجامع ترتب النفع بالابصار (قوله انما يستعمل) اى لان أشرق معناه اضاء

النضر وابهى من بقيتها (البيضاء) راجع للدر (والحمراء) راجع لليواقيت اى يخجل
نورها الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه اللف والنشر المرتب ومراعاة النظير
بذكر المعدنين والتقابل بذكر الضدين ويسمى التدبيج لانه الوان وما تقرر ان الناظم
انما أراد القصة المذكورة التى كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز
ان يريد أيضا ما وقع بمكة على ما ورد ان قريشا لما ابطؤا عن الاسلام ودعا عليهم صلى الله
عليه وسلم بالقحط فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام جاءه أبو سفيان
فقال له يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا الغيث
فاطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر فسأل الله تعالى رفعه ولما ذكر من صفاته
صلى الله عليه وسلم الباهرة ما يشوق كل سامع لشئ منها الى رؤية وجهه الكريم تمنى ذلك
فقال (ليته) هى أتمنى ما لا طمع فى حصوله أو ما فيه عسر (خصنى برؤية وجه) اى ليتنى
أدركت زمنه لاكون من أصحابه اذهم أفضل من جميع من جاء من بعدهم عند الاكثرين
وذهب ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو أفضل من بعضهم للخبر
الحسن بل قيل انه يرتقى الى درجة الصحة مثل أمتى مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله
وللخبر الحسن أيضا ليدركن المسيح أقواما انهم لمثلكم أو خير ثلاثا وفى حديث أبى داود
والترمذى يأتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل منهم أو منا قال منكم ويجاب عن الاول
باحتمال انه قبل ان يعلم افضلية أصحابه فلما علم بها صرح بها بقوله لو انفق أحدكم ملء
الارض ذهبا لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه وبقوله خير القرون قرنى وعن الثانى بان أو فيه
تحتمل ذلك أيضا وعن الثالث بانهم صرحوا بان مجرد زيادة الثواب لا تقتضى الافضلية
على ان فضيلة الصحبة لا يعادلها عمل ومن ثم لما سئل ابن المبارك عن عمر بن عبد العزيز
ومعاوية رضى الله عنهما أيهما أفضل قال للغبار الذى دخل فى أنف فرس معاوية
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل عمر بن عبد العزيز وأشار بعضهم
الى ان محل الخلاف فى صحابى لم يحصل له الا مجرد الرؤية وأما من زاد على ذلك بنحو
رواية أو غزو فلا نزاع فيه أو ليتنى أراه فى الموقف وعلى الحوض وفى الجنة شافعا نافعا
أو ليتنى أراه فى النوم رؤية تدل على اعتنائه بى لاخباره صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث
الصحيحة بان من رآه فيه رآه حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته صلى الله عليه وسلم ولا
يتشبه بها وان من رآه فيه فقد رآه فى اليقظة اى كأنه رآه فى اليقظة لما تقرر ان الشيطان
لا يتشبه به صلى الله عليه وسلم فهو وان مكن من التصور باى صورة أراد لم يمكن من
التصور بصورة نبينا صلى الله عليه وسلم مطلقا وقال جمع ان رؤى بصورته التى كان عليها
وقال بعضهم ان رؤى بصفته التى قبض عليها حتى عدد شيبه وصح هذا عن ابن سيرين
وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما يفهمه وفى حديث ضعيف الى أرى فى كل
صورة وصحح النووى وغيره انه يرى حقيقة ولو على غير صفته قال ابن العربى وغيره لكن

(قوله فسقوا الغيث) بضم السين والقاف على صيغة المجهول وأصله سقيوا استثقلت الضمة على الياء فنقلت لما قبلها بعد سلب حركتها فصار سقوا على وزن فعوا والغيث مفعول ثان لسقوا (قوله ما لا طمع فى حصوله) وذلك التفسير الاول من التفاسير الاربعة اقول الناظم ليته خصنى برؤية وجه وقوله أو ما فيه عسر وذلك ما بقى من التفاسير لان ذلك أمر متعسر باعتبار توقفه على تخلية النفوس من ظلمات الرعونات وتحليتها بأنوار الطاعات فتأمل (قوله برؤية) هى والرؤيا بألف التأنيث قيل بمعنى والاظهر ان الاولى أعم لشمولها اليقظة والمنام واختصاص الثانية بالثانى ولنا رسالة تتعلق برؤيا النبى صلى الله عليه وسلم سميناها بتبليغ المرام ببيان حقيقة رؤيته فى اليقظة والمنام فارجع اليها ان أردت

رؤيته على غير صفته مثال فرؤيته مقبلا أو بصورة حسنة كاملة تدل على خير وعكسه بعكسه وقال عياض فى رواية مسلم من رآنى فسيرانى فى اليقظة يحتمل ان المراد رؤيته صلى الله عليه وسلم على صفته موجبة لرؤيته صلى الله عليه وسلم فى الآخرة على نوع مخصوص من قربه منه أو شفاعته له وفى هذا أقوال أخر كثيرة وقال الغزالى فى رؤيته على صفته ليس المراد رؤية ذاته حقيقة بل مثال يحكيها على التحقيق كما فى رؤية الله تعالى اذ لا صورة له ترى بل معرف لها من نور أو غيره أوليتنى أراه فى يقظتى بناء على امكان ذلك وهو ما حكاه ابن أبى جمرة والبارزى واليافعى وغيرهم عن جماعة من التابعين ومن بعدهم انه راه فى المنام فرأوه بعد ذلك فى اليقظة وسألوه عن أشياء غيبية فأخبرهم بها فكانت كما أخبر قال ابن أبى جمرة وهذه من جملة كرامات الاولياء فيلزم منكرها الوقوع فى ورطة انكار كراماتهم وفى منقذ الغزالى ان أرباب القلوب فى يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد وقال البدر حسن الاهدل وقوعها للاولياء تواترت باجناسها الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك وما تواترت عليه أخبارهم لم يبق فيه شبهة ثم أخذ يبطل ذلك كله ويفسده ويعظم النكير على مجوّزه بلا حجة له فيه ومما يبطل جميع ما تدين به وجاوزت به الحداثة من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره وانه لا يراه فى اليقظة الرؤية النافعة الاولى وانه لا يبعد ان من أكرم برؤيته صلى الله عليه وسلم ان يكرم بازالة الحجب بينه وبينه فهو صلى الله عليه وسلم مع كونه فى قبره يراه الاولياء فى اليقظة فى قبره ويحادثونه وان بعدت ديارهم واختلفت مراتبهم فى الحالة الواحدة ولا يلزم من وقوع ذلك لهم على سبيل الكرامة الباهرة انهم صحابة لان الصحبة انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم واذا كان من رآه بعد موته وقبل دفنه غير صحابى فهؤلاء كذلك بالاولى فاندفع قول فتح البارى هذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة اه ومما يؤيد ان الناظم يحتمل انه أراد ذلك انه تلميذ القطب أبى العباس المرسى فهو الذى حلت عليه بركته حتى وصل الى النظم البالغ الذروة العليا والقطب المذكور وارث القطب الاكبر أبى الحسن الشاذلى وكل منهما حفظت عنه رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة بل قال أبو الحسن لو حجب عنى النبى صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى مسلما والقطب على ابن القطب محمد بن أبى الوفاء وهما من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلى ومن ثم قالوا طريقة الوفائية خلاصة طريقة الشاذلية ممن حفظت عنه رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة مرارا لاسيما عند قبر والده بالقرافة كما هو مسطور فى كراماته فيكون الناظم رحمه الله تعالى منهم وبالهؤلاء الواقعة لهم الرؤية يقظة يقرب انه سأله فى وقوع ذلك له كما وقع لهم ولقد كان شيخى وشيخ

(قوله من رآنى فسيرانى فى اليقظة) وورد من رآنى فقد راى الحق اى الرؤيا الحق (قوله أراه فى يقظتى) بان ترى روحه الشريفة المتشكلة شكل جسده الشريف المنطلقة الانطلاق الكلى أو جسده الشريف فانه حى فى قبره ولا مانع من اكرام الله بعض عبيده برفع الحجب بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراه فى قبره وان بعدت داره فليس المراد برؤيته يقظة انه يخرج من قبره بروحه وجسده ويمشى فى الاسواق ويأتى لمكان الرائى ويخفى عمن لم يرد الله له رؤيته كالملائكة وان نقله بعض شراح المعاريج عن الجلال السيوطى للزوم خلو قبره عنه ولوجود رؤيته اثنين فاكثر له فى آن واحد مع تباعدهما بأن يكون أحدهما بمصر والآخر بالبصرة وانما المراد ان الحجب تزول خرقا للعادة بأن تجعل تلك الحجب كالزجاج الذى يحكى ما وراءه فيراه أولياء الله بعين بصرهم مع كونه فى قبره ويحادثونه ويسألونه عن أشياء ويجيبهم ويسمعون وان بعدت أماكنهم لانه حى فى قبره أو بان روحه الشريفة تتشكل بصورته الكريمة وتجول فى الملك والملكوت وتحضر عند الموعود برؤيتها فيراها عيانا كما يراها احيانا بعين بصيرته ويكون نورها وشعاعها عند حلولها متصلا بجسده المطهر فى قبره الا ترى ان نور الشمس مثلا مشرق بالارض مع بعد المسافة فنور روحه أولى بذلك لانه اصل كل نور وورد ان اول ما يرفع رؤيته صلى الله عليه وسلم فى المنام والقرآن والحجر الاسود كذا فى الخصائص الصغرى للسيوطى

والدى الشمس محمد بن أبى الحمائل يرى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع له
انه يسئل فى الشئ فيقول حتى أعرضه على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدخل راسه فى جيب
قميصه ثم يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون كما أخبر لا يختلف ذلك أبدا
فاحذر من انكار ذلك فانه السم الوحى *(تنبيه)* ماذكرته من مناسبة الاول والثانى
بعيد اذ لا يناسبه لفظ خصنى بل ولا معناه لان الذى تمناه رؤيته فى حياته ليكون من
أصحابه أو فى الموقف او فى الجنة وكل مسلم يتمنى ذلك فالتمنى أمر عام لا خصوصية فيه ومن
الثالث قريب يناسبه لفظ خصنى ومعناه اى ليته خصنى فيما مضى برؤيتى له فى النوم
الرؤية السابقة فالمعنى فيه صحيح وكذا الخصوصية لان مرائى الناس له فى النوم متعددة
الانواع والدلالات فلا بدع ان يتمنى وقوع رؤية تخصه دون غيره باعتبار ما تدل عليه من
الحظ والامداد وغيرهما ولا نظر الى كونه مفضولا بالنسبة لاكثر الاولياء والعلماء لان
ذلك لا يمنع انه يحصل له من ذلك الجناب من نوع امداد وحظ ما لم يحصل لغيره ومن المعنى
الرابع قريب أيضا لكن على القول بوقوعه وحينئذ ينتج ان أحسن هذه الاحتمالات
الذى لا نزاع فيه هو الثالث *(تنبيه آخر)* من المقرر عند المحققين ان الباء فى حيز
الاختصاص وما اشتق منه يجوز دخولها على المقصور والمقصور عليه فهى هنا داخلة
على الاول على كل من الثالث والرابع وأما على الاولين فخصنى فيهما بمعنى أعطانى
والماضى قد يستعمل مرادا به الاستقبال أيضا *(تنبيه آخر)* ما تقرر من ان خص
وما أخذ منه يفيد الحصر وانه يفيد فى نحو خصه بكذا قصره عليه قصر قلب تارة وافراد
أخرى هو المشهور وأيضا خلافا لمن فرق بين الاختصاص والحصر وفى القاموس خصه
بالشئ خصا وخصوصا وخصوصية وقد يفتح وخصيصا وخصيصة وتخصة وخصه فضله
بالود كذلك ثم قال والتخصيص ضد التعميم اه ولا يتوهم منه أن الاختصاص غير الحصر
لانه لا يسمى فضله به الا ان حصره فيه ويؤيده قوله والتخصيص ضد التعميم الصريح فى
ان التخصيص قصر العام على بعض افراده فتأمل ذلك كله فانه نفيس (زال) اى تحول

(قوله الوحى) نفة نعيل اى السريع قتله (قوله ما لم يحصل لغيره) بل قد وقع له ذلك الامداد لاسيما فيما يرجع الى منظومه فى المديح
والحظ الوافر فى قبوله وانتشاره فى جميع أقطار الاسلام بحيث لم يلتحق به فى شئ من ذلك سابق ولا لاحق مع فصاحتهم وبلاغتهم
التى لا تدانى كما أشار اليه الشارح أول الكتاب (قوله فهى) اى الباء هنا اى من قوله ليته خصنى برؤيته وجه داخلة على الاول
اى المقصور على كل من الثالث والرابع وهما قوله أو ليتنى أراه فى النوم رؤية تدل على اعتنائه بى الخ أو ليتنى أراه فى يقظتى الخ
غير ظاهر بل الظاهر دخولها على المقصور عليه ويكون من قصر الموصوف على الصفة قصرا اضافيا والمعنى ليتنى
مقصور على ما ذكر لا أتجاوزه
الى رؤية لا تدل على الاعتناء بى
على الاول كرؤيته مدبرا عنى
أو لا أتجاوزه الى رؤية نومية
على الثانى وأما على ما قاله العلامة
الشارح فيكون المعنى لا يتجاوزنى
ما ذكر الى غيرى من افراد
الموصوف اذ هو على ما قال من
قصر الصفة على الموصوف
ومعناه ان الصفة لا تتجاوز ذلك
الموصوف الى موصوف آخر
لانها لا تتجاوزه الى اتصافه
بصفة أخرى كما قرره علماء البيان
نعم على ما قرره سابقا فى صدر
التنبيه من قوله اى ليته خصنى
الخ يصح انه من قصر الصفة على
الموصوف لانه جعل الصفة
لا تتجاوزه الى موصوف آخر
ولما كان فيه بعد تكلف صحته
بقوله ولا نظر الى كونه الى آخره
وكذا يقال فى الرابع فافهم
(قوله وعلى الاولين اى ليتنى
أدركت زمنه ورؤيته مع
الاجتماع المتعارف لاكون من أصحابه أو ليتنى أراه فى الموقف وعلى الحوض الخ فخصنى فيهما بمعنى اعطانى فزال
ظاهره ان المعنى فيهما لا يصح ان يكون على الحصر وهو غير ظاهر بل يصح ان يكون ما ذكر من قصر الموصوف على الصفة
كالاولين والمعنى ليتنى مقصور على الكون من أصحابه أو على رؤيته فى الموقف الخ لا أتجاوزه الى التأخر عن زمنه فى الاول
أو على رؤيته رؤية نازلة عن هذه الرؤية على الثانى اه (قوله والماضى قد يستعمل) هذا بالنسبة لما عدا الاول وأما بالنسبة
اليه فالماضى على حقيقته تأمل لكن كلام الشارح سابقا متدافع فى الثالث حيث قال أولا أو ليتنى أراه فى النوم فعبر بأراه
وقال ثانيا ومن الثالث قريب الى ان قال اى ليته خصنى فيما مضى

فزال هنا تامة لا ناقصة (عن كل من رآه) مؤمنا في حياته أو بعد موته في يقظة الرائى لان
ذلك لا يقع الا لاكابر الاولياء أو في النوم على صفته التى كان عليها صلى الله عليه وسلم لما
مر ان ذلك يدل على الخير ورؤيته المخصوصة في الآخرة (الشقاء) اى جميع أنواعه لان
الصحابة رضى الله عنهم كلهم عدول كما يشهد لذلك الكتاب والسنة نحو أصحابى كالنجوم
بأيهم اقتديتم اهتديتم وما وقع لبعضهم مما يخالف ذلك تداركه الله فيه برحمته فوفقه
للتنصل من وصمته وحباه بجعله من أحبته ببركة شمول نظر نبيه صلى الله عليه وسلم ولما
ذكر ذلك الوجه الكريم وزوال الشقاء عن كل من رآه أتبعه بذكر صفات وخصوصيات
له صلى الله عليه وسلم ذاكرا مع كل ما يناسبه كما هو شأن البلغاء فقال (مسفر) ذلك الوجه
حسنا فهو صفة ثانية لوجه اى مشرق نوره الذى يكاد ان يخطف الابصار (يلتقى) ذلك
الوجه أيضا (الكتيبة) اى الجيش بالمثلثة أو المثناة من تكتبت بنو فلان اذا اجتمعوا حال
كونه (بساما) اى متبسما يفتر عن مثل سنا البرق أو عن مثل حب الغمام (اذا أسهم) اى
غير من سهم بفتح عينه أو ضمها وجهه اذا احمر وتغير (الوجوه اللقاء) للعدو فهو صلى الله
عليه وسلم في الحالات التى فيها ينزعج غيره ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمأنينة
والثبات والتبسم لعظيم ما آتاه الله سبحانه وتعالى من الشجاعة التى لم يصل غيره الى
أدناها وقد صح كما مر عن أنس انه صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس وانه سمع صياحا
بالمدينة ليلا فخرج صلى الله عليه وسلم الى ان بعد فلم ير شيأ فلما رجع رأى الناس خارجين
فقال صلى الله عليه وسلم لن تراعوا اى روعا عن حقيقة ما رأينا من شئ وصح انه صلى الله
عليه وسلم صرع ركانة مرات ولم يصرع قط فقال له متعجبا منه ان شأنك لعجيب وصرع
آخر بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة لينتزعوه من
تحت قدمه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه وصح انه صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين
لما تفرق عنه أصحابه ولم يبق معه الا بضعة عشر ثبت على بغلته مع انها لا تصلح للكر ولا الفر
وهو صلى الله عليه وسلم يركضها الى وجه العدو وينوه باسمه ليعرفه من لا يعرفه قائلا
أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب ولا شجاعة وراء ذلك ومن ثم قال الصحابة رضى
الله عنهم كنا اذا حمى الوطيس اى اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اى
جعلناه أمامنا واستقبلنا العدو به صلى الله عليه وسلم وقمنا خلفه وذهب بعض المالكية
الى ان من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقيصه
اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصة نفسه لعلمه بان الله تعالى ناصره وحافظه واعترضه بعض
المالكية بما حاصله انه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب ولم يقبل له توبة اه وقياس
مذهبنا خلافا لمن أخطأ فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه صلى الله عليه وسلم كفر والا فلا
واذا قلنا بكفره فذهب بعض أئمتنا الى انه لا تقبل توبته وحكى فيه الاجماع والمعتمد
قبولها منه (جعلت مسجدا له) اى لذلك الوجه المكرم ولامته بطريق التبع له

(قوله على صفته التى كان عليها)
واما من رآه لا على تلك الصفة
ككونه اسود فان ذلك لا يدل
على زوال جميع أنواع الشقاء
عنه بل يدل على نقصه فتأمل
(قوله لان الصحابة) تعليل قاصر
على من رآه مؤمنا في حياته صلى
الله عليه وسلم اذ هو الذى ثبتت
له الصحبة فلا يشمل من رآه بعد
موته في يقظة الرائى أو نومه على
الصفة التى كان عليها مع حكم
الشارح عليهما بأنهما كالاول
تأمل (قوله يفتر) اى يضحك
(قوله اى روعا الخ) أو المراد
روعا مستقرا أو روعا يضركم
(قوله صرع ركانة) بضم الراء
أسلم يوم الفتح ومات بالمدينة (قوله
وصرع آخر) هو ابو الاسود
الجمحى قيل وصارع أبا جهل
ولكنه لم يصح (قوله جعلت
مسجدا الخ) مناسبة ذلك في
خلال التكلم على صفات وجهه
الشريف تعلق السجود على
الارض به اذ هو بجزء من اجزائه

(الارض) كلها كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة حيث قال أعطيت
خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل الحديث والمراد بقوله مسجدا
موضع سجود اى ان السجود لا يختص بموضع منها دون غيره قيل ويمكن ان يكون
مجازا عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة في جميعها
كانت كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت لي الارض مسجدا وطهورا ولغيري مسجدا
لا طهورا الا ان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان يسيح فيها ويصلي حيث أدركته
الصلاة وقيل ان المراد ان الصلاة لم تبح الا في محل يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة
ابيحت لها في كل أرض الا ما يتيقنون نجاسته والاصح الاول وهو انها لم تبح لمن قبلنا
الا في أماكن مخصوصة كالبيع والكنائس والصوامع للخبر المصرح بذلك وكان من
قبلي انما يصلون في كنائسهم وتوافقه رواية ولم يكن أحد من الانبياء يصلي حتى يبلغ
محرابه وبهذين يرد الاحتجاج بقصة عيسى المذكورة مع ما ذكر فيها الدلالة هذين على
خلافه وبفرض صحته فهو لا ينافي الخصوصية لانها ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم
وأمته بخلاف عيسى صلى الله عليه وسلم (ف) بسبب هذا الجعل (اهتز) اى تحرك طربا
وفرحا (به) صلى الله عليه وسلم (للصلاة) اى لاجلها (فيها) اى الارض (حراء) بالكسر
والمد ويجوز قصره وصرفه وعدمه باعتبار المكان والبقعة كسائر أسماء الامكنة وهو
الجبل الذي كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوة وهو مشهور ودليل ذلك انه
صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت
الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وفي رواية
وسعد بن أبي وقاص ولم يذكر عليا أخرجهما مسلم وخرجهما الترمذي وذكر انه كان
عليه العشرة الا أبا عبيدة وقال صلى الله عليه وسلم اثبت حراء وفي رواية اهدأ حراء
ورواه البخاري في أحد بلفظ انه كان معه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه
صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ورواه
النسائي والترمذي في ثبير وهو جبل مقابل لحراء انه صلى الله عليه وسلم كان عليه ومعه
أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارته الحضيض اى الذي في قراره وأسفله
فركضه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
وما أشار اليه الناظم بتعبيره باهتز من ان ذلك التحرك انما هو للطرب والفرح لا للغضب
نقله شارح البخاري ابن التين في أحد فقال قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف أراد صلى
الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى عليه
الصلاة والسلام لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص
صلى الله عليه وسلم على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرورا ما اتصلت به

لارجفانه

(قوله الحديث) تمامه وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة اه ق ن عن جابر (قوله يتيقنون طهارته) اى الامم السابقة (قوله كالبيع) جمع بيعة بالكسر معبد النصارى اى الرئيس منهم كالراهب (قوله والكنائس) جمع كنيسة متعبد اليهود او النصارى أو الكفار (قوله والصوامع) جمع صومعة كجوهرة بيت النصارى (قوله يرد الاحتجاج بقصة عيسى الخ) وعليه ما الحكم اذا سافر واحد من قومه ولم يكن في طريقه محل معد للصلاة ككنيسة فان كان في شريعته سقوط الصلاة حينئذ فظاهر وكذا ان كان عدم صحة صلاتهم في غير المعد مقيدا بالاقامة فحرر (قوله أو شهيد) أو فيه وفيما قبله بمعنى الواو كما سبق والمراد بالشهيد الجنس فيصدق بأكثر من واحد فلا يرد ان الشهداء في حراء أكثر من واحد تأمل (قوله العشرة) بزيادة طلحة وسعيد على من ذكر (قوله اهدأ حراء) عبارة المختار هدأ أسكن وبابه قطع وخضع واهدأه سكنه (قوله الحضيض) اى القرار من الارض عند منقطع الجبل اه جوهري (قوله لما رجف) من باب نصر والرجفة الزلزلة والاضطراب الشديد

لارجفانه فأقرا الجبل بذلك فاستقر اه واستشكل ماذكر بان الهزطرباً فرع العلم بمن فوقه وقوله اثبت الخ يقتضى ان تحركه لغير السرور ويجاب بانه علم من الاحاديث الصحيحة التى منها أحد يحبنا ونحبه ان أحداً أودع علما به صلى الله عليه وسلم ومحبة له وميلا اليه فاذا اهتز لاجل ذلك دل على نوع طيش وخفة فناسب ان يركضه صلى الله عليه وسلم برجله الكريمة وان يذكره بان مقام النبوة والصديقية والشهادة كل منها يقتضى الرزانة وعدم التحرك فلما علم الجبل ذلك سكن وخضع فكان ما منه أولا هزة الطرب وآخرا سكون الحياء والامتثال والادب ويحتمل انه ارتعد هيبة لجلاله صلى الله عليه وسلم فأمره صلى الله عليه وسلم بترك ذلك وذكره بان ماعليه من المقامات الثلاث السابقة يقتضى هزة الجبال واللقاء المنبئين عن غاية الفرح والسرور (قال الطبرى) وغيره واختلاف الروايات يحمل على انها قصص تكررت وهذا اوضح لان كلا منها صحيح فلا وجه الا التعدد وايده شيخ الاسلام الحافظ العسقلانى بعدما توقف فيه بان الذى معه بحراء ازيد ممن معه باحد فان قلت ماوجه التعليل فى قول الناظم لصلاة فيها قلت كأنه يشير الى ان الله تعالى لما اقطع نبيه صلى الله عليه وسلم الارض وجعلها كلها مسجدا له صلى الله عليه وسلم وشرفها بصلاته فيها دخل فى ذلك جبالها فاذا صعد بعضها تذكر الجبل ذلك الجعل وتلك الصلاة الذين حصل بهما للجبل كبقية الارض غاية الشرف فحينئذ تحرك اعلاما للامة بما حصل له مما يوجب السرور والطرب ثم رأيت بعضهم جعل ضمير فيها للجبل وجعل المراد بالصلاة صلاته صلى الله عليه وسلم فيه لما كان يختلى فيه قبل البعثة وهذا كلام ساقط لانه لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم صلى قبل النبوة ولان الاهتزاز بعد النبوة بكثير لرواية ان العشرة الا واحدا كانوا معه (مظهر) ذلك الوجه الكريم (شجة الجبين) اى جرح جبينه وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفى التعبير به مسامحة وتجوز لما يأتى ان الذى شج جبهته وفى رواية وجنته صلى الله عليه وسلم والجبين غيرهما فالتعبير بالجبين من مجاز المجاورة (على البرء) اى فيه أو معه من برئ من المرض بالكسر برأ بالضم وبرأ بالفتح فيهما وهذه الشجة كانت يوم أحد أخرج ابن هشام عن أبى سعيد الخدرى ان عتبة بن أبى وقاص أخا سعد بن أبى وقاص أول من رمى بسهم فى سبيل الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يناوله السهام يوم أحد ويقول له ارم فداك أبى وأمى قال فلم يجمع أبويه لغيرى وكان يفتخر به ويقول هذا سعد خالى اى لانه زهرى فليرنى امرؤ خاله فشتان مابين هذين الاخوين رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فكسرت رباعيته اليمنى السفلى وجرحت شفته السفلى وان عبد الله بن هشام الزهرى شجه فى جبهته وان ابن أبى قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة وفى رواية وهشموا البيضة على رأسه صلى الله عليه وسلم ورموه بالحجارة حتى رموه صلى الله عليه وسلم لشقه فى حفرة الحديث وروى الطبرانى وغيره ان عبد الله بن أبى

صلى الله عليه وسلم من المقامات الثلاثة المقتضية للادب والحياء لا الطيش فاستقر وثبت وقد أشار لذلك فى جواب الاشكال (قوله ازيد ممن معه بأحد) اى وممن معه بثبير (قوله للجبل) اى بتأويله بالبقعة تأمل وعبارة المالكى من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان جعلت له الارض مسجدا اى مكانا لصلاته وطهورا اى مكانا للتيمم ثم قال ومن جملة ذلك صلاته فى جبل حراء وهو الجبل الذى كان يتعبد فيه قبل البعثة فانه اهتز اى تحرك فرحا وطربا لما كان على ظهره مع جماعة من أصحابه ثم ذكر حديث أعطيت خمسا وغيره (قوله ساقط لانه الخ) فلو جعل ذلك البعض المراد بالصلاة صلاته بعد النبوة حالة كونهم عليه وقت الهزة لاستقام ماذكره لكن صحة ذلك تتوقف على ثبوت صلاتهم عليه عند الهزة والا تعين ماذكره من قوله كأنه يشير الخ تأمل (قوله وجنته) الوجنة مثلثة وكلمة ماارتفع من الخدين (قوله أول من رمى بسهم) راجع لسعد رضى الله عنه (قوله وكان) اى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتخر به اى بسعد اى فى ظاهر الامر تعليما للامة بفخر محل الفخر والا فسعد هو الذى يفتخر بكونه صلى الله عليه وسلم ابن أخته وأعظم به فخرا (قوله رمى رسول الله الخ) اى عتبة

قثة رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قثة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه اقمأك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى أحمد والترمذى والنسائى عن أنس كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وفى مرسل قوى ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين مرة وقاه الله شرها كلها (كما) مصدرية (أظهر الهلال البراء) بفتح الموحدة وهو أول ليلة من الشهر اى ان وجهه الكريم أظهر آثار تلك الشجة مع برئها ظهورا واضحا ليس فيه أدنى شين بل فيه غاية الكمال والجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله لحكمتين ليتذكر الراؤن لذلك والراوون عنهم ماوقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها حتى يقتدى به فى ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه من ذلك بل زادته جمالا على جماله صلى الله عليه وسلم لانها صارت بعد البرء كالهلال فى وجهه الاحسن من الهلال كما قال (ستر) ذلك الوجه (الحسن) الاصلى (منه بالحسن) العارض من الشجة (فاعجب لجمال) أصلى (له الجمال) العارض وفى هذا كالذى قبله الجناس التام المتماثل بناء على مامر مع الكلام عليه فى شرح شق عن قلبه وشق له البدر واما جزم الشارح بانه من ذلك مع اختلاف موضوعه باعتبار الاصلى والعارض كما تقرر لا من حيث الوضع فغير صحيح ولو حصل تمام التجنيس من اللفظين مع اتفاق الوضع واختلاف المراد لعدوا منه الذين قال لهم الناس ان الناس أن النفس بالنفس نعم يمكن ان يقال قد يقاس اختلاف المراد باختلاف الوضع حيث لاقرينة تميزه كما هنا بخلاف مافى الآيات فان قرينة التغاير فيها ظاهرة مع التجنيس فلو عبر الشارح بيحتمل أو نحوه لسلم من الجزم بما كلامهم كالصريح فى رده وفى البرء والبراء الجناس المطرف (وقاه) وسبب ذلك ان الله أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم غاية الجمال التى لم يعطها لمخلوق كما مر بدليله فى باطنه وظاهره ويكفيك شاهدا على ذلك ما مر ان الله تعالى جعله كله نورا حتى لم يظهر له ظل فكان جلده ساترا لجماله الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من انواره الباطنة ماصيرها كالهلال فى وجهه وصار حينئذ حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بتشابيه توضح ذلك وتكشفه فقال (فهو)

(قوله فشج وجهه) اى جرح وجنته كما سبق قريبا (قوله وكسر رباعيته) يقتضى ان كاسرها ابن قمئة وقد سبق قريبا ان كاسرها عتبة بن أبى وقاص فان ثبت ان الرباعية هنا غير اليمنى السفلى اندفع التنافى (قوله اقمأك الله) بالهمز اى حقرك وأذلك (قوله ليس لك من الامر شئ) اعتراض بين المتعاطفين (قوله أو يتوب عليهم الخ) معطوف على قوله أو يكبتهم اى يخزيهم والمعنى ان الله مالك أمرهم فاما ان يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا وليس لك من أمرهم شئ وانما أنت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم (قوله وهو أول ليلة) عبارة القاموس البراء أول ليلة أو يوم من الشهر أو آخرها أو آخره اه فقصر الشارح له على أول ليلة منه لقوله الهلال (قوله كظهور الهلال) قال المالكى واستعار الهلال للشجة لانها تشبهه غالبا (قوله واما جزم الشارح) اى وكذا الشارح المالكى (قوله نعم يمكن الخ) تقدم دعواه لذلك فى شق عن قلبه وشق له البدر (قوله وفى البرء الخ) كان الاولى تقديمه على هذا البيت لانه متعلق بالبيت الذى قبله (قوله المطرف) فيه ان المطرف كما فى البديعيات وشروحها ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا فى طرفه الاول وهذا هو الفرق بينه وبين المذيل فانه ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا فى آخره فصار له كالذيل اه فكان الصواب ان يقول المذيل بدل المطرف على ان الحرف الزائد لم يقع طرفا بل وسطا لانه قبل الهمزة الواقعة طرفا فليس مذيلا أيضا ومثال المذيل قول البهاء زهير

اشكو واشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر
طرفى وطرف النجم فيك * كلاهما ساه وساهر

فكان المناسب ان يقول بدل المطرف الناقص الاعم من المطرف والمذيل كما هو معلوم من فنه

اى

اى ماظهر بالشجة من باطن بدنه صلى الله عليه وسلم ( كالزهر ) اى نور النبات اذا (لاح)
اى ظهر (من حجف) بفتح أوله وكسره اى ستر (الاكمام) والاكمام هو كالاكمة جمع كم
بالكسر وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد (و) هو أيضا مثل (العود) الذى
يتطيب به اذا (شق عنه اللحاء) وهو قشر الشجر من لحوته ألحوه قشرته فظاهر الجلد
كاللحاء وباطنه كالعود وفى هذين التشبيهين مايعلمك ان جمال باطنه ربما فاق جمال
ظاهره ومن ثم قال ( كاد) ماظهر بالشجة (أن) وهى ومابعدها سدت مسد مرفوع كاد
وخبرها (يغشى) بالغين المعجمة اظهر من المهملة (العيون) اى يغطى عليها (سنا) بالقصر
اى ضوء عظيم خارج (منه لسر) عظيم وفى نسخ بسر (فيه) اى فى ذلك الباطن الذى ظهر
هو ومصيره كله ضياء أعظم من ضياء الشمس ومن ثم كان أصل ذلك السر لاكاله (حكته)
اى شابهته (ذكاء) بضم المعجمة وعدم الصرف وامتناع دخول أل عليها اى الشمس
وذكرها بعد سنا من مراعاة النظير وبما تقرر علم ان من أسباب عدم شينه بتلك الشجة
ماأوتيه صلى الله عليه وسلم من الحسن الذى لم يؤته غيره ومن ثم (صانه) ذلك (الحسن)
لو انفرد فكيف (و) قد انضم اليه (السكينة) اى وقار الظاهر مع طمأنينة القلب وعدم
تحركه مما يحزن به من المؤذيات التى لا يسكن عندها غيره (ان تظهر فيه آثارها) هو ضمير
الفاعل المتقدم رتبة وهو (البأساء) اى الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة
الا غاية الطمأنينة ونهاية الجمال كما مر فعلم أنه صلى الله عليه وسلم لما أودعه الله فيه
من كمال الجمال وتمام البهاء فى حالة السراء كهو فى حالة البأساء فلا تؤثر فيه البأساء البتة
(وتخال) اى تظن انت (الوجوه ان قابلته) اى عاينت وجهه وجواب ان محذوف
لدلالة ماقبله عليه خجلت من فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة كما يشاهد ممن قوى
خجله حتى كان تلك الوجوه عند ذلك التلون (ألبستها الوانها) هو ضمير الفاعل المتقدم
رتبة وهو (الحرباء) المشهورة ومن شأنها انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت
وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة (ف) بسبب هذا الجمال الباهر المستلزم لباهر الافضال
والاحسان (اذا شمت) بالمعجمة من شمت البرق نظرت الى سحابه (بشره) اى طلاقة وجهه
صلى الله عليه وسلم (ونداه) اى جوده اى اذا تطلعت الى مخايله ببصرك منتظرا اليه
(اذهلتك) اى انستك ما انت بصدده (الانوار) الباهرة التى تحصل لك من بشره عند
رؤية وجهه صلى الله عليه وسلم (والانواء) جمع نوء وهو ماتضيف العرب الامطار اليه من
النجم أو وقته كمطرنا بنوء الثريا وهو هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه صلى الله عليه
وسلم لمن قصد نداه وأمله ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار للبشر والانواء للندى
وفيهما الجناس اللاحق ونوع من مراعاة النظير يسمى تشابه الاطراف وهو ان يختم
الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى نحو لا تدركه الابصار الآية فاللطيف يناسب
لا تدركه الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار ولما تمنى رؤية الوجه المكرم

(قوله العود) اى كالعود
الهندى اذا أزيل عنه القشر
المانع لكثرة طيب رائحته فانه
يظهر ظهورا تاما للشام (قوله
ألحوه) لحوا ولحيته ألحيه لحيا
(قوله يغشى) بضم الياء (قوله
الحرباء) وهى دويبة نحو العظاية
تستقبل الشمس برأسها كما فى
القاموس وتطلق على مسمار
الدرع أو رأسه فى حلقة الدرع
والظهر وذكر ام حبين وعلى
الارض الغليظة كما فى
القاموس أيضا (قوله اذا تطلعت
الى مخايله) اى محاسنه (قوله
الجناس اللاحق) لبعد مخرجى
الراء والهمزة

واستتبعه بأوصافه العلية أخذ فى تقبيل راحته الكريمة ووصفها بأوصافها العلية فقال (أو) ليته خصنى (بتقبيل راحة) اى بلثمى فى اليقظة أو النوم نظير ما مر الكفه التى (كان لله) اى لاجله ابتغاء لوجهه تعالى دون غرض آخر (وبالله) اى بسبب شهود اعانته وحده (أخذها والعطاء) اسم مصدر بمعناه اى واعطاؤها البراءتها من كل غرض ينافى الكمال الاعظم فلم يقع تصرف منها فى شئ منذ أفاض الله عليها خوارق جوده الا مع شهود سلب كل حول وقوة عما سواه تعالى ولهذا الشهود الاعظم فى تصرفها كانت (تتق) بفتح التاءين اى تخاف وتحذر (باسها) اى شدتها فى الحرب (الملوك) كقيصر وكسرى والمقوقس الى ان ظفرها الله بجميعهم (و) كانت (تحظى) اى تفوز (بالغنى) الحسى والمعنوى (من) بعض (نوالها) اى عطائها (الفقراء) لانه صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس فيعطى عطاء تعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش الفقراء لايثاره على نفسه وعياله وكان جوده كله لله تعالى وفى ابتغاء مرضاته يبذل المال تارة للفقير والمحتاج وتارة ينفقه فى سبيل الله وتارة يتألف به من يقوى اسلامه أو من يسلم باسلامه نظراؤه وبين الاخذ والعطاء والملوك والفقراء وتتق وتحظى تجنيس التقابل (لا تسل) أصله بالهمز ثم خفف بحذفه كما قرئ فى سال سائل (سيل) وهو الماء الكثير الجارى وبينهما تجنيس التحريف والتصحيف (جودها) بفتح الجيم وهو المطر الغزير اى لا تسأل هذا الامر المكنى به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شئ لا يقدر أحد من البشر قدره بل (انما) الذى يليق بك ان تسأل ما (يكفيك) وهو ان يصل اليك (عن وكف) اى قطر (سحبها) جمع سحاب (الانداء) جمع ندى وهو البلل على ان بلل هذا القطر فيه الغنى الكلى فمن وصلت اليه بلة من قطرة منه كانت سببا لغناه فى الدنيا والآخرة ومن أوصاف تلك الراحة العلية أيضا انها (درت الشاة) اى أرسلت لبنها الغزير (حين مرت عليها) بسبب ذلك صار (لها) بعد فقد اللبن منها بالكلية اذ لم يكن طرقها الفحل قط (ثروة) اى كثرة اللبن (بها) اى بسبب تلك الراحة الكريمة (ونماء) اى زيادة فى تلك الكثرة وهذه القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فأخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قريب رابغ على أم معبد

(قوله اى واعطاؤها) فالعطاء اسم مصدر لاعطى (قوله لبراءتها) اى براءة صاحبها اذ هو المتصف بالبراءة من الغرض حقيقة (قوله ثم خفف بحذفه) اى بعد نقل حركته للساكن قبله (قوله وبينهما تجنيس الخ) اى وتجنيس شبه الاشتقاق لان أحد اللفظين ليس مشتقا ولا مبدأ اشتقاق حتى يكون جناس اشتقاق فان السيل هنا اسم للماء الكثير الجارى كما ذكره الشارح تأمل (قوله التحريف والتصحيف) ذكر شراح البديعيات ان جناس التصحيف ما ابدل حرف من أحد ركنيه بحرف آخر على صورته فى الخط واختلفا لفظا ويسمى جناس الخط كقوله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا والجناس المحرف ما اتفق ركناه فى اعداد الحروف وترتيبها واختلفا فى الحركات كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى واذا اجتمع فيه التصحيف والتحريف صار مشوشا كقول الحريرى

• زينت زينب بقد يقد •

وبه تعلم انه ان أريد فى تعريف جناس التصحيف بالحرف المبدل كونه فى موضع المبدل منه كما فى الآية فان النون واقعة فى موضع الباء اى بين السين والواو فما فى المتن ليس منه لاختلاف الموضع وان أريد الاعم كان منه وان كانت أمثلة أهل البديع تأباه واما كونه جناسا محرفا فغير ظاهر لاشتراطهم التوافق فى الترتيب ولم يوجد ذلك فى النظم لان التاء فى أول أحد الركنين والباء فى وسط الآخر فتأمل ثم رأيت فى شرح بديعية لبعض الادباء عدم ذكر الترتيب فى حقيقة الجناس المحرف وحينئذ فيظهر وجود الجناسين فى النظم كما ذكره الشارح اه لكن فى شرح بديعية الصفى الحلى ما نصه وأما المحرف فهو ما تماثل ركناه فى الحروف وتخالفا فى الحركات فيكون الشكل فارقا بينهما كما فى الحديث المذكور اه وعليه فليس تسل وسيل منه لعدم مماثلة التاء للباء الا ان يراد المماثلة فى الصورة واعمماثلا نطقا كما فى الحديث أولا كما فى النظم ويكون الفارق بينه وبين المصحف اختلاف اللفظ فى المصحف واختلاف الشكل فى المحرف فتدبر (قوله لا يقدر أحد) اى لا يطيق حصره وضبطه

معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تسقى وتطعم وكانوا فى غاية القحط والجهد فطلبوا منها لبنا او لحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيأ فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة تخلفت عن الغنم لشدة الجوع فسألها فقال هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك والله ماضربها فحل قط فقال صلى الله عليه وسلم أتأذنين لى ان أحلبها فقالت نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فعقلها ومسح ضرعها بيده وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة فملأه من حلبها وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب بيده مرة أخرى علالا بعد نهل ثم تركه عندها وذهبوا كذا ذكر ذلك أصحاب السير وغيرهم *ومن أوصاف تلك الراحة الجليلة أيضا انه (نبع الماء) بها اى بسببها وعدل اليها عن منها المتبادر ليفيد انه نبع تارة منها وتارة ببركتها من غيرها اما الاول فقال القرطبى قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى ولم يسمع بهذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزنى صاحب الشافعى رضى الله تعالى عنهما ان هذا ابلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسى صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وسائر الانبياء والمرسلين لان الحجر يؤلف منه خروج الماء ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن ما فى الصحيحين عن انس ان الناس احتاجوا الصلاة العصر فلم يجدوا الماء فأتى صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة فى ذلك الاناء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضؤا كلهم زاد البخارى كانوا ثمانين وان الماء نبع من بين اصابعه ومن أطراف اصابعه صلى الله عليه وسلم وفى رواية لابن شاهين انه وقع نظير ذلك فى غزوة تبوك لما شكوا اليه فطلب فضلة ماء فأتى بها فصبها صلى الله عليه وسلم فى صحفة ثم وضع صلى الله عليه وسلم راحتيه فيها فتحلبت عيون من بين أصابعه فرووا وأبلهم وتزودوا منه وفيهما عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من ركوة فجاؤه يشكون العطش فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضؤا كلهم وكانوا ألفا وخمسمائة بل قال جابر لو كنا مائة ألف لكفانا وفى رواية لاحمد عنه فو الذى ابتلانى ببصرى لقد رأيت عيون الماء تخرج من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضؤا كلهم وكانوا ألفا وخمسمائة وظاهر الروايات ان الماء نبع من نفس اللحم الكائن فى الاصابع وهو ما صححه النووى وجزم به غيره وانما استدعى قليل ماء تأدبا مع ربه فانه المنفرد بايجاد المعدومات من غير أصل نعم فى رواية عند جماعة انه فعل ذلك مرة من غير ماء لكن استدعى بشن يابسة ووضع صلى الله عليه وسلم يده فيها فنبعت عيون الماء وأما الثانى ففى مسلم انكم ستأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتى فسبق رجلان ومساه قبل أن يأتى صلى الله عليه وسلم

(قوله وكانت برزة) قال فى القاموس وامرأة برزة اى بارزة المحاسن أو متجاهرة كهلة شديدة جليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهى عفيفة (قوله فى كسر الخيمة) بفتح الكاف وكسرها وسكون السين اى جانبها (قوله حلبا) بفتح اللام اى لبنا محلوبا (قوله فتفاجت) اى فتحت رجليها للحلب (قوله ودعا باناء) جمع آنية كسقاء وأسقية ورداء وأردية وجمع الآنية أوان ووقع فى الوسيط وغيره من كتب الخراسانيين اطلاق الآنية على المفرد وليس بصحيح اه من التحرير للنووى (قوله وعدل اليها) اى الى بها (قوله بعد قوله اثمر النخل فى المذكورة عام لانها تنازعها نبع واثمر (قوله من التواتر الخ) تقدم عند شرح قوله * وسلوه وحن جذع اليه * بيان التواتر اللفظى والمعنوى فراجعه ان شئت

فسبهما ثم اغترفوا له قليلا منها فغسل به وجهه ويديه ثم صب الغسالة فى العين فجرت العين بماء كثير ثم قال يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ماءها قد ملأ بساتين وعمران وفى رواية الموطأ وغيره فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق وصح عن مقاتل فى بعض رواية ان العطش اشتد بهم فى غزوة تبوك حتى كادت رقابهم تتقطع وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشرب به ويجعل الباقى على كبده فسأله أبو بكر رضى الله تعالى عنه أن يدعو لهم فقال صلى الله عليه وسلم أتحبون ذلك قال نعم فرفع صلى الله عليه وسلم يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبوا ينظرونها فلم يجدوها جاوزت العسكر وفى البخارى فى غزوة الحديبية نحو ذلك مرتين مرة أمرهم بوضع سهم من كنانته فى محل الماء ففاض ومرة بوضع يده الشريفة فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم * ومن أوصافها أيضا انه (أثمر النخل فى عام) اى فى سنة غرسه (بها) اى بسبب مس تلك الراحة الكريمة لذلك النخل فى قصة سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه التى ذكرها أصحاب السير ابن هشام وابن سيد الناس وغيرهما وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان وآمن به وكان مسترقا فأمره صلى الله عليه وسلم أن يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر وأربعين أوقية ذهبا ثم أخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر أصحابه أن يعينوه بالودى فأعانوه به ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده فما ماتت منها واحدة حتى أثمرت كلها فى عامها وفى رواية توقفت منها واحدة فقلعها صلى الله عليه وسلم وأعادها فساوت البقية فأداها وبقى عليه الذهب فجاء للنبى صلى الله عليه وسلم مثل بيضة دجاج من ذهب من بعض المعادن فأعطاها صلى الله عليه وسلم له فقال وأين تقع هذه مما على قال صلى الله عليه وسلم خذها فان الله سيؤدى بها عنك فوزن لهم منها أربعين أوقية * ومن أوصافها ايضا انه (سبحت بها) اى فى راحته صلى الله عليه وسلم (الحصباء) اى الحصى كما رواه البزار والطبرانى فى الاوسط وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر وعمر وعثمان فقبض صلى الله عليه وسلم حصيات فسبحن فى كفه حتى سمع لهن حس كحس النحل فناولهن ابا بكر فسبحن فى كفه كذلك ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم اخذها الحاضرون فلم تسبح مع احد منهم قال الحافظ شيخ الاسلام العسقلانى ليس لحديث تسبيح الحصا الا طريق واحد مع ضعفها لكنها مشهورة عند الناس اه نعم أخرج البخارى من حديث ابن مسعود كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى فتح البارى عن الشفاء انه صلى الله عليه وسلم مرض فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه فسبح * (تنبيه) * تسبيح الجماد كالطعام والحصا معناه ان الله خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة خرقا للعادة ومع ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ انما يضاف حقيقة لمن قام به * ومن أوصافها العلية ايضا انه (أحيت المرملين) اى الذين نفد زادهم من القحط حتى أشرفوا على الموت

(قوله ينظرونها) اى المطر المعلوم من السياق (قوله بوضع يده) كان الظاهر حذف الباء اى وسرة وضع بلفظ الماضى اذ يبعد أن يكون أمرهم بوضع يده ثم هذا مكرر مع ما سبق عن جابر وقد يقال بتعدد وضع اليد فى الركوة فلا تكرار (قوله وكان مسترقا) اى مدعى رقه بالكذب اذ هو حر كما سيأتى فى شرح قوله كان يدعى قنا (قوله فوزن لهم منها الخ) قال سلمان والذى نفس سلمان بيده وزنت لهم منها اربعين اوقية فأوفيتهم حقهم وبقى عندى مثل ما أعطيتهم (قوله نفد) من باب تعب اى فرغ

فتسميتهم موتى حق ووصفوا بالحياة مجاز كما ان اسناد الاحياء الى الراحة مجاز ايضا فهو استعارة تبعية (من موت جهد) اى قحط شديد والاضافة بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت أطلق عليه اسمه (أعوز القوم) عدل اليه عن اعوازهم الذى هو القياس لازالة ايهام لفظ المرملين انه خاص بذكورهم وان كان التغليب فى مثله شائعا ذائعا فان قلت شمول القوم للاناث انما هو بطريق التبع فساوى المرملين قلت الفرق بينهما واضح لان شمول القوم للاناث لفظى وان قلنا بالتبعية ومن ثم لم يحتج لقرينة بخلاف المرملين فأفاد القوم مالم يفده المرملين (فيه) اى ذلك الجهد (زاد وماء) من أعوزه الشئ اذا احتاج اليه وعبر بزاد مع انه انما يقال فى طعام المسافر اشعارا بانهم لما حصلت لهم تلك الشدة التى أدت بهم الى الاشراف على الموت صاروا كالمسافرين المشرفين على الهلاك وبين الموت والاحياء والزاد والماء الطباق كالرى والشبع المفهومين مما يأتى (فى) سبب احيائه لهم كثر الله كرامة ومعجزة له صلى الله عليه وسلم الطعام والماء القليل جدا حتى (تغدى) بالدال المهملة اى أكل وقت الغداء وهو ماقبل الزوال (بالصاع) الواحد وهو قدحان بالكيل المصرى تقريبا (ألف جياع وتروى بالصاع ألف ظماء) جمع ظامئ اى عاطش اما تروى الالف الظماء بالماء القليل النابع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم تارة وببركة دعائه تارة أخرى فتقدم الكلام عليه مستوفى والتعبير بالصاع فيه المراد به الماء القليل كما يعلم مما مر وانما ذكره على جهة مجاز المشاكلة لما قبله نحو وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك وبالالف المراد به العدد الكثير ففى بعض المواطن كالحديبية كانوا ألفا وأربعمائة أو خمسمائة وفى بعض المواطن كانوا ثلثمائة وفى بعضها كانوا أقل وفى غزوة تبوك كانوا الوفا مؤلفة واما تغدى الالف الجياع بالصاع فهو مافى الصحيحين عن جابر رضى الله تعالى عنه انه رأى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب

(قوله لازالة ايهام الخ) اولضرورة النظم أو لدفع التوهم اختصاص ذلك بالمسافرين فقد قال البراسى فى شرحه المرملين جمع مرمل من أرمل اذا افتقد زاده فى السفر والمراد هنا فقد الطعام مطلقا (قوله احيائه) مقتضى السياق احيائهم اى الراحة وان كان ماذكره صحيحا ايضا (قوله بالدال المهملة) واما بالذال المعجمة مطاوع غذيته بالتشديد فأخوذ من الغذاء بالكسر وهو مايغتذى به من الطعام والشراب يقال غذوت الصبى باللبن من باب عدا اى ربيته ولا يقال غذيته بالياء مخففا ويقال غذيته مشددا اه مختار (قوله وهو ماقبل الزوال) قال فى القاموس الغداء طعام الغدوة والجمع أغدية وتغدى أكل أول النهار اه فقول الشارح وهو اى الغداء ما اى طعام يؤكل قبل الزوال انظر ابتداء تسميته غداء من أى وقت وقد يؤخذ من قول القاموس وتغدى أكل أول النهار ان ابتداءها الفجر وأما العشاء كسماء فقد قالوا هو مايؤكل بعد الزوال وانظر غاية تسميته بذلك قال فى القاموس العشاء كسماء طعام العشى والجمع أعشية اه وقال قبل والعشاء كبناء أول الظلام اومن المغرب الى العتمة أومن زوال الشمس الى طلوع الفجر اه فان كان المراد بالعشاء كسماء مايؤكل فى وقت العشاء كبناء فالمناسب المعنى الاخير فيكون انتهاء تسمية مايؤكل بعد الزوال عشاء الفجر فتدبر وغير خاف حدوث تسمية خاصة لبعض مايؤكل بين الزوال والفجر بفطور لما يأكله الصائم عند الغروب وسحور بفتح السين لما يأكله الصائم بعد نصف الليل وقبل الفجر (قوله والتعبير بالصاع فيه الخ) مقتضاه ان التعبير بالصاع فى التغدى على حقيقته وهو ظاهر فى رواية جابر للتصريح فيها به وأما فى بقية الروايات بعدها انما يظهر اذا كانت الاقراص فى قصة أبى طلحة وفضل الازواد فى قصة عمر والحيس فى قصة أم أنس ومافى القصعة فى قصة سمرة مقدار صاع فى كل منها تأمل (قوله وبالالف الخ) على أن التعبير بالالف لاينفى الزيادة عليها لكن يحتاج لماذكره الشارح لشمول الاقل من الالف (قوله وبالالف) اى فى التغدى والتروى بقرينة مايأتى أن عدد الآكلين كانوا ثمانين غير رسول الله وأهل البيت فى قصة أبى طلحة وقدر ثلثمائة فى قصة أم أنس

لامرأته واخبرها فأخرجت صاعا من شعير وشاة داجنا اى سمينة فذبحتها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم فى البرمة ذهب للنبى صلى الله عليه وسلم واخبره وطلب ان يأتى بنفر معه فصاح النبى صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحيهلا بكم ثم امره أن لا ينزل البرمة ولا يخبز العجين حتى يجيء فلما جاء صلى الله عليه وسلم بصق فى العجين وبارك ثم فى البرمة وبارك ثم امرها أن تدعو خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها ولا تنزلها فأكلوا وهم الف حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم كما هما وفيهما ايضا الا بعض زيادات فى مسلم عن انس رضى الله عنه فى غزوة الخندق ايضا ان عمه زوج امه اباطلحة عرف جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صوته فذكر ذلك لام سليم زوجته فأخرجت اقراصا من شعير ولفتها بخمار واعطتها الانس ولفت طرف الخمار على رأسه مرتين كالعمامة وارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده بالمسجد اى الموضع الذى أعده لمحاصرة الاحزاب ومعه الناس فقال له أرسلك ابو طلحة قلت نعم قال الطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فتقدمهم أنس فأخبر عمه فقال يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فتلقى ابو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم هلى يا ام سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به ففت وعصرت عكة سمن فأدمته ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم ما شاء الله تعالى أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأكلوا حتى شبعوا فخرجوا ثم قال ائذن لعشرة وهكذا فأكلوا وشبعوا وهم ثمانون ثم اكل صلى الله عليه وسلم واهل البيت وتركوا بقية وفى طرق هذه القصة ما يقتضى تعددها وادخالهم عشرة عشرة لاتحاد القصعة وصغرها وقول انس نعم اما لاستحيائه من كثرة الناس فقال ذلك ليتبعه النبى صلى الله عليه وسلم وحده واما لان من ارسله ذكر له انه اذا رأى كثرة الناس دعاه وحده وفى رواية ان اباطلحة قال انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى فقال ادخل فان الله تعالى سيبارك فيما عندك وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم مسح القرص فجعل ينتفخ ويتسع فى الجفنة وفى اخرى ان اباطلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ اصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا وروى مسلم انهم فى غزوة تبوك جاعوا فسأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو بفضل ازوادهم ثم يدعو الله تعالى لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شئ يسير فدعا صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فما تركوا فى العسكر وعاء الا وملؤه فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله وأنى رسول الله الحديث وفيهما عن انس ايضا ان امه ارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيسة فى تور وهو عروس بزينب فأمره ان يدعو من لقى فدعا من لقى فكانوا زهاء ثلثمائة فوضع صلى الله

(قوله وشاة داجنا) الداجن التى تألف البيوت من الشياه وتطلق أيضا على كل ما يألف البيوت من طير أو غيره كذا فى اللغة فليس السمن من مدلول الداجن فقول الشارح اى سمينة زائد على مدلوله فلعله اطلع على كونها متصفة بذلك (قوله صنع سورا) قال النووى فى شرح مسلم السور بضم السين واسكان الواو غير مهموز وهو الطعام الذى يدعى اليه وقيل الطعام مطلقا وهى لفظة فارسية وقد تظاهرت أحاديث صحيحة بأن رسول الله تكلم بالفاظ غير عربية (قوله فحيهلا) بتنوين هلا وعدمه (قوله ألطعام) باللام كما يدل عليه قوله فقال الخ اذ لو كان بالباء لطلب الطعام فما فى بعض النسخ من الباء الموحدة بدل اللام غير ظاهر (قوله عكة) بضم العين وتشديد الكاف وعاء صغير من جلد للسمن خاصة وقوله فادمته بالمد والقصر لغتان آدمته وادمته اه من شرح مسلم للنووى (قوله مسح القرص) المراد الجنس لما تقدم ان الذى أتت به من الخبز اقراص (قوله بحيسة) قال فى المختار الحيس تمر يخلط بسمن واقط (قوله فى تور) الثور بالمثلثة القطعة من الاقط اه صحاح وأما بالمثناة من فوق المفتوحة والواو الساكنة فهو اناء نحو القدح اه من شرح مسلم والظاهر انه هنا بالمثناة (قوله زهاء) بضم الزاى والمد اى قدر اه شرح مسلم

عليه

عليه وسلم يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله تعالى ثم دعا عشرة عشرة فأكلوا حتى
شبعوا فما ادرى حين وضعت كانا اكثر أم حين رفعت وصح عن سمرة بن جندب انهم
تداولوا القصعة من غدوة الى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قيل له فماذا كانت تمد
قال ما كانت تمد الا من ههنا وأشار الى السماء (و) منها انه (وفى قدر بيضة) اى بيضة
دجاج (من نضار) اى ذهب (دين سلمان) الفارسى رضى الله تعالى عنه الذى كان من جملة
ما كاتب عليه سيده وهو أربعون أوقية من الذهب كما مر آنفا مع صغر تلك البيضة وعظم
ذلك الدين لكن ببركة مسه صلى الله عليه وسلم تلك البيضة براحته الكريمة (حين حان)
اى قرب (الوفاء) اى حلول الاجل وبين وفى والوفاء الجناس الناقص ورد العجز على
الصدر وحين ودين وحان الجناس اللاحق وسبب هذا الدين على سلمان انه (كان يدعى
قنا) اى ارق بالباطل وملخص قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من اصبهان واجتهد فى
المجوسية حتى صار رئيسا فمر بكنيسة النصارى فأعجبوه فذكر ذلك لابيه فقيده فقال له
دينك ودين آبائك خير من دينهم فأرسل يسأل من النصارى عن علماء دينهم فقالوا بالشام
فارسل اليهم اذا جاءكم احد من الشام فأخبرونى ففعلوا فحل القيد وتوجه اليها وسأل عن
اعلمهم فدل عليه فخدمه الى ان مات ثم خدم من اقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن توصينى
قال بفلان بالموصل فجاءه فاخبره وخدمه فلما احتضر قال له بمن توصينى قال بفلان
بنصيبين فجاءه واخبره وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك له فقال بفلان بعمورية من أرض
الروم فلما احتضر قال له ذلك قال يا بنى ما اعلم احدا على ما كنا عليه آمرك ان تأتيه وانه
اظل زمان نبى هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج من ارض العرب مهاجرا الى ارض بين حرتين
به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت
ان تلحق بارضه فافعل ثم مات فمر بى نفر من كلب فقلت لهم احملونى الى ارض العرب
واعطيكم ما عندى فحملونى فلما بلغوا وادى القرى ظلموه فباعوه من يهودى فباعه من ابن
عم له من بنى قريظة بالمدينة قال فحملنى اليها فعرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع
له ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينما انا اجنى لسيدى تمرا جاء ابن عمه فقال له قاتل الله بنى
قيلة وهى أم الاوس والخزرج انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم اليهم من مكة
اليوم يزعمون انه نبى فأخذتنى رعدة وشدة حتى ظننت انى ساقط فنزلت فقلت لسيدى
ماذا قال لك هذا فغضب ولطمنى لطمة شديدة وقال مالك ولهذا اقبل على عملك فلما امسى
اخذ شيأ جمعه وذهب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فقال له هذا صدقة
فامر اصحابه باكله ولم يأكل فجمع شيأ آخر واتى به وهو بالمدينة فقال له هذا هدية فأكل
هو واصحابه ثم جاءه بالبقيع وقد تبع جنازة فجعل ينظر الى ظهره صلى الله عليه وسلم
فعرف النبى صلى الله عليه وسلم انه يتأمل لشئ وصف له فالقى رداءه عن ظهره فرأى خاتم
النبوة فقص عليه حديثه واسلم فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب فكاتب

(قوله دين سلمان) كان من
المعمرين عاش مائتين وخمسين
سنة وقيل ثلثمائة وخمسين والاول
اصح (قوله الناقص) اى المذيل
لزيادة حرف فى اخر احدى كلمتى
الجناس (قوله اللاحق) لبعد
مخرجى الحاء والدال ومخرجى
الياء والالف وبين حين وحان شبه
جناس الاشتقاق (قوله بعمورية)
بفتح أوله وتشديد ثانيه من ارض
الروم كان ملكها يركب فى مائة
ألف فارس وكان حولها ألف عمود
على كل عمود راهب لا ينزل منه
الا بالموت وكانت مركز قيصر
ومنها كان يستعد للغارات على
بلاد المسلمين الشام والجزيرة
وغيرهما ففتحها المعتصم (قوله
بقباء) بالمد يذكر ويؤنث ويقصر
أيضا كما فى المختار وفى القاموس
انه بضم القاف (قوله بالبقيع)
ويقال له بقيع الغرقد بالغين
المعجمة وأصل الغرقد شجر عظام
اوهى العوسج اذا عظم واحده
غرقدة وأضيف البقيع الى
الغرقد لانه كان منبتها اه قاموس
وعبارة المختار البقيع موضع
فيه اروم الشجر من ضروب شتى
وبه يسمى بقيع الغرقد وهو
مقبرة بالمدينة والاروم جمع ارومة
بفتح الهمزة وضمها وهى الاصل
اى أصول الشجر

(قوله نضجت) بكسر الضاد أى أدركت (قوله العذق) بكسر العين المهملة وأما العذق بفتحها فهو النخلة كذا فى حاشية السيرة الهشامية للخشنى (قوله ويقتلكم) أى على زعمهم أنه صلى الله عليه وسلم يكون معينا لليهود على الانصار



نظر الحالة الراهنة والافهو من جملة الاحرار الذين هم اتباع حوارى عيسى عليه الصلاة والسلام على غرس ثلثمائة نخلة وتعهدها حتى تثمر وأن يعين اوقية من ذهب فغرس له النخل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من ذهب فوفت الاربعين (فاعتق) باداء النجوم (لما أينعت) أى نضجت (من نخيله) حال من قوله (الاقناء) جمع قنو وهو العذق أى العرجون ولاجل ماذكر عن سلمان انه يجبر دسماعه اذكر النبى صلى الله عليه وسلم أخذته الرعدة والشدة وهو على رأس نخلة يجنيها لسيده وشاهده سيده منه ومع ذلك الدال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه يبلغ أمره ونعته الاباعد والاقارب لما فهم ان له التفاتا الى سماع خبر النبى صلى الله عليه وسلم لطمه لطمة شديدة لانه كان من جملة اليهود الذين كانوا يفتخرون على الانصار بانه قرب زمن نبى عربى كريم فنكون اول من يتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم المدينة كفر به أكثرهم كما قال تعالى فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به عرض الناظم رحمه الله تعالى لموالى سلمان منكرا عليهم اذلم يؤمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم مع ماشاهدوه من حال سلمان بل زادوا فى الطغيان بضربه فقال (أ) تلطمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لايؤمن به (فلا تعذرون سلمان) أى ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل عندكم على نبوته صلى الله عليه وسلم (لما) أى حين (ان عرته) أى غشيته (من) اجل (ذكره) أى ذكر اليهودى لقربه النبى صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به فى قبا (العرواء) أى قوة الحمى ومسها فى اول اخذها الانسان بالشدة والرعدة وماذكرته فى تقريرهذا البيت المطابق لما فى قصة سلمان والذى فيه غاية المناسبة للمقام وغاية الانكار على اليهود ورميهم بالعناد والبهتان أولى مما وقع للشارح فى تقريره على مافيه من النظر كما يعلم بتأمله وبين عرته والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق (و) من أوصاف تلك الراحة ايضا انها (ازالت بلمسها) لمن به امراض اعيت الاطباء (كل داء) به (أكبرته) أى استعظمته وعجزت عن برئه (الطبة) جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذى هو حفظ صحة الانسان بمنع الواصل ورفع الحاصل (واساء) بكسر الهمزة أى مرضى جمع آس كراع ورعاء روى الدارمى ان امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له يارسول الله ان ابنى به جنون وانه ليأخذه عند غداننا وعشائنا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فقاء من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى *(فائدة)* روى البخارى ان سلمة أصيب يوم خيبر بضربة فى ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكى قط (و) من أوصافها أيضا انه برئ بها (عيون) باصرة (مرت بها) تلك الراحة (وهى رمد) أى معطلة الابصار (فأرتها) أى تلك الراحة تلك العيون (ما) أى الشئ البعيد الذى (لم تر) ه فيه مع

(قوله العرواء) بضم العين المهملة وفتح الراء قال ابن سيد الناس فى سيرته العروا الحمى النافض والبرحاء الحمى الصالب والرحضاء الحمى التى تأخذ بالعرق والمطواء التى تأخذ بالتمطى والثؤباء التى تأخذ بالتثاؤب (قوله أولى مما وقع للشارح) عبارة الشارح ومن ذلك قصة سلمان الفارسى حيث وقع فى دين كتابته لمواليه وقد كان شيأ كثيرا من قطعة ذهب قدر البيضة اعطاها له ومما حصل من ثمار نخيله التى غرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهى ثلثمائة ودية ولاجل ذلك الذى رآه من عظيم آياته وبركته كان اذاذكر النبى صلى الله عليه وسلم تأخذه الرعدة انتهى وكذا صنع الشارح المالكى فقال وكان اذا ذكر تلك البركة أخذته الرعدة كما تأخذ المحموم من الحمى ثم ساق قصة سلمان التى ساقها الشارح اكى فاتته الاشارة كالجوجرى الى أن مراد الناظم بالعرواء الرعدة الخاصة بالقصة المذكورة المشتملة على الانكار والتبكيت بطريق بليغ فما فعله الشارح رحمه الله تعالى اولى وافيد كما قال (قوله فائدة روى البخارى الخ) هذا ليس مما الكلام فيه وهو

ازالة الداء ببركة امس الراحة وانما ازالته ببركة ريقه الشريف وكذا يقال فى قصة عينى فديك الآتية ولعل هذا هو السرفى تعبيره فى كل منهما بقوله فائدة فكانه يقول فائدة زائدة عن المقام لمناسبة لاتخفى تأمل

ارتها

ارتم اجناس الاشتقاق (الزرقاء) المشهورة بزرقاء اليمامة التى كانت تنظر من مسيرة ثلاثة أيام * روى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال أين على ليعطيه الراية ويكون الفتح على يديه كما فى رواية اخرى قالوا يشتكى عينيه قال ارسلوا اليه فأتى به فبصق فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع وعند الطبرانى عن على رضى الله تعالى عنه فارمدت ولا صدعت منذ دفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه وسلم رأسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى وعند الطبرانى فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر فما اشتكيتهما حتى يومى هذا * (فائدة) * روى ابن أبى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وابونعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث فى عينى فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيأ وكان قد وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط الابيض فى الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان (و) منها أيضا انها (اعادت على قتادة) بن النعمان رضى الله تعالى عنه (عينا) له ذهبت (فهى حتى) أى الى (مماته النجلاء) أى الواسعة والمراد واسعة النظر وقصته ان عينه اصيبت يوم احد فوقعت على وجنته فاتى بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى امرأة احبها واخشى ان رأتنى تقذرنى فاخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكسها جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه رجل من ذريته فقال له عمر من انت فقال

أبونا الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول امرها * فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فوصله عمر رضى الله عنه واحسن جائزته قال السهيلى وفى رواية اصيبت عيناى يوم احد فسقطتا على وجنتى فاتيت بهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطنى هذا حديث غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة واخرج الطبرانى وابونعيم عنه كنت يوم احد اتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا ويجمع بين رواية الواحدة ورواية الثنتين على تقدير صحتها بان أحد الرواة ظن ان الساقط واحدة وبعضهم على انه ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة وبها تترجح رواية الثنتين (أو) لبته خصى فى اليقظة أو النوم نظير ما مر (بلثم) اى بتقبيل (التراب) المنفصل (من قدم) له صلى الله عليه وسلم موصوفة باوصاف جليلة كثيرة كما بقها منها انها كانت اذا مشت على حجر (لانت حياء) أى لاجل او من

قوله رمدت) من باب طرب انتهى مختار (قوله وعند الحاكم الخ) هذا هو الملائم للمقام واما رواية البخارى التى قبل هذه فالبرء فيها من ريقه لا من كفه تأمل (قوله والقر) أى البرد (قوله واسعة النظر) أى لا واسعة الجرم عن الاخرى لان ذلك يشوه (قوله تقذرنى) القذر ضد النظافة وشئ قذر بين القذارة وقذرت الشئ من باب طرب وتقذرته واستقذرته أى كرهته انتهى مختار (قوله ندرت) أى سقطت (قوله ويجمع بين رواية الخ) هذا الجمع قد ينازعه ما فى الواحدة من الزيادة نحو قوله اللهم اجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا فتأمله اذ هو ظاهر او صريح فى سلامة الاخرى فيعارض فسقطتا على وجنتى الذى هو نص فى عدم سلامتهما وانما كان يتجه الجمع لو اقتصر فيها على قوله ندرت منه حدقتى انتهى طبلاوى

جهة استحيائها منها واجلالها لها (من) اجل (مسها) اى تلك القدم الكريمة لها (الصفواء) اى الحجارة الصلدة فاعل لانت واعيد ضمير مسها وما بعده عليها التقدمها رتبة ونبه بذلك على انه ينبغى لك أيها العاقل ان تستحيى من مخالفتك ماجاء عن نبيك صلى الله عليه وسلم لانك اذا علمت ان الحجر الاصم استحيى منه ان يبقى على صلابته مع مشيه عليه صلى الله عليه وسلم فتشق عليه صلابته فلان له حتى يسهل عليه مشيه عليه فأنت اولى بالاستحياء منه ان تبقى على مخالفتك مع علمك بجليل اوصافه وعلى اخلاقه صلى الله عليه وسلم ثم هذا الذى ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصائص لكن بلا سند وعبارة الجلال السيوطى فى خصائصه ومما أورده رزين صاحب الصحاح فى خصائصه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ على الصخر أثر فيه وذكر الحافظ التبريزى الحنبلى تلميذ ابن القيم ذلك فى خصائصه فقال وأما الانة الحديد لداود عليه الصلاة والسلام فان الانة الحديد معروفة بالنار وقد ألان الله تعالى الحجارة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا غيرها وهذا ابلغ ثم قال واعجب من هذا انه كان اذا مشى على الصخر لانت تحت اقدامه واذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة الجارية وقال فى أول كتابه ونحن نذكر مانقل عن كل نبى من المعجزات وماثبت لنبينا صلى الله عليه وسلم من الخصائص وماله من الفضائل والفواضل (موطئ) بدل من التراب (الأخمص) بضم الميم والمراد به الجنس أى الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص من القدم الموضع الذى لا يلتصق بالارض منها عند الوطء والخمصان البالغ فيه ولا يرد على كلامه مارواه البيهقى عن أبى هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وابن عساكر عن أبى امامة كان صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطأ على قدمه كلها لان المراد ان اخمصه معتدل الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابى اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو أحسن مايكون وان استوى أو ارتفع جدا فهو مذموم (الذى) نعت للمضاف ولا يصح كونه نعتا للمضاف اليه الا بالتكلف (منه) صفة للمبتدا الذى هو وطاء فقدمت عليه فصارت حالا (للقلب) خبر للمبتدا وهو الفؤاد وقد يعبر به عن العقل ومن المراد بالقلب والخلاف فى العقل وذكر القلب بعد الاخمص فيه تجنيس مراعاة النظير (اذا مضجعى) أى جنبى الذى اضطجع عليه (اقض) بالقاف والمعجمة أى اصابه القضض وهو التراب الذى يعلو الفراش كما فى القاموس

(قوله واجلالها لها) يقتضى ظاهره ان النسخة التى شرح عليها الشارح لفظة مسها بالسين المهملة من المس لا مشيها بالشين المعجمة والالقال عليها أى الصفواء وقوله آنفا اذا مشت على حجر يقتضى ظاهره ان النسخة مشيها والخطب سهل (قوله الصلدة) الصلد هو الصلب الاملس (قوله وأعيد ضمير الخ) حرره فان الضمير قد أعاده على القدم وهى متقدمة رتبة ولفظا والمتقدم رتبة فقط هو الصفواء وأيضا ليس بعدها مايعود ضمير منه عليها فى كلام الناظم نعم ضميرها فى كلام الشارح عائد على الصفواء فيصح ان يقال فيه أعيد عليها الماذكر وكذا ضمير استحيائها وضمير اجلالها السابقين (قوله لكن بلا سند) وفى فتاوى الشارح هل ورد انه صلى الله عليه وسلم لان له الصخر وأثر قدمه فيه وانه اذا مشى على التراب لا تؤثر قدمه الشريفة فيه وانه لما صعد صخرة بيت المقدس ليلة المعراج اضطربت تحته ولانت فأمسكتها الملائكة وان الاثر الموجود بها الآن أثر قدمه وانه صلى الله عليه وسلم لما جاء الى بيت أبى بكر بمكة ووقف ينتظره ألصق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق فى الحجر وأثر فيه وبه سمى الزقاق بمكة زقاق المرفق فاجابه بقوله أجاب الحافظ السيوطى لما سئل عن ذلك كله فقال لم أقف على اصل ولا سند ولا رأيت من خرجه من كتب الحديث انتهى وقد ذكر الائمة ان الحافظ اذا قال مثل هذه العبارة بقوله لا اعرفه دل على عدم وروده (قوله الاخمص بضم الميم) فى شرح ابن عبد الحق بفتح الميم على الاشهر (قوله والخمصان) (وطاء) بضم الطاء وفتحها (قوله البالغ فيه) أى الخمص المفهوم من الخمصان (قوله اذا مضجعى) بفتح الجيم انتهى ابن عبد الحق (قوله أى اصابه القضض) عبارة ابن عبد الحق أى اصابه تراب منه ثم قال ووصف ذلك التراب بانه اذا اصاب مضجعه من ترابه كان فراشا فى الحقيقة لقلبه يستريح باضطجاعه عليه أعظم من استراحته باضطجاعه على الفرش اللينة

(وطاء) أى فراش وصف ذلك التراب الذى هو موطئ القدمين الشريفين بانه لو فرض ان مضجعه أصابه تراب فراشه الذى هو من جملة ذلك التراب سرى سر ذلك التراب الاكسير الى قلبه فأناره وأراحه من الاغيار وصيره على أكمل الاحوال وصانه من قبائح الخطرات والاهوال كما ان الفراش يصون من فرش له عن ذلك وهذا أولى واظهر مما حل به الشارح هذا البيت فتأملهما ومن أوصافها أيضا انه (حظى المسجد الحرام) يعنى جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك كثيرا كما فى القرآن فى مواضع كثيرة بل كل ما ورد فيه من ذلك المراد به مكة الا فى نحو قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام (بممشاها) أى بمشى تلك القدم فيه أى فضل حرم مكة سائر البقاع ما عدا موضع قبره المكرم كما عليه أكثر العلماء بواسطة ولادة النبى صلى الله عليه وسلم وتربيته ونشأته فيه ومن ثم صح من غير نزاع فيه لاحد انه صلى الله عليه وسلم قال لمكة والله انك لاحب ارض الله الى الله ولولا انى أخرجت منك ما خرجت والحديث المعارض لذلك الذى يرويه مفضلو المدينة المنورة موضوع كما اعترف به امام المالكية أبو عمر بن عبد البر وصرح بان افضلية مكة هى الحق عند من الهمه رشده وبرئ من التعصب (ولم ينس حظه) منه (ايلياء) أى بيت المقدس بل شرف بمشيه صلى الله عليه وسلم فيه أيضا وصلاته فيه بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ليلة الاسراء كما جاء ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولم يذكر المدينة لانه هو الذى أنشأ شرفها كما قال فى الحديث الصحيح اللهم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم حرمت المدينة أى نزل تحريمها على لسانى ولم يسبق زمنى بخلاف مكة فان تحريمها من يوم خلق الله السموات والارض كما فى حديث البخارى وغيره فحديث البخارى وغيره ايضا ان ابراهيم حرم مكة معناه اظهر حرمتها لا غير جمعا بين الحديثين فانه متعين ما امكن وليس الكلام فيما أنشأ حرمته وانما هو فيما عرفت حرمته من قبل على لسان غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لكن ازدادت حرمته ببركة حلوله به ومشيه فيه ففضل غيره حينئذ ففضل مكة وبيت المقدس ليس لتقدم حرمتهما قبله صلى الله عليه وسلم بل لاجل حلوله ومشيه فيهما وبين حظى وحظه كورمت ورمى تجنيس شبه الاشتقاق ومن اوصافها ايضا انها (ورمت) كما فى حديث الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وفى رواية لهما عن عائشة رضى الله تعالى عنها قام نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفى رواية حتى

(قوله كان الفراش الخ) فيه ان الفراش انما يصون من تعب البدن الظاهر من نحو يبوسة لا من الخواطر والشغل بالاغيار فكان الظاهر ان يقول كما ان الفراش يصون من تعب الظاهر فتدبر (قوله وهذا أولى واظهر الخ) عبارة الشارح فى الاعراب وموطئ الاخمص يصح جره بدلا من التراب ورفعه خبرا لمبتدا محذوف والاخمص مضاف اليه والمراد الجنس الصادق باخمص الرجلين معا الذى صفة الاخمص وهو موصول صلته للتاب منه وطاء و وطاء مبتدأ وللتاب خبر ومنه صفة وطاء تقدمت عليه فصارت حالا ومضجعى اقض اسمية فى محل جر باضافة اذا اليها وأفادت اذا شرطية الجملة التى تليها البسملة المتلوة بها ثم قال المعنى تمنى تقبيل موطئ قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم التى لانت لمشاها الحجارة الصم استحياء منها ان تستمر على صلابتها مع مسها لها وعبر عنها بالاخمص تعبيرا بالبعض عن الكل وان مرضعها يكون وطاء لقلبه ومهادا له اشده ميله اليه اذا خشنت المضاجع (قوله حظى) بفتح الحاء انتهى ابن عبد الحق أى حصل له بذلك حظوة بكسر الحاء وضمها كما فى القاموس اى منزلة رفيعة على غيره من البقاع التى لم يمش فيها ورأيت فى كلام بعضهم فتح الحاء أيضا ولم أره فى القاموس ولا فى المختار (قوله ايلياء) بالكسر عدة ويقصر ويشدد فيهما والياء بياء واحدة ويقصر انتهى من القاموس (قوله اى بيت المقدس) ويقال القدس والقدس بالسكون والتحريك والمسجد الاقصى وصهيون كبرذون بكسر الصاد المهملة والزيتون أيضا يقال لمسجد بيت المقدس اهـ من مثير الغرام الى زيارة القدس والشام (قوله ورمت) يقال ورم يرم بكسر الراء فيهما وهو شاذ اهـ مصباح

(قوله تفطرت) اى تشققت (قوله فلما بدن) من باب ظرف اى سمن فقوله وكثر لحمه تفسير (قوله قام فقرأ) انظره فانه انما
جالس ليقرأ المشقة طول القيام مع البداية وحينئذ فقيامه لمحض الركوع من قيام لا للقراءة قبله (قوله اى طا الارض) انما
يظهر ذلك على القراءة الشاذة بسكون الهاء لتكون بدلا من الالف أو هاء السكت قال البيضاوى وقرئ طه على انه أمر للرسول
صلى الله عليه وسلم بأن يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وان أصله طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت
فى يطأ ألفا كقوله لا هناك المرتع  ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وقوله على احدى رجليه

تفطرت قدماه فقالت له لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا
أكون عبدا شكورا فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع
والفاء للسببية والتقدير اترك تهجدى فلا أكون عبدا شكورا والمعنى أن المغفرة سبب
لكون التهجد لمحض الشكر فكيف اتركه قال ابن بطال شارح البخارى فى هذا
الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة فى العبادة وان أضر ذلك ببدنه لانه صلى الله
عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له صلى الله عليه وسلم فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلا
عمن لم يأمن انه استحق النار اه قال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم طول الليل
على قدميه الا قليلا فلما تورمت قدماه كان يقف على أطراف اصابعه فأنزل الله تعالى
عليه طه اى طا الارض بكل قدمك واسترح مما انت فيه من التعب فانا ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى (اذ) اى وقت اولاجل انه (رمى بها ظلم الليل) فيه استعارة بالكناية شبه
القدم الشريف بسهم صائب من حيث ان قيام القدم فى طاعة الله تعالى اوجب زوال
ظلمة الليل ووحشته كما ان رمى السهم فى طاعة الله تعالى مزيل صولة عدوه ووطأته فتشبيه
القدم بالسهم فى ذلك استعارة بالكناية لبنائها على هذا التشبيه المكنى بها فى النفس
واثبات الرمى لها استعارة تخييلية وبهذا التقرير البديع المبقى للباء على حالها يندفع
زعم الشارح انها بمعنى من او عن وانه لا يصح بقاؤها على حالها ولما كان قيام الليل
كذلك ينشأ اما عن مزيد خوف اوسعة رجاء بين الناظم رحمه الله تعالى أن قيامه صلى
الله عليه وسلم لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افاده قوله صلى الله عليه وسلم
افلا أكون عبدا شكورا مع التلذذ بمناجاة الله تعالى والقيام بين يديه فان خوفه ورجاءه
صلى الله عليه وسلم اللذين وصل فيهما الى غاية لم يصل اليها غيره انما كان لمحض التقرب
بهما الى الله تعالى فقال (الى الله) خبر مقدم (خوفه) منه قال صلى الله عليه وسلم انا
اعلمكم بالله تعالى واخوفكم منه (والرجاء) اى وسعة امله فيما عنده لا الى غرض آخر لان
الله تعالى عصمه عن أن ينظر او يميل الى غيره طرفة عين بل هو دائم المثول فى حضرات

قال فى الخازن ليراوح بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وقوله ثم بنى عليه اى على المضارع وعلى فتح الهاء يكون ذلك قسما اى أقسم الله بطوله وهدايته فالطاء مقتطعة من طول والهاء من هداية وقيل هو اسم من أسماء الله اى مأخوذ من اسم من الله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادى كذا فى الخازن (قوله مزيل صولة عدوه) اى سطوته واعتداءه (قوله ووطأته) اى قيامه (قوله وبهذا التقرير الخ) لم أر ما نسبه للشارح والذى فى نسخة صحيحة منه ما نصه ورمت جملة فعلية فاعلها ضمير يعود على القدم اذ ظرف اى وقت قيامه عليها الليل ورمى بها فاعله يعود على النبى صلى الله عليه وسلم وبها متعلق برمى وضميره للقدم والجملة فى محل جر باضافة اذ اليها وظلم الليل مفعول ومضاف اليه وخوفه مبتدا والرجاء
معطوف على المبتدا والى الله خبر المبتدا وما عطف عليه اى الامران منه يتقرب بهما الى الله (قوله الشهود
دائم المثول) قال الجوهرى مثل بين يديه مثولا اى انتصب قائما اه قال فى المختار بابه دخل وقال فى النهاية ومنه من سره أن
يمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار اى يقومون له قياما وهو جالس يقال مثل الرجل يمثل مثولا اذا انتصب قائما
ودوام المثول سال المراد الله المحبوب له فانه بمحبته له ينسيه ما عداه فيعبده لذاته خالصا سأل رجل معروفا الكرخى اى شئ أهيج
للعبادة وأقطع لهوى النفس فقال خوف الموت فقال وأشد من ذلك قال هول الموقف فقال وأشد من ذلك قال يا أخى ان أحببت
أحببته وان أحببته انساك هذه كلها وعبدته لاجله خالصا

الشهود الاقدس والتجلي بعالى القرب الانفس ووقع للشارح رحمه الله تعالى حل
هذا البيت على خلاف ما ذكرته وما ذكرته اولى وانسب بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا
يخفى على متأمل ثم رأيت القرطبي اشار لما ذكرته حيث قال ظن من سأله في حديث
الصحيحين المذكور عن سبب تحمله المشقة في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب
وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فأفادهم أن هناك طريقا آخر
للعبادة وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي
شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وفي الحديث بيان ما كان
عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه قال العلماء رضي الله
تعالى عنهم انما ألزم الانبياء انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه تعالى
ابتدأهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته تعالى ليؤدوا بعض شكره مع أن
حقوق الله اعظم من أن يقوم بها العباد اهـ وقيام الليل كان في اول الاسلام واجبا
عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته كما ذكره الله تعالى في أول سورة المزمل ثم نسخ بما في
آخرها ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الامام
الشافعي رضي الله تعالى عنه لكن أكثر أصحابنا على أنه صلى الله عليه وسلم لم ينسخ عنه
لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اى عبادة زائدة في فرائضك لان الامر للوجوب
وقيل معناه زيادة خالصة لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالص له لكونه صلى الله
عليه وسلم لا ذنب عليه فسائر تطوعاته صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب
وأما حديث اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل وأعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول أو عمل فهو تعليم لامته صلى الله عليه وسلم و بين الخوف والرجاء
المقابلة ومن أوصافها أيضا انها (دميت) اى خرج دمها (في الوغى) قال الشارح هو
الصوت والجلبة ويقال للحرب لما فيها من الصوت والجلبة وكثرة اختلاط الاصوات وهو
المراد هنا اهـ (لتكسب) هي (طيبا ما) الذي (أراقه) (من الدم) بيان لما (الشهداء)
جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما أعد الله له فيها عند طلوع روحه
أو مفعول لان ملائكة الرحمة تشهده عند ذلك وهو فاعل أراقت اى من حكم خروج
الدم من رجله المشرفة أن يعود طيب ذلك الدم و بركته على جميع دم الشهداء حتى تكون
رائحة دمهم كريح المسك كما اخبر صلى الله عليه وسلم عن دمهم بأنه كذلك وكان ينبغي
للناظم أن يذكر هذا من أوصاف يده الكريمة لان الذي في البخاري أنه صلى الله عليه وسلم
دميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وقد يحمل كلام
الناظم على ما سبق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى ثقيف يدعوهم الى الله تعالى فأبوا
واغروا به سفهاءهم فرموه بالحجارة الى أن ادموا رجليه فجلس من شدة الالم وزيد مولاه
يحميه منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغى قلت قد علمت ان اصل الوغى

(قوله ووقع للشارح رحمه الله الخ) عبارته ووصف القدم المذكورة بأنها ورمت من طول قيامه عليها في طاعة الله تعالى صلاة وخوفا ورجاء وان كل ذلك الصادر منه لله تعالى عصمه الله من الميل الى أعراض الدنيا صلى الله عليه وسلم (قوله والجلبة) عبارة المختار الجلب والجلبة بفتح اللام فيهما الاصوات وعليه فهو من عطف المرادف وذكر قبل ذلك ان جلب يجلب جلبا بوزن طلب يطلب طلبا بمعنى صاح به من خلفه واستحثه للسبق وكذا جلب عليه وأجلبوا عليه تجمعوا (قوله تشهده) اى تحضره (قوله عند ذلك) اى خروج روحه (قوله وقد يحمل الى آخر ما ذكره) انما يصح كون ما ذكره من أوصاف رجله لا راحته فيقتضي أن المناسب ذكره من أوصافها ايضا فلم يستفد من ذلك الحمل الجواب عنه فتأمل (قوله أدموا رجليه) اى عراقيبه كما سيأتي التصريح بذلك وهي عصب فوق القدم فلا يطابق المدعى من كون الذي دمي قدمه فان ثبت نزول الدم من خصوص القدم بجرحها اتضح ما ذكره من غير احتياج لتكلف جواب فتدبر

الصوت والجلبة وهذا موجود هنا على أن لنا أن نمنع قولك ليس هنا حرب وسند المنع انه اقام عندهم شهرا يدعوهم وهم لا يجيبونه بل يغرون به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فيأخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج فى رأسه شجاجا وهذا حرب اى حرب لان من اقام بين ظهرانى العدو يواجههم بما يكرهون من غير أن ينزجر بزجرهم ولا ينكف عنهم بضربهم محارب لهم اى محارب ويدل لذلك أن ائمتنا عدوا من المضار بين الصفين اذا تقابلا بحيث يصل سلاح كل الى الآخر وان لم يقع قتال بل ولا سل سيف ولا رمى سهم تنزيلا لما بالقوة منزلة ما بالفعل فكذلك هنا بل اولى لانه وجد من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما ومن جانبه غلظة عليهم وسباهم ولا لهتهم وبما قررته يعلم عذر الشارح فى صرفه الوغى عن معناه الحقيقى الى معناه المجازى وقال انه المراد هنا اى كما يقضى به سياق النظم لكن كان عليه أن يبين ما يشهد لذلك المراد من كتب السير اوغيرها واذا تقرر انه صلى الله عليه وسلم قام على قدمه حتى تورمت وانها دميت فى الحرب ليكسب طيب دمها دم الشهداء طيبا (فهى) حينئذ (قطب المحراب و) قطب (الحرب) اى انتهى اليها الثبات فى الصلاة والحرب الى حالة لم توجد فى غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لا أتقى ولا اخشع لله تعالى منه ولا اشجع كما مر فهى قطب العبادات والجهاد فى سبيل الله تعالى لا تتحرك ولا تنتقل عن مكانها فاذا دارت عليها قبائل العرب الذين اكرمهم الله تعالى بطاعته للاقتداء بها والمجاهدة معها كما قال (كم) اى مرات كثيرة (دارت عليها فى طاعة) لله تعالى حال من قوله (ارحاء) اى قبائل وهذا تذييل وقطب الرحا ما تدور عليه ويسمى امير الجيش قطب رحا الحرب لانها انما تدور عليه واستفيد من ذلك انها مركز دائرة الوجود فهو نقطة الكون المخلوق لاجله ابتداء والمتصرف فيه انتهاء وبين المحراب والحرب تجنيس الاشتقاق (وأراه) اى اعلم انه صلى الله عليه وسلم (لو) هى مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثانى ويصح ان ما جت هو المفعول وجواب لو محذوف دل عليه ما جت واعلم أن الكلام على لو كثر اختلاف العلماء فيه وقد أردت هنا ايراد خلاصته لانه مما يضطر الى معرفته فأقول هى شرط للماضى غالبا واختلفت عبارات النحاة فى معناها حتى قيل انهم لم يفهموه قال سيبويه هى حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وقال البصريون حرف امتناع لامتناع واختلف فى مرادهم بذلك فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع الشرط لامتناع الجواب لا عكسه لان انتفاء السبب لا يدل على انتفاء مسببه لجواز أن يكون للشئ اسباب واستدل لذلك بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لانها مسوقة لنفى تعدد الآلهة بامتناع الفساد لا عكسه اذ لا يلزم من انتفائها انتفاؤه اذ المراد فساد نظام العالم عن حالته وذلك جائز أن يفعله الاله

(قوله أذلقته) بذال معجمة وقاف اى أضعفته (قوله فى طاعة) اى من صلاة وجهاد وغيرهما (قوله واستفيد من ذلك الخ) قد يقال هذا لا يفيده جوهر اللفظ وان كان ما ذكره ثابتا فى نفس الامر اذ المستفاد من جوهره أنها مركز دائرة خصوص العباد والمجاهدين فتدبر

الواحد

الواحد سبحانه اه وردّوا عليه وأطالوا وصوّبوا أن المراد امتناع جوابها لامتناع
شرطها كما هو المتبادر للافهام واعترض ذلك بأن الجواب قد لا يمتنع فى اماكن كثيرة
نحو ولو أن ما فى الارض من شجرة اقلام الآية وقول عمر رضى الله تعالى عنه نعم العبد
صهيب لو لم يخف الله لم يعصه لان عدم الذنوب محكوم به وجد الشرط ام لا وكذلك عدم
العصيان وجد الخوف ام لا فلذلك حوّل جمع محققون العبارة عن معناها فقالوا انها
حرف يقتضى امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنفى التالى فقيام زيد من
لو قام زيد قام عمرو محكوم بانتفائه وبكونه مستلزما ثبوته لثبوت قيام من عمرو وهل
لعمرو قيام آخر غير اللازم عن قيام زيد أو ليس له لا تعرض لذلك ثم ان ناسبه بأن لزم
الثانى الاوّل عقلا او شرعا او عادة ولم يخلفه المقدم فى ترتيب الثانى عليه غيره لزم انتفاؤه
بانتفائه كلو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ففسادهما لازم لتعدد الآلهة على وفق
العادة عند تعدد الحاكم من التمانع فى الشئ ولم يخلف التعدد فى ترتيب الفساد غيره فينتفى
الفساد بانتفاء التعدد المفاد بلو وان خلفه لم يلزم كلو كان انسانا لكان حيوانا فالانسان
لازم للحيوان عقلا لانه جزؤه ويخلف الانسان فى ترتب الحيوان غيره كالحمار ويثبت
الثانى مع انتفاء الاول ان لم ينافِ انتفاءه وناسبه اما بالاولى كاثر عمر المرتب فيه عدم
العصيان على عدم الخوف وهو بالخوف المفاد بلو أنسب الترتيب عليه ايضا فى قصده
والمعنى أنه لا يعصى الله مطلقا لا مع الخوف وهو ظاهر ولا مع انتفائه اجلالا له تعالى عن
ان يعصيه او المساوى كقوله صلى الله عليه وسلم فى بنت ام سلمة لو لم تكن ربيبتى فى حجرى
ما حلت لى انها الابنة اخى من الرضاعة رواه الشيخان اى لا تحل لى اصلا لان لها وصفين
متساويين المصاهرة والرضاع لو انفرد كل منهما حرم او الادون كلو انتفت اخوة الرضاع
ما حلت للنسب الادون منه الرضاع (لم يسكن) هو (بها) اى بقدمه الشريف (قبل)
بالبناء على الضم (حراء) مفعول يسكن بالصرف هنا لا غير لئلا ينزحف الوزن وفى غير هذا
يجوز كل منهما بالاعتبارين المعروفين (ماجت) اى تحركت واضطربت (به) اى القدم
او النبى صلى الله عليه وسلم وفى نسخة بها (الدأماء) اعلم أن الشارح رحمه الله تعالى تكلم
على هذا البيت بما فيه خفاء ونظر لانه جعل مفعول اراه الثانى ماجت ولو لم يسكن شرطا
جوابه محذوف لدلالة الكلام عليه وقال فى الدأماء هى بالمعجمة كأنه اراد بها سرعة
الحركة وقال فى حله ومن اوصافه صلى الله عليه وسلم انه لو لم يسكن بالقدم المذكور حراء
لما اراد التحنث فيه ماجت به سرعة الحركة واستمر اضطرابه به صلى الله عليه وسلم كما انه
لما صعد احدا تحرك به فقال اسكن احد فذاك تسكين بالقول وهذا بالفعل اه ولم
يظهر من هذا الحل مع ما قبله من الاعراب معنى مطابق للنظم وجعل سرعة الحركة فاعل
ماجت فى غاية الخفاء مع عدم المناسبة لما قبله على انه فى القاموس لم يذكر الذأماء بالمعجمة
ولا الذأمه بالمعجمة معنى مناسبا لسرعة الحركة ولا مقاربا لها اصلا وانما ذكر الذأمه

ماقد يناسب سرعة الحركة وهو الرعب وعبارته في ذأمه بالمعجمة كمنعه حقره وذمه وطرده وخزاه والاذآم الرعب وماسمعت له ذأمة كلمة اه وانما ذكر الدأماء بالمهملة فقال دأم الحائط كمنع دعمه وتدأم الماء الشئ غمره والفحل الناقة تجللها وتداءمه الامر كتفاعله تراكم عليه وتزاحم والدأماء البحر ثم قال وجيش مدأم كثير يركب كل شئ انتهى والذي يتجه في جعله ان ماجت جواب لو وان الدأماء بالمهملة وانها البحر وان فيها الاستعارة المصرحة لانه شبه الجبل بالبحر لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه حينئذ تحرك البحر براكبه وان ماجت استعارة مرشحة لانها تناسب المشبه به وهو البحر اذ لا يستعمل ماج الا في الماء كما يصرح به كلام القاموس وحينئذ فالمعنى واعلم انه لولم يسكن بقدمه حراء قبل اى عند ابتداء تحركه به بقوله له اثبت حراء الى آخر ما مر في شرح قوله فاهتزبه للصلاة فيها حراء الماج اى استمر اضطرابه وتحركه الى آخر الدهر لما مر انها هزة الطرب والسرور برقيه صلى الله عليه وسلم عليه وكان القياس لولم يسكن بقدمه الشريف قبل حراء ماج لكن لما احتاج الى تشبيه الجبل بالبحر فيما ذكر عدل عن ذلك الى ماجت الدأماء لافادة ما في تشبيه الجبل بالبحر من البلاغة المبنية على الاستعارتين المذكورتين فان قلت الذي مر في حراء انه انما قال له اثبت او نحوه ولم يضربه بقدمه وانما الذي ضربه بقدمه أحد وثبير فمن أين للناظم قوله لولم يسكن بها قبل حراء قلت كأنه نظر لما في بعض الطرق في مسند الحرث بن أسامة اذ فيها أحد أو حراء بالشك وصح في رواية حراء وفي رواية أحد فاقتضى ذلك أن الضرب بالقدم الكريمة في حراء كما انه في أحد ولك أن تحمل النظم على ان المراد لولم يسكن حراء قبل اى قبل طلوعه عليه هو وأصحابه بقدمه اى مشيه عليه واقامته فيه للتعبد قبل النبوة لاستمر توجه واضطرابه حتى طلع عليه ثانيا هو وأصحابه وحينئذ لا يرد على الناظم شئ الا أن يقال المسكن له كل من قدمه وقوله له اثبت او اهدأ حراء فلا وجه لتخصيص القدم بالذكر وقد يجاب بأنه لا مانع أن المسكن له كل من الامرين فنسبته الى القدم لا ينافي انه لا مسكن غيرها ولك ايضا أن تجعل الدأماء الارض تسمية للمحل باسم الحال وحينئذ فالمعنى لولم يسكن بقدمه الكريم حراء اى بتعبده فيه قبل النبوة لماجت به الارض بعد النبوة فرحا وطربا الى آخر الدهر وخص حراء لانه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره * (تنبيه) * اشار صلى الله عليه وسلم في أحد الى أن سبب تحركه به محبته له فقال أحد جبل يحبنا ونحبه رواه الشيخان قال الخطابي والمراد بحب أحد حب أهل المدينة فهو واسئل القرية ورده البغوي وتبعوه بأنه لا مانع من حمله على ظاهره ولا ينكر وصف حب الجمادات بحب الانبياء والاولياء وأهل الطاعة نظير ما مر في حنين الجذع لمفارقه صلى الله عليه وسلم وحديث ان حجرا كان يسلم علي قبل النبوة وروى البزار وأبو نعيم حديث لما أوحى الله

(قوله ان ماجت جواب لو) أو مفعول ثان دل على جواب لو المحذوف كما سبق آنفا (قوله استعارة مرشحة) ذكر البيانيون أن الترشيح يجوز أن يكون باقيا على حقيقته وأن يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له فما ذكره الشارح جار على هذا الجائز الثاني بتشبيه تحرك الجبل بموجان البحر واستعارة الموجان للتحرك ثم اشتق منه ماج بمعنى تحرك ففيه استعارة تصريحية تبعية فهو ترشيح لفظا تجريد معنى وتسميتها مرشحة بجريانها في الترشيح والا فهي تصريحية تبعية كما علمت (قوله اى استمر الخ) اذ هو الذي انتفى بمقتضى لو والا فاصل التحرك قد وجد لكن قوله الى آخر الدهر يحتاج استفادته الى عناية وقد يقال ان التحرك تحرك طرب ومن خلق الله فيه قوة ادراك التشبيه من حلول النبي ومن معه عليه لا يغفل عنه فلا ينقطع تحركه (قوله لكن لما احتاج الخ) فيه أنه لا يحتاج في التشبيه المبني عليه الاستعارة الى ذلك العدول لان الضمير في ماج المعدول عنه كهذا الظاهر في المعدول اليه في جريان الاستعارة وان اختلفت حقيقة الاستعارتين من أنها في الظاهر مصرحة وفي الضمير مكنية نعم استقامة النظم متوقفة على هذا العدول (قوله او اهدأ حراء) اى اسكن يقال هدأ يهدأ كخضع يخضع (قوله أنه لا مسكن غيرها) حق العبارة أن يقول لا ينافي كون المسكن غيرها معها أو يقال لا تقتضي أنه لا مسكن الا هو فتامل (قوله تسمية للمحل الخ) لم يجعل من الى تسمية الكل باسم الجزء لان ما خلقت منه الارض غير ما خلقت منه الجبال كما سبق فخلقت الارض أولا ثم خلقت الجبال عليها

الى جملت لا أمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله ولماذكر جملة كثيرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التى من شاهدها آمن به من فوره بين أن الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الاضلالا لاحقيقون بأنه يقال فى شأنهم (عجبا) بدل من اللفظ بفعله وهو الامر المستغرب الخارج عن قياس العقول (للكفار) اى منهم حال كونهم (زادوا ضلالا) بالمعجزة القرآن وغيره (الذى فيه) اى فى كل فرد من افراده (العقول) السليمة الخلية عن العناد والخذلان والحسد والغل ومر الكلام على العقل ومافيه من الخلاف (اهتداء) الى الدين الحق الذى جاء به صلى الله عليه وسلم والى صحة ماتحدى به ويصح أن يراد العقول لابالقيدين المذكورين حملا للاهتداء على مايشمل مابالقوة ومابالفعل اذ المعجزة فيها الاهتداء بالقوة وان قارنها عناد أو خذلان وبين الضلال والاهتداء والجن والانس الآتيين الطباق ووجه التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ماشاهدوه من الآيات والمعجزات التى ترشد العقول الى الحق لايزدادون لما عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم الا اباء وكفرا وتمردا كما قال تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (و) عجبا أيضا من (الذى) (يسألونه) (منه) على جهة التعنت والعناد وهو كثير منه (كتاب منزل) معه عليهم من السماء (قد أتاهم) به وهم يشاهدونه (وارتقاء) منه اليها وغير ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقالوا له أيضا لقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فاسئل ربك فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا وليبسط لنا فى بلادنا وليخرق لنا فيها انهارا كأنهار الشام وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصى بن كلاب فانه كان شيخ صدق فان صدق قولك صدقناك وماقررته فى هذا البيت أولى مما قرره الشارح فيه من أن الذى مبتدأ خبره كتاب وارتقاء معطوف عليه لانه حينئذ لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده مع مافيه من غموض المعنى بخلاف ماذكرته فان مناسبته لما قبله واضحة وكذا لما بعده كما يدل عليه الاستفهام التعجبى الانكارى فى قوله (أ) يقولون ذلك كله ويتعنتون به (ولم

(قوله لابالقيدين المذكورين) اى العناد والخذلان بقرينة قوله وان قارنها الخ وأما الحسد والغل فيرجعان الى العناد لانهما سببه (قوله لن نؤمن الخ) اى تعنتا بعد ما ألزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه والينبوع عين لا يفور ماؤها (قوله أو تكون لك جنة الخ) اى بستان يشتمل على ذلك (قوله أو تسقط السماء الخ) يعنون قوله تعالى أو نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرآن الا الروم وابن عامر الا فى هذه السورة وأبو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور (قوله قبيلا) اى كفيلا بما تدعيه اوشاهدا على صحته ضامنا لدركه أو مقابلا اى نراه مقابلة كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها أو جماعة فيكون حالا من الملائكة (قوله أو يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة اوترقى فى السماء فى معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك (قوله اولى مما قرره الشارح) عبارته والذى موصول وهو المبتدا ويسألون صلة الموصول والظاهر أن العائد محذوف اى يسألونه وضمير منه للنبى صلى الله عليه وسلم وكتاب خبر المبتدا ومنزل صفته وقد أتاهم جملة حالية وارتقاء معطوف على كتاب وكأنه أشار الى قوله تعالى اوترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ثم قال والمعنى تعجب من بقائهم على كفرهم مع مشاهدتها يعنى معجزاته صلى الله عليه وسلم بل من ازدياد كفرهم مع مشاهدتهم من الآيات والمعجزات مايرشد العقول الى الحق ويهدى اليها لولا المعاندة والخذلان وأخذ يوبخهم بما حكاه عنهم من أنهم سألوه صلى الله عليه وسلم أن يرقى فى السماء ويأتيهم بكتاب منزل عليه ولم يكفهم عن ذلك الذى تعنتوا بطلبه واقترحوه عليه ما أنزل عليه من الكتاب العزيز الذى هو رحمة للمذنبين وشفاء للمؤمنين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء

يكفهم) عن ذلك كله (من الله) حال من فاعل يكف وهو (ذكر) واصل اليهم وتسميته ذكرا جاءت في آية مرادا به الشرف كما في آية وانه لذكر لك ولقومك وفي أخرى مرادا به انه مذكر لكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر (فيه الناس) والجن والملائكة (رحمة) باهتداء المؤمنين به وتأخير عذاب الاستئصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم (وشفاء) من كل داء ظاهر وباطن حسي أو معنوي كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وتخصيص المؤمنين لانهم المقصودون بذلك بالذات وغيرهم بطريق التبع وانما قلت والملائكة لقول بعض أكابر أئمتنا ان الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن لكنهم حريصون على استماعه من غيرهم قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدا القلوب جلاء كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الفخر الرازي وغيره ومن ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن شفاء من الامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة في الالهية والنبوة والمعاد وفي القرآن من النصوص القاطعة بفساد تلك ما يكفي ويشفي وكالاخلاق المذمومة وفيه أوضح بيان لانواعها وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن مع الخلوص وفراغ القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله تعالى بالكلية وعدم أكل الحرام وعدم رين الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب وصح حديث ان الله لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاه وقراءته من هذه حالته على أي مرض كان مبرئة له وان أعيا الاطباء ومن ثم قال بعض الائمة متى تخلف الشفاء فهو اما لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المحل المنفعل أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية فقد روي حديث من لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله وروى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال خير الدواء القرآن وعن العارف الامام الكبير أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى أن ولده اشتد به مرض فانزعج عليه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه ما بولده فقال له أين أنت من آيات الشفاء اي وهي ست آيات مشهورة فكتبها ومحاها بماء وسقاها اله فكأنما نشط من عقال ثم استطرد بذكر شيء مما اشتمل عليه القرآن العزيز من المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فمن ذلك بسل أبهره في قمع المعارض وادحاض الجاحد أنه (أعجز) قيل علم اعجازه ضروري والاصح أن محله فيمن شاهد النبي صلى الله عليه وسلم أو علم وجوه الاعجاز وظاهر أن المشاهد يحصل له العلم الضروري باعجازه وان لم يعلم وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه الغطاء عند المشاهدة يحصل له قطعا العلم الضروري أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله تعالى وانه معجز للخلق عن محاكاته لان هذا امر يدركه الذوق السليم وان لم يمكن صاحبه أن يعبر عنه بل لو ادعى مدع أن ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم

---

(قوله والملائكة) ظاهر بالنسبة للرحمة وقد وجه ذلك بقوله وانما قلت الخ لانهم يتنعمون ويتلذذون باستماعه وذلك نعمة عظيمة وأما كونه شفاء فخاص بالثقلين لان الملائكة اجسام نورانية لم تعلم اتصافهم بأمراض حسية ومعصومون فلا يتصفون الامراض المعنوية فلا يحتاجون لدواء تأمل (قوله ولا أنجع الخ) قال في الصحاح ونجع في الدابة العلف ولا يقال انجع وقد نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء اي دخل واثر فيه اه وقوله ولا يقال انجع اي من باب الفعل المزيد وأما صوغ اسم التفضيل من نجع كما في الشارح فصحيح تأمل (قوله بقراءته) أو بكتابته ونحو نقشه بالماء او نحوه وشربه كما في قصة القشيري الآتية (قوله وهي ست آيات) هي ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما في الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء

يعد لاسيما وكل أحد يدرك فرقا بديهيا بين القرآن وغيره عند سماعهما (الانس آية) عبر بها تبعا للقاضى ولم يبال بأن الذى عليه الجمهور أن اقل ما وقع به التحدى اقصر سورة منه وهى ثلاث آيات ومثلها طلب منهم صلى الله عليه وسلم أن يأتوا بمثله فعجزوا فطلب أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا فطلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكان اقل ما طلب منهم قدر اقصر سورة من سوره وذلك لان فى دليل الجمهور شيأ اذ يلزم من كونه لم يطلب منهم دون السورة انهم قادرون على اقل منها الان المشاهدة قاضية بأنهم عجزوا حتى عن بعض الآية المفيد كما يفيده قول الناظم الآتى أو بعضها الان فى ارتباطها بما قبلها او بعدها انواعا من بدائع الحكم لا يحيط بها غيره صلى الله عليه وسلم فالحق انهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته حتى ثم نظرا او بعضها المفيد لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها وما بعدها واما التصريح بأنه لم يقع العجز الا عن ثلاث آيات فترده المشاهدة الخارجية اذ لم يسمع عن احد قط انه حاكى شيأ (منه و) اعجز (الجن) آية منه ايضا وذكرهم كالآية لان التحدى وقع لهم ايضا لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث لهم اجماعا وزعم انهم انما ذكروا تعظيما للاعجازه لانهم ليسوا من أهل اللسان العربى يرد بان الآية تقتضى انهم يحسنون اللسان العربى فادعاء خلافه يحتاج لدليل قيل ولم يذكر الملائكة لانه صلى الله عليه وسلم ليس مرسلا اليهم ويرد بان الاصح خلافه ومن ثم قال بعضهم انهم منويون فى الآية أيضا وانهم لا يقدرون على معارضته اى وكان حكمة عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة فلم يحسن تحديهم وعلى كل فلم يستطع أحد من الفريقين بل الثلاثة فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان يأتى بمثل سورة أو يأتى بمثل آية منه على نظمه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وحينئذ (فهلا) هى فى الاصل للتحضيض والمراد بها هنا التهكم ونظيره من حيث ان لولا بمعنى هلا فيثبت لهذه ما تلك فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة الآية فهى هنا للتوبيخ والتنديم فكذلك هلا هنا التوبيخ من يزعم امكان المعارضة كبعض أهل الضلال والالحاد (يأتى ببعضها) اى الآية والمراد ببعضها المفيد وفى نسخة شرح عليها الشارح به والاحسن عود ضميره على ماذكر من الآية وأعاده على القرآن وبما قلناه أبلغ (البلغاء) جمع بليغ والفرق بين الفصاحة والبلاغة ان الاولى خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوى ويوصف بها الكلام والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بان يدل على ما يقتضيه حال المتكلم أو المخاطب أو المحكى من تنكير أو اطلاق أو تقديم أو اضمار أو ايجاز أو فصل أو ضد كل ويوصف بها ما عدا الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ غير محتاج الى

(قوله او بعضها) لا وجود له فى كلام الناظم وانما النسخة المحرفة يبعضها وهى خطا والصحيحة يأتى بها البلغاء فان كان هناك نسخة ثالثة هى به او بعضها اظهر قوله او بعضها وهى أفحش تحريفا من نسخة يبعضها تأمل (قوله تعظيما الخ) اى لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد واذا فرض اجتماع الثقلين وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز (قوله العربى) اى الذى جاء القرآن على أساليبه (قوله بان الآية) اى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن (قوله وفى نسخة الخ) اى وشرح عليها هو أيضا فى النسخة المرجوع عنها اقال به اى بمثل ماذكر من السورة أو بعضها ثم ضرب عليه وعدل الى ما رأيت من قوله يبعضها وهو مبنى على ما حرفته يد التحريف فى النظم اذ لا يخفى ان قوله يبعضها يخرج النظم عن ميزان الشعر ويلحقه بالنثر فالصواب ما شرح عليه أولا من قوله به فليرجع اليه وليعتمد عليه (قوله به) اى بدل قوله يبعضها وهو الصواب لعدم استقامة الوزن على نسخة يبعضها (قوله على القرآن) اى المعبر عنه فيما سبق بالذكر والا فلفظ القرآن لم يتقدم تامل

تعقيب أو استدراك وأفاد الناظم رحمه الله تعالى بهذا أن البلغاء والشعراء فضلاء عن غيرهم مع أنهم العرب الفصحاء والخطباء البلغاء والشعراء والفهماء في قريش وغيرها والمتقدمون في اللسن والتبيان والرؤساء في قوانين المعاني والبيان والفرسان في ميادين الفصاحة والشجعان في مهامه البلاغة أظهروا عوار عجزهم عن المعارضة وعثار عقلهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لان قوم عيسى عليه الصلاة والسلام لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش كان أعلى أربهم ومنتهى طلبهم التفنن في افنية الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة والتقدم في أعاجيب الخطابة وأساليب البراعة فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه اعجازه ولكونه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة اذ محال ان يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة عن السكوت عن معارضة آية منه المستلزمة انقضاء أمره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها وطلبهم اياها وقتل أكابرهم وسبي ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم بعجزهم حتى يكشف من نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم أني افتريته لعلي بأخبار الامم فأتوا بعشر مثله فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه مصقع والا لظهر ووجد من يستجيده ويحامي عليه ويزعم بمجرد الدعوى انه عارض وناقض فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض شعراء أصحابه وخطباء امته صلى الله عليه وسلم قطع بعجزهم وتحيرهم وانقطاعهم ومن ثم قال الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله تعالى وقد قطع القول بأن ما أتى به من عند ربه معجز وانهم لا يأتون بمثل اقصر سورة منه فلولا أنه على بينة واضحة من ربه والا لم يقطع بشئ من ذلك على انه لم يزل ينادي عليهم بالعجز عن معارضته وبالتقصير عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع أحد منهم ان يناديه ولم يرفع رأسه الى ان يباريه بل رضيت هممهم السرية وأنفسهم الابية اذ كانوا آنف شئ وأشده حمية بسفك الدماء وهتك الحرم ولذلك قال العلماء رضي الله عنهم من أعلى وجوه اعجاز القرآن ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب مع أنهم اوتوا منهما ما لم يؤته غيرهم لانهم كانوا يأتون منهما على البداهة بالامر الاعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها عند شدة الخطب ويرتجزون بين الطعن والضرب ويترسلون في أوديتهما فيأتون بالسحر الحلال ويتطوقون من دررهما أجمل من سمط الجمال فلا يشك عاقل أنهما طوع مرادهم وسلك قيادهم فجاءهم الرسول كريم بكتاب قديم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم أفصح ما كانوا في هذا الباب مقالا وأشد ما وجدوا في الخطابة والشعر منالا صار خافيهم في كل حين مقرعا لهم على رؤس الملا أجمعين فأتوا بسورة من مثله والا فأنتم المردودون الى أسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم

ويوبخهم

(قوله في قوانين) جمع قانون اي أصل وليس بعربي (قوله في مهامه) المهمه المفازة البعيدة والجمع المهامه اه جوهري (قوله عوار) العوار العيب وقد تضم العين اه صحاح (قوله في الآية) اي العلامة (قوله مصقع) بكسر الميم وسكون الصاد اي بليغ (قوله يباريه) اي يعارضه ويأتي بمثله (قوله آنف شئ) يقال أنف من الشئ يأنف أنفا وأنفة اي استنكف اه صحاح (قوله من سمط) السمط وزان حمل القلادة اي الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك (قوله الجمال) باللام هو الموافق للسجع ووقع في بعض النسخ الجمان بالنون وكتب عليه بعضهم الجمانة حبة تعمل من الفضة كالدرة وجمعها جمان

ويوبخهم ويسفه أحلامهم ويحط اعلامهم ويسب آلهتهم ويستبيح نفوسهم وأموالهم وهم لايزدادون الا تقهقرا عن المعارضة لم يأتوا بمقال صابرون على الجلاء والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته مخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتراف بالافتراء في قولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه وأساطير الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب والادعاء مع ظهور غاية العجز عليهم بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم تعالى وان لن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا اذلو أطاقوا أدنى معارضة لبادروا اليها وأخمدوا الخصم الذى كانوا محافظين على اطفاء نوره واخفاء أموره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابسلوا فأيسوا وقطعوا فانقطعوا هذا كله والآتى اليهم به مكث بين ظهرانيهم أربعين سنة أميا لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم سحرا ولا أنشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا روى أثرا حتى أكرمه الله بالوحى المنزل والكتاب المفصل قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روى البيهقى وغيره ان عتبة ابن ربيعة قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال صلى الله عليه وسلم له اسمع منى وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى أن بلغ السجدة فسمع ما بهره فقال للنبى صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فقام الى أصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به اليه فقالوا له ما وراءك قال سمعت قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة أطيعونى معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نبأ ولما بلغ فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسكت فمه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم انه اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وروى ابن اسحق والبيهقى ان الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش فى الفصاحة طلب منه ان يقرأ عليه فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فاستعاده اياها فأعادها فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمعذق وانه ليعلو وما يعلى وما يقول هذا بشر وما فيكم اعلم منى بالشعر وأجمعوا فيه رأيا قبل حضور وفود العرب فى الموسم لئلا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول انه كاهن قال ما هو بزمزمته ولا بسجعه قالوا مجنون قال ما هو بخنقه ولا بوسوسته قد قالوا شاعر قال قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه وبسيطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده وما انتم قائلون من هذا شيأ الا وانا

(قوله بالتشغيب) اى تهييج الشر (قوله وأساطير) قال فى القاموس والاساطير الاحاديث لانظام لها جمع اسطار واسطير بكسرهما واسطور وبالهاء فى الكل اه اى اسطارة واسطيرة واسطورة وقيل هى الاباطيل وأصلها من سطرت اى كتبت اه من تفسير الثعلبى (قوله قلوبنا غلف) اى غطى عليها بغلاف فهى لاتحفظ والغلاف غلاف السيف (قوله وفى أكنة) اى اغطية (قوله وقر) اى ثقل (قوله بل ابسلوا) قال فى الصحاح وقد بسل بالضم بسالة فهو باسل اى بطل ثم قال وابسلت فلانا اذا أسلمته للهلكة (قوله اميا) قال بعضهم أعظم به ممدوحا بخصيصة هى فى حق سواه نقيصة وحكى الجرجانى من الالفاظ التى ظاهرها مدح وباطنها ذم قول بعضهم فى فلان فضيلتان من فضائل النبى صلى الله عليه وسلم وهما انه لا يقول الشعر (قوله وان عليه لطلاوة) اى حسنا وقبولا (قوله وان أسفله لمعذق) لفظ ابن اسحق وان أصله لعذق بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة والعذق النخلة بحملها ولفظ ابن هشام لغدق بفتح الغين المعجمة وكسر الدال المهملة من الغدق وهو الماء الكثير ورواية ابن اسحق أفصح لان بها آخر الكلام يناسب أوله (قوله ما هو بزمزمته) الزمزمة صوت خفى لا يكاد يفهم وكانه والله أعلم اذا أراد الكاهن حضور رئيه من الجن زمزم له فيحضر (قوله بخنقه) بالحاء المهملة اى غيظه وبعضهم ضبطه بالمعجمة وكسر النون مصدر خنقه اى ربط عنقه بحبل والمناسب للمقام الاول تامل (قوله ولا بوسوسته) هى ما يلقيه الشيطان (قوله ما هو بنفثه) اشارة الى ما يفعله الساحر من عقده خيطا ثم نفثه عليه والنفث بالفم شبيه بالنفخ والتفل يكون معه شئ من الريق

أعلم أنه باطل وروى الحاكم ان هذا الشقي لما رق لقراءة القرآن عليه جاءه اللعين ابو جهل فقال يا عم ان قومك يرون ان يجمعوا لك مالا لانك اتيت محمدا للمال فقال قد علموا أني من أكثرهم مالا قال فقل فيه ما يعلم قومك انك كاره له فقال ماذا أقول وذكر ما مر من مدح القرآن قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر ساعة فلما فكر قال هذا سحر يؤثر أي ينقله عن غيره فتأمل قضاء هؤلاء الاشقياء على أنفسهم بالعناد المحض والاسفساف القبيح والتقول الباطل ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا وعنادا وطغيانا وفسادا وما أحسن ما قيل لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول السليمة بأنه من عند الله فكيف وقد جاء على يدي أصدق الخلق وقال انه من عند الله وتحداهم بأقصر سورة منه فعجزوا هذا وقد علم مما تقرر وجوه اعجازه اجمالا وأما تفصيلها فقد بينها الائمة بما حاصله انه ينحصر مقصود اعجازه في أمور أربعة وعدها بعضهم أكثر من ذلك وهي ترجع الى ما قلناه أحدها ما فيه من الايجاز والبلاغة والتراكيب والفصاحة بحيث وصل في كل منها ومن مراتب البلاغة فيها الى المرتبة العليا النظاومهي اصدوره ممن أحاط علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها فلا يضع لفظة عقب لفظة الا اذا لم يوجد غيرها أبلغ ولا أنسب منها وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع اعرابي فاصدع بما تؤمر سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصراني قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية قال جمعت هذه الآية ما أنزل على عيسى من أمر الدنيا والآخرة ولقد رام بعض سخفاء العقول محاكاة بعض قصار المفصل فأتى من الهذيان بأعجب العجاب كقول مسيلمة الكذاب اللعين يا ضفدع كم تنقين وأعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا التراب تمنعين وقوله محاكاة للنازعات والذاريات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما القد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر وقال آخر ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف واحشا وقال آخر الفيل وما

(قوله والاسفساف) بفتح السين الردىء من كل شيء والامر القبيح اهـ صحاح فقوله القبيح نعت كاشفة (قوله الى المرتبة العليا) ظاهره اختيار مذهب القاضي الآتي في شرح قوله كل يوم تهدي الى سامعيه الخ من ان كل جملة منه في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة فتراكيبه غير متفاوتة فيهما ويقوي اختياره لذلك قوله فلا يضع لفظة الخ ويحتمل اختياره مذهب أبي نصر القشيري الآتي أيضا من تفاوته فيهما بان يريد ان مجموع تراكيبه في المرتبة العليا لا كل فرد فلا ينافي ان البعض متصف باصل الفصاحة لا باعلاها فليحرر (قوله مسيلمة الكذاب اللعين) ويروى عن اللعين انه قيل له ان محمدا اذا تفل في الماء الملح صار عذبا فهلا تتفل في هذا البئر الملح فيصير عذبا مثله فتفل فيه فغار ماؤه وأتى له بأعور فدعا الله تعالى ان تعود لعينه العوراء فغارت الصحيحة فقيل ما هذا فقال ان محمدا ابعث بالعمار وبعثت بالخراب وقد أنزل الله تعالى فيه ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا الآية وقتل في أيام أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه زمن خلافته لما غزا اليمامة وقتله وحشي قاتل حمزة ابن عبد المطلب قال قتلت بحربتي خير الناس وقتلت بها شر الناس يعني مسيلمة ويعني بخير الناس حمزة رضي الله عنه ولعل الله ان يكفر هذا بذاك (قوله يا ضفدع) بكسر الضاد والدال كزبرج وبفتحهما كجعفر وبضمهما كجندب وبكسر أوله وفتح ثالثه كدرهم وهذا أقل أو مردود (قوله كم تنقين) يقال نق الضفدع والعقرب والدجاجة ينق نقيقا اى صوت وربما قيل للهر أيضا والنقاقة الضفدعة والنقنقة صوتها اذا ضوعف (قوله والذاريات) قال المفسرون يعني الرياح تذرو التراب وغيره أو النساء الولود فانهن يذرين الاولاد أو الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم ولعل المراد بالذاريات في قول اللعين والذاريات قمحا الايدي الباذرات والمفرقات للقمح في الارض للزراعة بقرينة قوله لعنه الله والحاصدات والطاحنات والاقا لما ان التي ذكرها المفسر في تفسير الذاريات في كلام رب العزة لا تناسب ما ذكره هذا اللعين الا بتكلف تامل (قوله شراسيف) الشرسوف كعصفور غضروف معلق بكل ضلع أو مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن اهـ قاموس

الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل فان ذلك من خلق ربنا القليل ثانيها
انه مع كونه من جنس كلام العرب خارج عن سائر فنونه من النظم والسجع والخطب
والشعر ونحوها لخير عقولهم حتى لم يهتدوا الى مثل شئ منه اذ لا مثال له يعول عليه
ولا امام يرجع عند الاشتباه اليه ولقد رام قوم من المتأخرين انتهت اليهم فصاحة وقتهم
شيأ من محاكاته فاعترتهم هيبة قطعتهم عن ذلك ومنهم من فصل كلاما وجعله سورا فسمع
صبيا يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الامر فتاب ومحا
ما عمل ثالثها تأثيره فى النفوس والقلوب بحيث تجد من اللذة والحلاوة عند سماعه
ما لا تجده عند سماع غيره ومن ثم كان قارئه وسامعه لا يمله بل كلما ازداد تكريره زادت
حلاوته واتضحت طلاوته رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والآخرين
ما فرطنا فى الكتاب من شئ ومن الاخبار بالمغيبات مما كان وما يكون نحو فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا وان يتمنوه أبدا فافعل مثله مخلوق ولا تمنى الموت يهودى وهذه أيضا
من أبهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه من وجهين اما لذاته من حيث لفظه ومعناه
المخصوصان اذ تأليفه ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال له رسالة ولا خطابة
ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن ذلك واما صرف الناس عن
معارضته والاعجاز فى هذا ظاهر أيضا اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة أو مذمومة
الا وبينها وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جلى التوجه ولهذا تجد هذا يؤثر حرفة
لانشراح صدره لها وذاك يكرهها وينشرح لحرفة أخرى وهكذا فلما دعا الله تعالى أهل
البطالة الذين يهيمون فى كل واد من المعانى بسلاطة لسانهم الى معارضة القرآن فعجزوا
عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على أولى الالباب ان الها صارفا الهيا صرفهم
عن ذلك وأى اعجاز أبلغ من ذلك اه ملخصا وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع انه
للنظام من المعتزلة لكن أفسدوه بأن قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية فيه
دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لانه حينئذ
بمنزلة اجتماع الموتى وليس اجتماع الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على
ان اضافة الاعجاز الى القرآن والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى القرآن
وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدى وفيه خرق لاجماع الامة أن معجزة
الرسول صلى الله عليه وسلم العظمى باقية ولا معجزة له باقية أظهر من القرآن ويلزم الصرفة
أيضا أنه لا فضيلة للقرآن على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين
النقيضين وهو محال قلت معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى انها كالفظها القدرة عليها
فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا للمعارضة أصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه
لا قدرة لها عليها البتة فان قلت توجيه الهمم اليها مع العجز عنها فى نفس الامر لا يسمى قدرة
قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك ان أهل فن

---

قوله الخبيث وثيل كذا فى النسخ بالمثلثة والظاهر ان الواو للعطف أى وله ثيل وفى القاموس الثيل بالكسر والفتح وعاء قضيب البعير وغيره أو القضيب نفسه اه

(قوله وبيل) قال فى الصحاح الوبيل بالباء الموحدة الشديد وقال الوثيل بالمثلثة الليف (قوله ولم يتصدوا) أى يتعرض (قوله بالصرفة) أى كان فى قدرتهم ان يعارضوه لكن الله صرفهم عن ذلك بان سلب علمهم بذلك فلم يكن معجزا فى ذاته بل للغير

البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن الحال كالابتداء بل بعد الاختبار وتأملهم التام فسقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب من علم الله منه عدم الايمان بالايمان كأبوي جهل ولهب نظرا لقدرتهما عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات والعواقب ومن المفاسد أيضا قول فريق ضلال ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به وآخرين ان العجز انما وقع من الموجودين وأما من بعدهم ففي قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة في الفصاحة تعرضوا للمعارضة كابن المقفع والمعري والمتنبي ونظائرهم فلم يأتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبو عنه الطباع ونادى عليهم بالخزي والانقطاع وصيرهم مثلة وسخرية وضحكة الى ان تاب أكثرهم وأظهر ندمه ونسكه ولاشتمال القرآن على ما لا يحصى من العلوم والمغيبات وأحوال العالم الدنيوي والاخروي وغير ذلك من العجائب كان (كل يوم) اي وقت (يهدى) فاعله القراء أي توصل وأفاد التعبير به تشبيه المعجزات بالتحف المهداة فهو استعارة بالكناية تتبعها استعارة تخييلية (الى سامعيه معجزات) من بيان المعجزة بما يتعين الوقوف عليه ليعلم منه ان المراد بها هنا الامر الغريب والا لم يصدق عليه حد المعجزة السابق مبتدأة (من لفظه) لعذوبته وانسجامه وجزالة معناه وغاية ايجازه مع غاية بلاغته وبيانه مع فصاحته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار جنسا آخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره الصادرة تارة عن الامم الماضية وأخرى عن المغيبات ومافيه من العلوم التي لا يمكن حصرها ونقل الامام ابن سراقة من أصحابنا أن كل واحد من هذه رأى قوم انه سبب اعجاز القرآن ثم اعترضهم بانهم كلهم ما بلغوا في وجوه اعجازه جزأ واحدا من عشر معشاره وتبعه البدر الزركشي فقال أهل التحقيق على ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق لاشتماله على الكل فنسبته الى أحدها أي وحده تحكم بل فيه غير ذلك ككونه لا يزال غضا طريا على الالسنة وفي الاسماع وجمعه صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين اذ لا يجتمعان غالبا في كلام البشر وكونه مستدركا على جميع الكتب قبله فهي مفتقرة اليه وهو غني عنها ومن ثم كان أبهر في الاعجاز من سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل معادلا للكل لان سبيلها واحد وهو مخالفة العادة وهو سبيله كثيرة كما تقرر في وجوه اعجازه وسئل بعضهم ما موضع الاعجاز من القرآن فقال هذا شبيه بقولك ما موضع الانسان من الانسان ومعناه انه ليس للانسان موضع من الانسان بل متى أشرت الى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار لشئ منه الا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله وليس في قدرة البشر الاحاطة باسرار الله تعالى من كتابه فلذلك طارت العقول وتاهت البصائر عنده واختلفوا في تفاوته في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه الذروة العليا كما مر فاختار القاضي المنع وانما المتفاوت ادراك

الناس له واختار أبو نصر القشيري وغيره تفاوته وتبعهم ابن عبد السلام ولم يأت كله
بالأفصح لئلا يخرج عن نمط كلام العرب فجاء على نمط كلامهم ليتم ظهور بقاء العجز عن
معارضته (القرآن) لأن من سمع ألفاظ القرآن وتدبرها حق تدبرها علم أن كل لفظ منها
باعتبار ما دل عليه أمر معجز لا يعارض ولا يناقض وإذا بلغ القرآن في الجلالة التي مرت
الإشارة إليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقيا بأنه (تحلى به) أي بسماعه (المسامع) من
التحلية بالفاظه (و) تحلى بالفاظه (الأفواه) من الحلاوة (فهو الحلي) راجع للأول
(والحلواء) راجع للثاني (رق) أي حسن (لفظا) أي من جهته فلا تجد لفظة منه فيها
ما ينافي كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر أو تعقيد (وراق) أي تصفى من شوائب
النقص فأعجب كل ناظر فيه (معنى) أي من جهته فلا تجد معنى من معانيه إلا وهو واصل
في الإحكام ووضوح المراد الغاية القصوى وفي رق وراق والحلي والحلواء الجناس
كلاهما وحلاها وسور وصور والنظائر والنظراء الآيات والمسامع والأفواه واللفظ
والمعنى مراعاة النظير كالرقة والصفاء والآيات والحروف والهجاء الآيات وفيما بعدها
اللف والنشر المرتب (ف) بسبب كون سوره رقت وراقت (جاءت) فاعله الخنساء وما قبله
حال منه أي حال كونها (في حلاها) أي صفاتها الجميلة (وحليها) أي زينتها (الخنساء)
بنت عمرو وخصها من بين كثيرات سمين بذلك لأنها كانت شاعرة مفلقة كما يأتي بسط
الكلام في ترجمتها شبه سور القرآن في صفاتها العلية وتزينها بما أودعته من الأسرار
البهية بامرأة بلغت في الزينة وأوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه (وأرتنا) أي
أوضحت لنا وفاعله رقة الآتي (فيه) أي في القرآن (غوامض) أي خفايا (فضل)
كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التي لا حد لها ولا غاية ومن ثم جاء عن علي كرم الله
وجهه لو شئت أن أوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت (رقة) كائنة (من زلالها)
الزلال ماء في غاية الحلاوة والبرودة يوجد في أجواف صور توجد في نحو الثلج تشبه
الحيوان وليست في الحقيقة بحيوان كما قاله بعض أكابر أئمتنا (وصفاء) من ذلك الزلال
شبه آي القرآن في محاسن أساليبها وصفاء مواردها الموجبين لمن حدق في خفاياهما
حديد نظره وحقق في غورهما دقيق فكره برد اليقين وصفاء القلب عن كل سوى حتى
اطلع على سائر الغوامض من العلوم الإلهية والمعارف الاختصاصية والمواهب
الرحمانية والمآرب الروحانية بماء في غاية العذوبة والبرودة وصفاء الجوهرية ورقتها بحيث
لا يمنع من رؤية ما تحته مما من شأنه أن يخفى وبهذا الذي قررته من برد اليقين وصفاء
القلب يعلم أن ذلك إنما يحصل لمن انصقلت مرآة فكره كما أشار لذلك بكلام جامع بديع
على عادته فقال (إنما تجتلى الوجوه) أي تظهر ظهورا واضحا لا خفاء معه بوجه إذا
قوبلت بالمرآة (إذا ما) زائدة (جليت) أي أزيلت وبين هذا وتجتلى تجنيس الاشتقاق
(عن مرآتها) بكسر الميم والمد (الأصداء) فكذلك مرآة القلوب لا تجتلى لها العلوم

(قوله في حلاها) أصله حلى بزنة
فعل بضم الفاء وفتح العين قلبت
الياء ألفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها ثم حذفت لالتقاء
الساكنين وأعيدت الألف هنا
لعدم التنوين المقتضي لحذفها
بسبب الإضافة والحلى جمع حلية
بزنة فعلة بكسر الفاء وسكون
العين أي صفة كلحية ولحى
وذلك قليل والكثير جمع فعلة
على فعل بضم الفاء وفتح العين
قال في الخلاصة وفعلة فعل أي
بكسر الفاء فيهما كفرية ومرى
وحجة وحجج وقد يجيء جمعه على
فعل أي بضم الفاء وفتح العين
(قوله بنت عمرو) أي أخت صخر
ويقال لها خناس بالضم وأما
خنساء بنت خذام وبنت عمرو
ابن الشريد فصحابيتان وهما
خلاف أخت صخر الشاعرة
(قوله وخصها) يعني الخنساء
بأخت صخر انظر من أي شيء أخذ
الشارح تخصيص الناظم بها
فإن لفظ الخنساء صادق على
الثلاثة من ذكرت وخنساء بنت
خذام وخنساء بنت عمرو بن
الشريد فتأمل (قوله مفلقة)
اسم فاعل من أفلق الشاعر أتى
بالعجيب كما في القاموس قال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه
للخنساء أنت أشعر من كل ذي حر
فقالت ومن كل ذي أنثيين يا أمير
المؤمنين

(قوله الا اذا اجليت الخ) ومن أعظم ما يحصل به الجلاء ذكر الله قال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ صقالة وان صقالة القلب ذكر الله ومامن شئ انجى من عذاب الله من ذكر الله ولو ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ولذا لما قالوا له صلى الله عليه وسلم انا نجد للقرآن منك مالا نجده من أنفسنا اذا نحن خلونا قال أجل انا اقرؤه لبطن وأنتم تقرؤنه لظهر قالوا يا رسول الله ما البطن وما الظهر قال اقرؤه اتدبره واعمل بما فيه وتقرؤنه أنتم هكذا وأشار بيده فامرها ولا يخفى عليك ان خطابه صلى الله عليه وسلم للصحابة ومعلوم ان اللائق بمقامهم ثبوت التدبر والعمل لهم فكيف نفيهما عنهم والجواب ان المراد باشارته نفي تدبرهم كتدبره ونفي عملهم كعمله لا نفي أصل التدبر والعمل وسيأتي لنا في شرح قوله كم ابانت آياته من علوم في نقله عن الاتقان ان معنى البطن والظهر المناسب هنا ان الاول ما تضمنه من الاسرار التي اطلع عليها أرباب الحقائق والثاني ما ظهر لاهل العلم بالظاهر فافهم (قوله في اشتمال كل منهم الخ) عبارة السنباطي فكما تميزت كل صورة منها عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الخلقية والخلقية فكذلك سور القرآن كل منها تميز عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الجميلة اللفظية والمعنوية ومن ثم كان بعضها أفضل من بعض باشتمالها على مالم تشتمل عليه الاخرى من الفضائل أو الفواضل (قوله وتطلق النظائر على الاماثل الخ) اى كما تطلق على السور وعلى الامثال والاشباه ومن اطلاقها على السور ما نقل عن ابن مسعود والملائم لسياق المتن ان المراد بالنظائر الاماثل والافاضل اذ هي المشبه بها السور لا انها مشبهة بالسور كما يقتضيه قوله اى ومثل الخ فتدبر (قوله وكل منهما) اى المعنيين المذكورين الاول المثل والمناظر اى المشابه والثاني لاماثل والافاضل وقوله خلافا للشارح حيث خصص كون المراد بالنظائر في هنا المعنى الاول وعبارته والنظراء جمع نظير وهو المثل والمناظر والنظائر الاماثل والافاضل ويكون جمع النظير وهو المراد هنا انتهت وعلى ما ذكره من كون المراد بالنظائر هنا جمع نظير بمعنى المثل يكون المراد بها السور ويكون المراد بالنظراء الاماثل والافاضل كما نقله شارحنا عن ابن مسعود فيقتضي ذلك كون السور مشبها بها والصور التي هي الاماثل والافاضل مشبهة وهو خلاف ما ذكره قبل حيث قال وتطلق النظائر الخ فلو قال اى ومثل الاماثل الخ تلك السور الخ لوافق ما ذكره قبل لكن ما ذكره ثانيا هو الموافق لما نقله عن ابن مسعود من ان النظائر هي السور فتدبر وأنت خبير بان مدخول مثل والكاف هو المشبه به فتكون النظائر هي المشبه بها وذلك يقتضي انها الصور المعبر عنها بالاماثل والافاضل والسور هي المشبه وذلك هو الموافق لقوله سور منه أشبهت صورا منا فليحرر



والمعارف من القرآن الا اذا اجليت عنها اصداء الاغيار واذابت قواها فيما هي بصدده آناء الليل وأطراف النهار (سور) جمع سورة وهي الطائفة المخصوصة المسماة باسم مخصوص توقيفي (منه) لبيان الجنس لان ما يأتي ليس خاصا ببعض سوره بل يشملها كلها (أشبهت) لاشتمال كل منها على مفادات من العلوم وغيرها مستقلة بها لا تتوقف على ما في الاخرى ومن ثم وقع التحدي باقصر سورة منه (صورا) جمع صورة وصورة الشئ شكله (منا) في اشتمال كل منها على عقل وادراك وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف على ما في غيره وكان الناظم رحمه الله تعالى قصد بهذا التشبيه الرد على من زعم ان الاعجاز انما هو بمجموع القرآن لا بكل سورة لان ما فيه من أنواع الاعجاز السابقة انما يستفاد من مجموعه وهذه مقالة فاسدة لا يعول عليها لمنافاته لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله كما مر بيانه فالصواب خلاف هذه المقالة بل قائلوها معتزلة لا يقام لهم وزن (ومثل النظائر) جمع نظير (النظراء) جمع نظير أيضا وهو المثل والمناظر وتطلق النظائر على الاماثل والافاضل وكل منهما يصح ان يكون مرادا هنا خلافا للشارح وهذا ساقه كالمثل لما قبله فيكون من التذييل ومثل تلك السور التي هي نظائر كما قال ابن مسعود ولقد عرفت النظائر التي كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عشرون سورة الاماثل والافاضل الذين يتناظرون في التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل (والاقاويل) جمع قول والمراد به هنا اللفظ المفيد (عندهم) أي الكفار ظرف للمبتدا أو لخبره وهو (كالتماثيل) جمع تمثال وهو الصورة يعني ان تقولهم في القرآن وافتراءهم عليه بما يقدح

في حقيقة أمره مزخرف مموه بالاباطيل كما ان التصاوير التي يخترعها المصورون كذلك
فكما أن هذه لا وجود لها في الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولاتهم المذكور واذا
تقرر لك ان جميع ما قالوه في القرآن باطل قطعي البطلان (فلا يوهمنك الخطباء) أي
فاحذر ان يوقع من حرفوا الكلمات بتشدقهم وتفاصحهم في ذهنك أدنى ريب أو شك في
شيء من أوصاف القرآن التي مر بيان بعضها وما ينبه على ما بقي منها (كم) اى مرات كثيرة
(أبانت) أوضحت (آياته) جمع آية وهي لغة العلامة واصطلاحا قرآن مركب من جمل
ولو تقديرا ذو مبدا ومقطع مندرج في سورة قاله الجعبري ويشكل عليه عدهم نحو ثم نظر
في المدثر آية اذ ليس في هذه جمل ولا تقدير فالاولى قول غيره طائفة من القرآن منقطعة
عما قبلها وما بعدها لكن قوله من القرآن الاولى ان يقول بدله من السورة وسميت الآية
بذلك لانها علامة على صدق الآتي بها او على عجز المتحدين بها ويأتي قريبا عد آي القرآن
(من) زائدة في الاثبات كما هو رأي جماعة (علوم) لا غاية لها كما قال تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء وقال وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وفي حديث الترمذي وغيره
ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم
ما بينكم وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فان
فيه خبر الاولين والآخرين قال البيهقي يعني أصول العلم وأخرج عن الحسن أنزل
الله مائة وأربعة كتب أودع علومها في أربعة منها التوراة والانجيل والزبور
والفرقان ثم اودع علوم الثلاثة القرآن أي مع زيادات لا تنحصر ومن ثم قال الشافعي
رضي الله عنه جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال أيضا
جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن وما ثبت ابتداء
بالسنة فهو في الحقيقة مأخوذ منه لانه أوجب علينا اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال
مرة بمكة سلوني عما شئتم أخبركم عنه من كتاب الله تعالى فامتحن بدقائق فاستنبطها من
القرآن منها لو قتل محرم زنبورا هل عليه جزاء فاستنبط لهم منه انه لا جزاء عليه لان عمر
رضي الله عنه أمر بقتله والنبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر
وعمر والله تعالى يقول وما آتاكم الرسول فخذوه الآية وتبعه يعني الشافعي العلماء على
ذلك فقال واحد ما قال صلى الله عليه وسلم شيئا او قضى او حكم بشيء الا وهو أو اصله في
القرآن قرب او بعد وقال آخر ما من شيء في العالم الا وهو فيه فقيل له أين ذكر الخانات فيه
فقال في قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فهي الخانات وقال
آخر ما من شيء الا ويمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى حتى ان عمر النبي صلى
الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة استنبط من آخر سورة المنافقين لانها رأس ثلاث وستين
سورة وعقبها بالتغابن لظهوره بفقده صلى الله عليه وسلم وقال آخر لم يحط بالقرآن الا
المتكلم به ثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استأثر الله تعالى بعلمه ثم ورث عنه معظم

(قوله ومقطع) اى آخر تنتهي اليه (قوله الاولى ان يقول الخ) اى لان قوله طائفة من القرآن يصدق بالسورة فلا يكون الحد مانعا وقضية هذا ان قوله من السور لازم في الحد (قوله زنبورا) بضم الزاي وجمعه زنابير (قوله فهي الخانات) قال البيضاوي في تفسير الآية كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع اى استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة (قوله من آخر سورة المنافقين) وهي قوله تعالى ولن يؤخر الله نفسا الى آخرها

(قوله لكل كلمة ظهر) مما قيل في معنى البطن والظهر أن ظاهر الكلمة لفظها وباطنها تأويلها ومنه أن القصص التي قصها الله عن الامم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها  الاخبار بهلاك الاولين وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن

ذلك اعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه بحسب تفاوت علومهم كأبي بكر فانه أعلمهم بنص ابن
عمر وغيره وكعلي كرم الله وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن خلافا لمن
زعم وضعه أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن ثم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جميع
ما ابرزته لكم من التفسير فانما هو عن علي كرم الله وجهه وكابن عباس حتى انه قال
لوضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم
تقاصرت الهمم عن حمل ما حمله أولئك من علومه وفنونه فنوعوا علومه انواعا ليضبط كل
طائفة علما وفنا ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ثم أفرد غالب تلك العلوم وتلك الفنون
التي كادت أن تخرج عن الحصر وقد بين هذا القائل وجه استنباط غالبها منه بتآليف
لا تحصى وقال آخر علومه خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف وسبعون ألف علم
على عدد كلم القرآن مضروبة في اربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ويضم
لذلك اعتبار تركيب ما بينهما من روابط لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به نعم أم علومه
ثلاثة توحيد ووعظ وحكم ومن ثم سميت الفاتحة أمه لاشتمالها على هذه الثلاثة
والاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والاخبار
والديانات وقال آخر اشتمل القرآن على كل شئ كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ
أما العلوم فلا تجد مسئلة هي اصل الا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات
وملكوت السموات والارض وما في الافق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء
مشاهير الانبياء والملائكة وعيون أخبار الامم السابقة وشأنه صلى الله عليه وسلم
وغزواته واخباره الى مماته ثم شأن أمته من بعده وبدء خلق الانسان الى موته وأمارات
الساعة وجميع أحوال البرزخ والحشر والجنة والنار وزعم الجاحظ أنه لا يوجد فيه
شئ من المذهب الكلامي الذي هو احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع الخصم
على طريقة ارباب الكلام ولا من النوع المنطقي الذي تستنتج منه النتائج الصحيحة من
المقدمات الصادقة وردوا عليه بأنه مشحون من ذلك اذ ما من برهان ودلالة وتقسيم
وتحديد يبنى منه كليات العلوم العقلية الا وكتاب الله ينطق به وقد بين الاسلاميون من أهل
هذه العلوم كثيرا من ذلك منه أن من اول سورة الحج الى قوله تعالى وأن الله يبعث من في
القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات بل فيه الاشارات حتى لعلم الهندسة بل
لاشكل ما فيه وهو الشكل الثلاثي بقوله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب الآية قال
الائمة وانما أوردت حججه على عادة العرب دون دقائق المتكلمين لقوله وما أرسلنا من
رسول الا بلسان قومه ولان من استطاع أن يفهم غيره بالاوضح الذي يفهمه الاكثرون
لا ينبغي له أن ينحط الى الاغمض الذي لا يفهمه الا الاقلون والا كان ملغزا ومن ثم

يفعلوا كفعلهم فيحل بهم مثل
ماحل بهم ومنه أن ظاهرها ما ظهر
من معانيها لاهل العلم بالظاهر
وباطنها ما تضمنته من الاسرار
التي اطلع عليها ارباب الحقائق
وقوله وحد اي أحكام الحلال
والحرام وقوله ومقطع سبق قلم
والظاهر بدله مطلع اي اشراف
على الوعد والوعيد اهـ كذا في
الاتقان وما ذكره صاحب
الاتقان لا يلائم التعبير بكل كلمة
كما عبر به الشارح لان القصص
ليست مأخوذة من كلمة وكذا
احكام الحلال والحرام والاطلاع
على الوعد والوعيد لان ذلك انما
يستفاد من الجمل المفيدة وانما
يلائم ما ذكره من التعبير بالقراءة
بان يقال ان للقرآن ظهرا وبطنا
الخ والحاصل أن تعبير الشارح
بكل كلمة انما يلائم تفسير الظهر
باللفظ والبطن بالمعنى والحد بمقدار
من الثواب ان وافقت تلاوة
الكلمة الشرع أو العقاب ان
خالفت كمقارنة رياء لها والمطلع
بما يشرف عليه الانسان من
دقيق المعنى وأما تفسير الظهر
باخبار القصص بما ذكروا البطن
بوعظ الآخرين المذكور والحد
باحكام الحلال والحرام والمطلع
بالاشراف على الوعد والوعيد
فلا يناسب تعبير الشارح لان هذا ليس معنى لكل كلمة بل لبعض جمل القرآن تأمل (قوله وحد) الحد
منتهى معناه الذي أراده الله وقيل مقدار من الثواب او العقاب اهـ من الاتقان

اخرج

أخرج تعالى فى مخاطباته محاجات خلقه فى أجلى صورة واوضحها ليفهم العامة ما يقنعهم
أو يلزمهم الحجة بسببه والخاصة ما يليق بهم من دقائق المعارف التى هى منتهى كل
ومبلغ اربه ومن عجيب تلك الآيات أنها ابانت تلك العلوم التى لاغاية لها حال كونها
متولدة (عن) بينها وبين من الجناس اللاحق (حروف) قليلة بالنسبة اليها أخرج ابن
الضريس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال جميع آى القرآن ستة آلاف آية
وستمائة آية وست عشرة آية وجميع حروف القرآن ثلثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون
الف حرف وستمائة حرف واحد وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف
التهجى بل مسمياتها الحروف التهجى أسماء كاشفة عن تلك المسميات كما قال (أبان)
اى كشف (عنها الهجاء) اى التهجى وهو تعديد الحروف بذكر أسمائها فانك اذا قلت
ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت الحروف البسيطة التى هى مادة الكلمة قبل
أن تحصل صيغة والمراد هنا أنه يتهجى بالاسماء عن المسميات حتى يتبين موضوع كل
وبيانه أن الحرف الذى اول زيد مثلا له مسمى وهو زو النطق فيه بحذف هاء السكت
لا يؤثر لانه للتعليم وله اسم هو الزاى لانه تعتريه سائر علامات الاسم ومن ثم قال سيبويه
قال الخليل يوما وقد سأل اصحابه كيف تقولون اذا أردتم أن تتلفظوا بالكاف التى فى
ذلك والباء التى فى ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تتلفظوا بالحرف
وقال أقول كه به فحروف القرآن من الاول وحروف التهجى من المراد من الثانى ودليل
تسميتها حروفا الخبر الصحيح من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر
أمثالها الا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فتسمية كل حرفا اما لغة
واما مجازا باعتبار مدلوله وحينئذ (فهى) اى حروف القرآن وان غزرت معانيها وكثرت
أحكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها لان لها مثالا
يقربها نوع قرب كحروف أسماء الاعداد والافتنان ما بينهما اذ ما يأتى له أمد معلوم يفنى
فيه عن قرب وهذه مستمرة النمو والزيادة على ممر الاعصار وتوالى الازمان فى هذه الدار بل
وفى دار القرار كما يدل عليه الحديث الصحيح أنه يقال للقارئ فى الجنة اقرأ وارق ورتل
كما كنت ترتل فى الدنيا ويأتى ذلك قريبا بزيادة وذلك المثال هو امالها كحروف أسماء
الاعداد فانها مع كونها الفاظا محصورة لا ينتهى الوهم الى المعدود بها واما انها
(كالحب) الذى يلقيه الزراع (والنوى) الذى يلقيه الغارس بالارض فينشأ عن الاول
من السنابل والحبوب ما يكاد أن لا يحصى ولا يتناهى ومن الثانى من الثمر ما هو كذلك
وفى هذه الحالة (اعجب) فاعله يأتى فقول الشارح أن فيه ضميرا للحب والنوى وان فاعله
سنابل سهو منه اذ كيف يتصور فى فعل ان له فاعلين ضميرا وظاهرا فى حالة واحدة (الزراع)
والغارس كما يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفاء كسرابيل تقيكم الحر اى والبرد وفيه ايضا
اللف والنشر المرتب لعود الزراع للحب والغارس للنوى وعود السنابل للاول والزكاء

(قوله وان غزرت) الغزارة
الكثرة وقد غزر الشئ بالضم
يغزر فهو غزير اه صحاح (قوله
فقول الشارح الخ) عبارته فهى
مبتدا كالحب خبر والنوى
عطف على الخبر أعجب فعل فاعله
ضمير الخبر وما عطف عليه بتأويل
المذكور أو الواو بمعنى أو والزراع
مفعول وسنابل فاعله وزكاء
عطف عليه

لهما (منها) اى من تلك الزروع والاشجار (سنابل وزكا) اى نمو يفوت الحصر بحيث
لواجتمع اهل الارض على استقصاء عدده لما اطاقوه فقد علمت أن المتناهى هنا كما يحصل
منه مالا يتناهى فكذلك حروف القرآن هى متناهية ويحصل منها من العلوم والمعارف
مالا يتناهى وهذا المثال المراد به التقريب لاغير كما عرفه ماهر والافشتان مابين
الامرين ألاترى أن عدم تناهى تلك الحبوب والثمار انما هو فى مدة قليلة ثم تفنى عن قرب
وأما تلك الحروف فان معانيها لاتتناهى فى الدنيا ولافى الآخرة ففى الحديث الصحيح أنه
يقال للقارئ فى الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا وبه يعلم أنه يقرأ ويتلذذ
بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها ومايفتح الله به على القراء من أنواع المعارف اللائقة
بتلك الدار وتلك الذوات التى تم فيها التأهل وذلك امر لايتناهى أبدا ومن عجيب شأن
الكفار أنهم مع هذه المعجزات والآيات البينات كلها استمروا على ماهم عليه من غاية
الاعراض والانكار (فأطالوا فيه التردد والريب) اى الشك عطف مرادف (فقالوا) كما
حكاه الله عنهم فى كتابه العزيز فهو تلميح مرة انه (سحر) اى تمويه لاحقيقة له وأصل السحر
لغة كل مالطف مأخذه ورق (وقالوا) مرة اخرى انه (افتراء) اى كذب ومرة أساطير
الاولين الى غير ذلك من افترائهم واقتراحهم ومباهتتهم وتلبيسهم وضلوا فيما قالوا بل هو
والله المتفضل بانزاله قرآن مجيد فى لوح محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه
تنزيل من حكيم حميد وكل ذلك ينادى عليهم بالبوار والعناد وأنهم لاعقل لهم ولارأى
ولااستعداد (و) لكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق
لما هو مقرر فى العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة أنه (اذا) كانت (البينات)
اى الحجج القطعية البرهان الواضحة البيان (لم تغن) هم اى لم تفدهم (شيأ) من الهدى
(فالتماس الهدى بهن) اى طلبه منهم بتلك الحجج بعد اليأس من ايمانهم (عناء) اى تعب
لايفيد شيأ (واذا ضلت) عن طرق الحق (العقول) جمع عقل وسبق الكلام عليه
مستوفى (على) اى مع (علم) منها بتلك الطرق اى أضلها باريها (فماذا تقوله) اى فأى قول
تقوله الانبياء (النصحاء) وقولهم حينئذ لايفيد شيأ والبيت الاول مقتبس من قوله
تعالى وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون والثانى من قوله تعالى أفرأيت من
اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن
يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وبما قررت به كلامه يعلم أن هذين البيتين من الكلام
البديع الجامع * (تنبيه) * لايتوهم من النظم أنه مخالف لقول الائمة أجمعت الامة على
التكليف بالمحال كغيره كتكليف ابى جهل مثلا بالايمان مع علم الله تعالى بأنه لايؤمن
وذلك لان التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوى عنا عاقبتها فهم بالنسبة
اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عنه عاجزين باطنا العلم الله تعالى
بأنهم لايؤمنون لان هذا لانظر اليه والالارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنابذ لما

(قوله عطف مرادف) ما المانع أن يراد بالتردد مايشمل الظن والوهم فيكون من عطف الخاص على العام تأمل (قوله ومباهتتهم) اى قولهم فى القرآن خلاف الواقع مأخوذ من قوله بهته قال عليه مالم يفعل (قوله وتلبيسهم) اى خلطهم فى الامر من لبس خلط (قوله على التكليف بالمحال) عبارة لب الاصول وشرحه لشيخ الاسلام الاصح جواز التكليف عقلا بالمحال اى جواز تعلق الطلب الممتنع بمعنى جواز تعلق الطلب بايجاده مطلقا اى سواء النفسى كان محالا لذاته اى ممتنعا عادة وعقلا كالجمع بين السواد والبياض أم لغيره اى ممتنعا عادة لاعقلا كالمشى من الزمن اه وكتب عليه أيضا وخرج بالتكليف بالمحال التكليف المحال فلا يجوز والفرق بينهما أن الخلل فى الاول يرجع الى المأمور به وفى الثانى الى المأمور كتكليف ميت وجماد اه لب

جاءت به الشرائع فاحذر أن تميل اليه فتزل قدمك و يحق ندمك واستحضر قوله تعالى لايسئل عما يفعل وهم يسئلون * (فوائد) * منها قيل حكمة تنزيه القرآن من الشعر مع ان الوزن يورث الكلام عذوبة أن قصارى امر الشاعر التخيل بتصور الباطل فى صورة الحق والافراط فى الاطراء والمبالغة فى الذم والايذاء دون اظهار الحق ولهذا نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ومن ثم قال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا فى شعره اى غالبا وما وقع فيه على صورة الشعر لايسماه لان شرطه القصد ومن ثم لم تعارضه العرب ولو اعتقدوه شعرا لعارضوه وقيل مادون البيتين ليس شعرا وقيل الرجز كذلك ومنها اسئل الغزالى عن قوله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فقال الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد نفى اختلاف الناس فيه بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن فليس نظمه مختلفا ولا بعضه يدعو للدين و بعضه يدعو للدنيا بخلاف كلام البشر لاختلاف قواهم وأعراضهم وأحوالهم ومنها أن سائر كتب الله تعالى لا اعجاز فيها من حيث النظم والتأليف لان ألسنتهم لاتفى بذلك بخلاف الاخبار بالغيوب فان الكل جميعا اشترك فيه ولكون ألسنتهم كذلك كان كل ما فى القرآن حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى ألفاظهم ذكره ابن جنى وغيره ومنها وقع فى القرآن آيات متشابهات من حيث النظم كايراد القصة الواحدة فى سور وفواصل مختلفة كوكلا وفكلا يذبحون و يذبحون سنزيد وسنزيد وذلك كثير وقد أفرد خلائق الجواب عن ذلك بتآليف مختلفة مستقلة ومن حيث ايهام التعارض عند عدم التأمل نحو ولا يتساءلون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأول من تكلم فى الجواب عن ذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثم تبعه الائمة حتى أفرد بعضهم ذلك بالتأليف كما ألفوا فى مختلف الحديث و بيان الجمع بين الاحاديث المتعارضة ومن حيث انها من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه أو علمه ايضا الراسخون فى العلم وهو مبحث طويل فلا بأس بذكر خلاصته وهى قيل القرآن كله محكم كما فى آية وقيل كله متشابه كما فى آية والاصح انقسامه اليهما والمراد باحكمت آياته أتقنت وتنزهت عن نقص يلحقها و بمتشابهات أنه يشبه بعضه بعضا فى الحق والصدق والاعجاز ثم المحكم ما عرف المراد منه قيل ولو بالتأويل والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه كالساعة والحروف المقطعة أوائل السور وفيهما أقوال أخر ثم المتشابه هل علم فيه قولان منشؤهما هل الوقف على فى العلم من قوله تعالى والراسخون فى العلم وعليه طائفة قليلة كمجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس وقال النووى انه الاصح لانه يبعد أن يخاطب الناس بما لا سبيل لاحد من الخلق الى معرفته وابن الحاجب انه المختار والاكثرون من الصحابة فمن بعدهم خصوصا اهل السنة أن الوقف على الا الله من قوله

(قوله أن قصارى) قال فى الصحاح وقولهم وقصرك أن تفعل كذا وقصاراك أن تفعل كذا بالضم وقصارك أن تفعل ذاك بالفتح اى غايتك وآخر أمرك وما اقتصرت عليه (قوله بتصور الباطل الخ) قال السيوطى فى المزهر قال بعض العقلاء وقد سئل عن الشعر ان هزل أضحك وان جد كذب فالشاعر بين كذب واضحاك (قوله اختلافا كثيرا) اى تناقضا وأما اختلاف الروايات فثابت لحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف (قوله كوكلا وفكلا) عبارة الاتقان قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا وفى الاعراف فكلا بالفاء قيل لان السكنى فى البقرة الاقامة وفى الاعراف اتخاذ المسكن فلما نسب القول اليه تعالى وقلنا يا آدم ناسبت زيادة الاكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والاكل ولذا قال فيه رغدا وقال حيث شئتما لانه أعم وفى الاعراف ويا آدم فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الاكل على السكنى المأمور باتخاذها لان الاكل بعد الاتخاذ (قوله يذبحون ويذبحون) لان الاولى من كلام الله تعالى لهم فلم يعدد عليهم المحن تكرما فى الخطاب والثانية من كلام موسى فعددها وفى الاعراف يقتلون وهو من تنويع الالفاظ المسمى بالتفنن اه اتقان (قوله سنزيد وسنزيد) ان قلت لم ذكرها بالواو وفى الاعراف بدونها قلت لان اتصاله هنا اشد لاسناد القول فيه الى الله فى قوله واذ قلنا ادخلوا بخلافه ثم فالاليق به حذف الواو لكونه استئنافا اه من فتح الرحمن

تعالى وما يعلم تأويله الا الله وهو أصح الروايات عن ابن عباس وعد ابن السمعانى اختيار الاول هفوة وجمع بعضهم بأن من المتشابه ما يمكن الوقوف عليه ومنه ما لا يمكن فصح الوقفان بهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر آيات الصفات التى فيها ذكر نحو الاستواء واليد والعين وجمهور أهل السنة منهم أكثر السلف وأهل الحديث على تفويض معناها المراد منها الى الله تعالى مع تنزيهه عن ظواهرها وذهب الخلف الى تأويلها بما يليق بجلاله تعالى وكان امام الحرمين يميل الى هذا ثم رجع عنه فقال والذى نرتضيه دينا وندين الله به عقدا اتباع سلف الامة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وتبعه ابن الصلاح فقال وعلى ذلك مضى صدر الامة وساداتها واياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها واليها دعا أئمة الحديث والفخر فقال وأحسن فيما قال لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا بدليل منفصل وهو اما لفظى وهو لا يعتبر هنا لانه مظنون اذ القطع به يتوقف على انتفاء الاحتمالات العشر وهو مظنون واما عقلى وهو انما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لاستحالته دون اثبات المعنى المراد لانه ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل وذلك انما يكون باللفظى وقد تقرر أنه لا يفيد الا الظن وهو لا يعول عليه فى المسائل الاصولية القطعية قال فلهذا اختار الائمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على ان حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض فى تعيين التأويل اهـ وتوسط ابن دقيق العيد فقال يقبل التأويل اذ قرب فى لسان العرب نحو على ما فرطت فى جنب الله اى فى حقه وما يجب له لا ان بعد كتأويل استوى باستولى ولما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين ما آل اليه أمرهم شرع فى الكلام مع أهل الكتابين ليبين ما آل اليه أمرهم أيضا فقال يا (قوم) وحذف حرف النداء جائز الا فى الندبة والاستغاثة ومع الضمير وكذا مع اسم الاشارة واسم الجنس على قول به (عيسى) المدعوين بالنصارى (عاملتم قوم موسى) وهم اليهود (ب) التصديق بكتابهم وهو التوراة (الذى عاملتكم) بنظيره وهو التصديق بكتابكم الذى هو الانجيل (الحنفاء) اى المسلمون جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين الحق ثم بين ما ابهمه فى البيت قبله بقوله (صدقوا) اى قوم عيسى (كتبكم) وهى التوراة وما بعدها كالزبور (وكذبتم كتبهم) وهى الانجيل وجمعه للمشاكلة أو لتنزيله منزلة كتب متعددة وفى هذا التفات لان قوم عيسى خوطبوا أولا وأعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين عيسى وموسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الآتيين والتصديق والتكذيب الطباق (ان ذا) اى الذى فعلتموه معشر اليهود (لبئس البواء) اى الصنيع الذى رجعتم به القهقرى وهذا مقتبس من قوله تعالى وباؤا بغضب من الله (لو جحدنا) من الجحد وهو الانكار عن علم (جحودكم) اى مثله بان أنكرنا كتابكم

نحو يا اياك قد كفيتك وقوله * يا ابجر بن ابجر يا أنتا * وأما قولهم ياهو يامن لاهو الا هو كما فى دلائل الخيرات وغيرها فهو فيه اسم للذات العلية لا من قبيل ضمير الغيبة اهـ وقول الاشمونى والصحيح الخ قال فى التصريح الخلاف فى ضمير المخاطب وأما ضمير المتكلم والغائب فنداؤهما ممنوع اتفاقا فلا يقال يا أنا ولا ياهو (قوله وكذا مع اسم الاشارة الخ) فى شرح قول الخلاصة وذاك فى اسم الجنس والمشار له قل ومن يمنعه فانصر عاذله للاشمونى ما ينبغى الوقوف عليه لمن أراد تحقيق المقام (قوله وهذا مقتبس من قوله الخ) يقتضى أن البواء بمعنى الرجوع ولم يذكر فى القاموس البواء بهذا المعنى قال فيه باء اليه رجع أو انقطع ثم قال وباء بذنبه بوأ وبواء احتمله أو اعترف به وقال بعد أيضا البواء السواء والكفؤ وأجابوا عن بواء واحد أى بجواب واحد ثم رأيت فى البيضاوى ما نصه رجعوا به أو صاروا أحقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به وأصل البوء المساواة اهـ وقد يقال مراد الشارح بالصنيع الذى رجعوا به القهقرى المفسر به البواء الاحتمال أى احتمالهم غضب الله بتكذيبهم كتاب الله المنزل فيكون موافقا لقول القاموس وباء بذنبه بوأ وبواء احتمله فتأمل

كما

كما انكرتم كتابنا وكتاب عيسى (لاستوينا) نحن وانتم (أ) يكون ذلك منا لا يتصور ذلك
كيف (و) ليس (للحق) وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله
(بالضلال) وهو ما أنتم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض (استواء) اى
مساواة بل بينهما غاية التضاد فالحاصل أنتما لم تجحدا شيأ من كتب الله وانما وقع الجحد من
اليهود لكتاب النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم قال تعالى
وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون
الكتاب اى المكذب لهم فى ذلك وكان الشارح أخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد
بين أهل الكتاب اذ التعبير بالتفاعل مصرح بما ذكر مما يخالف النظم ويوافق ظاهر
الآية اه وقد يقال لا يلزم من ادعاء كل فرقة فى الاخرى ما ذكر انكار كتابهم اذ لا مانع
أن النصارى قائلون فى اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شئ اى باعتبار تبديلهم
وتغييرهم فصح ما فى النظم ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا وكتبهم الى الحنفاء وضمير الخطاب
فى كتبكم وكذبتم للفريقين اليهود والنصارى ويكون ذلك تفسيرا لما امامكم الحنفاء
وفى السياق ما يؤيد كلا من الاحتمالين لكن الاول أقرب ولما كان من المعلوم المستقر
أن اليهود أشد الناس حسدا قال تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله
وأنهم حسدوا عيسى حتى قتلوه فى زعمهم الفاسد واستمر حسدهم للنصارى من بعده حتى
قالوا ليست النصارى على شئ الموجب لقول النصارى فيهم ذلك ايضا وان الطائفتين
حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر من ضعفاء
العقول فضلا عن غيرهم شرع الناظم فى بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال
(مالكم) اى أى شئ حصل لكم معشر الفريقين يا (اخوة الكتاب) المراد به الجنس
الشامل لكتابيهما سماهم بذلك لانه لما جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام صاروا
مستوين فيه كاستواء الاخوة فى الانتساب الى أصل واحد حال كونكم (اناسا ليس)
شأنكم انه (يرعى للحق منكم اخاء) بكسر الهمزة نائب فاعل يرعى ويجوز أنه اسم ليس
ونائب فاعل يرعى ضميره اى مؤاخاة اى ليس تصدر منكم مراعاة للدين الحق بالقيام بما
يجب له من الحقوق التى منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما فى كتبكم من
التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفى اخاء مع اخوة رد العجز على الصدر وبين
الاخوة والاخاء جناس الاشتقاق كالشهادة والشهداء الآتى ومن عدم رعايتكم لذلك
انه (يحسد الاول الاخير) كما وقع لليهود أنهم حسدوا عيسى صلى الله عليه وسلم حتى
زعموا أنهم قتلوه وصلبوه وما دروا الملاعين أنه شبه لهم مثله فقتلوه ونجاه الله منهم ثم
رفعه الى السماء لينزل آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا وراء
المهدى أول نزوله ليعلم أنه نزل تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم ومنها أنه لا يقبل
الجزية بل يقتل كل يهودى ونصرانى فى الارض لان نوعا من الشبهة المجوزة لقبول

(قوله أم يحسدون الناس) المراد
بالناس رسول الله واصحابه
او العرب او الناس جميعا لان من
حسد على النبوة فكأنما حسد
الناس كلهم وقوله من فضله اى
من النبوة والكتاب والنصرة
والاعزاز وجعل النبى الموعود
منهم اه من البيضاوى (قوله
معشر الخ) المعشر هم الطائفة
الذين يشملهم وصف والشباب
معشر والشيوخ معشر والانبياء
معشر (قوله سماهم بذلك) وكما
يقال فى الصديقين اخوان
لاستوائهما فى الصداقة (قوله
ليس شأنكم) يشير الى أن اسم
ليس ضمير الشأن وهو بناء على
أن اخاء نائب فاعل يرعى وقد أخر
هذا المسلك الجوجرى فقال
ويجوز ان يجعل النائب هو
الاخاء فيكون اسم ليس ضمير
الشأن (قوله ويجوز أنه اسم
ليس) قدمه الشارح الجوجرى
وقال انه أحسن (قوله جناس
الاشتقاق) كان الظاهر شبه
الاشتقاق وقد سبق الفرق بين
الاشتقاق وشبهه

الجزية منهم ارتفع بنزوله وتكذيبه لهم (ومازال كذا) أي هكذا المذكور من حسد
الاول للاخير (المحدثون والقدماء) من لدن آدم الى اليوم (قد) هي للتحقيق (علمتم) يا أهل
الكتاب (بظلم قابيل) من اضافة المصدر الى فاعله وهو أول أولاد آدم وهم أربعون جاؤا له
من حواء في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وأنثى وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا
اربعين ألفا (هابيل) بشدخه رأسه بين حجرين وهو ثاني أولاد آدم صلى الله عليه وسلم
حسدا له على الدين من أجل كون الله تعالى تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه فحينئذ قال
له لاقتلنك فأجابه بانه يستسلم لقضاء الله ولا يجزي بالسيئة السيئة كما أفاد ذلك ما حكاه الله
تعالى عنه بقوله عز قائلا لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط الآية ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كن خير ابني آدم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله
القاتل وجاء أن سبب حسده له انه تزوج اخت هابيل وكانت ليست كجمال اخته التي
تزوجها هابيل وكان من شريعة آدم عليه الصلاة والسلام أن اختلاف بطون حواء
بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس وهو مع
مخالفته لظاهر الآية يمكن تأويله بأنه لا مانع من ان حسده لسببين أخروي وهو ما في
الآية ودنيوي وهو ما ذكر على أنه جاء في القصة ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أمر قابيل
أن يزوج اخته لهابيل فامتنع وقال أختي أحسن لا امكنه منها ولا ارضى اخته أمرهما
أن يقربا قربانا لله وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تأكله فقرب
كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده حتى قتله وبين الاول والاخير
والمحدثون والقدماء جناس الطباق كوفيتم وخانوا وأحسنتم وأساؤا والآباء والابناء
وعرفوه وأنكروه الآتيات (ومظلوم الاخوة) الاضافة فيه بمعنى من ويصح بتكلف
كونها بمعنى في وأخبر عنه بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع وقسميه (الاتقياء) لانهم الذين
يصبرون على تحمل الاذى ولا ينتقمون لانفسهم وهذا فيه ضرب ارسال المثل للاستدلال
به على ما قبله وكذا ومازال الخ وعلم من قولي وهذا فيه الخ أنه ليس المراد بالاخوة هنا
خصوص قابيل وهابيل حتى يجاب عنه بأنه اراد بالاخوة الاخوين بناء على القول بأن
اقل الجمع اثنان (و) قد (سمعتم) هو لليقين لان المراد في كل العلم (بكيد أبناء يعقوب)
المسمى في القرآن باسرائيل اى عبد الله بن اسحق الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر أنه
اخوه اسمعيل بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم (أخاهم) يوسف صلى الله عليه وسلم

(قوله قابيل) سيأتي في كلام الشارح التصريح بأنه كافر (قوله وهم اربعون الخ) تقدم للشارح في شرح قول الناظم لم تزل
في ضمائر الكون البيت ان آدم أولد حواء اربعين ولدا في عشرين بطنا الاشيثا وصمه فانه ولد منفردا كرامة لكون نبينا صلى الله
عليه وسلم من نسله اه وتقدم لنا في الحاشية أن قوله الاشيثا الخ يقتضي أن الصواب أن يقول بدل
اربعين ولدا تسعة وثلاثين ولدا
ويزيد بعد قوله بطنا كل بطن اثنين
الاشيثا الخ فقوله وهم اربعون
الخ صوابه أن يقول وهم تسعة
وثلاثون ويقول بعد قوله ذكر
وأنثى الابطنا من البطون لم يكن
الاذكرا وهو شيث فتأمل (قوله
تقبل قربان هابيل) وكان هابيل
صاحب غنم وكان ابن الجانب
وكان قابيل صاحب صيد وقنص
وكان فظا غليظا فاصطاد صيدا
وقربه وعمد هابيل الى أحسن
غنمه فقربه اه والذي في الخازن
أن قابيل كان صاحب زرع فقرب
صبرة من طعام ردئ وأضمر في
نفسه لا أبالي أيتقبل ام لا لا يتزوج
اختي احد غيري وكان هابيل
صاحب غنم فعمد الى كبش من
غنمه وقربه واضمر في نفسه رضا
الله وهابيل اول قتيل قتل ولذا
ورد في الحديث ما من قتيل يقتل
الا وعلى ابن آدم الاول كفل منها
لانه اول من سن القتل وكان قبله
حسد ابليس آدم فهبط عن
الملكوت وقيل هي اول معصية
وجدت اي من اولاد آدم (قوله
اخت هابيل) وتسمى لبودا (قوله
بكمال اخته) وتسمى اقليما (قوله اراد بالاخوة الخ) على أنه لا يصح ارادة ذلك لانه لا يظهر معه جعل مظلوم فانه
للجنس فلا توجد مطابقة المبتدأ للخبر فتدبر (قوله اى عبد الله) قال النووي في التهذيب قال ابو علي الفارسي هذا الذي قيل ان
معناه عبد الله خطأ من وجهين أن ايل وال لا يعرفان في اسماء الله تعالى الثاني لو كان كذلك لانصرف آخر الاسم في وجوه
العربية ولكان آخره مجرورا كعبد الله قال وهذا الذي قاله ابو علي هو الصواب اه وفي الوجه الثاني نظر

(قوله نحن نقص الخ) قال الكرماني في العجائب في قوله تعالى نحن نقص الخ قيل هو قصة يوسف لاشتمالها على حاسد ومحسود ومالك ومملوك وشاهد ومشهود وعاشق ومعشوق وحبس واطلاق وسجن وخلاص وخصب وجدب وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق اه اتقان (قوله أو لقوة الخلاف) قال شيخ الاسلام زكريا في فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن لم يكونوا انبياء على الصحيح (قوله بسطه كتب الاصول) حاصل المعتمد منه أنهم معصومون قبلها أيضا من الكبائر والصغائر عمدا وسهوا ثم رأيته صرح به فيما سيأتي (قوله فانهم لما جاؤا اليه الخ) روى أن يوسف طاف بيعقوب في خزائنه كلها فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على مسافة ثمان مراحل قال امرني جبريل بذلك قال أما تسأله قال يوسف انت انبسط اليه مني فاسأله انت فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك اني اخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتني واقام يعقوب عند يوسف اربعا وعشرين سنة فلما حضره الموت وصى يوسف بأن يحمل جسده ويدفنه عند ابيه فمضى يوسف بنفسه ودفنه عند ابيه ثم عاد الى مصر وروى أنه وصل اليه ريح يوسف من العريش قرية بين مصر وكنعان استأذنت ريح الصبا في اتيان يعقوب بريح يوسف قبل اتيان البشير فأذن لها فجاءت بريح يوسف وكان يعقوب ساجدا اه كواشي (قوله وخروا له سجدا) قال البيضاوي تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته (قوله وقد أحسن بي) ويقال أيضا أحسن الى والمفعول فيهما محذوف تقديره صنعه (قوله من السجن) لم يقل من الجب تكرما لئلا تستحي اخوته من ذلك ومن تمام الصفح والعفو أن لا يذكر ما تقدم من الذنب أو لان السجن كان باختياره بقوله السجن أحب الي والاختيار آفات فشكر الله تعالى على تخليصه من فتنة اختياره بخلاف الجب فانه كان موضع اضطرار واختيار من الله تعالى اه كواشي وقال القاضي في تفسيره انما ابتلي بالسجن لقوله هذا أي رب السجن الخ وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر (قوله من البدو) اي البادية وكان منزل يعقوب عليه الصلاة والسلام باطراف الشام بالبادية بادية فلسطين وكان رب ابل وغنم وفي الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة اه من النهر لابي حيان



فانه لا خلاف في نبوته كما هو مبسوط في قصته المصدرة بقوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص اي لانها سيقت على اسلوب لم يبق عليه غيرها من بقية القصص (و) لا يتوهم من كيدهم له المحكي عنهم في قصتهم ولا من ذكرهم اثر قابيل الكافر اللعين أن ذلك ينافي صلاحهم لاتفاق العلماء على أنهم (كلهم صلحاء) عدل اليه عن انبياء لانه الامر المتفق عليه كما تقرر او لقوة الخلاف عنده في عدم نبوتهم بخلاف يوسف فانه لا خلاف في نبوته لكن الحق أنه ظاهر الآية او صريحها وهي قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط اذ الاسباط هم اولاد يعقوب وقد ذكرت الآية أنه انزل عليهم شيء يجب الايمان به غير ما انزل على آبائهم وذلك الشيء هو الوحي كما هو المتبادر بل صرحت به آية واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وحينئذ فنفي نبوتهم المستلزم لنفي الوحي اليهم مناقض لصريح الآية فتأمله ولا ينافي نبوتهم ما حكي عنهم في تلك القصة لانه انما صدر منهم عن تأويلات تراها شريعتهم ومما يقرب ذلك أن العلماء رضي الله تعالى عنهم اتفقوا على صلاحهم وأن تلك الامور التي جرت منهم لم تؤثر في صلاحهم فكذا في نبوتهم على ان في عصمة الانبياء قبل النبوة خلافا فمحل بسطه كتب الاصول (حين) ظرف الكيد (القوه في غيابة جب) هو البئر الذي لم يطو وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه مع كونه اصغرهم عليهم الذي انبأت عنه رؤياه المذكورة اول السورة اذ الاحد عشر كوكبا مثال لهم لانهم احد عشر والشمس والقمر ابوه وخالته وسجود الكل له دخولهم تحت أمره وطاعته وكان الامر كذلك كما في آخر السورة فانهم لما جاؤا اليه مع أبيهم وخروا له سجدا قال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو

من بعد أن نزغ الشيطان بيني و بين اخوتي وليس في التعبير بنزغ الشيطان بينه و بينهم ما يقدح في نبوتهم على القول بها قال تعالى لافضل خلقه صلى الله عليه وسلم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله لان معناه واما يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عن المكذبين لك فالنزغ أدنى حركة أمره تعالى انه متى تحرك عليه أدنى غضب على عدوه وأراد الشيطان القاءه أدنى وسوسة اليه ان يستعيذ به تعالى ليكفيه أمره وهذا من تمام عصمته صلى الله عليه وسلم لانه لا يسلط عليه بأكثر من التعرض له بهذا الامر الذي لا تأثير له من غير قدرة له عليه (و) من كيدهم له أيضا انهم (رموه بالافك) حيث قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يريدون يوسف عليه الصلاة والسلام (وهو براء) اي برىء منه وفي تسمية الناظم هذا افكا نظر ظاهر بل لا يصح كيف وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال سرق يوسف عليه الصلاة والسلام صنما لجده أبي أمه من ذهب وفضة فكسره والقاه على الطريق فعيرته اخوته بذلك وأخرج ابن جرير عن قتادة قال سرقته التي عابوه بها أخذه صنما كان لابي أمه وانما أراد بذلك الخير وروى نحو ذلك جماعة عن زيد بن أسلم وسعيد بن جبير وابن جرير وزاد ان أمه أمرته بذلك لانها كانت مسلمة قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه كان زيد هذا من العالمين بالقرآن فالحاصل انه وقع منه صورة سرقة فذكروها تعييرا له صلى الله عليه وسلم فلم يكذبوا وانما الذي وقعوا فيه انهم عيروه بما لا عار فيه بل بما فيه غاية الرفعة والمدحة كما ذكرته في كتابي سعادة الدارين في صلح الاخوين وذكرت فيه نحو ما سبق وملخصه واعلم ان واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام مع اخوته واقعة عجيبة تشتمل على عجائب وغرائب وحكم واحكام وعبر وامثال وذل وانخفاض وعلو وارتفاع وعلى حسن عاقبة الصبر وخشية عاقبة الحسد وعلى نصر الحق وان لم يكن له اعوان ولا انصار وعلى خذلان المبطل وان كان أعوانه وانصاره الوزراء والملوك فضلا عن غيرهم وعلى ان التباغض والتحاسد بين الاخوة أمر قديم قل ما يسلم منه خيم أو أديم وان كملوا وجلوا وعلت مراتبهم وزكت معادنهم ومذاهبهم لما ان اخوة يوسف وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحاء بل أنبياء بنص قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية اتفقوا على ان المراد بالاسباط أولاد يعقوب فكونه تعالى أمرنا بالايمان بما أنزل الى أبيهم وبما أنزل اليهم ظاهر أو نص في انه أنزل عليهم ما يجب علينا الايمان به اجمالا وهذا صريح في نبوتهم وعليه فقد يستشكل ما وقع منهم في هذه القصة من الامور الكثيرة التي ظواهرها يجب تنزيه الانبياء صلى الله عليهم وسلم عنها بناء على الاصح بل الصواب ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم الرسل وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها من صغائر المعاصي وكبائرها سهوها وعمدها ويجاب بان ذلك يتأتى على مذهب كثيرين بل نقل عن الاكثرين ان العصمة انما

(قوله من ذهب وفضة) وقيل ورثت عمته من أبيه منطقة ابراهيم وكانت تحض يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة في وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت أحق به في حكمهم (قوله قل ما يسلم منه خيم) الخيم بالكسر السجية والطبيعة لا واحد له من لفظه والاديم الجلد ويطلق على وجه الارض والادمة محركة الجلدة ما يلي اللحم اه قاموس والمراد بالاديم هنا الجسد فقوله هم ما خلا جسد من حسد

هى بعد النبوة لاقبلها والاولى ان يجاب بأن هذه الامور انما تشكل على قواعد
شرعنا اما على شرعهم فنحن لاندريه وبفرض انه يوافق شرعنا فى ذلك فيحتمل ان لهم
تأويلا سوغ لهم ارتكاب مافعلوه وتعبير كثيرين كالناظم ببغضهم وحسدهم ونحو
هذا من العبارات التى ظاهرها لايليق بهم انما هو بناء على عدم نبوتهم كما هو قول فيهم
وأخرج ابن جرير وابن المنذر ان أبا عمرو قيل له كيف تقرأ نرتع ونلعب بالنون وهم أنبياء
فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء والحاصل انه يجب علينا الايمان بنزاهتهم وبراءتهم من كل
مالايليق بهم انتهت عبارة الكتاب المذكور واذ قد علمتم معشر المسلمين ماوقع لمن قبلكم
من الشدائد والمحن وصبروا عليها ففازوا برضا الله تعالى ومحبته (فتأسوا) اى فتعزوا اذ
التأسى التعزى من تأسيت بفلان تعزيت به اى جعلت حالى على حاله فنى التأسى تسكين
النفس على الامر المشق وتصبرها عليه والتعزى الحمل على الصبر بوعد الاجر فمعنى التأسى
والتعزى واحد أو متقارب وساغ ذكرهما على الاول لاختلاف لفظهما (بمن مضى)
قبلكم من الكمل فى ذلك (اذ) اى وقت أو لاجل ان (ظلمتم) من الكفار بما رموكم به من
الحسد والبغضاء والعداوة والقتال (فالتأسى) فى المصائب لاسيما بالكمل (للنفس فيه
عزاء) اى تسل وتصبر يحملها على أن لايصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن
النظر الى مايصدر من أهل النفاق والشقاق وهذا من التذييل (اتراكم) الفاعل لاهل
الكتاب والمفعول للمسلمين اى أتظنكم أهل الكتاب (وفيتم) بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم
الحق ودمتم على العمل به (حين) ظرف لوفيتم الواقع موقع المفعول الثانى (خانوا)
ماعاهدوا الله عليه فكتموا الحق وأبوا قبوله من غيرهم (أم) متصلة لانها معادلة للهمزة
السابقة (تراكم) أهل الكتاب (أحسنتم) فى اتباع نبيكم فى جميع ماجاء به فلم تغيروا منه شيأ
قط ولم تبدلوا فى حياته ولا بعد وفاته (اذا ساؤا) الطوية فلم يستمروا على العمل بما جاءتهم
به رسلهم بل بدلوه وغيروه ايثارا لما ينالون من اتباعهم من الحظوظ الدنيوية (بل)
لايرون شيأ من ذلك وانما الذى حملهم على عدم اتباع الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه
(تمادت) اى تتابعت واستمرت (على التجاهل) الموجب لرفض الحق واتباع الباطل اى
اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم ظلما وعلوا فاظهرتم غير الحق ودمتم على العمل به (آباء) بينه وبين الابناء الطباق
(فقفت) اى تبعت (آثارها) الباطلة (الابناء) انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على
آثارهم مقتدون (بينته) اى الحق الذى من جملته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وعموم رسالته (توراتهم) المنزلة على موسى صلى الله عليه وسلم من أوريت الزند قدحته
لتخرج ناره والنار تستلزم النور (والاناجيل) المنزلة على عيسى عليه الصلاة والسلام من
نجل الشئ أخرجه التى لهم كما حكاه الله تعالى عنهما بقوله عز قائلا الذين يتبعون الرسول
النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ولاينافى هذا جمع الناظم له

(قوله ونلعب) اى تسابق وتناضل
للتدرب لقتال العدو فلم يكن
لعبا هو بدليل انا ذهبنا نستبق
وأطلق عليه لعب لانه بصورته
(قوله وجحدوا بها) اى الآيات
التسع المتقدمة فى الآية وهى
الفلق بسكون اللام والطوفان
والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمس والجدب فى
بواديهم والنقصان فى مزارعهم

لانه باعتبار افراده وهذا من أعظم الادلة على نبوته وعموم رسالته وعلى انه صلى الله عليه وسلم على البينة الواضحة من أمره لانه صرح بذلك على رؤس أهل الكتابين ولم يخش ان أحدا منهم يقول ليس ذلك فى كتابنا فاذ قد صرح بذلك ولم يعترضوه كانوا عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والحسد قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وأخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق ان ابن سلام لما سمع بمخرج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى أتجدنى فى التوراة قال انسب ربك فارتج النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام قل هو الله أحد الى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد صفتك فى كتاب الله تعالى اى التوراة يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا تجزى بالسيئة مثلها ولكن تعفو وتصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا لا اله الا الله يفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن كعب والبخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انهما نقلا عن التوراة والانجيل

(قوله لانه باعتبار افراده) اى افراد ذلك المنزل على عيسى وما الافراد التى وقع فيها التغيير والتبديل فليس فيها الحق مبينا وهى أربعة وثمانون ثم رجعوها لعنهم الله الى أربعة قال العلامة نصر بن عيسى المهتدى فى كتابه المسمى بالنصيحة الايمانية فى فضيحة الملة النصرانية الذى ذكر فيها بيان ضلالاتهم وابطال مذاهبهم لانه رضى الله عنه اسلم وحسن اسلامه بعد ان أحاط بما هم عليه مع علمه وفهمه وألف هذا الكتاب لاشهار حقيقة الاسلام وزيادة ايضاح ضلالات النصارى ان أربعة وثمانين رجلا من علمائهم كل رجل غير وبدل واتخذ له انجيلا على قدر عقله واستمروا على ذلك الى زمن ملك من ملوكهم يقال له قسطنطنوس فلما رأى هذا الملك اضطراب حال النصارى بسبب اختلاف أناجيلهم وأن كل واحد قد أتى فى انجيله بشئ لم يأت به الآخر وقد تبع كلا منهم جمع كثير وكثرت الفتن بينهم وكل فرقة منهم تكذب الاخرى وتكفر اعتقادها أمر ذلك الملك جميع النصارى باحضار ما عندهم من الاناجيل واحضار علمائهم من أقاصى البلدان لحضر جميع ذلك وكان عدة من حضر من علمائهم ثلثمائة وثمانية عشر عالما ثم ان الملك أمرهم ان يقتصروا من تلك الاناجيل على بعضها فامتثلوا أمره واختاروا أربعة أناجيل وهى التى بايديهم الآن وهى لمتى ومرقوس ولوقا ويوحنا وأسقطوا ثمانين انجيلا وهذه الاربعة أيضا فيها التغيير والتبديل لكنها أخف من التى تركت (قوله أنشدك الله) قال النووى فى شرح مسلم معنى أنشدك أسألك رافعا نشيدى اى صوتى وهو بفتح الهمزة وضم الشين وفى شرح الشفاء للشهاب أنشدك الله قسم بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وأنشدته وفى القاموس نشد فلانا استحلفه بالله والله منصوب بنزع الخافض اى أسألك بالله وفى النهاية انه متعد لمفعولين (قوله فارتج النبى صلى الله عليه وسلم الخ) قال فى الصحاح وارتج على القارى على ما لم يسم فاعله اذا لم يقدر على القراءة كانه اطبق عليه كما يرتج الباب وكذلك ارتتج عليه ولا تقل ارتج عليه بالتشديد اه فعليه كان الظاهر ارتج على النبى بزيادة على تامل اهـ قال فرتج النبى بفتح فكسر استقام المعنى من غير زيادة على قال فى القاموس ورتج كفرح استغلق عليه الكلام ولم أجد فيه ما فى الصحاح من التقييد بما لم يسم فاعله (قوله ليس بفظ) اى سيئ الخلق ولا غليظ اى قاسى القلب والمراد على المؤمنين فلا ينافى قوله تعالى واغلظ عليهم اى الكفار (قوله ولا سخاب) بالسين المهملة والخاء المعجمة اى صياح فى الخصومات فالسخب هو الصياح واضطراب الاصوات للخصام (قوله الملة العوجاء) يعنى ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم لان العرب غيرتها عن استقامتها فصارت كالمعوجة (قوله يفتح بها أعينا الخ) اطلاق ذلك عليها مجاز علاقته المشابهة على طريق الاستعارة المكنية (قوله غلفا) جمع أغلف وهو الشئ فى غلاف وغشاء بحيث لا يصل اليه

والانجيل نحو ذلك وزيادة عليه وفي التوراة تجلى الله من طور سيناء اى بتكليمه موسى
عليه وأشرف من ساعير اسم جبل اى بتكليمه عيسى عليه واستعلن من جبال فاران اى
جبال بنى هاشم المطلة على شعبهم بمكة بارسال محمد صلى الله عليه وسلم منها الى جميع الخلق
كما يشير اليه تعبيره باستعلن وفي الانجيل كالتوراة من ذلك ما يضيق عنه هذا المحل
(وهم) اى اليهود والنصارى (في جحوده) اى ذلك الحق الذى بينه كتاباهما وهو الانكار
بعد العلم (شركا) اى مشتركون في لعنة الله تعالى عليهما (ان) شرطية (تقولوا) يا أهل
الكتاب (ما) نافية (بينته) اى التوراة والاناجيل الحق المذكور (فما زالت بها) اى
التوراة والاناجيل (عن عيونهم عشواء) بالمعجمة والمهملة اى عن بصائرهم ظلمة مانعة لهم
عن ابصارهم الحق من قولهم ركب فلان العشواء اذا كان قد خبط أمره على غير بصيرة
وقولهم ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء وهي الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط
بيديها كل شئ ففيه الاشارة للمثل المذكور والاستعارة بالكناية لانه شبه العيون
بالبصائر والعشواء بالظلمة المذكورة والاستعارة التخييلية في اثبات الظلمة للعيون
والترشيحية في قوله ما بينته لانه يناسب المشبه به (أو تقولوا قد بينته) كما هو الحق (فما)
اى فاى شئ حصل (للاذن) اى لاذانكم حتى انها (عما تقوله) التوراة والاناجيل
واسناد القول اليها فيه الاستعارتان السابقتان آنفا وكذا في قوله الآتي في طحنتهم
الخ وقوله كساهم الخ (صماء) اى غير سامعة له سماع قبول فلا موجب للاعراض عن
ذلك الا محض العناد والحسد (عرفوه) اى الحق السابق معرفة يقينية ببواطنهم
(وأنكروه) بظواهرهم كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وبين عرفوه
وانكروه الطباق وذلك نتيجة الالزام السابق (وظلما) مفعول لاجله (كتمته) اى الحق
المذكور (الشهادة) بدل اشتمال من كتمته اى كتمت الشهادة به (الشهداء) الذين هم
أهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة قطعية ثم
انكروا ذلك رأسا حسدا وعنادا ومباهتة وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى ما ينالونه منهم
ونكتة ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ الاصل كتموا الشهادة به التسجيل عليهم بما
قررته انهم بلغوا من العلم به صلى الله عليه وسلم وبحقيقة دينه مبلغ رؤية الشمس ومع ذلك
كتموه ومما يدل لقوة علم الشاهد اشتراط اتيانه بلفظ الشهادة لانها أبلغ من العلم كما
يفيده الحديث الصحيح على مثل هذه اى الشمس فاشهد ومن ثم لم يكف قوله اعلم
(أ) تكتمون ذلك وتظهرون الضلال (ونور الاله) اى الذى هو النبوة والرسالة والاله
المعبود بالحق (تطفئه) من اطفأت النار اذهبت حرها (الافواه) اى الالسنة المتقولة
بالباطل وهذا من الكلام البديع الجامع لا يكون ذلك يريدون ليطفئوا نور الله
بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وكيف يطفأ ذلك النور الالهي
(وهو الذى به يستضاء) ظاهرا وباطنا اى يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب

(قوله من طور سيناء) جبل موسى
بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين
وقد يقال له طور سينين ومنع
صرف سيناء للعلمية والعجمة
أو التأنيث على تأويل البقعة
لا للالف لانه فيعال كديماس
من السناء بالمد وهو الرفعة أو
بالقصر وهو النور اه من تفسير
القاضي (قوله من ساعير اسم
جبل) من جبال فلسطين وكان
المسيح يسكن من ساعير أرض
الخليل بقرية تدعى ناصرة
وباسمها سمي من اتبعه نصارى
(قوله من كتمته) اى من مفعول
كتمته

(أ) يستمرون على ضلالهم وادعائهم محقون وينكرون نبوته صلى الله عليه وسلم (ولا ينكرون من طعنتهم) اى اهلكتهم (برحاها) اى اسلحتها (عن أمره الهيجاء) اى حربه صلى الله عليه وسلم لا ينبغي ذلك بل الذى ينبغى لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بأنهم ان استمروا عليه طعنهم صلى الله عليه وسلم برحا حربه كما طعن آباءهم وأبناءهم وأهليهم بجلاء بنى النضير الى أرض الشام وألزمهم أن لا يحمل كل واحد منهم الا حمل بعير من غير سلاح وقتل بنى قريظة (و) لشدة بأسه وظهور نصرته صلى الله عليه وسلم عليهم (كساهم ثوب الصغار) اى الذل كضرب الرق على غير المقاتلين من بنى قريظة استعار اللباس للصغار على حد فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما يلائم المشبه به وهو الكسوة وبما يلائم المشبه وهو طلول دماء وصون دماء فالاولى ترشيحية والثانية تجريدية (و) الحال انه (قد طلت) اى دققت (دماء منهم) كبنى قريظة (وصينت دماء) منهم كبنى النضير أو المراد دماء المسلمين لان الله جعل لهم الغلبة والدائرة على أعدائهم واذا تقرر اتصاف أهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق لهم ان يقال فى حقهم (كيف يهدى) اى يوصل (الاله منهم قلوبا حشوها) اى ملؤها (من) بمعنى اللام المعدية (حبيبه) صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله (البغضاء) اى شدة البغض لحبيبه صلى الله عليه وسلم ويصح على بعد انها للتعليل اى من أجله أو البدل اى حشوها بغضه بدل حبه وفى هذا الاستعارتان السابقتان أيضا (خبرونا) أى اعلمونا يا (أهل الكتابين) التوراة والانجيل (من أين) استفهام انكارى (أتاكم تثليثكم) أى ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس (و) من أين لكم معشر اليهود (البداء)

(قوله وينكرون) الذى فى النظم أولا ينكرون وهو الموافق للوزن وكتب عليه السنباطى ما نصه اتنكرون الحق أيها الملاعين ولا تنكرون الخ اى من أهلكتم منكم الحرب بسلاحها عن أمره صلى الله عليه وسلم اه ثم قال اى لا ينبغي لكم أيها الملاعين ان تنكروا الحق ولا تنكروا ما ذكر الدال عليه ثم رأيت فى نسخة صحيحة من الشرح نصها أو ينكرون نبوته صلى الله عليه وسلم ولا ينكرون من الخ وعليها فلا خلل فى الوزن ولا اشكال (قوله ثوب الصغار) من اضافة المشبه به للمشبه لا من الاستعارة فليس على حد الا ية تامل (قوله وصون دماء) انما يكون من ملايمات المشبه الذى هو الصغار ان أريد صون الدماء منهم كبنى النضير اما اذا أريد دماء المسلمين فلا يكون من ملايمات المشبه لان الله جعل لهم العزة لا الصغار تامل (قوله قد طلت) قال فى الصحاح وطل دمه اى بالبناء للمفعول فهو مطلول وأطل دمه وأطله الله وطله اى اهدره ولا يقال طل دمه بالفتح وأبو عبيدة والكسائى يقولانه وقيل فيه ثلاث لغات طل دمه وطل دمه وأطل دمه وأطل عليه اى أشرف (قوله أو البدل) انما يظهر ذلك اذا كان مدخولها حبه لا حبيبه كما يرشد اليه قوله اى حشوها الخ ولذلك جعل صحته بعيدة لاحتياجها الى التكلف اى من حب حبيبه فتدبر (قوله الاب والابن الخ) انما يناسب هذا لو قال الشارح ان الله أجزاء ثلاثة واما قوله ان الله ثالث ثلاثة انما يناسب ان يقول بعده ما فى الجلالين من تفسير قوله ان الله ثالث ثلاثة ونص ما فيهما اى آلهة ثلاثة اى أحدها والآخران عيسى وأمه وقد يقال هذا ظاهر على ما ذكره السنباطى فى معنى الاب والابن وروح القدس واما على ما ذكره الخازن فيناسب ما ذكره الشارح فتأمل والذى ذكره السنباطى بالموحدة يريدون بالاب الوجود وبالابن العلم وبروح القدس الحياة والذى ذكره الخازن فى تفسير الاقانيم ما ملخصه ان اقنوم الاب ذات الله واقنوم الابن عيسى واقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه اه وفيه ان الحياة الحالة فى عيسى ليست الها حتى يكون ما ذكره الخازن مناسبا لما فى الشرح اللهم الا أن يقولوا ان الحياة المذكورة اله وحينئذ فتظهر مناسبته لما فى الشرح تامل وحينئذ فعبارة السنباطى وقول الشارح الاب انما يناسبان قول فرقة أخرى من أهل الضلال ان الله مركب من أقانيم ثلاثة الاب والابن وروح القدس المبينة فى شرح السنباطى وهذه الفرقة هى النسطورية من النصارى ويقولون أيضا ان المسيح ابن الله والفرقة القائلة بان الله ثالث ثلاثة المبينة فى الجلالين وهم المرقوسية وهم نصارى نجران (قوله البداء) اى ادعاؤكم استلزام النسخ البداء اى ظهور المصلحة فى الشئ بعد خفائها عليه تعالى

(قوله بدا بمعنى أراد) وهذا المعنى لبداهو المصحح لاخذ البدل منه فمعناه الارادة لا المعنى المتقدم المستحيل على الله الذى رتب



بالموحدة والمهملة من بدا ظهر وهو كما يأتى ظهور مصلحة بعد خفائها وبنوا على ذلك امتناع النسخ أى لم يأتكم واحد من هذين عن دليل صحيح بل عن محض سفهكم وعنادكم *(تنبيه)* حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان لفظ البداء غير صحيح لغة لانه من بدا يبدو واثم رده بأن ابن دريد ذكره قال التبريزى هو بالمد من قولهم بدا لى فى الامر اى تغير رأيى فيه عما كان ونقله الزركشى عن صاحب المحكم عن سيبويه وقال السهيلى الاسم البداء ولا يقال فى المصدر ومن أجل ان البدوّ الظهور كان البداء فى وصف البارى سبحانه وتعالى محالا لانه لا يبدو له شئ كان غائبا عنه ويجئ بدا بمعنى أراد كما فى حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا الله ان يبتليهم اى أراد الله لا ظهر لانه كفر كما يأتى (ما أتى بالعقيدتين) المذكورتين (كتاب) من كتب الله تعالى ابدا (واعتقاد) وهو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما فى نفس الامر كاعتقادنا فصحيح والا كاعتقادهم فباطل (لا نص فيه) اى فى اثباته وعبر بالنص وهو ما لا يحتمل لفظه غير معنى واحد معين بأن خلا عن الاحتمالات العشر المقررة فى محالها دون الدليل الاعم من ذلك لان الاعتقاديات لا يكفى فيها الدليل الظنى (ادعاء) اى باطل لانه اختراع فى الدين بمجرد التشهى وكالنص حكم العقل القطعى فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب تأويل النص اليه كآيات الصفات وأحاديثها اذ ظاهرها محال على الله عقلا فوجب صرفها عنه بتأويلها بما يوافق العقل وأنكر جمع متأخرون من الحنابلة تأويلها الزامهم باعتقاد ظواهرها من التجسيم أو الجهة وأطالوا فى ذلك بما كان سببا لمقتهم ومحقهم فى الدنيا والآخرة (والدعاوى) التى تقولون بها معشر اليهود والنصارى بفتح الواو وكسرها كالفتاوى (ما) مصدرية ظرفية (لم تقيموا عليها بينات) اى أدلة قطعية لان الكلام فى الاعتقاديات وهى لا يفيد فيها الظن (ابناؤها) اى نتائجها (ادعياء) اى باطلة والدعى فى الاصل من ينتسب الى شخص بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن له وان عرف نسبه شبه دعاويهم بوطء الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد بما ينشأ عنه لانه ناشئ عن أصل فاسد وهذا استعارة بالكناية ثم خيل لها بذكر ما هو من لوازم المشبه به الذى هو وطء الزنا وهم الابناء الذين هم نتيجته ثم رشحها بذكر الادعاء المناسب للمشبه به وبين الادعاء والادعياء والدعاوى تجنيس الاشتقاق وشبهه كغلطوها والغلطاء والصفات وصفه الآتيان وفى النظم القياس الاقترانى المركب من مقدمتين حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول فالاولى الاعتقاد الذى لا نص فيه دعوى والثانية الدعوى بلا بينة باطلة ينتج الاعتقاد الذى لا نص فيه باطل *(تنبيه)* فرق النصارى ثلاثة نسطورية ويعقوبية وملكية ولكل فرقة اعتقاد معروف

قال ابن أبى شريف فى حاشية جمع الجوامع هى كما يتحصل مما مر تعارض المجاز والاشتراك تعارض النقل والاشتراك تعارض المجاز والاضمار تعارض النقل والاضمار تعارض التخصيص والمجاز تعارض التخصيص والنقل تعارض التخصيص والاشتراك تعارض التخصيص والاضمار تعارض الاحتمال والاشتراك تعارض المجاز والنقل وهذه العشرة حاصلة من ضرب خمسة فى اثنين والخمسة هى التخصيص والمجاز والاضمار والنقل والاشتراك وقد جمعها بعضهم وأضاف اليها النسخ وقدم المجاز على الاضمار فقال

تجوز ثم اضمار وبعدهما
نقل تلاه اشتراك فهو يخلفه
وارجح الكل تخصيص وآخرها
نسخ فما بعده قسم يخلفه

ويمكن انشادهما على ترتيب وفق الكتاب بان يقال تجوز مثل اضمار وبعدهما الخ اه وقد مثل فى شرح جمع الجوامع لبعضها فراجعه ان شئت (قوله كآيات الصفات) نحو يد الله فوق أيديهم (قوله وأحاديثها) نحو ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل فالمراد باليد فى الآية القدرة وفى الحديث الرحمة (قوله نسطورية) بضم النون وفتحها أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون وتصرف فى الانجيل برأيه وقال ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وان المسيح ابن الله وقوله ويعقوبية

= أصحاب يعقوب راهب القسطنطونية قالوا ان المسيح هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقوله وملكية أصحاب ملكان الذى ظهر ببلاد الروم قالوا المسيح عبد الله ونبيه كذا فى البيضاوى فى سورة مريم عند قوله فاختلف الاحزاب الآية زاد الثعلبى والمرقوسية وهم نصارى أهل نجران قالوا الله ثالث ثلاثة والآخران عيسى وأمه وسيأتى ان الناظم أشار لفرقة خامسة بقوله أم أردتم بها الصفات كما فى شرح السنباطى ما يقتضيه ظاهر عبارته وسيأتى نقلها هناك وامكان رد ما ذكره لمذهب اليعقوبية (قوله وقد أشار الناظم الخ) فيه نظر بالنسبة للملكية على ما نقله عنهم البيضاوى من أن اعتقادهم ان المسيح عبد الله ونبيه وهذا موافق لعقيدة أهل الحق ويكون ضلالهم وكفرهم بغير ذلك فان كان لهم اعتقاد فاسد غير ما ذكر كغيرهم من بقية فرقهم صح



بالنسبة لهم أيضا ولعلهم يعتقدون أن الاله مركب من الصفات الثلاثة حال فى بدن عيسى فراجع وحرر ثم رأيت فى الخازن فى تفسير قوله يا أهل الكتاب تعالوا ان الملكية قائلون ان عيسى هو الله كاليعقوبية وان المرقوسية لهم مذهب آخر غير ما ذكره الثعلبى وهو انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد مركب من ثلاثة أقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات الالهية وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه اه قال فى المختار الاقانيم الاصول واحدها اقنوم واحسبها رومية (قوله ليت حرف تمن الخ) عبارة السنباطى ثم أخذ فى الرد على النصارى فى دعواهم ان الله ثالث ثلاثة مع دعواهم انه اله واحد فقال ليت الخ ثم قال بعد قوله ذكر الثلاثة والواحد المتقابل فى قولكم الله ثلاثة الله واحد وفيه مع ما بعده لف ونشر مشوش (قوله الاب) تقدم ما فيه من ان صوابه تعيين الثلاثة بالله وعيسى وأمه وهو ظاهر على ما ذكره السنباطى وأما على ما ذكره الخازن فما ذكره الشارح صحيح على ما سبق من أن الحياة الحالة فى عيسى اله (قوله أيمكن ان يوجد الخ) اى فان قالوا اله واحد مركب من ثلاثة أجزاء كل منها اله قلنا أيمكن الخ اى ما سمعنا باله ذاته اجزاء كل منها اله اى لم يوجد اله كذلك لانه لو وجد لكان الاله متعددا وحينئذ الكل الخ (قوله مركب من أجزاء) اى كما تقول النسطورية وقوله كما انها تحيل تعدده اى كما تقول المرقوسية وان لم يذكر الشارح هذه الفرقة وتقدم ان الثعلبى ذكرها (قوله أى تميز) اى فهو مضارع محذوف احدى التاءين ويصح ان يكون ماضيا وقوله أو للمفعول فيه نظر سواء كان ماضيا أو مضارعا لانه لازم وصيغة المجهول فى الماضى مكسور الياء وفى المضارع مفتوحها كما لا يخفى تأمل

---

وقد أشار الناظم رحمه الله تعالى للبحث مع الكل والرد عليهم جميعا وأكثر الكلام مع القائلين بالتثليث لانهم أكثر وأشد كفرا ومن ثم خصوا بالذكر فى قوله عز قائلا لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الآية (ليت) حرف تمن (شعرى) اى علمى اى ليتنى علمت ما تقولونه انضباطا حتى أتكلم معكم فى رده بابلغ مما هنا وهو (ذكر الثلاثة) الصادر منكم تارة حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس (و) ذكر (الواحد) الصادر منكم تارة أخرى حيث ادعيتم توحيده (نقص فى عدكم أم نماء) اى زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر عن عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم (كيف وحدتم) أيها القائلون بالتثليث (الها نفى التوحيد عنه الآباء والابناء) اللذان أثبتموهما فى دعواكم التثليث (أ) يمكن ان يوجد (اله مركب) من ثلاثة أجزاء أو أقل أو أكثر لا اتنا (ما سمعنا باله لذاته اجزاء) أو جزآن اى بوجود اله كذلك بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما انه تحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله مركب من أجزاء أو متعدد قيل لهم (ألكل منهم نصيب) اى جزء (من الملك) فان قالوا نعم قيل لهم (فهلا) وفى نسخة فلم لا وحذفت ألف ما الاستفهامية لدخول الجار عليها نحو عم يتساءلون (تميز) بالبناء للفاعل اى تميز أو للمفعول (الانصباء) اى نصيب كل من الآلهة حتى يكون ذلك التميز دليلا على ما زعمتموه ولا تميز فلا تعدد كما هو بديهى وبين الثلاثة والواحد والنقص والنماء جناس

التقابل كالحاجة والاضطرار والاماتة والاحياء الآتيان فان قالوا الكل نصيب أو انصباء لكنهم خلطوها قيل لهم (أتراهم) اى أتظنهم (الحاجة) اى احتياج (واضطرار) وهو شدة الحاجة الى الشئ بحيث لا يجد مندوحة عنه (خلطوها) خلطا يمنع تمييزها فان قالوا نعم قلنا الهم الاله لا يحتاج ولا يضطر الى شئ مطلقا لانه غنى بذاته عن غيره فاحتياجه واضطراره دليل قطعي على عدم الوهيته فان قالوا خلطوها الا الحاجة ولا الاضطرار قلنا أيتصور وجود شركة دائمة بين شريكين فأكثر (و) الحال انه (ما) نافية (بغى) اى ظلم (الخلطاء) اى الشركاء اى بعضهم على بعض لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة دائمة بين شريكين وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم المشاهد لانهما ان استويا في القوة تمانعا ولم يقع فعل من أحدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم أن لا يتم نظام هذا العالم لان الفرض وقوع الشركة وعدم التمييز واحتمال توافقهما دائما الذي يجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التي هي مناط الادلة القرآنية والسلائق العربية فليس ذلك دليلا اقناعيا خلافا لمن وهم فيه بل ألزم قائله الكفر بعض المتأخرين وألف فيه لكنه الزام باطل كما هو جلي وكون العادة تحيل ذلك مما لا يحتاج لبيان لان كل من عرفها حكم ان شريكين في الايجاد والامداد لا يتصور دوامهما على الموافقة لان من شأن النفس أن لا تريد بقاء شريك معها وكل ذلك باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على أكمل وجوه الاتقان واحكم قواعد الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان الاله لا شريك له وبيان بطلان التعدد من وجه آخر وبيانه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يركب الحمار كما عرف ذلك بالتواتر عنه وحينئذ يقال لهم (أ) تقولون في حال ركوب عيسى الحمار (هو) اى الاله (الراكب الحمار) فان قلتم انه هو فركوبه يستدعى حدوثه وتعبه وهو يستدعى عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا وما زعمتموه يلزمه عجزه وحدوثه وحينئذ (فيا عجزاله) تعجب من دعواهم المستلزمة ذلك (عيه الاعياء) اى التعب (أم) متصلة لمعادلتها للهمزة تقولون الثلاثة الذين زعمتموهم آلهة (جميع على الحمار) فيقال لكم (لقد جل) حينئذ (حمار بجمعهم) اى الآلهة اى مجموعهم (مشاء) صيغة مبالغة من مشى وقبح الى يحتاج الى ان عشى به حمار فالجملة الخبرية في النظم تفيد التعجب مما يترتب على ما فيها (أم) متصلة لمعادلتها للهمزة تقولون (سواهم) اى الثلاثة الذين على الحمار (هو الاله) بسبب ذلك (ما) استفهامية (نسبة عيسى اليه) خبر نسبة (والانتماء) هو الانتساب فهو عطف مرادف على نسبة اى اخبروني عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله حينئذ هل يوجب التثليث الذي زعمتموه وكل عاقل يجزم بأنه لا يوجبه بل ولا يقتضيه وقوله فيا عجزاله وما بعده تذييل متكرر (أم) متصلة كذلك (أردتم بها) اى بالثلاثة

المستفادة من لفظه عادية لا عقلية لجواز اتفاقهم في المراد عقلا فلا يلزم الفساد ولكن العادة تحيله كما مر فان قلت فالحجة المستفادة منها ظنية لا عقلية قلت ممنوع بل هي مفيدة للعلم وعدم استحالة النقيض عقلا لا يخرجه عن كونه علما اذ لم يؤخذ في مفهوم العلم استحالة النقيض بل مجرد الجزم عن موجب وهو موجود في ذلك اهـ سنباطي (قوله وبيانه) كذا بخطه رحمه الله تعالى والاولى حذفه (قوله أتقولون الخ) رد على طائفة من النصارى تزعم ان المسيح هو الله وتقدم ان ذلك مذهب اليعقوبية وانه في الاصل في السماء ثم نزل الى الارض ثم رجع لمحله وعبارة اسنباطي ثم من النصارى من يزعم ان الله هو عيسى بن مريم ومنهم من يزعم انه ابن الله فقال لهم من المعلوم ان عيسى كان يركب الحمار وحينئذ أتقولون هو اى الله الراكب الحمار بأن أردتم بالثلاثة التي هي الله عندكم الذوات امتزجت بعيسى امتزاج اللبن بالخمر فكان الله هو الراكب الحمار فما هذا الاعياء فيا عجزاله عيه الاعياء أم لغيره اعياء والثلاثة التي هي الله عندكم

٢٨ جمع الخ (قوله جميع على الحمار) رد على طائفة من النصارى تزعم ان الاله ثلاثة الله وعيسى وأمه لعن الله جميع فرقهم الخاسرة وتقدم ان هذا مذهب المرقوسية (قوله فما نسبة الخ) اى لا نسبة بينهما الا التباين فكيف قلتم بالاتحاد اهـ سنباطي

التى زعمتم انها آلهة (الصفات) القائمة بذات الاله والصفة مادل على معنى زائد على الذات (قل) مر آنفا الكلام عليها (خصت ثلاث) بالصرف للوزن (بوصفه) اى الاله (وثناء) بضم أولهما معدولين عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين والمراد هنا ليس ذلك التكرير بل نفس الثلاثة فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنين فقط عند من ينظر الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط والثانى اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر فى اثنين ولا فى ثلاث فادعاء التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل (ام) تقولون (هو) اى عيسى صلى الله عليه وسلم (ابن الاله) فيقال لكم لم اختص عيسى عليه الصلاة والسلام بذلك حتى انه (ما) نافيه (شاركته فى معانى النبوة الانبياء) بل عيسى و بقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى ذلك على حد سواء فادعاء النبوة لعيسى عليه الصلاة والسلام تحكم باطل ايضا (قتلته) اى عيسى عليه الصلاة والسلام (اليهود) حال كون قتلهم له انما هو (فيما) اى فى القول الذى (زعمتم) معشر النصارى والزعم اصله وموضوعه قول كذب ومن ثم قالت العرب زعموا مطية الكذب وقد يستعمل بمعنى قال مجردا عن التكذيب كقول ام هانئ للنبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة زعم ابن أمى اى على كرم الله وجهه انه قاتل من أجرته فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هانئ وكيف يزعمون ذلك (و) الحال انه (لا موات كم به) اى بسبب عيسى عليه الصلاة والسلام (احياء) وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيى الموتى فكيف يحيى الموتى و يمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود فى ذلك شاهد صدق على سخافة عقولكم وانه لا مسكة لها ولا تثبت لانكم تقعون فى التناقض الصريح ولا تتنبهون له وعلى كل حالة (ان قولا) مما حكى عنكم كقولكم بالتثليث (اطلقتموه على الله تعالى) عما تقولون انتم وأمثالكم علوا كبيرا (ذكرا) اى ثناء وتعظيما له فى قولكم الله ثالث ثلاثة (القول هراء) بضم الهاء من هرأ الكلام اذا كثر

(قوله القائمة الخ) اى قامت بعيسى قيام العرض بمحله فكان هو الله اه سنباطى وهذا مذهب لطائفة من النصارى غير المذاهب الاربعة المتقدمة فتأمل فذكر الفرق ثلاثة فى كلام الشارح وأربعة فى كلام غيره ليس للحصر فتأمل ويمكن ان يقال ان هذا مذهب اليعقوبية القائلين بأن الاله هو عيسى هبط الى الارض ثم صعد الى السماء أى الصفات التى هى آلهة قامت به قيام العرض بمحله فكان هو الله (قوله الى مجموع الثلاثة) أى الوجود والعلم والحياة التى عبروا عنها بالاب والابن وروح القدس كما تقدم التى قامت بعيسى الى آخر ما سبق آنفا (قوله والاثنين الخ) المراد بالاله بالحقيقة عيسى والاله بالتجوز الصفات المذكورة فهى اله مجازا وعيسى اله حقيقة لكن ظاهر النظم ان المراد ثناء من الصفات وصرح بذلك الشارح حيث قال لا ينحصر فى اثنين وذات عيسى ليست حقيقة فتدبر وتأمل (قوله وثناء) زائد عما ذكره من ادعاء النصارى التثليث مبالغة فى الرد عليهم اى حتى لو ادعيتم ان الاله اثنان فدعواكم باطلة لما ذكر وانما قلنا زائد الخ لانا لم نعلم احدا منهم قال ان الاله اثنان ثم رأيت ان فرقة منهم قائلة ان المراد بالاب ذات الله و بالابن كلام الله و بروح القدس العلم فيمكن بقطع النظر عن كلام الشارح اجراء قول الناظم او ثناء عليه فانهم قائلون بامتزاج الصفتين المذكورتين و بجعلهما الها ولا ينافى ذلك ضم شئ اليه وهو الاب المفسر بذات الله (قوله على حد سواء) قد يقال للملاعين ان يقولوا بالفرق لان عيسى لا اب له من الخلق بخلاف غيره من الانبياء فيرد عليهم بادلة نفى ابوة الله سبحانه المقررة فى التوحيد ومن ادلة الرد قوله قتلته اليهود (قوله قتلته) فلا يكون الله ولا ابنه والا لم يتمكنوا من قتله (قوله احياء) اى باذن الله فمن كان فى رد الحياة بعد ذهابها باذن الله فكيف لا يحفظها عن الذهاب باذنه ولا سيما عن نفسه (قوله بضم الهاء) عبارة الجوهرى رحمه الله تعالى وهراء بضم الهاء وبالراء المهملة قال ابن السكيت هرأ الكلام اذا أكثر فى الخطا وهو منطق هراء قال الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر

وفى بعض النسخ هزاء بالزاى ولعله من قولهم رجل هزأة بالتسكين يهزأ به وهزأة بالتحريك يهزأ بالناس فهو نظير ضحكة بضم فسكون لمن يضحك منه و بضم ففتح لمن يضحك كثيرا وظاهر أخذه من هزأة بالتسكين على قياس ضحكة انه يجامع قيام الوصف بغير من وصف به فقولك قول هزأة اى يهزأ الناس به فالوصف قائم =

في الخطا وفي نسخة بالزاي من قولهم هزءة بالتسكين أي مهزوء به وبالتحريك يهزأ بالناس ويصح ان ذكرا تمييز من تعالى اي تعالى ذكره وهذا من القول البديع الجامع (مثل) يجوز نصبه حالا أي اقول هراء حال كونه مثل أو نعتا لمصدر محذوف ورفعه خبر مبتدا محذوف أي هو مثل (ماقالت اليهود) أي قولهم بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكذب وان تباين تفصيل كل من المقالتين (وكل) من الفريقين (لزمته) أي لزمت دعواه (مقالة شنعاء) أي قبيحة جدا (اذهم استقروا البداء) أي تتبعوه حتى قالوا اماعدا العيسوية منهم لايجوز عقلا ولاشرعا على الله تعالى نسخ ملة بملة لانه يوهم البداء وهو ظهور مصلحة له بعد خفا ثم احق نسخ ماضى لاجلها وافقهم بعض غلاة الرافضة ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا وأما قول بعض المسلمين الحكم الثابت لايرتفع بل ينتهي فلا يكون نسخا ممنوع بل هو نسخ وحينئذ فالخلاف لفظي واعلم ان شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا في شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام هل هي ناسخة لشريعة موسى صلى الله عليه وسلم أو مخصصة والاظهر انها مخصصة لاناسخة لقوله تعالى ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم قال الامام في تفسيره روى ان الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم على شريعته الاشريعة عيسى عليه الصلاة والسلام *(تنبيه)* ذكر الامام ايضا في المطالب العالية في الحكمة في نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها مايعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا ومجامع هذه الشرائع العقلية امران التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى ومنها سمعية لايعرف الانتفاع بها الامن السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها الماهو المقصود من معرفة الله تعالى وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطريق وعلم ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح في المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور الظواهر الى تطهير السرائر وقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة من الشئ فوضع في عصر كل رسول شريعة جديدة لينشطوا في ادائها وأعظم حكمة اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرائعهم وشريعته صلى الله عليه وسلم لاناسخ لها ومن حكم النسخ أيضا مافيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يأمر بدواء في يوم وبآخر في يوم ثان وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثاني اثقل *(تنبيه)* آخر مازعمه اليهود ان النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر ان المصالح الداعية للنسخ ترجع اما لاحوال المكلفين أو الازمنة وذلك لايستلزم بل ولا يقتضي ان الله تعالى ظهر له شئ بعد ان لم يكن وزعم اليهود انه يستلزمه فمنعوا النسخ وزعم كفرة الرافضة انه يجوز البداء عليه لوقوع النسخ

= بالناس لابالقول كرجل ضحكة لمن يضحك منه الناس فالضحك قائم بالناس لابالرجل تأمل (قوله وفي نسخة الخ) وفي نسخة شرح عليها السنباطي بالذال المعجمة وفسره بالخطاء ورأيت في القاموس ماتؤخذ منه انه المكروه سماعه حيث قال هذأ فلانا كمنع اسمعه مايكره (قوله من تعالى) اى من ضميره محول عن ذلك الفاعل (قوله ورفعه خبر مبتدا الخ) اوصفة ثانية لقول ولايشكل كونه حالا اوصفة باضافته لمعرفة لانه لايتعرف بالاضافة تقول مررت برجل مثلك (قوله لزمت دعواه الخ) تقدمت المقالة الشنيعة اللازمة لدعوى النصارى التثليث وأما المقالة الشنيعة اللازمة على دعوى اليهود عدم النسخ فقد اشار اليها الناظم بقوله واراهم لم يجهلوا الخ (قوله هل هي ناسخة لشريعة موسى) اى لجميعها وقوله او مخصصة أي ناسخة لبعضها فان تحليل بعض ماحرم الله فيه نسخ التحليل بالتحريم

(قوله فلا يتصور فيه نسخ) أجاب المالكي عن هذه الشبهة بعد ايراد شقيها بان المسلمين اتفقوا ان الله شرع لموسى شرعه بلفظ الدوام ولا يجب ان يكون ذكر معه ان يكون منسوخا اذ لا يجب البيان عند الخطاب بل يجب عند الحاجة انتهى ولا يخفى ما فيه (قوله بخت نصر) بضم الموحدة واسكان الخاء المعجمة ثم مثناة فوقية وبفتح النون والصاد المهملة المشددة أي ابن الصنم لان بخت معناه ابن ونصر اسم صنم



كان يعبد ولم يعرف له أب فاضيف اليه (قوله في صور كثيرة) منها ما ذكره الشارح المالكي انه قال في العبد يستخدم ست سنين ثم يعتق في السابعة فان أبى العتق فلتثقب اذنه ويستخدم ابدا وهو منقطع بالموت فاطلق الابد على العمر وقال في البقرة التي أمر وابذبحها تكون لكم سنة أبدا وهي تنقطع بخراب العالم وقال في الجمل الذي أمر وابذبحه وان تأكلوا لحمه ولا تكسروا عظمه ويكون لكم هذا الجمل سنة أبدا قال ثم مذهبهم منقوض بصور منها ان السارق اذا سرق في المرة الرابعة تثقب اذنه ويباع وقد اتفقنا على ان ذلك تغيير ومناقضة الذبح ومنها ما في التوراة ان الجمع بين الحرة والامة كان جائزا في ملة ابراهيم وحرمته التوراة وهل النسخ الارفع حكم بحكم آخر ومنها ان في التوراة قال الله تعالى ياموسى اخرج أنت وشعبك لترثوا الارض المقدسة التي وعدت بها آباكم ابراهيم ان اورثها نسله فلما ساروا الى التيه قال الله تعالى لا تدخلوها لانكم عصيتموني وهو عين النسخ

منه وهذا اغلظ من الاولين من كفر اليهود فعلم الجواب عن قولهم الفعل اما حسن فيستحيل النهي عنه أو قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمهما فالعقل العادي قاطع بان الفعل قد يكون مصلحة في وقت مفسدة في وقت آخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة في حق واحد مفسدة في حق آخر ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق بان حرمة كذا انتهى بوقت اوفعل كذا قالوا والسمع يمنع النسخ أيضا لان اللفظ الدال على شرع موسى عليه الصلاة والسلام اما ان يدل على الدوام فان ضم اليه ما يقتضي نسخه فهو تناقض وان لم ينضم له ذلك كفى في العمل به مرة فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه ايضا ما علم بالتواتر من قول التوراة تمسكوا بالسبت أبدا وجوابه انهم في زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الادون عدد التواتر بل قيل انهم لم يبق منهم الاستة أطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به الزمن الطويل كما في التوراة في صور كثيرة (وكم) أي مرات كثيرة (ساق وبالا) أي عذابا (اليهم استقراء) وفي هذين كذا لك ومقالة السابق من جناس الاشتقاق كرد العجز على الصدر وفي المسخ والنسخ ونسخ ومسخ الجناس اللاحق وخالفوهم وخالفوهم الجناس المضارع لقرب المخرج والمصحف وقوله وكم الخ من التذييل البديع (وأراهم) أي اعلم انهم اقوالهم بذلك اعني امتناع النسخ لئلا يلزم البداء (لم يجعلوا) أي لم يعتقدوا (الواحد) في ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك له بوجه ما (القهار في الخلق) أي للخلق على نفوذ ما اراده فيهم ويصح تعليقه بفاعلا في على حالها (فاعلا ما يشاء) لان امتناع النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه (جوزوا النسخ) جواب لو الآتية تجويزا (مثل ما) مصدرية (جوزوا المسخ عليهم لو انهم فقهاء) أي فهماء ولا فهم لهم اذ ما فرقة أبلد من الفرق منهم والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس الظل والريح التراب ونسخت الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم شرعي بخطاب آخر شرعي وزيد فيه متراخ ليخرج نحو الاستثناء ورد بان الكلام لا يعرف حكمه الا بانتهائه فلا يحتاج للاحتراز عن ذلك بهذا القيد أي لو ثبت انهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه كما علم من حده لا يلزم عليه محذور البتة وزعمهم البداء باطل لا يعول عليه ومما يدل على جوازه ووقوعه ما علمه اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل

ومنها تحريم السبت فانه لم يزل العمل مباحا الى زمن موسى وأمور آخر (قوله جواب لو الآتية) أي على الصورة مذهب الكوفيين حيث جوزوا تقديم الجزاء على أداة الشرط ووافقهم بعض البصريين ومذهب جمهور البصريين عدم جواز تقدمه وان تقدم على أداة الشرط شبيه بالجواب فهو دليل عليه وليس اياه ويمكن تقدير مضاف في كلام الشارح فيكون جاريا على مذهب الجمهور أي دليل جواب الخ وفيه ان جعله دليل الجواب لا يقتضي نفيه مع انه المراد بخلاف جعله جوابا لجريانه على مذهب غير الجمهور يتعين

الصورة الى أقبح منها فى كثيرين منهم فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام لما خالفوا فى
السبت فمسخهم الله قردة وخنازير كما قصه الله تعالى علينا فى كتابه العزيز وكيف يمنعون
النسخ و(هو) ليس فيه (الا ان يرفع الحكم) الشرعى أى استمراره وتعلقه فعلم ان المراد
بالحكم تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن أو نفسه لكن من حيث دوامه بمعنى تكرره لا لذاته
التى هى خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف من حيث هو مكلف اقتضاء او تخييرا لانه
قديم وما ثبت قدمه استحال عدمه ثم النسخ يكون الى بدل ولا الى بدل فان كان الى بدل
زيد فى الحد (بالحكم) الشرعى وان كان لا الى بدل لم يزد ذلك (وخلق) أى ايجاد (فيه)
أى المسخ للصورة الثانية بعد اذهاب الصورة الاولى (وأمر) أى تصرف برفع الحكم
الاول وايجاد الثانى (سواء) لما تقرر ان المسخ فيه رفع الصورة الاولى وخلفها الصورة
الثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول وخلفه الحكم الثانى فاذا جوزتم الاول لزمكم ان
تجوزوا الثانى والا فانتم سفهاء معاندون لا يلتفت اليكم وكيف تستبعدون النسخ وانما
غايته ان كان لبدل ان فيه حكمين المنسوخ وهو المراد بقوله (والحكم من الزمان انتهاء)
والناسخ وهو المراد بقوله (والحكم من الزمان ابتداء) ولا ينافى هذا تفسيره النسخ بالرفع
لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف أو دوامه وهو الانتهاء المذكور هنا وقول الشارح
أنه اشارة الى تفسيرين فى النسخ غير صحيح لان حقيقة الرفع مستحيلة فوجب تأويل
التفسير به بما قلنا كما هو المقرر فى محله فتأمله وعلى كل فجواز النسخ أولى من جواز المسخ
لان ذلك فى الاحكام وهذا فى الذوات سواء جعلنا النسخ رفعا أم بيانا وسواء جعلنا
المسخ فى صورتهم حتى صارت أقاربهم من المؤمنين لا يعرفونهم وهم يعرفونهم اذ يجيء
القرد الى قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه فيقول له ألم انهكم عن المخالفة فيشير اليه
برأسه ان نعم أو فى قلوبهم فقط على ما ذكره مجاهد والنظم مشير الى هذه القصة ففيه تلميح
وبين ابتداء وانتهاء طباق واذا اردتم أيها المسلمون المبالغة فى ادحاض حجتهم (فسلوهم)
قائلين لهم (أ كان فى مسخهم) التفت عن خطابهم مبالغة فى تحقيرهم أى جعلهم قردة
فى الصورة كما هو المشهور او فى قلوبهم وجعلها كقلوب القردة لا تقبل هداية مع بقاء
ذواتهم على ما زعمه مجاهد (نسخ لآيات الله) وهى الصورة الاولى مع احكامها
أو للادراك الاول بناء على قول مجاهد (أم انشاء) لايجاد صورة مستقلة وحكم مستقل
يتعلق بها او لادراك كذلك فان قالوا بالاول نقضوا أنفسهم ولزمتهم الحجة
او بالثانى فهو مكابرة للحس والحق ان المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين النسخ لانه
بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة الى الصورة الثانية المتجددة القبيحة انشاء لا يقال
قد لا يعترفون بطرو التغير على قلوبهم بناء على قول مجاهد لانهم اعترفوا به فى قولهم قلوبنا
غلف أى مغطاة بأغشية خاصة لا يصل اليها ما جئت به (وبداء) بالمد وسبق معناه وهو مبتدأ
خبره (فى قولهم) الثابت عنهم وتقولهم (ندم الله على خلق آدم أم خطاء) المشهور

(قوله أو نفسه الخ) فيه انه انما أريد استمراره لا ذاته كما انه فى الاول انما أريد تعلقه لا ذاته فلا بد من تقدير مضاف اما تعلق أو استمرار فكان الظاهر ان يقول فعلم ان المراد تعلقه أو استمراره لا ذاته التى الخ (قوله اقتضاء) أى طلبا للفعل وجوبا أو ندبا أو للكف حرمة أو كراهة أو خلاف الاولى وقوله أو تخييرا بين الفعل والترك أى اباحة (قوله وخلفه الحكم الثانى) أى ان كان الى بدل (قوله وقول الشارح الخ) عبارته وهذا فيه اشارة الى تفسير آخر للنسخ فانه انما اختلف فيه هل هو رفع أو انتهاء فاشار الى التفسيرين (قوله فتأمله) تأملناه فوجدنا ما ذكره من عدم صحة كلام الشارح غير ظاهر لان ما أول به الرفع يؤول به الانتهاء والابتداء أى انتهاء تعلقه وابتدائه فيرجع التفسيران الى معنى واحد فتدبر (قوله والحق ان المسخ الخ) لا داعى الى ذلك اذ لك ان تقول ذلك فى معنى أحد قسمى النسخ وهو النسخ الى بدل فتأمل (قوله على خلق آدم) بصرفه للضرورة

فيه القصر ويجوز مده كما جرى عليه الناظم وهو عطف على بداء أى سلوهم عن قولهم هذا اهو عن قصد منهم أم عن خطا منهم فان قالوا عن قصد كان عين البداء الذى انكروه لانه يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور وحينئذ فكيف يمنعون النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء هذا تناقض قبيح وان قالوا انه خطأ منهم فيكفيهم الاعتراف به على نفوسهم وانهم فى غاية السفاهة والغباوة وسبيلهم الاعتراف بالبداء لا بالخطا فاتضح بطلان زعمهم استحالة النسخ حذرا من البداء وسلوهم ايضا عما لا يمكنهم انكاره لانه امر محسوس ورد القرآن على طبقه فقولوا لهم اعلامة الليل والنهار كل منهما باقية فلا تزول احداهما بالاخرى (ام محا) اى اذهب (الله آية) اى علامة (الليل) اسم جنس جمعى واحده ليلة كتمر وتمرة وأتى بالنهار بدله وهكذا الى يوم القيامة (ذكرا) بضم الذال تمييز اى من جهة الذكر اى العلم والتعمد (بعد سهو اوبعد الامساء) اى الدخول فى المساء وهو ما بعد الزوال والمناسب ان يراد به هنا ما بعد الغروب اى سلوهم اهل هذا المحو واقع ام لا وبفرض وقوعه فهل هو عن عمد بعد سهو او عن سهو ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته أو بالثانى من الترديد الاول فقد كابروا الحس أو من الترديد الثانى لزمهم القول بالبداء لان من يجوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وقد بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار فى غير ما آية فقال تعالى قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآيات وقال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة أى يخلف احدهما الآخر لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب والحاصل ان الحكمة كما تقتضى دوام اشياء بلا تبديل ولا تغيير تقتضى تبديلها وتغييرها وفى ذكرا بعد سهو جناس التطابق كحرم والتحليل وجحدوا وأمن الآيات (أم بدا لله فى ذبح اسحق) حيث امر به ثم نسخه (و) الحال انه (قد كان الامر فيه) اى بذبحه من الله تعالى لخليله ابراهيم صلى الله عليهما وسلم فى النوم (مضاء) اى ماض نافذ وفى نسخ قضاء بالقاف اى حتم وذلك لان رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى اى سلوهم عما وقع للخليل عليه الصلاة والسلام انه امر بذبح ولده امرا جازما ثم عند ارادته له لما اضجعه على جنبه نسخه الله تعالى فامره بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال من ان الرقبة كسيت نحاسا وانه مر بالسكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطباء والقصاص فكله لم يثبت فيه شئ فان قالوا ان الامر بالفداء وترك الذبح نسخ للامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا او غير نسخ لزمهم الجهل المفرط والغباوة الشنيعة • (تنبيه) • ما جرى عليه الناظم ان الذبيح اسحق هو ما عليه الاكثرون قيل واجمع عليه اهل الكتابين لكن سياق الآية والمشاهدة بان

(قوله والمناسب الخ) هو كذلك وفيه بعد اذ الامساء المذكور انما يترتب وجوده على محو آية هى النهار لا على محو آية هى الليل وقد يقال وجود ما ذكر مرتب على محذوف أشار اليه الشارح بقوله وهكذا أى ومحا آية النهار وأتى بالليل بدله ويمكن بقطع النظر عن كلام الشارح تصحيح كلام الناظم من غير نظر لمحذوف بان يراد بآية الليل القمر ويراد بمحوها ذهاب نورها ويراد بالامساء الاظلام وترتب الامساء بهذا المعنى على ذلك المحو ظاهر تأمل (قوله وبفرض وقوعه) كان الاولى وعلى وقوعه لانه محقق لا مفروض مقدر تدبر (قوله أو من الترديد الثانى) وكذا بالاول من الترديد الثانى لان فيه السهو أيضا حيث قال فهل هو عمد بعد سهو (قوله هو الذى جعل لكم الليل) التلاوة وهو بالواو ثم رأيت فى نسخة بالواو الموافقة للتلاوة (قوله آيتين الخ) قال البيضاوى تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد فمحونا آية الليل أى الآية التى هى الليل بالاشراق وجعلنا آية النهار مبصرة اى مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر أو مبصرة اهله وقيل الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها انتهى مع بعض حذف (قوله اهل الكتابين) ومن ثم جرى الناظم عليه لان كلامه مفهوم

اسمعيل

اسمعيل هو الذى كان بمكة ومنى ولم ينقل قط ان اسحق حج ولا اتى تلك الاماكن فاضيان
بانه اسمعيل وهو التحقيق كيف وقد صح ما يصرح بذلك روى الحاكم فى المستدرك ان
الصنابحى قال حضرنا مجلس معاوية رضى الله تعالى عنه فتذاكر القوم اسمعيل واسحق
ابنى ابراهيم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام فقال بعضهم الذبيح اسماعيل وقال
بعضهم الذبيح اسحق فقال معاوية سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتاه اعرابى فقال له يارسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا وضاع العيال فعد على
مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا
ياأمير المؤمنين وما الذبيحان قال ان عبد المطلب لما امر اى فى المنام بحفر زمزم نذر لله ان
سهل الله له امرها ان ينحر بعض ولده فاخرجهم فأسهم اى اقرع بينهم فخرج السهم لعبد
الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله من بنى مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة
فهو الذبيح الاول واسماعيل الذبيح الثانى وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبى فى
تفسيريهما وسلوهم ايضا فقولوا لهم (أ) تنكرون النسخ (و) تقولون (ما حرم الاله نكاح
الاخت بعد التحليل) فى زمن آدم صلى الله عليه وسلم او تقولون حرمه بعد ان حلله وعليه
(فهو) اى نكاحها (الزناء) موجب للرجم ومد الزناء لغة فان قالوا حرمها بعد ان
احلها فهذا صريح فى النسخ الذى انكروه وان قالوا لم يحرمها فهو عناد محض وقائله
لا يخاطب ولا يكالم واذا بان لك قبيح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فامسك عن حجاجهم
و(لا تكذب ان اليهود) الحال انهم (قد زاغوا) اى مالوا (عن الحق) من وجوه عديدة
سفها وحسدا (معشر) اى قوم (لؤماء) جمع لئيم وهو الدنئ الاصل الشحيح النفس
(جحدوا) بدل من زاغوا (المصطفى) اى المختار من الصفوة او المصفى من كل نقص اى
انكروا نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بها علما يقينا قال تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم (و) الحال انه قد (آمن بالطاغوت) اى الشيطان وكل ما عبد من دون
الله او صد عن عبادته فعلوت من الطغيان (قوم هم عندهم شرفاء) هذا كالذى بعده بيان
لعظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من الشمس واقروا من آمن
بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم ثم ظاهر النظم ان المؤمن
بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم آمنوا به كما يصرح به قوله تعالى
عز قائلا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب قال المفسرون هم اليهود يؤمنون
بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا عن اشرافهم أو كفار العرب هؤلاء اهدى من
الذين آمنوا سبيلا وعجب من الشارح كيف أخذ النظم على ظاهره واستدل له بالآية
مع انها انما تدل على الكل لا البعض ويصح ان المراد وامن بالطاغوت قوم من قريش هم
عندهم شرفاء ومعنى الآية حينئذ ويقولون أى اليهود للذين كفروا أى من كفار
العرب الذين آمنوا بالجبت هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا ويدل على هذا ان

(قوله يا ابن الذبيحين) وما روى من قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين يعنى بهما عبد الله واسمعيل وبه استدل من يقول الذبيح اسمعيل رد بان هذا الحديث لم يثبت انتهى من النعمة الكبرى (قوله نذر لله ان سهل الله له امرها الخ) تقدم للشارح قبيل قوله وتداعى ايوان كسرى ان نذره ذبح ولده معلق على رزقه عشرة اولادا لا على تسهيل امر زمزم كما هنا وعبارته هنالك فنذر ان رزق عشرة بنين ليذبحن احدهم لله انتهت (قوله وجحدوا بها) الضمير فى الآية للآيات التسع التى انكرها فرعون وقومه اى فلما انكر اليهود الآيات التسع مع تيقنها انكروا نبوة المصطفى مع تيقنهم لها فالضمير باق على كونه للآيات ولا يظهر ترجيعه للنبوة للزوم تغير القرآن عن معناه فتامل (قوله بالجبت) الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك انتهى صحاح (قوله للذين كفروا) اى لاجلهم

(قوله حيي بن اخطب) بالتصغير واخطب بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح الطاء (قوله قتلوا الانبياء) ذكر ابن عطية في تفسيره انه لم يقتل من الانبياء الامن لم يأمر بالقتال وكل من أمر بالقتال نصر (قوله واتخذوا العجل) حاصل قصتهم انه لما وعد الله موسى لميقاته وهو اربعون ليلة كان قوم موسى قد أمنوا من عدوهم ودخلوا في مصر ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فوعد الله موسى ان ينزل عليهم التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ربي آتيكم بكتاب فيه ما تأتون وما تذرون وواعدهم اربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشرا من ذي الحجة استخلف عليهم اخاه هرون فلما جاء الوعد اتى جبريل على فرس يقال لها فرس الحياة لا تمر على شئ الا حيي فلما رآه السامري وكان رجلا ضالا اسمه ميخا من اهل كرمان او غيرها وقيل من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة فرأى موضع الفرس يخضر وكان منافقا من قوم يعبدون البقر فقال ان لهذا



شأنا فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل وألقى في روع السامري انه اذا ألقى في شئ غيره وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم ولما أهلك الله فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في ايديهم فقال السامري لبني اسرائيل ان الحلي الذي استعرتموه غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى من ميقات ربه فيرى رأيه فيه فلما اجتمع الحلي صاغه السامري عجلا في ثلاثة أيام ثم ألقى القبضة التي أخذها من أثر حافر فرس الرسول فيه فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر من أحسن ما يكون وخار خورة وكان يمشي ويخور فقال السامري هذا الهكم واله موسى فنسيه ههنا وخرج يطلبه وكان بنو اسرائيل قد أخلفوا الموعد فعدوا اليوم مع الليلة حتى مضت عشرون يوما ولم يرجع موسى فوقعوا في الفتنة وكان موسى وعدهم ثلاثين ليلة وزيدت العشرة وكانت الفتنة في العشرة فعكفوا على عبادة العجل وكان الذين عكفوا على عبادته منهم ثمانية آلاف أو كلهم عبده الا هرون مع اثني عشر الف رجل وهو الصحيح والسامري اسمه موسى بن الظفر أو ميخا كما سبق وقيل غير ذلك (قوله استعاره) الذي في القصة استعاروه أي بنو اسرائيل (قوله خور) قال في المختار في خار الثور يخور خورا صاح ومنه قوله تعالى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار وقوله جسدا أي بدنا ذا لحم ودم أو جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل والخوار اسم لصوت البقر كذا في البيضاوي وقوله خاليا من الروح اى صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه ويصوت وقيل ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حيا

---

حيي بن اخطب لما ذهب الى قريش وغيرهم ليحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم ومعه اشراف من اليهود سألوهم أنحن خير دينا ام محمد قالوا انتم فقربهم ونفروا وخرجوا الى قتاله صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) * جعل الواو للحال لا للعطف الدال عليه حذفها من قتلوا الآتي أولى من قول الشارح انها عاطفة وان المسوغ للعطف وصف قوم بالجملة بعده أي لما قررته فيه ان مدحهم بالمؤمنين بالطاغوت مع جحدهم نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فيه غاية الغباوة واللؤم واحوجه الى ذكر المسوغ قولهم شرط قبول عطف الجملة على الاخرى ان يكون بينهما مناسبة لجهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر وقد يقال في النظم دلالة لما فعله الشارح لانه أتى بأربع جمل ثنتين بلا واو وثنتين بواو نظرا للمناسبة المعتبرة في ذلك وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت مع جحدهم بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ما مر وكذلك اتخاذهم العجل مع قتلهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام واما قتلوا مع ما قبله فلا مناسبة ظاهرة بينهما فلم يعطف عليه قوله (قتلوا) بدل بعد بدل أو عطف بحذف حرفه بناء على انه يمكن مناسبته لما قبله (الانبياء) كزكريا ويحيى وغيرهما جاء انهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ثم أقاموا سوق بقلهم ومعاشهم (واتخذوا العجل) الها ومعبودا مع ان السامري هو الذي صاغه لهم بحضرتهم من الحلي الذي استعاره من القبط قبل غرقهم والقى فيه قبضة من تراب أخذه من تحت حافر فرس جبريل الذي جاء به لفرعون حين دخل وراءهم البحر لما انفرق لهم لانه كان أحجم عن دخوله فبمجرد ان التي فيه القبضة خور وقال هذا الهكم واله موسى فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقدوه الها ومعبودا كما قصه الله تعالى علينا مبسوطا في القرآن ومن ثم كان في كلامه اقتباس

اقوله (الا) حرف تنبيه لاستفراغ وسع السامع فى القاسمه لما بعدها (انهم هم السفهاء)
ولكن لا يشعرون لجهلهم مركب فلا اسفه ولا اغبى منهم جمع سفيه وهو من زاد نقص
عقله حتى حصلت له خسة وطيش وسخافة رأى وانطماس بصيرة ومن ثم لم ينظروا الى
كونه محمدا بحضرتهم من جماد والا لم يكن كذلك عند من له ادنى عقل وتمييز ثم بين
ادنى انواع سفههم بقوله ملمعا لما وقع لهم (وسفهه) خبر مقدم او مبتدا وسوغ لابتداء
به وقوعه بيانا لما قبله كما تقرر (من ساله) اى اخرته (المن) وهو نوع من الحلوى يسمى
الترنجبين كان ينزل عليهم وهم فى التيه فى غاية الاضطرار (والسلوى) وهو السمانى طير من
اشهى الطيور لحما وانفعها واطيبها اغذاء كان يأتيهم الى محالهم فرقا فرقا فيمدون ايديهم
اليه ويأخذون منه ما شاؤا (وارضاه الفوم) اى الثوم كما قرى به وقيل الحنطة وهو بعيد
من السياق لان الحنطة ليست من الادنى (والقثاء) بل سال السعة فيهما فى نظائرهما
قال تعالى تبكيتا لهم بعد ما ذكر انه انزل عليهم المن والسلوى واذ قلتم يا موسى لن نصبر
على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وفى كلامه اقتباس
وطباق بين ساله وارضاه ومراعاة النظير فى المن والسلوى والفوم والقثاء (ملئت
بالخبيث) وهو ما سألوه من الفوم وما بعده (منهم) صفة تقدمت فصارت حالا (بطون)
ليناسب ما انطوت عليه من الغل والحسد والغباوة والسفاهة او المراد ملئت بطونهم
بالداء الخبيث اى العضال الذى لا دواء له وهو الغل وما بعده والى هذه يرشد ما رتبه عليه
بقوله (فهى نار) اى مشتملة على ما يؤدى الى النار او سماه نارا باعتبار المآل كما فى ارانى
اعصر خمرا (طباقها) اى النار (الامعاء) اى المصارين اى معى فوقه نار ثم معى ثم نار
وهكذا والى الاول يرشد قوله ملئت بالخبيث المشعر بان بطونهم صارت به كالنار ذات
طباق وطباقها هى اعتقاداتهم النجسة ويصح ان المراد بطونهم صارت كالنار ذات طباق
بعضها فوق بعض فطباقها امعاؤهم اذ الخبيث الذى ملئت به بطونهم هو نحو الربا
والسحت فاذا دخلها جذبته المصارين اليها وبعضها فوق بعض وايضا الخبيث بعضه
اشد عذابا من بعض فبعضه فوق بعض لتفاوت عذابهم بالنسبة الى أكلهم واكتسابهم
هذا على الاصح عندنا فى الاصول انهم مخاطبون بفروع الشريعة فيعاقبون عليها

(قوله ولكن لا يشعرون) صوابه لا يعلمون لانه التلاوة وقد يقال ليس مراد الشارح ذكر نظم التلاوة (قوله محمدا بحضرتهم) ظاهر ما فى القصة انه لم يصفه بحضرتهم (قوله يسمى الترنجبين) ونقل عن تذكرة داود انه غيره حيث قال هو نوع من الحلوى كالترنجبين وهو طل ينعقد فى الهواء ويسقط ثم بعد ذكر خواصه قال والترنجبين أقوى عملا واكثر فائدة انتهى قال القاضى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الله الجنوب فيحشر عليهم السمانى وينزل بالليل عمود نار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (قوله هو السمانى) ولا يقال سمانى بالتشديد الواحدة سماناة والجمع سمانيات انتهى صحاح (قوله كما قرى به) اى شذوذا انتهى سنباطى (قوله ان نصبر على طعام واحد) اى ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى والمراد بوحدته والله اعلم انه نوع واحد لا تختلف الوانه ولذلك اجموا اى سئموا وكرهوه قال فى الصحاح اجمت الطعام بالكسر اى كرهته من المداومة عليه (قوله هو ادنى) واصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد فى الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة بعيد المحل (قوله ملئت بالخبيث) عبارة السنباطى ملئت بالمأكول الخبيث اى الحرام كالربا والسحت منهم بطون فكيف لا يطلبون ان يلائم هذا المأكول الخبيث بالنسبة للمن والسلوى لما بينهما من المناسبة فى مطلق الخبث وان اختلفت جهة الخبث فيهما (قوله اى معى) قال فى القاموس المعى بالفتح وكالى من



اعفاج البطن وقد يؤنث الجمع امعاء اه قال فيه فى فصل العين من باب الجيم العفج وبالكسر وبالتحريك وككتف ما ينتقل الطعام اليه بعد المعدة والجمع اعفاج وفى الحديث المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة امعاء قال فى المختار لان المؤمن لا يأكل الا من الحلال ويتوقى الحرام والشبهة والكافر لا يبالى ما أكل واين أكل وكيف أكل اه وحيث ثبت ان لهؤلاء الكفار ومن شابههم من الفجار سبعة امعاء وقدرنا ان بعضها فوق بعض صح تشبيهها بالطباق النارية والبطن الجامع لها بجهنم

بخصوصها فى الآخرة وعلى مقابلهم كفروا من وجوه عديدة بعضها أشد من بعض (لو) شرطية (اريدوا فى حال سبت) مصدر سبت اليهود اى عظموا سبتهم بالسكون فيه عما عدا العبادة وأصل السبت القطع (بخير) الباء زائدة للتأكيد كما هو رأى جماعة وكل من الظرفين متعلق باريدوا على ان الثانى مفعول ويصح كون الاول حالا من خير أى لو أراد الله لليهود فى حال سبتهم الذى فرض الله عليهم تعظيمه خيرا (كان سبتا لديهم) اى عندهم (الاربعاء) بتثليث الباء هذا من حيث ترتبه على ماقبله بطريق الملازمة المستفادة من لو فى غاية الاشكال ولم ينبه الشارح على ذلك اذ لم يتنبه له وانما تكلم على بعض مفرداته فقط ومنها قوله والسبت آخر الاسبوع والاربعاء رابعه وقيل السبت اوله والاربعاء خامسه وقد يقال كان الناظم ناظرا الى أن السبت القطع كما مر والى أن الاربعاء محل النور الحسى لما يأتى أن الله تعالى خلق النور فيه فيكون محلا للنور المعنوى الذى هو الوصل فكأنه يقول لو اريد بهم الخير لجعل قطعهم وصلا ولا ينافى ذلك قوله هو يوم مبارك الخ لانه باعتبار مافرض عليهم من تعظيمه وتخصيصه بالعبادة وماتحن فيه باعتبار أنه لو اريد بهم تمام الخير لجعل محل عبادتهم مؤذنا بوصلهم الذى من شأنه أن ينشأ عن العبادة وأما اذ جعل محل عبادتهم مؤذنا بقطعهم باعتبار أصل مدلوله فهذا مما يؤذن بنقصهم وانه لم يرد بهم كمال الخير ومما يوضح هذا أن الله تعالى ادخر لهذه الامة يوم الجمعة المؤذن بغاية الوصل اذ مقام الجمعية هو مقام الوصل الذى هو أكمل المقامات وافضلها وجعل لليهود السبت المؤذن بتقطعهم وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات فكان فيما خصت به كل أمة من الايام دليلا على احوالها ومايؤل اليه امرها فنبه الناظم رحمه الله على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية زيادة فى مدح هذه الامة وذم غيرهم او يقال ان الناظم اراد بذلك أنهم لو اريد بهم الخير لكانت الايام كلها اسبتا عندهم ليحيوها جميعها بالعبادة واما تخصيص يوم منها بالعبادة دون بقية الاسبوع فهو من جملة ما اريد بهم من خلاف الخير وعلى هذا مع مافيه من البعد والتكلف يكون معنى حال سبتهم ذكر شأنه ويكون ذكر الاربعاء للمثال لا للتقييد ويكون قوله هو يوم الخ رجوعا الى مدح ماشرع لهم ولا ينافى ماقبله لان بركته لا تنافى أن تعطلهم عن العبادة بقية الاسبوع غير خير واعلم أن قول الشارح والسبت الخ عجيب منه اذ ماحكاه بقيل هو الذى صح به الخبر وعليه الاكثرون وهو مذهبنا كما فى الروضة واصلها ونقله فى شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلى فى روضه لم يقل بأن اوله الاحد الا ابن جرير واستدل له فى شرح المهذب بخبر مسلم عن ابى هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر

(قوله فى حال سبت) عبارة الشنباطى أن المراد بحال السبت السكون عما عدا العبادة وكأنه قال لو أراد الله بهم خيرا كاملا فى سكونهم فى ذلك اليوم لكان يوم الاربعاء يوم سبتهم لانه يوم النور فاختيار يوم السبت المشير لقطعهم النظر لمعناه الاصلى دون الاربعاء المشير للنور والوصل دليل على أنه لم يرد بهم ذلك تأمل (قوله متعلق باريدوا) فيه أنه جعل حرف الجر فى الثانى زائدا وهو لا يتعلق كما هو معلوم فى فن العربية تدبر ويمكن أن يقال المراد بالتعلق الارتباط لا التعلق الجارى الاصطلاحى اى كل منهما مرتبط باريدوا ارتباط المعمول بعامله تأمل (قوله خلق الله التربة الخ) واذا أردت ضبط ترتيب المخلوقات الواقعة فى الحديث فائت بكلام تكون حروفه مرتبة على ترتيب أوائلها يسهل استحضاره فقل تجشم نداء ان تكلف رفع صوت (قوله وخلق النور) رواه مسلم بالنون بكسر الراء اى الحوت وجاء فى رواية الحوت بدل النون ولا منافاة لجواز خلقهما اى النور والنون فى ذلك اليوم

ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل ولهذا الخبر صوب الاسنوى كالسهيلى وابن
عساكر أن اوله السبت وجرى النووى فى موضع على ما يقتضى أن اوله الاحد وقال فى
يوم الاثنين سمى به لانه ثانى الايام الا أن يجاب بانه جرى فى توجيه التسمية المكتفى فيه
بادنى مناسبة على القول الضعيف ثم انتصر لكون اوله الاحد الذى جزم به القفال من
اصحابنا بان الخبر السابق تفرد به مسلم وقد تكلم فيه الحفاظ على بن المدينى والبخارى
وغيرهما وجعلوه من كلام كعب وان اباهريرة انما سمعه منه ولكن اشتبه على بعض
الرواة فجعله مرفوعا ويجاب بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظه والثقة لا يرد
حديثه بمجرد الظن ولاجل ذلك أعرض مسلم عما قاله أولئك واعتمد الرفع واخرج طريقه
فى صحيحه فوجب قبولها ومن ثم انتصر ابن عساكر لكون اوله السبت بما حاصله أن تأييد
ابن جرير لكون اوله الاحد بان هذا العالم خلق فى ستة ايام وآدم خلق يوم الجمعة انما يصح
بتقدير أن يوم الجمعة داخل فى الست التى فيها خلق العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه
وسلم فسر خلق الاشياء وجعل خلق آدم فى اليوم السابع وهو الجمعة ولم يثبت أنه خلق آخر
الايام وانما اخبر تعالى أنه خلق العالم فى ستة أيام فآخرها يوم الخميس وخلق آدم بعد
الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه كيف وسياق خبر مسلم المذكور ظاهر
فى ذلك ويؤيده ايضا الخبر الصحيح أن الله تعالى هدانا اليوم الجمعة واضل عنه اليهود
والنصارى اى لان اليهود لما اعتقدوا أن اول الاسبوع الاحد كان الجمعة سادسا
فأخذوا السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا أن اوله الاثنين اخذوا الاحد وأما
هذه الامة فاعتقدوا أن اوله السبت فأخذوا السابع وهو الجمعة قال ولا حجة فى اشتقاق
نحو الاحد من الواحد وهكذا لان هذه التسمية لم تثبت بامر من الله ولا من رسوله فلعل
اليهود وضعوها على قاعدة مذهبهم فأخذتها العرب عنهم ولم يرد فى القرآن الا الجمعة
والسبت وليسا من اسماء العدد اه على ان هذه التسمية لو ثبتت لم يكن فيها دليل لان
العرب تسمى خامس الورد رابعا وهكذا وهذا هو الذى اخذ منه ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما قوله الذى كاد أن ينفرد به ان يوم عاشوراء هو تاسع المحرم وتاسوعاء ثامنه
وهكذا (هو) اى يوم السبت (يوم مبارك) لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق هذا العالم كما مر
خلافا لما زعمه اليهود أنه ابتدأه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا
فنحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله
تعالى عليهم بقوله عز قائلا وما مسنا من لغوب اى تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
اذ لا يتصور التعب الا من حادث مفتقر للغير فى الاسباب والله تعالى بخلاف ذلك انما
امرنا الشئ اذا اردناه أن نقول له كن فيكون اى ان نوجده فورا فلا يتخلف عن الارادة
فقوله كن كناية عن ذلك (قيل) بناه للمجهول لضيق النظم فلا يتوهم أنه قول ضعيف
(للتصريف) اى للتصرف (فيه) ببيع اونحوه (من اليهود اعتداء) اى ظلم وعدوان كان

(قوله المكتفى فيه) اى التوجيه
(قوله كن كناية الخ) اى فليس
المراد بالآية الكريمة أن الله
يقول لشئ من الاشياء كن لا فى
الازل ولا فيما لا يزال بل المراد بها
التمثيل لتأثير قدرة الله تعالى فى
مراده من غير توقف على عمل
واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة
وهى قياس قدرة الله تعالى على
قدرة الخلق

سببا لمسخ كثيرين منهم قردة وخنازير وذلك أنهم لما أمروا أن يجردوه لعبادة اعتدى فيه
ناس منهم في زمن داود صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا فاصطادوا فيه وكانوا بأيلة قرية
على جانب البحر فابتلاهم الله تعالى بأن ألهم السمك يوم السبت أنه ما بقي حوت في البحر
الا ورفع خرطومه او خرج فاذا مضى السبت تفرق السمك ونفر فاجتمع رأي جماعة منهم
على حيلة يمسكون بها السمك وتمنعهم عن الاصطياد يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا
بجانب البحر وجعلوا فيها جداول من البحر فصارت تمتلئ منه يوم السبت ويأخذونه يوم
الاحد فشووا وكانوا قد شم جيرانهم فسألوهم فأخبروهم بالحيلة فقالوا ان الله معذبكم
ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة حتى صاروا قدر الثلث وسكت قدر الثلث
واعتزلهم الثلث الباقي فبنوا بينهم حائطا فأصبحوا وقد مسخ الثلث الاول قردة وخنازير
وكذا الثاني على خلاف فيه اي لان الآية فيهم محتملة ومن ثم قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما لا ادري ما فعل بالثالثة نجاها ام مسخها كذلك قال مالك يؤخذ من هذا تحريم
الحيلة ووجوب سد الذرائع اه ويرد بأن المقرر في الاصول ان شرع من قبلنا ليس بشرع
لنا فان ورد في شرعنا ما يوافقه بدليل هو شرعنا لا غيره (فبظلم) متعلق بعدتهم (منهم)
وهو وضع الشيء في غير محله كخيانتهم في السبت واخذهم الربا وأكلهم اموال الناس
بالباطل (وكفر) من عطف الاخص لزيادة الاهتمام به (عدتهم) اي فاتتهم (طيبات) من
الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات أحلت لهم الآية ومن شأن الطيبات أن يوجد (في تركهن) الذي تحتم الامر به
(ابتلاء) اي اختبار ومحنة للعبد تكون سببا لفلاحه او هلاكه (خدعوا) اي يهود
المدينة وما قرب منها وهو بدل من زاغوا لكن ذاك عام وهذا خاص لتقييده بالظرف بعده
(بالمنافقين) من الاوس والخزرج الذين قهرهم الاسلام فأظهروه واتخذوه جنة من
القتل مع بقائهم على كفرهم باطنا وكان هوى هؤلاء مع اليهود لأنهم مثلهم باطنا فكانوا
يدسون اليهم المكر والخديعة وكانت احبار اليهود هم الذين يتعنتون على النبي صلى الله
عليه وسلم فينزل القرآن مكذبا لهم تارة ومجيبا عن شبههم أخرى ومنبها على أحوال
المنافقين الذين هم معهم باطنا أخرى ومعنى كونهم خدعوا بهم أنهم أريد بهم المكروه
من حيث لا يعلمون بسبب المنافقين الذين كانوا يصدونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيخدعون لهم لغباوتهم وسفاهتهم كما قال (وهل ينفق الا على السفيه الشقاء) اي وما
ينفق الشقاء الا على السفهاء وهم اليهود لا غير شبه الشقاء الحاصل لهم بدراهم تصرف
وتخرج في الشر فهي استعارة بالكناية وأثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الانفاق
تخييلا

(قوله قردة وخنازير) مسخ الشباب قردة والشيوخ خنازير لهم أذناب يتعاوون فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا اذ لم يبق ممسوخ
فوق ثلاثة أيام ولم يحصل منه توالد وقال مجاهد انما مسخت قلوبهم دون صورهم وهو خلاف الاجماع

(قوله وكانوا بأيلة) اي وكانت اليهود الذين بها نحو سبعين ألفا (قوله الا ورفع خرطومه) اي حتى لا يرى الماء من كثرته (قوله حفرا) اي وعمقوها فيقبل الموج بالحيتان اليها فلا تقدر على الخروج لبعد عمقها (قوله واعتزلهم الثلث) في شرح قصيدة ابن زيدون أن الناهين الناجين اثنا عشر ألفا وعليه فيكونون أقل من الثلث لما علمت من أن جميع اهل القرية كانوا نحو سبعين ألفا فتأمل (قوله وكذا الثاني على خلاف فيه) في شرح ابن عبد الحق ما يقتضي ترجيح عدم مسخه كالثالث حيث قال مسخ الله الاول دون الثاني وكذا الثالث على ما قاله عكرمة ورجع اليه ابن عباس بعد قوله لا أدري ما فعل بالفرقة الثالثة لما بين له وجه اخذه من الآية وكساه حلة (قوله حرمها الله) اي بسبب ذلك وقد كانت حلالا لهم وهي التي في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية (قوله خدعوا بالمنافقين) اي خدعهم الله بسبب المنافقين اي بسبب صدهم لهم عن رسول الله وأما

قول السنباطي اي خدعهم المنافقون ففيه أن المنافقين لم يريدوا بهم مكروها حين صدوهم بل انما
أرادوا عزهم بظنهم الفاسد فتأمل (قوله فكانوا يدسون) اي يخبرونهم بذلك خفية من دس الشيء في التراب أخفاه فيه وبابه
رد كما في المختار

تخييلا وجعل الشارح ينفق من النفاق اى الرواج فعليه شبه الشفاء بالسلعة المعروضة للبيع وأثبت لها النفاق تخييلا ورشح أو جرد بذكر الصفة الملائم للمشبه أو المشبه به (واطمأنوا) فى زعمهم مما كانوا يترقبونه من النبى صلى الله عليه وسلم (ب) ريب (قوله الاحزاب) اى طوائف أهل مكة ومن كان معهم من قبائل العرب الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد وقعة أحد (اخوانهم) فى الكفر اهم (انها لكم أولياء) اى متوالون ومتفقون على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك أن جماعة من اليهود منهم للعين حيى بن أخطب ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا نكون معكم عليه حتى نستأصله فوافقوهم ثم ذهبوا الغطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان رضى الله تعالى عنه وغطفان ومن معهم من أهل نجد وقائدها عيينة بن حصن فاجتمعوا فى عشرة آلاف واليهود قاطعون بأنهم بذلك يستأصلون المسلمين فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم أشار سلمان الفارسى بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاجتهد فيه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه فلما وصل العدو اليه خرج اليهم فى ثلاثة آلاف فمكثوا بضعا وعشرين يوما أو خمسة عشر يوما وهو الاشهر لا قتال بينهم الا الرمى بالنبل والحصى ثم اشتد الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له انى أسلمت ولم يعلم بى قومى فمرنى بما شئت فامره صلى الله عليه وسلم بان يخذل عنهم ما استطاع فان الحرب خدعة فذهب الى بنى قريظة وكان نديمهم فى الجاهلية فحسن لهم التخلف عن معونة قريش الا ان أخذوا منهم رهنا وخوفهم على أموالهم وأولادهم فقالوا أشرت بالرأى ثم ذهب للعرب وقال لهم عن اليهود مثل ذلك وأنهم ندموا على ذلك وأرسلوا لمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك فأرسلوا رسلهم لقريظة فذكروا لهم ذلك فاعتقد واصدق نعيم وانحل عزمهم فخذلهم الله تعالى وارسل عليهم ريحا فى ليلة شديدة البرد فأكفأت قدورهم وطرحت خيامهم وبلغه صلى الله عليه وسلم تخالفهم وما هم فيه فقال صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان اذهب فانظر

(قوله وجعل الشارح ينفق الخ) قال فى المختار ونفق البيع بالضم نفاقا راج اهـ ثم رايت فى شرح السنباطى ينفق كيضرب اى يروج اهـ وهو مخالف لما فى المختار اذ مقتضى ما فيه أن المضارع بهذا المعنى بضم العين كيشرف تأمل وفى المصباح مثل ما فى السنباطى وكذلك فى القاموس لانه حيث ذكر نفق بمعنى راج لم يضبطها وقد ذكر فى خطبته أن كل كلمة عراها عن الضبط فانها بالفتح الا ما اشتهر بخلافه اشتهارا رافعا للنزاع من البين فان كان فيه الضبطان اى من باب شرف وباب ضرب ارتفع التنافى بين المختار وغيره وعليه فينفق فى النظم مبنى للفاعل من باب عدل أو شرف كما علمت لانه لازم فلا يصاغ منه لمجهول بخلافه على جعله من الانفاق تأمل (قوله الملائم للمشبه به) انظر وجه كون الصفة ملائما للسلعة المعروضة للبيع اللهم الا أن تقيد بكونها خبيثة أو تعرض للبيع عرضا كذلك كما فسدت الدراهم فى التشبيه الاول بالصرف فى الشر تأمل (قوله وغطفان) بفتح الطاء حى من قيس (قوله الخندق) فارسى معرب وأصله كنده اهـ شرح التقريب (قوله خرج اليهم) اى جاعلا الخندق بينه وبينهم (قوله خدعة) فيه ثلاث لغات مشهورة أشهرها فتح الخاء واسكان الدال قال النووى فى شرح مسلم اتفقوا على أنها أفصحهن قال ثعلب وغيره وهى لغة النبى صلى الله عليه وسلم قال الخطابى ومعناه أنها مرة واحدة اى اذا خدع المقاتل مرة واحدة لم يكن لها اقالة أو ان معناه أنها تخدع أهلها وصف الفاعل باسم المصدر أو تكون وصفا للمفعول كما قيل ضرب الامير اى مضروبه اللغة الثانية بضم الخاء واسكان الدال اى أنها تخدع لان أحد الفريقين اذا خدع صاحبه فيها فكأنها خدعت هى الثالثة ضم الخاء وفتح الدال اى أنها تخدع أهلها وتمنيهم الظفر أبدا وقد ينقلب بهم الحال لغيرها كما يقال رجل لعبة وضحكة للذى يكثر اللعب والضحك وحكى فيها الحافظ المنذرى فى حواشى السنن رابعة وهى فتحهما جمع خادع يعنى أن أهلها بهذه الصفة فلا يطمأن اليهم كأنه قيل أهل الحرب خدعة ثم حذف المضاف قال وأصل الخدع اظهار أمر واضمار خلافه (قوله بنى قريظة) قبيلة من يهود خيبر (قوله فخذلهم) قال فى المصباح خذله اذا ترك عونه ونصره

(قوله بيدمن بجنبي) كل منه ومن جنبي مفرد مضاف فيعم اليدين والجنبين لانه أخذ بيد من عن يمينه وبيد من عن يساره وقال لكل من أنت (قوله الكراع) بالضم في الغنم والبقر كالوظيف في الفرس وهو مستدق الساق يذكر

ماذا يفعل القوم ولا تحدثن شيأ حتى تأتينا فدخل بينهم فسمع اباسفيان يقول لينظر الرجل منكم من جليسه قال حذيفة فأخذت بيد من بجنبي فقلت من انت قال فلان بن فلان ثم قال ابوسفيان والله يامعشر قريش ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة ثم امرهم بالرحيل فارتحل قال حذيفة ولولا عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تحدث شيأ لقتلته بينهم ثم سمعت غطفان ماوقع لقريش فرجعوا ايضا فلما أصبح صلى الله عليه وسلم رجع الى المدينة وقال صلى الله عليه وسلم لا تغزونكم قريش بعدها ابدا ولكن أنتم تغزونهم وكان كذلك ولما وضعوا السلاح جاء جبريل معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية البخاري أنه صلى الله عليه وسلم لما وضع السلاح اغتسل فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم اعمد بني قريظة فاني عامد اليهم ومزلزل بهم وفي رواية قم فشد عليك سلاحك فوالله لأدقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله عليه وسلم مناديا ياخيل الله اركبي فذهب اليهم في ثلاثة آلاف مقاتل وستة وثلاثين فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة او خمسة عشر وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم الايمان وحلف لهم أنه نبي مرسل وانه الذي يجدونه في كتابهم فأبوا فقال الليلة السبت لعلهم أمنوا فانزلوا لعلكم تصيبون منهم فقالوا انفسد سبتنا وتحدث فيه مالم يحدث فيه من قبلنا الا من علمت فأصابه مالم يخف عليك من المسخ ثم اشتد عليهم الحصار فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الاوس فحكم فيهم بان تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبعة ارقعة فأمر صلى الله عليه وسلم بهم فأدخلوا المدينة وحفر لهم اخدودا في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه وأخرجوا اليه فضربت أعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة ولا تنافيه الرواية الصحيحة أنهم كانوا اربعمائة مقاتل لان الباقين اتباع وبما تقرر علم أن الاحزاب (حالفوهم) اى اليهود اى عاهدوهم مع الايمان المغلظة على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وخالفوهم) في ذلك فرحلوا عنهم وأسلوهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم عن آخرهم (ولم أدر لماذا تخالف الحلفاء) وأراد بنفي الدراية على طريقة تجاهل العارف اغراء السامع على البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا وهو ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستئصال شأفتهم *(تنبيه)* تجاهل العارف سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب او الانكار او التوبيخ كما هنا او التقرير نحو وما تلك بيمينك ياموسى (أسلوهم) اى المنافقون عبد الله بن أبي

ويؤنث والجمع أكرع ثم أكارع اه مختار (قوله معتجرا بعمامة) قال في المصباح المعجر ماتشده المرأة على رأسها ومنه يقال اعتجرت المرأة والاعتجار ايضا لف العمامة على الرأس (قوله ياخيل الله) على حذف مضاف اى يافرسان خيل الله على حدلا يفضض الله فاك اى أسنانه فيك (قوله اخدودا) الاخدود شق مستطيل في الارض اه مختار (قوله تجاهل العارف) وهو من محسنات البديع وشاهده قول الحافظ السيوطي في بديعيته

لقد تجاهلتم عني بمعرفة

قلتم أطالب وصل أم قرى هرم

سألوا عن ذلك مع علمهم وعرفانهم أن المحب انما مناه وصالهم وأن فيه بقاء مهجته ولا يظن أنه طالب قرى وضيافة بطعام (قوله شأفتهم) بشين معجمة وهمزة وفاء قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب أو اذا قطعت مات صاحبها واستأصل الله شأفته أذهبه كما تذهب تلك القرحة او أزاله من أصله اه قاموس (قوله اى المنافقون)

اى فضمير الفاعل غير راجع للاحزاب وان قربوا وانما هو للمنافقين في قوله خدعوا بالمنافقين فلو ذكره واصحابه عقبه لكان أولى

واصحابه اليهود المسمين بنى النضير (لاول الحشر) المقتبس من قوله تعالى هو الذى أخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وأيدى المؤمنين اى فى أول حشرهم واجلائهم من جزيرة العرب الى الشام اومن محالهم الى محل آخر وانما كان اولا لانهم لم يصبهم قبل قط ذلك اوفى أول حشرة الى القتال لما يأتى فى قصتهم أنهم عزموا على القتال ففشلوا وألقى الله الرعب فى قلوبهم وآخر حشرهم اجلاء عمر لمن بخيبر من هؤلاء ومن اهلها الى الشام اوفى أول حشر الناس الى الشام لانها فتحت بعد ذلك بقليل وقصدها الناس للاقامة بها وعليه فآخر حشرهم بها عند قيام الساعة لانها أرض المحشر (لاصعادهم) اى المنافقين لليهود بانهم ينصرونهم على النبى صلى الله عليه وسلم (صادق) لانهم سولوا لهم قتالهم وأنهم يعينونهم ثم تخلفوا عنهم (ولا الايلاء) اى الحلف منهم لهم صادق ايضا (سكن الرعب) اى هيبة النبى صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه منهم وظن ظفره عليهم (والخراب) الآتى لدورهم (قلوبا) من اليهود المحصورين وغيرهم من اهل خيبر وغيرها وهذا راجع للاول (وبيوتا منهم) راجع للثانى ففيه لف ونشر مرتب (نعاها) اى اخبر تلك البيوت بموت اهلها المعنوى من نعاه له نعوا ونعيا ونعيانا اخبر بموته (الجلاء) اى خروجهم من ديارهم شبهه فى كونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان مخبر بما ينفع ويضر فهى استعارة بالكناية وذكر النعى الملايم المشبه به استعارة تخييلية ويحب من الشارح حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما علمته فيها من الاستعارتين المذكورتين بل فيها استعارة ثالثة كما اشرت اليها بقولى المشبه بالموت وظاهر النظم أن واقعة بنى النضير هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله السابق واطمأنوا الخ وهو ما اوهمه كلام بعض اهل السير لكنه مردود بان بنى قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب وأما بنو النضير فلم يكن لهم فى الاحزاب ذكر بل كانوا من أعظم الاسباب فى جمع الاحزاب وما وقع من اجلائهم فانه كان من رؤسهم حيى بن أخطب واضرابه وهو الذى حسن لبنى قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من اهلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا وخلاصة ما قاله اهل السير فى واقعة بنى النضير أنه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم فى دية قتيلين قتلهما بعض حلفائهم فاظهروا له الاجابة ثم تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على أن يصعد واحد منهم ويلقى عليه صخرة ليستريحوا منه فنهاهم بعضهم وقال والله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه فلما صعد الرجل لذلك اخبر به صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا لهم أنه يقضى حاجته وترك اصحابه فى مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة فطلبه اصحابه فأخبرهم ونزل فى

أخى موسى عليهما الصلاة والسلام منهم محمد بن كعب القرظى (قوله فاتاهم الله) اى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الاجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فاتاهم نصر الله اه بيضاوى (قوله يخربون بيوتهم بايديهم) ضنا بها على المسلمين (قوله وأيدى المؤمنين) وعطفها على أيديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه اه بيضاوى (قوله ففشلوا) فشل من باب طرب اى جبن اه مختار (قوله وبيوتا منهم) اى لهم (قوله اى أخبر تلك البيوت) عبارة السنباطى اى أخبر بخرابها منهم المشبه بموتهم جلاؤهم منها بجامع الانتقال من دار لدار والذل والهوان بعذاب هؤلاء الملاعين فى القبر وما بعده وسلب أموالهم (قوله المشبه بالموت) فيه أنه لم يذكر فى الكلام ما ذكر من القهر والزوال الذى جعله مشبها ولا الموت الذى جعله مشبها به والاستعارة لابد فيها من ذكر أحد الطرفين ثم ان شبه المضاف الذى هو أهل لكونه فى قوة المذكور بضمير البيوت الذين مثلهم ٣ فى الضلال اتجه تقرير المكنية

٣ قول المحشى بضمير البيوت الذين مثلهم الخ هكذا فى الاصل الذى بايدينا وتأمل فى صحته وفى اجراء المكنية عليه اه

(قوله فقطع النخل) الاولى لمناسبة الآية والكلام القسطلانى الآتى واقول الشارح فى تفسير اللينة اصناف الخ ان يقول بدله اللينة وعبارة القسطلانى فى المواهب ولم يقل من نخلة على العموم تنبيها على كراهة قطع ما يقتات و يغذو من شجر العدو اذا رجى أن يصل للمسلمين وأصل لينة لونة  قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها او قال البيضاوى اللينة من اللين وهى النخلة الكريمة وجمعها اليان اه

ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم الآية فامر النبى صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم فسار صلى الله عليه وسلم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بالحصون فقطع النخل وحرقها وخرب ولما وقع فى نفوس بعض المسلمين شئ من ذلك نزل ما قطعتم من لينة الآية واللينة أصناف التمر ما عدا العجوة والبرنى ففى الآية أنه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ماليس بقوت وكانوا يقتاتون العجوة وفى الحديث العجوة من الجنة وثمرها يغذى أحسن غذاء والبرنى ايضا كذلك وكان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم ابن أبى بعثوا اليهم أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن أرضهم و يكف عن دمائهم وفى رواية ابن سعد أنهم لما هموا بالغدر أرسل اليهم محمد بن مسلمة أن اخرجوا من بلادى وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا فى التجهيز فأرسل اليهم ابن أبى أن لا تخرجوا فانى معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصونكم فيموتون عن آخرهم دونكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فأرسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون لا نخرج فأظهر التكبير وكبر المسلمون لتكبيره فسار اليهم وعلى يحمل رايته فلما رأوه قاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة وخذلهم ابن أبى وغيره فحاصرهم خمسة عشر يوما ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الدرع فنزلوا على ذلك وكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فلحقوا بخيبر ثم الى الشام والحيرة على ستمائة بعير والكون القاهر لهم مجرد الرعب كان ما بقى من اموالهم له صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المهاجرين ليرفع مؤنتهم عن الانصار (و) خدعوا ايضا بنى قريظة منهم (يوم الاحزاب اذ زاغت الابصار) منهم (فيه وضلت الآراء) وذلك أن الاحزاب لما قدموا ونزلوا حول المدينة وخرج صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينهم و بين القوم خرج عدو الله حيى بن أخطب حتى اتى كعبا القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم فأغلق كعب دونه باب حصنه وقال له انك امرؤ مشؤم وانى عاهدت محمدا صلى الله عليه وسلم فلست بناقض ما بينى وبينه فانى لم ار منه الا وفاء وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح فقال يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش انزلتهم بمجتمع الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدونى أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فعظم

قوله الشارح فقطع النخل اى الكريمة التى جعلها لا يقتات فعليه يكون قوله تعالى من لينة اى من حامل لينة (قوله اصناف التمر) أوهى ضرب من النخل يرى نجم نواه من خارجه يغيب فيه الضرس اه كواشى (قوله العجوة) قال الجوهرى هى تمر المدينة وهو من أجود تمرها قال الازهرى والصيحانى منه (قوله والبرنى) نسبة لشخص يقال له رأس البرنية (قوله أحسن غذاء) ما يغتذى به من الطعام والشراب يقال غذوت الصبى باللبن من باب غدا اى ربيته ولا يقال غذيته بالياء مخففا و يقال غذيته مشددا اه مختار (قوله والحيرة) قال فى المختار والحيرة بالكسر مدينة بقرب الكوفة (قوله يوم الاحزاب) لو قدم هذا البيت على البيتين قبله وقدمهما على البيتين قبلهما لكان أظهر فى أداء المراد لتقدم بيانه وكان هذا الوضع من غلط الشارح (قوله زاغت الخ) اى مالت عن مستوى نظرها حيرة اى من شدة الحزن الذى حصل للمسلمين حين احتاط بهم العدو قال تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار البلاء

الآيات ففى البيت اقتباس (قوله وضلت الآراء) كما حكاه سبحانه عن المنافقين بقوله واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا اى قولا باطلا (قوله مشؤم) قال فى المختار الشؤم ضد اليمن يقال رجل مشؤم ومشوم و يقال ما أشأم فلانا والعامة تقول ما أشيمه وقد تشاءم به بالمد

البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في بعض المنافقين فانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الآية وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ثم وقع ما مر من أن الله تعالى خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدائرة عليهم والغلبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين واهلك بني قريظة عن آخرهم كما مر وبما تقرر علم أن في كلام الناظم في هذا البيت والذي قبله تلميحا من وجوه عديدة (وتعدوا) ظاهر سياقه أن الضمير للنصارى واليهود والمنافقين ويجوز عوده لمطلق الكفرة الشامل لكفار العرب وغيرهم اى تجاوزوا حتى وصل ايذاؤهم (الى النبي) صلى الله عليه وسلم (حدودا) حدها الله لهم ومنعهم عن مجاوزتها فلم يقفوا عندها فلذلك (كان فيها) اى في مجاوزتها (عليهم) احد الظرفين حال والآخر خبر (العدواء) اى بعدهم عن النجاة ووقوعهم في الهلاك الابدي وفي هذا تلميح الى قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وبين تعدوا والعدواء جناس شبه الاشتقاق وهو أو شبهه بين نهتهم وانتهت والبذى والبذاء والخبل والخبلاء وأكدى وكداء وعناء وعنو وسواء وسواء وأجمت والجون وأحلم والحلم الآتيات (ونهتهم) اى أولئك المعتدين قوم منهم عن استمرارهم على ماهم عليه من مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وايذائه قائلين لهم انه لرسول الله حقا (وما انتهت عنه) اى عن مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وايذائه (قوم) بل استمروا على ماهم عليه من ايذائه والامر به (ف) بسبب ذلك (أبيد) اى اهلك (الامار) منهم بايذائه صلى الله عليه وسلم (والنهاء) عن اتباعه لبقاء كل من الفريقين على ضلاله ومر أن عتبة بن ربيعة لما اشتد أذى قريش له صلى الله عليه وسلم ذهب اليه لينهاه فقرأ عليه فصلت فرجع الى قومه ومدح القرآن وامرهم أن يخلوا بينه وبين ماهو فيه وبين لهم أن القرآن ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وأنه صلى الله عليه وسلم ليس به جنون وانه ليكونن لقوله نبأ فقالوا له سحرك محمد بلسانه فقال افعلوا مابدا لكم فلم يزدهم ذلك الا طغيانا وايذاء له بالقول والفعل وقتل عتبة يوم بدر مشركا وبين الامار والنهاء جناس الطباق كنهتهم وما انتهت وكالغدو والعشاء والقطع والوصل والتقريب والاقصاء والملام والاطراء والتباين والوفاء الآتيات (وتعاطوا في أحمد) نبينا صلى الله عليه وسلم وخصه بالذكر لانه لم يسم به احد قبله كما رواه مسلم وأما محمد فتسمى به قبله خمسة عشر نفسا كما بينه الحافظ العسقلاني (منكر القول) اى القول المنكر الذي ينكره سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه وفساده وأن الحامل له عليه انما هو محض عناد أو حسد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا في بيان اعجاز القرآن وطاف صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر وعثمان رضي الله تعالى عنهما فلما مر بابي جهل وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف أسمعوه بعض مايكره ثم أراد ابو جهل الاخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعه عثمان

(قوله ظن المؤمنون كل ظن) اى كل ظن جميل لثبات قلوبهم حيث ظنوا أن الله منجز وعده في اعلاء دينه أو أن الله ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال (قوله ونجم النفاق) يقال نجم الشئ ينجم نجوما وبابه دخل اى ظهر وطلع (قوله ممن معه) اى مع النبي من المنافقين وقوله لا مقام لا موضع قيام لكم ههنا وقوله فارجعوا اى الى منازلكم هاربين وقيل لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك وأسلموه لتسلموا أو لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها (قوله العدواء) بفتح العين (قوله عن مخالفة النبي) اى فالضمير للنبي على تقدير مضاف اى مخالفته (قوله قوم) فاعل نهت وفاعل انتهت ضمير مستتر عائد عليه لتقدمه رتبة وأشار لذلك الشارح بقوله قوم منهم وفي بعض الشروح أن فاعل نهت الحدود اى نهتهم عن تعديها وقوم فاعل انتهت (قوله فأبيد الامار والنهاء) اى كما أبيد المعتدون بايذائه وقد أبيد أيضا من نهاهم عن مخالفته بسبب عناده وكفره وهو عتبة بن ربيعة وقد يقال هو داخل فيمن آذاه بقتاله في وقعة أحد التي هلك فيها (قوله وتعاطوا) اى خاضوا يقال فلان يتعاطى كذا اى يخوض فيه اه مالكي وعبارة الهروي يقال تعاطيت الشئ اذا تناولته وعطوت أيضا مثله (قوله وطاف صلى الله عليه وسلم) اى بالبيت الشريف (قوله ثم أراد أبو جهل) اى في الطوفة الرابعة من طوافه

رضي الله عنه فوقع على استه ودفع ابو بكر رضي الله عنه أمية والنبي صلى الله عليه
وسلم عقبة ثم قال صلى الله عليه وسلم والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه عاجلا فما
منهم الا من أخذته رعدة شديدة وجعل صلى الله عليه وسلم يقول لهم بئس القوم أنتم
لنبيكم ثم قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله تعالى عنهم أبشروا فان الله تعالى
مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بايديكم عاجلا قال
عثمان رضي الله عنه فوالله لقد رأيتهم ذبحهم الله بايدينا ومن ايذاء المنافقين قولهم
يوم الخندق محمد يعد أصحابه ان ينفقوا كنوز قيصر وكسرى وأحدنا اليوم لا يأمن على
نفسه ان يذهب الى الغائط وقد حقق الله تعالى ما قاله نبيه صلى الله عليه وسلم فملك الله
المسلمين كنوز كسرى وقيصر في زمن عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما ثم ذيل بجملة
مشتملة على معنى ما قبلها جارية مجرى الامثال فليس تتميما خلافا للشارح لانه المأتي به
لمجرد المبالغة والتأكيد ولا تكميلا لانه المأتي به لرفع الايهام نعم في ذلك اضطراب
بين أهل البديع فقال (ونطق) أي منطوق (الاراذل) أي الاسافل الاخساء الذين
لا مروأة لهم ولا عقل الكلمة (العوراء) اي القبيحة الساقطة أي شأنهم النطق بالفحش
وهؤلاء كذلك كيف و(كل رجس) اي قذر وحنق وغضب قائم بهم يزيده ما جبلوا
عليه وهو (اخلاق السوء) بفتح السين وضمها اي القبيح (سفاها) بفتح السين من سفه
بالضم سفاها وسفاهة ومصدر المكسور سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه
(و) يزيده سفاهة ايضا وبعدا عن الخير (الملة) اي الشريعة سميت بذلك لانها تملى
وتكتب (العوجاء) اي الباطلة شبهها بطريق عوجاء لا يهتدي سالكها الى مطلوبه
بل يتوه ويضل فيها على سبيل الاستعارة المكنية ثم اثبت لها العوج تخييلا وأولئك
الاراذل اجتمع فيهم الوصفان اخلاق السوء والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم
(ف) بسبب ازديادهم في السفاهة والجهل (انظروا) أيها العقلاء (كيف) هي وما
بعدها سدت مسد مفعولي انظروا وأما قول الشارح كيف في موضع المفعول الثاني
وعاقبة القوم المفعول الاول فهو انما يصح بفرض زيادة كان ولا محوج لذلك كما عرف
مما قررته (كان) تامة (عاقبة) أي مآل ومصير (القوم) المعروفين بما ذكر وهي
خزي الدنيا وعذاب الآخرة ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى الآية ففيه اقتباس
(و) انظروا (ما) هو بصلته سد مسد المفعولين أيضا وعجيب من الشارح حيث لم يبين
اعرابه مع احتمال وجه آخر فيه غير ما ذكر لكن ما ذكرته أولى كما هو واضح (ساق
للبذي) اللسان كهؤلاء (البذاء) بالمعجمة أي بذاؤهم أي فحشهم وهو تخلفهم عن عز
الدنيا وسعادة الآخرة وفيه تشبيه البذي بدابة مسوقة والبذاء بسائقها وهما
استعارتان مكنيتان واثبات السوق للبذاء على جهة كونه فاعله وللبذي على جهة
كونه واقعا عليه تخييل (وجد) البذي (السب) أي الشتم (فيه) أي النبي صلى الله

(قوله وحنق) اي غيظ والجمع حناق مثل جبل وجبال وقد حنق عليه بالكسر أي اغتاظ فهو حنق وأحنقه غيره فهو محنق انتهى صحاح (قوله مفعولي انظروا) أي لان انظروا بمعنى اعلموا (قوله فهو انما يصح الخ) بل على هذا الفرض لا يصح أيضا لان كيف الاستفهامية واجبة التصدير لا يعمل ما قبلها فيها فتأمل (قوله هو بصلته سد مسد الخ) حيث جعل ما موصولا لا اسما كان من قبيل المفرد فلا يظهر قوله سد الخ وانما يظهر لو كانت استفهامية فتدبر (قوله لم يبين اعرابه) سكت عنه لعله من اعراب الجملة قبله والخطب في ذلك سهل والتعجب في مثل ذلك ليس في محله ألا ترى الى سكوت الشارح أي ابن حجر عن الاعراب في مواضع كثيرة

* ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها *

فينبغي اقامة العذر للعوجري لانه أول خاطب لها كما قال لم اظفر له بشرح ارجع في المهمات اليه ولا بكلام من احد ولو في حاشية اعتمد عليه فيزيل ما يعرض من الاشكال بل انما هو أبو عذره ومقتضب حلوه ومره والكاشف عن حقيقة أمره والمستغني عن خبره بخبره (قوله وفيه تشبيه البذي بدابة مسوقة) لا يخفى ان هناك ضميرا عائدا على الموصول ساقه أي للبذي أي جلبه له من خسارة الدين وحينئذ فالبذي مساق له لا مساق فتأمل

عليه وسلم (سما) مهلكا اى مهلك وبين السب والسم الجناس المضارع (ولم يدر) ذلك البذى ان سبه عين السم القاتل لوقته لفظا (اذ الميم فى مواضع) حال من الخبر وهو (باء) كقولهم فى بيدميد وهى لغة مازن قال المازنى دخلت على الخليفة الواثق فقال لى ممن الرجل قلت من بنى مازن قال اى الموازن امازن تميم أم مازن قيس ام مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال لى باسبك يريد ما اسمك وهى لغة قومى لانهم يقلبون الميم باء والباء ميما قال فكرهت ان اجيبه على لغة قومى لئلا اواجهه بالمكر فقلت بكر يا امير المؤمنين ففطن لما قصدت واعجب به اى وفيه ايضا سب لنفسه ثم قال لى اجلس فاطبئن يريد فاطمئن وقال ابن جنى فى سر الصناعة اخبرنا ابو على باسناده الى الاصمعى قال كان ابو سوار الغنوى يقول باسبك يريد ما اسمك فهذه الباء بدل من الميم انتهى والمعنى لانه اهلكهم كاهلاك السم بل هو ابلغ من السم لان اهلاك السم فى الدنيا وله ادوية تزيله واهلاك السب فى الدنيا والآخرة ولا دواء له (كان من) اجل ما صدر من (فيه) اى فم البذى حال من الضمير المستتر فى الخبر وهو بيديه (قتله) لنفسه (بيديه) وقتل الانسان لنفسه اشد من قتل غيره له (ف) بسبب ذلك (هو) اى البذى القاتل لنفسه المذكور (فى) الاتصاف بما وقع من (سوء فعله) بنفسه المرأة المشهورة بالملكة القاهرة فى العرب التى هى (الزباء) بفتح الزاى وتشديد الموحدة اى شبيهها فانها تناولت خاتما سمه وما فصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو فكان قتلها لنفسها بسبب ما تناولته بفمها من يدها لما ظفر بها عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لما كان بينهما خوفا من تعذيبه اياها وحاصل القصة وهى طويلة ذكرها الاخباريون وابن هشام وابن الجوزى وغيرهم ان جذيمة بن مالك التنوخى وقيل الازدى وهو اول من ساس العرب واول من اتخذت له الشموع وأوقدت بين يديه واول من اجتمع له الملك بأرض العراق من قبل اردشير وكان ابرص فكنوا عن ذلك بالابرش الوضاح وقيل كان لا يأنف من الابرص لان فى العرب من يفتخر بذلك وكان له اخت اسمها رقاش فعلقها عدى بن نصر الايادى فوافقها على ان ينكحها منه اذا غلب السكر عليه فسأله حينئذ فى ذلك فانكحه اياها واشهد عليه ودخل بها فلما اصبح وعلم بذلك تغيب عدى فلم يعرف له أثر فولدت له ولدا سمى عمرا فاحبه جذيمة واختطفته الجن ثم ردوه فزاد حظا عند خاله وكان ابو الزباء وسميت بذلك لكثرة شعرها اذ كان يجللها ويسحب من ورائها ملك ما بين الفرس والروم فغزاه جذيمة وقتله قبل بعثة عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم وطردها فلحقت بالروم

(قوله سما) بفتح السين لغة من ثلاث فيه (قوله فى الاتصاف بما وقع منه) كذا بخط الشارح كما قاله بعضهم ولا يستقيم الا بحذف الهاء من منه وقد رأيته فى نسخة بدون هاء (قوله وتشديد الموحدة) أى والمد وهى ملكة الجزيرة (قوله وأول من اتخذت له الشموع) قال السيوطى الشمع كان موجودا قبل البعثة كما ذكره العسكرى فى الاوائل ان أول من أوقدله الشموع جذيمة بن مالك الابرش بل ورد فى حديث انه أوقد للنبى صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا البجادين (قوله وكان له اخت أحبها الخ) اسمها رقاش فقالت له اذا سقيت الملك فسكر فاخطبنى اليه فسقى عدى جذيمة وألطف له فلما سكر قال له سلنى ما أحببت قال له زوجنى أختك رقاش قال قد فعلت فعلمت رقاش انه سينكر اذا أفاق فقالت للغلام ادخل على أهلك ففعل واصبح فى ثياب جدد وطيب فلما رآه جذيمة قال ماهذا قال أنكحتنى أختك البارحة قال مافعلت وجعل يضرب رأسه ووجهه وأقبل على رقاش وقال

حدثينى وأنت غير كذوب
أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد وأنت أهل لعبد
أم بدون وأنت اهل لدون

قالت زوجتنى كفؤا كريما من أبناء الملوك فاطرق جذيمة فلما علم عدى بذلك خاف فهرب ولحق بقومه ومات هنالك وعلقت منه رقاش وأتت بابن سماه جذيمة عمرا وتبناه وأحبه حبا شديدا وكان لا يولد له انتهى من القاموس (قوله ولم يعرف له أثر) قد علمت من عبارة القاموس علم موضعه (قوله ثم ردوه الخ) فعرفه وقبله وبعثه الى أمه فادخلته الحمام وألبسته وطوقته طوقا كان له من ذهب فلما رآه جذيمة قال شب عمرو عن الطوق فصار مثلا يضرب للابس ما هو دون قدره انتهى من القاموس

وجمعت الجيوش واستخلصت من جذيمة ملك أبيها وابتنت لها بجانب الفرات قصرا حصينا فحدثت جذيمة نفسه بخطبتها لانها بكر وأجل أهل عصرها وطمع في ملكها فارسل اليها فاظهرت غاية الفرح والسرور وأرسلت له بهدية سنية فاستشار في المسير اليها فبالغ قصير بن سعد في منعه وفي ان ذلك مكيدة منها فلم يصغ اليه وسار اليها فلما قرب منها أعاد الاستشارة فاعاد قصير رأيه فلم يصغ اليه وسار وكانت أمرت عسكرها اذا وصل ان يحيطوا به ويعموا من معه ففعلوا وقصير معه فلما رأى ذلك ركب فرس جذيمة التي تسبق الريح بجريها وفربها ثم ادخل جذيمة عليها وليس معها الا الجواري وكانت ربت شعر عانتها حولا كاملا فكشفته له وقالت امتاع عروس ترى فقال بل متاع أمة بظراء ثم قالت خذن بيده بيدكن وبعل مولاتكن فاجلسنه على النطع ففعلن ثم أمرتهن بفصد عروق يديه ففعلن ووضع له طست فنزف دمه فيه الى ان قضى عليه فامرت به فدفن ثم اقبل قصير على عمرو وأخبره الخبر وامره ان يأخذ بثاره منها فافهمه انه لا قدرة له عليها فقال له اجدع أنفي وأذني واضرب ظهري حتى يؤثر في الضرب ففعل به ذلك وقيل ان قصيرا فعل بنفسه ذلك ثم ذهب اليها مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته وأكرمت منزله ثم قال لها ان لي بالعراق مالا كثيرا وذخائر فسيريني لآتي بها ففعلت فرجع اليها باموال هائلة ثم عاد الى العراق ثانيا ثم رجع اليها باكثر من الاولى فازدادت مكانته عندها ولم يزل يتلطف حتى عرف سردابا جعلته تحت الفرات يصل منه الى قصرها وبابه من جانب الفرات الآخر ثم خرج ثالثا فرجع باكثر من ذلك كله فزادت مكانته عندها وعولت عليه في امورها فاظهرت له انها تريد غزوا وانه يذهب ويأتيها بالعبيد والعدد فقال لها ان لي في بلاد عمرو الف بعير وخزانة مال وسلاح فاعطته ما اراد من المال وقالت له الملك لا يحسن الاعطال فعاد الى عمرو وقال اصبت الفرصة منها فقال له عمرو مرنا بما شئت فقال الرجال والاموال فعمد الى الفي رجل من فتاك قومه فحملهم على الف بعير على كل بعير اثنان في غرارتين سوداوين وعمرو منهم وساق الخيل والكراع والسلاح وكان يكمن النهار ويسير الليل ثم دخل عليها فقال انظري الى العير فنظرت فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا ✽ اجندلا يحملن ام حديدا
أم الرجال جثما قعودا ✽ ام الرجال في الغرار السودا

ولما وصلت العير المدينة طعن بواب قصرها جوالقا بمخصرة بيده فضرط من اصابته فاراد الصياح فضربه قصير بسيفه فقتله ثم حلت الجوالق فخرجت الرجال ودخل عمرو باب السرداب ليصعد الى الزباء فلما رأته مصت خاتما في يدها مسموما وقالت بيدي لا بيد عمرو فماتت وقيل ان عمرا قتلها بسيفه واحتوى على بلادها (اوهو) في سوء فعله (الفعل)

بعضهم بدل هذا البيت
أم صرفانا باردا شديدا
أم الرجال جثما قعودا
وقوله وئيدا هو حال من الجمال أي أي شيء ثبت للجمال حال كونها وئيدا مشيها أي بتؤدة وشدة وطء على الارض ومشيها مبتدأ خبره محذوف أي يكون أو يوجد وئيدا وهذا الاعراب ينافي جعله وئيدا حالا من الجمال فلو قال حال من الضمير المستتر في خبر مشيها الذى هو مبتدأ وهو يكون المقدر من كان التامة لاستقام الاعراب أو منصوب على المصدرية أي تمشي مشيا ويصح خفضه على انه بدل اشتمال من الجمال والصرفان الرصاص وقيل جنس من التمر لم يكن يهدي الزباء شيء أحب اليها منه والجثم بضم الجيم وتشديد المثلثة جمع جاثم وهو الذى يلبد بالارض والقعود جمع قاعد والجندل الحجارة (قوله بواب قصرها جوالقا) قال في القاموس الجوالق بكسر الجيم واللام وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها وعاء معروف والجمع جوالق كصحائف وجواليق وجوالقات ثم قال والجوالق شوك وهذا يقتضي ان الجوالق بدون ألف بعد الواو لا يقال للوعاء فلا يناسب هنا

وعليه فلعل الالف ساقطة من عبارة الشارح فحرر (قوله بمخصرة بيده) كمكنسة ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها انتهى قاموس فالمخصرة بكسر الميم وصرح بذلك الضبط في المختار ورأيت في كلام بعضهم شفرة بدل مخصرة اى

اى شبهه ثم بين وجه الشبه فقال (فرصها) اى لسعها الغيرها (بجلب الحتف) اى الموت (اليها) عقب لسعها (و) الحال ان لسعها (ما) نافية (له انفكاك) اى قتل ولا جرح ولا دم ولا تأثير قوى فى الملسوع فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليها انما كان سبب الهلاك لهما (صرعت قومه) صلى الله عليه وسلم الذين ارسله الله اليهم فلم يؤمنوا به أى القتهم قتلى بين يديه (حبائل) جمع حبالة وهى التى يصاد بها او ناصبها يسمى الحابل (بغى) عليه صلى الله عليه وسلم (مدها) اى تلك الحبائل اليه (المكر) حال كونه (منهم) وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه (والدهاء) هو بالكسر والمد كالدهى جودة الرأى وفى كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه وصرعى بين يديه صلى الله عليه وسلم بصيود مصروعة بين يدى الصياد ومن حيث تشبيه البغى بشبكة الصياد ومن حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد لما تقتضيه نسبة المد اليهما أو بحبال الشبكة التى يمدها الصائد حتى يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المد اللازم للمشبه به وترشيحية بذكر الصرع اللائق بالمشبه وبما تقرر علم ان فى كلامه ثلاث استعارات مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وجردها بذكر الصرع والمكر والدهاء لهم ورشح او خيل لها بذكر الحبائل والمد والثانية تشبيه البغى بالشبكة وخيل لها باثبات الحبائل له ورشح بذكر المد وجرد بذكر الصرع الملائم للبغى والثالثة تشبيه المكر والدهاء بالصائد على ما مر وخيل باثبات المد ورشح بذكر الحبائل وجرد بذكر الصرع هنا ايضا اذ لا مانع من اشتراك مكنيتين او اكثر فى كون الشئ الواحد تخييلا او ترشيحا او تجريدا لكل اعتبار الكل على حدتها بما يناسبها (ف) بسبب مكرهم ودهائهم (اتتهم) من قبله صلى الله عليه وسلم ما اوجب عود تلك الحبائل اليهم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون به كيدا الا عاد عليهم وكيف لا وكلما تحزبوا لحربه صلى الله عليه وسلم وحاولوا اخفاء أمره صلى الله عليه وسلم بدد الله جمعهم وقتل سادتهم وأظهر أمره عليهم هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين فى ذلك انهم أتتهم (خيل الى الحرب تختال) أى تتبختر بها راكبوها تيها وعجبا (والخيل) الذناقس وعليها الشجعان (فى الوغى) أى الحرب متعلق بقوله (خيلاء) أى كبر وترفع عن الوقوع فى وهدة او الاصطدام بنحو شجرة وهذا تذييل (قصدت فيهم) أى فى أبدانهم (القنا) أى الرماح جمع قناة وفى هذه الاستعارة المشهورة فى قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض فاقامه ولا ينافى ذلك عد كثير له من أنواع المجاز باعتبار ان فيه اضافة الفعل الى ما لا يصح منه وهو الارادة التى هى من صفات الحى لان ذلك مبنى على تشبيه ميله للوقوع بارادته له والاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثم قيل زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة وهل هى مجاز لغوى او عقلى خلاف والاصح الاول لانها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لاعم منهما فأسد فى رأيت اسدا يرمى موضوع للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجرئ (ف) بسبب قصدها لهم

يكون من فيه او من زبانه (قوله صرعت قومه الخ) ولما فرغ من بيان عاقبة اليهود شرع فى بيان عاقبة ما يعمهم وغيرهم من اعدائه بقوله صرعت الخ (قوله هو بالكسر والمد) وبالفتح ايضا انتهى ابن عبد الحق وهمزته منقلبة عن واو ويقال ما دهاك اى ما اصابك (قوله جودة الرأى) يقال رجل داهية بين الدهى أى بين الفكر وجودة الرأى (قوله ومن حيث تشبيه البغى) سيأتى ان ما ذكر ليس من المكنية بل من اضافة المشبه به للمشبه (قوله وترشيحية) لعله وتجريدية بقرينة قوله وجردها الخ (قوله ثلاث استعارات) صوابه ثنتان لما علمت (قوله تشبيه البغى) فيه انه من اضافة المشبه به للمشبه فليس استعارة مكنية كما زعم الشارح فحرر (قوله الشجعان) اى فالمراد بالخيل ركابها او المجموع اى الخيل وراكبوها كما يدل لذلك شرح قوله والخيل الخ (قوله فى الوغى) يكتب بالياء لا بالالف لان الالف تؤذن بانه مقلوب عن الواو وليس فى الاسماء اسم اوله واو وآخره واو الا الواو اسم لوه كيم اسم له (قوله قصدت) اى ارادت الطعن فيهم الخ ضمن قصدت معنى دخلت فعداه بفى والا فهو يتعدى بنفسه (قوله جمع قناة) وتجمع على قنوات وقنى على فعول وقناء كجبال وكذا القناة التى تحفر انتهى صحاح

(قوله القافية) وهي الكلمة الاخيرة من البيت والراجح انها من المحرك قبل الساكنين الى آخر البيت فعلى القول الاول كلمة الايطاء هي القافية وعلى الثاني هي من الهمزة التي بعد اللام الى آخر الكلمة وخرج بتكرير القافية تكرير غيرها كتكرير آخر النصف الاول من البيت في آخر بيت



آخر فليس بايطاء (قوله قبل عدد مختلف فيه عندهم) اى العروضيين المعلومين من السياق والراجح كما في شرح الخزرجية لشيخ الاسلام انه تكريرها فيما دون سبعة ابيات (قوله وهذا الحل اولى مما سلكه الشارح) عبارته وزاد الله تعالى في اظهاره عليهم بخيله ورجله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين فجعل سيوف رجاله عاملة في رقابهم ورماحهم في نحورهم وصدورهم ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور والكثرة ذلك منهم تأتي الطعنة الثانية في موضع الاولى حتى كانها طعنة واحدة لفرط السرعة في الطعن انتهى وما قاله الشارح اولى كما قال اذهو اوفى بسياق المقام واظهر في تأدية المرام (قوله في مهامه الحرب) جمع مهمه وهي المفازة البعيدة انتهى مختار (قوله الغبرة) بفتحتين انتهى مختار (قوله من الغبار) اى المفسر به النقع (قوله وقضية كلام الشارح الخ) ليس كما قال وعبارته رحمه الله تعالى والعشي والعشية والعشاء من غروب الشمس الى العتمة والغدو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس ثم قال في المعنى

كانت (قوافي الطعن) اى الطعنات المشبهة بالقوافي في تتابعها حال كون ذلك الطعن (منها) اى تلك الرماح (ماشانها) اى عابها وفي نسخ شانه اى الطعن (الايطاء) لانه لم يوجد فيها اذ السالبة تصدق بنفي الموضوع وهو تكرير القافية المتحدة لفظا ومعنى قبل عدد مختلف فيه عندهم المشبه به الطعنات الواردة على محل واحد من غير ان تؤثر التالية شيأ لم تؤثره المتلوة وهو معيب في المشبه به لانه يدل على عيّ الشاعر وتقصيره والمشبه لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتحريره وهذا الحل أولى مما سلكه الشارح كما يعلم بتأمله نعم قوله ولكثرة ما عملت رماحهم في أجساد عدوهم تأتي الطعنة الثانية مكان الاولى حتى كانهما واحدة لسرعة الطعن يقرب حله (واثارت) أي رفعت تلك الخيل لما ركضت في مهامه الحرب (بارض) العدو في الاقطار الحجازية وغيرها حتى في (مكة) في غزوة الفتح لما ازدحمت قرب دخولها (نقعا) اى غبارا أظلم الجو حتى (ظن ان الغدو) أي وقته وهو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس (منها) أي من أجل تلك الخيول التي اثارت ذلك النقع أو من أجل تلك الغبرة المفهومة من الغبار التي أثارتها تلك الخيول (عشاء) اى وقتها وهو مغيب الشفق الاحمر وقضية كلام الشارح بل صريحه ان المراد العشاء بفتح العين وفسره بانه ما بين الغروب والعتمة وفيه نظر وما ذكرته اولى واسلم مما سلكه وفي قوله واثارت نقعا تلميح الى قوله تعالى في سورة العاديات فاثرن به نقعا وخلاصة شيء من هذه الغزوة التي حصل بها ذلك الفتح الذي هو اعظم فتوح الاسلام لان الله تعالى اعز به دينه ورسوله وجنده وحرمه وبلده وبيته واستبشر به اهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دين الله افواجا واشرق وجه الارض ضياء وابتهاجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبية انه صلى الله عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل في عقد قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكانا متعاديين فخرج بعض بني بكر وبني خزاعة فاقتتلوا فامد قريش بني بكر فخرج أربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه ويقول لانصرت ان لم أنصركم بما انصر به نفسي ولما احس أبو سفيان بجيئهم جاء الى المدينة ليجدد العهد ويزيد في المدة فابى صلى الله عليه وسلم فرجع فخرج صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف ثم لحقه ألفان لليلتين من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم لما نزل مر الظهران أمرهم ان يوقدوا عشرة آلاف نار فوافاهم أبو سفيان

ولم تزل خيله تثير الغبار باراضيهم ومواضعهم حتى بارض مكة في غزوة الفتح حتى صار يظن لكثرة كر الخيل عليهم وفرها وما اثاره ذلك من الغبار ان وقت الغداة وقت العشاء من اظلام الغبار انتهى فتأمله فانه ظاهر لا تكلف فيه (قوله وبني خزاعة) وفي نسخة الشارح بدله بيت خزاعة ارسله

أرسله قريش ليأخذ لهم أمانا فلما علمهم بتجهيزه صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأى تلك النيران أبهره أمرها فادركه الحرس فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهديد فسأل العباس النبي صلى الله عليه وسلم اذ يظهر له فخرا فى قومه فقال صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن وقال للعباس اجلسه عند حطيم الجبل حتى ينظر الى المسلمين وفى رواية أجلسه عند مضيق الوادى حتى تمر به جنود الله تعالى فيراها فجلسه فمرت به القبائل كتيبة كتيبة وهو يسأل عن كل قبيلة فيبينها له العباس فيقول ومالى ولها ولما مرت به كتيبة الانصار وصاحب رايتها سعد بن عبادة قال له سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أى الحرب اليوم تستحل الحرمة والكعبة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فامره على لسان على كرم الله وجهه بدفع الراية لابنه قيس واخبر ابا سفيان انه لم يأمر بقتل قريش وان اليوم يوم المرحمة وان الله تعالى يعز قريشا وخشى سعد أن ابنه يقع منه شئ أيضا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها النبي صلى الله عليه وسلم للزبير وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم فى كتيبة المهاجرين مع الزبير أيضا فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم وأمره ان يدخل من أعلى مكة وان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه كذا ذكره موسى بن عقبة وغيره وقول الشارح انه صلى الله عليه وسلم امر الزبير ان يدخل من كدا بالضم تصحيف وصوابه من كداء بالفتح والمد وقوله وامر سعد بن عبادة ان يدخل فى بعض الناس من كداء بالفتح لم ار فى الروايات المعتمدة مايشهد له وانما الذى صح انه صلى الله عليه وسلم دخل من اعلاها وخالد من اسفلها ورواية عكس ذلك ضعيفة لايعول عليها ولعل الشارح اخذ ذلك من الرواية الآتية عن مسلم وانت خبير بانه ليس فيها نص بكدى ولا بكداء وبعث خالد بن الوليد فى قبائل ليدخل من اسفل مكة ويغرز رايته عند ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الانصار فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم الا ان قوتلوا ولما دخل خالد من اسفل مكة قوتل فقاتلهم حتى ادخلهم المسجد من باب الحزورة ثم كف ولما قال له النبي صلى الله عليه وسلم قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدى ما استطعت فقال قضاء الله خير وصح فى مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم بعث على احدى المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا عبيدة على الذين بغير سلاح فقال يا ابا هريرة اهتف لى بالانصار فهتف بهم فجاؤا فاطافوا به فقال لهم أترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا فما نشاء ان نقتل واحدا منهم الا قتلناه فجاء ابو سفيان فقال يارسول الله ابيحت خضراء قريش لاقريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو آمن ومن هذا اخذ الاكثرون ان مكة فتحت عنوة ويرد بانه صلى الله عليه وسلم لم ينص الا على اوباشهم الذين من شأنهم الجهل والمبادرة بالقتال فى غير محله وهذا كقوله من اغلق بابه فهو آمن

(قوله من دخل دار ابى سفيان) قال ابن مالك فى شرح المشارق قيل انما اكرمه صلى الله عليه وسلم بهذا القول لانه كان اذا اوذى بمكة فدخل دار أبى سفيان كان آمنا فجزاه بمثل ذلك (قوله كتيبة) بالمثناة الفوقية اى الجيش والجمع الكتائب (قوله فيقول ومالى ولها) انظر ما المراد بذلك مع سؤاله عنها فان سؤاله يقتضى تعلق غرضه بالبيان وهذه العبارة تقتضى خلاف ذلك فتدبر (قوله بالحجون) بفتح الحاء رهو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو كداء بالفتح والمد فهذه اسماء مسماها واحد (قوله من باب الحزورة) الحزاور الروابى الصغار الواحدة حزورة انتهى صحاح (قوله المجنبتين) اى بضم الميم وفتح الجيم وكسر النون وهما الميمنة والميسرة ويكون القلب بينهما اه شرح مسلم للنووى (قوله اهتف لى بالانصار) أى ادعهم لى وخص الانصار اشتهم بهم ورفعا لمراتبهم (قوله فاطافوا به) قال فى الصحاح أطاف به أى ألم به وقاربه انتهى (قوله أوباش قريش) أى جماعتهم الاسافل (قوله أبيحت خضراء قريش) أى استؤصلت قريش بالقتل وافنيت وخضراؤهم بمعنى جماعتهم ويعبر عن الجماعة المجتمعة بالسواد والخضرة ومنه السواد الاعظم انتهى شرح مسلم للنووى

ظاهر فى ان الكلام انما هو فيمن قاتل ليوافق الروايات الاخر المقيدة بذلك وبهذا يقوى ماذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله عنه انها فتحت صلحا كما هو قضية التأمين الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار ابى سفيان او اغلق بابه او دخل المسجد ولم يقع قتال من جهة اعلى مكة التى دخل منها صلى الله عليه وسلم والعبرة بها الا بغيرها على ان القتال الذى وقع فى غيرها انما كان دفعا لقتالهم كما مر وعلم مما تقرر فى القصة انه صلى الله عليه وسلم امر اكثر اصحابه بان يدخلوا من الحجون وهو كداء بالفتح والمد وكان معهم فى كتيبتهم الخضراء الكثيرة ماعهم من السلاح راكبا على ناقته القصواء بين ابى بكر واسيد بن حضير وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فرأى ابو سفيان مالا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وامر بقية اصحابه ان يدخلوا من اسفلها وهو كدا بالضم والقصر ولذا قال (اجمت) اى كفت وامسكت (عنده) اى عند ذلك النقع الذى حصل بمكة لما اجتمعت فيها جنود الاسلام مع ماهم فيه من كثرة الخيل والسلاح الداخلون من اعلاها ومن اسفلها (الحجون) بفتح الحاء هو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو كداء بالفتح والمد اى ان الفرقة التى كانت بالحجون وان اثارت فيه من النقع شيأ كثيرا لكنه قليل بالنسبة لما فى مكة فامسك عن محاكاة ما بمكة (واكدى) اصله قلة الخير والمراد هنا قلة التراب (عند) حال من كداء (اعطائه) أى كداء لتقدمه رتبة والمصدر مضاف للمفعول وفاعل الاعطاء النبى صلى الله عليه وسلم (القليل) من الناس مفعول المصدر الثانى (كداء) بضم الكاف والمد لغة قليلة فيه أى واقل غبار مكة كداء الذى هو أسفل مكة لان الفرقة الداخلين منه الذين أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم كانوا قليلين وعجب من الشارح حيث لم يبين لهذا الشطر معنى ملائما مع كونه أوهم ضبط كداء هذا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح الحجون السابق فى الشطر الاول او قريب منه كما يصرح به كلام أئمتنا فى المناسك وغيرهم فان قلت هذا البيت وان كان فصيحا لفظا لما فيه من الجناس والمجاز من حيث التعبير بالمحل عن الحال والمجاز والاستعارة من حيث اسناد الاجمام والمنع اللذين هما من صفات الآدمى الى غيره على حد جدار اريد أن ينقض كما مر بيانه آنفا لكنه ركيك معنى اذلا حاصل له لانه من المعلوم ان ما بمكة من مجموع الفرقتين الداخلتين من أعلى واسفل وان ما من مجموعهما أكثر مما

(قوله القصواء) هى التى قطع من آذانها شئ قليل (قوله بالضم والقصر) ويجوز المد على لغة قليلة كما يأتى (قوله الذى حصل بمكة) الموافق لما سبق ان يقول قرب دخوله مكة تأمل فيقدر مضاف ليوافق ماسبق له أى بقرب مكة وكذا يقال فى نظيره الآتى ويحتمل انه اشار الى كثرة التراب بنفس مكة عند اجتماع الخيلين بها او كثرة كرها وفرها كما كان كثيرا عند اجتماعها قريبا منها الذى ذكره سابقا (قوله ان الفرقة التى كانت بالحجون) وكتب ابن عبد الحق فى حل البيت أى كفت عند ذلك النقع أهل الحجون عن القتال وامتنع أهل كداء عن القتال بعد قتالهم قليلا قال تعالى واعطى قليلا واكدى أى اعطى قليلا من المال ثم امتنع من الباقى مأخوذ من الكدية ارض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر اذا وصل اليها من الحفر (قوله عجيب من الشارح) عبارة الشارح فى بحث اللغة ويقال اكدى الرجل عن الشئ اذا قل خيره وقوله تعالى واعطى قليلا واكدى أى قطع القليل ويقال اكديت الرجل عن الشئ اذا رددته عنه وكداء بالفتح والمد موضع باعلا مكة ينزل منه على الابطح ومقابر مكة يدخل منه الحاج وكدا بالضم والقصر موضع باسفلها يخرج منه الحاج قريب من قعيقعان ثم قال فى المعنى فكان ما حصل من النقع المتولد عن كثرة الخيل وكثرة كرها وفرها فيها فوق ما حصل بكداء وكدا بحيث لا يقاوم ما بالحجون ولا ما بكدا من النقع ما بمكة منه فلقلة ذلك فيهما بالنسبة الى ما فى مكة كان ما فى الحجون احجم عن مقاومة ما بمكة وكان كدا أتى من بشئ قليل أولم يوجد فيه شئ من ذلك يصلح للمقاومة انتهى فتأمله فانه لا ابهام فيه مع ما تقدم (قوله لما فيه من الجناس) اى جناس شبه الاشتقاق بين اكدى وكداء والجناس المعنوى بين الحجون وكداء فالمراد بالجناس جنسه (قوله والمجاز من حيث الخ) لانه عبر بكداء واراد الحال فيه وهو الغبار (قوله وان ما الخ) اى وان التراب الذى من مجموعهما اكثر من التراب الذى من كل منهما

(قوله والتقدير ان الجون وكدا امنعاهم الخ) استفادة المنع من الجون ظاهر لان اجمت بمعنى منعت واما استفادته من كدا ففيه نظر لان اكدى معناه قل ويدفع النظر بما قد سبق عن ابن عبد الحق من ان اكدى يستعمل ايضا بمعنى امتنع (قوله وبين الجون وكدا جناس معنوى) قال الحافظ السيوطي في شرح بديعيته الجناس المعنوى كون احدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها وسبب استعمال هذا النوع ان يقصد الشاعر المجانسة لفظا فلا يوافقه الوزن على الاتيان باللفظ المجانس فيعدل الى مرادفه ومثل له بامثلة منها قول دعبل في امرأته سلمى      انى احبك حبا لو تضمنه *
سلمى سميك ذلك الشاهق الراسي      اراد ان يجانس بين سلمى امرأته وسلمى الجبل فلم يساعده الوزن فعدل الى سميك انتهى وهنا اراد ان يقول اجمت عنده كدا بفتح الكاف والدال يجانس كدا بضمها والمد آخر البيت الجناس المحرف وهو ما تماثل ركناه في الحروف وتخالفا في الحركات فيكون الشكل فارقا بينهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي فلم يساعده الوزن فعدل الى الجون المرادف له وماذكراحد قسمي الجناس المعنوى المسمى بتجنيس الاشارة وهو ان يذكر احد المتجانسين ويشار الى الآخر بلفظ يدل عليه كقول الشيخ عبد الغنى النابلسي ٢٤١ يا حمزة اسمح بوصل * وامنن علينا بقرب

في ثغرك اسمك أضحى
مصحفا وبقلبي
فقد ذكر أحد المتجانسين وهو لفظ حمزة وأشار الى الجناس فيه بانه مصحف في ثغره أي خمرة بالخاء المعجمة والراء وفي قلبه أي جمرة بالجيم والراء وأما القسم الثاني المسمى بتجنيس الاضمار وهو مقصود أهل البديع فهو ان يضمر المتكلم ركني التجنيس ويذكر ألفاظا مرادفة لاحدهما فيدل المظهر على المضمر كقول ابي بكر بن عبدون وقد اصطبح

من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير جدوى قلت بل فيه معنى يستفاد وله جدوى لخفائه وهو ان دخوله صلى الله عليه وسلم وأكثر أصحابه كان من الجون والبقية من كدا وو جه أخذه من النظم واضح فانه خص اعطاء القليل بكدا فدل على انه هو والكثير ين دخلوا من الجون ويصح ان يراد نفس البقعتين مبالغة وعليه فيصح ان يكون اجمت معطوفا على أثارت بحذف حرف العطف فيه اضمير هو الفاعل يعود على الخيل وان أكدى مبني للمفعول والتقدير ان من قوة تلك الخيول انها قهرتهم حتى أمالكنهم فكفت الجون ومنعت كدا والجون عن ان ينتصر الاهلهما لوته وومنهما ذلك لاسمى وخيل كدا كانت قليلة ويصح بناء النظم على اعرابه الاول وهو ان الجون فاعل وان أكدى مبني للفاعل وان المراد انه صلى الله عليه وسلم نصر عليهم نصرا باهرا حتى ان بقاعهم ساعدته عليهم والتقدير ان الجون وكدا امنعاهم عن ان يعدوا أعينهم لنبيه صلى الله عليه وسلم أو الى أحد من عسكره وفي هذا رماقه من المبالغة مالا يخفى عظيم وقعه عند الفصحاء وبين الجون وكدا جناس معنوى (ودهت) أى احلكت تلك الخيل

٣١ بجم وترك بعضها الى الليل فاستحالت خلا الا في سبيل اللهو بنت مدامة * أنقنا بطعم عهده غير ثابت
حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وامست كجسم الشنفرى بعد ثابت وبنت بسطام بن قيس اسمها الصهباء وقوله كجسم الشنفرى بعد ثابت أشار به الى قول الشنفرى يرثي خاله تأبط شرا واسمه ثابت بن خولة الفهمي وهو فاسقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمي من بعد خالي لخل والخل النحيف المهزول فصح لابن عبدون في بيته جناسان مضمران أحدهما في صدر البيت وهو صهباء وصهباء والثاني وهو خل وخل والشنفرى بفتح الفاء والراء بزنة كربلا ومن هذا القسم للخوارزمي في غلام يعرف بابن برغوث
بليت ولا أقول بمن لاني * اذا ماقلت من هو يعشقوه      حبيب قد نفى عني رقادي * فان غمضت أيقظني أبوه
فقد أضمر ركني الجناس واظهر ما يرادف أحدهما وذلك لفظ أبوه وجمل الجناس المعنوى بين برغوث الذى هو الغلام وبرغوث اسم الحيوان المعروف ويحكى ان السلطان ابازكريا يحيى بن عبد الواحد صاحب افريقية عرض مرة جنده وكان فيهم امرد وسيم اسم جده النعمان فسأله السلطان واعجبه حسنه فخجل واحمر وجهه فازداد حسنا فقال السلطان
* كلمته فكلمت صفحة خده * وسأل من الحاضرين الاجازة أى تكميل البيت فلم يأتوا بشئ فقال السلطان مجيزا الشطره
* فتفتحت فيه شقائق جده * وهذا من الطف الاتفاقيات في هذا الباب ومن أراد زيادة على ذلك فعليه بمطالعة ماذكره =

والخيالة (أوجها) من الناس (بها) أى بمكة فاتلت كما مر فى الرواية المصرحة بذلك المحمولة عليها الرواية المطلقة وكذا جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا يبالغون فى ايذائه صلى الله عليه وسلم واظهار هجره فامر بقتلهم وان كانوا متعلقين باستار الكعبة وعدتهم ستة رجال وأربع نسوة (و) أهلكت (بيوتا) كان أهل مكة يرجعون الى أهلها (مل) أى ثم (منها الاكفاء) وهو فى الشعر المخالفة بين هجاء أواخره كان يكون بعضها ميما والآخر باء وهنا انكفاء تلك الوجوه على الناس اعلاها بحميها أو بجبرها (والاقواء) أصله من قولهم منزل قواء اى لا أنيس به وأقوت الدار وقوت أى خلت ثم استعمل فى الشعر مرادا به ان تختلف حركات اعراب الروى وبما قررت به كلامه هنا وفيما قبله فى قصدت فيهم القنا الخ يعلم ان الناظم استعار القوافى للطعن المتتابع ورشح بذكر الايطاء ولمح بذكر البيوت ترشحا البيوت الشعر المرشح بها وبذكر ما يختص بها من الاقواء والاكفاء الى الاستعارة الاولى وفيهما تورية ولف ونشر مشوش لانه رجع الاقواء للبيوت باعتبار لمح بيوت الشعر والاكفاء للوجوه لان الرأس اذا قطع انكفأت الوجوه وتحولت واستعمل الاقواء فى الخلو من حيث بيت السكن وفى تغيير القافية من حيث بيت الشعر وكذلك الاكفاء من حيث تغيير حركة الروى (ف) بسبب ما حصل لاهل مكة من الخوف الذى ظنوا انه مهلكهم عن آخرهم (دعوا) محمدا صلى الله عليه وسلم (أحلم البرية) بالهمز فى الاصل اى الخلق اى طلبوا منه يوم الفتح ان يعفو عنهم وأن لا يعاقبهم بما مضى منهم مما كانوا أوصلوه اليه من الايذاء الذى لا يحمله غيره صلى الله عليه وسلم فأجابهم الى العفو قائلا لهم لا تثريب عليكم اليوم كما يأتى (والعفو) عمن سأله (جواب الحليم) من حلم بالكسر اذا ترك الانتقام بحق (والاغضاء) أى ارخاء الجفون من الحياء وفى ذكر الحلم والعفو والاغضاء مراعاة النظير (ناشدوه) بدل من دعوا (القربى) اى حلفوه على ان يصل قرابتهم و يعفو عنهم أو بالقربى على حذف الجار اى حلفوه بالقربى التى بينهم و بينه ان يعفو عنهم (التى) وصلت اليه (من) سائر بطون (قريش) وهم ولد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم حال كون تلك القربى (قطعتها الترات) بفوقيتين جمع ترة وهى مصدر وتر اى قتل له قتيل ولم يترك دمه (والشحناء) اى التباغض والتحاسد الذى كان بينهم (ف) بسبب تلك المناشدة (عفا) صلى الله عليه وسلم (عفو قادر) لانه صلى الله عليه وسلم كان يسهل عليه ابادتهم عن آخرهم (لم ينغصه) اى لم يكدر ذلك العفو (عليهم) بسبب (ما مضى) منهم صفة اغراء تقدمت عليه فصارت حالا (اغراء) من أغريت الكلب بالصيد اى حملته على اصطياده وهو فاعل ينغص اى لم يكدر عفوه عنهم اغراء سفهائهم وجهلائهم فيما مضى حال كونه منهم حتى بالغوا فى ايذائه بما لا يحمله مخلوق كما تحمله صلى الله عليه وسلم وخلاصة ما اشار اليه الناظم انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم الفتح قام خطيبا فى الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو أهله

ثم

= الفهامة الاديب على أفندى القلعى المكى فى شرحه لبديعيته ثم قال فى شرحه المذكور هذا كلام أرباب الفن فى هذا النوع وأتى الصفى فى بديعيته وشرحها بتمثيل غير مطابق لهذا التقرير قال التوانسى لم أر احدا من البديعيين سبق الصفى الى ماذكره والله اعلم من اين اخذه انتهى (قوله انكفاء تلك الوجوه) من اكفاه أى اماله وقلبه فانكفأ كما يؤخذ من القاموس وسيأتى للشارح قريبا معنى آخر حيث قال لان الرأس اذا انقطع انكفأت الوجوه وتحولت (قوله استعار) كان الظاهر شبه الطعن المتتابع بالقوافى لما علمت من انه من اضافة المشبه به للمشبه (قوله مشوش) انما يظهر ذلك على غير النسخة التى شرح عليها من تقدم الاقواء على الاكفاء واما عليها حيث قدم الاكفاء على الاقواء فهو من اللف والنشر المرتب فتأمل (قوله من حلم بالكسر) الذى فى القاموس بالضم ومثله فى المختار ثم ذكر ان حلم بالكسر بمعنى آخر حيث قال وحلم البعير كفرح كثر حلمه وحلم الجلد كفرح وقع فيه الحلم (قوله وهى مصدر وتر) فهو كوعد مصدره عدة والجمع عدات اه (قوله بسبب ما مضى) جعل الباء سببية فيه خفاء المعنى وجعلها بمعنى فى الظرفية واضح المعنى الاترى الشارح فى حل المعنى صرح بفى حيث قال حال كونه منهم فيما مضى تأمل

ثم قال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهي حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فان أحد ترخص فيها بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار اي من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فانتم الطلقاء اي من الاسر والاسترقاق وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم أقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وسر هذا العفو وهذه الوصلة منه صلى الله عليه وسلم لهم بعد القطع انه ناظر الى الله تعالى دون غيره (واذا كان القطع والوصل لله) كما هو حال النبي صلى الله عليه وسلم تساوى) عند فاعل ذلك (التقريب) للاقارب والبعداء (والاقصاء) اى الابعاد للاقارب والبعداء ولم يميز باحدهما قريب ولا أجنبي لان النظر لرضا الله وامتثال أمره لا غير وهذا من القول البديع الجامع (وسواء) بفتح السين والمد ويجوز كسرها والقصر وهو فيهما بمعنى مستو ويستعمل الاول بمعنى التمام ومنه سواء للسائلين الى سواء الصراط وبمعنى الوسط ومنه في سواء الجحيم وبمعنى غير قيل ومنه فقد ضل سواء السبيل وهو وهم وانما هي بمعنى وسطه (عليه) اى الذى تقريبه واقصاؤه لله لا غير واجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم لانه كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وهذا خبر مقدم ويصح كونه مبتدأ (فيما أتاه من سواه) كلاهما حال من المبتدأ أو الخبر وهو (الملام) بالسب والتنقيص (والاطراء) اى المبالغة في المدح حتى بغير الواقع اى سواء عليه اللوم والاطراء حال كونهما مندرجين فيما أتاه من غيره من خير أو شر اى استوى عنده مدح الغير وذمه لانه ليس ناظرا الى نفسه وانما نظره الى تصريف الحق في خلقه بما أراده منهم *(تنبيه)* ما وقع للناظم هنا من حذف همزة التسوية بعد سواء والعطف بالواو هو ما درج عليه الفقهاء في كتبهم وهو لغة وان كانت خلاف الاشهر الشائع من ذكر الهمزة والعطف بام وقد صرح في الصحاح بتلك اللغة فقال تقول سواء على قمت أو قعدت وكذلك في القاموس قال وسواء تطلب اثنين سواء زيد وعمرو اى ذوا استواء من استويا وتساويا تماثلا وقد صرح سيبويه بالمسئلة أتم تصريح وأوضحها أكمل ايضاح فقال كما في البديع عنه اذا كان بعد سواء همزة استفهام فلا بد من أم اسمين كانا أو فعلين وان كان بعدها فعلان بغير ألف الاستفهام عطف الثاني باو تقول سواء على قعدت أو قمت وان كانا اسمين بلا ألف عطف الثاني بالواو تقول سواء على زيد وعمرو وان كان بعدها مصدران كان الثاني بالواو وأو حملا عليها اهـ فعلم صحة ما عليه الفقهاء واندفع قول ابن هشام ان ذلك لحن وان ما في الصحاح سهو وان قراءة أولم تنذرهم من الشذوذ

(قوله بفتح السين والمد الخ) وهو متعين في النظم

بمكان اه فاستحضر ذلك فانه مهم (و) من ثم (لو) مر فيها اى بحث أوصاف قدمه صلى الله عليه وسلم ما ينبغى مراجعته لعزته ونفاسته (ان انتقامه) صلى الله عليه وسلم اى غضبه واستيفاءه الذى صدر منه كان (لهوى النفس) الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير وحب التميز عليه بما يقهره ويذله (لدامت قطيعة) للرحم (وجفاء) اى ابعاد لها ولكنه لم يكن كذلك وانما كان لله تعالى فقطعهم حيث قطعوا ما أمر الله به ان يوصل ووصلهم غير ناظر لما سبق منهم من قتل أصحابه لاسيما بأحد والتمثيل بهم وشج وجهه وكسر رباعيته حيث وصلوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وكيف لا وقد (قام) صلى الله عليه وسلم (لله) وحده لا لهوى ولا لحظ ولا لرعاية رحم أو صديق وفى نسخة بالله اى مستعينا به (فى الامور) جميعها (ف) بسبب قيامه لله تعالى أو به (أرضى الله) تعالى (منه) صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بارضى أو حال من فاعله وهو (تباين) لاعداء الله (ووفاء) لاولياء الله تعالى من غير تعويل على حظ سوى رضا ربه ولهذا كان (فعله) صلى الله عليه وسلم (كله جميل) لصدوره على امتن قوانين الاعتدال واحق موازين الكمال (و) لا بدع فى ذلك اذ (هل) اى ما (ينضح) اى يسيل مما فيه على ظاهره (الا بما حواه) عائد على متقدم الرتبة وهو (الاناء) اى لا ينضح الاناء الا بما فيه فمن امتلأ اناء قلبه خيرا كانت افعاله المشبهة بما ينضحه الاناء كلها خيرا ومن امتلأ اناء قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا وليس أحد متحليا بمعالى هذه الصفات الباهرة الا نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا من التذييل ومنه قوله تعالى وهل يجازى الا الكفور ويصح ان يكون من التتميم وفيه التلميح الى المثل السائر وهو وكل اناء بما فيه ينضح (أطرب السامعين) اى أفرحهم وأفرحهم ونشطهم الى محبته واتباعه وامتثال جميع ما برز من حضرته صلى الله عليه وسلم (ذكر علاه) لانهم يجدون لذلك روحة تفوق روحة الراح (يا) حرف استغاثة (للراح) اى خمر مستغاث ولذا فتحت لامه سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا ما دام سكرانا بها (مالت) اى سكرت وتواجدت (به) اى الراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى فاندفع ما قد يقال الراح الخمر وهى مؤنثة وتذكيرها شاذ (الندماء) اى شاربو الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون اى يتخاطبون عليها بالاشعار التى فيها مدحها ففى هذا استعارة تصريحية واستعارة ترشيحية لانه شبه ذكر علاه فى اطرابه السامعيه بالراح فى اطرابها الشاربها ثم قرن بذلك ما يلائم المستعار منه وهو ذكر الميل والندماء واعلم ان هذا الموصوف بهذه المعالى الذى أطرب السامعين ذكر علاه هو (النبى الامى) نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب كأنه على أصل ولادة أمه أو مثلها اذ الغالب فى النساء عدم الكتابة وقيل نسبة لام القرى اى مكة وقيل غير ذلك ومع كونه صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب أطلعه الله تعالى على علوم الاولين والآخرين وجعله القدوة العظمى لكل مخلوق فى كل علم وحلم وحكمة وخلق حسن

(قوله عائد) اى الضمير المستتر لان الاناء فاعل ينضح فهو وان تأخر لفظا متقدم رتبة واما البارز فهو عائد على ما وهى متقدمة لفظا ورتبة (قوله من التذييل) وهو كالتتميم من المحسنات البديعية وحقيقته ان يأتى بعد تمام الكلام بجملة تشتمل على معناه تجرى مجرى المثل لتوكيد الكلام المتقدم كالآية وكقول النابغة الذبيانى

واستبقى اخالا تلمه
على شعث اى الرجال المهذب

فالجملة الاخيرة من كل هى التذييل (قوله ويصح ان يكون من التتميم) وهو الاتيان بما اذا زيد فى الكلام التام أفاد حسنا وقد مثل له الصفى الحلى فى بديعيته بقوله

وكم بذلت تالدى والطريف لكم
طوعا وأرضيت عنكم كل مختصم

فقوله طوعا أفاد انه لم يبذل كرها (قوله روحة الراح) قال فى المختار الروحة التمايل من السكر وغيره والمراد هنا اللذة التى هى ملزوم ما ذكر أو حقيقتها بأن تمايلوا من شدة ما يحصل لهم من الطرب (قوله مستغاث) نزله منزلة العاقل فناداه ليغيثه من هموم الدنيا باسباب ادراكه

وسائر

وسائر أوصاف الكمال وأراد من الاحاطة بجميع مصالح الدنيا والدين وقوانين سياسات العالم ومتفرقات الشرائع وعوارف المعارف مالم يصل اليه أو مخلوق وهذا مقتبس من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الآيات (اعلم) الخلق جميعا حتى (من) اى الانبياء والمرسلين الذين (أسند) اى روى (عنه الرواة والحكماء) اى العلماء الذين يضعون كل شئ في محله فهو من عطف الاخص على الاعم ولما قدم كثيرا من أوصافه صلى الله عليه وسلم وأحواله وسيره ومغازيه انتقل بطريق لطيف الى ذكر دار مولده وبعثته ودار مهاجره لانهما تشرفا به على سائر الامكنة والى ذكر زيارته وتأكيدها والاشارة الى انها من أفضل القربات وأنجح المساعي وقد ألفت فيها كتابا حافلا لم أسبق الى مثله مشتملا على جميع مايتعلق بها وسميته الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم وفيه أبلغ الرد والتضليل لمن نازع في ندبها بما يكون سببا لسواد وجهه وتبابه في الدنيا والآخرة الى أن قال كانيا عن منة الله تعالى عليه باشارته انه هيأ له أسباب تلك الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الآتية حتى كأنها المخاطبة له تقول اركب على ظهرى فاني أحملك ذهابا وايابا مع السلامة من التعثر والراحة من السير المتعب (وعدتني) ذكر الموعود في حيزها كما هنا يوجب اشتراكها بين الخير والشر وانما يقع التمييز بالقرائن وحذفه يعينها للخير ويعين للشر أوعد (ازدياره) اى النبي صلى الله عليه وسلم افتعال من الزيارة وابدال الدال من التاء في نحو ذلك مطرد وهو منصوب بنزع الخافض اى بزيارته هذا (العام وجناء) اى ناقة قوية من الوجن وهي الارض الصلبة (ومنت) اى أنعمت (بوعدها) اى بموعودها (الوجناء) المذكورة وهذا كما علم مما وطأت به أولا كناية منه عن نيته للزيارة في تلك السنة واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار عن لسان حال ذلك المركوب وبما تقرر من ان أل في الوجناء للعهد الذكرى اندفع قول الشارح بين وجناء والوجناء جناس والعجب منه انه صرح مع ذلك بان أل للعهد المستلزم لاتحاد اللفظين وان الاول هو عين الثاني (أ) يليق بي ان أترك الزيارة أو أتباطأ عنها (فلا انطوى) اى أحسن ان أنثني على تلك الوجناء التي منت على بما ذكر (لها) اى لاجلها ليسهل سيرها بي فان حسن سير المركوب من حسن ركوب راكبه (في) حصول (اقتضائيه) اى طلبي منها ذلك الموعود فالمصدر مضاف للفاعل وهو الياء والهاء مفعوله فان أريدت الاضافة اليه أيضا كانت هذه الاضافة غير صحيحة لانه اجتمع فيها آلتا تعريف وهو الاضافة الى كل من الضميرين وقد قالوا لايجوز اجتماع آلتي تعريف على معرف واحد قالوا وانما جاز في اضافة الصفة من اسم الفاعل أو المفعول أو الصفة المشبهة وأمثلة المبالغة اقتران المضاف دون سائر المضافات بأل لان اضافة الصفة الى معمولها لاتفيد تعريفا بل تخفيفا فليس هنا محذور اجتماع أداتي تعريف بخلاف بقية المضافات اه ثم جرى لنا قول

(قوله وتبابه) اى خسرانه قال تعالى وما كيد فرعون الا في تباب (قوله يوجب اشتراكها الخ) قد يقال ماذكر بعدها تصريح بما علم من لفظه الوضعي للخير ولا يعين ذكره كونها مشتركة تامل (قوله من الزيارة) وأصله ازتياره (قوله من الوجن) بسكون الجيم لان فعله وجن من باب وعد (قوله الصلبة) بضم الصاد اى الشديدة (قوله في حصول اقتضائيه) اقتضى دينه وتقاضاه بمعنى والاقتضاء مصدر اقتضى وهو مضاف الى الفاعل ناصبا للهاء ويقال اقتضائيه واقتضائي اياه (قوله ثم جرى لنا الخ) أقول يلزم منه جواز اضافة المضاف الى شئ الى آخر ولم يسمع مثله

ان اضافة المصدر الى مرفوعه أو منصوبه غير محضة فعليه يجوز ما وقع فى النظم لانه لم يجتمع اداتا تعريف فتأمله اما اذا لم ترد الاضافة لها وانما أريد بقاؤها على نصبها ففيه ارتكاب ضرورة اتصال الضمير مع امكان انفصاله (لتطوى) بالبناء للفاعل أو للمفعول والاول أولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف الثانى (ما) اى المسافة البعيدة التى (بيننا) اى بينى وبين ذلك القبر المكرم على الحال به أفضل الصلاة والسلام (الافلاء) جمع فلاة كما فى القاموس وعبارته والفلاة القفر أو المفازة لا ماء فيها ثم قال أو الصحراء الواسعة جمعه فلا وفلوات وفلى وفلى جمع جمعه افلاء اه وبه يندفع ما للشارح هنا وجوز الشارح فيه كسر الهمزة مصدرا أى المسير الى فلاة بعد أخرى ولا يلزم على بنائه للفاعل وان الافلاء جمع اتحاد الفاعل والمفعول لانهما مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذ النظر فى تلك المسافة المطوية الى السير البعيد وفى الافلاء الى الامكنة المقفرة ولا شك ان السير غير محله فتأمله وبين انطوى وتطوى جناس الاشتقاق كهوا وشبهه بين مباركها والبركة وحاورتها والحوراء وحنين وحنت ونضت والانضاء والخلاص والخلصاء الآتيات (و) جناء (الوف) صيغة مبالغة من ألف كعلم متعلق بتطوى وكان القياس بها لكن أظهر لافادة وصفها بهذا الوصف الممدوح (البطحاء) المعهودة ذهنا وهى مكة وتوابعها وأصل الابطح والبطحاء مسيل متسع فيه دقاق الحصى وهذا وما بعده لسان حاله أبرزه على لسان حالها مبالغة فى أن به من تلك الاوصاف ما لو كان لراحلته ادراك لكانت مثله فيها لما تشاهده من حاله (يجفلها) اى يزعجها ويقلقها (النيل) اى أرض مصر عن الاقامة بها مع انها وطنها ومرباها لشدة شوقها الى التملى بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك الآثار وبين الالف والاجفال جناس الطباق (و) الحال انه (قد شف) اى شرب رطوبة جوفها أو انحل (جوفها الاظماء) اى شدة العطش فى طريقها فهى راضية بهذه المشقة المؤدية الى التلف فى جنب ما أملته فى تلك الحضرة من مزايا الانعام وخفايا التحف ولاجل ذلك (انكرت مصر) لانها لا تؤمل فيها من تلك المواهب العلية معشار ما أملته فى تلك الحضرة الاحدية والساحة المصطفوية (ف) بسبب هذا الانكار المسبب عن ذلك الامل (هى تنفر) بكسر الفاء وضمها اى تجد فى الهرب من مصر الى تلك الحضرات العلية (ما) مصدرية ظرفية (لاح) اى ظهر من أرض مصر (بناء لعينها أو خلاء) اى فضاء ولا ينافى هذا قوله بالوف البطحاء لانها تألفها لقطعها حتى تصل الى مطلوبها فعند توجهها اليه تجد فى السير وتنفر الى جهة مقصدها سواء لاح لها فى غير تلك

(قوله وبه يندفع ما للشارح) عبارته والافلاء والفلوات جمع فلاة وهى المفازة ونطق به المصنف على أفعال جمعا للقلة كاجبال وكانه اطلع على ذلك ويقال افلا القوم اذا صاروا الى الفلاة فيجوز ان يكون الافلاء فى كلام المصنف بكسر الهمزة لا فتحها مصدر افلاء بمعنى صار الى الفلاة اى ليطوى الافلاء الذى هو المسير الى فلاة بعد أخرى ما بيننا من بعد المسافة وهذا أحسن (قوله وجوز الشارح فيه الخ) ان روى يطوى بالياء المثناة تحت تأمل (قوله يجفلها) بالجيم قال فى المختار جفل أسرع وبابه جلس والجافل المنزعج واجفل القوم هربوا مسرعين اه واما الحفل بالحاء المهملة فالجمع من الناس وهو فى الاصل مصدر حفل من باب ضرب كما فى المختار فليس فيه احفل بالهمز اه وظاهره ان اجفل لازم كجفل حيث قال واجفل القوم الخ ويخالف ما فى النظم من تعديته وفى القاموس ما يفيد انه يستعمل لازما ومتعديا (قوله الاظماء) مصدر اظمأه عطشه عطشا شديدا (قوله المصطفوية) هكذا فى عبارة غير من المؤلفين وهو خلاف الصواب لان الالف المجاوزة لاربعة أحرف تحذف عند النسب كما فى الخلاصة وشرحها قال فيها

والالف الجائز اربعا ازل

ولم أره ولا بقلبها واوا فالصواب مصطفية تأمل (قوله مصدرية ظرفية) اى مدة ظهور (قوله ولا ينافى هذا) انما تتوهم المنافاة اذا أريد بالبطحاء الامكنة المتسعة وقد ذكر سابقا ان المراد بها مكة فالفها امكة لا ينافى نفرتها من الفضاء الحالة ويجاب بان الفها المكة يقتضى ان تألف الفضاء الموجب الفه قطعه للوصول اليها وحاصل دفع التنافى الذى أشار اليه ان الفضاء الذى تنفر منه ليس هو الفضاء الذى فى مقصدها بل الذى قطعته مخافة ان تعاد اليه قبل نيل مرادها

الحالة بناء أو فضاء وفسر الشارح الخلاء بالحشيش الرطب ويوجه بنظير ماذكرته انها تجد
فى السير الى جهة مطلبها وان ظهر لها فى غيرها قوتها الذى هو الحشيش الرطب وهذا فيه
من زيادة المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه ولكن يبعده مقابلته بالبناء بخلاف ماذكرته وقوله
أو المراد به ما بين ابنية مصر وهو أقرب اهـ وهو فى غاية البعد كما لا يخفى (فافضت) من
الفيض وهو الماء العذب أو السائل (على مباركها بركتها) هو أول محل يلى طريق
الحجاز يجتمع الحجاج فيه لتأهب سفرهم ولذلك كان مجمعا عظيما يجلب اليه كل
ما يحتاجه الحجاج سميت بذلك لان ماء النيل يأتى اليها فيمكث فيها زمنا طويلا وكانت فضاء
صرفا فعمر فيها القطب الربانى البرهان المتبولى من نحو سبعين سنة جامعا وجعل فيه
مجاورين يقرؤن القرآن فعادت بركته عليهم حتى ذكر بعض صالحيهم ممن أدركناه يوما
بالجامع الازهر انه اشتهى زيارة أمه بالعجم وهو ثم فاستأذن الشيخ فى السفر لذلك فلم يأذن
له ودخل الى خلوته والناس يقرؤن القرآن على بابها فرأى نفسه ببلده عند أمه فسلم
عليها وأقام عندها أربعة أشهر يعدها بالايام والليالى ثم اشتاق للشيخ فرأى نفسه
فى خلوته فخرج فرأى القراء قد قرؤا فى تلك المدة نحو ربع القرآن وهذا من بعض
كرامات الاولياء ان الله تعالى يطوى لهم الارض ويفسح لهم فى الزمن ووقع لهم من
نظائر ذلك ما لا يحصى وانكار اتساع الزمن القليل دون طى الامكنة تحكم لان كليهما
من حيز الكرامة فاذا جاز أحدهما جاز الآخر فتأمله ثم بنى الشيخ ثم الناس حول ذلك
الجامع ابنية وبساتين لا تزال تتسع ببركته حتى صارت الآن قرية كبيرة اى فافاضت
البركة على مباركها تلك الناقة من الماء العذب ما ارواها وارواكبها ومن معه (ف) بعد
البركة منازل للحجاج فى هذه الطريق أكثرها مشهور لغالب الحجاج فلا حاجة بنا الى مزيد
بيانها هى (البويب) واغاحات النظم على هذا الايهام ان أفضت عام فى الكل وهو
غير مراد ان أراد به ماذكرناه فان أراد به انه من الفضاء اى فاتسعت على مباركها الناقة
بركتها المزيد سعتها اصح عطف ما بعده عليه من غير حاجة الى التأويل الذى ذكرته وعجيب
من الشارح حيث حمله على المعنى الاول ولم ينبه على عطف ما بعده عليه الذى لا يصح الا
برعاية ماذكرته لان تلك المنازل أكثرها قفر معطش لا ماء فيه أصلا (فالخضراء)
وهى قريبة من المحل المسمى الآن بعجرود وفيه بئر ماء مر سهل وبجانبها بركة ماء تملا
من بيت المال يعم احتياج الحجاج اليها وكان ذلك من أصله حدث بعد الناظم وانما قلت
من أصله لان بركته معلومة الحدوث فى أوائل هذا القرن (فالقباب التى تليها) اى
المنازل السابقة اى الوادى المسمى بوادى القباب اى زير الرمل المشبهة لارتفاعها
وبياضها بالقباب البيض الحسية (فبئر النخل) وبجانبها بركة تملا من بيت المال أيضا
وماؤها أحسن من الذى قبله بكثير ولذا قال (والركب قائلون) عندها اى مستريحون
وقت القيلولة (رواء) من الماء بكسر أوله جمع ريان أو رياء (وغدت ايلة) اى عقبتها

(قوله وفسر الشارح الخلاء الخ)
وعبارة الناظم للضرورة وعبارة
الشارح والخلاء مقصور والحشيش
الرطب الواحدة خلاة وكانها
انما تذكر الخلاء اذ كور حالة
كونه مزروعا لكونها اعتادت
أن لا تأكل الخلاء الا فى الخلاة
لاجل دوام السير كانها الا انها
الفلاة تذكر البناء ويجوز ان
يكون المراد بالخلاء ما بين الابنية
مما لا بناء فيه من أرض مصر
وهذا أقرب (قوله فافضت)
بالفاء (قوله ايلة) بفتح الهمزة
وسكون الياء وفتح اللام قال أبو
عبيد هى مدينة على شاطئ
البحر فى منتصف ما بين مصر
ومكة وقال البكرى سميت بأيلة
بنت مدين بن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وروى ان ايلة هى
القرية التى كانت حاضرة البحر

(وحقل) محل بعدها قريب منها تسميه العامة مدورحقن (وقر) ليس هذا الاسم
مشهورا عند الناس اليوم (خلفها) اى الناقة لكونها جاوزته (فالفازة) المنسوبة
الى شعيب النبى صلى الله عليه وسلم (الفيحاء) اى الواسعة (فعيون الاقصاب) سميت بذلك
لكثرة ما فيها من القصب الفارسى (يتبعها النبك) هذا أيضا ليس بمشهور وفى القاموس
النبك بالنون فالموحدة بلد بين حمص ودمشق (ويتلو) النبك (كفافة) وبها قبر ولى
يسمى مرزوقا الكفافى مشهور البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح وللحجاج
فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد (العوجاء) اى المنحرفة عن جادة الطريق وجعل
الشارح كفافة مفعول يتلو والعوجاء فاعله فعليه هما محلان متغايران وفيه نظر لانه
ليس ثم محل يعرف بالعوجاء أصلا فالاوفق للخارج ما ذكرته (حاورتها) اى حاورت
الناقة (الحوراء) فيما هى بصدده (شوقا) منها لما الناقة مشتاقة له وسائرة اليه واثبات
الشوق للجمادات غير منكر لقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا
مانع لحمله على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مرادا لم يقل ولكن لا تفقهون الخ أحد
جبل يحبنا ونحبه (فينبوع) حاورتها أيضا وهى بلدة معروفة من جملة الحجاز الذى
هو مكة والمدينة واليمامة وقراها فقد ذكروا ان ينبوع هذه من جملة قرى المدينة
(فـ) بسبب محاورتهما لها (رق الينبوع والحوراء) المذكوران منها لسماعهما ما يتعلق
بالزيارة ومشاهدتهما الزائرين (لاح) اى ظهر (بالدهنوين) اى فيهما تثنية دهنا اما
لكونه غلب اسمها وهو الدهنا محل قبيل بدر على مجاورها أو ان ثم محلين كل يسمى
بالدهنا (بدر) وهى الآن قرية عامرة بها عين كبيرة ونخيل ومحل الواقعة المشهورة
التى أعز الله بها الاسلام مشهور يزار ويتبرك بمن دفن به من الشهداء وغيرهم وفى بدر
تورية مرشحة بلاح المناسب للمعنى الغير المراد وبقربه آية باقية من آياته صلى الله عليه
وسلم وهى سماع صوت هائل كصوت طبل الحرب فى الجو واشتهر على الالسنة ان هذا
لاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح بها وقد أنكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما هو
أصوات الريح تسمع فى ذلك الوادى عند قوة هبوبها لان فى أوله جبلين عظيمين من الرمل
فاذا مشى الانسان بينهما وقوى عصف الريح سمع ذلك الصوت وقال آخرون من أئمة
المتأخرين بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل وأقمنا به حتى سمعناه والجو ساكن لا ريح
به البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة اه وأقول وقع لى أيضا سماعه مرات متعددة
فى سفرات متعددة حيث لا ريح ولا حركة دواب ولا مشاة ثم ولقد كنت فى بعضها مرافقا
لجمع جم من وجوه مكة ورؤسائها وعلمائها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم
فى ذلك فمنهم من أنكره ومنهم من أثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والرقى
الى أعلى أحد الجبلين ليحاط بسبب ذلك الصوت فذهبنا وأقمنا عليه نحو ربع النهار

ونحن

ونحن لانسمع شيأ وقد هدأ الريح ولا أحد ثم غيرنا وليس لاحد منا حركة ففى آخر الامر سمعنا ذلك الصوت الهائل مرة واحدة فقط فانصرفنا ومن المنكرين من رجع ومنهم من أصر على انكاره ولقد جاءنا فقيه ساكن يؤذن ويؤم فى مسجد البلد فقال خلاف انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من أول الليل الى آخره وفى غيرهما لايسمعونه الا أحيانا فالله أعلم بحقيقة ذلك (لها) اى للناقة (بعد) وفى نسخة قبل مالاح لها أرض (حنين) يقال انه جبل صغير قريب بدر فالظاهر ان الناظم اعتمد فى هذا على ماهو مشهور فى السنة العامة اذ لم يذكر فى القاموس غير حنين المذكور فى الآية الذى هو عين بين مكة والطائف وظاهر قول الشارح ان نسخة قبل أوضح لان حنينا بعد بدر اى لما ذكره الناظم مستندا لكن لايكفى هذا مع كون القاموس الجامع المستوعب لم يذكره الا كما مر (وحنت) تلك الناقة وماهى فيه (الصفراء) قرية معروفة منحرفة عن طريق أهل مصر لايمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة (ونضت) اى خلعت (بزوة) اى خبتها المشهور واسناد ذلك اليه والى مابعده مجازى (فرابغ فالجحفة) محل بعد رابغ كان بلدة مشهورة لليهود فدعا صلى الله عليه وسلم ربه أن ينقل حمى المدينة اليها فكان لايمر بها أحد حتى الطائر الا حم وكان ميقات الحجاج المتوجهين من تلك الطريق كما صح به الخبر (عنها) اى عن تلك الناقة لما أنها استبشرت بقطعها تلك الاماكن (ما) اى ثوب التعب الذى (حاكه) اى نسجه (الانضاء) اى الهزال شبه الهزال بحائك الثوب والثوب بأثر الهزال من حيث ان الهزال يوجب للبدن من التعب مايعمه ويسترلونه كما يستر الثوب البدن ثم خيل له باثبات ماهو من لوازم المشبه به وهو الحياكة ورشح له بذكر الخلع فهو استعارة بالكناية يتبعها استعارة تخييلية وترشيحية (وأرتها) اى أبصرت تلك الناقة (الخلاص) من التعب (بئر) فاعل (علي) وهو آخر النبت الذى بعد رابغ الى مكة (فعقاب السويق) بعدها بقليل (فالخلصاء) اى المحل المشهور الآن بخليص فيه عين واسعة وبركة كبيرة (فهى) اى تلك الناقة (من ماء بئر عسفان) المشهورة (أو) من ماء عيون (بطن مر ظمآنة) اى عطشانة (خمصاء) اى جوعانة لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا الى نحو عسفان اشتد شوقهم فاشتغلوا عن سقى دوابهم واطعامها الى أن يدخلوا مكة (قرب الزاهر) المشهور قبيل ذى طوى (المساجد) المعروفة بمساجد عائشة وبالتنعيم (منها) اى الناقة اى ان وصولها للمساجد جعل الزاهر قريبا منها لان المسافة بينهما نحو ميلين (بخطاها) اى بسبب شدة جريها لما أحست بالوصول (فالبطء) الحاصل (منها وحاء) بالمهملة قبلها واو مفتوحة اى سرعة وكان مراده أنها لما أحست بالوصول انقلب بطؤها سرعة بمعنى أن بطأها زال وخلفته سرعة شديدة (هذه) المذكورات (عدة) غالب (المنازل) بين مصر ومكة التى عليها المعول لان بها تعلم طريق الوصول الى تلك المعاهد ويتضح سلوك الوافد وينشط ببيانها القاصد (لاما) اى منازل القمر الثمانية والعشرون التى (عد

(قوله اى خبتها المشهور) الخبت المتسع من بطون الارض وخبت الجيش ويجوز ان يضاف صحراء بين الحرمين اه قاموس (قوله والثوب بأثر الهزال) الظاهر تشبيه ماغشى الناقة من أثر الهزال الذى هو التعب واسترخاء الاعضاء بالثوب على طريق الاستعارة المصرحة بجامع الشمول لان شمول الثوب للبدن حسى فالمناسبة كونه مشبها به على حد ماذكره فى قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف فتدبر (قوله فالخلصاء) بسكون اللام (قوله الزاهر) مفعول مقدم والمساجد فاعل مؤخر (قوله غالب المنازل) الذى ذكره منها ثمانية وعشرون على عدد منازل القمر

فيه) ذكره نظرا للنظم (السماك) الاعزل الذى هو من منازل القمر ولهم سماك آخر يسمى السماك الرامح لكنه ليس من المنازل (والعوّاء) منزلة من منازل القمر وهى خمسة انجم فلا يعتد بهذه كالاعتداد بتلك (فكانى بها) اى على تلك الناقة (ارحل من مكة) الى عرفة لان الحج عرفة كما صح به الخبر ولانها باب الملك الذى يقف به السائلون ويلوذ به المحتاجون ثم الى مزدلفة للمبيت بها لانه اما نسك واجب أو مندوب او ركن كالوقوف أقوال اصحها عندنا الاول ولان فيها مقام الجمع الاكبر ومن ثم سميت جمعا وفى حديث فى سنده ضعف أنه صلى الله عليه وسلم دعا ربه فى عرفة أن يكفر عن امته بالحج حتى التبعات فلم يستجب له فدعا بذلك فى مزدلفة فاستجاب له ثم الى منى للرمى والمبيت بها ثم الى بقية المشاعر التى حول مكة وبها (شمسا) اى حال كون تلك الناقة كالشمس فى ارتفاعها لرفعة ماهى قاصدته وقوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق فتشبيهها بالشمس استعارة بالكناية واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحيل والبيداء تجريد لملاءمتهما للمشبه الذى هو الناقة (سماؤها) اى تلك الناقة المشبهة بالشمس كما تقرر (البيداء) اى المفازة الواسعة تشبيه بليغ شبه الناقة بالشمس لما مر وشبه البيداء التى هى محل سيرها بالسماء التى هى محل سير الشمس بجامع السعة ولما ذكر مكة استطرد لذكر ما شرفها الله به على سائر البلاد فقال (موضع البيت) اى الكعبة بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر هى محذوف وعليه فمعنى كونها موضعه انه فى بعضها وفيه اقتباس من قوله تعالى ان أول بيت الآية (مهبط الوحى) نعت او بدل بعد بدل او معطوف بحذف العاطف على ما فيه من الضعف والشذوذ وكذا يقال فيما بعده اى محل نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحى لغة الاشارة وكل كلام خفى وشرعا ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم المبعوث عن ربه على لسان الملك او بالالهام او فى النوم او الالقاء فى الروع (مأوى) من أوى فلان الى منزله (الرسل) الكرام بل وسائر الانبياء ومر تعريف النبى والرسول اول الكتاب لانه ما من نبى الا حج البيت كما فى حديث واستثناء صالح وهود لاشتغالهما بأمر قومهما لم يصح (حيث) ظرف مكان فهو كالذى بعده بدل مما قبله (الانوار) الالهية متنزلة ثم وقدرت هذا لان الاصح منع اضافة حيث الى المفرد اى تنزلها دائما على قلوب الطائفين والعاكفين والركع السجود (حيث البهاء) اى الحسن المعنوى المكنى به عن حصول ملايم النفس من الحكم والمعارف الفاضة على

(قوله على تلك الناقة) فالباء فى بها بمعنى على (قوله ارحل) جعل الشارح شمسا حالا يقتضى بناءه للمفعول ويصح بناؤه للفاعل ان لم تثبت الرواية بالاول وفاعله ضمير المتكلم وشمسا مفعوله ويفهم كونه راحلا مثلها بكونه عليها (قوله ومن ثم سميت جمعا) وقال فى النهاية سميت جمعا لاجتماع آدم وحواء بها اه قال الشامى فى سيرته جمع بفتح أوله واسكان ثانيه اسم المزدلفة سميت بذلك للجمع بين صلاتى المغرب والعشاء فيها قاله البكرى (قوله فلم يستجب له) اى لم يعجل باستجابته أو لم يخبرهم (قوله وقوة سيرها) فى القسطلانى على البخارى انه جاء فى حديث انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل هل زالت الشمس قال لا نعم فقال ما معنى لا نعم قال يارسول الله قطعت الشمس من فلكها بين قولى لا نعم مسيرة خمسمائة عام اى بين قولى لا وبين قولى نعم (قوله استعارة بالكناية) الظاهر أنه تشبيه بليغ للجمع بين الطرفين فان ادعى انفصال الشمس عن ضمير الناقة فلا يجمع نظر فى قوله بالكناية لان المذكور هو المشبه به والاستعارة بالكناية أن يذكر المشبه وقوله واثبات الشمس الخ ظاهر الفساد لان التخييلية أن يثبت لازم المشبه به لا نفس المشبه به تأمل (قوله اى تلك الناقة) أو تلك الشمس المشبه بها الناقة تأمل (قوله بدل بعض من كل) غير ظاهر لان الموضع نفس مكة لا بعضها فكان الظاهر بدل كل من كل وكذا يقال فى مهبط الوحى ويجاب بانه أراد بموضع البيت الجزء من أرض اهل المسجد الذى فيه البيت بقرينة قوله فمعنى كونها الخ وبالمهبط الجزء من مكة الذى وقع فيه الايحاء وعليه فيصح كونه بدل بعض ويحتاج لتقدير ضمير عائد لمكة فيهما حينئذ اى منها الشرطه فى بدل البعض (قوله مهبط الوحى) اى غالبا والا فقد هبط عليه للوحى فى غيرها أيضا

اهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد الربانية حقق الله لنا ذلك فيها بمنه وكرمه آمين وراعى الناظم بذكر الوحى والرسل والانوار والبهاء وكذا الطواف ومابعده فيما يأتى (حيث فرض الطواف) فى حج او عمرة واما خارجهما فهو حيث لم ينذر سنة مؤكدة ورد فيه فضائل جمة تحمل من احاط بها على مزيد الاكثار منه بل قال بعض ائمتنا انه للغرباء افضل من الصلاة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد فى غيره واختلفوا فى أيما افضل اركان الحج هو او الوقوف بعرفة فقال جمع هو لانه ملحق بالصلاة فيشترط فيه شروطها بخلاف الوقوف فانه امر عادى لا يشترط فيه شروط ولذا لم يقبل الصرف وقال آخرون بل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفة اى معظمه ذلك لان من ادركها أدركه بخلاف الطواف ولانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضاء المآرب كما فى الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان وهذا أصح كما حررناه فى كتبنا الفقهية (و) حيث (السعى) اى فرضه فى احدهما ايضا بناء على أنه ركن لا واجب كما هو مذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه (و) حيث (الحلق) او التقصير فى احدهما ايضا اى فرضه بناء على الاصح عندنا أنه ركن (و) حيث (رمى الجمار) اى ايجابه لا على جهة الركنية (و) حيث (الاهداء) اى سوق الهدى الى مكة ثم ذبحه بها وتفرقته على ثلاثة من مساكينها المقيمين والغرباء والاولون اولى الا أن يكون الغرباء احوج والمراد بمكة كل الحرم وهذا محله ان نذر ذلك لان المعروف من مذهبنا الذى هو مذهب الناظم أن اصل الاهداء سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يرسله اليها من المدينة وهو مقيم بها الا واجب وهذه السنة كانت فى زمن السلف من مشاهير السنن ثم تناساها الناس وأعرضوا عنها بالكلية ويصح أن يراد بالاهداء كل دم وجب فى النسك او توابعه أثم بسببه كالحلق تعديا ام لا كالتمتع وموضع تفاصيل ذلك كله كتب الفقه والمناسك وذكره الفرض فى الطواف فقط موهم أنه فرض دائما فلا يتنفل به وان مابعده ليس بفرض مع أن منه ما هو ركن ولا يتصور ندبه ولا وجوبه فى النسك وهو السعى والحلق وما هو واجب لا ركن وهو الرمى وما هو واجب تارة وهو ما حصل لترفه أو جناية ومندوب اخرى وهو ما فعل تطوعا اى من غير سبب وكأن الناظم وكل امر هذا التفصيل للشهرة أو انه ليس بصدد بيان ذلك (حبذا حبذا) تأكيد لفظى وهو سائغ هنا ومر أول الكتاب الكلام على حبذا بما ينبغى مراجعته (معاهد) جمع معهد وهو فى الاصل المنزل الذى يعود اليه مفارقوه دائما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها فهو عائد اليها بالفعل تارة وبالعزم اخرى (منها) اى مكة وامتازت على بقيتها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة والصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من المواضع المأثورة بها او بالحرم كمنى ومزدلفة بل وخارجه كعرفة (لم يغير آياتهن) اى علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم لاماكنهن وازدحامهم على التبرك بزيارتهن

(قوله من أوى فلان) قال فى المختار أوى الى منزله يأوى كرمى يرمى أويا على فعول اى نزل به وآواه غيره ايواء أنزله به (قوله وهذا أصح) فى شرح م ر على المنهاج نقلا عن ابن عبد السلام فى فصل فيما يختص به الطواف خلافه وعبارته والطواف افضل أركان الحج حتى الوقوف وهو المعتمد وان نظر فيه الزركشى بأن أفضلها الوقوف لخبر الحج عرفة ولهذا لا يفوت الحج الا بفواته ولم يرد غفران فى شئ كما ورد فى الوقوف فالصواب القطع بأنه أفضل الاركان فقد صرح الاصحاب بأن الطواف قربة فى نفسه وجعله الشارع بمنزلة الصلاة التى هى أعظم عبادات البدن بعد الايمان بخلاف الوقوف وقد يقال ان الطواف افضل من حيث ذاته لانه مشبه بالصلاة وقربة مستقلة والوقوف افضل من حيث كونه ركنا للحج لفواته به وتوقف صحته عليه واختصاصه به ويحمل كلام ابن عبد السلام على الاول والزركشى على الثانى انتهت عبارته (قوله وهذا محله الخ) انما يظهر لو ذكر وجوبه قبل بقوله مثلا وحيث الاهداء اى فرضه كما قرر فى الذى قبله تأمل

والقيام بحقوقهن (البلاء) بفتح الباء اى طول المدة الذى من شأنه أن يغير الاشياء عما هى عليه وذلك لان الله تعالى صانها من التغير لحرمتها لديه وفضلها عنده وليستمر اهذه الامة التمتع بها الى آخر الدهر (حرم) محرم بحرمة الله تعالى من يوم خلق الله السموات والارض كما فى الحديث الصحيح وحديث ان ابراهيم حرم مكة المراد به أنه أظهر حرمتها التى كانت خفيت على الناس فلا تعارض بين الحديثين وهذا بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد جنات عدن فى مريم بناء على اثبات ذلك البدل كما هو رأى قوم قالوا به ولم ينظروا لانكار الجمهور له ولا لمن منع الاستدلال بالآية نظرا الى أن أل فى الجنة للجنس فيصدق بالجمع ايضا فلا بعض محقق يبدل منه الكل أو للعهد الخارجى لانه لا خارج حتى يكون معهودا او الذهنى لان مدخول اللام حينئذ بمنزلة النكرة وهى موضوعة لفرد وكأن وجه عدم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكر من وجوه المنع أنه نظر الى أن جنات عدن علم على الجنان الثمانية الموجودة الآن والجنة حيث أطلقت انما يتبادر منها واحدة من تلك الثمانية فصح ادعاء أنه بدل كل من بعض بهذا الاعتبار واما تجويز أنه بدل كل من كل فقد نظر الى أن جنات عدن علم كما تقرر وموضوعه شخصى فيكون ابدال العلم من نكرة وذلك أقرب الى كونه بدل كل من كل فقد يجاب عنه بان هذا المدلول الشخصى أكثر فى الخارج من مدلول النكرة الذى هو الفرد المنتشر وذلك اقرب الى كونه بدل كل من بعض منه الى كونه بدل كل من كل وبهذا الذى قررته مما يكفى مثله فى اثبات ذكر الرأى المخالف لرأى الجمهور يندفع ما أطال به السيد من التشنيع على من أثبته كيف وقائله لا يبعد توجيه كلامه بنحو ماذكرته وكل ماقرب مأخذه بل أو احتمل لا تشنيع به على قائله ويجوز فيه العطف نظير مامر وانه خبر مبتدا محذوف وحدوده معروفة فى كتب الائمة وعند أهل تلك الاماكن من اكثر نواحيه (آمن) اى يؤمن فيه من شن الغارات واستباحة المحرمات بل كان الانسان يرى قاتل أبيه فيه فلا يتعرض له ولما دخله الطوفان لم تعد فيه دابة على دابة وكان رجل من قوم ابرهة فيه فلم يصبه من رمى الابابيل شئ حتى خرج منه هذا فى الجاهلية وأما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد آمن صيوده وشجره ونباته وكذا لقطته وترابه من أن يتعرض أحد اليها بقتل أو قلع أو قطع أو تملك أو نقل الا ما استثنى وهذا مقتبس من قوله تعالى حرما آمنا وفيه كبيت حرام الآتى نوع تلميح (وبيت حرام) اى ذو حرمة باهرة وعزة قاهرة وهذا اقتباس من قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس (ومقام) بفتح الميم هو مقتبس من قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم وهو الحجر الذى نزل لابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين من الجنة كما صح به الحديث ليقوم عليه عند بناء الكعبة اذا طال

(قوله بفتح الباء) ويجوز كسرها وعليه فالمد ضرورة (قوله اى طول المدة) كان الظاهر فى الحل أن يقول اى بسبب طول الخ لان البلاء يتسبب غالبا عن طول المدة لا أنه نفسه فتأمل (قوله اظهر حرمتها) وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد انشأ تحريم المدينة قال بعضهم قد يشكل هذا المقام بأن الاحكام كالحرمة اما أن تكون عبارة عن مجرد الخطاب اى الكلام النفسى او مع قيد التعلق التنجيزى فان كان الاول لزم أن يكون كل من حرمة مكة وحرمة المدينة يوم خلق السموات والارض بل قبل ذلك لان الخطاب المذكور قائم قديم وان كان الثانى لزم أن لا تتحقق منهما الا عند وجود المكلفين بشروط التكليف اذ التعلق التنجيزى لا يتحقق الا حينئذ فتأمل (قوله بدل كل من بعض) واختار السيوطى فى الاتقان وفى الهمع ثبوت هذا القسم مخالفا للجمهور فان اريد بموضع البيت جميع الحرم كان بدل كل من كل (قوله على حد جنات عدن) وعلى حد قول الشاعر

رحم الله اعظما دفنوها ... بسجستان طلحة الطلحات

حيث ابدل من اعظما طلحة وهى بعضه (قوله فصح ادعاء أنه بدل الخ) هكذا بخطه رحمه الله تعالى وهى عبارة مقلوبة وصوابه كل من بعض لانه المدعى (قوله لا تشنيع به) انظر هذا مع ما يعرض لك فى كلامه من التشنيع على الجوجرى فيما هو ظاهر الصحة فضلا عن الاحتمال (قوله من شن الغارات) يقال شن الغارة عليه وأشنها اى فرقها عليهم من كل وجه

البناء فكان يعلو به الى أن يضع الحجر فى محله ثم يقصر به الى أن يتناول الحجر من اسمعيل صلى الله عليه وسلم وفيه أثر قدميه الكريمتين وهو الذى نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة أيها الناس ان الله تعالى بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف فى الاصلاب والاجنة فى الارحام فأجابوه بلبيك وفى رواية أنه نادى بذلك على الحجون ولا تنافى لاحتمال أنه نادى مرتين قال الائمة وبقاؤه من غير أن يتعرض له أحد فى الجاهلية ومع كثرة السيول التى كانت تدخل الحرم وتزحزح ما هو أكبر منه بأضعاف مضاعفة من آيات الله تعالى الباهرة واختلفوا فى موضعه الموجود فيه اليوم هل هو الذى كان به فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم أولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر رضى الله تعالى عنه الى موضعه اليوم اجتهادا منه قولان أصحهما الاول ومن الغرائب ما قيل المراد الحجر الذى وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت هاجر ايزور اسمعيل فرآه غائبا فسأل عن حاله زوجته فشكت فقال مرى زوجك أن يغير عتبة بابه فجاء فأخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج أخرى فوجده غائبا فسألها عن حالهم فأثنت ثم أمرته بالنزول لتطعمه فأبى فوضعت له حجرا ليغتسل عليه فوضع قدميه عليه وأمالت له رأسه فغاصت قدمه فيه ثم حولته فغاصت الاخرى فيه ثم قال لها مرى زوجك فليلزم عتبة بابه (فيه) اى البيت أو الحرم ولا يصح عوده للمقام لنظير ومن دخله كان آمنا (المقام) بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اى الاقامة (ثلاثا) بفتح الفوقية اى بجوار محل تنزل الرحمات واقالة العثرات وكأنه أخذ هذا من أن أهل مكة يسمون جيران الله اى بيته وحرمه والعجب من الشارح حيث لم يبين معنى هذه اللفظة مع خفائها واشتراكها بين معان كما فى القاموس لا يناسب منها هنا الا هذا وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق كهو أو شبهه بين مقام والمقام وما يأتى من قضينا والقضاء ورمينا ورمى وتنشر ونشر وشممت وشممت وقباب وقباء ورحضتها والرحضاء وحططنا ويحط وقرأنا والاقراء وسمعنا ويسمع وذهلنا وأذهل (فقضينا) اى أدينا اذ القضاء يطلق على الاداء لغة كما فى قضيت الدين (بها) اى بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة ومنى (مناسك) جمع منسك من النسك وهو العبادة اى أركان الحج والعمرة وواجباتهما وسننهما (لا يحمد الا فى فعلهن القضاء) اى لا يحمد الاداء حمدا مخصوصا فى فعل عبادة الا فى فعلهن كيف وقد تميزت بر الحج المتكفل بالجنة من غير عمل آخر وبخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته أمه وبكونه أشعث أغبر وبمنعه من مألوفاته الحسية والمعنوية وبفراقه لاهله ووطنه وبتكفير تبعاته على ما فيه من الخلاف المذكور وبكونه لا يضع قدما أو يرفعها الا كتب الله له من الثواب ما لا يحيط به الا المتفضل به وبقولى مخصوصا يندفع ما يورد على النظم أن غير الحج الافضل منه والمساوى له والمفضول عنه يحمد فاعله أيضا *(تنبيه)* ما قررت به قوله فقضينا والقضاء

---

(قوله وفيه اثر قدميه) اى الخليل الكريمتين تقدم عن الحافظ السيوطى أنه لم يثبت تأثير قدمى نبينا فى الحجر وهو لا ينافى ثبوت ذلك للخليل فرد (قوله أنه نادى مرتين) لم يعلم من كلام الشارح الا كون احدى المرتين على الحجون ولم يعلم منه أن الاخرى فى أى محل وانما يظهر لو قال الشارح عليه بعد قوله وهو الذى نادى ويكون عنده ثبوت رواية نداء ابراهيم المذكور على الحجر تأمل ثم رأيت فى نسخة ذكر عليه كما ذكر ولله الحمد وفى البيضاوى أنه صعد أبا قبيس وقال يا أيها الناس الخ وقال القرطبى فى المفهم انه نادى بذلك فى عرفة وعليه فيقال فى دفع التنافى يحتمل أنه نادى مرات (قوله فشكت) اى ولم تعرف قدر الخليل (قوله فأخبرته) فقال لها انت العتبة وشبهها بها بجامع حفظ الباب وصونه وكون كل محلا للوطء العتبة بالقدم والزوجة بالجماع (قوله ثم امرته) اى قالت له يا صبيح الوجه انزل اتطعم فأبى (قوله وبتكفير تبعاته) على ما فيه من الخلاف والمعتمد تكفيرها ان مات فى حجه أو بعده وقبل تمكنه من أدائها (قوله وبقولى مخصوصا يندفع الخ) وعبارة ابن عبد الحق اى لا يحمد الاداء الا فى فعلهن لا فى تركهن فالحصر اضافى اه انظره فان المعنى عليه ان الاداء لا يحمد فى تركهن فما معنى كون الاداء فى الترك وانما يظهر لو كان التعبير لا يحمد الا فعلهن اى لا تركهن تأمل

ينـدفع ما للشارح هنـا ومن جملتـه قوله لا يفسر القضاء آخر البيت بالفعل و يتعين أنه
الفراغ أو ضد الاداء فتفسير القضاء بما ليس معناه لغـة ولا شرعا و بما لا يتصور فى الحج وهو
قوله او ضد الاداء على أن استعمال القضاء بمعنى الاداء أشهر من الشمس لغة وشرعا وقد
حقق بعض المتأخرين أن القضاء لا يتصور فى الحج لانه ما فعل خارج وقته والحج وقتـه
العمر وتضيقه بخوف نحو عضب أو موت لا يقتضى أنه لو بان الامر على خـلاف ظنه
يكون قضاء فيما بعد ذلك الوقت الا على الوجـه الضعيف فى نظيره فى صـلاة تضـيق عليه
فعلها فى الوقت ثم بان خلاف ما ظنه أنها تصير قضاء وان فعلت فى الوقت وليس كذلك بل
المعتمد خـلافا لكثيرين أنها أداء كما اتفق عليـه الاصوليون أن القضاء ما يفعل خارج
الوقت المقدر له شرعا *(تنبيه)* ثان لا يتوهم أن ما وقع فى النظم من تقديم المسـتثنى
المختلف فيه لان محل ما قاله الجمهور من منع تقديمه انما هو اذا كان اول الكلام نحو الا
زيدا قام القوم وجوزه الكوفيون فان تقدم على المستثنى منه وعامله فقط ففيه مذاهب
والذى عليه الاخفش وصححـه ابو حيان جوازه ان كان العامل متصرفا فقط نحو
*ألا كل شئ ما خلا الله باطل* فالاستثناء من ضمير باطل العامل فى ذلك الضمير وما هنـا
لا تقدم فيه على مسـتثنى منه لانه مقدر كما قدرته ولا على عامله وانما هو على حـد
*اذا لم يكن الا النبيون شافع* وحكى سيبويه مالى الا ابوك احد قال فيجعلون احدا بدلا
وابوك مبدل منه قال ابن عصفور ولا يقاس على هـذه اللغة وقد قاسـه الكوفيون
والبغداديون وابن مالك وعليه فلا اعتراض على المتن (ورمينا بها) اى الناقة (الفجاج)
جمع فج وهو الطريق اى ألقيناها فيها السير بنا (لى طيبة) هى المدينة على مشرفها أفضل
الصلاة وأزكى السـلام سميت بذلك لان الله تعالى طيبها لرسوله صلى الله عليه وسلم فجعلها
دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته ولها اسماء كثيرة جدا (والسير بالمطايا) جمع مطية
وهى الدابة تمطو اى تجد فى سيرها (رماء) مصدر رامية اى يشـبه سير السهم اذا رمى به
(ذ) بسبب أن سيرها يشـبه سير السهم أشبهت القوس وحينئذ (أصبنا عن قوسها غرض
القرب) اى المدينة المشبهة بالغرض فى كونه المقصود بالرمى أو السير فتشبيه الناقة بالسهم
استعارة بالكناية واثبات الرمى استعارة تخييلية وذكر القوس والغرض ترشيح ويصح
كونها اشبهت بالقوس فهى استعارة بالكناية ايضا واثبات القوس لها تخييل وذكر السهم

(قوله ينـدفع ما للشارح هنا) عبارته فقضينا اى فعلنا فان القضاء يطلق على الفعل وعلى الفراغ من الشئ و يصح هنا اى فرغنا
تلك المناسك وهى جمع منسك والنسك العبادة والمراد الافعال المتقدمة وما يعتبر معها من وقوف عرفة ومزدلفـة ومبيت منى
والقضاء آخر البيت بمعنى الفراغ ولا يصح أن يكون بمعنى الفعل و يصح فيه أن يراد به القضاء الشرعى الذى هو ضد الاداء فان
الاداء الشرعى ما فعل خارج وقته والحصر على الاول والثانى قد يشكل وقد يقال فى جوابه دفعا للاشكال على المعنى
الاول أنه لا يحمد فراغ العبادة
مع بقاء وقتها الا فى الحج فان تأخر
الطواف والسعى الى بعـد أيام
التشريق وان صح مفضول
بالنسـبة الى فعله قبل وان كان
الوقت باقيا بخلاف الصلاة مثلا
فانه ما دام وقتها الاسـتمرار فيها
افضل من فراغها و يكفى فى دفع
الاشكال أن يصح الحصر ولو فى
صورة اهـ وما بين به الشارح
ابن حجر كلام الناظم هو الظاهـر
واعـتراضـه على الجوهرى فى
تفسير القضاء بضد الاداء فى محله
ثم اعتراضه تفسيره بمعنى الفراغ
يمكن دفعه باستعماله القضاء لغة
بمعنى الفراغ ومنـه قضى الامر
(قوله الفجاج) بكسر الفاء وضمها
(قوله طيبها لرسوله) اى وطيبها
بنوافح أسراره (قوله رماء) هو
بكسر الراء و يقال فى مصـدره
مراماة أيضا كقاتل قتالا ومقاتلة
والمراد هنا أصل الفعل اى الرمى
(قوله اى يشبه الخ) أشار الى
استعارة بالكناية بتشبيه سير الناقة
بسير السهم بجامع قطع المسافة
باصابة الغرض واثبات الرماء
استعارة تخييلية (قوله أشبهت القوس) اى لتقوسها وتعوجها عند اتعاب نفسها فى السير الفوز والاصابة
بمقصدها الاسنى وسيأتى فى الشرح تشبيهها بالسهم اى بجامع قطع المسافة لاصابة الغرض فللتشبيه جهتان فمن جهة تقوسها
لشدة سيرها تشبه بالقوس وقطعها المسافة لذلك تشبه بالسهم (قوله فهى استعارة الخ) فيه نظر لان الضمير هو المعبر به عن الناقة
فالطرفان مذكوران فلا استعارة وانما اضافة القوس الى ضمير الناقة من اضافة المشبه به للمشبه وانظر قوله واثبات =

والاصابة والغرض ترشيح (ونعم الحبيئة) اى الذخيرة الناقة (الكوماء) هى المخصوص
بالمدح وهو خبر لمبتدا محذوف أو عكسه فقول الشارح انه صفة الحبيئة ليس فى محله وهى
عنى الكوماء العظيمة السنام (فرأينا) اى أبصرنا المدينة وماحولها التى شرفها الله
تعالى بأن جعلها (أرض الحبيب) اى حبيب رب العالمين فتميز به صلى الله عليه وسلم بمقام
المحبة الذى هو أجل وأعلى من مقام الخلة لان المحبة الكاملة تستدعى الخلة وزيادة اى
أرض المدينة وماحواليها (يغض) اى يخفض (الطرف) مفعول (منها) اى من أجل
الجلالة التى حفتها (الضياء) المشرق عليها حسا ومعنى (والاً لاء) اى البرق اللامع على
صفحاتها المشار به الى مواهب الحق المفاضة على الزائرين وفى الضياء والاً لاء مراعاة
النظير (فكان) بالتشديد وقد تخفف نحو كأن لم يدعنا الى ضر مسه للتشبيه المؤكد لان
الاكثر أنه مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة والاصل فى نحو كأن زيدا أسد ان
زيدا كأسد قدم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت ان لدخول الجار عليها قال بعضهم وانما
تستعمل حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائى يشك فى أن المشبه هو المشبه به أو غيره ولذلك
قالت بلقيس كأنه هو قيل وترد للظن والشك فيما اذا كان خبرها غير جامد (البيداء)
من تلك الارض وهى اسم لمحل قريب من ذى الحليفة المشهور اليوم بابيار على (من)
للتعليل أو ابتداء الغاية وكل منهما خفى فالاحسن أنها زائدة على مذهب الاخفش
وجماعة (حيثما) ما زائدة (قابلت العين) الناظرة اليها (روضة غناء) اى كثيرة العشب
والنبات والازهار والثمار (وكأن البقاع) اى الاماكن التى حول المدينة المنورة
لكثرة مايغشاها من الانوار والاضواء المنزلة على ضريحه المكرم صلى الله عليه وسلم
(زرت عليها) اى البقاع (طرفيها) عائد لقوله (ملاءة) بضم أوله وهى ثوب عريض
او ثوبان ملفوفان كذا قيل وعبارة شرحى لشمائل الترمذى الملاءة بالضم والمد وهى كما فى
القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخيط بل كله نسج واحد وفى النهاية هى الازار
وفى الصحاح هى الملحفة ولاتنافى لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين انتهت وبها
يعلم أن الثوبين الملفوفين ملاءتان لاملاءة واحدة (حمراء) شبه تلك الانوار والاضواء
التى غشيت تلك البقاع وعمتها من سائر جوانبها بخيمة حمراء شدت على مافيها ازرارها فى
عراها من سائر جوانبها (وكأن الارجاء) اى نواحى المدينة الغراء (تنشر) اى تذيع
(نشر) اى ريح (المسك فيها) اى تلك الارجاء (الجنوب) وهى الريح التى تقابل الشمال
(والجربياء) بكسر الجيم ككيمياء وهى كما فى القاموس الشمال أو بردها أو الريح بين
الجنوب والصبا وهى التى تثير السحاب وهى المرادة هنا (فاذا شمت) بكسر الشين المعجمة
اى نظرت الى سحائب البرق أين تمطر فى تلك البقاع (أو شممت) فى القاموس شممته
بالكسر أشمه بالفتح وشممته أشمه بالضم (رباها) جمع ربوة بتثليث الراء وهى
ماارتفع من الارض (لاح) اى ظهر وهو راجع لشمت (منها) اى تلك البقاع (برق)

= القوس الخ كمن يجعله
مشبها به ويجعل اثباته تخييلا
اذ التخييل اثبات لازم المشبه به
لا اثبات المشبه به للمشبه وقد
سلف له نحو ذلك فى شرح قوله
شمسا تخجل من لا يسهو (قوله
او عكسه) أو مبتدا خبره الجملة
قبله (قوله اذا كان خبرها غير
جامد) انظر هل هذا القيد أغلبى
او دائمى فان كان الثانى أشكل
لان الخبر فى كل من الآية والنظم
جامد حرر (قوله على التعريف
الاول) هو قوله ثوب عريض
أو ثوبان الخ والثانى مانقله عن
القاموس (قوله وبها) اى عبارة
شرحه للشمايل تعلم أن الخ اى
الى مانقل عن القاموس من قوله
كل ثوب لم يضم الخ (قوله بالفتح)
اى فتح عين المضارع فى الاصل
لانه من باب علم واصله أشممه نقلت
فتحة العين الى الشين ثم أدغمت
الميم فى مثلها (قوله بالضم) اى
من باب نصر

راجع للاوّل (وفاح) راجع لشممت ففيه لف ونشر مرتب (كبا) بوزن كساء عود البخور أو ضرب منه اى ريحه من كبي بالتشديد ثوبه اى بخره وبين لاح وفاح جناس مضارع (اى نور) اى نور باهر (واى نور) بفتح اوله اى زهر نضير وبينهما الجناس المحرف ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي (شهدنا) هما اى رأيناهما بابصارنا وبصائرنا (يوم) ظرف اشهدنا (أبدت لنا القباب) التي هنالك (قباء) محل مشهور بينه وبين المدينة نحو ثلاثة أميال (فرمنها دمعي) اى كثر وانهمل من أجل ماشاهدته حسرة على مامضى لي من فراقه أو فرحا بوصولي اليه أو خوفا من التقصير بعدم رعاية الادب في تلك الحضرة الجليلة (وفر) اى ذهب (اصطباري) لاسيما بعد أن وصلت الى هذه الربا وأنخت رحلي بقبا وبين فر وقر الجناس المصحف (فدموعي سيل) عظيم (وصبري جفاء) بضم الجيم اى زبد فكما ان السيل يذهب بذلك الزبد في أسرع وقت فكذلك دموعي تذهب بصبري فلا يبقى عندي منه شئ وهذا من جناس التذييل كقوله الآتي وكم أذهل صبا الخ وفيه لف ونشر مرتب (ف) بسبب ماذكر أن ماشوهد يوجب كثرة الدمع وفناء الصبر (ترى) اى أيها المخاطب (الركب طائرين) اى جادين في السير حاثين لدوابهم ليستخرجوا منها أقصى ما يمكنها من الاسراع (من) أجل (الشوق الى طيبة) فكيف بمشرفها عليه أفضل الصلاة والسلام (لهم ضوضاء) اى أصوات عالية بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضاء مقصورة الجلبة وأصوات الناس لغة في المهموزة انتهت وبها يعلم رد ماقاله الشارح (وكأن) عطف على فترى (الزوراء ما مست البأساء) اى شدة السفر ومشقته (منهم خلقا ولا الضراء) تأكيد لماقبله وكيف يمسهم شئ من ذلك و(كل نفس) منهم يتكرر (منها ابتهال) اى تضرع الى الله تعالى في أن يقيل عثارها ويقبل آثارها (وسول) اى توسل الى الله تعالى بأحب خلقه اليه (ودعاء) اى اطناب (ورغبة) فيما عند الله تعالى من جزيل الثواب (وابتغاء) اى طلب لما عند الله تعالى (وزفير) اى تواتر النفس وصعوده لشدة مايعتري القلب من خشية المؤاخذة لما فرط منه وتفسير الشارح له تارة باغتراق النفس للشدة وتارة بحبسه فيه قصور عن ذكر تصاعده الذي لابد منه في حده (نظن) أيها المخاطب (منه) اى من أجل كثرة ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع له صوت في الصدور ومن ثم جاء أن صدره صلى الله عليه وسلم لشدة ماعنده من الخوف كان

(قوله راجع للاوّل) الظاهر أنه يغني عنه قوله راجع لشممت (قوله اى نور) مفعول شهدنا ومعطوف عليه (قوله قباء) فيه المسجد الذي أسس على التقوى (قوله أو فرحا بوصولي اليه او خوفا) لامانع من جعل أو مانعة خلو ففي وقت دمع حسرة وفي وقت دمع فرح وفي وقت دمع خوف بحسب اختلاف التجليات على قلبه رضي الله تعالى عنه (قوله وفر اصطباري) اى على بعدي عن دخول طيبة والتملي بمشاهدة قبره الشريف (قوله الجناس المصحف) اى واللاحق الاول لاختلاف اللفظ مع كون صورة الحرفين واحدة والثاني باعتبار بعد مخرج أحد الحرفين من مخرج الآخر (قوله فدموعي سيل) اى كالسيل (قوله جفاء) اى مثل الجفاء (قوله اى زبد) قال في البيضاوي الزبد وضر الغليان ثم قال في بيان قوله تعالى فأما الزبد فيذهب جفاء بجفائه اى يرمى به السيل وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد اه فتفسير الجفاء بالزبد فيه تساهل تأمل وعبارة تفسير الجلالين فأما الزبد من السيل وماأوقد عليه من الجواهر فيذهب جفاء اى باطلا مرميا به اه ثم رأيت في القاموس التصريح بتفسير الجفاء بالزبد وعليه فلا تساهل في تفسير الشارح وعبارته وجفأ الوادي والقدر رميا بالجفاء اى الزبد ثم قال والجفاء كغراب الباطل اه المراد منه (قوله رد ماقاله الشارح) وعبارته الضوضاء أصوات الناس وجلبتهم وكأنه أبدل من الهاء آخره الهمزة اذ أصلها ضوضاة انتهت اذا كانت هذه عبارته التي وقعت لشارحنا فوجه ردها فانه اقتصر على اللغة الفصيحة التي في النظم فلا ينافى وجود لغة أخرى تأمل (قوله باغتراق النفس) قال في القاموس اغترق النفس استوعب في الزفير اه اذا علمت ذلك ظهر لك رد ماذكره المحقق من نسبة الشارح للقصور لان تفسيره باغتراق النفس المبين في القاموس باستيعاب الزفير يفيد الصعود اذ لا استيعاب للزفير اى لمعناه الا به تأمل ثم تفسيره بحبس النفس فيه قصور اذ ليس من مدلوله الصعود بخلاف تفسيره باغتراقه

يسمع له أزيز كأزيز المرجل (صدورا) مفعوله الاول طيورا (صادحات) اى مصوتات (يعتادهن زقاء) بالزاى والقاف اى صوت عال والحاصل أن ذلك الزفير من شدته ظهر له فى صدورهم صوت أشبه صوت الطيور الصادحات اللاتى يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت (وبكاء يغرى به بالعين) اى يحمله على ملازمتها (مد) اى مسيل من الدموع نشأ عن حرقة القلب لفراق المحبوب أو خشية قطيعته أو عن فرحة بلقيا الحبيب والمثول فى حضرته (ونحيب) وهو رفع الصوت بالبكاء (يحثه) اى يحضه ويزيد فيه (استعلاء) اى علو الصوت بشدة وتتابعه بالبكاء (وجسوم كأنما رحضتها) اى غسلتها ولذا سمى المغتسل مرحاضا (من عظيم المهابة) اى الجلالة التى استولت على قلوبهم لما أناخوا رحالهم بتلك الحضرة الجليلة (الرحضاء) اى العرق الكثير من اثر الحمى اى جسوم قام بها من عظيم المهابة ما أزعجها ازعاجا تولد منه كثرة عرقها حتى كأنه غسلها (ووجوه) تتلون بالالوان المختلفة لشدة ما عندهم من القلق والخوف والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له حتى (كأنما ألبستها من أجل (حياء) بالمد ومر تفسيره وأنه غريزى باعتبار أصله ومكتسب باعتبار كماله (ألوانها الحرباء) دويبة مشهورة ذات ألوان متعددة تستقبل الشمس برأسها (ودموع) من شدة البكاء والحزن على عدم القيام بواجب تلك الحضرة ومشرفها عليه أفضل الصلاة والسلام (كأنما أرسلتها من جفون سحابة وطفاء) اى مسترخية الجوانب لكثرة مائها شبه ما عندهم من الحزن الباعث لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوأة ماء ثم جرد بذكر الجفون ورشح بذكر الوطف وخيل باثبات السحابة للمشبه ففيه اربع استعارات وفى قوله كل نفس الى هنا من مراعاة النظير والانسجام البديع الذى هو سهولة الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الماء العذب الذى من شأنه الانسجام والسيلان والرقة والحلاوة ما لا يخفى على ذى ذوق عظيم بلاغته وهو له كثير من هذا النوع (ف) بعد ان وصلنا الى ذلك القبر المكرم على ما بينا تمام شرحه بقوله كل نفس الى هنا (حططنا الرحال) بفناء كرمه صلى الله عليه وسلم نستمطر سحائب القبول والانعام ونستقيل عثرات التقصير والآثام ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (حيث) أى فى مكان (يحط الوزر) أى الاثم والثقل (عنا) فيه بشفاعة مشرفه عليه أفضل الصلاة والسلام (وترفع) بحظه واسعافه وامداده عنا (الحوجاء) أى الحاجة بفناء النفوس وطلوع البدور وشروق الشموس حتى نصل الى العيان ونستغنى عن الاستدلال والبرهان وبين الحط والرفع طباق (وقرأنا السلام أكرم) أى على اكرم (خلق الله) وأفضلهم كما مرت الاشارة اليه مستوفاة أول هذا الشرح واقتدى الناظم فى هذا بالسلف فانه قد جاء افراد السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره عن ابن عمر وغيره من السلف بل قال المجد اللغوى السلام عليه صلى الله عليه

(قوله كأزيز المرجل) اى القدر من النحاس (قوله اى علو الصوت) فيه أن النحيب رفع الصوت فيصير معنى الكلام ورفع صوت يحثه رفع صوت وقد يقال ذكر الشدة والتتابع فى معنى الاستعلاء يقتضى كونه أخص من النحيب فيصير المعنى ورفع صوت يحثه شدة رفع صوت وتتابعه وقد يقال الظاهر حينئذ أن الذى يحث هو النحيب اذ رفع الصوت هو الذى تترتب الشدة والتتابع لرفعه لا العكس تدبر (قوله ففيه أربع استعارات) تأمل وجهه فان استعارة السحابة للحزن استعارة مصرحة وفى الوطف استعارة لان الترشيح يجوز جريانها فيه وأما جعل قوله وجرد بذكر الجفون استعارة فلم يظهر له وجه صحة وقوله وخيل الخ الذى جعله استعارة رابعة فيه نظر لان السحابة هو المستعار فكيف يجعل اثباته استعارة على أن الاستعارة مصرحة فكيف وجود الاستعارة التخييلية فحرر (قوله الرحال) جمع رحل مركب البعير ويجمع أيضا على أرحل ويطلق على المسكن وما يستصحب من الاثاث ذكر ذلك فى القاموس والمراد بحط الرحال انتهاء السفر والاقامة

وسلم عند قبره افضل من الصلاة عليه عنده اى للاخبار الكثيرة الواردة فيه لخبر مامن احد يسلم على عند قبرى الارد الله على روحى حتى أرد عليه السلام ويعارضه الحديث الصحيح ان الله تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى على فى الصلاة الواحدة عشرا وفى رواية مائة وصلاة الله أفضل من رده صلى الله عليه وسلم وان كان رده دعاء لا رد على انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى ان توجه الافضلية للسلام بانه شعار اللقاء والتحية فحينئذ تختص أفضليته بحالة اللقاء عند كل زيارة اما اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام وان كان باقيا فى مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلماء فانهم لما ذكروا ان الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (من حيث) أى من مكان وقوفنا بتلك الحضرة الذى (يسمع الاقراء) للسلام منه وفيه رد العجز على الصدر وما اقتضاه كلامه من ان زائره صلى الله عليه وسلم اذا صلى وسلم عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه من غير واسطة وان من صلى أو سلم عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة يدل عليه أحاديث كثيرة وذكرتها فى كتابى الدر المنضود فى الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت منها جملة فى الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم منها ماجاء عنه صلى الله عليه وسلم بسند جيد وان قيل انه غريب من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على من بعيد أعلمته وصح وان نوزع فيه مامن أحد يسلم على الارد الله على روحى حتى أرد عليه السلام وصح من غير نزاع فيه بعدد به من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أى بوزن ضربت أى بليت فقال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء وفى رواية بزيادة فنبى الله حى يرزق وبقيت احاديث أخر متعارضة جمعت بينها فى الكتاب السابق بانه صلى الله عليه وسلم يبلغ الصلاة والسلام اذا صدرا من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف ومع سماعه لهما يبلغهما ايضا زيادة فى اكرام الزائر والاعتناء بشأنه والاستعداد له بذلك سواء ليلة الجمعة وغيرها وامارده فهو عام لمن عند قبره ولغيره لانه صح ان من سلم على قبر أخيه المؤمن سمعه ورد عليه فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره لم تكن له خصوصية بذلك وكفى الزائر تمييزا أنه صلى الله عليه وسلم يسمع صوته من غير واسطة ويكفى المصلى والمسلم من بعيد وقريب رده صلى الله عليه وسلم ومعنى رد روحه صلى الله عليه وسلم السابق رد نطقه لانه صلى الله عليه وسلم حى على الدوام فروحه لم تفارقه أبدا وصح الانبياء احياء فى قبورهم يصلون والاحاديث فى ذلك كثيرة جمعها الامام البيهقى فى جزء واستدل بها على دوام حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

(قوله الارد الله على روحى) أى نطقى والا فروحه لم تفارقه ابدا وسيأتى ذلك فى الشارح قريبا (قوله حتى ارد عليه السلام) بعضهم فرق بين تعدية رد بعلى وتعديته بالى بان الاول فى الاهانة والثانى فى الاكرام قال فى الصحاح رد عليه الشئ اذا لم يقبله وكذلك اذا خطأه وتقول رده الى منزله ورد اليه جوابا اى رجع قال الراغب ومن الاول قوله تعالى يردوكم على اعقابكم ومن الثانى قوله تعالى ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة انتهى ولعل هذا فى غير رد السلام اذ هو متعد بعلى مع انه اكرام تأمل (قوله وقد ارمت) اصله ارممت اى صرت رميما فحذفوا احدى الميمين وهى لغة لبعض العرب كما قالوا ظلت افعل اى ظللت وقيل بضم الهمزة وكسر الراء وقيل بفتح الراء والميم المشددة وسكون التاء اى ارمت العظام انتهى من مسالك الحنفاء للقسطلانى (قوله احياء فى قبورهم) فى فتاوى الرملى ان الانبياء والشهداء والعلماء لا يبلون والانبياء والشهداء يأكلون فى قبورهم ويشربون ويصلون ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون نساءهم ام لا فقيل نعم وقيل لا ويثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم انتهى وجزم أبو المواهب الشاذلى فى كتابه عنوان أهل السر المصون ان الشهداء ينكحون لكن لم يقل نساءهم انتهى وعبارة الفتاوى فيها التقييد بذلك وعليه فمن مات منهم قبل موت أزواجه أو مات ولم يتزوج لا ينكح وهذا أمر يحتاج للتوقيف كذا قال بعضهم

والسلام حياة مخصوصة اعلى واتم من حياة الشهداء المنصوص عليها في القرآن (وذهلنا) اى غبنا عن احساسنا او عما عدا ما نحن بصدده (عند اللقاء) لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال وسمات ذلك الجمال (و) لا بدع في هذا الذهول اذ (كم أذهل صبا) اى شديد الصبابة التى هى رقة الشوق عليه وغلبة استيلائه (من الحبيب) اى المحبوب وهو متعلق بقوله (لقاء) لان من شأنه ان يدهش الصب ويخرس المحب ويفنيهما عما عدا المحبوب والاستلذاذ بشهوده وانسه (ووجمنا) بفتح الجيم اى سكتنا عن الكلام عند اللقاء وبعده مادمنا في تلك الحضرة العلية فلم يبق فينا متسع له (من) اجل (المهابة) اى الجلالة والمخافة (حتى) اجتمع علينا امران لا يوجد اجتماعهما الا في نحو هذا المقام وهما (لا كلام منا) بما نريده (ولا ايماء) منا يوجه الى ما نطلبه وذلك حال من قهره الجلال واستولت عليه خوارق الاحوال كما قال القائل

وكم رمت بث الشوق عند لقائه * فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا

(ورجعنا) الى بلادنا (وللقلوب التفاتات) كثيرة جدا برعاية المقام (اليه) اى نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها مستحضرة للمثول بين يديه صلى الله عليه وسلم والاستمداد منه مع ادامة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم (وللجسوم) جمع جسم وجسم الشئ جرمه النائئ من الارض (انثناء) اى انعطاف الى البقاء في حضرته صلى الله عليه وسلم ابدا ان تيسر والا فالى تكرر زيارته صلى الله عليه وسلم (وسمحنا) اى جدنا (بما) اى بنفيس لا يجود احد بمثله هو التمتع بتلك الحضرة العلية الذى (نحب) دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لدارنا لاجل القيام عن فيها تخفف الملام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات وأيضا فانا وان كنا بخلاء بهذا الفراق انا اسوة بالبخلاء في ذلك (وقد) وقع يقينا انه (يسمح عند الضرورة) التى لا يستطاع معها الترك (البخلاء) بالاموال وغيرها او بين السماح والبخل الطباق * ولما تم مقصد زيارته صلى الله عليه وسلم المتكفلة بكل خير شرع ينادیه صلى الله عليه وسلم بكنيته المختصة به والمناسبة لطلبه من انه يخصه من تلك القسمة التى ولاها الحق له ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ما هو بصدده من مدحه صلى الله عليه وسلم والثناء عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به في الدنيا والآخرة ويأمن به من كل محنة باطنة او ظاهرة ومن ثم خص جواب اقسامه بقوله الآتى الامان الامان الخ فقال (يا أبا القاسم) هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التى اختص بها فلا يجوز لاحد التكنى بها مطلقا على الاصح عندنا سواء في زمنه صلى الله عليه وسلم وبعده لمن اسمه محمد وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى والعبرة كما تقرر في الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هنا فان سبب النهى أن اليهود كانوا ينادونه بذلك فيلتفت صلى الله عليه وسلم اليهم فيقولون له لا نعنيك فنهى الناس عن التكنى بذلك ومن ثم اخذ بعض ائمتنا ان المنع

(قوله وذهلنا) ذهلت عن الشئ أذهل ذهلا نسيت وغفلت عنه وأذهلنى عنه كذا وذهلت بالكسر ذهولا لغة فيه (قوله برعاية المقام) يعنى ان جمع المؤنث السالم كجمع المذكر كذلك من جموع القلة استعمل هنا مرادا به الكثرة بقرينة المقام (قوله هذه كنيته) ويكنى أيضا بأبى ابراهيم وأبى الارامل وأبى المؤمنين

خاص بزمن حياته صلى الله عليه وسلم وبعضهم أنه خاص بمن اسمه محمد وتكنية علي كرم الله وجهه ولده محمد بن الحنفية رضي الله عنه بذلك باذن منه صلى الله عليه وسلم ان صح خصوصية له وتكنية غيره بذلك اجتهاد منه ووجه مناسبة اختصاص تلك الكنية به صلى الله عليه وسلم الاعلام بانه صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الاعظم عن الله تعالى في جميع شؤنه لاسيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أيضا انما أنا قاسم والله يعطي ولاجل هذا عد من أعظم خصائصه صلى الله عليه وسلم انه أعطي مفاتيح الخزائن قال بعض العلماء وهي خزائن اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ماظهر في هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح وكما اختص تعالى بمفاتيح الغيب الكلي فلا يعلمها الا هو كذلك اختص صلى الله عليه وسلم باعطائه مفاتيح الخزائن الالهية فلا يخرج منها شئ الا على يديه صلى الله عليه وسلم وقيل انما كني بذلك لانه كان له ولد من خديجة رضي الله تعالى عنها يسمى القاسم (الذي ضمن) من تضمن كذا اشتمل عليه (اقسامي عليه) بكسر الهمزة بالاقسام الكثيرة الآتية في نيل مطلوبي منه صلى الله عليه وسلم (مدح) فرقوا بينه وبين الحمد بامور أحدها ان الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري والمدح على ما لا اختيار للعبد فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد انما يكون عن علم وبصفة كمال والمدح يكون عن ظن وبصفة مستحسنة وان كان فيها نقص ما رابعها ان في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح والحمد اختص بالعقلاء والعظماء وأكثر اطلاقا على الله تعالى وقول الكشاف انهما اخوان أي متشابهان لا مترادفان قاله الطيبي وقال السيد بل مترادفان واستدل له بكلام الفائق وانتصر بعض المحققين للاول بما ليس هذا محل بسطه وأكثر العلماء على ان الحمد يختص بالاختياري والمدح أعم (له وثناء) هو على القول الاخير مرادف للمدح لانه لا يكون الا في الخير الاختياري وغيره والمدح على ذلك القول كذلك وبه لما تقرر ان عليه أكثر العلماء يندفع قول الشارح هذا من مراعاة النظير وعلى ما قبل الاخير يكون فيه مراعاة النظير في الجملة وعليه يحمل كلام الشارح اما المدح والحمد ففيهما تقابل أو مراعاة النظير أو ترادف (بالعلوم) أي أقسم عليك بها لتشفعن لي بما يؤمنني من كل مكروه وبان يعطيني الله الامان منه وكذا يقال في الاقسام الآتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف ليجاب سؤاله ومن ثم قال بعض أصحابنا في اقسم أو اقسمت عليك لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعله أول الاقسام لان مرتبة العلم لا اعلى منها بل ولا مساوي لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله عليه وسلم بالسؤال للزيادة مما هو عليه الا للعلم وقل رب زدني علما وهو صفة ينجلي بها المذكور لمن قامت به تجليا يمنع من احتمال النقيض (التي) نزلت (عليك من الله) حال كونها (بلا كاتب) من الكتب وهو الجمع وانما الحاصل (لها) اليك (املاء) أي اقراء من جبريل وهذا الذي

(قوله ان الحمد) أي لغة وقوله والمدح على ما لا اختيار كان الظاهر ان يقول على ما هو أعم من الاختياري وغيره ويجاب بان ما ذكره الشارح هنا مما يقتضي تباينهما مذهب لبعض العلماء وما ذكرناه من الظاهر مذهب اكثر العلماء كما يفيده قوله الآتي قريبا واكثر العلماء الخ (قوله هو على القول الاخير الخ) تامل هذه العبارة وحررها فان الثناء الذي هو الذكر باللسان جنس في تعريفي الحمد والمدح اللغويين وأحد ماصدق الجنس في تعريفيهما العرفيين كما لا يخفى على من عرف تعاريفهما لغة وعرفا وهو أشهر من أن يذكر فان أراد بالثناء الحمد بدليل ذكر المدح استقام ماذكره ويؤيده قوله على القول الاخير لان الاقوال السابقة متعلقة بالحمد والمدح لا بالثناء والمدح تامل

فرزته فى اعراب هذا البيت أولى مما سلكه الشارح فتأمله وبين القاسم والاقسام جناس مطلق والكتابة والاملاء طباق (و) أقسم عليك بما أوقيته أيضا من (مسير الصبا) وهى الريح التى مهبها مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وهى مراد الحسن فى قوله فاذا جعلت ظهرك الى باب الكعبة فالصبا تقابلك وهى مستقبل باب الكعبة وقول اسرائيل بن يونس الصبا ما جاء من قبل وجه الكعبة ويطلق على ما يهب من عين هذا المطلع الى قريب سهيل ويساره الى قريب القطب الشمالى واخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان ما بين مطلع الشمس والجدى يسمى صبا ويسمى شمالا وبتسميته صبا صرح عثمان الاعرج من السلف حيث قال حد الصبا من مطلع الشمس الى كرسى بنات نعش وفى القاموس الشمال الريح التى تهب من قبل الحجر أى بكسر الحاء ثم قال والصحيح انه ما مهبه بين مطلع الشمس وبنات نعش أو من مطلع الشمس الى مسقط النسر الطائر وفيه والصبا ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش والدبور ريح تقابل الصبا والجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا واهذه الريح أثر بين فى نصرته صلى الله عليه وسلم فى وقعة الخندق المسماة بالاحزاب كما مر (بنصرك) أى بسببه وهو الرعب الذى قطع قلوب أعدائه وأخمد شوكتهم وبدد جموعهم (شهرا) مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور مع قوله أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر الحديث ومنها يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصرته صلى الله عليه وسلم وهو الرعب اى الخوف منه المزعج لاعدائه مسافة شهر من سائر نواحى المدينة فلم يرفع أحد منهم رأسه الا اختطفته لوامع سيوف نصره صلى الله عليه وسلم وقواصف أسنة قهره عليه الصلاة والسلام والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولى عليه لا تزيد مسافته فى حياته صلى الله عليه وسلم على شهر فلا ينافى ذلك ان ملك أمته يزيد على ذلك بكثير واحتراز عن غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان رعبهم وان وجد لا يصل لهذه المسافة وفى رواية ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر قال بعضهم والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين احد من اعدائه اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هى حاصلة لامته من بعده فيه احتمالات اظهرها كما نقضى به المشاهدة انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا (فكانت الصبا لديك رخاء) هى الريح اللينة المسخرة لسليمان صلى الله عليه وسلم غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر واعظم لان تلك سخرت لذات سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام وهذه سخرت لصفة من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وهى هيبته عليه الصلاة والسلام وايضا فتلك انما كانت تسير بعد امر سليمان لها وهذه تسير بامر ربها من غير توسط امر من نبينا صلى

قوله أولى مما سلكه الشارح عبارته فى اعراب البيت بالعلوم الباء للقسم والعلوم مجرورها وهو المقسم به وكذا ما عطف عليه باعادة العامل ودونه التى صفة للعلوم وصلتها جملة عليك املاء فاملاء مبتدا وعليك خبره والجرورات متعلقات بالمبتدا ثم قال فى المعنى اقسم اولا بالعلوم التى اوحاها الله اليه وانزلها عليه من غير واسطة كتابة ولا كاتب لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب وأوتى علم الاولين والآخرين زيادة فى المعجزة وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (قوله وهو) أى سبب النصر فليس المراد بقوله بسبب بيان معنى الباء بل هى صلة تسير نحو مررت بزيد وانما مراده بيان مضاف محذوف تأمل

الله عليه وسلم فهو من تشبيه الاعلى بالاعلى نظير كما صليت على ابراهيم في صلاة التشهد على
احد الاجوبة فيه وفي ذكر الرخاء بعد الصبا مراعاة النظير *(تنبيه)* اصول الرياح
اربعة الصبا وهي التي تهب من جهة باب الكعبة وهي حارة يابسة والدبور من ورائها
باردة رطبة والجنوب من جهة يمينها حارة رطبة والشمال من جهة شمالها باردة يابسة
واشرت بقولي اصول الى ان لهم فروعا كالنكباء وفسرها بعض السلف بانها بين الصبا
والجنوب وأطال في القاموس الكلام فيها وحاصله والنكباء ريح انحرفت ووقعت بين
ريحين او بين الصبا والشمال أو نكب الرياح اربع الازيب نكباء الصبا والجنوب
والصابية وتسمى النكيباء ايضا نكباء الصبا والشمال والجربياء نكباء الشمال والدبور
وهي نيحة الازيب والهيف نكباء الجنوب والدبور وهي نيحة النكيباء وتفسير كل مما
ذكر فيه هو الاصل فلا ينافي ما مر آنفا من اطلاق بعضها على خلاف ما فسرت به هنا
وفي القاموس الجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا
*(تنبيه ثان)* روى مسلم ان الشمال ريح الجنة التي تهب عليهم وينافيه الحديث
الذي اخرجه ابن جرير وابن مردويه وابن ابي الدنيا وابو الشيخ ريح الجنوب من الجنة
وهي من اللواقح وفيها منافع للناس والشمال من النار تخرج فتمر بالجنة فتصيبها نفحة
منها فبردها من ذلك ويجاب بان ما ذكر في الحديث الاخير هو حال الشمال في الدنيا
لخروجها أولا من النار ثم تتكيف بريح الجنة وبردها وحكمة ذلك جمعها للقوة النارية
والقوة البردية لان من شأن الاولى كثرة الحركة وشدة الانضاج والثانية ملاءمة النفس
وازالة اكدارها فهذا حالها في الدنيا وما في الحديث الاول هو حالها في الآخرة فاهل
الجنة لا يرون سواها كما يصرح به قوله وهي ريح الجنة الخ وبهذا يعلم ان الشمال أفضل
الرياح لان حديث الجنوب من ريح الجنة وحديث ريح الجنوب من الجنة غاية امرهما
انهما يدلان على ان ريح الجنوب من بعض رياح الجنة وما دل عليه حديث الشمال من
ذكر حالها وما اختصت به في الدنيا والآخرة اعلى مما دل عليه حديث الجنوب فتأمله
فان قلت جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجنوب سيد الارواح واسمها عند الله
الازيب قلت هو معارض بما جاء عن قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله تعالى
عنهما الشمال ملح الارض ولولا الشمال لانتنت الارض فهذه فائدة جليلة دنيوية
نشأت عن خروجها اولا من النار خلت عنها الجنوب فلتكن الشمال افضل او يقال
كل منهما افضل من وجه فالجنوب لكونها تخرج اولا من الجنة والشمال لكونها
هي التي تهب على اهل الجنة فيها هذا كله بفرض تكافؤ سند الحديثين وليس الامر
كذلك أصلا اذ سند حديث مسلم لا يوازيه شئ وحينئذ لا يعارض حديثه شئ من
الاحاديث الاخر لانها ليست في رتبته بل ولا قريب منها لانها من حيز الضعيف وهو
لا يعارض الصحيح أصلا وفي اثر عثمان الاعرج انه ذكر الارياح الاربعة وحد كل فقط

(قوله أصول الرياح أربعة) في
الغريبين للهروي روى عن ابن
عمر ان الرياح ثمانية أربع
عذاب وهي العاصف والقاصف
وهما بالبحر والصرصر والعقيم
وهما بالبر وأربع رحمة وهي
الناشرات والذاريات والمرسلات
والمبشرات (قوله والهيف) وهي
ريح حارة تأتي من قبل اليمن
(قوله سيد الارواح) الارواح
لغة في الارياح ومنه قول ام يزيد
* وبيت تخفق الارواح فيه *
(قوله هو معارض) في المعارضة
نظر فتأمله

الا الشمال فزاد انها تمر بجنة عدن فتأخذ من طيب عرفها وفيه ان الاربع مساكنها تحت اجنحة الكروبين حملة العرش وانها تهيج فتقع بعجلة الشمس فتعين الملائكة على جرها ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع فى البحر ثم تهيج من البحر فتقع برؤس الجبال ثم تهيج من رؤس الجبال فتقع فى البر ثم ذكر ان حد الشمال من كرسى بنات نعش الى مغرب الشمس وحد الدبور منه الى مطلع سهيل والجنوب منه الى مطلع الشمس والصبا منه الى كرسى بنات نعش فان قلت علم مما تقرر ان كلا من الجنوب والشمال له مزية بخلاف الصبا مع انها التى خدمته صلى الله عليه وسلم وكان القياس ان تكون نصرته صلى الله عليه وسلم باحد ذينك ليكون الافضل ولو من وجه بل كان القياس اختصاص ذلك بالشمال لما تقرر انها الافضل مطلقا قلت ان اخذنا بما عرف مما مر ان الشمال تطلق على ما يعم الصبا فالامر واضح وان قلنا بتغايرهما كما هو الاصل فحكمة ذلك والله اعلم ان وقت مهب الصبا هو المعين على قتاله العدو بخلاف وقت مهب الشمال وقد يكون فى المفضول مزية بل مزايا لا توجد فى الفاضل فتأمل ذلك كله فانه مهم أى مهم مع انى لم ار احدا اشار لشئ من ذلك قال بعض المفسرين والريح مسكنها تحت الارض الثانية كما ورد فى الحديث الصحيح وفيه لما اراد الله سبحانه ان يهلك عادا امر خازن الريح ان يرسل عليهم ريحا ليهلكهم فقال يارب ارسل عليهم بقدر منخر الثور فقال له الجبار سبحانه كنت تكفئ الارض ومن عليها لكن ارسل عليهم بقدر الخاتم قال فى الحديث والارض الثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر وفيها ابليس مصفد بالحديد قال فيه فاذا اراد الله ان يطلقه لمن شاء من عباده اطلقه رواه الحاكم وقال الحافظ المنذرى انه صحيح ولم يخرجه الشيخان ولا ينافى هذا قول الشارح السابق وفيه ان الاربع مسكنها تحت اجنحة الكروبين حملة العرش لجواز ان تكون اجنحة الكروبين تحت الارض الثانية لما ورد ان اقدامهم تحت الارض السابعة انتهى (و) اقسم عليك ايضا بمعجزاتك العظمى مع (على) كرم الله وجهه فى غزوة خيبر (لما) سرت اليها ودفعت الراية وكانت سوداء الى على رضى الله تعالى عنه ففتح بعض حصونهم وارسلت ابا بكر لحصن آخر فقاتل ورجع بلا فتح فارسلت عمر رضى الله تعالى عنه فقاتل ورجع بلا فتح وقد جهد فقال صلى الله عليه وسلم وفى نسخة فقلت لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فتشوف كل احد لذلك فسألت عن على رضى الله عنه فقيل به رمد فدعوت عليا فجاء وانسان يقوده من شدة الرمد فحينئذ (تفلت بعينيه وكلتاهما معا) حال مؤكدة (رمداء) ثم قلت له خذ هذه الراية وامض بها حتى يفتح الله بها على يديك فبرأتا لما خالطهما ريقك الذى هو الشفاء الاكبر (فغدا) اى ذهب بتلك الراية يضرب بعينيه المثل فى حدة لابصار كما يضرب ببصر العقاب الذى هو سيد الطيور كما فى الكامل ومن ثم قال (ناظرا

بمعنى عقاب) ومن امثال العرب ابصر من عقاب ولماغدا وهو كاذكرهر ولة حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن وقال له يهودى من باب الحصن من أنت قال على بن أبي طالب فقال اليهودى علوتم وحق ما انزل على موسى بن عمران فما رجع حتى فتح الله على يديه وعند قتاله ضربه يهودى فطرح ترسه من يده فاخذ بابا تترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله عليه ومن كبر ذلك الباب ان ثمانية ارادوا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل ايضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها وجروه بعد ذلك فلم يحمله الا اربعون رجلا هذا كله (فى غزاة) معهودة من اعظم الغزوات واجل الفتوحات وهى غزوة خيبر كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام وكانت سنة سبع (لها العقاب لواء) اراد باللواء الراية وهى العلم الضخم لان الذى كان يومئذ راية لا لواء بل ولم يعرف له صلى الله عليه وسلم الرايات الا بخيبر وقبلها كانت الالوية فقط ثم قال عياض فى مشارقها اللواء الراية وعليه فلا تجوز فى النظم وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب اسود وكانت من برد عائشة رضى الله تعالى عنها ذكر ذلك كله اهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطى وغيره وبين عقاب والعقاب الجناس التام واما قول شارحه ان التى تسمى العقاب بيضاء وانها التى اعطاها العلى رضى الله تعالى عنه فهو مخالف لما رأيته من كلام اهل السير على انه ناقض ذلك حيث قال وقوله لها العقاب لواء يحتمل ان العقاب كانت تحوم على لحوم القتلى كانها رايات مرتفعات وهذا احتمال لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان رايته صلى الله عليه وسلم يومئذ سوداء تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه هى التى اعطاها العلى ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم اعطاه غيرها كما اعطى اثنين رايتين غير راية على كرم الله وجهه ونقل بعض اهل السير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان عليا رضى الله تعالى عنه هو الذى كان معه لواء النبى صلى الله عليه وسلم فى كل زحف وعن سعيد بن المسيب ان راية النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد مرط اسود وراية الانصار يقال لها العقاب وفى هذا نظر لما مر ان الرايات لم تعرف الا يوم خيبر وأما تسمية راية الانصار يوم احد بالعقاب فهو جرى على ما عليه اهل اللغة أن كل راية تسمى العقاب كما ان راية النبى صلى الله عليه وسلم تسمى بذلك وعليه فقول الناظم لها العقاب لواء لا يختص بخيبر خلافا لما يوهمه صنيعه (و) اقسم عليك ايضا (بريحانتين) وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين كرم الله وجههما ورضى الله عن أمهما وأبيهما وفى تسميتهما بذلك اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى هما ريحانتاى من الدنيا وفى رواية ان ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا (طيبهما) حسا ومعنى وفضلهما على غيرهما انما هو حاصل (منك) لانهما بضعتان منك مع ما لاحظتهما به من المزايا والخصوصيات وكان طيب رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفا مشهورا بين الصحابة يضرب به المثل وان لم يتطيب بل كانت ام انس

(قوله فى رضم) والرضم والرضام صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض فى الابنية الواحدة رضمة انتهى صحاح (قوله بريحانتين) الريحانة فى اللغة كناية عن الولد لان القلب يترقح به والريحان الولد الصالح والريحان الحسن الحديث والريحان المشموم والريحان الرزق يقال خرجنا نطلب الريحان أى الرزق والريحان الصبر يقال سرنا بريحان من الليل انتهى ابن دحية

(قوله وهما الموصول والصلة) اى المبتدا والخبر (قوله فالصواب الخ) فيه ان ريحانتين نكرة وهى لاتنعت بالمعرفة فالظاهر جعله خبر محذوف او مفعوله اى هما اواعنى الذى تامل وقال الطبلاوى ان الاولى ان يكون اللذى بصيغة المثنى صفة مطابقة للريحانتين باعتبار وقوعهما على الحسنين المذكورين على لغة حذف نون المثنى كقوله

ابنى كليب ان عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا

ولم يحفظ عن الناظم ضبطه بصيغة المفرد حتى يحتاج الى مافى كلام الشارحين من التكلف فاستفده وقد يرد هذا بان رسم المتن لايساعده لكونه بلام واحدة وصيغة المثنى انما ترسم بلامين وقد علمت مافى قوله صفة تامل (قوله ولم تطمث) طمثت المرأة حاضت من باب نصر وضرب (قوله توفى الى قول الناظم كنت تأويهما) المناسب ذكره عند اقسام الناظم بعلى رضى الله تعالى عنه لتعلق ذلك به لابالريحانتين اللذين فيهما الكلام تامل (قوله ابن ملجم) بكسر الجيم وضمها (قوله قال اهل العراق الخ) وفى طبقات الشعرانى فى ترجمة سيدى على وفى وكان يقول اى سيدى على وفى ان على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه رفع كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى انتهى وبذلك قال سيدى على الخواص وسمعته يقول ان نوحا عليه الصلاة والسلام ابقى من السفينة لوحا على اسم على بن أبى طالب رضى الله عنه رفع عليه الى السماء فلم يزل محفوظا بضمان القدرة حتى رفع عليه والله اعلم بذلك

تأخذ من عرقه صلى الله عليه وسلم لتطيبوا به لباهر ريحه (الذى) نعت لطيبهما (أودعتهما) بالبناء للمفعول فاطمة (الزهراء) مبتدا خبره ماقبله وهما الموصول والصلة كذا ذكره الشارح ولايصح لخلو جملة الصلة عن عائد للموصول وجوز البناء للفاعل وان المفعول الثانى محذوف اى الذى الزهراء اودعتهما اياه وفيه قلاقة وحذف من غير دليل فالصواب ان الذى نعت للريحانتين لنا و يلهما بالمذكورا ونحوه ونظيره ماذكرته فى الذى قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه ابوداود وهذا منى يعنى الحسن والحسين ونظيره ايضا قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا قال ابو حيان يجوز استعمال الذى بمعنى الذين لكن يجب كون ضمير الصلة ضمير الجمع اعتبارا بمعناه ثم قال والذى نختاره أى فى قوله تعالى كمثل الذى استوقد نارا انه أفرد لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذى استوقد وقيل فى الآية الذى بمعنى الجنس فلا يختص بالواحد وقيل حذفت نونه تخفيفا وقيل موصوفه لفظ مفرد وكل من ذلك يأتى فيما نحن فيه فاستفده واشار بقوله اودعتهما الى ماهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان اولاد بناته صلى الله عليه وسلم ينسبون اليه فى الكفاءة وغيرها ووجه تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة فهو الذى اودعها تلك الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت بالزهراء لانها لم تحض كما فى حديث رواه الغسانى وروى الخطابى ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وانما سماها فاطمة لان الله تعالى فطمها وذريتها ومحبيها عن النار وقد ذكر الناظم عليا وفاطمة وابنيهما ويأتى ذكر شئ من فضائلهم بلا اسانيد وقد استوعبتها بذكر أسانيدها وبيان أحكامها ومايتعلق بها فى كتابى الصواعق المحرقة لاخوان الضلال والرفض والابتداع والزندقة الذى لم يؤلف فى هذا الباب اجمع منه اخرج الطبرانى والخطيب ان الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب على بن ابى طالب وفى حديث رجاله ثقات الا واحدا مختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو محاصر الطائف فما قال اوصيكم بعترتى خيرا وان موعدكم الحوض والذى نفسى بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة ولابعثن عليكم رجلا منى أو كنفسى يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد على وقال هو هذا توفى كرم الله وجهه شهيدا على ثلاث وستين سنة ضربه ابن ملجم فى جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين وهو خارج الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم الليلة فشكا اليه مالقى فقال له ادع عليهم فدعا أنه يبدل خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه واكثر فى تلك الليلة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ماكذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت ومات ليلة الاحد واختلف فى موضع قبره لانه اخفى خوفا من ان ينبشه الخوارج وفى رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل الذى يحمله فلم يدر أين ذهب فلذلك قال اهل العراق انه

فى المصاب ( كنت ) على الدوام ( ارحمهما ) اى تضمهما ( اليك ) لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما وأخرج الترمذى والطبرانى هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى احبهما فأحبهما وأحب من يحبهما والترمذى احب اهل بيتى الى الحسن والحسين واحمد وابن ماجه والحاكم من أحب الحسن والحسين فقد احبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى وجاء من طرق صح بعضها ابناى الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما وفى قوله وابوهما خير منهما حجة لما عليه اهل السنة ان الائمة الاربعة افضل من اهل البيت ثم ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله عمل وبه يوجه قول بعض المتأخرين بتفضيل الحسنين على غيرهما اى من حيث تلك البضعة وان كان غيرهما ممن ذكر افضل منهما علما وعملا ومعرفة فتأمله *(تنبيه)* قوله صلى الله عليه وسلم سيدا شباب اهل الجنة مشكل لانهما ماتا غير شابين ولان الجنة ليس فيها شباب لان الوارد ان جميع الناس من اهل الجنة يكونون على خلقة ابناء ثلاث وثلاثين سنة ثم يدخلونها وهم كلهم مستوون فى هذا السن الذى هو سن الكهولة واعدل الاسنان واشرفها فلهذا اختير كونهم عليها وحينئذ فليس فى الجنة شباب ولا كهول ولا شيوخ فاى شباب هما سيداهم ويجاب بان المراد بالشباب الذين ماتوا شبابا فهما سيدا هؤلاء من غير استثناء بخلاف الكهول والشيوخ فانهما قد يسودانهم وهم الاكثر وقد لا كابيهما والائمة الثلاثة قبله ونحوهم والحاصل انهما سيدا شباب الناس على الاطلاق وغير الشباب فيهم تفصيل فلذا ذكر الشباب فقط ويحتمل ان المراد شبابهما فرضا وخصوا لان النفس انما تتشوف غالبا الى من هو على سنها الذى فضلت فيه على غيرها من اهل ذلك العصر ثم رأيت بعضهم قرر الاشكال بنحو ما ذكرته لكن ماذكرته اظهر فى الاشكال ورأيت عنه أجوبة لثلاثة من الائمة فيها بعض مخالفة سهلة لما ذكرته وزيادة على ماذكرته وسأشير لذلك منها اجوبة ثلاثة لابن الحاجب منها واستظهره انه سماهم باعتبار ما كانوا عليه عند مفارقة الدنيا ولذلك يصح ان يقال للصغير يموت من صغار اهل الجنة والشيخ المحكوم بصلاحه من شيوخ اهل الجنة فهما سيدا شباب اهل الجنة بهذا الاعتبار وحسن الاخبار عنهما بذلك وان كانا لم ينتقلا عن الدنيا شابين لانهما كانا عند الاخبار كذلك انتهى وهذا يرجع عند التأمل الصادق الى قولى ويحتمل ان المراد شبابهما فرضا الخ بل ان زاد صدق تأمله راى ان التعبير بما ذكرته اوضح وجوابه الثانى ان يراد بهما سيدا شباب اهل الجنة باعتبار ذلك الوقت الذى كانا فيه شابين قال ولا يرد على هذين الجوابين الزام انهما سيدا المرسلين لانهما شباب فى الجنة لانهم غير داخلين فى شباب اهل الجنة على المعنيين جميعا انتهى وقوله لانهما شباب فى الجنة الذى بقى عليه ايضا بعض ما سبق عنه ممنوع وانما الذى دل عليه حديث كونهم

يدخلونها

(قوله ويعثران) يقال عثر فى ثوبه يعثر بالضم عثارا بالكسر انتهى مختار (قوله على خلقة ابناء ثلاث الخ) اشار بذلك الى رفع ما عساه يقال ما معنى كونهم فى الجنة ابناء ثلاث وثلاثين اذ من مات وهو ابن سنة مثلا او ابن مائة مثلا ما معنى زيادة السنين او نقصها فى حقه فاشار بقوله خلقة يعنى من جهة القوة كما هو الغالب فى اهل ذلك السن الى تأويل ما وقع فى العبارة من ان اهل الجنة ابناء ماذكر فتدبر (قوله مستوون فى هذا السن) أى فى قوة هذا السن (قوله ولا كهول) الظاهر حذفه (قوله مفارقة الدنيا) اى مفارقة الشباب المفضولين

يدخلونها على سن ابناء ثلاث وثلاثين وهو سن الكهولة اذ الشباب الى الثلاثين والكهولة الى الاربعين ثم منها شيخوخة وحينئذ صح ما اجبت به دون بعض ما اجاب به وله جواب ثالث مبنى على ان اهل الجنة شباب وقد علمت ان الواقع خلافه فلا حاجة لذكره على انه فى ذاته فيه غموض وعدم وفاء بالمقصود وان سلم ما بناه عليه كما يعلم بتأمله لمن وقف عليه وأجاب غيره بان معناه انهما أفضل من مات شابا فى سبيل الله من أهل الجنة ولم يرد انهما من الشباب لانهما ماتا وقد كهلا اى كل ما يفعله الشباب من المروأة كما يقال فلان فتى وان كان شيخا يشير الى مروأته وفتوته أو انهما سيدا أهل الجنة سوى الانبياء والخلفاء الراشدين وذلك لان أهل الجنة كلهم فى سن واحد وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا كهل انتهى وقوله وهو الشباب مردود وأجيب أيضا بانه يمكن أن يراد بهما الآن سيدا شبابهم من أهل الجنة من شباب هذا الزمان انتهى وليس فيه كبير مدح فينافى الغرض من ذكره صلى الله عليه وسلم ذلك مدحا لهما والحاصل ان الذى يتجه فى هذا المقام وبه يحصل الجواب الواضح ان الذى كتبت له السعادة المعبر عنهم بكونهم أهل الجنة شباب وكهول وشيوخ وان الحسنين تميزا فى حال شبابهما بل فى صغرهما بفضائل على من هو فى سنهما حينئذ لا تحصى ولا يستثنى منهم احد بل فى حال شبابهما فضلا جميع الشباب الموجودين حينئذ من غير استثناء بل الشباب مطلقا من غير استثناء ايضا اذ لا نعلم وهما فى شبابهما ان شابا قبلهما ولا بعدهما ساواهما فضلا عن كونه فضلهما واذا تقرر هذا فلاجل كونهما افضلا الشباب من غير استثناء بخلاف الكهول والشيوخ فانهما لم يفضلاهما على الاطلاق فى حالة من الحالات خص الشباب بالذكر واضافهما الى الجنة باعتبار انه يقال لمن هو فى محل شبابه وقد كتب شهيدا هذا من شباب الجنة أى من الموصوفين الآن بكونه من الشباب وكونه من أهل الجنة وحينئذ اتضحت حكمة الشباب واتضحت اضافتهم الى الجنة واتضح انه لا يحتاج الى استثناء الخلفاء الاربعة فضلا عن الانبياء واتضح ان فى هذا من التمدح لهما ورفعة قدرهما وبيان تميزهما مالا يخفى عظيم وقعه فتأمله لتستريح من تلك الاجوبة المطولة مع ما فيها مما سبق وبما فى هذا الجواب الذى هو أصوبها وأوضحها (كما آوت) بالمد فيتعين للوزن وان جاز القصر فى أصل الكلمة (من الخط) حال من الفاعل (نقطتيها الياء) أى ابواه كايواء الياء لنقطتيها حال كونهما من جملة حروف الخط وكأنه أخذ هذا التشبيه من حديث البخارى عن الحسن كان النبى صلى الله عليه وسلم يأخذ بيدى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى ويضمنا ثم يقول رب انى أرحمهما فارحمهما ومما صح عن اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال طرقت على النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على شئ فقلت ما هذا فكشف فاذا هو حسن وحسين على وركيه فقال اللهم هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم

(قوله وليس فيه كبير مدح) لأن منعه بل فيه من التمدح مالا يخفى وذلك لانه اذا ثبت انهما سيدا شباب ذلك الزمان ثبت انهما سيدا الشباب ما قبله وما بعده اما الاول فلقوله تعالى كنتم خير امة أخرجت للناس ولا شك انهما خيار الخيار من الشباب مطلقا واما الثانى فلقوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى الحديث واما النص على الشباب وان فضلا غيرهم الا ما استثنى فلما سيأتى فى كلام الشارح وهذا القدر لا يختص بهذا الجواب كما هو واذا تأملت رأيت قول الشارح والحاصل الخ شرحا لهذا الجواب لكن فيه زيادة التعميم فى التفصيل هذا وقد يرد على ما قررنا شباب الزمن الذى قبل زمنهما فى عصره صلى الله عليه وسلم فالاظهر ما قاله الشارح

اقبل وقد حمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه التخصيص بالياء أنها خاتمة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا نظر الى ان الالف أفضل الحروف لانها مادة كل حرف فهي الآخر في الحقيقة كما انها الاول كذلك وهكذا شأن نبينا صلى الله عليه وسلم فانه أولهم خلقا ورتبة وآخرهم وجودا وختما فعنصره الكريم مندرج ومنبث في جميع الانبياء بالفعل تارة بالنسبة لمن في عمود نسبه وبالقوة أخرى بالنسبة لمن ليس في عموده (من) بيان للريحانتين وحينئذ فلا تجريد فيه خلافا لما زعمه الشارح (شهيدين) اما شهادة الحسن وكانت ولادته في نصف شعبان بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة فسببها ان يزيد بن معاوية أرسل الى زوجته جعدة الكندية ان تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم فقعلت فمرض أربعين يوما ومات فبعثت ليزيد بما وعدها به فأبى وفي سنة موته اقوال والاكثرون انها سنة خمسين وجهد به الحسين ان يخبره بمن سمه فأبى وقال الله أشد نقمة وأجد كبدي تقطع واني لعارف من أين ذهبت فبحق عليك لا تكلمت في ذلك بشئ ثم قال وأقسم عليك ان لا تريق في أمري محجمة دم ومن جملة كلامه لأخيه لما احتضر يا أخي ان أباك استشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله عنه الى الثلاثة قبله ثم ولي فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له واني والله ما أرى ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما يستخفنك سفهاء الكوفة فيخرجونك وقد كنت طلبت من عائشة ان أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما أظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات سأل الحسين عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت نعم حبا وكرامة فمنعهم مروان لانه كان والي المدينة فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جانب أمه رضي الله تعالى عنهما وكان مروان يكثر من أذيته فلما مات بكى في جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه بالامس ما تجرعه فقال اني كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا وأشار بيده الى الجبل وكان مروان هذا أشد الناس بغضا لاهل البيت وكان هذا هو سر الحديث الذي صححه الحاكم ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا أتى به للنبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هذا هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وروى أيضا حديثا من جملته قول عائشة رضي الله تعالى عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا مروان ومروان في صلبه نعم في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان من شتمه او لعنه او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة وطهارة ومن فضائل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان

(قوله انها خاتمة الحروف) وانها الا يشبهها حرف في كون نقطتيه تحته والنبي كان يضع الحسنين على وركيه فهما تحت معظم جسمه فتتم المشابهة في الجملة فتدبر (قوله الكندية) ان كانت نسبة الى كندة قرية بسمرقند فالكاف مضمومة وان كانت نسبة الى ناحية بنجد توصف نساؤها بالحسن فالكاف مفتوحة كما يؤخذ من القاموس (قوله سنة خمسين) وحينئذ فعمره قريب من سبع واربعين سنة (قوله ذهبت) اى اصيبت بداهية (قوله محجمة) المحجم والمحجمة قارورة الحجام (قوله فمنعهم الخ) عبارة الشارح البرلسي ولما قرب موته اشاعوا ان يدفنوه في الحجرة النبوية فانتدب بنو أمية ولبسوا السلاح وقالوا لا يدفن عثمان في حش كوكب والحسن في الحجرة فحمل السلاح بنو هاشم على بني أمية فبلغ الحسن فقال للحسين وابني عمه لا احب التشويش على الناس فأمر ان يدفن عند امه الزهراء فدفن في البقيع وقبره معروف انتهى قال ابن الجوزي والحش البستان وكوكب رجل من الانصار وقوله فبلغ الحسن يقتضي ان مخاصمة الفريقين حال حياة الحسن وهو مخالف لما في الشرح تأمل فان كان مراد البرلسي بالحسن الحسن البصري فلا منافاة لكن يبعد هذا قوله في صدر عبارته ولما قرب موته فانه ظاهر في انه كان حيا (قوله رحمة له) قال النووي في شرح مسلم انما يكون دعاؤه صلى الله عليه وسلم على من دعا عليه رحمة وكفارة وزكاة اذا لم يكن اهلا للدعاء عليه والسب واللعن وكان مسلما والا فقد دعا صلى الله عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك لهم رحمة فان قيل كيف يدعو على من ليس بأهل للدعاء عليه او يسبه او يلعنه او نحو ذلك — بجمله

يحمله على عاتقه ويقول اللهم انى احبه فأحبه وصح من احبنى فليحبه وليبلغ الشاهد
الغائب اللهم انى احبه فأحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات وفى رواية فجعل يفتح فمه ثم
يدخل فمه فى فمه ويقول ذلك وفى اخرى من أحبنى واحب هذين وأباهما وامهما كان معى
فى درجتى يوم القيامة وصح انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان الجنائب لتقاد بين
يديه وخرج عن ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات وكرمه باهر وحكاياته فيه ابهر ولم
تسمع منه كلمة فحش قط الا قوله مرة عن مخاصمة ليس له عندنا الا ما رغم انفه وجاء من
طرق كثيرة بعضها صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان ابنى هذا اى الحسن
سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقد حقق الله ذلك فان اباه كرم الله
وجهه لما توفى تولى الخلافة بمبايعة اهل الكوفة فكان آخر الخلفاء الراشدين بنص
جده صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الصحيح الخلافة بعدى ثلاثون سنة فمدة خلافته
هى الستة الاشهر الباقية منها وعند مضيها سار الى معاوية فى اربعين الفا فلما تراءى
الجمعان علم الحسن انه لن تغلب احدى الطائفتين حتى يذهب اكثر الاخرى فرضى
بالنزول لمعاوية عن الخلافة شفقة على الامة بشروط قبلها معاوية فنزل له وحينئذ صار
هو الامام الحق وقبل ذلك كان متغلبا لكن لاجتهاده لم يكن آثما بل مأجورا واما شهادة
الحسين وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة اربع ومن فضائله رضى الله تعالى عنه
حديث حسين منى وانا من حسين أحب الله من احب حسينا حسين سبط من الاسباط
وفى رواية الحسن والحسين سبطان من الاسباط وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها ان
جبريل وفى رواية ملك القطر واعلهما واقعتان جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره
ان الحسين مقتول واراه من تربة الارض التى يقتل فيها فاعطاها لام سلمة واخبرها ان يوم
قتله يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كرب وبلاء وفى
رواية فاشار جبريل بيده الى الطف ارض بالعراق بناحية الكوفة ولا تخالف لان
ذلك الموضع يسمى كربلاء وبالطف كذلك قال بعضهم وقال غيره كربلاء قريب
من موضع يقال له الطف بقرب الكوفة وروى الطبرانى اما حسن فله هيبتى وسوددى
واما حسين فله جراءتى وجودى وروى البغوى وغيره سمى هرون ابنيه شبرا وشبيرا
وانى سميت ابنى الحسن والحسين وجاء ان العرب لم تسم بهما فى الجاهلية فيها ان
يزيد لما استخلف سنة ستين ارسل لعامله بالمدينة ان يأخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة
خوفا على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه ويمحى ما هم فيه من الجور
فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وامره ان لا يذهب باهله
ان ذهب فابى فبكى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقال واحسيناه وقال له ابن عمر
نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال استودعتك الله من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير
رضى الله عنهم بل لم يبق بمكة الا من حزن لمسيره ولما بلغ خاه محمد بن الحنفية بكى حتى

= فالجواب من وجهين احدهما أن المراد ليس باهل عند الله فى باطن الامر لكن فى الظاهر مستوجب فيظهر له صلى الله عليه وسلم استحقاقه لذلك بامارة شرعية ويكون فى باطن الامر ليس اهلا لذلك وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والثانى أن ما وقع من سبه ودعائه ونحو ذلك ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب (قوله الا ما رغم أنفه) قال فى القاموس رغم انفى لله تعالى ذل عن كره (قوله وخذلانهم) انظره مع ما علمت من أنه هو الذى ترك القتال ولم يسبق فى ذكر الشارح واقعته مع معاوية أن قومه خذلوه

ملا طشتا بين يديه وقدم امامه مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة اثنا
عشر ألفا فأرسل اليه يزيد ابن زياد فقتله وسار الحسين غير عالم بذلك فلقي الفرزدق
فسأله فقال قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء ولما قرب
من القادسية تلقاه من أخبره الخبر وامرهم بالرجوع فقال اخو مسلم المقتول
لا حتى نأخذ بثارنا او نقتل ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل الى كربلاء فجهز اليه
ابن زياد عشرين الف مقاتل فلما وصلوا اليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته
ليزيد فأبى فقاتلوه وكان أكثر مقاتليه المكاتبين اليه والمبايعين له فلما جاءهم فروا عنه الى
عدوه فحارب ذلك العدد الكثير ومعه من اهله نيف وثمانون فثبت في ذلك الموقف ثباتا
باهرا ولولا أنهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه ولما استحر القتل في اهله حتى بلغ
خمسين صاح اما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحرث
رياحيا شجاعة جدة فقاتل بين يديه حتى قتل ثم في اصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم وقتل منهم
كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه حتى حالوا بينه وبين حريمه فصاح رضي الله تعالى عنه
كفوا سفهاءكم عن النساء والاطفال فكفوا فلم يزل يقاتلهم الى أن اثخنوه بالجراح لانه
طعن احدى وثلاثين طعنة وضرب اربعا وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش
الى أن سقط الى الارض فحزوا رأسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام احدى وستين ووضعه
قاتله بين يدي عبيد الله بن زياد متبجحا بكونه قتل خير الناس فأمر بضرب عنقه وقال اذا
علمت أنه كذلك فلم قتلته وقتل معه من اخوته وبنيه وبني اخيه الحسن ومن أولاد جعفر
وعقيل تسعة عشر رجلا قال الحسن البصري ما كان على وجه الارض لهم يومئذ شبيه
وجعل ابن زياد الرأس في طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويدخله أنفه ويتعجب من
حسن ثغره فبكى أنس رضي الله تعالى عنه وقال كان اشبههم برسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال له زيد بن ارقم ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبل ما بين الشفتين وبكى فأغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل فقال لاحدثنك بما هو
اغيظ عليك من هذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعد حسنا على فخذه اليمنى
وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع صلى الله عليه وسلم يده الكريمة على يافوخهما ثم قال
اللهم اني أستودعك اياهما وصالحي المؤمنين فكيف كانت وديعة النبي صلى الله عليه
وسلم عندك يا ابن زياد اه ولما دخل قصر الامارة بالكوفة امر بالرأس فوضع على ترس
عن يمينه والناس سماطان ثم انزله وجهزه مع رؤس اصحابه وسبايا آل الحسين الى يزيد
فلما وصلوا اليه قيل ترحم عليه والمشهور أنه جعل ينكث الرأس بالخيزران ويجمع بأنه
اظهر الاول واخفى الثاني قيل والعجب كل العجب من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب
وحمل آل النبي صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موثقين في الحبال والنساء مكشوفات
الوجوه والرؤس انتهى ولا عجب فان يزيد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوى

(قوله من القادسية) بينها وبين الكوفة مرحلتان (قوله عام احدى وستين) فعمره قريب من سبع وخمسين سنة فهو اكبر من الحسن بقريب من عشر سنين كما علمت من سنة مولد كل ووفاته السابق علمهما في الشرح (قوله سماطان) اي جانبان اه صحاح

بلغا لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه بل قال احمد بن حنبل بكفره وناهيك به ورعا وعلما يقتضيان بأنه لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة فى ذلك ثبتت عنده وان لم تثبت عند غيره كالغزالى فانه اطال فى رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق صحيح أنه قتله ولا امر بقتله ثم بالغ فى تحريم سبه ولعنه وكابن العربى المالكى فانه نقل عنه ما يقشعر منه الجلد أنه قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده اى بحسب اعتقاده الباطل أنه الخليفة والحسين باغ عليه والبيعة سبقت ليزيد ويكفى فيها بعض اهل الحل والعقد وبيعته كذلك لان كثيرين اقدموا عليها مختارين لها هذا مع عدم النظر الى استخلاف ابيه له امامع النظر لذلك فلا يشترط موافقة احد من اهل الحل والعقد على ذلك ويرد بان هذا انما هو بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الامام الجائر اما قبل ذلك فكان الامر منوطا بالاجتهاد واجتهاد الحسين رضى الله تعالى عنه اقتضى جوازا او وجوب الخروج على يزيد لجوره وقبائحه التى تصم عنها الآذان فهو اعنى الحسين رضى الله تعالى عنه محق بالنسبة لما عنده لاسيما ان رأى ما رأى الامام أحمد من كفره وبه يرد ايضا ما قيل نظير ذلك حال معاوية مع الحسن قبل نزوله له عن الخلافة ومع على كرم الله وجهه فانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه غير آثم لاجتهاده فالحسين كذلك انتهى فتأمل ذلك فان كلام الائمة فيه كالمتنافى ولا يزول الاشكال فيه الا بما قررته فاستفده ومما يبطل توجيه تلك الكلمة ما ذكرته فى مختصرى تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطى أن رجلا سمى يزيد امير المؤمنين فأمر عمر بن عبد العزيز خامس اوسادس الخلفاء الراشدين ولا يرد الحسن رضى الله تعالى عنه على الذين عبروا بالاول فانه وان كان منهم بنص الحديث الصحيح على أن الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة ومدة خلافته ستة اشهر تكملة هذه الثلاثين لانها لم تطل ولم يدن له ما دان للاربعة من جميع بلاد الاسلام فكانه اندرج فى خلافة ابيه فهما كرجل واحد فهو من الاربعة وحينئذ تعين أن خامسهم عمر رضى الله تعالى عنه بضربه عشرين سوطا فهذا صريح فى أنه كان متغلبا بالشوكة لا اماما لان الذين هم اهل الحل والعقد حقيقة اكره اكثرهم على بيعته كما صرحت به فى المختصر المذكور تبعا للاصل واقلهم من اجلاء الصحابة هربوا الى مكة ويأتى قريبا بعض ذلك مع زيادة عليه ولما وصلوا الدمشق اقيموا على درج الجامع حيث تقام الاسارى والسبى وقيل أن يزيد أرسل برأس الحسين ونقله ومن بقى من اهله الى المدينة فكفن رأسه ودفن عند قبر امه بقبة الحسن وقيل اعيد الى جثته بكربلاء بعد اربعين يوما من قتله ثم سلط الله على ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة ولما نزل الذين ارسلهم ابن زياد بالرأس اول منزل جعلوا يشربون بالرأس فخرجت عليهم يد من الحائط معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم

اترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

(قوله عمر بن عبد العزيز) ٢ هو خامس اوسادس الخلفاء الراشدين ولا يرد الحسن رضى الله تعالى عنه على الذين عبروا بالاول فانه وان كان منهم بنص الحديث الصحيح على أن الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة ومدة خلافته ستة اشهر تكملة هذه الثلاثين لانها لم تطل ولم يدن له من دان للاربعة من جميع بلاد الاسلام فكانه اندرج فى خلافة ابيه فهما كرجل واحد فهو من الاربعة وحينئذ يتعين أن خامسهم عمر (قوله وقيل اعيد الى جثته) وهذا هو المشهور ثم نقل الى مصر فى دولة الفاطمية وجعل له مدفن عظيم بالقرب من الجامع الازهر يسمى المشهد الحسينى واستمر فيه الى يومنا هذا خلافا لمن ادعى عوده الى الجثة وقد وقع للاستاذ الشيخ كريم الدين الخلوتى واقعة منامية تدل على وجوده فيه وفيها الامر من الحضرة الالهية بزيارة ذلك المشهد الحسينى فواظب على زيارته يوم الثلاثاء من كل اسبوع وصار يوما مشهورا يجتمع فيه خلق كثير من المقربين والمنشدين والزوار يعرفون بركته اهـ من ابن عبد الحق

٢ قول المحشى هو خامس اوسادس الخ هذه العبارة بعينها موجودة فى الشراح التى بايدينا ولعل المحشى رحمه الله كتب على نسخة ليست هذه العبارة فيها اوهى هامشة أدخلت فى الشراح اهـ

ذهبوا وتركوا الرأس ثم عادوا وأخذوه او اخذه غيرهم وقدم به على يزيد ومما ظهر يوم قتله من الآيات ان السماء امطرت دما وان اوانيهم ملئت دما وان السماء اشتد سوادها الانكساف الشمس حينئذ حتى رؤيت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت وأن الكواكب قد ضربت بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا رؤي تحته دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل احمرت ستة اشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك وعن ابن سيرين اخبرنا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين وقال ابن الجوزي وحكمة ذلك أن غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية فاظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظيم الجناية وكما اظهر الله تعالى عظيم الجناية على الحسين بذلك الامر الباهر ظهر على ولد ولده الحسين زيد صاحب المذهب المشهور رضي الله تعالى عنه فان بني امية استخفوا به وقتلوه وحرقوه فانتقم الحق تعالى ممن فعل به حتى سلط عليه من فعل به مثل ما فعل يزيد وأقبح بكثير كما هو مبسوط في قصته مع هشام المشهورة وفيها من الكرامات الباهرة لاهل البيت ما اوجب ذكر حاصلها ليطلع من يحبهم فيزداد محبة لهم او المبغض فيتوب ويرجع الى الله تعالى * اعلم أني ذكرت في كتابي اسنى المطالب في صلة الاقارب ما لفظه تنبيه آخر يؤيد ما ذكرته في التنبيه الذي قبل هذا ما وقع لهشام بن عبد الملك حيث قطع رحم زيد بن علي فقتله قومه الذين ارسلهم اليه وحرقوه بالنار فسلط الله عليه من اخرجه من قبره وحرقه بالنار جزاء وفاقا وشرح ذلك أن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم كان يدخل على هشام بن عبد الملك بن مروان من خيار بني امية وظالميهم فكان يقع بينهما محاورات فيفحمه زيد حتى يجعله بين يدي جلسائه في عزمة كنته ومن ذلك أنه قال انت زيد المؤمل للخلافة وما انت وذلك وانت ابن امة فقال له زيد ان الامة لو قصرت بولدها عن بلوغ الغاية لما بعث الله تعالى نبيا هو ابن امة وجعله ابا العرب وابا خير النبيين وهو اسمعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم فكانت امه مع ام اسحق كامك مع امك وما قصر بك برجل ابوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده علي بن ابي طالب فلما خرج قال هشام لجلسائه ألستم زعمتم أن اهل هذا البيت قد انقرضوا الا لعمر والله ما انقرض قوم هذا خلفهم ودخل عليه مرة اخرى فرأى عنده يهوديا يسب قيل كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان يسب آله فانتهره زيد وقال يا كافر أما والله اني تمكنت منك لاختطفن روحك فقال هشام مه يا زيد لا تؤذ جليسنا فخرج قائلا من استشعر حب البقاء استدثر الذل الى الفناء وهاج حينئذ على الخروج على هشام فأطاعه من اهل الكوفة خمسة عشر الف مقاتل وبايعوه وبايعه جماعة من الائمة قيل منهم ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه وامده بمال عظيم فخرج اوائل المحرم سنة اثنين وعشرين ومائة وخرج معه من القراء والفقهاء واهل البصائر خمسة

آلاف

(قوله دم عبيط) قال في الصحاح في فصل العين المهملة في باب الطاء والعبيط من الدم الخالص الطري (قوله وان الورس) اي الذي كان في عسكرهم وقد كان في قافلة من اليمن تريد العراق فوافتهم حين قتله كذا في الصواعق والورس نبت كالسمسم ليس الا باليمن يزرع فيبقى عشرين سنة اه قاموس (قوله ان الحمرة التي مع الشفق) فهي غير الشفق لانه كان موجودا قبل قتل الحسين فقد بين رسول الله عليه اول وقت العشاء

آلاف فى زى لم تر الناس مثلهم ثم خذله الذين بايعوه وتأخروا عنه فقال أين الناس فقيل له احتبسوا فى المسجد فقال لا يسعهم عند الله تعالى خذلانهم لنا فعاد اليهم وامرهم بالخروج فأبوا فقال يا اهل الكوفة اخرجوا من الذل الى العز والى خيرى الدنيا والآخرة فأبوا فاقبلت جنود هشام فحمل عليهم زيد رضى الله تعالى عنه فقتل منهم مقتلة عظيمة فلم ينجع ذلك فيهم شيأ ودخلوا الكوفة فتفرقت اصحابه عنه فلم يتأثر بذلك وحاربهم يوم الاربعاء والخميس فحمل عليهم وقتل من فرسانهم كثيرين فأصيب آخر يوم الجمعة بنشابة فى جبينه فجئ له بطبيب فنزعها فمات من وقته ودفن فى قناة واجرى عليه الماء حتى لا يعرفوا قبره ثم دلوا عليه فصلب على جذع نخلة عريانا فنسجت العنكبوت على عورته لوقته فلم يرها احد فكان ذلك من كراماته الباهرة ثم أنزلوه وحرقوه بالنار حتى صار رمادا فذروه فى الهواء فلما كان زمن السفاح اول خلفاء بنى العباس وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم امر بامرأة هشام المذكور فشدخ رأسها بالعمد وامر بقطع ثديها اوقتلها قصاصا فى أم ولد أو زوجة كانت لزيد رضى الله تعالى عنه قتلوها ثم امر بهشام فنبش من قبره فوجد بحاله لانه كان طلى بالصبر لئلا يتغير فأقاموه وجلدوه حتى تناثر لحمه ثم حرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد رضى الله تعالى عنه جزاء وفاقا فتأمل نصر الله تعالى حتى على يد الاعداء فان غالب بنى العباس كانوا يكرهون ذرية الحسين لانهم كانوا ينازعونهم فى الملك ويخرجون عليهم كثيرا ومع ذلك اظهر الله الانتقام من هشام لزيد على يد من يكره بنى زيد وبنى عمه اه (ليس ينسينى) ككل مسلم كامل الايمان (الطف) اى بذكر ما وقع فيه ومر انه ارض بالعراق وانه يسمى كربلاء اوقريب منها وقبره به معروف يزار ويتبرك به (مصابيهما) اى مجموعهما على حد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اذ هما انما يخرجان من الملح فقط اى مصاب الحسين لان قتله به واما قتل الحسن فانه كان بالمدينة ولم يكن قتله بالسم ظاهرا وانما علم به نزر من الناس (ولا كربلاء) بل كل منهما ايذكرنى بذلك المصاب حتى انى أتصور فى كل ارض أنها هى فظاهره أنه مغاير للطف ومر أنه قول وكأن الناظم لمح بهذا الى ما رواه ابن سعد عن الشعبى أن عليا كرم الله وجهه لما مر بكربلاء عند مسيره الى صفين وقف وسأل عنها فقيل كربلاء فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى القصة الآتية قريبا فى شرح قوله فابكهم (مارعى فيهما ذمامك) بالمعجمة اى حرمتك ايها النبى الكريم مع انه يجب على كل احد رعايتها والوفاء بها ولا يحصل ذلك الا بالقيام بجميع مالهما من العهود والحقوق والحرمة والجلالة ومن بغض شانيها واعتقاد أنه على غاية من الحماقة والضلالة والجراءة والتهور (مرؤس) اى تابع لجهلة الكندية فى الحسن وابن زياد واتباعه فى الحسين رضى الله تعالى عنهما (و) الحال أنه (قد خان عهدك الرؤساء) اى المتبوعون من الظلمة الطغاة المتمردين كيزيد فيهما اذ تسببه فى

قتلهما لكنهما فازا بمنزلة الشهادة العظمى وباء بخزى الدنيا والاخرى وقول بعضهم لاملام على قتلة الحسين لانهم انما قتلوه بسيف جده الآمر بسله على البغاة وقتالهم لا يعول عليه لان يزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم يبايعوه والمبايعون له مكرهون على البيعة كما هو معروف وغاية أمر يزيد انه جائر فاسق متغلب وحرمة الخروج على الامام الجائر التى جرى عليها الاجماع محلها بعد استقرار الامور وانقضاء تلك الاعصار واما تلك الاعصار فكان أهلها مجتهدين فلم يدخلوا تحت حيطة رأى غيرهم ولذلك خرج على يزيد أيضا ابن الزبير ولم يبال ببيعته ولا اعتد بها لجماعة آخرين امتنعوا منها وهربوا ومر آنفا ماله تعلق بذلك مع زيادة وروى ابن السكن انه صلى الله عليه وسلم قال وقد أشار الى الحسين ان ابنى هذا يقتل بارض العراق فمن أدركه منكم فلينصره وبه يرد قول البعض المذكور ومما يرده أيضا ماترتب على قتل الحسين مما مر بعضه وبين رعى وخان والرؤس والرؤساء جناس الطباق (أبدلوا) أى هؤلاء المذكورون (الود) بتثليث الواو اى المودة التى حرضهم الله تعالى عليها فى الآية الآتية ببغضهم وقتالهم والحاق الايذاء لهم بكل طريق أمكن حتى ان القرمطى سباهم فأبيعت الشريفة فى عسكره باربعة دراهم والشريف بدرهمين لكثرة من سباه منهم (و) ابدلوا أيضا (الحفيظة) اى الحمية (فى) نصر (القربى) ومحبتهم اى قرابة النبى صلى الله عليه وسلم وهم أهل البيت النبوى يعنى تركوا هذين وأخذوا ضدهما فقطعوا مودتهم وتخاذلوا عن نصرتهم ولم يمتثلوا قول الله تعالى فى حقهم الدال على غاية رفعتهم قل لاأسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى الآية وقد اختلف المفسرون فى القربى من هم والذى جاء عن الحسن بن على كرم الله وجههما بسند حسن انهم أهل البيت فانه خطب الناس خطبة بليغة فيها أنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أنا ابن البشير أنا ابن النذير ثم قال وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم زاد فى رواية على كل مسلم فقال فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وفى رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنات مودتنا أهل البيت وجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بسند فيه شيعى غال لكنه صدوق أنها لما نزلت قالوا يارسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا محبتهم قال على وفاطمة وابناهما وروى غير واحد نحو ذلك عن على رضى الله تعالى عنه وأخرج الطبرانى عن زين العابدين انه لما جىء به أسيرا عقب قتل أبيه الحسين رضى الله تعالى عنهما وأقيم على درج مسجد دمشق قال بعض جفاة أهل الشام الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له اما قرأت قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى قال وأنتم هم قال نعم ولا ينافى ذلك ماهو المشهور عن ابن عباس واتباعه من حملها على غير ذلك كما فى البخارى وغيره عنه ان المراد أن لا تؤذونى يامعشر قريش بقرابتى فيكم

(قوله تحت حيطة) قال فى الصحاح الحيطة بالكسر الحياطة وهما من الواوى (قوله حتى ان القرمطى سباهم) قدم أبو طاهر سليمان بن أبى ربيعة القرمطى بكسر القاف مكة يوم التروية سنة عشر وثلثمائة ونهب دورها وأموال الحج وقتلهم فى المسجد وفى البيت وقلع الحجر الاسود من محله وأرسله الى الجنباء وقلع القطيف وقتل أمير مكة وقلع باب الكعبة وفرق كسوتها على أصحابه وطرح طائفة من القتلى فى بئر زمزم ودفن البقية فى المسجد بلا غسل ولا صلاة ثم من الله تعالى برد الحجر الاسود الى مكة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة اه من افشاء السر المصون لابن الموقع كمال الدين (قوله فابيعت) اى عرضت للبيع قال فى المختار وأباع الشئ عرضه للبيع (قوله اى الحمية) اى الانفة عما يضر

وفى رواية عنه انهم لما أبوا ان يبايعوه أنزل الله عليه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يا قوم اذا أبيتم ان تبايعونى فاحفظوا قرابتى ولا تؤذونى ويؤيده ان السورة مكية ورواية نزولها بالمدينة ضعيفة وان أمكن نزولها مرتين كما قيل به فى الفاتحة ووجه عدم المنافاة ان من ذكره صلى الله عليه وسلم وخص بقريش اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر أهل البيت وعمم فى كل مسلم ذكر ما هو المقصود بالتبع فكل من المرادين صحيح من غير منافاة ولا تعارض بينهما ومن ثم كان ابن جبير وهو أجل تلامذة ابن عباس يفسر تارة بهذا وتارة بهذا وفى رواية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الا ان تودّوا الله ولا منافاة أيضا لان من جملة مودّته تعالى مودّة رسوله وأهل بيته وادعاء نسخ الآية قول مردود لا يلتفت اليه ولا يجوز اعتقاده كما قاله البغوى وغيره وقد صح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزى حديث أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله عز وجل وأحبوا أهل البيت لحبى وصح أيضا ما بال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله تعالى ولقرابتهم منى وفى خبر احمد انه صلى الله عليه وسلم قال لمن اشتكى عليا والله لقد آذيتنى ثم قال من آذى عليا فقد آذانى وروى أحمد والترمذى حديث من أحبنى وأحب حسنا وحسينا وأباهما وأمهما كان معى فى الجنة زاد أبو داود ومات متبعا السنتى وبها يعلم بطلان قول الرافضة تنفع محبتهم مع مخالفة السنة (رابدت) اى أظهرت (ضبابها) عائد الفاعل أبدت وأراد بالضباب اليرابيع لان النافقاء لا تكون الا لها (النافقاء) هى احدى جحرتى اليربوع يكتمها ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهو موضع من جحره يجعل الحاجز بينه وبين الفضاء قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة الاخرى المسماة بالقاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانشق وخرج هاربا منه ولهذا يقال نفق اليربوع تنفيقا ومنه اشتقاق المنافق فى الدين كما فى الصحاح وفى النظم تشبيه المكرة بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا باليربوع فى مكره المذكور فهو استعارة تصريحية وفى ذكر النافقاء استعارة ترشيحية أو تشبيه ما عند أولئك من النفاق بالنافقاء بالجامع الآتى فهى حينئذ استعارة مصرحة وفى ذكر النافقاء مصرحة رشحت بذكر الضباب أو تشبيه النافقاء بما عند أولئك من النفاق الذى حملهم على ان فعلوا بآل البيت ما فعلوا فتشبيه النافقاء بنفاق أولئك استعارة بالكناية والجامع ان النافقاء يظهر اليربوع منها فيهرب من صياده وكذلك نفاق أولئك أظهرهم حتى هربوا من الدين وفعلوا ما فعلوا واثبات اليربوع استعارة تخييلية ويصح ان يكون استعارة بالكناية أيضا التشبيه الضباب بأولئك فى المكر واضافتهم الى ضمير النافقاء تخييلية (وقست) اى غلظت واشتدت (منهم) اى المكرة الفجرة المذكورين وهو حال من قوله (قلوب) فوصل اليهما والى ذريتهما منهم غاية الايذاء والاستهانة بحقهم الواجب رعايته عليهم ولم تلن لهم تلك القلوب قط لان الله تعالى أراد لها الشقاوة والعذاب الاليم

(قوله أو تشبيه النافقاء الخ) فيه ان الكلام فى بيان صفاتهم الذميمة لا فى بيان صفات جحرة اليربوع وكذا يقال فيما تذكره من تشبيه الضباب بأولئك الفجرة

(على من) اى أولئك الائمة الذين هم بدور الدنيا ومن ثم قال الحسن البصرى رحمه الله
تعالى فى الذين قتلوا مع الحسين من أهله ليس لهم شبيه على وجه الارض (بكت الارض
فقدهم والسماء) وهذا اقتباس من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض
اذ مفهومه ان المؤمن تبكى عليه السماء والارض بمعنى انهما يأسفان على ما فاتهما من
أعماله وثوابها اما الارض فمحال سجود المؤمن وعباداته واما السماء فمحال صعود الملائكة
بتلك الاعمال اليها واذا كان هذا فى مطلق المؤمنين كما علم من الآية فما بالك بآل البيت
النبوى والسر العلوى ويصح ان يكون المراد ببكائهما بكاء أهلهما وهو واضح لكن
الاول أبلغ ولا مانع من حمله على الحقيقة لانه ممكن وورد به الشرع فلا يخرج عن ظاهره
الا بدليل (فابكهم) أيها السامع للخطاب (ما استطعت) اى مدة دوام استطاعتك تأسيا
بنبيك صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل ثم بعلى كرم الله وجهه روى ابن سعد عن الشعبى قال
مر على كرم الله وجهه بكربلاء عند مسيره الى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الارض
فقيل له كربلاء فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال كان عندى جبريل آنفا وأخبرنى ان ولدى
الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب تلك
الارض أشمنى اياها فلم أملك عينى ان فاضتا وأخرج الترمذى ان أم سلمة رأت النبى صلى
الله عليه وسلم باكيا وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفا وكذلك رآه
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه
فسأله فقال دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل فى ذلك
اليوم فان قلت الامر بالبكاء ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين باكية ومن
ثم قال أئمتنا يكره البكاء بعد الموت قلت ليس المراد بالبكاء المأمور به هنا حقيقته بل لازمه
من التأسف والحزن على ما حصل للدين وأهله من استباحة حرم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودم بنيه وأهله ومن غاية الاستهانة بحقهم والفرح بمصابهم ومن زوال أنوار النبوة
وعلومها وتقاها وزهدها وكمالاتها بفقدهم وذلك كله مصاب لا يساويه مصاب فحق لكل
أحد ان يحزن على ذلك ويتأسف عليه وان يأمر به غيره ويدعو اليه فان قلت كيف نهى
النبى صلى الله عليه وسلم عن البكاء وبكى كما فى الحديث المذكور قلت المنهى عنه انما هو
البكاء بعد الموت لوقوع اليأس به فوجود البكاء حينئذ ربما دل على نوع تبرم بالقضاء
والواقع هنا البكاء منه صلى الله عليه وسلم قبله وهو محض رحمة حينئذ وبهذا يتبين عدم
الاحتياج للجواب بل عدم صحته بان المنهى عنه البكاء الاختيارى والذى وقع منه
صلى الله عليه وسلم لعله اضطرارى أو بيان للجواز أو أطلق منه البكاء على مجرد دمع العين
وهو لا كراهة فيه ومن ثم لما قيل له صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى بناته قيل له ما هذا
اى وقد نهيت عن البكاء فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء فبين ان مجرد

دمع

(قوله فما بكت عليهم السماء الخ) قال الكواشى فى تفسيرها فما بكت عليهم السماء والارض لكفرهم لانه روى ان المؤمن اذا مات بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا وهذا ممكن قدرة قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا له فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وعن على ان المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء (قوله ثم بجبريل) يقتضى انه وقع منه بكاء وان اقتصر الشارح على رواية بكاء نبينا وعلى (قوله فلم أملك عينى ان فاضتا) ظاهره انه لم يوجد صوته مع الدمع الذى هو البكاء الممدود وانما وجد منه مجرد البكى المقصور الذى هو نزول الدمع (قوله رأت النبى) اى فى النوم

دمع العين لا محظور فيه ولا كراهة فتأمله ثم تمم ما أمر به من البكاء بما يصلح ان يكون دليلا حاملا عليه فقال (ان) جزاء (قليلا) اى قليل (فى) مقابلة (عظيم من المصاب) لا سيما مصاب الامة بالحسنين وأهل بيتهما رضى الله تعالى عنهم أجمعين وبين قليل وعظيم طباق وفيه اشتقاق ورد العجز على الصدر (البكاء) وان كثر وهو الصوت الذى يكون مع الدمع واما المقصور فهو الدمع فقط وغير القليل قتل قاتليهم ودوام نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة الثناء عليهم والرد على أعدائهم وغير ذلك (كل يوم وكل أرض لكربى) اى لاجل ما حصل لى من الكرب وهو الغم الذى يأخذ النفس بحيث يخشى فوتها (منهم) اى بسبب ما حصل لهذين الامامين وأهل بيتهما من القتل والاسر والسب والايذاء (كربلا) راجع لكل أرض (وعاشوراء) راجع لكل يوم ففيه لف ونشر مشوش اى زاد بى ذلك الكرب حتى ان كل أرض حلت بها تصورت انها الارض التى قتل فيها الحسين وكل يوم أصبح على تصورت انه يوم عاشوراء الذى قتل فيه فكربى عم جميع ما أنا فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقنى بالانتقال من أرض لاخرى ولا من زمن لآخر وبين كربى وكربلا جناس شبه الاشتقاق كهو أو جناس الاشتقاق فى تأوى وآوت وفوضت وتفوّيضى وطبتم وطاب وسدتم وسودته ووزر والز وراء والقاسم واقسامى وابكهم والبكاء يا (آل بيت النبى) وهم مؤمنو بنى هاشم والمطلب وهم المذكورون فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأكثر المفسرين انها نزلت فى على وفاطمة والحسنين رضى الله تعالى عنهم وقيل نزلت فى نسائه صلى الله عليه وسلم ونسب لابن عباس وكان مولاه عكرمة ينادى به فى الاسواق ورد بتذكير ضمير عنكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما ور جحه جمع بانهن سبب النزول فيدخلن قطعا ويدل له ما صح عن أم سلمة قالت يارسول الله أنا من أهل البيت قال بلى ان شاء الله ولدخول آل البيت خبر مسلم انه أدخل أولئك الاربعة تحت كساء وقرأ الآية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل هؤلاء تحت كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفى حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يارب هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فقالت اسكفة الباب وحوائط البيت امين ثلاثا فعلم ان المراد باهل البيت فى الآية أهل بيت سكنه صلى الله عليه وسلم وهن امهات المؤمنين وأهل بيت نسبه وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب وصح هذا عن زيد بن ارقم والمشهور ان هؤلاء هم آله المذكورون فى قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وقيل المراد بآل البيت هنا كل مؤمن واختير وخبر آلى كل مؤمن تقى ضعيف بالمرة وآل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة هم المرادون فى جميع ما جاء فى فضل أهل البيت أو الآل أو ذوى القربى وأولئك الاربعة هم المرادون فى آية المباهلة كما يصرح به ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فيها (ان

(قوله اشتمل على العباس وبنيه) وبين خبر مسلم السابق لتعدد الاشتمال فتارة اشتمل على فاطمة وعلى وابنيهما وتارة على العباس وبنيه (قوله وأولئك الاربعة) اى على وفاطمة والحسنان المتقدم انهم الذين نزلت فيهم آية انما يريد الله عند أكثر المفسرين ولو ذكر هذا عقب ما ذكره هنالك لكان أوضح

فؤادى) اى قلبى (ليس) فعل جامد معناه نفى مضمون الجملة فى الحال ونفى غيره بالقرينة
وقيل هى لنفى الحال وغيره وقواه ابن الحاجب بقوله تعالى ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا
عنهم قال ابن مالك وترد للنفى العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يغفل
عنه وخرج عليه ليس لهم طعام الا من ضريع اهـ ويصح ارادة هذا المعنى الاخير
فى النظم (يسليه عنكم التاساء) بفوقية اوله اى ما حصل لهم من الشدائد والمحن
وفى القاموس تأساه اذاه واستخف به بل محبتكم مقيمة فيه على الدوام لا تزلزلها محنة
ولا تنقصها شدة وفى الحديث والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد بى حتى يحبنى ولا يحبنى حتى
يحب ذوى انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم الا من اذى قرابتى فقد
اذانى ومن اذانى فقد اذى الله تعالى وفى الحديث أيضا انا تارك فيكم ما ان تمسكتم به
ان تضلوا كتاب الله تعالى وعترتى فتأمل كونه صلى الله عليه وسلم قرنهم بالقرآن فى ان
التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب الكمال وأشار الى ان ما عنده ملازم له لا يفارقه بسلو
ولا تسل ولا غيرهما من الوفاء بحقهما او التحزن والتحسر لما بهما انما هو مع تفويضه
الامور الى بارئها كما قال (غير) اى الا (انى) فهو استثناء منقطع (فوضت أمرى) فى ذلك
كله (الى الله) تعالى الفاعل لما يشاء والمقدر لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
(وتفويضى الامور) الى من هو مقدرها ومدبرها (براء) اى مبرئ للمفوض حيث
لم يكن له اعتماد على شئ من حوله وقوته وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن كامل ومن ثم
قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنة وفى
فوضت وتفويضى جناس الاشتقاق وجملة وتفويضى الخ تذييل (رب) للتقليل (يوم
بكربلاء مسيء) باعتبار ما وقع فيه من قتل الحسين ومن معه بها (خففت بعض وزره)
اى ثقل ذلك الخطب الجسيم والمصاب العظيم عن النفوس التى عندها غيرة لآل البيت
النبوى (الزوراء) فيها مع وزره شبه الاشتقاق وهى ناحية بغداد اى ما وقع فيها من
خلفاء بنى العباس الذين هم من جملة آل البيت من اخذهم بعض ثار ابن عمهم الحسين
وغيره من آل البيت بالخروج على بنى أمية لانهم عاثوا وجاروا ولم يراقبوا الله ولا رسوله
طرفة عين فى ال البيت الطاهرين المطهرين الكاملين المكملين الجامعين بين العلوم
الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكرامات الباهرة والمعالى الفاخرة ثم
نزع الخلافة منهم بعد ان نصرهم الله عليهم فقتلوهم شر قتلة كما قال (والاعادى) الذين
هم أولئك الفسقة الفجرة (كأن كل طريح) اى مطروح (منهم) الى الارض ببوارق
السيوف ولوامع الاسنة الموجبة لتوالى الحتوف (الزق) المنتفخ الملقى على الارض
الذى (حل عنه الوكاء) وهو ما يشد به رأس الزق ولا زالوا يتبعونهم حتى قطعوا دابرهم
عن آخرهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وهذه القصة مبسوطة
فى التواريخ كتاريخ الخلفاء للسيوطى ثم فى اختصارى له فعليك بطلبها من محلها ان

(قوله قال ابن مالك الخ) دليل
لما قبله الذى قواه ابن الحاجب
(قوله كلا التبرئة) اى التى
للتبرئة (قوله يسليه) اى يصرفه
عنكم يقال سلاه وعنه سلوا
وسلوا وسلوانا وسليا كدعاه
ورضيه و يقال اسلاه عنه
(قوله عاثوا) اى افسدوا قال فى
القاموس العيث الافساد وعاث
يعيث (قوله والاعادى الخ) قال
بعضهم تذاكرنا مع جماعة قتل
الحسين رضى الله عنه فقال رجل
من القوم ما احد أعان على قتل
الحسين الا أصابه بلاء قبل موته
فقال شيخ كبير انا ممن أعان عليه
وما أصابنى أمر أكرهه الى
ساعتى هذه فجاء الى السراج
ليصلحه فاخذته النار فخرج
مبادرا الى الفرات وألقى نفسه
فاشتعل وصار رمادا وذكر
بعضهم ان رجلين ممن أعان على
قتله طال ذكر أحدهما حتى
صار يلفه على عاتقه وبالهامن
فضيحة فى الدنيا قبل فضيحة
الاخرى وثانيهما يشرب الراوية
من الماء فلا يروى

شئت يا (آل) فهو منادى وأصله أهل ابدلت الهاء همزة ساكنة وقبلها همزة متحركة فابدلت الساكنة ألفا على القاعدة ولا يضاف الا الى الاشراف كما هنا وانما قيل آل فرعون لانه كان متصورا بصورة الاشراف (بيت النبي) ومر آنفا بيانهم (طبتم) أصولا وفروعا ونفوسا وافعالا وأقوالا وصفات وظاهرا لنظم أن المراد بالطيب في وبريحانتين طيبهما منك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل انه في الموضعين للطيب ظاهرا وباطنا وان الطيب ثم لهما وهنا للباقين وهو الوجه لان ذاك في خصوصهما وهذا في عموم أهل البيت كما دلت عليه الآية السابقة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا اذ هي منبع فضائلهم لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم أو الشك فيما يجب الايمان به وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وفي أحاديث تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاولياء في كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة ختم الآية بتطهيرا المبالغة في وصولهم لاعلاه وفي رفع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين التعظيم والتنكير المشير الى انه تطهير بديع ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف ثم اكد ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله وقد جعل على علي وفاطمة والحسنين كساء وقرأ الآية اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفي رواية اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفي أخرى اللهم أهلي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا وصح حديث ان مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم خيركم لاهلي من بعدي وحديث سألت ربي ان لا اتزوج الى أحد من أمتي ولا يتزوج الي أحد من امتي الا كان معي في الجنة فاعطاني ذلك وحديث واحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي وحديث انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلي وفاطمة وابنيهما وحديث ان لكل بني اب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وحديث والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد الا كبه الله في النار (فطاب المدح لي فيكم) وان لم أستوف واجب حقكم ومعالي شرفكم لان الله تعالى ورسوله اثنيا عليكم بما تنقطع الاعناق دون الوصول الى غايته والاحاطة بشئ من نهايته (وطاب) لي فيكم (الرثاء) وهو تعداد محاسن موتاكم وفي طبتم وطاب الاشتقاق والمدح والرثاء الطباق (انا حسان مدحكم) اى انا المشبه في الاعتناء بمدحكم على أقصى ما يمكن من وجوه البلاغة وقوانين الفصاحة بحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي

(قوله عضوضا) ذكر في القاموس جملة معان للعضوض والمناسب منها هنا قوله وملك فيه عسف وظلم (قوله لا يكون الا منهم) ومن قال يكون من غيرهم أبو العباس المرسي كما نقله تلميذه التاج بن عطاء الله اه من الصواعق (قوله ان مثل أهل بيتي الخ) وما ألطف قول بعضهم يمدح أهل البيت

يا بحار الندى أأخشى وأنتم
سفن للنجاة يوم المعاد
لست أخشى يا آل أحمد ذنبا
مع حبي لكم وحسن اعتقادي

(قوله لان الله ورسوله اثنيا الخ) ولله در شيخنا العلامة الشبراوي من قصيدة يمدح بها آل البيت

قال لي قائل وأيتك تهوى
آل طه وداثما تجتبيهم
ان حقا عليك تستغرق العمر
بمديح لهم وفيهم يليهم
قلت ماذا أقول والكون طرا
يستمد العطاء من ناديهم
أنا لا استطيع أمدح قوما
كان جبريل خادما لابيهم

كان ينصب له منبرا في مسجده ينافح عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو له بقوله اللهم أيده بروح القدس ومن بلاغته انه لما أراد ان يهجو قريشا أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مامن بطن من بطون قريش الاوله اليها قرابة فقال لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ورآه عمر رضي الله عنهما ينشد شعرا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه شزرا فقال كنت أنشده فيه بين يدي من هو خير منك وهو يقول اللهم أيده بروح القدس ثم استشهد ببعض الصحابة على ذلك فشهدوا له به (فاذا نحت) اى رفعت صوتي بالبكاء (عليكم فانى الخنساء) بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل منهم قيس عيلان قيل قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بنى سليم المؤالين له صلى الله عليه وسلم ولذا حضر معه منهم يوم وفتح مكة وحرب حنين الف رجل ونظرت عائشة رضي الله تعالى عنها عليها ثوب الحزن فاخبرتها بأنه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بأنها لم تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر فسألت أخاها فقاسمها ماله فافتقر فسألته فقاسمها ماله ثم الثالثة كذلك ثم الرابعة كذلك فعتبته زوجته فاجابها بأنها كنته عارها ولو هلك مزقت خمارها ولبست من شعر صدارها قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب قيل لجرير من اشعر الناس قال انا ولا هذه قيل له بم فضلتك قال بقولها

يفنى الزمان وما تفنى عجائبه * ابقى لنا ذنبا واستؤصل الراس

ابقى لنا كل مجهول وفجعنا * بالحالمين فهم هام وارماس

ان الجديدين في طول اختلافهما * لا يفسدان ولكن يفسد الناس

واجمع علماء الشعر انه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها اشعر منها اى فانى مشبهها في نوحها على أخيها صخر ورثائها له بالمعاني البديعة والمباني البليغة ومجامع الثناء وجوامع الرثاء ومنه قولها

الايا صخر ان ابكيت عينا * لقد أضحكتني دهرا طويلا

(قوله ينافح عليه) قال في الصحاح نافحت عن فلان خاصمت عنه ونافحوهم مثل كافحوهم (قوله ويدعو له) اى بلسان (قوله بروح القدس) والروح بالضم مابه حياة الانفس ويؤنث والقرآن والوحي وجبريل وعيسى عليهما السلام والنفخ وأمر النبوة وحكم الله وامره وملك وجهه كوجه الانسان وجسده كالملائكة اه قاموس ولا يخفى المناسب من هذه المعاني هنا ثم رأيت في البيضاوي في تفسير قوله تعالى وايدناه بروح القدس في سورة البقرة مانصه بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق ثم ذكر في معنى ٢٨٠ روح القدس اسم الله الاعظم ومناسبة هذا المعنى هنا ظاهرة (قوله الاوله اليها قرابة) قال النقاش ليس في العرب قبيلة الاولدت النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امهاته الابنى تغلب لنصرانيته (قوله فنظر اليه شزرا) هو نظر الغضبان بمؤخر العين (قوله كنت انشده) قال في القاموس انشد الشعر قرأه (قوله بنت عمرو) قال في القاموس وخنساء بنت خدام وبنت عمرو بن الشريد صحابيتان وبنت عمرو اخت صخر شاعرة اه هذا يقتضى انها غير صحابية فتكون حال قدومها عليه صلى الله عليه وسلم مع قومها قبل اسلامها ولم تجتمع عليه مسلمة وتقدم نظير ذلك عند قوله في حلاها وحلى الخنساء هذه العبارة تفيد ان بنت عمرو ابن الشريد غير اخت صخر فكيف قول الشارح ابن الشريد (قوله من شعر صدارها) الصدار بكسر الصاد قميص صغير يلي الجسد اه صحاح وفي المثل كل ذات صدار خالة أي من حق الرجل ان يغار على كل امرأة كما يغار على حرمه (قوله فهم هام) الهام جمع الى هامة وهي الرأس من كل شئ وطائر من طيور الليل وهو الصدى ورئيس القوم والرمس كتمان الخبر والدفن والقبر كالمرمس والراموس والجمع ارماس ورموس (قوله واجمع علماء الشعراء الخ) قيل ان النابغة الذبياني كان اذا قدم الموسم عرض عليه الناس اشعارهم فجاءت الخنساء فعرضت عليه فيمن عرض فقال لها مارأيت ذات هن اشعر منك فقالت لا والله ولا ذا نثيين ايضا وجاءه حسان بن ثابت وانشده فقال انت اشعر من انشدني في هذا اليوم لولا امرأة من خثعم فقال أ الى تقول هذا انا والله اشعر منك ومن ابيك قال حين تقول ماذا قال حين اقول لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى * واسيافنا يقطرن من نجدة دما

= قال ق ف قائلك قد اخطأت في هذا البيت في ثلاث مواضع قلت الغر والغرة انما هي لمعة بياض ولو قلت البيض كان

الى ان قالت

اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومنه أيضا

يؤرقني التذكر حين أمسي * ويردعني عن الاحزان نكسي
على صخر واي فتى كصخر * ليوم كريهة وطعان حلسي

ثم قالت أيضا

وما يكون مثل أخي ولكن * اعزي النفس عنه بالتأسي

ومنه

اعيني جودا ولا تجمدا * الا تبكيان لصخر الندى
الا تبكيان الجرى الجميدا * الا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العماد * وساد عشيرته امردا

ومنه

وان صخرا لتأتم الهداة به * كانه علم في رأسه نار

وسأل الخليفة المهدي الفضل عن أنخر بيت قالته العرب فذكر له هذا فأعطاه ثلاثين ألف درهم بعد ان شكان عليه دين عشرة آلاف درهم ورآها عمر رضي الله عنه تطوف بالكعبة لاطمة لخدها معلقة نعل صخر في خمارها فوعظها فقالت رزئت فارسا لم يرزأ أحد مثله فقال ان في الناس من هو أعظم رزية منك وان الاسلام قد غطى ما كان قبله واذا لا يحل لك اللطم وبعهدك ولا كشف رأسك فكففت وحضرت حرب القادسية مع بنيها أربعة رجال فحرضتهم على الثبات أبلغ تحريض ثم قالت فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارها على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا بالنعيم والكرامة في دار الخلد والمقامة فتقدموا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو ان يجمعني بهم في مستقر الرحمة وكان عمر رضي الله عنه يعطيها ارزاقهم لكل مائتان حتى قبض رضي الله عنه وعنهم (سدتم الناس) ايها الحسنان وذريتهما فالمراد بالناس بالنسبة اليهم الكل لكن بالنسبة لما فيهم من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شيء واما بقية آل البيت فالمراد بالناس بالنسبة اليهم من عدا الصحابة هذا كله بالنظر الى النسب واما بالنظر الى السيادة (بالتقى) فهو خاص بالمتقين منهم وخصهم بذلك لانه جاء عن كثير منهم من التقوى والزهد والعبادة والعلم والمعرفة ما لم يجئ عن غيرهم وبهذا يجاب عما يورد على النظم ان السيادة من حيث التقى لا تختص بهم والكلام انما هو فيما اختصوا به ووجه الجواب تميزهم عن أكثر الناس بتقى لم يصل اليه غيرهم والمعنى كما سدتم الناس بالنسب سدتموهم بزيادة التقى الذي لا يوجد في غيركم ومر أن جماعة قالوا ان القطب لا يكون الا منهم ومع ذلك كله ففي النظم ايهام الان يقال

أحسن وقلت يلمعن بالضحى وكل شيء فهو يلمع بالضحى ولو قلت بالدجى كان أحسن ولكن أخاف ان لا تحسن أن تقول مثل قولي فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع وهذا العمري من أحسن كلام وابلغه وافصحه وان بيت حسان ايضا لمن جيد الكلام (قوله نكسي) النكس بالكسر السهم الذي ينكس اعلاه فيجعل فوقه اسفله وايضا الرجل الضعيف وفي القاموس والنكس والنكاس بضمهما عود المرض بعد الشفاء (قوله حلسي) الحلس بكسر الحاء المهملة الشجاع وبالجيم المكسورة القدم الغليظ الاحق (قوله النجاد) بكسر النون اى حمائل السيف والمراد وصفه بطول القامة (قوله رفيع العماد) قال في الصحاح الابنية المرتفعة يذكر ويؤنث الواحدة عمادة وفلان طويل العماد اذا كان منزله معلوما للزائرين اهـ وفي شرح مسلم للنووي ومعنى رفيع العماد وصفه بالشرف وسنا الذكر وقيل رفيع العماد معناه بيته الذي يسكنه عال ليراه الضيفان وأصحاب الحوائج فيقصدونه وهكذا بيوت الاجواد (قوله علم) اى جبل مرتفع (قوله وطيسها) الوطيس التنور يقال حمي الوطيس اذا اشتد الحرب (قوله رئيسها) الرئيس الشجاع والداهية

سيادتهم الناس بالنسب أشهر من ان تذكر ودليل الاول أعنى السيادة من حيث النسب الذى هو أشرف الانساب آية المباهلة قال بعض محققى المفسرين فيها الدليل أقوى من هذا على فضل فاطمة وعلى وابنيهما رضى الله تعالى عنهم اى لانها لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسن وأخذ بيد الحسين ومشت فاطمة خلفه وعلى خلفها فعلم انهم المراد من الآية وان اولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون اليه نسبة حقيقية نافعة فى الدنيا والآخرة ويدل لذلك ما صح انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما بال أقوام يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيامة بل والله ان رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة الحديث وأخرج الطبرانى حديث ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه وان الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب وروى غيره نحو ذلك من طرق وفى بعضها زيادة اذا كان يوم القيامة دعى الناس بأسماء أمهاتهم سترا من الله عليهم الا هذا وذريته فانهم يدعون بأسمائهم لصحة ولادتهم وذكر ابن الجوزى ذلك فى العلل المتناهية مردود بان كثرة طرقه ترقيه الى درجة الحسن بل الصحة ويؤيده ما صح عن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما عدا سببى ونسبى وفى رواية زيادة الصهر والحسب وكل بنى أنثى عصبتهم لابيهم ما عدا ولد فاطمة فانى أنا ابوهم وعصبتهم وجاء فى حديث آخر بسند رجاله من اكابر أهل البيت أن عمر قال ذلك لما تزوج على بنته من فاطمة أم كلثوم وانكار جماعة من متأخرى اهل البيت أن عليا لم يزوجها العمر ليس فى محله واقرار الصحابة لعمر على هذا الاستدلال صريح فى رد ما عارضه من اقاويل شاذة فى هذه المسئلة لاسيما لبعض بنى أمية فى ذلك ودليل الثانى اعنى النظر الى أن السيادة بالتقوى ما صح انه لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين دعا صلى الله عليه وسلم جميع بطون قريش فعم وخص وقال للكل لا أغنى عنكم من الله شيأ غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها اى سأصلها بصلتها ومعنى ذلك أنه لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا لكن الله يملكه نفع اقاربه بل وامته بشفاعته الخاصة والعامة واخرج الطبرانى حديث ان اهل بيتى هؤلاء يرون أنهم اولى الناس بى وليس كذلك ان اوليائى منكم المتقون من كانوا حيث كانوا وصحح الحاكم حديث وعدنى ربى فى اهل بيتى من اقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لا يعذبهم واخرج احمد حديث والذى بعثنى بالحق نبيا لو اخذت بحلقة الجنة ما بدأت الا بكم وجاء فى احاديث ضعيفة أن فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار وفى رواية أن عليا قال يا رسول الله لم سميت فاطمة قال لان الله فطمها وذريتها عن النار ثم اخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك وورد يا عباس ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك ولا ينبغى لاحد من اهل البيت أن يغتر بذلك لانه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق ان اهل بيتى هؤلاء يرون أنهم

اولى

قوله فى الصحيفة السابقة فى ثلاث مواضع سقط الثالث

(قوله كل سبب) اى نكاح ونسب اى قرابة معناه ان امته ينتفعون بالنسبة اليه يوم القيامة بخلاف امة غيره (قوله سأبلها ببلالها) اى اصلها وبلالها بكسر الموحدة وفتحها هو الماء اى سأصلها بالماء شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها باطفاء الحرارة ببرده ومنه الحديث بلوا ارحامكم برد السلام

اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي منكم المتقون الخ وحديث البخاري ومسلم ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين لان نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من اهل بيته وان لم ينتف لكن ينتفي عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه صلى الله عليه وسلم بارتكابهم ما يسوؤه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم عليه ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عن بعض من يقول منهم في القيامة يا محمد يريد أن يشفع له فيقول صلى الله عليه وسلم لا املك لك من الله شيأ كما في الحديث وتأمل قول الحسن بن الحسن السبط رضي الله تعالى عنهما لبعض الغلاة فيهم ويحكم احبونا لله فان اطعنا الله فأحبونا وان عصينا الله فابغضونا ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو اقرب اليه منا اي كأبي طالب والله اني اخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وان يؤتى المحسن منا أجره مرتين وكأنه اخذ ذلك من قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب ضعفين وقال موسى بن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده انما شيعتنا من اطاع الله وعمل اعمالنا وبه يعلم أن الفرقة المسماة بالشيعة ليسوا من شيعة آل البيت وانما هم من شيعة ابليس لعنه الله كما في الحديث الذي رواه الدارقطني وقال ان له عندي طرقا كثيرة يا ابا الحسن انت وشيعتك في الجنة وان قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الاسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فان ادركتهم فقاتلهم فانهم مشركون وفي رواية قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم قال لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون في السلف (وسواكم) الذين يدعون سيادة ويتقمون عليكم كسفهاء بني امية والمراد وسواكم اي غيركم الذين لم يعملوا بعملكم لا سيادة لهم في الدين اصلا بل ولا في الدنيا عند الكمل وانما (سودته) عند الجهلاء مثله وافرد الضمير نظرا للفظ سوى (البيضاء) اي الفضة البيضاء (والصفراء) اي الذهب اي طمع الناس في ماله فخصص هذين لشدة الاحتياج والتطلع اليهما اكثر من غيرهما وفي سدتم وسودته الاشتقاق والبيضاء والصفراء التدبيج (و) أقسم عليك (باصحابك) جمع صاحب وهو من اجتمع ولو طفلا وأعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته مؤمنا ومات مؤمنا وحذف الشارح كشيخه الجلال المحلي رحمهما الله تعالى لهذا الاخير فيه نظر وايهام وان وقع في صنيع احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه في مسنده ما يؤيد ذلك كما بينته في محل آخر (الذين هم بعدك فينا الهداة) اي الدالون للامة على الله تعالى بما يجب له ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسوله كذلك وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والجهاد في الله تعالى وغير ذلك مما يليق بكل ما ذكر وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم واستخلص من هذا المقام اخص افراده بذلك فقال اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر (والاوصياء) اي

---

(قوله ضعفين) اي ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه اي لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لم يعاتب به غيرهم انتهى بيضاوي (قوله نبز) النبز بالتحريك اللقب انتهى صحاح (قوله جمع صاحب) فيه ان فاعلا لا يجمع قياسا على افعال فاجهال وانصار وامجاد واطهار في جمع جاهل وناصر وماجد وطاهر جموع محفوظة لا يقاس عليها فكان الظاهر ان يقول اسم جمع وقد يقال هو من جملة ما حفظ كالجموع السابقة فيكون قوله جمع صاحب اي شذوذا فتأمل (قوله اصحابي الخ) نقل ابو حيان في النهر في تفسير قوله تعالى تبيانا لكل شيء الآية في سورة النحل ان هذا خبر مكذوب باطل لم يصح قط لكن عبارة الشارح في الصواعق نصها روى الدارمي وابن عدي وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال أصحابي كالنجوم الخ وبه تعلم رد ما أطال به أبو حيان

الذين وصيتهم بالقيام بامور الدين والمجاهدة عليها ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة حتى خضعت لها اليهم الرؤس وبادوا اهل الزيغ عن آخرهم فلم يبق منهم رئيس ولا مرؤس وانما جاءت الاوصياء على من ذكر ردا على من زعم أنه صلى الله عليه وسلم وصى بالخلافة لابي بكر وعلي ووجه الرد أن الذى دلت عليه صرائح السنة ووقع عليه اجماع من يعتد به أنه صلى الله عليه وسلم لم يوص فى امر الخلافة بشئ صريح والا لهلكت الامة لو خالفوا ذلك النص فاقتضت المصلحة العامة وشفقته صلى الله عليه وسلم على امته أن لا ينص عليها صريحا وانما اشار صلى الله عليه وسلم أنها لابي بكر باشارات تقرب من الصريح كما بينتها فى الكتاب السابق ذكره واهل تلك المصلحة التى ذكرناها فى عدم التصريح هى التى ظهرت له صلى الله عليه وسلم ولما طلب فى مرض موته دواة وقرطاسا ليكتب فيه مالا يضلون معه فكثر عنده اللغط فمن مريد للكتابة ليقع التصريح وينقطع العذر ومن مريد عدمها كعمر خشية من مخالفة النص المؤدية الى هلاك المخالف فلذا ترك صلى الله عليه وسلم الكتابة والدليل على أنه انما ترك لمصلحة انه مكث بعد ذلك المجلس اياما ولم يذكر ذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه مصلحة عائدة على احد لم يترك ذكره وان وقع اعظم مما وقع فكونه صلى الله عليه وسلم اوضح دليل على ما تقرر (أحسنوا بعدك) اى بعد وفاتك (الخلافة) عنك (فى الدين) بالقيام بجميع ما يجب او يحسن مراعاته من الامور الظاهرة والباطنة حيث أجمعوا على استخلاف ابي بكر ثم على استخلاف عمر ثم على استخلاف اصحاب الشورى لعثمان ثم على مبايعة على ثم مبايعة ابنه الحسن ثم بعد نزول الحسن لمعاوية ثم على ولاية معاوية رضى الله تعالى عنهم وحيث نصبوا كلهم نفوسهم لمجاهدة الاعداء ونشر العلوم الى أن تحملها عنهم التابعون ثم من بعدهم جزاهم الله تعالى عن الاسلام والمسلمين خيرا (وكل) منهم (لما تولى) ه فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته من الخلافة او الامارة او القضاء او تجهيز الجيوش وحفظ الثغور والحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين على أن جميع امورهم انما كانت للدين لا غير (ازام) بكسر الهمزة وفتح الزاى ككتاب اى قيم بما تولاه اهل له فى اى بقعة او زمن كان كيف وهم جميعهم عدول كما نطق به القرآن ومن وقعت له منهم هفوة فقد كفرت عنه بحد او توبة هم (أغنياء نزاهة) اى من جهة النزاهة والتعفف عن جمع المال وان كان من جهة يقطع بحلها الا ان محط نظرهم انما هو التجرد المطلق عن سائر القواطع عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض اى المال وانما الغنى غنى النفس اى بالله عما سواه سواء أكان بيده مال ام لا ومن كان منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا لله تعالى يصرفه فى مصارفه الشرعية فهو مقتنيه لذلك لا لفخر ولا لمباهاة ولا لمحبة جمع ذلك الحطام الفانى ولذلك جاء أن عبد الرحمن بن عوف اعتق ثلاثين الف رقيق وتصدق هو وعثمان فى غزوة

(قوله تؤدى اليه الخراج) أى فى كل يوم فيتصدق فى مجلسه به ولا يقوم بدرهم (قوله وتخلف ابن عوف) ففى حديث ضعيف أول
من يدخل الجنة من أغنياء أمتى عبد الرحمن بن عوف والذى نفس محمد بيده لن يدخلها الا حبوا وفى الترمذى عن أبى هريرة ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة الفقراء قبل الاغنياء بخمسمائة عام قال أبو حنيفة رضى الله عنه عنى به النبى صلى الله
عليه وسلم الاغنياء من غير هذه الامة ليكون على موافقة العقل فانا نعلم قطعا ان عثمان وعبد الرحمن بن عوف كانا من الاغنياء
ولا يدخل الفقراء قبلهم الجنة انتهى من شرح المنهاج للدميرى وهذا  معارض لما ذكره الشارح من الحكم بتخلفه
عنهم فحرر وقوله فى الخبر الا حبوا
بل لجبر خاطر الفقراء لا لتقصير من
ابن عوف فى حقوق الله تعالى
يقتضى نزول رتبته رضى الله عنه
(قوله وهذا بالنسبة الخ) غير مسلم
بل بالنسبة لكلهم وغاية ما يقال
فى نحو الحسن البصرى رضى
الله عنه ان السائل له من
الصحابة قبل ان يعرف قوة
اجتهاده وملكته بنفسه فاذا افتاه
نظر فيه وبذل وسعه فى النظر فى
الدليل فيوافق افتاء الحسن
اجتهاده فليس المراد أن الحسن
ونحوه من التابعين اوسع نظرا
من الصحابة واما حديث رب
مبلغ الخ فمحمول على ان السامع
من الصحابة كالحسن مثلا ربما
كان احفظ للنص الذى بلغه عن
النبى ممن بلغه بان حصل للصحابى
سهو عنه ودام حفظ التابعى له
واستحضاره او يكون التابعى قد
سمع نصا من صحابى لم يطلع عليه
صحابى آخر فتدبر (قوله والا فقد
جاء الخ) لا يخفى ان ما ذكره لا يدل
بمجرده على عدم وصف الجميع بالعالمية وتأمل هذا مع ما سيأتى فى شرح قول الناظم كلهم فى أحكامه ذو اجتهاد الخ وعبارة
الجوجرى ووصفهم بان احكامهم ليست صادرة عن هوى النفس بل هى ماشية على الاجتهاد التام المستوفى لشروط
الاجتهاد المحصل للاجر أصابوا فيه أو اخطؤا عملا بقوله صلى الله عليه وسلم من اجتهد وأصاب فله أجران أو اخطأ فله أجر وكلهم
فى ذلك متكافؤن متساوون من حيث الاجتهاد وعدم صدور شئ من الاحكام عن شهوة أو غرض (قوله يفتى الصحابة فى
زمنه) اى فينظرون فى فتواه فيوافق اجتهادهم والا فالمجتهد لا يقلد غيره

تبوك بما يبهر العقل وكان للزبير الف عبد تؤدى اليه الخراج وما مات الا وعليه قدر كثير
جدا من الديون وكون المخلف عن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون الف دينار لا ينافى ما تقرر
أنه انما كان خازنا لله تعالى لان الخازن لله ليس معناه أنه يخرج جميع ما بيده دفعة
واحدة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب منه فى كل حال اوزمن وأما اخراجه صلى
الله عليه وسلم لجميع ما كان يدخل فى يده دفعة فهو اما لاحتياجه لذلك لضرورات
اصحابه او لان حاله فى الامور الخارقة للعادة لا يقدر غيره على التأسى به فيها فلا يكلف بذلك
وتخلف ابن عوف عن الفقراء فى دخول الجنة الوارد اما لكونه يقف ليشفع اوليسئل
سؤال تكريم عما أنعم به عليه أو جبرا لخاطر الفقراء بذلك وكل ذلك غير قادح فى فضله
رضى الله تعالى عنه هم (فقراء) اى غالبهم بل كلهم لان ذوى الغنى منهم كانوا خزانا لله
تعالى كما مر فلا يعدون من الاغنياء الا باعتبار الصورة كما مر واما باعتبار الحقيقة فهم
على غاية من الافتقار الى الله تعالى ببواطنهم وظواهرهم لا يشهدون لنفوسهم مالا ولا غنى
وانما يعدون أنفسهم خزنة لا غير وبما تقرر فى معنى غناهم وفقرهم يعلم أن الغنى الشاكر
أفضل من الفقير الصابر وهى مسئلة كثر الاختلاف فيها والحق منه ما قررته لما علمت أن
الغنى هو الذى ختم به أمره صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقى فى
الكمالات فلولا أن الغنى مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر لما ختم له به صلى الله عليه
وسلم قبل موته قيل ومحل الخلاف فى الفقر مع الصبر كما تقرر وأما الفقر مع الرضا فهو
أفضل قطعا اه وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم كان فى ابتداء امره مع فقره على
غاية من الرضا لم يصل اليها غيره ومع ذلك لم يختم له الا بالغنى مع الشكر كما تقرر وبفرض
صحة هذا القول فغالب فقراء الصحابة يفضلون أغنياءهم لانهم راضون بفقرهم قطعا
وبين الاغنياء والفقراء التضاد وكذا بين أئمة وامراء وبين الرخص والاغلاء الآتيات
هم (علماء أئمة) لانهم ورثوا من علومه صلى الله عليه وسلم ما تميزوا به على جميع من جاء
بعدهم وفى الحديث اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لاكثرهم والا
فقد جاء ان نحو الحسن البصرى رحمه الله تعالى كان يفتى الصحابة فى زمنه وقد قال صلى

الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه في خطبة الوداع رب مبلغ اي بفتح اللام أوعى من
سامع هم (أمراء) أي كثيرون منهم تولوا الامارة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في
زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقوقها وبروا وعدلوا ومن ثم لما رمى بعض المتهورين
سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه لما كان أميرا على الكوفة بعدم العدل فيهم دعا
عليه بدعوات استجيبت فيه عاجلا حتى صار عبرة للناس ومنها ان الله تعالى يطيل عمره
و يعرضه للفتن فكان وقد هذب حاجبيه قد سقط على عينيه من الكبر يتعرض للجواري في
الاسواق و يقول شيخ سوء أصابته دعوة العبد الصالح سعد رضي الله تعالى عنه ومما يدل
على انهم أغنياء نزاهة لاغيرانهم (زهدوا في الدنيا) بضم الدال وحكى ابن قتيبة كسرها
فعلى من الدنو أي القرب لسبقها للاخرى وقيل لدنوها من الزوال وهي ما على وجه
الارض وقيل كل المخلوقات من الجواهر والاعراض وتطلق على كل من ذلك مجازا كما
هنا فان المراد بها هنا الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر والخيلاء
ولفظها مقصور بلا تنوين حيث لا لام فيها وحكى ابن قتيبة تنوينها واستشكل ابن مالك
استعمالها منكرة كما في الحديث وأجاب بانها انخلعت عن الوصفية وأجريت مجرى
ما لم يكن وصفا قط كرجعى ثم الصحابة رضي الله عنهم في الزهد فيها وهو أخذ ما يحتاج اليه
من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه على قسمين فاكثرهم ترك السعي في تحصيلها
بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من أوقاته شيأ الا وهو
مشغول بشيء من ذلك وكثير منهم حصلوها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما مر وهذا
لا ينافي زهدهم فيها لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لاخراجها على مستحقيها بحسب نظرهم
واجتهادهم واذا تقرر ان زهدهم بقسميهم فيها حقيقي (فما عرف الميل اليها منهم) بنوع
التفات ولا اقبال لحقارتها في أعينهم (ولا الرغباء) أي الزيادة في تحصيلها وهذا علم من نفي
الميل بالاولى فذكره لمجرد ايضاح وفيه من البديع ذكر النظير والتذييل ولا ينافي هذا ثناؤه
صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح ودعاؤه صلى الله
عليه وسلم به لاناس من الصحابة كابن عوف وأنس وغيرهما فكثرت أموالهم جدا لان
المال له جهتان جهة خير بصرفه في الطاعات والاعانة على قيام أمور الديانات وبالنظر
اليها يثنى عليه وجهة شر بصرفه في ضد ذلك وبالنظر اليها يذم ويقبح ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم في الحديث الوارد بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من أحبني فاقلل
ماله وأمت ولده الحديث وقد بسطت الكلام على ذلك مع استيعاب ما ورد في مدح الدنيا
وذمها والجمع بين تلك الاحاديث في كتابي سعادة الدارين في صلح الاخوين بما لا يستغنى
عن مراجعته (أرخصوا في الوغى) أي بسبب الحرب الواقع منهم لاعدائهم في الوقائع
المشهورة ومر ان اطلاق الوغى على الحرب مجاز لا حقيقة (نفوس ملوك) كثيرين
فكيف بغيرهم (حاربوها) بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم الله

عليهم

(قوله عبرة) بالكسر اسم من الاعتبار وبالفتح تحلب الدمع اه مختار (قوله على كل الخ) اى على كل نوع من ذلك كاطلاقها على الجواهر فقط (قوله فاقلل ماله الخ) اى اذا كان فيه ما فتنة له بحيث يشتغل بذلك عن حق وما يترتب عليه من الشغل بالله بدليل دعائه لاناس من اكابر الصحابة بكثرة المال كما سبق

عليهم بقتل بعضهم تارة وازالة ملك آخرين اخرى (اسلابها) بفتح الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وما عليهما من آلات السلاح والنقد وجنيبة تقاد بين يديه وليس المراد خصوص جمع القلة لانه جمع مضاف للملوك الذى هو جمع الكثرة واضافة الجمع تفيد عمومه اما فى الافراد وهو التحقيق او فى المجموع وعليه كثيرون (اغلاء) بكسر الهمزة اسم مصدر لغلا السعر بمعنى اسم الفاعل اى غالية الاثمان وفى بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكأنه جمع غال كداء وادواء وبه يندفع قول الشارح لا وجه له انتهى بل وجهه اظهر من الاول لان حمل المصدر واسمه على الجمع يحتاج لتأويل كما اشرت اليه بخلاف حمل الجمع على الجمع واما قوله على المعنى الاول ان المعنى انه كما كان القتل ارخاصا للنفوس فالاسلاب اى اخذها اغلاء للاسلاب وقال قبله على المعنى الاول ايضا وكأنه اى الناظم يقول انهم كما ارخصوا انفوس محاربيهم بالقتل فقد اغلوا اسلابهم بواسطة كثرة ما سلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب فقابل بين ارخاص الانفس واغلاء الاموال التى هى الاسلاب المأخوذة ممن قتلوه لكثرة ما قتلوه وسلبوه انتهى ففى كل من المعنيين بعد وخفاء والوجه ان المعنى عليه انهم كما ارخصوا املاك النفوس عوضهم الله تلك الاسلاب الغالية الاثمان على حد رجل عدل اى عادل ورجال عدل اى عادلون فكما ان المصدر هنا اول باسم الفاعل فكذا فيما نحن فيه يؤول الاغلاء بالغالية وهذا هو المعنى على فتح الهمزة فيساوى المكسور المفتوح (كلهم فى احكامه) جمع حكم والحكم الشرعى خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف بالاقتضاء او التخيير وحكم الحاكم يظهر ذلك ويطلق ايضا عند الاصوليين على النسب التامة المثبتة تارة والمنفية اخرى كما فى قولهم الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهذا هو المراد هنا خلافا لما يوهمه كلام الشارح (ذو اجتهاد) صحيح لتوفر شروط الاجتهاد كلها فى جميعهم بزيادة ولذلك لم يعرف عن احد منهم انه قلد غيره فى مسئلة من المسائل وكان الناس يستفتون كل من رأوه منهم فيفتيه باجتهاده ولا يعترض احد منهم على احد الا ان كان هناك نص صريح خوالف فيذكر لهم فمنهم من يرجع اليه ومنهم من يؤوله او يعارضه بمثله وهذا رد على قوم سلبهم الله الدين والعقل وسلط عليهم الحق والجهل فاعتقدوا انهم ذو واجتهاد لهوى انفس او حظ او بغض حاشاهم الله من ذلك بل لم يخترهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم الا وهم على اكمل الاوصاف واجلها (و) ذو (صواب) يعنى وذو ثواب ولو عبر به لكان اولى لان ابقاءه على حقيقته انما يتاتى على القول الضعيف ان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى تابع لظن المجتهد اما على الاصح ان المصيب واحد وان له اجرين كما صح به الخبر او عشرة اجور كما فى رواية وللمخطئ أجر واحد كما صح به الحديث ايضا فلا يقال كلهم ذو صواب بل صوابه ذو ثواب كما تقرر فتأمله فعلى الاول كل من على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما مصيب وعلى الثانى على رضى الله تعالى عنه مصيب له اجران او عشرة اجور ومعاوية

(قوله او عشرة اجور) قال بهم فى شرح الورقات فان قلت العشرة يصح أن تجعل أجرا واحدا أو اثنين فما فائدة جعلها عشرة قلت يجوز أن تكون أنواعا من الثواب مختلفة يبلغ عددها هذا المقدار فنبه بذكر هذا على ذلك

فى خروجه على على مخطئ له اجر واحد والاجتهاد بذل الوسع فى تحصيل المقصود ثم ان
وافق ماعند الله فصواب والا فخطأ فان قلت يمكن تأويل النظم بان مراده وصواب عند
نفسه باعتبار انه يتحتم عليه العمل بما ظنه وان لم يكن صوابا فى نفس الامر قلت هو
تأويل بعيد على ان هذا لو كان مراده لم يسغ له فيه هذا الاطلاق الموهم (وكلهم اكفاء)
اى متكافئون فى اصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام لله تعالى لالحظ
ولا لهوى وانما يتفاوتون فى الزيادة فى ذلك وحينئذ فلا ينافى ذلك قول ابن عمر ابو بكر
أعلمنا ولا سؤال عمر الى على رضى الله عنهما فيجيبه فيقول لا قدس الله امة لست فيهم يا ابا
الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على اكابر مشيخة المهاجرين والانصار لانه كان يجد عنده
من العلم ببركة دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له بان الله يفقهه فى الدين ويعلمه التأويل ما ليس
عندهم ولا سؤال معاوية لعلى بالارسال اليه فى المشكلات فيجيبه ولقد قال له احد بنيه
لم تجيب عدونا فقال اما يكفينا انه احتاج الينا وسألنا واجمعوا على ان افضل الناس بعد
الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابو بكر ثم عمر ثم على والاصح عثمان ثم على ثم بقية العشرة
المبشرون بالجنة ثم اهل بدر ثم اهل بيعة الرضوان وقيل أهل أحد (رضى الله عنهم ورضوا
عنه) اقتباس من قوله تعالى والسابقون الاولون الى ان قال رضى الله عنهم ورضوا عنه
ورضا الله تعالى عن العبد تأمينه من سخطه واحلاله تعالى دار كرامته ورضا العبد عنه
ان لا يختلج فى سره ادنى حزازة من وقوع قضاء من اقضية الحق به بل يجد لذلك فى قلبه برد
اليقين وثلج الصدر وشهود المحبة العظمى وزيادة الطمأنينة وبين رضى ورضوا اشتقاق
كيخطو وخطاء الآتيين (ف) بسبب ما ذكر من اوصافهم وختمها بما فى الآية فى حقهم
(انى) استفهام انكارى تعجبى أى كيف (يخطو اليهم) أى يصل اليهم اذ الخطوة ما بين
القدمين (خطاء) وهو بالمد للوزن لغة فى الخطا بالقصر نقيض الصواب يعنى لا يخطئ
احد منهم خطأ يأثم به لما مر انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا أخطأ له أجر وهذ
كالذى قبله مأخوذ من عدة احاديث ذكرتها فى الصواعق المحرقة مع ذكر مخرجيها وهنا
اذكر منها جملة عرية عن ذلك اتكالا على اسانيدها ثم منها ان الله تعالى اختارنى واختار
لى اصحابا فجعل لى منهم وزراء وانصارا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا اى لا فرضا ولا نفلا وفى رواية فمن
حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله
عنه يوشك ان يأخذه واذا أراد الله برجل من أمتى خيرا ألقى حب أصحابى فى قلبه أصحابى
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم
فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى
الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه ما شأنكم وشأن أصحابى ذروا لى أصحابى فوالذى
نفسى بيده لو ان أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مثل عمل احدهم يوما واحدا

وفى

(قوله مشيخة الخ) اى شيوخ
فهو أحد جموع شيخ لانه يجمع
على شيوخ وأشياخ وشيخة
وشيخان ومشيخة ومشايخ
ومشيوخاء وهذه الجموع السبعة
كلها شاذة اذ لم نر افعل وصفا معتل
العين جمعا قياسيا فراجع الخلاصة
وشراحها يظهر لك ذلك وشيخة
بكسر اوله وفتح ثانيه وشيخان
بكسر اوله وسكون ثانيه ومشيخة
بفتح اوله وسكون ثانيه (قوله لم
تجيب عدونا) اى من يفعل معك
فعل الاعداء والا فمعاوية رضى
الله عنه حاشاه أن يكون عدوا
حقيقة (قوله رضى الله عنهم الخ)
قال السنوسى فى شرح عقيدته
الوسطى ورضا الله تعالى اما صفة
فعل بمعنى الانعام أو صفة ذات
بمعنى ارادة الانعام ويتعين هنا
الاول لان الدعاء انما يكون
بمستقبل لم يوجد فى الحال وارادة
الله تعالى أزلية يستحيل تجددها
حتى يتعلق بها الدعاء اه قال
الغنيمى وهل لك أن تقول ولو على
بعد يجوز الثانى نظرا للتعلق
الارادة الحادث وذلك لا يستحيل
تجدده اه (قوله وبين رضى
ورضوا اشتقاق) اى جناس
اشتقاق (قوله اذ الخطوة) اى
بضم الخاء واما بفتحها فنقل
القدم (قوله خطاء) مده كما هنا لغة
قليلة واللغة الكثيرة قصره وقد
قرئ بهما قوله تعالى الا خطأ اه
من المختار

وفى رواية للشيخين وغيرهما لا تسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ومن لم يحفظنى فى أصحابى لم يرد على الحوض ولم يرنى خير الناس قرنى الذى أنا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والباقى أراذل اى غالبهم وفى رواية متفق عليها خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم الحديث وهو اول داخل فى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولا مقام اعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته (جاء) الى النبى صلى الله عليه وسلم (قوم) من الصحابة رضى الله تعالى عنهم (من بعد قوم) وهكذا السابقون الاولون ثم الذين من بعدهم وهكذا الى وفاته صلى الله عليه وسلم وكان الناظم اشار بهذا الى ما فى اول صحيح البخارى عن هرقل انه سأل ابا سفيان رضى الله تعالى عنه عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أيزيدون ام ينقصون فقال بل يزيدون وانه هل يرتد احد منهم سخطة لدينه فقال لا فبين له ان من شأن الرسل ان اصحابهم كذلك فعلم ان مجىء الصحابة قوما من بعد قوم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فاندفع ما قد يقال اى فائدة فى هذه الجملة من كلام الناظم وهل هى الا مجرد اخبار بواقع لا يترتب عليه فائدة اذ لا فرق بين مجيئهم اليه دفعة أو دفعات وكلهم متابعون (بحق) فلا مطعن فيهم لطاعن وما نسبه الرافضة ونحوهم عليهم فلم يصح منه شئ أصلا وانما هو من مقالات الجاهلين ووضع المفترين (وعلى المنهج) اى الطريق الواضح (الحنيفى) اى المستقيم الذى لا انحراف فيه ولا اعوجاج (جاؤا) كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم امر الله وهم على ذلك (ما لموسى) كليم الله تعالى (ولا لعيسى) روح الله صلى الله عليه وسلم (حواريون) جمع حوارى وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا يحورون الثياب اى يقصرونها او من الحوارى وهو الدقيق الابيض لبياض ألوانهم (فى فضلهم) بشهادة نص آية كنتم خير أمة اخرجت للناس وحديث خير القرون قرنى وفى رواية خير الناس قرنى وحديث المناجاة ان موسى رأى لهذه الامة فى اللوح المحفوظ أوصافا فابهرته فقال يارب اجعلنى منهم (ولا نقباء) فى فضلهم ايضا وهو لف ونشر مشوش اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى ولما اقسم بالصحابة كلهم اجمالا خص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا للاربعة الاول منهم على ترتيبهم فى الافضلية والاحقية بالخلافة فقال واقسم عليك (بابى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه فهو عطف على بالعلوم بحذف حرفه ويصح انه وما بعده أبدال تفصيلية من باصحابك (الذى) تميز عن سائر الصحابة رضى الله تعالى عنهم بما كان كالصريح فى انه الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أفضلهم بل أفضل ما عدا الانبياء والمرسلين كما صح به حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين

(قوله لا تسبوا أصحابى) سيأتى فى الشرح عند ذكرى ابن عوف رضى الله عنه ما نصه وصح انه يعنى ابن عوف كان بينه وبين خالد شئ فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبوا الخ وقد كتب عليه هناك ان الخطاب للصحابة السابقين تنزيلا لهم منزلة غيرهم حيث عال بما ذكره ويؤيده ما ذكره بعد هذا الحديث هنالك من قوله يا خالد ذروا لى اصحابى متى شئت الى آخر ما ذكره من الرواية (قوله ولا نصيفه) بمعنى النصف كالعشير بمعنى العشر (قوله خير الناس قرنى) القرن هو القدر المتوسط من اعمار أهل كل زمان وهذا أعدل الاقوال فى معنى القرن والمراد بقرن النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه اه من المواهب ثم قال وأما قوله الذين يلونهم فهم أهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين (قوله سخطة لدينه) بضم السين وفتحها واخرج بهذا من ارتد مكرها أولا سخطا لدين الاسلام بل لرغبة فى غيره لحظ نفسانى كما وقع لعبيد بن جحش (قوله جمع حوارى) عبارة البيضاوى حوارى الرجل خاصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمى به أصحاب عيسى لخلوص نياتهم وصفاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البياض استنصرهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها (قوله أو من الحوارى) بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء

والمرسلين أفضل من أبي بكر وهو ما صح من طرق كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله الاشعري فلذا لم يسع أحدا من المبتدعة انكاره (صح للناس به في حياتك الاقتداء) فاعل صح والظروف متعلقة به فمن تلك الطرق ما أخرجه الشيخان اشتد مرض النبي صلى الله عليه وسلم فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها يا رسول الله انه رجل رقيق القلب اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلي بالناس فقال صلى الله عليه وسلم مري أبا بكر فليصل بالناس فعادت لقولها فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية انه لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولي له يأمر عمر فقالت له فاشتد غضبه وقال مروا أبا بكر وفي أخرى ان الحامل لعائشة على ذلك خوفها بتشاؤم الناس به لقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه وفي أخرى انه أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه وسلم بعد ان أخرج رأسه مغضبا لا لا يأبى الله والمسلمون الا أبا بكر ثلاثا وفي أخرى انه خرج فجر الاثنين يوم موته فكشف سجف حجرته فرآهم في صلاة الصبح وأبو بكر يصلي بهم فتبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحا به صلى الله عليه وسلم فأشار اليهم بيده ان أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر فتوفي صلى الله عليه وسلم ضحى وفي البيت التالي بهذه القصة قال العلماء فيه أوضح دليل على انه أفضل الصحابة مطلقا وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالامامة ومن ثم أجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم اقرأهم لكتاب الله تعالى اي اعلمهم بالقرآن صريح في انه أعلمهم بالقرآن مطلقا وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على انه أحق بالخلافة منهم حتى علي قال لقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي بالناس واني لشاهد وما أنا بغائب وما بي مرض فرضينا لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا وما أحسن قول من قال صلى بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل فسكت الله وسكت رسوله صلى الله عليه وسلم وسكت المؤمنون ومن الظواهر أو الصرائح على خلافته أيضا ما أخرجه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة في مرض موته ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتابا فاني أخاف ان يتمنى متمن أو يقول قائل انا أولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر وفي رواية اكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه أحد ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنون في أبي بكر وصح ان قوما سألوا انسانا ان يسأل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من يدفعون الزكاة بعده فسأله فقال الى أبي بكر وأخرج الشيخان ان امرأة اتته فأمرها ان ترجع اليه فقالت أرأيت ان جئتك ولم اجدك كأنها تقول بعد الموت فقال صلى الله عليه وسلم ان لم تجديني فأتي ابا بكر ومنها ما أخرجه الشيخان من عدة طرق رأى انه على بئر لم تطو ينزع منها بدلو فأخذ الدلو من يده ابو بكر فنزع

(قوله يأبى الله) اى لا يريد الله والمسلمون الخلافة بعدي الا أبا بكر (قوله سجف) قال في القاموس السجف ويكسر وككتاب الستر والجمع سجوف واسجاف

منها

منها دلوا او دلوين ثم اخذها عمر من ابى بكر فاستحالت فى يده غربا اى دلوا كبيرة فاستقى منها حتى ضرب الناس بعطن اى حتى رووا قال العلماء هذا اشارة الى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقصر مدته وطول مدة عمر رضى الله تعالى عنه وكثرة الفتوح وظهور الاسلام فى زمنه وبقيت ادلة اخرى صحيحة آيات وأحاديث كثيرة تدل على حقية خلافته وانه اعلمهم وافضلهم بينتها اتم بيان فى كتاب الصواعق السابق ذكره (والمهدى) اى المسكن للفتنة والاضطراب فى امر الخلافة (يوم السقيفة) التى لبنى ساعدة من الانصار حين اجتمعوا بعد دفنه صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه (لما) اى حين (ارجف الناس) اى اضطربوا فى أمر الخلافة وبين المهدى اى المسكن وارجف والقرباء والاباعد وتقرب وتبعد الطباق (انه) تعليل للمهدى ولا ينافيه كسران لانها مع كونها للاستئناف قد تفيد التعليل ايضا كما صرحوا به فى ان الحمد والنعمة لك فى التلبية (الداء) اى المسكن للاضطراب لا غيره وكأن مراده أنه المشهور قديما وحديثا بانه يسكن الفتن ويجلى كربها وفى الصحيحين عن عمر رضى الله تعالى عنه انهم لما دفنوا النبى صلى الله عليه وسلم تخلف على والزبير ومن معهما فى بيت فاطمة وتخلفت الانصار باجمعهم فى سقيفة بنى ساعدة واجتمع المهاجرون الى ابى بكر فقال له عمر انطلق بنا الى الانصار فذهبوا اليهم فلما جلسوا قام خطيبهم فخطب واثنى على الله تعالى ثم مدح الانصار واطنب بحيث لم يترك آية او خبرا جاء فيهم الا ذكره ثم ذكر ان قوما يريدون أن يستبدوا بالامرة عليهم ثم سكت فاراد عمر أن يخطب بما زوره اى جمعه فى قلبه فأشار اليه ابو بكر بالسكوت ثم خطب واثنى على الانصار ثم بين ان الخلافة لا تكون الا فى قريش واحتج بالحديث الصحيح الائمة من قريش ثم قال قد رضيت لكم احد عمر واما أبا عبيدة فأخذ بيدهما وقال بايعوا من شئتم منهما فقام الحباب بن المنذر وتحمس وترفع ثم قال منا امير ومنكم امير فكثر اللغط وخيفت الفتنة فبادر عمر وقال لابى بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الانصار فقال قائلهم قتلتم سعد بن عبادة اى لانه كان به بعض مرض فقال عمر قتله الله اى لان الاجتماع عنده ربما كان سببا للفتنة فساغ لعمر فى اجتهاده وانه بالنسبة اليه كالشيخ بالنسبة الى تلميذه يؤدبه بما يراه ان يقول فى حقه ذلك وصح ان عمر احتج على الانصار بامامة ابى بكر فرجعوا عما كانوا فيه وقالوا نعوذ بالله ان نتقدم ابا بكر ولما بايعوه صعد الغد وجلس على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله ثم اثنى على ابى بكر ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعته العامة فخطب ابو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فأعينونى وان اسأت فقومونى اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه ثم نظر فلم ير عليا فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه واستدل

---

(قوله فاستحالت) اى تحولت من الصغر الى الكبر ومعنى ضرب الناس بعطن اى حتى أرووا ابلهم ثم آووها الى عطنها وهو الموضع الذى تساق اليه بعد السقى لتستريح اه شرح مسلم للنووى (قوله الحباب) بمهملة مضمومة فموحدة (قوله وتحمس) اى تشدد وتماسى اه صحاح (قوله قتلتم سعدا) وتوجه للشام فمات بحوران فى خلافة عمر

كل منهم حينئذ على احقيته بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديمه للامامة وحكى ابن
مسعود وغيره ان الصحابة اجمعوا على خلافة ابى بكر لم يتخلف عنها احد منهم ثم تبعهم من
بعدهم من اهل السنة والجماعة الى الآن ثم هلم وكذا اكثر الفرق واقسم عليك بابى بكر
الفاعل لذلك حال كونه كرم الله وجهه (انقذ) بالقاف والذال المعجمة (الدين) وهو ما جاء
به النبى صلى الله عليه وسلم اى نجاه بازالة كل شبهة عنه واهله بازالة اسباب الفساد بينهم
(بعدما) مصدرية (كان) اى وجد (للدين) متعلق هو وما بعده بما بعدها وهو اشفاء (على
كل كربة) اى غم يأخذ النفس ويصح كونها ناقصة وللدين خبرها (اشفاء) اى اشراف
وقرب يخشى منه ان لا يجتمع للاسلام بعده شمل ابدا ومن ثم قال ابو هريرة رضى الله تعالى
عنه والله لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابدا وايضا فكلهم يوم وفاته
صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمات غير منتظمة الا ابا بكر فانه كان
غائبا فلما حضر دخل وكشف عن الوجه الكريم فقبله وقال لقد طبت حيا وميتا لا يجمع
الله عليك بين موتتين ثم خرج فتلا عليهم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى
الشاكرين فلما سمعوها ردت اليهم عقولهم فتلوها وقالوا حتى عمر فانه انكر موت النبى
صلى الله عليه وسلم وقال ذهب الى ربه فاسكته ابو بكر فسكت فاقبل على الناس فصغوا
اليه وتركوا عمر فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان
يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا الآية فقالوا كأنا لم نسمعها الا حينئذ فكان هو
المثبت لهم حينئذ والا لم يجتمع لهم شمل وايضا اختلفوا فى محل دفنه اختلافا شديدا كاد
ان يفضى الى الفتنة فروى لهم الحديث ان كل نبى يدفن فى المحل الذى توفى فيه فرجعوا
اليه وزال ما كان بينهم وأيضا اختلفوا فى ارثه اختلافا شديدا حتى روى لهم الحديث
المشهور نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة فرجعوا اليه وبهذا علم انه رضى الله
تعالى عنه كان أحفظهم للسنة وانما سبب قلة الرواية عنه قصر مدة خلافته واشتغاله
بقتال المرتدين ومانعى الزكاة ومسيلمة الكذاب وحال كونه (انفق المال) الكثير الذى
كان يملكه اى صرفه فى مصارف الخير حتى نفد جميعه (فى) اى بسبب او من اجل (رضاك)
يا رسول الله كما جاء به القرآن قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى الى آخر
السورة قال ابن الجوزى اجمعوا انها نزلت فى ابى بكر ففيها التصريح بانفاقه ماله وبانه
الاتقى وهو الاكرم بدليل ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاكرم هو الافضل كما صرح به
الحديث الصحيح ما صحب النبيين والمرسلين اجمعين ولا صاحب يس اى المذكور فى سورة
يس اى حبيب النجار افضل من ابى بكر وصح حديث انه ليس من الناس احد امن على
فى نفسه وماله من ابى بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
خلة الاسلام افضل سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد الا خوخة ابى بكر اى لانه سيصير
خليفة يحتاج الى ملازمة المسجد واخرج الترمذى حديث ما لاحد عندنا يد الا وقد

(قوله متعلق هو وما بعده بما بعدها) صوابه بفاعلها لانه جعلها فى حله تامة حيث قال اى وجد واما احتمال نقصها فقد ذكره بقوله ويصح كونها ناقصة (قوله نحن معاشر الانبياء الخ) رواية نحن منفردا عن النسائى فى السنن منفردا عن سائر الكتب الستة انا وكذا رواية الحميدى والهيثم وآخرين فقد رواه الشارح بالمعنى (قوله الا خوخة أبى بكر) ورواية الا خوخة على وهم من الراوى كما قاله السيوطى

كافأناه بها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال احد قط ما نفعني مال أبي بكر والطبراني ما أحد عندي أعظم يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله وانكحني ابنته والترمذي رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله وما نفعني مال في الاسلام ما نفعني مال أبي بكر ولا ينافيه حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم لم يأخذ منه الراحلة الى دار الهجرة الا بالثمن لاحتمال انه ابراء منه وصح انه كان بينه وبين عمر شئ فسأله ان يغفر له فأبى فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فندم عمر فأتى منزل أبي بكر فلم يجده فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه يتمعر حتى أشفق ابو بكر فجثا على ركبتيه فقال يا رسول الله أنا كنت أظلم منه مرتين فقال صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي فما أوذي ابو بكر بعدها وفي رواية في قصة نظير هذه الا تدعون لي صاحبي ما شأنكم وشأنه فوالله ما منكم رجل الا على باب بيته ظلمة الا باب ابي بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت وامسكتم الاموال وجاد لي بماله وواساني واتبعني واخرج احمد وآخرون عن الجماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر فبكى ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقال هل أنا ومالي الا لك يا رسول الله وفي رواية عن ابن المسيب رضي الله عنه مرسلا وكان صلى الله عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه وأخرج ابن عساكر انه اسلم وله أربعون ألف دينار وفي رواية أربعون ألف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوي وابن عساكر انه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل أنفق ماله علي قبل الفتح قال جبريل فان الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك قل له أراض انت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه أأسخط على ربي أنا عن ربي راض ثلاثا وسنده غريب ضعيف جدا وفي رواية ان جبريل هبط متخللا بطنفسة واخبر ان الله أمر ملائكته ان يتخللوا بها كأبي بكر قال الحافظ ابن كثير وهذا منكر جدا ولولا انه كالذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان الاعراض عنهما أولى وصح عن عمر رضي الله تعالى عنه أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق ابا بكر ان سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك يا عمر قلت النصف ثم جاء ابو بكر بكل ما عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك يا ابا بكر فقال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسبقه الى شئ أبدا (و) الحال انه (لا من) منه عليك بما انفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر النعمة على جهة الافتخار ومن ثم حرم تحريما غليظا

(قوله يتمعر) اى يتغير (قوله بطنفسة) الطنفسة مثلثة الطاء والفاء واحدة الطنافس للبسط والثياب وللحصير من سعف عرضه ذراع والطنفس بالكسر الردئ السمج القبيح اهـ قاموس

على نحو متصدق المن على المتصدق عليه بان يعدد عليه ما اعطاه له أو يذكره ان لا يحب
طلاعه عليه قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى (واعطى) لله تعالى عطاء (جما)
اى كثيرا فى وجوه الخير العامة والمصالح الداعية منها اعطاؤه ثمن محل مسجد النبى صلى الله
عليه وسلم كما فى حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم لما وصل قباء واقام به بضعة عشر
يوما ركب ناقته ونهى ان يأخذ أحد بزمامها وقال دعوها فانها مأمورة فاستمرت الى ان
بركت عند محل مسجده صلى الله عليه وسلم ثم سارت وهو عليها حتى بركت على باب دار أبى
أيوب الانصارى من بنى النجار احد اخوال جد النبى صلى الله عليه وسلم عبد المطلب
وكانت دارهم أوسط دور الانصار وأفضلها ثم قامت وبركت فى مبركها الاول والقت
باطن عنقها بالارض ثم صوتت من غير ان تفتح فاها فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا
المنزل ان شاء الله تعالى ثم ساوم بنى النجار فى تلك البقعة فاشتراها منهم بعشرة دنانير وزنها
من مال أبى بكر رضى الله تعالى عنه وكان قد خرج بماله كله وكان له من السبب فى
المسجد الاعظم ما اقتضى وصول ثوابه الى حد لا يقدر قدره الا الله تعالى واشترى أيضا
جماعة اسلموا كان يعذبهم أهل مكة العذاب الاليم منهم بلال وغيره وأعتقهم (ولا كداء)
اى ولم يقطع اعطاءه بل استمر عليه حتى توفاه الله تعالى (وابى) اى واقسم عليك بابى
(حفص الذى أظهر الله به الدين) كما جاء فى سبب تسميته بالفاروق أخرج أبو نعيم فى
الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس انه سئل عن سبب تسميته بالفاروق فذكر ان حمزة
أسلم قبله بثلاثة أيام وانه خرج الى المسجد فسب أبو جهل النبى صلى الله عليه وسلم فاخبر
حمزة فأخذ قوسه وجاء فضرب بها احد اخدعى ابى جهل فقطعه فسالت الدماء فاصلحت
بينهما قريش مخافة الشر والنبى صلى الله عليه وسلم مختف بدار الارقم فانطلق حمزة فاسلم
وبعده بثلاثة أيام انكر عمر على من أسلم فقال له ان اختك وختنك اى سعيد بن زيد أحد
العشرة المبشرين بالجنة قد أسلما فجاء فضرب رأس أخته فادماه فقالت له كان ذلك
على رغم انفك فاستحيا حين رأى الدماء وجلس وسألها ان تريه الكتاب فقالت لا يمسه
الا المطهرون فاغتسل فاخرجوا له صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى الآيات فعظمت فى صدره فقال له خباب وكان النبى
صلى الله عليه وسلم أرسله لتعليم أخته وزوجها انى لارجو ان يكون الله خصك بدعوة
نبيه فانى سمعته أمس يقول اللهم أعز الاسلام بعمرو بن هشام اى أبى جهل أو بعمر بن
الخطاب فقال دلنى عليه فتوشح سيفه وذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فضرب الباب
فاستجمع القوم فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر قال افتحوا الباب فان أقبل قبلناه
وان ادبر قتلناه فسمع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار
تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت يا رسول الله السنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاختفاء
فخرجنا صفين انا فى احدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى والى

(قوله وصل قباء) بالمد والقصر
(قوله احد اخدعى ابى جهل) الاخدع عرق فى موضع المحجمة وهى شعبة من الوريد وهما اخدعان وربما وقعت الشرطة على أحدهما فينزف صاحبه وفلان شديد الاخدع اى شديد موضع الاخدع
(قوله فاخرجوا له صحيفة) لعل ذلك قبل علمهم بان شرط صحة الطهر الاسلام
(قوله فاستجمع القوم) فى المختار تجمع القوم اجتمعوا من هنا وهنا والمراد هنا اجتمع بعضهم ببعض من الخوف من عمر رضى الله تعالى عنهم

حمزة فاصابهم كآبة شديدة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق
الله به بين الحق والباطل وفي رواية انه لما أظهر اسلامه صاروا يضربونه ويضربهم
حتى أجاره خاله قال فما زالت أضرب واضرب حتى أعز الله الاسلام وصح أنه لما أسلم نزل
جبريل فقال يا محمد قد استبشر أهل السماء باسلام عمر وأن المشركين قالوا قد انتصف
القوم اليوم منا وأنزل يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وان ابن مسعود
قال مازلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال أيضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة
ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى أسلم عمر رضي الله تعالى عنه فقاتلهم حتى
تركونا وخلوا سبيلنا وان حذيفة قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد
الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا (ف) بسبب قوته في الله تعالى
وشدة شكيمته كما علم مما تقرر (ارعوى) اى رجع واقلع وانكف (الرقباء) اى الاعداء عما
كانوا عليه من الافساد في الدين وعدم النصح له وايذاء النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
بالامور العظيمة التي كانوا ينالونهم بها منهم (و) هو أيضا الامام العدل القوي في الله تعالى
(الذي) ينطق الحق على لسانه وقلبه فلذلك (تقرب الاباعد) عنه في النسب (في) اى
بسبب أو لاجل (رضا الله اليه) متعلق بتقرب فيكونون بذلك اولى عنده من اقاربه الذين
ليسوا كذلك كما قال آنفا وفي هذا البيت من أنواع البديع العكس نحو لاهن حل لهم
ولا هم يحلون لهن الآية والاكتفاء وهو حذف شيء دل عليه ما قبله كما قررته ورد العجز على
الصدر والارصاد وهو ان يتقدم على الروي ما يشعر به نحو وما ظلمناهم الآية (وتبعد)
عنه (القرباء) اى اقرباؤه اذا لم يوافقوه على طاعة الله تعالى فعلم انه لا يحابي قريبا ولا
صديقا وانه لا رياء عنده ولا سمعة ولا حمية ولا عصبية وان محض نظره انما هو الله لا غير
وطاعة ربه هي المقربة منه وضدها هو المبعد عنه (عمر بن الخطاب من) موصولة (قوله
الفصل) اى الفاصل بين الحق والباطل (ومن حكمه السوى) اى الذى لا اعوجاج فيه
(السواء) تأكيد اى المعتدل وهذا أولى من جعل الشارح السوى صفة حكم والسواء
خبره لاقتضائه تغايرهما وليس كذلك (فر) اى هرب (منه الشيطان) اى ابليس وكل عات
متمرد جني أو انسي (اذ) اى لاجل انه (كان فاروقا) ظاهره ان سبب تلقيبه بالفاروق
كون الشيطان فر منه وليس مراد الناظم ان سببه ان الله فرق به بين الحق والباطل كما
صحت به الاحاديث (ف) بسبب ما منحه الله من النور الذي يفرق به بين الحق والباطل ويفر
الشيطان منه (للنار) التي هي أصل للشيطان (من سناه) بالقصر اى ضوئه (انبراء) اى
انمحاء والاصل في ذلك الاحاديث الصحيحة منها حديث يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده
ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك وحديث ان الله تعالى جعل الحق
على لسان عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال عمر الا نزل القرآن على نحو
ما قال وحديث لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وحديث ان الله وضع الحق على

(قوله وشدة شكيمته) الشكيمة بالفتح الانفة والانتصار من الظلم وقال في الصحاح فلان شديد الشكيمة اذا كان شديد النفس ابيا لا ينقاد (قوله العكس) وهو ان يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر ويقع على وجوه منها بين احد طرفي جملة نحو عادات السادات سادات العادات ومنها ان يقع بين متعلقي فعلين في جملتين نحو يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومنها ان يقع بين لفظين في طرفي جملتين نحو لاهن حل لهم الآية وقول الحسن بن سهل وقد قيل له لا خير في السرف لا سرف في الخير اهـ من بعض شراح بديعية الصفي الحلي (قوله لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) قال في الاتقان وقد سئل عن الحكمة في عكس هذا اللفظ فأجاب ابن المنير بان فائدته الاشارة الى ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة (قوله دل عليه ما قبله) وهو قوله وارعوى الرقباء فان اخبارهما بانكفاف الاعداء وزجرهم من غير تقييد باجانب ولا أقارب يقتضي ان غير أعداء الله هم الذين يقربون منه سواء كانوا أجانب أو أقارب

لسان عمر يقول به وحديث ان الشيطان ليفر منك يا عمر وفى رواية انى لانظر الى شياطين الجن والانس قدفروا من عمر وفى أخرى أتانى جبريل فقال اقرأ عمر السلام وقل له ان رضاه حكم وغضبه عز وفى أخرى الحق بعدى مع عمر حيث كان وفى أخرى ان الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم الاخر لوجهه وفى أخرى الصدق بعدى مع عمر حيث كان وفى أخرى عمر معى وانا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وصح حديث ماطلعت الشمس على خير من عمر وروى أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال له يا أوخى أشركنا فى صالح دعائك ولاتنسنا والشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم شربت لبنا حتى كانى أنظر الى الرى يجرى فى اظفارى فناولته عمر قالوا فما أولته يارسول الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص يجره قال فما اولت يارسول الله قال الدين وصح انه من الملهمين الذين ينطق الحق على السنتهم (وابن) اى واقسم عليك بذى النورين ابى عمرو عثمان بن (عفان ذى) اى صاحب (الايادى) اى النعم وهذا فى اليد بمعنى الجارحة جمع أيد جمع يد فالى الناظم به فى البيت بمعنى النعمة أيضا (التى طال) اى عظم وامتد (الى المصطفى) على الخلق كلهم اى المختار فهو من الاصطفاء وقيل المصطفى المنتقى من كل شين وكدر فهو من التصفية (بها) متعلق بقوله (الاسداء) اى الاعطاء (حفر البئر) اى بئر رومة وذلك انها كانت ليهودى فى الاشهر فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء يستعذب غيرها فقال صلى الله عليه وسلم من حفر بئر رومة أو من اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم وحفرها وهى موجودة الى الآن فنوابها مستمر له الى قيام الساعة وفى رواية ان عثمان رضى الله تعالى عنه لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم فيها انها نعم البئر اشترى نصفها بمائة بكرة وتصدق بها واقتسماها يوما لهذا ويوما لهذا فجعل الناس ينتفعون ويستقون منها فى يوم عثمان ليومين فلما رأى صاحبها انه قد امتنع منه ما كان يصيبه من ثمن الماء الذى يبيعه للناس منها باع عثمان النصف الثانى بشئ يسير فتصدق عثمان بها كلها * (تنبيه) * تعبير الناظم بالحفر تبع فيه بعض الرواة وكانه لم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعض الرواة وانما المعروف انه اشتراها ويجاب بانه لا مانع من انه اشتراها ثم زاد فى تعميقها مبالغة فى تكثير مائها الشدة احتياج الناس اليها ثم رأيت بعض المتأخرين صرح بنحو ذلك وفى رواية ان القربة منها كانت تباع بمد وانه صلى الله عليه وسلم طلب من صاحبها ان يبيعها له فاعتل بان له عيالا وليس له غيرها فبلغ عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم

(قوله والانس) المراد بشياطين الانس المرتكبون خلاف المطلوب شرعا فقد ورد ان الحبشة كانت تلعب بالحراب فى المسجد فجاء عمر فتفرقوا فقال صلى الله عليه وسلم انى لانظر الخ ومن ذلك حديث المرأة التى قالت يارسول الله انى نذرت ان ردك الله سالما من غزوة كذا ان أضرب بين يديك بالدف واتغنى فجاء أبو بكر وغيره فلم تلق الدف فحين دخل عمر القت الدف تحت استها فقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفر من عمر اه ويحمل ما فى الحديث الاول من فعل الشيطان اما لكونه فى المسجد او لكون اللعب كان بالمراماة اى رمى الحراب جهة كل من الرماة والا فالمسابقة بالحراب مطلوبة وفى الحديث الثانى لكونه غير مطلوب وان كان جائزا لان كلا من الضرب بالدف وسماع صوت المرأة غير محرم والا لما أقر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأمل (قوله يا اوخى) التصغير ولذا يكتب بواو بعد الهمزة فرقا بينه وبين أخى المكبر (قوله وعليه قميص) قال أهل التعبير القميص فى النوم معناه الدين وجره يدل على ابقاء آثاره الجميلة وسنته الحسنة بالمسلمين بعد وفاته ليقتدوا به (قوله جمع يد) وأصل اليد الجارحة وتطلق مجازا على النعمة والاحسان وهو المراد هنا اه شرح المالكى لكن قوله بها يقتضى ظاهره ان المراد بها الجارحة والا فالاسداؤها وقد يقال فيه استخدام حيث ذكرها أولا بمعنى النعم وثانيا بمعنى الجوارح تأمل قال بعض محشى المطول وفيه ايراد جمع الجمع مبالغة فى كثرة النعم (قوله بئر رومة) بضم الراء وسكون الواو وفتح الميم اسم صاحب البئر الذى كان يسقى منها (قوله اشترى نصفها الخ) يمكن الجمع بين ذلك وماسبق بان المائة والشئ اليسير قدر عشرين ألف درهم (قوله فاشتراها بخمسة الخ) تقدم انه اشتراها بعشرين ألف درهم فانظر المعمول به من الروايتين أو ما يفيد الجمع بينهما ويمكن ان يجمع بان الثمن عشرون ألفا والمصروف فى حفرها خمسة عشر فتجوزوا أطلق الاشتراء على الجميع

(جهز الجيش) اى جيش العسرة فى غزوة تبوك أخرج الترمذى انه صلى الله عليه وسلم حث على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله تعالى عنه يارسول الله على مائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله تعالى ثم حض على الجيش فقال عثمان رضى الله عنه يارسول الله على مائتا بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله تعالى ثم حض صلى الله عليه وسلم على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله تعالى عنه يارسول الله على ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله تعالى فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد هذه وفى رواية حمل عثمان جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وصح انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره وجعل يقلبها بيده وهو يقول ما ضر عثمان ما فعله بعد اليوم وفى رواية انه بعث بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالى ما عمل بعدها وصح انه لما حوصر اشرف عليهم فقال انشدكم بالله تعالى ولا انشد الا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزته ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فصدقوه فيما قال وصح عن ابى هريرة اشترى عثمان الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة وصح انه استشهد أقواما من الصحابة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يشترى هذا المربد ويزيده فى مسجدنا وله الجنة وأجره فى الدنيا ما بقى درجات له فاشتريته بعشرين ألفا وزدته فى المسجد فشهدوا له فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت ثم ذكر تجهيز جيش العسرة وحفر البئر فصدقوه فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت فقال رضى الله تعالى عنه ويلكم كيف يكون من هذا له مغيرا ثم ذكر انهم سيقولون ذلك فى غيره فكان كذلك فى على حين خرجوا عليه واستشهد الصحابة على خصوصياته فشهدوا له فقالوا اصدقوا ولكنك غيرت وفى رواية أن محمد بن أبى بكر لما دخل على عثمان وكان مع الخارجين عليه استشهده أن النبى صلى الله عليه وسلم زوجه ابنتيه وقال لو كان عندنا ثالثة زوجناه وانه بايع عنه فى بيعة الرضوان وانه قال من يشترى هذا النخل فيقيم قبلة المسجد وله مثله فى الجنة فاشتراه عثمان رضى الله تعالى عنه وان المسلمين اشتد جوعهم فبسط لهم على أنطاع الحوارى بالسمن والعسل فكان اول خبيص الحلوى فى الاسلام وانهم ظمؤا ظما فحفر لهم بئر رومة فأعظم عليها النفقة ثم تصدق بها على المسلمين الضعيف فيهم والقوى سواء وان الميرة انقطعت عن المدينة فجاع الناس فاشترى خمسة عشر راحلة طعاما فاخذ ثلاثا وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم

(قوله العسرة) بالسين المهملة واما العشيرة بالمعجمة مصغرا فغزوة أخرى غير غزوة تبوك كذا فى المواهب قال فى القاموس وجيش العسرة بالضم جيش تبوك لانهم ندبوا اليها فى حارة القيظ فعسر عليهم اه وقال فيه أيضا تبوك أرض بين الشام والمدينة وقال الكوانى فى تفسير قوله تعالى والذين اتبعوه فى ساعة العسرة ولم يرد ساعة بعينها والمراد الذين اتبعوه فى غزوة تبوك ويسمى جيش العسرة لقلة الظهر كان العشرة يتعقبون على البعير الواحد والزاد والماء وشدة الحر حتى كادت اعناقهم تتقطع عطشا ومنهم من نحر بعيره واعتصر ماء فرثه فشربه وجعل فرثه على صدره (قوله باحلاسها) الحلس بالكسر كساء رقيق تحت الرحل ويقال حلس مثل شبه وشبه والاقتاب جمع قتب وهو الاكاف الصغير على قدر سنام البعير اه قاموس (قوله على ألف بعير الخ) لا مانع من انه بعد ما التزم بثلثمائة واثنى عليه رسول الله بذلك زاد حتى بلغ ما ذكر من الابل والخيل والدنانير تارة بالف وتارة بعشرة آلاف فيحصل الجمع بين الروايات (قوله اشترى عثمان الجنة من النبى مرتين) واذا نظرت الى شرائه المربد وشرائه النخل الآتيين وقد وعد فيهما النبى صلى الله عليه وسلم من اشتراهما بالجنة صح ان تقول قد اشترى عثمان الجنة من النبى اربع مرات (قوله المربد) كقعود الموضع الذى تحبس فيه الابل وغيرها واهل المدينة يسمون الموضع الذى يجفف فيه التمر مربدا وهو المسطح والجرين فى لغة اهل نجد اه صحاح

اثنى عشرة فدعاله بالبركة فيما أعطى وفيما أمسك وانه أتى النبى صلى الله عليه وسلم بالف أصفر فصبها فى حجره فقال ماضر عثمان مافعل بعد اليوم وانه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير بحراء فرجف بهم فضربه النبى صلى الله عليه وسلم بقدمه وقال اثبت حراء فانما عليك نبى أو صديق أو شهيد كل ذلك وعمد يقول نعم

* (تنبيه) * قال ابن مالك من أحسن شواهد قول الكوفيين وآخرين ان أو ترد بمعنى الواو هذا الحديث الاخير (أهدى الهدى) الى مكة وأرسله اليها عام الحديبية حين توجه صلى الله عليه وسلم اليها ومعه الف واربعمائة فى ذى القعدة سنة ست يريد العمرة فمنعه قريش من دخول الحرم (لما) اى حين (ان صده) عن الدخول اليها (الاعداء) اى المشركون وكان وجه تخصيصه بذلك أن هديه وصل الى مكة بخلاف هدى غيره لكن انما ذلك لعزة قومه دون غيره فنفى الخصوصية حينئذ تأمل بل قضية ادبه الآتى من تركه الطواف ترك ارساله الهدى حيث لم يرسله صلى الله عليه وسلم ويجاب باحتمال أنه أخر هديه لغيبته حتى حضر بعد ذبحهم لهديهم فحينئذ هو لم يرسله الا وقد أيسوا من ارسال هديهم فلا مخالفة فيه للادب وتفسيرى للماهذه بحين هو ماذهب اليه جماعة وقال ابن مالك انها بمعنى اذ لانها مختصة بالماضى وبالاضافة الى الجملة وهى تقتضى جملتين وحذف الثانية عند وجود الاولى ولذا يقال فيها حرف وجود لوجود وجوابها اما ماض او جملة اسمية مقرونة بالفاء او باذا الفجائية ويجادلنا فى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته الآية مؤول بجادلنا خلافا لابن عصفور وقد ترد للاستثناء نحو ان كل نفس لما عليها حافظ فى قراءة من شدد الميم وفى هذا كالسوى والسواء ويعدوا الاباعد ويقرب والقرباء وأدب والادباء جناس الاشتقاق أو شبهه (وأبى) رضى الله تعالى عنه لما ارسله النبى صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة ومعه الكتاب الذى وقع فيه ماوقع بين النبى صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو المرسل اليه من اهل مكة ليقع الصلح بينهم على ان يرجع فى هذه السنة ولا يدخلها لئلا يقول الناس انه دخلها كرها على اهلها ثم يعود اليها معتمرا السنة القابلة ويدخلها والاسلحة فى غلافها ليكون ذلك علامة على الصلح وعلى وضع الحرب بينهم عشر سنين ثم نقضوا الصلح فكان ذلك سببا لفتح مكة فى السنة الثانية ولما أرسله امسك سهيل بن عمرو عثمان بدله وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر اذهب فاستأذن لنا ليخلوا بيننا وبين الكعبة فقال يارسول الله ليس هنالك أحد من بنى عمى يمنعنى ولكن ارسل عثمان فان بنى عمه يمنعونه فأرسله ليكلم اشراف قريش فى ان يرجعوا عن صده عن دخول مكة وان يمكنوه من دخولها لاداء ماجاء بقصده من الاعتمار وتعظيم البيت بالبدن والهدى دون القتال فكلمهم فلم يمتثلوا وعلى كل من القولين احتبسوه عندهم وقالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى اى امتنع حينئذ (أن يطوف بالبيت اذ) تعليلية (لم يدن) اى يقرب (منه) اى البيت (الى النبى) متعلق بيدن (فناء) وهو ما امتد من جوانبه ولما

(قوله مؤول بجادلنا) اوان الجواب محذوف اى أقبل يجادلنا كما فى المغنى اى فالواجب احد أمرين اما تأويل المضارع بالماضى واما تقدير ماض قبل المضارع وهو أولى الوجهين

احتبس بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عثمان قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على أن لا يفروا ذكره الحافظ مغلطاي ولما بايع الناس على ذلك بمكة وضع يمينه على شماله وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى الحديث وفي رواية للترمذي أن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وأرسلوا عثمان وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة (ف) بسبب ما وقع من عثمان من امتثاله امر النبي صلى الله عليه وسلم وذهابه الى العدو ولم يبال باحتمال كونهم يقتلونه لشدة ما كانوا عليه من عداوتهم للمسلمين لاسيما لاكابرهم كعثمان ومن تأدبه مع النبي صلى الله عليه وسلم الادب البالغ بتركه للطواف مع اذنهم له فيه (جوزته عنها) اى تلك الفعلة التي فعلها من الذهاب اليهم والامتناع من الطواف (ببيعة) اى في بيعة (رضوان) وسميت بذلك لما في الآية الثانية من رضي الله عنهم بسببها (يد من نبيه) صلى الله عليه وسلم اى عثمان (بيضاء) اى بالغة في الكرم الذي عم الانام منها الى مبلغ ضوء الشمس وعمومه للعالم ولم لا تجازيه تلك اليد البيضاء بذلك والذي وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم تمكينهم له من الدخول (أدب) عظيم جدا (عنده) رضي الله تعالى عنه ومن عجيب هذا الادب أنه حصل فيه أمر عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك أنه مع كونه تركا للفعل العبادة (تضاعفت الاعمال) التي في ذلك الفعل وهو الطواف اى ثوابها (ب) سبب (الترك) لذلك العمل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا أفضل من الفعل لو وقع منه لانه ليس فيه هذا الادب الذي بلغ به عثمان من السبق ما لم يبلغه غيره فلهذا احق أن يقال فيه وفي أمثاله على سبيل المدح (حبذا الادباء) فهو تتميم بديع وعثمان رضي الله تعالى عنه من أجل الادباء لانه كان عنده من الحياء الذي هو منشأ الادب ما لم يكن عند غيره وهو من أجلهم كيف وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال في حقه وقد استحى منه صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه في بئر أريس فجمع ثيابه ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة وروى من غير طريق أشد أمتي حياء عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه عثمان أحيي أمتي وأكرمها عثمان حيي ستير تستحي منه الملائكة اذ الملائكة تستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله انما يشبه عثمان بأبينا ابراهيم عثمان وليي في الدنيا ووليي في الآخرة لو أن لي أربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة وما زوجتكها الا بالوحي من الله تعالى وصح أنه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة يعرفها فمر عثمان فقال هذا يومئذ على الهدى وانه صلى الله عليه وسلم قال له ان الله مقمصك قميصا

(قوله بلغ النبي الخ) عبارة المالكي اشاع أن عثمان قتل (قوله وقال هذه عن عثمان) اى لانه لم يصدق بموته والا لما احتاج للمبايعة عنه (قوله وجمع القرآن) اى في المصحف على ترتيبه المعروف اليوم والا فهو من جمعه الصديق

اى سوابك الخلافة فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى فلذلك قال لهم يوم الدار رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الىّ عهدا وأنا صابر عليه وفى البخارى أن بعض أعدائه جاء الى ابن عمر ورماه بأنه فر يوم أحد وانه تغيب عن بدر وعن بيعة الرضوان فردّ عليه ابن عمر بانّ الله غفر له وعفا عنه ماوقع منه يوم أحد وان تغيبه عن بدر انما كان باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرض بنته رقية وقال له ان لك أجر من شهد بدرا وسهمه وان غيبته عن بيعة الرضوان انما هو لكونه كان أعز أهل مكة فأرسله فى حاجته فكانت بيعة الرضوان فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى يديه على الاخرى فقال هذه لعثمان قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره ولذا سمى ذا النورين وقال وهو محصور يراد قتله انه اختبأ عند ربه عشرا وانه رابع اربعة فى الاسلام وانكحه صلى الله عليه وسلم ابنتيه وما تغنى ولا تمنى ولا وضع يمينه على فرجه منذ بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ أسلم الا واعتق فيها رقبة اى بجملة ما اعتقه الفان واربعمائة رقبة تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعلى) اى وأقسم عليك بعلىّ وسبق منه الاقسام به ايضا وانما لم يكتف به لان ذلك وقع تبعا للمعجزة المقصودة بالذات وهى برء عينيه بتفله صلى الله عليه وسلم فيهما وليبين ما هو مذهب اهل السنة واكثر الفرق من أن الخلافة والافضلية بينهم على هذا الترتيب فأحق الصحابة بالخلافة وافضلهم ابو بكر ثم عمر وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم كما حكاه جماعة من الائمة منهم الامام الشافعى رضى الله عنه قطعى لانزاع فيه يعتد به ثم عثمان ثم علىّ وهذا ما عليه الاكثرون فهو ظنى لا قطعى وخالف فيه سفيان الثورى ومالك وغيرهما فقالوا بافضلية على وان كان عثمان احق منه بالخلافة لاجماع اهل الشورى ثم الصحابة على خلافته مع الاشارة اليها من النبى صلى الله عليه وسلم كما سبقت الاشارة الى ذلك ومما يصرح بافضلية عثمان على علىّ ما صح عن ابن عمر كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان وعن ابى هريرة رضى الله عنه كنا معاشر اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول أفضل هذه الامة بعد نبينا أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وهل تجب محبتهم برعاية أفضليتهم فيه تفصيل وهو انها ان كانت من حيث الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وجب ترتيبهم كترتيبهم المذكور وان كانت لنحو قرابة أو احسان لم تجب رعايتها كذلك (صنو النبى) صلى الله عليه وسلم اى مثله لاجتماعهما فى أصل واحد وهو عبد المطلب فهما كنخلتين اصلهما واحد وفى حديث الترمذى فانما عم الرجل صنو ابيه وهو من هذا القبيل (ومن) اى الذى (دين) اى اعتقاد (فؤادى) اى قلبى (وداده) اى حبه (والولاء) له اى مناصرته والذب عنه والرد على من نازع فى خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع عليها وعلى من خرجوا عليه ونازعوه الامر ورموه بما هو برىء منه وذلك

(قوله وعلىّ) قال ابن الجوزى لا يعرف خليفة هاشمى الابوين الا اثنان علىّ ابن ابى طالب بن هاشم وامه فاطمة بنت أسد بن هاشم ومحمد الامين بن الرشيد وامه أم جعفر بنت جعفر بن المنصور (قوله متوافرون) اى كثير

علا بما صح عنه صلى الله عليه وسلم وهو اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ان عليا مني وانا
منه وهو ولي كل مؤمن بعدي ولتأكيد الذب عنه لكثرة أعدائه من بني أمية والخوارج
الذين بالغوا في سبه وتنقيصه مدة ألف شهر حتى على المنابر خصه الناظم بذلك ولهذا
اشتغل جهابذة الحفاظ ببث فضائله رضي الله عنه نصحا للامة ونصرة للحق ومن ثم قال
احمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي وقال اسمعيل القاضي والنسائي وابو علي
النيسابوري لم يرد في حق احد من الصحابة بالاسانيد الصحاح الحسان اكثر ما ورد في حق
عليّ فمن ذلك ما صح أن الله تعالى يحبه وان رسوله صلى الله عليه وسلم يحبه بل روى
الترمذي انه كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أن المراد بالناس
بنو هاشم حتى لا ينافي ما مر ان ابا بكر كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان آية المباهلة لما نزلت دعا صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم هؤلاء
اهلي وانه قال أنا سيد ولد آدم وعليّ سيد العرب لكن اعترض تصحيح الحاكم لهذا وانه
قال من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه رواه ثلاثون
صحابيا وان الله تعالى امره أنه يحب اربعة واخبره بأنه يحبهم منهم علي وانه لا يحبه
الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وان من سبه فقد سب النبي صلى الله عليه وسلم وانه يقاتل
على القرآن كما قاتل صلى الله عليه وسلم على تنزيله وأنه يهلك فيه اثنان محب مفرط
ومبغض مبهت وان قاتله اللعين ابن ملجم أشقى الآخرين كما ان عاقر الناقة اشقى الاولين
(ووزير ابن عمه) النبي صلى الله عليه وسلم اى ناصره وحامل كل ثقل نابه صلى الله عليه
وسلم ونائب عنه (في المعالي) الدينية والدنيوية جمع العلا وهو الرفعة والشرف وأصل
هذا الحديث الصحيح انه لما خلفه على المدينة في غزوة تبوك قال يا رسول الله خلفتني
مع النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه
لا نبي بعدي ومر الكلام عليه في شرح قوله أودعتهما الزهراء وقال صلى الله عليه
وسلم فيما أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عليّ مني وأنا منه ولا يؤدي عني
الا عليّ والترمذي أنت اخي في الدنيا والآخرة والخطيب علي مني بمنزلة رأسي من بدني
وابن عدي عليّ يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين والبزار علي يقضي ديني
والنسائي والحاكم ان كل نبي أعطى سبعة نجباء وأعطيت أنا اربعة عشر علي والحسن
والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر الحديث واحمد أنت اخي وابو ولدي تقاتل على
سنتي الحديث قال ابن عباس نزلت في علي ثلثمائة آية وليست الوزارة خاصة به رضي
الله تعالى عنه فقد أخرج الترمذي حديث ما من نبي الا وله وزيران من أهل السماء
ووزيران من أهل الارض فاما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل واما وزيراي
من اهل الارض فأبو بكر وعمر وصح حديث هذان السمع والبصر وفي رواية هما مني
بمنزلة السمع والبصر من الرأس واخرج الطبراني وابو نعيم ان الله أمدني باربعة وزراء

(قوله من كنت مولاه الخ) اى
من أحبني وتولاني فليتوله اه
هروي (قوله ومبغض مبهت)
قال الجوهري بهته بهتا وبهتا
وبهتانا فهو بهات اى قال عليه
ما لم يفعله فهو مبهوت (قوله ومر
الكلام عليه) وسيأتي قريبا
ايضا في شرح قوله
لم يزده كشف الغطاء يقينا
زيادة بسط له في الشرح وما
كتبناه عليه

اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من اهل الارض ابو بكر وعمر وابن عساكر ان لكل نبي وزيرين ووزيراى صاحباى ابو بكر وعمر قيل قد يشتشكل ذكره الوزارة فيه دونهما مع انها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما وقد يجاب بانها وردت فيه بمعناها على وجه ابلغ من لفظها وهو قوله انت منى بمنزلة هرون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من هذا التى هى كوزارة هرون اخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومن ثم اخذ منها الشيعة انها تفيد النص على انه الخليفة بعده وهو كذلك لولا ما يأتى قريبا من المبطل لذلك الاستنباط ومما يؤيد هذه الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم آخاه دون غيره وأرسله مؤذنا على الناس ببراءة فى الموسم مع أن الخليفة على الحج ابو بكر لان العرب لا يقبلون من يبلغ عن الكبير الا ان كان من اهله وجلدته وانه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى أدى ودائعه وقضى ما عليه وأتاه باهله فهذه كلها مؤذنة بوزارة خاصة لم توجد فى غيره فلذا ذكرها فيه فقط على انه وصفه بما هو أعظم منها وأجل (ومن الاهل تمهد الوزراء) تذييل مناسب لما قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن تلك السعادة ما أمده صلى الله عليه وسلم به من المؤاخاة فقد اخرج الترمذى آخى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال يا رسول الله أآخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بينى وبين احد فقال صلى الله عليه وسلم انت اخى فى الدنيا والآخرة ومنها العلوم التى اشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلى بابها وفى رواية فمن اراد العلم فليأت الباب وفى اخرى عند الترمذى أنا دار الحكمة وعلى بابها وفى اخرى عند ابن عدى على باب على واختلفوا فى حكم هذا الحديث فجماعة منهم النووى رحمه الله تعالى على انه موضوع والحاكم صححه وصرح بعض الحفاظ المطلعين انه حديث حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم ارسله الى اليمن ليقضى بينهم فقال لا ادرى ما القضاء فضرب صدره بيده ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال على فو الذى فلق الحب ما شككت فى قضاء بين اثنين وقيل له مالك أكثر الصحابة حديثا فقال انى كنت اذا سألته أنبأنى واذا سكت ابتدأنى وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها ابو الحسن يعنى عليا ولم يكن احد من الصحابة يقول سلونى الا على رضى الله تعالى عنه وذكر عند عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت انه أعلم من بقى بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة الى عمر وعلى وابن مسعود وقال والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ان ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلونى عن كتاب الله تعالى فانه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم فى سهل ام فى جبل ولا جل هذه العلوم الكثيرة التى أفيضت عليه من تلك الحضرة النبوية (لم يزده كشف الغطاء يقينا) كما اخبر بذلك عن نفسه بقوله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لانه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان وصدق الرسل فيما جاؤا به ما لا يزيد اليقين فيه عند رؤية ذلك عيانا واحترز بنفى زيادة اليقين نفسه

(قوله يقينا) فى الفتوحات الالهية فى نفع أرواح الذوات الانسانية لشيخ الاسلام زكريا الانصارى ما يوضح المقام ونص عبارته اليقين ظهور نور الحقيقة فى قلب المؤمن عند كشف الاستار البشرية بشهادة الوجدان والذوق لا بدلالة العقل والنقل وذلك يحصل بالجزم ومطابقة الواقع ويطلق اليقين مجازا على نتيجة ذلك وهى اطمئنان القلب ووثوقه بوعود الله تعالى ليستريح العبد من تعب الشقاء فى تحصيل المرافق الدنيوية فيكون حقيقة فيما هو من قبيل الاحوال والمقامات مجازا فى ثمراتها وقيل مشترك بينهما وعلم اليقين ما حصل عن نظر واستدلال وعين اليقين ما حصل عن مشاهدة وعيان وحق اليقين ما حصل عن عيان ومباشرة فالاول منها كمن علم بالدليل وجود الجنة والثانى كمن حضرها وشاهدها والثالث كمن شاهدها ودخلها (قوله من البراهين) هذا بيان لعلم اليقين المتصف به هذا الامام كرم الله وجهه كاتصافه باليقين نفسه قبل نظره فى الدليل فانه قد ظهر نور الحقيقة فى قلبه عند ازالة اشبال البشرية عنه فى حال تمييزه ولذلك بادر بالاسلام قبل بلوغه فتأمل

عن زيادة ثمراته فان عاقلا لا يشك أن عين اليقين اقوى من علم اليقين وان حق اليقين
اقوى من عين اليقين ودليله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى فأثبت لنفسه حقيقة
الايمان ويقينه وطلب زيادة الطمأنينة برؤية العيان فلا منافاة فيه لما قاله على كرم الله
وجهه خلافا لمن وهم فيه (بل) للانتقال (هو) اى على في فضله وعلمه وزهده وتقدمه على
من عدا الخلفاء الثلاثة قبله وحقية خلافته وقيامه فيها بما قام به من قبله وزيادة
(الشمس) اى مثلها فى الظهور والاضاءة التى لا يلتفت فيها الى تقول متقول ولا عناد
معاند كيف وهو مع ذلك (ما عليه غطاء) اى ساتر بل هو ظاهر لكل احد وقد أخرج
الطبرانى عن ابن عباس قال كانت لعلى رضى الله عنه ثمانى عشرة منقبة ما كانت لاحد
من هذه الامة وأبو يعلى عن عمر قال أعطى على ثلاث خصال لان تكون لى خصلة منها
أحب الى من أن أعطى حمر النعم تزويجه ابنته وسكناه المسجد واعطاؤه الراية يوم خيبر
وصح عن ابن عمر نحو ذلك وأخرج الطبرانى والخطيب حديث ان الله جعل ذرية كل
نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب ابن أبى طالب وما أحسن قول حكيم له لما دخل
الكوفة والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهى
أحوج اليك منك اليها وقول أحمد وقد سأله ولده عن على ومعاوية اعلم أن عليا كان
كثير الاعداء ففتش له أعداؤه شيأ فلم يجدوا فجاؤا الى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيدا
منهم له وصح خلافا لمن نازع فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم نام فى حجره وهو يوحى اليه
فغربت الشمس ولم يصل العصر فلما سرى عنه صلى الله عليه وسلم وعلم أنه لم يصل دعا الله
تعالى أن يرد الشمس فعادت حتى ظهر ضوءها على الحيطان فصلى ثم غابت وفى هذا
كرامة له باهرة ولعل الناظم أشار اليها بتشبيهه بالشمس *(تنبيه)* مما يدل على أن الله
سبحانه وتعالى اختص عليا من العلوم بما تقصر عنه العبارات قوله صلى الله عليه وسلم
أقضاكم على وهو حديث صحيح لا نزاع فيه وقوله أنا دار الحكمة ورواية أنا مدينة العلم
وعلى بابها وقد كثر اختلاف الحفاظ وتناقضهم فيه بما يطول بسطه وملخصه أن لهم فيه
اربعة آراء صحيح وهو ما ذهب اليه الحاكم ويوافقه قول الحافظ العلائى وقد ذكر له طرقا
وبين عدالة رجالها ولم يأت احد ممن تكلم فى هذا الحديث بجواب عن هذه الروايات
الصحيحة عن يحيى بن معين وبين رد ما طعن فيه فى بعض رواته كشريك القاضى بان
مسلما احتج به وكفاه بذلك فخرا له واعتمادا عليه وقد قال النووى فى حديث رواه فى
البسملة ردا على من طعن فيه يكفينا أن نحتج بمن احتج به مسلم ولقد قال بعض معاصريه
ما رأيت احدا قط اورع منه فى علمه حسن وهو التحقيق ويوافقه قول شيخ الاسلام
الحافظ ابن حجر رجاله رجال الصحيح الا عبد السلام الهروى فانه ضعيف عندهم انتهى
وسبقه الى آخر كلامه الحافظ العلائى فقال عن الهروى هذا تكلموا فيه كثيرا انتهى
ويعارض ذلك نصويب ابى زرعة على حديثه ونقل الحاكم عن يحيى بن معين انه وثقه

(قوله ولعل الناظم الخ) انظر ما وجه كون ذلك التشبيه مشيرا لما ذكر

فثبت انه حسن مقارب الصحيح لما علمت من قول ابن حجر ان رواته كلهم رواة الصحيح الا الهروى وان الهروى وثقه جماعة وضعفه آخرون ضعيف اى بناء على رأى من ضعف الهروى موضوع وعليه كثيرون أئمة حفاظ كالقزوينى وابن الجوزى وجزم ببطلان جميع طرقه والذهبى فى ميزانه وغيره وهؤلاء وان كانوا أئمة أجلاء لكنهم تساهلوا تساهلا كثيرا كما علم مما قررته وكيف ساغ الحكم بالوضع مع ما تقرر ان رجاله كلهم رجال الصحيح الا واحدا فمختلف فيه ويجب تأويل كلام القائلين بالوضع بان ذلك لبعض طرقه لا كلها وما احسن قول بعض الحفاظ فى ابى معاوية احد رواته المتكلم فيهم بما لا يسمع هو ثقة مأمون من كبار المشايخ وحفاظهم وقد تفرد به عن الاعمش فكان شاذا واى استحالة فى انه صلى الله عليه وسلم يقول مثل هذا فى حق على وقول بعض المحققين تمسك الشيعة بهذا الحديث على أن اخذ العلم والحكمة مختص بعلى لا يتجاوزه الى غيره الا بواسطته لان الدار انما يدخل اليها من بابها ولا حجة لهم فيه اذ ليس دار الجنة باوسع من دار الحكمة ولها ثمانية ابواب اهـ وفى حديث عند الواحدى لكنه ضعيف وعلى بابها وابو بكر محرابها الحديث واحتج بعض من لا تحقيق عنده على الشيعة بان على اسم فاعل من العلو اى عال بابها فلا ينال لكل احد وهو بالسفساف اشبه لا سيما وفى رواية رواها ابن عبد البر فى استيعابه أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن اراد العلم فليأته من بابه اذ مع تحديق النظر فى هذه الرواية لا يبقى تردد فى بطلان ذلك الرأى فاستفد هذا وعلم مما قدمته أنه الحقيق بالخلافة بعد الائمة الثلاثة بالاجماع ولا اكتراث ولا التفات الى من زعم أنه لا اجماع على خلافته رضى الله تعالى عنه وهو اول من اسلم قال بعض الحفاظ اجماعا اى من الصبيان واعتد باسلامه حينئذ لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ولم يعبد وثنا قط ومن ثم اختص بكرم الله وجهه وألحق به الصديق فى ذلك وآخاه النبى صلى الله عليه وسلم وزوجه فاطمة بالوحى وهو أحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد والخطباء المعروفين وحفظ القرآن وعرضه على النبى صلى الله عليه وسلم واختلى بعد موته صلى الله عليه وسلم فكتب كتابا فيه العلوم الجمة حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت بالعلم كله ولما هاجر صلى الله عليه وسلم امره أن يقيم بعده بمكة حتى يؤدى عنه ودائعه ثم يلحقه باهله ففعل وارسله صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة وكان الامير فيها على الحج ابا بكر رضى الله تعالى عنه فأذن فى الناس بالموسم بمنى بسورة براءة لان العرب لا يعتدون بما يجىء على لسان الكبير الا اذا كان الرسول فيه من اهله ومن ثم جاء فى حديث رجاله ثقات الا واحدا فمختلف فيه أنه صلى الله عليه وسلم خطب يوما وهو حاضر عقب فتح مكة فكان مما قاله اوصيكم بعترتى خيرا وان موعدكم الحوض والذى نفسى بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة اولا بعثن اليكم رجلا منى كنفسى يضرب أعناقكم ثم اخذ بيد على وقال هو هذا ونهدمعه صلى الله عليه

وسلم

(قوله ومن ثم اختص) عبارة الشارح فى الفتاوى وجه اختصاص على بذلك عرضا عن الترضى انه لم يسجد لصنم قط فناسب أن يدعى له بما هو مطابق لحاله من تكرمة الوجه والمراد به حقيقته او الكناية عن الذات اى حفظه أن يتوجه لغير الله فى عبادته ويشاركه فى ذلك ابو بكر فانه لم يسجد لصنم أيضا كما حكى عنه فناسب أن يدعى له بذلك وانما كان استعمال ذلك فى حق على أكثر لان عدم سجوده لصنم أمر مجمع عليه لانه أسلم وهو صبى مميز فان قلت كثير من الصحابة لم يوجد منهم سجود لصنم كالعبادلة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم ومع ذلك لا تقول الناس فيهم ذلك بل الترضى كغيرهم قلت هؤلاء ونظراؤهم انما ولدوا بعد اضمحلال الشرك وخمود نار الضلالة والفتنة فلم يشابهوا ذينك الامامين فى تركهما اكبر فتن الشرك من السجود للصنم مع دعاء اهله للناس لذلك ومبالغتهم فى ايذاء من ترك ذلك وكان فى الترك حينئذ مخالفة الآباء والاقارب وتحمل المشاق التى لا تطاق من الدلالة على الصدق ما ليس فيه بعد ظهور الاسلام وزهوق الضلال فناسب حالهما أن يميزا عن بقية الصحابة بهذه الخصوصية العظمى رضى الله عنهما وكرم وجههما

وسلم المشاهد كلها وكان له فيها اليد البيضاء الا تبوك فانه استخلفه فيها على المدينة وقال له لما قال له حينئذ أتخلفني مع النساء والصبيان أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي وبكونه انما قال له حينئذ يبطل تمسك الشيعة به على أنه الخليفة المقدم على الكل على ان هرون مات في حياة موسى صلى الله عليه وسلم فلا دليل فيه للخلافة بعد الموت اصلا وتوفي علي كرم الله تعالى وجهه شهيدا على ثلاث وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم في جبهته فأوصله دماغه ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين وهو خارج الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فشكا اليه مالقي وقال له ادع لي فدعا له ان يبدله خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه واكثر تلك الليلة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت وكان عنده أوز فلما خرج للصلاة صحن عليه فطردن عنه فقال دعوهن فانهن نوائح وقيل لم يمت الا ليلة الاحد وله اسوة بالخليفتين قبله عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فان كلا منهما قتل شهيداء ظلما أما عمر فقتله أبو لؤلؤة مجوسي عبد للمغيرة بن شعبة لكونه شكا اليه ثقل خراجه فلم يشكه لعلمه بقدرته عليه وزيادة الكثرة صنائعه فكمن له الى أن ضربه بخنجر صنعه له وهو في ثاني ركعة من صلاة الصبح وهو يصلي بالمسلمين ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم فانه ارسل ولده بعد ان طعن يستأذن عائشة رضي الله تعالى عنها في ذلك فقالت كنت أعددت هذا المكان لنفسي فلا آن أوثره به فاشتد فرحه بذلك وأما عثمان فاجتمع على قتله أوباش أربعة آلاف يجمعون من مصر وغيرها فحاصروه الى ان قتلوه في أواسط أيام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل أكثر وقيل أقل توهما منهم انه أراد قتل محمد بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم وهو بريء من ذلك وانما فعله عليه بعض أهله وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم من ان يقاتلوا محاصريه لما قال له زيد بن ثابت ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا انصار الله مرتين فقال رضي الله عنه لا حاجة لي في ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا وأنا صائر اليه ومن ثم كان عنده في الدار مما يكفيه الكثيرون فأرادوا ان يمنعوا عنه فقال من أغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبي صلى الله عليه وسلم انه مقتول مظلوم وانه على الهدى وانه لا مخلص له من القتل وامره ان لا يعزل نفسه كما صح في الحديث وهو يا عثمان انك ستولى الخلافة من بعدي وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم في ذلك اليوم تفطر عندي كما مر في الاحاديث وصح ان عثمان رضي الله تعالى عنه أشرف من كوة فقال لعلي يا أبا الحسن ما هذا الذي ركب مني فقال اصبر يا أبا عبد الله فوالله ما غبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على أحد فتحرك الجبل ونحن عليه فقال له اثبت أحد فانه ليس عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وايم الله تقتلن ولاقتلن معك أي

(قوله أن تكون مني بمنزلة الخ) الباء زائدة اي انت نازل مني منزلة الخ وأفاد قوله الا أنه الخ أن الاتصال بينهما ليس في النبوة بل مادونها وهو الخلافة ولما كان هرون المشبه به انما كان خليفة في حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علي للنبي صلى الله عليه وسلم بحياته (قوله على ان هرون مات في حياة موسى) اي قبل موته باربعين سنة خلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة (قوله اوباش) هم الضعفاء الداخلون في القوم وليسوا منهم حكى الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء انه لما قتل عثمان رحمه الله سمع الناس هاتفا يقول

لقد خانوك وانصرفوا
فما آبوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرهم
فتبا للذي صنعوا

(قوله سنة خمس وثلاثين) * (فائدة) * لم يذكر فيما سبق ولا هنا تاريخ وفاة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقد أرخ بعضهم وفاته صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة بالجمل في قوله سنة (يا) النبي والصديق (جي) عمر (كج) عثمان (هل) علي (لي)

بعدك وليقتلن طلحة والزبير *(تنبيه)* ورد في مناقب على حديث كثر كلام الحفاظ فيه فاردت ان أخلص المعتمد فيه وانقطه عن انس رضى الله عنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ائتني باحب خلقك اليك يأكل معى هذا الطير فجاء على فأكل رواه الترمذى والمعتمد عند محقق الحفاظ انه ليس بموضوع بل له طرق كثيرة قال الحاكم في المستدرك رواه عن انس رضى الله عنه اكثر من ثلاثين نفسا انتهى وحينئذ فيتقوى كل من تلك الطرق بمثله ويصير سنده حسنا لغيره والمحققون ايضا على ان الحسن لغيره يحتج به كالحسن لذاته ومن جملة طرقه طريق رواتها كلهم ثقات الا واحدا قال بعض الحفاظ لم ار من وثقه ولا من جرحه وطريق اخرى رواتها كلهم ثقات ايضا الا واحدا قال النسائى فيه ليس بالقوى وهو معارض بان غير واحد وثقه وذكر الحاكم انه صح عن على وابى سعيد وسفينة لكن تساهله في التصحيح معلوم فالحق ماسبق ان كثرة طرقه صيرته حسنا يحتج به ولكثرتها جدا اخرج الحافظ ابو بكر بن مردويه فيها اجزاء واما قول بعضهم انه موضوع وقول ابن طاهر طرقه كلها باطلة معلولة فهو الباطل وابن طاهر معروف بالغلو الفاحش وابن الجوزى مع تساهله في الحكم بالوضع كما هو معلوم ذكر في كتابه العلل المتناهية له طرقا كثيرة واهية ولذلك لم يذكره في موضوعاته فالحق ماقررناه ولانه حسن يحتج به على انه لا يلزم عليه محذور لانه مؤول قطعا والا لاقتضى انه احب الى ربه من نبيه صلى الله عليه وسلم فهو عام مخصوص وقد صح من الاحاديث جملة مستكثرة تخرج الثلاثة عنه ايضا فاستفد ذلك كله فانه مهم *(تنبيه)* آخر مما كثر الاختلاف فيه أهو موضوع ام لا حديث ياعلى لا يحل لاحد يجنب في المسجد غيرى وغيرك ومعنى يجنب فيه هنا يمكث فيه جنبا ويتعين انه مراد من عبر بستطرقه جنبا لان الاستطراق بظاهره حلال فلا خصوصية فيه لاحد ثم هذا الحديث كثر الاختلاف في سنده أيضا فقال بعض الحفاظ انه موضوع وبعضهم كالحافظ العلائى ضعيف لا ينتهى الى الوضع وقال الترمذى انه حسن لكن اشتد انكار الحفاظ عليه في تحسينه له بان فيه ثلاثة ضعفاء وكل منهم شيعى وثلاثة متهمين بالكذب ومما يدل على نكارة هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم لم يختص عن الامة بشئ من الرخص فيما يقتضى تعظيم حرماته والقيام بجلاله أصلا وانما ترخصه في الامور الدنيوية كاباحة ماوراء الاربع في النكاح ونحو ذلك فلم يكن صلى الله عليه وسلم يترخص عنهم باباحة الجلوس في المسجد جنبا أبدا انتهى ومال الحافظ ابن حجر الى تحسين الترمذى بان له شاهدا عند البزار رواته ثقات

(قوله حسنا لغيره) اعلم ان المقبول من الاحاديث التى رواتها آحاد اى غير متواترة اربعة صحيح لذاته وهو ما استوفى شروطا خمسة عدالة الراوى وتمام ضبطه وكون سنده متصلا وسلامته من الشذوذ وسلامته من العلة القادحة وحسن وهو ما اجتمعت فيه هذه الشروط الخمسة لكن ان خف الضبط أى نقص فهو الحسن لذاته وان كثرت طرق الحسن لذاته صار صحيحا لغيره وان كان في رجال السند من فحش غلطه أو كثرت غفلته أو ساء حفظه لكن تابع حديثه معتبر من أهل الحديث صار ذلك الحديث حسنا لغيره والمراد بالمتابعة ان يشارك الراوى راو آخر في رواية الحديث وهى المتابعة التامة وان شارك شيخه فمن فوقه فالناقصة وكل منهما يفيد التقوية (قوله يجنب في المسجد) قال في المختار يقال أجنب وجنب من باب ظرف (قوله يمكث فيه جنبا) المعتمد في الفروع الفقهية ان جواز المكث مع الجنابة خاص برسول الله فالامام على كغيره في حرمة المكث مع الجنابة لضعف هذا الحديث عندهم فلا يثبت حكما وعليه فان كان مستندهم للحكم بالاختصاص بالنبى غير هذا الحديث فظاهر وان لم يكن لهم مستند غيره فلا يظهر العمل به في طرف دون الآخر كما ذكره ابن علان فحرر (قوله ومما يدل على نكارة هذا الحديث الخ) في شرح الخصائص الصغرى لابن علان المكى مانصه وعجيب مافى شرح المنهاج لابن حجر من قوله ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم المكث في المسجد جنبا وعلى ليس مثله في ذلك وحديثه ضعيف وان قال الترمذى انه حسن غريب كما في المجموع وقد نظر فيه تلميذه الاشخر بان الحديث الذى ضعفه هو الذى أثبت به الحكم للنبى صلى الله عليه وسلم فكيف يعمل به في طرف دون الآخر

قال والسبب فى ذلك ان بيت على كان كبيته صلى الله عليه وسلم فى كونه مجاورا للمسجد وبابه منه وقد صح من طرق انه صلى الله عليه وسلم لما امر بسد الابواب الشارعة فى المسجد الا باب على شق ذلك على بعض الصحابة فاجابهم بعذر نفسه فى ذلك (و) اقسم عليك (بباقى) (اصحابك) العشرة المبشرين بالجنة فى الاحاديث الصحيحة منها ان عمر لما جعل الامر شورى بين الستة اذكر عليه بانهم ليسوا ارضا فقال ما عسى ان تقولوا فى على سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول له يدك فى يدى تدخل معى يوم القيامة حيث ادخل وذكر فى عثمان حديث انه يوم يموت تصلى عليه ملائكة السماء وان ذلك له خاصة وفى طلحة ان رحل النبى صلى الله عليه وسلم سقط فى ليلة فقال من يسوى لى رحلى وهو معى فى الجنة فبدر طلحة فسواه فقال يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول انا معك فى اهوال يوم القيامة حتى انجيك منها وذكر فى الزبير انه جلس يذب عن وجه النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم حتى استيقظ فقال له يا أبا عبد الله لم تزل قال لم أزل قال بابى أنت وأمى قال هذا جبريل يقرئك السلام و يقول أنا معك يوم القيامة حتى اذب عن وجهك شرر جهنم وذكر فى سعد بن أبى وقاص انه صلى الله عليه وسلم قال فيه يوم بدر وقد أوتر قوسه اربع عشرة مرة يدفعها اليه فداك أبى وأمى وذكر فى عبد الرحمن بن عوف ان الحسنين اشتد بكاؤهما جوعا فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشئ فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما اهالة فقال صلى الله عليه وسلم له كفاك الله أمر دنياك وأما أمر آخرتك فانا لها ضامن ومنها ان حراء ارتج وعليه الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعد وسعيد قال له النبى صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد ومنها رواية سعيد بن عمرو بن نفيل أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن ابى وقاص فى الجنة وتاسع المؤمنين فى الجنة فنشدوه بالله عنه ثم فقال أما اذا انشدتمونى فانا تاسع المؤمنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم العاشر ثم قال لموقف احدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه افضل من عمر احدكم ولو عمر عمر نوح (المظهر) اى المبين (الترتيب) بينهم من النبى صلى الله عليه وسلم وهو مفعول (فينا) اى لنا (تفضيلهم) على حسب مراتبهم التى بها شرفهم صلى الله عليه وسلم وهو فاعله وعكس ذلك الشارح والاول اظهر (و) المظهر ذلك بينهم لنا ايضا (الولاء) اى الموالاة والمناصرة الواجبة علينا لهم بحسب مراتبهم ومن ثم سئل بعض محققى المتأخرين عن محبة الخلفاء الاربعة هل تجب ان تكون على حسب فضلهم فقال محبتهم من حيث الدين والقرب الى الله تعالى ورسوله يجب ان تكون بحسب فضلهم ومن حيث نحو قرابة أو احسان لا يجب ان تكون كذلك وما قاله فى الخلفاء الاربعة يأتى فى بقية الصحابة رضوان الله عليهم (طلحة) بن عبد الله القرشى التيمى أحد العشرة المشهود لهم بالجنة

(قوله باقى أصحابك العشرة) جعل باقى لاصحاب العام على هذا الخاص بقرينة الاقتصار على ابدالهم منه ويمكن ان يقال المراد الاقسام بجميع الاصحاب الباقين وخص باقى العشرة بالذكر اهتماما بهم لمزيد فضلهم فتأمل (قوله اهالة) كل شئ من الادهان مما يؤتدم به انتهى من الغريبين للهروى (قوله من رواية سعيد) لم يذكر فى هذه الرواية ابن الجراح (قوله والمناصرة الواجبة علينا الخ) وفى ابن عبد الحق أى الذى أظهر الترتيب بينهم وبين من بعدهم من الصحابة تفضيله صلى الله عليه وسلم لهم بذكر فضائلهم وولاؤهم اى مناصرتهم له صلى الله عليه وسلم المناصرة الكاملة ويجوز ان يقرأ بكسر الواو أى ومتابعتهم له صلى الله عليه وسلم المتابعة الكاملة كما يعلم من سيرهم وهذا أولى لسلامته من الايطاء اللازم على الاول انتهى بحروفه اذا تأملت ذلك وجدت عبارته مصرحة بان المراد بقول الناظم ترتيبهم الترتيب بين الستة غيرهم من الصحابة وان المراد بالولاء نصرهم للنبى صلى الله عليه وسلم بخلاف عبارة الشارح فانه يقتضى الترتيب بين افراد الستة ونصرنا لهم وما سلكه ابن عبد الحق أوضح وقوله لسلامته من الايطاء أى لذكره الولاء بهذا المعنى قبل ذلك ببيتين

وأحد الثمانية السابقين الى الاسلام وأحد الستة أصحاب الشورى فى أمر الخلافة بعد
عمر الذين توفى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر
لكونه السبب فى اسلامهم وسماه النبى صلى الله عليه وسلم طلحة (الخير) وطلحة الفياض
وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث انه باع أرضا له بسبعمائة ألف دينار فباتت عنده فلم ينم
مخافة من حسابها فاصبح ففرقها وفى رواية ففرقها فى ليلته على فقراء المدينة وجاءه
رحم له يسأله برحمه فاعطاه ثلثمائة الف وكان مغله بالعراق فى كل سنة اربعمائة الف
وكان يكفى ضعفاء قومه وقوم ابى بكر بنى تيم ويقضى ديونهم ويرسل الى عائشة رضى
الله تعالى عنها فى كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق فى يوم بمائة الف درهم ثم لم يجد ثوبا
يذهب فيه الى المسجد يصلى فيه وهو وان لم يشهد بدرا فقد جعله صلى الله عليه وسلم كمن
شهدها اجرا وسهما قيل لانه كان بالشام لتجارة والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ارسله
هو وسعيد بن زيد رضى الله عنهما للتجسس على خبر عير قريش وخرج الى بدر فرجعا الى
المدينة فوافياه منصرفه من بدر وصح انه صلى الله عليه وسلم أقبل عليه وعلى الزبير وقال
يا طلحة ويا زبير ان لكل نبى حوارى وأنتما حوارياى اى ناصراى وان الخلفاء الاربعة
وطلحة والزبير وابن عوف وسعدا وسعيدا كانوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
القتال وخلفه فى الصلاة فى الصف الاول وليس احد من المهاجرين والانصار يقوم
مقام واحد منهم غاب او شهد (المرتضيه) اى الذى كان ارتضاه النبى صلى الله عليه وسلم
وما جرى عليه الناظم من اضافة اسم الفاعل الى معموله الضمير العائد على أل المقترنة به هو
الاصح نحو الضارب الرجل والساقيه ومنع المبرد هذه الصورة واوجب النصب أى لئلا
يلزم عليه اجتماع أداتى تعريف ويرده ان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا
بل تخفيفا قالوا فمن ثم جاز اقتران هذا المضاف دون غيره بأل ان كان مثنى أو جمعا على حده
كالضاربا زيدا والضاربو زيدا أو أضيف لمعرف بأل نحو الضارب الرجل أو المضاف
اليه كالقاصد باب الكريم أو الى ضمير هى مرجعه كما هنا ومن قال التقدير الذى
ارتضى هو النبى صلى الله عليه وسلم فقد وهم لامتناع الاضافة حينئذ لانها ليست الى ضمير
مرجعه أل فتنبه له (رفيقا واحدا) هو ما فى أكثر النسخ وفى نسخة احدو هو الفاعل أى
الذى ارتضاه أحد رفيقا ففيه اسناد مجازى وفى أخرى أحدا وهو على نزع الخافض أى
فى احد (يوم) ظرف لاسم الفاعل وقول الشارح انه بدل من احد اى بناء على النسخة
الثانية بعيد (فرت الرفقاء) عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوم احد وفيه كسعد
وسعيد والامانة والامناء واتاه واتى وتمسكت واستمسكت وانطوت وانطوى واغثنا
والغوث والغيث الآتيات جناس الاشتقاق او شبهه وفى ذكر واحدا فى اكثر النسخ
نظر بل المنقول فى السير وغيرها ان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
انكشف عنه الناس اربعة عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار وفى البخارى لم

يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا لكن ظاهر كلام بعض اهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك انفراد معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت بعده الناس فانه قال وكانت لطلحة اليد البيضاء يوم احد وقى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ لما ضرب بالسيف فشج وجهه بيده فشلت واستمرت شلاء وكان الصديق اذا احدث عن يوم أحد بكى وقال ذلك كله لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم يومئذ اوجب طلحة اى وجبت له الجنة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان قد ظاهر بين درعين فاراد ان ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع فبرك له طلحة رضى الله تعالى عنه فصعد على ظهره فاستوى عليها فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وبايعه على الموت ووقاه بنفسه وعن عائشة انها قالت قال ابو بكر كنت اول من جاء يوم احد فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابى عبيدة بن الجراح عليكما بصاحبكما يريد طلحة وقد نزف فاصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة فاذا به بضع وسبعون او اقل او اكثر ما بين طعنة وضربة ورمية واذا قد انقطعت اصبعه فاصلحنا من شأنه ثم رأيت حديثا صحيحا مصرحا بما فى النظم على نسخة واحدا وهو لقد رأيتنى يوم أحد وما فى الارض قربى مخلوق غير جبريل عن يمينى وطلحة عن يسارى ولما رجع صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فقيل يا رسول الله من هؤلاء قال هذا منهم واشار الى طلحة وصح عند الحاكم لكن نوزع فيه من اراد ان ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وصح ايضا طلحة والزبير جاراى فى الجنة وكان رجل يقع فيه وفى الزبير بحضرة سعد بن ابى وقاص فنهاه فأبى فصلى ثم دعا عليه انه ان كان مبطلا يريه الله فيه آية ويجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هائج يشق الناس فاخذه وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله قال سعيد بن المسيب انا رأيت الناس يتبعون سعدا يقولون هنيأ لك يا ابا اسحق أجيبت دعوتك وكان قد خرج هو والزبير على على رضى الله تعالى عنهم فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير ما يأتى ووعظ طلحة فتأخر ووقف فى بعض الصفوف فجاءه سهم فى ركبته فقتله فى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين عن أربع وستين سنة على الاشهر ودفن بالبصرة وجاءه على فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول رحمة الله عليك يا ابا محمد يعز على أن اراك مجندلا (وحواريك) اى ناصرك (الزبير) بن العوام القرشى وأمه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد الثمانية السابقين والستة أصحاب الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والشجعان المشهورين لم يلحقه كحمزة وعلى أحد فى الشجاعة والفروسية ولذلك لما كان يوم بدر بعمامة صفراء نزلت الملائكة بعمائم صفر وهو أول من سل سيفا فى سبيل الله لانه سمع أخذ محمد فخرج يشق الناس بسيفه فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فقال له

(قوله فجاءه سهم) ويقال ان سهما غربا أتاه فوقع فى حلقه فقال بسم الله وكان امر الله قدرا مقدورا ويقال ان مروان بن الحكم قتله وهو الاصح انتهى من الجوزى فى تنقيح فهوم الآثار قال فى الصحاح واصابه سهم غرب يضاف ولا يضاف يسكن ويحرك اذا كان لا يدرى من رماه

ما بالك قال اخبرت انك اخذت فصلى عليه ودعا له واستقبله وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك وكانت له فيها اليد البيضاء والهمة العلياء اخترق صفوف الروم مرتين من اولهم الى آخرهم وفتح مصر مع عمرو بن العاص وصح انه لما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب صلى الله عليه وسلم من يأتيه بخبر عصيان بنى قريظة فقال انا فاعاد فقال انا فأعاد فقال أنا فقال صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حوارى وحوارىّ الزبير وجمع له صلى الله عليه وسلم بين أبويه فقال ارم فداك أبى وأمى وصح عن عثمان انه قيل له وهو محصور لو استخلفت قال لعلهم قالوا الزبير قيل نعم قال اما والله انه لخيرهم فيما علمت وانه كان لأحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية صحيحة اما والله انكم لتعلمون انه خيركم ثلاثا وكان له ألف عبد يؤدون اليه الخراج فى كل يوم فيتصدق به فى مجلسه ولا يقوم بدرهم منه وكان مع الخارجين على علىّ يوم الجمل فلما دنت الصفوف خرج علىّ وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى ادعوا الى الزبير فدعى له فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال له ناشدتك الله أتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مكان كذا وكذا وقال يا زبير تحب عليا فقلت ألا أحب ابن خالى وابن عمى وعلى منى وعلى دينى فقال يا زبير اما والله لتقاتلنه وانت ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك ثم ادبر راجعا فقال له ولده عبد الله ما بالك فذكر له القصة فقال لم تجئ للقتال بل لتصلح بين الناس فابى وفى رواية انه قال له جبنا جبنا فقال قد علم الناس انى لست بجبان ولكن ذكرنى حديثا فحلفت ان لا أقاتله وفى رواية ان سبب رجوعه انه قال لاصحاب علىّ أفيكم عمار بن ياسر قالوا نعم فأغمد سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية ولا مانع انه قال ذلك ثم ذكره علىّ الحديث زيادة فى اعلامه ثم سار فلما وصل وادى السباع نام فجاء رجل فقتله فى جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وعمره سبع وستون سنة على الاشهر وقبل ان يجتمع بعلى قال لابنه عبد الله ما أرانى الا سأقتل اليوم مظلوما ثم أكد عليه فى أن يبيع أمواله ويقضى دينه من أرضين لهم منها الغابة وبضع عشرة دارا وكان قدر دينه ألف ألف ومائتا ألف وما ولى امارة قط ولا جباية ولا خراجا ولا شيأ وما خلف درهما ولا دينارا فباع ابنه ماله ثم قال من كان له عليه دين فليأتنا نقض ما عليه وقضيت دونه من ثمن تلك الارض والدور وكان ولده عبد الله ينادى فى الموسم مدة أربع سنين ألا من له دين على الزبير فليأتنا فلما لم يأت أحد اخرج ثلث ماله لانه أوصى به ثم قسم الباقى بين ورثته وكان له أربع نسوة فاصاب كلا منهن ألف الف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف الف ومائتا ألف هذا ملخص ما فى صحيح البخارى لكن اعترض بأن الصحيح ان الذى تركه بما وفى الدين والوصية وما ورث عنه تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف وكان له صدقات كثيرة ومكارم جليلة وماله

(قوله ودعا له) عطف تفسير (قوله وفتح اليرموك) موضع من الشام (قوله لكل نبى حوارىّ) كذا فى النسخ واعله مرسوم على لغة ربيعة فان الذى فى باب فضل الطليعة من كتاب الجهاد من صحيح البخارى ان لكل نبى حواريا قال القسطلانى بفتح الحاء المهملة والواو وبعد الالف راء مكسورة فتحتية مشددة اى خاصة من اصحابه انتهى ونقل الزركشى عن الزجاج ان حواريا منصرف لانه منسوب الى حوارى وليس كبخاتىّ وكراسىّ لان واحده بختى وكرسى وقوله وحوارىّ الزبير قال القسطلانى اضافه الى ياء المتكلم فحذف الياء وقد ضبطه جماعة بفتح الياء وآخرون بالكسر وهو القياس لكنهم حين استثقلوا ثلاث ياآت حذفوا ياء المتكلم وابدلوا من الكسرة فتحة انتهى كذا بخط الشيخ العجمى (قوله وادى السباع) اسم واد بقرب البصرة (قوله فجاء رجل فقتله) عبارة جامع الاصول لابن الاثير قتله عمير بن جرموز بسفوان من ارض البصرة ودفن بوادى السباع ثم حول الى البصرة وقبره مشهور بها ثم قال وعمير مصغر ٢ وجرموز بضم الجيم وسكون الراء وضم الميم وبالزاى وسفوان بفتح السين المهملة وفتح الفاء والنون (قوله منها الغابة) اسم موضع بالحجاز

٢ قول المحشى وعمير مصغر الذى فى القاموس عمرو غير مصغر

كله

كله حلال صرف كذا قيل ولا حاجة اليه لان اغنياء الصحابة كلهم كذلك لان أموالهم
اما من سلب أو سهم من الغنيمة أو الفيء أو تجارة مبرورة وأوصى اليه سبعون من
الصحابة بأموالهم وأولادهم يحفظها وكان ينفق على أولادهم من ماله ومن مدح
حسان فيه

فكم كربة ذب الزبير بسيفه * عن المصطفى والله يعطي ويجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله * وليس يكون الدهر ما دام يذبل
ثناؤك خير من فعال معاشر * وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل

(أبي القرم) بفتح القاف وسكون الراء أي السيد الكريم عبد الله أبي خبيب بن بنت أبي
بكر (الذي انجبت) أي أتت (به) في غاية النجابة والشجاعة والرأي الحازم والتصرف
الصائب (أسماء) بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين بعد عشرين شهرا من الهجرة
بالمدينة وكان أول مولود بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود توعدوهم انهم
عملوا لهم ما ابطل نسلهم فلا يأتيهم ولد فلما ولد بان كذبهم ولما احتجم صلى الله عليه وسلم
اعطاه دمه وقال غيبه في موضع لا يراك فيه أحد فلما جاء اليه قال ما فعلت بالدم قال شربته
قال اذا لا تلج النار بطنك وويل لك من الناس وويل للناس منك فكان كذلك لانه سعى
في الخلافة فاقامات يزيد سنة اربع وستين فاطاعه اهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان ثم
هدم الكعبة لتهدمها وسماعه من خالته عائشة ما روته له عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا
ان قريشا حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها على قواعد ابراهيم وفتحت بابها
الغربي وجعلت بابها الشرقي لاطئا بالارض كما كانت في زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم
فاعادها ابن الزبير كذلك بعد أن شاور الصحابة فمنهم من امره بذلك ومنهم من نهاه عنه
لم يرجع اليه لسماعه الحديث المذكور فكان اجر ذلك البناء باقيا له الى ان يهدمها
ذو السويقتين فان البناء الموجود الآن كله بناؤه الا حائط الميزاب فان الحجاج لما
حصره اول الحجة سنة اثنتين وسبعين وحج بالناس ولم يزل محاصرا له الى ان قتله سابع جمادى
الاولى سنة ثلاث وسبعين هدم ما كان ادخله ابن الزبير من الحجر وهو ستة اذرع كما ادخله
ابراهيم واخرج الستة ثم اخرج الجدار كما هو اليوم وسد الباب الغربي واعلى الباب
الشرقي للتصير كما كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم لان قريشا لما بنتها حينئذ قصر بهم
المال الحلال عن أن يجعلوها كما كانت في زمن ابراهيم فجعلوها كذلك وكان عبد الله بن
الزبير صواما مواصل الخمسة عشر يوما واكثر قواما اطلس لا لحية له من دهاة العرب
المشهورين وشجعانهم الموصوفين واحد العبادلة الاربعة المتقاربين سنا وعلما
وذكاء وفهما والثلاثة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص
وليس منهم عبد الله بن مسعود لانه اكبر منهم سنا فليس في طبقتهم (والمصطفين) تثنية مصطفى
وهو المصطفى المستخلص من الحظوظ والشهوات (توأم الفضل) من أتأمت المرأة ولدت

(قوله ما كان يذبل) بالذال المعجمة
اسم جبل (قوله ذات النطاقين)
النطاق ككتاب شقة تلبسها
المرأة وتشد وسطها فترسل الاعلى
على الاسفل الى الارض والاسفل
ينجر على الارض ليس لها حجزة
ولا نيفق ولا ساقان انتهى قاموس
ثم قال وذات النطاقين اسماء بنت
ابي بكر لانها شقت نطاقها ليلة
خروج النبي صلى الله عليه وسلم
الى الغار فجعلت واحدة لسفرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاخرى عصاما لقربته (قوله
وويل لك) أي كرب يثبت لك
بعداوة الحجاج لك الى أن يقتلك
كما سيأتي وقوله وويل للناس منك
أي كرب يثبت لهم بعد موتك من
أجل طاعة أهل اليمن وغيرهم
بعداوة الحجاج لهم بسبب ذلك
فيتعرض لهم فليس المراد بالويل
منه رضي الله عنه اضراره لاحد
من الناس تعديا حاشاه الله

اثنين اى ان الفضل اتجه مالكثرة ما قام بهما منه ولو قال لو أما الفضل كان اوضح ومعناه حينئذ انهما لما اشتركا فى الفضائل الجليلة صارا كأنهما مولودان فى حل واحد (سعد) أبي اسحق بن ابى وقاص بن مالك القرشي الزهري وهو احد الستة اصحاب الشورى والثمانية السابقين الى الاسلام بل هو ثالث الاسلام واقام كذلك سبعة ايام واحد العشرة المشهود لهم بالجنة والشجعان المشهورين وهو اول من رمى بسهم فى سبيل الله وأول من اراق دما فى سبيل الله وكان يقال له فارس الاسلام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم احد الف سهم وولاه عمر العراق فكان الامير فى فتح مدائن كسرى وغيرها ومن كراماته الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل لم يبلغ الماء منها الى حزمها والناس فى غاية الطمأنينة كأنهم سائرون بالبر وكان الذي يسايره سلمان الفارسي رضي الله عنه وكذلك ولاه عثمان ولايات جليلة وكان صلى الله عليه وسلم يناوله النبل يوم احد ويقول ارم فداك ابي وامى واقبل والنبي صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال هذا سعد خالى فليرني امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالى فان الخال والد ودعا له وقال اللهم سدد رميته وأجب دعوته وفى رواية صحيحة اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك فكان مجاب الدعوة واشرف على الموت فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه يعيش فقال اعل الله ان يرفعك فينتفع بك اقوام ويضر بك اقوام آخرون واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان فلم يدخل فيها ولا يحضر شيأ من تلك الحروب توفى بقصره بالعقيق على عشرة اميال من المدينة فحمل اليها وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ وال بالمدينة وصلت عليه امهات المؤمنين فى حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين سنة وكان اوصى ان يكفن فى جبة صوف لقى المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت اخبؤها لذلك وهو آخر المهاجرين موتا وفى مسلم ان آية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة نزلت فى ستة منهم سعد وابن مسعود (وسعيد) بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوى احد العشرة المشهود لهم بالجنة شهد المشاهد كلها وعده البخاري فيمن شهد بدرا ومر فى ترجمة طلحة انه لم يشهدها وهذا ما عليه الاكثرون وقد يجمع بانه لم يشهدها حسا وشهدها حكما اجرا وسهما وهو ابن عم عمر وزوج أخته والسبب فى اسلامه كما مر ولذلك لم يدخله فى أهل الشورى كولده عبد الله لئلا يظن به انه حابى أقاربه وأخرج الشيخان ان امرأة ادعت عليه عند مروان انه أخذ لها قطعة أرض فقال ما كنت لافعل بعد ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شبرا من أرض ظلما طوقه من سبع أرضين فقال مروان لا اسألك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى ارضها فذهب بصرها وبينما هي تمشي فى ارضها اوقعت فى حفرة فماتت زاد مسلم ثم قالت اصابتني دعوة سعيد وفى رواية انه كان جارها بالعقيق وأنه اعطاها الذى ادعت به ثم

(قوله ولو قال لو أما الفضل) أى بالقطع عن تبعيته لما قبله بجعله خبر مبتدا محذوف تأمل (قوله مدائن كسرى) قال السيوطى فى المزهر النسب الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم مدنى والى مدينة المنصور مدينى والى مدينة كسرى مداينى (قوله فكان مجاب الدعوة) من ذلك انه دعا على الكاذب عليه من أهل الكوفة بقوله انه كان لا يعدل فى القضية ولا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية فقال سعد اللهم ان كاذبا فاعم بصره واطل عمره وعرضه للفتن قال عبد الملك بن عمير فانا رأيته بعد يتعرض للاماء فى السكك فاذا سئل كيف انت يقول كبير مفتون اصابتني دعوة سعد وفى رواية فما مات حتى عمى وافتقر حتى سأل الناس ومن ذلك دعاؤه على الذى سمعه يسب عليا وطلحة والزبير فنهاه فلم ينته وقال يتهددنى كأنما يتهدد نبى فقال سعد اللهم ان كنت تعلم انه سب اقواما قد سلف لهم منك سابقة واسخطك سبه اياهم فاره اليوم آية تكون آية للعالمين فخرجت ناقة نادة فخبطته حتى مات ومن ذلك دعاؤه على امرأة كانت تطلع عليه فنهاها فلم تنته فقال شاه وجهك فعاد وجهها فى قفاها ه من كتاب العميان فى نكت العميان للصفدى

دعا عليها بما مر توفي رضي الله عنه سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة وابوه زيد توفي في الجاهلية لكن جاءت احاديث تدل على انه من اهل الجنة منها لكنه مرسل غفر الله لزيد بن عمرو ورحمه ومنها وهو صحيح سئل صلى الله عليه وسلم عنه فقال يأتي يوم القيامة امة واحدة بيني وبين عيسى (ان عدت الاصفياء) فهذا ان من اكابرهم كيف وفي اسميهما ايماء بلوغهما مرتبة عظمى من مراتب السعادة (و) عبد الرحمن (بن عوف) بن الحرث بن زهرة القرشي الزهري أحد الثمانية السابقين للاسلام والستة أهل الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر وصح انه كان بينه وبين خالد شئ فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أي نصفه وفي رواية الواقدي وابن عساكر يا خالد ذر والى أصحابي متى ينك تنف المرء ينك المرء ولو كان أحد ذهبا ينفقه قيراطا قيراطا في سبيل الله لم يدرك غدوة وروحة من غدوات أو روحات أحدهم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان ممن ثبت يوم أحد وبعثه صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل الى بني كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها بين كتفيه وقال ان فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم أو قال شريفهم ففتح الله عليه وتزوج ابنة شريفهم الاصبغ فولدت له أبا سلمة وصح انه صلى الله عليه وسلم ائتم به في غزوة تبوك فصلى وراءه ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة لم توجد لاصحابي غيره وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب لحاجته فادركهم الوقت فاقاموا الصلاة فتقدمهم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ولما أتم صلى الله عليه وسلم ما فاته خلفه قال ماقبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته وائتم صلى الله عليه وسلم بابي بكر أيضا لكنه أخرج نفسه عن الامامة بتأخره وقال لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت وقد أشرت اليك ما كان ينبغي لابن أبي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يفعل عبد الرحمن بن عوف ذلك قلت الظاهر انه لم يعلم باقتدائه صلى الله عليه وسلم به واقتدى صلى الله عليه وسلم بجبريل عند باب الكعبة بجانبه من ناحية الحجر بكسر الحاء فصلى به الخمس مرتين في يومين صبيحة الاسراء والذي يليه وكان كثير الانفاق في سبيل الله اعتق في يوم واحد احدا وثلاثين عبدا حتى جاء ان جملة ما اعتقه ثلاثون ألفا وفي حديث انه أمين في السماء أمين في الارض وكان كثير المال محظوظا في التجارة قال لام سلمة خفت ان تهلكني كثرة المال فقالت له يابني انفق قال فاني أنفق قال الزهري تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف دينار ثم اربعين ألف دينار ثم بعثها ثم بخمسمائة فرس ثم خمسمائة راحلة وفي رواية ألف وخمسمائة راحلة وأوصى لامهات المؤمنين بحديقة فبيعت باربعمائة ألف وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله ولكل واحد ممن بقي ممن شهد بدرا باربعمائة دينار وكانوا مائة وكان من جملتهم عثمان فاخذ مائة

(قوله لا تسبوا أصحابي الخ) الخطاب للصحابة السابقين نزلهم لسبهم الذي لا يليق بهم منزلة غيرهم حيث عللّ بما ذكره اه ومن تدبر هذا الحديث لم يجد في مناقب الصحابة شيأ ابلغ منه (قوله ما بلغ مد الخ) اي لا يساوي تصدقه بذلك تصدق الواحد منهم بمد من شعير أو نصفه (قوله مد أحدهم) المد نصف صاع وروي بفتح الميم بمعنى الغاية اه مختصر النهاية للسيوطي اه ـ له ربع صاع بدل نصف

وهو أمير المؤمنين وبألف فرس في سبيل الله وكان أهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام بسبعمائة راحلة فسمعت عائشة أصواتها فروت حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فأتاها فحدثته فقال اشهدك انها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله عز وجل وباع أرضا من عثمان بأربعين ألف دينار فقسمها في أقاربه بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وروي انه صلى الله عليه وسلم قال له ان تدخل الجنة الا زحفا فأقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك قال ما الذي أقرضه قال تتبرأ من كل مالك فهم بذلك فأتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدأ بمن يعول فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه والذي صح من ذلك أتاني جبريل فقال مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدأ بمن يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية لما هو فيه وفي حديث ابن عدي وغيره انكحوا عبد الرحمن بن عوف فانه من خيار المسلمين وروى أبو نعيم وغيره ان رجلا لين الصوت قرأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بقي أحد الا فاضت عيناه غير عبد الرحمن بن عوف فقال صلى الله عليه وسلم ان لم تكن فاضت عيناه فقد فاض قلبه وفي حديث ضعيف أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي عبد الرحمن بن عوف والذي نفس محمد بيده لن يدخلها الا حبوا وفي آخر رواه أحمد والطبراني رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا وفي رواية لاحمد قد رأيته يدخل الجنة حبوا لكن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وفي رواية لابن سعد وابن عساكر كأني بعبد الرحمن بن عوف على الصراط يميل مرة ويستقيم أخرى حتى ينفلت ولم يكد لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة انه صلى الله عليه وسلم قال له كفاك الله أمر دنياك واما أمر آخرتك فأنا ضامن لها وسببه ان الحسنين اشتد بكاؤهما من الجوع فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشيء فأتاه بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما اهالة توفي رضي الله تعالى عنه عن اثنين أو خمس وسبعين سنة سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان وصلى عليه علي وقيل الزبير لانه كان هجر عثمان لما امر أقاربه وقال الناس لابن عوف هذا فعلك فدخل عليه ولامه وقال انما وليتك لتسير بسيرة الشيخين فقال كان عمر يقطع أقاربه في الله وأنا أصلهم في الله فنذر أن لا يكلمه أبدا وترك من الذهب ما جاء ربع ثمنه ثمانين ألف دينار ولما تقرر من كثرة انفاقه وصدقاته ماله كثرة فيها تفوق الحصر قال (من) بدل مما قبله (هونت نفسه الدنيا) أي صيرت أموالها وامتعتها رخيصة عنده (ب) سبب (بذل) لها في وجوه الخير والقربات بذلا دائما مستمرا كثيرا يبهر العقل ويرفع الى الدرجات العلى كما مر في الاحاديث وذلك البذل الكثير (بعد اثراء) أي كثرة المال الذي فتح الله به عليه واكثره من التجارة لانه كان محظوظا فيها بحيث لو أمسك التراب صار ذهبا (والمكني أبا عبيدة) وهو عامر بن الجراح القرشي الفهري أمين هذه الامة كما صحت به الاحاديث وفي رواية وأميني وفي أخرى وأميننا أيتها الامة وأحد

العشرة

(قوله كان كفارة لما هو فيه) وهذا من باب حسنات الابرار سيآت المقربين اذ هو رضي الله عنه كان في أجل طاعة بماله كما علمت من سيرا حواله فلم يقع منه بسببه معصية يحتاج لتكفيرها بما ذكر تأمل (قوله من اغنياء امتي) وفي الترمذي عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام قال أبو حنيفة عني به النبي صلى الله عليه وسلم الاغنياء من غير هذه الامة لتكون على موافقة العقل فانا نعلم قطعا ان عثمان وعبد الرحمن بن عوف كانا من الاغنياء ولا يدخل الفقراء قبلهم الجنة اه من شرح المنهاج (قوله فيها حيس) هو تمر يخلط بسمن واقط اه مختار للدميري

العشرة المبشرين بالجنة والرجلين اللذين عينهما الصديق يوم السقيفة للخلافة والثاني عمر واحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد على يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحرث وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمة عبد الاسد وج ام سلة شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وثبت يوم احد مع النبي صلى الله عليه وسلم ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا في وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه لانه تحامل عليهما خوفا من ايلامه صلى الله عليه وسلم فكان من أحسن الناس هتما والهتم القاء مقدم الاسنان وولاه أبو بكر لما ارسل جيشا الى الشام ثم جعل خالدا اميرا عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولى عمر رضي الله عنه اعاده لكن امره ان يستشير خالدا وهو اول من سمي امير الامراء بالشام وروى انه صلى الله عليه وسلم امره على سرية فيها أبو بكر وعمر وتعرض له ابوه يوم بدر فاعرض عنه فلازمه فلما اكثر عليه قتله فانزل الله فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية ولما قال له الصديق يوم السقيفة مد يدك لابايعك قال ما كنت لاتامر على رجل قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض وقال عمر لئن ادركني اجلي وهو موجود استخلفته لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة امينا وامين هذه الامة ابو عبيدة عامر بن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال اين اخي ابو عبيدة فقالوا الساعة يأتيك فأتاه على ناقة مخطومة بخطام من ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وترسه وقوسه ورحله فبكى عمر وقال لاصحابه تمنوا فقال رجل ملء هذه الدار ذهبا انفقه في سبيل الله وقال آخر جوهرا انفقه كذلك فقال عمر وانا اتمنى لو ان هذه الدار مملوأة رجالا مثل ابي عبيدة وله فتوحات كثيرة وقمات مع المشركين هائلة وصح عن الحسن مرسلا ما من احد من اصحابي الا لوشئت لاخذت عليه في بعض خلقه غير ابي عبيدة بن الجراح توفي سنة ثماني عشرة شهيدا بالطاعون في طاعون عمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس اول ما وقع بها ثم انتشر بالشام وقبره معروف ثم قال الامام النووي رحمه الله تعالى زرته فرأيت عنده عجبا ورأيت عليه من الجلالة ما هو لائق به (اذ) ظرف لاقسم المقدر أو تعليل له (يعزى) اي ينسب (اليه) اي ابي عبيدة (الامانة الامناء) واجلهم نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قال كما صح عنه لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفي رواية واميني وفي اخرى وامينا أيتها الامة واعلم ان هذا كقوله صلى الله عليه وسلم في ابي ذر انه اصدق من اظلت الخضراء واقلت الغبراء لا يقتضي تفضيلا على الخلفاء الراشدين لان اولئك كملت فيهم الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض واما هذان فكملت فيهما صفة الامانة والصدق فتميزا فيهما عن من لم يكملا فيه ولو سلم ازديادهما فيهما على اولئك لم يقتض ذلك تفضيلا أيضا لان المفضول قد يتميز بمزية بل مزايا لا توجد في الفاضل لانه خلف

(قوله لا تجد قوما) اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا آباءهم الخ اي ولو كان المحادون أقرب الناس اليهم وقوما المفعول الاول لتجد والمفعول الثاني يوادون الخ (قوله في طاعون عمواس) عبارة جامع الاصول مات في طاعون عمواس بالاردن ودفن ببيسان ثم قال وعمواس بفتح العين المهملة والميم وقد تسكن وبالسين المهملة اسم موضع وبيسان بفتح الموحدة وسكون الباء التحتية وبالسين المهملة والنون مدينة بالاردن معروفة والاردن بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملة وتشديد النون نهر معروف ومنه بحيرة طبرية تجتاز بالغور

تلك المزايا مزايا أخرى أجل منها وأعظم فتحصل مناط الافضلية فيه وان خلا عما تميز به المفضول (و) أقسم عليك (بعميك) اخوى ابيك لابيه وهما حمزة والعباس رضي الله عنهما وكل منهما اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بنحو السنتين (نيرى) تثنية نير وهو الكوكب المضيء (فلك) هو ما يسير فيه الكواكب (المجد) اي الكرم والحسب شبه المجد بالسماء واثبت لها ما هو من لوازمها وهو الفلك اذ كل سماء تسمى فلكا فهي استعارة بالكناية واستعارة تخييلية ورشح لها بذكر النيرين وشبههما بالشمس والقمر واثبت لهما ما هو من لوازمهما وهو الاضاءة فهي أيضا استعارة بالكناية واستعارة تخييلية وفيها أيضا استعارة تجريدية بذكر المجد الملائم للعمين (وكل) منهما (أتاه) اي حصل له (منك نماء) بوزن كتاب وهو ما يخرج من الشجر والنماء كما في القاموس وقال الشارح وهو ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار الاشجار ولعله تفسير مراد اما حمزة فيكنى ابا عمارة ويلقب باسد الله واسد رسوله وكان عظيما شجاعا أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أسلم قديما وسبب اسلامه ان اللعين أبا جهل شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ولم يجبه وانصرف أبو جهل الى نادي قريش عند الكعبة واقبل حمزة من قنصه متوشحا قوسه فاخبر وهو اعز فتى في قريش واشد شكيمة فغضب وعمد فشجه في رأسه شجة منكرة وقال اتشتمه وانا على دينه فقامت اليه رجال من بني مخزوم فنعهم أبو جهل خشية الفتنة وهو أول من اتخذ له النبي صلى الله عليه وسلم لواء حين بعثه صلى الله عليه وسلم الى سيف البحر بكسر السين اي جهته استشهد باحد في

(قوله حمزة والعباس) لم يسلم من اعمام النبي سواهما وادرك ابو طالب وابو لهب الاسلام ولم يسلما اه جامع الاصول لابن الاثير (قوله فهي استعارة الخ) تأمله فان الظاهر ان كلا فيه تشبيه بليغ لا استعارة لوجود الجمع بين الطرفين فان الفلك هو السماء الذي شبه به المجد والشمس والقمر هما النيران اللذان شبه بهما العمين وتأمل أيضا قوله واثبت الخ اذ الفلك هو المشبه به وهو مذكور فاين المكنية وكيف يكون اثبات المشبه به تخييلا اذ التخييل اثبات لازمه وتقدم في كلامه مثل ما ذكره هنا والاعتراض عليه مرارا (قوله وسبب اسلامه الخ) في تفسير الثعالبي عند قوله تعالى أومن كان ميتا فاحييناه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت في رجلين باعيانهما ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يريد أبا جهل بن هشام وذلك ان أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فاخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويستكن ويقول يا أبا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله تعالى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام وقيل في عمار بن ياسر وابي جهل بن هشام اه (قوله استشهد باحد) وهو ابن تسع وخمسين سنة وكبر عليه رسول الله سبعين تكبيرة ودفن هو وعبد الله بن جحش في قبر واحد ولما اجرى معاوية رضي الله عنه العين بالمدينة أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعثت دما اه من تنقيح فهوم أهل الاثر لابن الجوزي      نصف

وانظر قوله وكبر عليه سبعين تكبيرة فان هذا خلاف ما في الفروع من ان شهيد المعركة لا يصلى عليه ومن كون المطلوب أربع تكبيرات فان زاد كان خلاف السنة من الاقتصار على الاربع ولا تبطل الصلاة بالزيادة وأجيب بان الصلاة على حمزة وزيادة التكبير الى سبعين من خصوصياته رضي الله عنه كما ذكره في المواهب أو ان الزيادة على الاربع لبيان الجواز وهو في حقه صلى الله عليه وسلم مطلوب وان كان في حق غيره غير مطلوب وانظر قوله وهو ابن تسع وخمسين الخ مع قول الشارح السابق وكل منهما اسن من النبي بنحو السنتين وعمر النبي نحو ثلاث وستين سنة نظرنا فوجدنا المراد بكونهما اسن منه بنحو السنتين انهما ولدا قبله بسنتين لا انهما يزيد سنهما عن سنه بسنتين فلا ينافي كون عمر حمزة ما ذكر وعمر العباس ثمانيا وثمانين سنة كما سيأتي تأمل

نصف شوال ثالث سني الهجرة بعد ان قتل احدا وثلاثين كافرا قتله وحشي عبد لعقبة
السلمي قال وحشي رأيته يهد الابطال هدا فاختفيت له فلما تمكنت منه رميته بحربتي
فاصابته وليت هار بافتبعني ثم سقط وبعد ذلك أسلم وحشي هذا فقبله النبي صلى الله
عليه وسلم وقال له غيب وجهك عني اي خشية ان يصيبه منه شئ اذا تذكر قتله لحمزة
وخرج يوم اليمامة فشارك رجلا في قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه بتلك ومع ذلك
فقد أصابه ما أصابه لما صح عن ابن المسيب انه قال كنت أعجب لقاتل حمزة كيف
ينجو حتى مات غريقا في الخمر وقال ابن هشام بلغني انه لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من
الديوان فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما رأى النبي صلى الله
عليه وسلم حمزة قتيلا بكى ولما رأى ما مثل به شهق وقال لن أصاب بمثلك أبدا وما وقفت
موقفا اغيظ لي من هذا وروى ابن شاذان عن ابن مسعود قال ما رأينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم باكيا قط أشد من بكائه على حمزة وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى
حتى كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم رسول الله يا اسد الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل
الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله وليس في هذا نوح ولا
تعديد شمائل بل اخبار بفضائله وشمائله رضي الله عنه وصح حديث انه سيد الشهداء
يوم القيامة وانه لولا جزع النساء تركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع وحديث
رحمة الله عليك قد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصحح الحاكم حديث والذي
نفسي بيده انه لمكتوب عند الله تبارك وتعالى في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب
اسد الله واسد رسوله لكن تعقب وورد من طرق ان الملائكة غسلته وصححه الحاكم لكن
تعقب واما العباس وكنيته أبو الفضل فكان جليلا جوادا ذا رأي وكمال وعقل وافر
معظما بين الصحابة وعند النبي صلى الله عليه وسلم رئيسا في قريش قبل الاسلام وبعده
وكانت تنسب اليه عمارة المسجد الحرام والسقاية وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم
العقبة فعقد له البيعة على الانصار وكان صلى الله عليه وسلم يثق به في أمره كله امر بدر
لقوله صلى الله عليه وسلم من لقيه فلا يقتله فانه خرج مستكرها وسمعه صلى الله عليه وسلم
يئن لكونهم شدوا وثاقه فلم ينم لسماعه يئن فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال أنين
العباس فقام رجل فارخى من وثاقه ووثاق البقية وفادى نفسه وعقيلا ابن أخيه بعد ان
قال ما معي شئ فقال له صلى الله عليه وسلم واين المال الذي قلت لام الفضل اي زوجته حين
خرجت اذا انا مت فافعلي به كذا وكذا فقال من اعلمك بهذا ولم يطلع عليه غيري وغيرها
فاسلم سرا وكتم ايمانه الى قبيل فتح مكة فخرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ولقيه بالابواء وبه
ختمت الهجرة وكان رد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة يكاتبه باخبار اهلها وكان المسلمون
بمكة يثقون به وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب له ان مقامك
بمكة خير لك ولما قالت الانصار نترك لابن اختنا العباس الفداء أبى رسول الله صلى الله

(قوله مات غريقا في الخمر) مع
قوله يحد في الخمر ينافي الحكم
بعدالته الواجب له كباقي الصحابة
(قوله باكيا قط أشد من بكائه)
تقدم ان البكاء بعد الموت منهي
عنه وقد يجاب بان المراد بكائه
اللازم لظهور نزول الدموع
صوت غالبا أو البكاء على حقيقته
ووقع لبيان عدم حرمته وان
النهي نهي كراهة فيكون حينئذ
مطلوبا في حقه مثابا عليه
للتشريع وفي حقنا مكروها
وانما قلنا اللازم الخ لان الصوت
قد يوجد بدون دمع (قوله لولا
جزع النساء الخ) قضية شرطية
لا تقتضي جواز الوقوع فلا يقال
التجهيز واجب كفاية فكيف
يجوز الترك من غير تكفين ودفن

عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وثبت معه حين انهزم الناس وكان عمر يستسقى به الغيث اذا قحط الناس فيقول اللهم انا كنا نستسقى بنبيك فتسقينا وها نحن نستسقى بعم نبيك فاسقنا فيسقون توفى بالمدينة ثانى عشر رجب أو رمضان سنة اثنين وثلاثين وله نحو من ثمان وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث العباس منى وانا منه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا به الاحياء وحديث انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على الصدقة فقال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث من آذى العباس فقد آذانى فانما عم الرجل صنو ابيه وحديث اوصانى الله بذى القربى وامرنى ان ابدأ بالعباس بن عبد المطلب واخرج الدارقطنى فى الافراد ليكونن من ولد العباس ملوك يلون امر أمتى يعز الله بهم الدين وابن عساكر اللهم اغفر له ذنبه وتقبل منه احسن ما عمل وتجاوز عنه سيئ ما عمل واصلح له ذريته لا تؤذوا العباس فتؤذونى ومن سب العباس فقد سبنى وفى حديث ضعيف وقال ابن الجوزى موضوع العباس وصيى ووارثى واخرج الرافعى الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء ومنك المهدى فى آخر الزمان به ينشر الله الهدى وبه تطفأ نيران الضلالة ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم وأبو نعيم فى الحلية الا أبشرك يا أبا الفضل ان الله عز وجل افتتح بى هذا الامر وبذريتك يختم وكون المهدى من ولده يحمل على ان فيه شعبة منه لما صح انه من ولد فاطمة وصح انه من ولد الحسن وجاء انه من ولد الحسين ولا تعارض لان فيه شعبة من ولد الحسن أيضا فهو حسنى وفيه شعبة من ولد الحسين أيضا فهو حسينى وشعبة من العباس والترمذى وقال حسن غريب اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم اخلفه فى ولده والخطيب وابن عساكر اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن احبهم وابن عساكر اللهم اغفر للعباس ما أسر وما أعلن وما أبدى وما اخفى وما كان وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيامة والخطيب يا عباس انت عمى وصنو ابى وخير من أخلف بعدى من أهلى اذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهى لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدى (و) اقسم عليك (بام السبطين) الحسن والحسين فاطمة وهى أصغر بناته صلى الله عليه وسلم (زوج) بجرده عن التاء لانه أفصح (على) زوجها له النبى صلى الله عليه وسلم ثانى سنى الهجرة بوحى من الله بذلك كما ورد وبنى بها بعد تزوجها بسبعة أشهر ونصف فى ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا وكان سنها حينئذ خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفا وقيل نحو عشرين سنة وسن على احدى وعشرين سنة وأشهر قال ابن عبد البر وهى وام كلثوم أفضل بناته وكانت فاطمة أحب أهله اليه وكان يقبلها فى فمها ويمص لسانه واذا أراد سفرا يكون آخر عهده بها واذا قدم أول ما يدخل عليها وتوفيت بعده صلى الله عليه وسلم فى رمضان سنة احدى عشرة فبينهما نحو ستة أشهر وسنها تسع وعشرون سنة اى على القول الثانى وقد أسر اليها النبى

(قوله اذا قحط) بفتح القاف والحاء وحكى الفراء الكسر وقحط على صيغة المجهول (قوله وها نحن نستسقى بعم نبيك) وحكمة توسله به دون النبى صلى الله عليه وسلم مع انه أعظم وسيلة الاشارة الى رفعة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربهم من الله (قوله ان من ذريتك الخ) وقيل لما أسلم العباس البسه النبى صلى الله عليه وسلم عمامته السوداء فاوحى الله اليه لاجعلن لذريته تاج الولاية الى يوم القيامة ببركة عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم اه من شرح المالكى (قوله وكان سنها حينئذ خمس عشرة سنة) وتوفيت وعمرها أربع وعشرون سنة اه واما على انه دخل بها وسنها نحو عشرين فتكون قد توفيت وسنها تسع وعشرون كما سيأتى

صلى الله عليه وسلم انها أول أهل بيته لحوقا به فسرت بذلك ودفنها على ليلا بوصية منها
واختلف فى محل دفنها والاشهر انها فى قبة ولدها الحسن قرب محرابها وكان القطب أبو
العباس المرسى يجزم به قيل فلعله كوشف به وروى أحمد فى المناقب والدولابى انها
اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت انا مقبوضة الآن فلا يغسلنى أحد ولا
يكشفنى فماتت فاستدل على وصيتها لكن يعارضه انها أمرت فاطمة بنت عميس بان تغسلها
وهذه مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية (وبنيها) يعنى أولادها الحسن والحسين ومحسنا
وهذا مات صغيرا وام كلثوم وزينب وأولادهم الى قيام الساعة ولم يكن له صلى الله عليه
وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين فقط وام كلثوم ولدت لعمر ذكرا وأنثى
وماتا صغيرين ثم بعد عمر تزوجت بعون بن جعفر ثم بعد موته باخيه محمد ثم باخيه عبد الله
ولم تعقب منهم شيأ ثم تزوج الاخير باختها زينب فولدت له عدة منهم على وام كلثوم وانتشر
نسلهما فلهم شرف أعلى من شرف اولاد عبد الله من غير زينب وادون من شرف أولاد
الحسنين لمزيتهما عليهما وردفيهما وللعباسيين والطالبيين شرف أيضا ومن ثم لقب بالشرف
كل عباسى ببغداد وعلوى بمصر ولجعفر الصادق ولد اسمه اسحق تزوج السيدة نفيسة
بنت الحسن ابن زيد بن الحسن بن على كرم الله وجهه وله منها ولدان لم يعقبا (ومن حوته
العباء) وهم النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلى وابناهما ومر لبعض هؤلاء فضائل
كعلى وابنيه رضى الله عنهم ومن فضائل فاطمة ما صح عن أبيها القائل تعالى فى حقه
صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى انما فاطمة بضعة منى يؤذينى ما آذاها ويغضبنى
ما اغضبها أحب اهلى الى فاطمة اذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجب يا أهل
الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم حتى تمر ان فاطمة أحصنت
فرجها فحرمها الله وذريتها على النار فاطمة بضعة منى يغضبنى ما يغضبها ويبسطنى
ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة الا نسبى وحسبى وصهرى فاطمة سيدة نساء
أهل الجنة الا مريم بنت عمران اما ترضين ان تكونى سيدة نساء أهل الجنة قالت فاطمة
رضيت نزل ملك من السماء فاستأذن الله ان يسلم على فبشرنى ان فاطمة سيدة نساء أهل
الجنة يا فاطمة الا ترضين ان تكونى سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء
هذه الامة وخبر اتانى جبريل بسفرجلة من الجنة فاكلتها ليلة اسرى بى فعلقت خديجة
بفاطمة فكنت اذا اشتقت الى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة قال الائمة ردا على
تصحيح الحاكم له انه كذب موضوع جلى الوضع لان فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن
الاسراء وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل على على وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم
هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا منهم
فقال انك على خير وفى رواية ألقى عليهم كساء ووضع يده عليهم وقال اللهم ان هؤلاء آل
محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفى أخرى ان الآية انما يريد

(قوله ومحسنا) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد السين المكسورة كذا ضبطه الشامى (قوله ومن ثم لقب بالشرف الخ) قال السيوطى فى الخصائص الصغرى ويطلق على آله صلى الله عليه وسلم الاشراف والواحد شريف وهم أولاد على وعقيل وجعفر والعباس كذا مصطلح السلف وانما حدث تخصيص الشريف بولد الحسن والحسين فى مصر خاصة من عهد الخلفاء الفاطميين (قوله وفاطمة وعلى وابناهما) تقدم الاقسام بهم تفصيلا ثم عاد الاقسام بهم اجمالا بلفظ يشملهم وغيرهم (قوله بضعة منى) قال النووى فى شرح مسلم بفتح الباء لا يجوز غيره وهى قطعة اللحم اه والذى فى المواهب البضعة بفتح الموحدة وحكى ضمها وكسرها أيضا وبسكون المعجمة قطعة لحم واستدل به السهيلى على ان من سبها يكفر

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا نزلت ببيت أم سلمة فارسل صلى
الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكساء ثم قال نحو مامر وفى أخرى انهم جاؤا واجتمعوا فنزلت
فان صحتا فهى نزلت مرتين وفى أخرى ان ام سلمة قالت له ألست من أهلك قال بلى وانه
ادخلها الكساء بعد ماقضى دعاءه لهم وفى اخرى صحيحة انها قالت يارسول الله انا من
أهل البيت قال بلى ان شاء الله وفى أخرى ان واثلة قال لما جمعهم صلى الله عليه وسلم يصلى
عليهم وهم تحت الكساء قلت وعلى يارسول الله فقال اللهم وعلى واثلة وفى اخرى
صحيحة قال واثلة وانا من اهلك قال وانت من اهلى قال واثلة وانها لمن ارجى ما ارجو قال
البيهقى وكانه جعله فى حكم الاهل تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا واشار المحب
الطبرى الى ان التجليل بالكساء لمن ذكر تكرر منه صلى الله عليه وسلم فى بيت ام سلمة
وبيت فاطمة وغيرهما وبه يجمع بين اختلاف الروايات فى هيئة اجتماعهم وما جللهم
به ومادعالهم به وما اجاب به واثلة وام سلمة وفى اخرى سندها حسن انه اشتمل على العباس
وبنيه بملاءة ثم قال يارب هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى
اياهم بملاءتى هذه فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا (و) اقسم
عليك (بازواجك اللواتى تشرفن بان صانهن) عن النار والنقائص لما صح عنه صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى لم يزوجه الا من ستكون معه فى الجنة (منك) حال من قوله (بناء)
اى دخول وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك الشرف وينبغى
تخريجه على حرمتها على غيره فان قلنا تحرم وهو الاصح حصل لها الشرف أو تحل لم يحصل
لها وهن احدى عشرة متفق عليهن ست قرشيات وأربع عربيات واسرائيلية أولاهن
خديجة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها يوم
تزوجها أربعون سنة وأشهر وله خمس وعشرون سنة عند الاكثرين وكانت قد عرضت
نفسها عليه كما مر وهى أول من آمن به من النساء وفى الصحيحين ان جبريل قال يامحمد
هذه خديجة قد أتتك باناء فيه طعام أو ادام أو شراب فاذا هى قد أتتك فاقرأ عليها السلام
من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب اى لؤلؤ مجوف لا صخب فيه ولا نصب
وأولاده صلى الله عليه وسلم كلهم منها الا ابراهيم واختلف فى عدتهم وجملة ما اتفق عليه
منهم ستة القاسم ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات بعد فطمه وسنتين على خلاف فيه
واربع بنات زينب وهى أكبرهن وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ابن خالتها
ابى العاص بن الربيع ولدت منه عليا كان رديفه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ومات قبل
الاحتلام وامامة التى حملها فى صلاته تزوجها على بعد فاطمة رضى الله تعالى عنهم ثم رقية
توفيت وهو صلى الله عليه وسلم ببدر ولما عزى بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات
خرجه الدولابى ثم أم كلثوم توفيت سنة تسع من الهجرة تزوجها عثمان بعد ابنى ابى
لهب ثم فاطمة الزهراء البتول قال ابن عبد البر ولدت سنة احدى وأربعين من مولده

(قوله فان قلنا تحرم) هو المعتمد فى الفروع (قوله لا صخب فيه) الصخب بفتح الصاد والخاء الصوت المختلط المرتفع والنصب المشقة والتعب ويقال فيه نصب بضم النون واسكان الصاد وفتحها الغتان حكاهما القاضى وغيره كالحزن والحزن والفتح أشهر وأفصح وبه جاء القرآن اه شرح مسلم (قوله ولا نصب) قال فى المصباح نصب الرجل بالكسر نصبا تعب (قوله القاسم) هو أول أولاده صلى الله عليه وسلم ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم عبد الله ثم ابراهيم اه ذكره اللقانى عن شيخه الشيخ سالم السنهورى (قوله وامامة) عطف على عليا فهى بنت زينب (قوله ثم أم كلثوم) ولا يعرف لها اسم وانما تعرف بكنيتها اه مواهب (قوله بعد ابنى أبى لهب) هما عتيبة مصغرا وعتبة مكبرا

صلى الله عليه وسلم والذى رواه ابن اسحق انها ولدت قبل النبوة قال ابن الجوزى قبلها
بخمس سنين وسميت فاطمة والزهراء المامر وبتولا لان الله قطعها عن النساء حسبا
وفضلا أولانقطاعها الى الله تعالى واختلف فى انه صلى الله عليه وسلم هل ولد له غير أولئك
الستة فقيل الطيب والطاهر وعبد الله وقيل الاولان اقبان للثالث ومات صغيرا وهو
الاصح وقيل عبد مناف وقيل المطهر واما ابراهيم فمن سريته مارية القبطية ولد فى الحجة
سنة ثمان وسماه ابراهيم باسم أبيه قبل السابع أوفيه روايتان وجمع بانها وقعت قبله
مخفية واظهرت فيه وكان صلى الله عليه وسلم يذهب اليه وهو فى العوالى عند ظائرة الحداد
فيأخذه ويقبله ثم يرجع ثم توفى وله سبعون يوما وقيل سنة وعشرة أشهر وقيل غير ذلك
وفى رواية انه لم يصل عليه اى بنفسه بل أمرهم فصلوا عليه وفى حديث لو بقى لكان نبيا
لكنه لم يبق لان نبيكم آخر الانبياء لكن بالغ النووى فى تزييفه وبطلانه ورده بانه وارد
من طرق ولا اشكال فيه لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع بل ولا الامكان توفيت
خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة ثم تزوج
سودة بنت زمعة بعد موت ابن عمها رضى الله تعالى عنهما أخى سهيل بن عمرو بمكة لما رجعا
من الحبشة بعد عقده على عائشة ودخل بها قبل عائشة على ما جمع به بين الخلاف
فى ذلك وأراد طلاقها لما أسنت فوهبت نوبتها لعائشة رضى الله عنها فأمسكها توفيت
بالمدينة فى شوال سنة اربع وخمسين ثم عائشة بمكة فى شوال سنة عشر من النبوة ودخل بها
بالمدينة فى شوال على رأس ثمانية عشر شهرا وهى بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها
واحبها صلى الله عليه وسلم اكثر من بقية نسائه ولما فقدها فى بعض اسفاره قال واعروساه
خرجها احد وكانت فقيهة عالمة حافظة فصيحة ماتت رضى الله عنها بالمدينة سنة سبع
وخمسين وكناها رسول الله صلى الله عليه وسلم ام عبد الله بابن اختها عبد الله بن الزبير لا بسقط
اسقطته منه صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يثبت وهى وخديجة افضل امهات المؤمنين ثم
الاصح أن خديجة افضل لما صح أن عائشة لما قالت له قد رزقك الله خيرا منها قال لا والله
ما رزقنى خيرا منها آمنت بى حين كذبنى الناس وأعطتنى مالها حين احرمنى الناس ولانه
صلى الله عليه وسلم أقرأ عائشة السلام من جبريل وخديجة السلام من الله تعالى والاصح
ايضا أن فاطمة افضل من خديجة لما فيها من البضعة الكريمة التى لا يعادلها شئ والخبر
المقتضى لخيرية خديجة اجيب عنه بانه من حيث الامومة لا السيادة وممن جرى على
ذلك الامام المجتهد التقى السبكى فقال الذى نختاره وندين الله به أن فاطمة افضل ثم
خديجة ثم عائشة واختار ايضا أن مريم افضل من خديجة للاختلاف فى نبوتها ثم حفصة
بنت عمر رضى الله تعالى عنهما تزوجها سنة ثلاث من الهجرة بعد ما رجعت من هجرة
الحبشة وموت زوجها بعد غزوة بدر وطلقها صلى الله عليه وسلم فأوحى الله اليه أن
راجعها فانها صوامة قوامة وانها زوجتك فى الجنة توفيت سنة خمس واربعين ثم ام سلمة

(قوله وهو فى العوالى) جمع العالية وهى مواضع وقرى بقرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشرق من ميلين الى ثمانية أميال اه شرح البخارى للعينى (قوله وتوفيت خديجة) ولم يمت فى حياته من زوجاته الاحدى عشرة الا هى وزينب بنت خزيمة (قوله ثم الاصح أن خديجة افضل) قال السبكى فى مقاصد المقاصد فضلى النساء مريم ففاطمة فخديجة او عائشة فآسية ثم قال وقد نظمتهن وزدت ان مريم وأخت موسى من زوجات نبينا صلى الله عليه وسلم فى الجنة فقلت

فضلى النسا بنت عمران ففاطمة
فامها أوفمن قدبرأ الله
فزوج فرعون مع أخت الكليم ومر
يم لاحد زوجات بأخراه

(قوله أشد ابتذالا) من البذلة وهي المهنة (قوله بسرف) بفتح السين وكسر الراء وبالفاء وهو مكان بقرب مكة بينها وبينه ستة
أميال وقيل سبعة وقيل اثنا عشر اه شرح مسلم للنووي  (قوله معناها أنه في الحرم الخ) اى او في الشهر
الحرام كقول الشاعر

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما
ودعا فلم أر مثله مخذولا

اى لان قتله كان في أيام التشريق اه شوبري ويجاب بان الصحيح عند الاصوليين ترجيح القول على الفعل اذا تعارضا لان القول يتعدى للغير والفعل مقصور على الفاعل (قوله ابن شماس) بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم وبالسين المهملة (قوله من بني المصطلق) حي من خزاعة (قوله من نسل هرون) يدل لذلك رواية أبي نعيم في الحلية باسناده عن أنس رضي الله عنه قال بلغ صفية أن حفصة بنت عمر رضي الله عنهما قالت لها يا بنت اليهودي فبكت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما شأنك فقالت قالت لي حفصة يا بنت اليهودي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لبنت نبي يعني هرون وان عمك لنبي يعني موسى وانك لتحت نبي فبم تفتخر عليك حفصة ثم قال اتق الله يا حفصة لقد قالت كلمة لو مزجت بالبحر لمزجته (قوله فهؤلاء نساؤه الخ) وليست المعوذة منهن فهي في الثنتي عشرة قال القسطلاني في شرحه على البخاري ان التي استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت النعمان بن شراحيل على الصحيح وقيل عمرة بنت الجون

---

هند بعد موت ابي سلمة سنة اربع وكانت من اكمل النساء ماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع ثم ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان بن حرب بعد ان مات زوجها عبد الله بن جحش بالحبشة مرتدا سنة ست وزوجها النجاشي لعمرو بن امية الضمري وكيله صلى الله عليه وسلم واصدقها عنه اربعمائة دينار وبعث بها اليه صلى الله عليه وسلم فدخل بها سنة سبع ماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وتزوج زينب بنت جحش بعد زيد زوجه الله اياها فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الآية وكانت تفتخر بذلك على امهات المؤمنين سنة خمس وقيل ثلاث وهي اول من مات منهن بعده وصح عن عائشة لم تكن امرأة خيرا منها في الدين وأتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واوسع صدقة واشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله تعالى اى وهو الدبغ رواه مسلم ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت تسمى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنى بها فيه وكان حلالا ورواية محرما معناها انه في الحرم على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان له أن ينكح وهو محرم وماتت فيه سنة احدى وخمسين وقبرها به مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت الحرث الخزاعية وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري فكاتبها فجاءت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال لها هل لك الى ما هو خير لك من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما بايديهم من اقوامها وقالوا اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت اعظم على قومها بركة منها اعتق في سببها مائة اهل بيت من بني المصطلق خرجه ابو داود وعن ابن شهاب أنه اختارها من السبي فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين سنة توفيت سنة خمسين وتزوج صفية بنت حيي بن اخطب من نسل هرون صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم وهي من سبي خيبر أذن صلى الله عليه وسلم لدحية الكلبي في اخذ جارية من السبي فأخذها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم اعطيته سيدة بني قريظة والنضير وهي لا تصلح الا لك فخشي عليه الفتنة فأعطاه غيرها ثم اعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فيّ قالت يا رسول الله اني كنت أتمنى ذلك في الشرك وكان بعينها خضرة فسألها عنها فقالت انها كانت نائمة ورأس زوجها ملكهم في حجرها فرأت قمرا وقع في حجرها فأخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب ماتت رضي الله عنها في رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه المجمع عليهن واختلفوا في ثنتي عشرة امرأة فبعضهن الاصح فيه أنه طلق قبل الدخول وبعضهن الاصح فيه أنه لم يتزوجهن ومحل

(قوله الامان الخ) جواب الاقسام السابقة مفعول به أو مفعول مطلق فالعامل على الاول أتلمنا وعلى الثانى أمنا وفى كلام الشارح مايشير الى الاعرابين تأمل (قوله وكون المحبة الخ) جواب عما يقال كيف ادعيت محبته مع اعترافك أولا باقتراف الذنوب والمحب لايخالف أمر محبوبه ولانهيه فتأمل (قوله هى لاتحد بحد الخ) قال العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلى فى رسالة القصد المحبة من الله اخذه لقلب عبده من كل شئ سواه فترى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصنا بمعرفته والروح مأخوذة فى حضرته والسر مغمورا فى مشاهدته والعبد يستزيد فيزاد ويعالج بما هو أعذب من لذيذ مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القربة ويمس ابكار الحقائق وثيبات العلوم



وقال رضى الله عنه المحبة لله سر فى القلب من المحبوب اذا ثبت قطعك عن كل محبوب وقال رضى الله عنه حقيقة المحبة رؤية المحبوب على العيان وكمالها فقدانك فى كل وقت وأوان وقال رضى الله عنه اوصاف المحبين أن يكون دائم الفكر كثير الذل قليل العبارة دائم الصمت لايخاف ولايرجو لايسمع اذا نودى ولايبصر اذا نظر وقال رضى الله عنه المحب على الحقيقة من لاسلطان على قلبه لغير محبوبه ولامشيئة له مع مشيئته وقال رضى الله عنه حرام عليك أن تتصل بالمحبوب ويبقى لك فى العالمين مطلوب وقال رضى الله عنه اذا منعك مما تحب وردك الى ما يحب فذلك من علامة محبته لك وعن الشبلى انه قال مرة لتلميذه الحصرى فى بداية أمره ياحصرى ان خطر فى بالك من الجمعة الى الجمعة الثانية غير الله فلا تحضرنى فانه لايجئ منك شئ ومن كلام الحلاج اذا تخلص العبد الى مقام المعرفة أوحى اليه بخواطره وحرس سره عن ان يسنح فيه غير خاطر الحق ثم قال ومن علامات العارف ان يكون فارغا من أمور الدنيا والآخرة مشتغلا بالله وسئل عن صفة المريد فقال هو الرامى بأول قصده الى الله فلا يعرج حتى يصل وسئل عن التصوف وهو مصلوب فقال أهونه ماترى وكان يقول من لاحظ الاعمال حجب عن المعمول له ومن لاحظ المعمول له حجب عن الاعمال وكان يقول لايجوز لمن يرى غير الله ان يدعى انه عارف بالله عز وجل وكان يقول من اسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبارة التجريد ومن طلب الحق بنور الايمان كمن طلب الشمس بنور الكواكب وكان يقول ما انفصل الخلق عنه ولا اتصلوا به وكان يقول من شرط التوكل ان لايأكل شيأ وهو يعلم ان فى بلده من هو أحوج منه

بسط ذلك كتب السير (الامان) اى اقسم عليك بهؤلاء المذكورين ومامنحتهم به أن تنيلنى من حضرتك بواسطة شفاعتك فى الى من لايخيب شفاعتك او ان تؤمنى الامان (الامان) تأكيد اى من عقاب ما اقترفته من الذنوب وقطيعة ماجمعته من العيوب (ان) بالفتح تعليلا وبالكسر استئنافا وفيه ايماء الى العلة (فؤادى من) اجل (ذنوب اتيتهن هواء) اى خال عن فهم ماينفعنى فى دينى ودنياى افرط الحياء والخجل من الله تعالى والدهشة من خوف عقابه وسخطه وفى نسخة هباء اى لاوجود له فيرجع لمعنى الاول ومما يعطفك على حتى يزيد اعتناؤك بى وامدادك لى انى (قد تمسكت) اى توثقت واعتصمت (من ودادك) اى بمحبتى لك وكون المحبة تستلزم الاتباع انما هو أغلبى كما يدل عليه حديث يارسول الله المرء يحب القوم ولايعمل بعملهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب او ان المستلزم لذلك هو كمالها او ان ذلك من الناظم من كمال هضم النفس بتقدير مالم يقع واقعا كما هو شأن الخوف المراعى مطلقا او فى بعض الاحوال (بالحبل) اى السبب الاقوى وهو العهد الوارد عنك فى الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من احب وان لم يعمل بعملهم (الذى استمسكت به الشفعاء) من الاولياء والانبياء والعلماء والصلحاء فلم يحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك واذا اورثتهم محبتك مرتبة قبول شفاعتهم فى الاغيار أورثتنى وقوع شفاعتك فى بجامع أنى احبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة فى الطرفين واعلم أن العلماء والعارفين اختلفت عباراتهم فى المحبة وكثرت ولكن ليس اختلافا فى حقيقتها بل فى احوالها وثمراتها اذ حقيقتها من المعلومات التى لاتحد كما اطبق عليه المحققون وانما يعرفها من قامت به وجدانا لايمكن التعبير عنه ومن ثم قال صاحب مدارج السالكين كغيره وهى لاتحد بحد أوضح منها فالحدود لاتزيدها الاخفاء وانما تكلم الناس فى اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها واحكامها

لحدودهم ورسومهم دارت على هذه الشريطة وتنوعت بها العبارات وكثرت الاشارات
بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا الها حرفين مناسبين لها غاية المناسبة الحاء
التي هي من اقصى الحلق والباء الشفهية التي هي نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء
وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه واعطوا الحب
الضم الذي هو أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماها وقوتها واعطوا الحب
وهو المحبوب الكسر لخفتها المطابقة لخفة المحبوب وذكره على القلب واللسان
وهذه مناسبة عجيبة بين الالفاظ والمعاني تعلمك بان غير لغة العرب لا تلحقها واعلم
ايضا انه صح في الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده
وماله والناس أجمعين قالوا المراد هنا حبه صلى الله عليه وسلم اي الميل اليه اختيار
الا طبعا وكل من كان ذا نفس مطمئنة كان حبه راجحا او أمارة كان مرجوحا وفي
كلام عياض ان هذا شرط لصحة الايمان ورد بانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال
وليس مرادا هنا اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شئ مع
خلوه عن محبته وانما المراد الميل كما تقرر فمن لم يجد ذلك الميل لم يكمل ايمانه وفي صحيح
البخاري أن عمر قال يا رسول الله أنت أحب الي من كل شئ الا من نفسي التي بين جنبي
فقال صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فقال عمر والذي
أنزل الكتاب عليك لانت أحب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له صلى الله عليه وسلم
الآن يا عمر قد تم ايمانك فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانه حاصل لعمر قبلها
وانما وقف لان حب الانسان نفسه طبيعي وغيره اختياري بواسطة الاسباب وهذا هو الذي
أراده من عمر اذ لا سبيل الى قلب الطبع وتغيير ما جبلت عليه الانفس فجواب عمر أولا
بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالدليل أنه صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه نظرا
لكونه هو الذي أنقذه من هلاك الدنيا والآخرة فأخبر بما اقتضاه الاختيار فأجابه
بالآن اي عرفت فنطقت بما يجب ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ايثار مأموره
ومنهيه على جميع أغراضه قال القرطبي وكل من آمن به ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان
شئ من تلك المحبة الراجحة ولكنهم يتفاوتون فيها تفاوتا ظاهرا وكثيرا من العامة يؤثر
رؤيته صلى الله عليه وسلم على اهله وماله وولده وكذا زيارته بل زيارة آثاره لما وقر في
قلوبهم من محبته صلى الله عليه وسلم غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات
والشهوات عليهم (وابى الله) اي لم يرده كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده ودل عليه
ما تفضل به عليك كقوله عز قائلا ولسوف يعطيك ربك فترضى والمعلوم المستقر من
اخلاقك الجميلة والذي دلت عليه آثارك الجليلة أن من لجأ اليك لا تخيبه من شفاعتك
ولا يحرمه ربك من فضله مسارعة الى رضاك ومن ثم أخبرنا عنه سبحانه وتعالى أنه يقول
لك في ذلك الجمع الاكبر على رؤس الاشهاد قل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع (أن يسى

(قوله أحب اليه) أفعل تفضيل
بمعنى المفعول على غير قياس وان
كثر اذ القياس كونه بمعنى الفاعل
لا يقال افعل ومعموله لكونهما
كالمتضايفين لا يجوز الفصل
بينهما باجنبي فكيف فصل بينهما
باليه لان الجار والمجرور والظرف
يتوسع فيهما فتأمل

السوء

السوء بحال) اى فى حال من الاحوال الدنيوية والاخروية (و) الحال ان (لى اليك التجاء) اى استناد لمزيد محبتى لك ولخدمتى لجنابك ومن هو كذلك حقيق بان لا يناله من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا قطيعة ولاجل ذلك (قد رجوناك) معشر محبيك وخدامك أيها النبى الكريم أى أملنا فيك (للامور) الخطيرة العظيمة من الذنوب والمخالفات والغفلات والشهوات (التى أبردها) اى أيسرها (فى فؤاد نار رمضاء) اى نار تتقد من شدة خوف المؤاخذة بما كسبته قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا وبين أبردها ورمضاء والفقر والغنى المطابقة (وأتينا اليك) بقلوبنا اى وجهناها الى الاستعاذة بك من كل مكروه أو الى قبرك المكرم حال كوننا (انضاء) جمع نضو بكسر النون اى مهازيل فقر) من الاعمال الصالحة فلكثرة ما حملناه من الذنوب ضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب ثقله (حملتنا الى) حضرتك التى فيها (الغنى) الاكبر (انضاء) اى ركائب مهازيل اجهدها طول السير وشدة الاسراع بها الى الوصول الى حضرتك العلية اغتناما للوقوف بساحات كرمها والتملى بشهود احسانها ونعمها (وانطوت) اى استترت (فى الصدور) اى القلوب (حاجات نفس) أملت حصولها من جنابك الكريم برفعها اليك اذا وصلت الى حضرتك وحظيت بحلول نظرك منها الامداد من مزاياك والتوسل والتشفع بك الى مولاك لانه لا وسيلة اليه أقرب منك اليه ولا أحد بعدك يعول الكمل فضلا عن غيرهم عليه فحينئذ كانت تلك الحاجات (ما لها عن ندى) اى عطاء (يديك) الكريمتين (انطواء) اى استتار واستغناء بل لا يقضيها غير جاهك الواسع ولا يعن بها غير عطائك الهامع فلا انفصال لنا عن واسع جودك ولا انصراف لنا عن ساحة حرمك بل لا نزال مقيمين بجوارك مستمطرين لندى آثارك طامعين فى حصول كل ما أملناه بشفاعتك التى هى مطمع المقربين ووسيلة المقصرين (فأغثنا) بالتقضى بجميع حاجاتنا الوفور جاهك وعظيم منزلتك عند ربك (يامن هو الغوث) للمكروبين والملجأ للمنقطعين المنقذ لهم من الشدائد (والغيث) المريع للمضطرين المشبع للجائعين المجزل لهم من الفوائد فأزل شكوانا وارفع لأوانا (اذا أجهد الورى اللأواء) اى اذا ضيق على الخلق الجدب حتى أشرفوا على التلف (والجواد) الاعظم (الذى) لم يخلق الله من يصل الى أوفى مراتب جوده فضلا عن أن يساويه فيه (به) أى بسببه (تفرج الغمة عنا) معشر أمته (وتكشف الحوباء) بفتح أوله وضمه أى الاثم أى عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة وفى نسخة به تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء وهى بمعنى الاولى لتساوى الغمة والكربة اذ هما الكرب الذى يشتد على النفس الى ان يكاد يقتلها والغماء والحوباء فى معانيها المذكورة من غم الهلال اذا ستره غيم أو نحوه والخبر استحجم (يا) نداء يتضمن غاية الاستعطاف والتحنن والترحم وهو معطوف على النداء قبله بحذف حرف العطف أو مستأنف لكنه بعيد (رحيما) من الرحمة وهى

(قوله او الى قبرك المكرم) يؤيد هذا قوله حملتنا الخ ولا مانع من ضم الاول اليه (قوله فاغثنا بها) اى شفاعتك

رقة القلب وغايتها التفضل والانعام أو ارادتهما ومر في باسماء أول أبيات هذه القصيدة ما يتعين استحضاره هنا (بالمؤمنين) مقتبس من قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما ومر في شرح قوله رحمة كله ما يعلم سعة رحمته لا سيما بالمؤمنين وباهر رأفته لا سيما على الضعفاء والمساكين والايمان التصديق الاجمالي في الاجمالي والتفصيلي في التفصيلي بجميع ما علم من دين محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عندنا اذ لا يكفر منكر غير الضروري وهو ما يستوى في معرفته الخاص والعام أو بالاجماع وان لم يكن ضروريا لان انكار المجمع عليه غير الضروري كفر عند غيرنا بل وجماعة منا ولا يكفي التصديق وحده بل لا بد معه من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا في النار كما نقله النووي عن أهل السنة لكن أشار الغزالي رحمه الله تعالى الى ما اختاره جمع محققون غيره انه من أهل الجنة وتركه التلفظ به معصية فقط لان قلبه مملوء بالتصديق فكيف يخلد في النار والكلام فيمن لم يمتنع منه جحودا أو انكارا والا كان كافرا اجماعا والاعمال من الايمان عندنا كاكثر المحدثين أي من كماله فالميت مؤمنا فاسقا تحت المشيئة قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال الخوارج انه كافر والمعتزلة انه لا كافر ولا مؤمن وهو عندهما مخلد في النار لانتفاء الايمان المتكفل بدخول الجنة *(تنبيه)* مهم يتعين الاحاطة به لعظيم جدواه وعزة فحواه اعلم ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير واحد انه أبلغ من الرحمن وانه يستعمل في الله تعالى وفي غيره لكن في استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى اشكال ومن ثم قال بعض الائمة صفات الله التي على سبيل المبالغة كلها مجاز لاستحالة حقيقة المبالغة فيها لانها انما تثبت للشئ أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية الكمال وأيضا فهي انما تكون في صفة تقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن ذلك التقي السبكي وغيره فاستشكل والله على كل شئ قدير بانه لما فيه من المبالغة يستلزم الزيادة على معنى قادر وهي محال وأجاب الزركشي عن الاول بان صيغة المبالغة اما بحسب زيادة الفعل أو تعدد المفعولات وهذا لا يوجب للفعل زيادة لان الفعل الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل صفاته تعالى بلا اشكال ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرير حكمه بالنسبة الى الشرائع وفي الكشاف والمبالغة في التواب أي في نحو وهاب وتواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او في قبول التوبة حتى نزل صاحبها بمنزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وعبر الزركشي عن الثاني بما يؤول الى ما قاله الزمخشري وهو ان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف واعلم ايضا ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي اصل الفعل ويشكل عليه وما ربك بظلام للعبيد وما كان ربك نسيا واجيب عن الاول بان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جئ به في

(قوله بالمؤمنين) خصهم بالذكر مع ان رحمته شاملة للكافرين كانقاذهم من هول الموقف بشفاعته لانهم المقصودون بالذات (قوله وهي محال) اى الزيادة على معنى قادر محال لان الايجاد شئ واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد واجيب بان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف انتهى اتقان

مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب قابل التوب
قابل فى الاول المبالغة فى الجمع وفى الثانى صيغة اسم الفاعل الدالة على اصل الفعل
بالواحد وبانه بنفى الظلم الكثير ينتفى القليل ضرورة لان الظالم يقصد بظلمه الانتفاع بما
يأخذه فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فالقليل اولى وبانه بمعنى ذى ظلم ونسب للمحققين
وبانه بمعنى فاعل فلا كثرة فيه وبان اقل القليل لو وقع منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة
العالم كبيرة وبانه اراد بليس بظلام ليس بظالم تأكيدا للنفى فعبر عن ذلك بليس بظلام وبانه
ورد ردا على من قال ظلام فلا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها فى صفاته تعالى سواء
فى الاثبات فجرى النفى على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه
كلها تصلح جوابا عن الثانية وزيدعاشر وهى مناسبة رؤس الآى (اذا) ظرف لرحيما
(ما) زائدة (ذهلت) اى غفلت عن ابنائها (الرحماء) مقتبس من قوله تعالى يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتقييد رحمته بالمؤمنين بهذا ليس لانتفائها فى غيره بل
لانها فى هذا اليوم اظهر واعم لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظمة
والسودد والتقدم على جميع الانبياء والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة العظمى فى فصل
القضاء ما يعلم جميع اهل ذلك الموقف انه لا اقرب منه الى ربه وان كل نسب ينقطع فى
ذلك اليوم الا نسبه وحسبه وفى الرحيم والرحماء رد العجز على الصدر وفى الذمام وذماء
وصاعدات وصعداء واقتنى واقتناء ووعرة وعراء ويتق والاتقاء وذرعا وذرعاء
والعرج والعرجاء ورضا ورضاء والحب والحباء جناس الاشتقاق او شبهه وبين اعمال
ومال جناس ناقص وبطان وبطاء لاحق وسر والحر محرف (يا شفيعا) من الشفاعة
وهى السعى فى اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه (فى المذنبين) فى غفران
ذنوبهم وكشف كروبهم (اذا) ظرف لشفيعا وفيه ما فى الذى قبله (ما) زائدة (اشفق) اى
ذل اذ الشفق يطلق على المشقة وشأن من حصلت له المشقة الذلة والدهش وحمله على هذا
هو الصواب واما تفسير الشارح له بالخوف فهو وان كان موضوعا ايضا له لكنه لا يتأتى
هنا لانه لا يلائم قوله (من) اجل (خوف) عقاب (ذنبه) عائد للبرآء المتقدم رتبة وافرده
نظرا للفظ لا للمعنى او لكون المراد منه الجنس على حد قوله صلى الله عليه وسلم خير نساء
ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل الحديث (البرآء) من الكبائر جمع برىء بوزن
قتيل وذكرهم لان خوفهم من الصغائر فقط يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب
فيه وان الخوف فيه من الذنوب يعم اكثر الناس لانهم لا يخلون عن صغيرة بل صغائر بل
لا يخرج عن ذلك الا المعصومون ويلحق بهم المحفوظون ومع ذلك يعمهم الخوف ايضا
وان لم يكن لهم ذنب كيف والانبياء عليهم الصلاة والسلام شعارهم فى ذلك اليوم اللهم
سلم سلم (جد) يا من تحلى بكمال الرحمة ونهاية الشفاعة بجاهك الواسع فانه لا أوجه منك عند

(قوله فلا مفهوم له) اى لان تكرير اللفظ اذا ورد جوابا لكلام خاص لا مفهوم له انتهى اتقان (قوله جوابا عن الثانية) اى الآية الثانية وهى وما كان ربك نسيا (قوله تذهل كل مرضعة) الذهول ترك الشئ بدهشة ونسيان (قوله ما زائدة) هكذا ثبتت فى نسخ الشرح وهى زائدة لفظا ايضا اذ لا يستقيم الوزن معها فالصواب حذفها كما هو المتن فاعرفه انتهى طبلاوى (قوله وافرده نظرا اللفظ) فيه ان لفظه جمع كمعناه فتامله

ربك (العاص) استأسرته الخطايا وأحاطت به المحن والبلايا والاصل لى اولنا فهو تجريد
والتفات وآثر فيه التنكير لما يأتى ولم يعين ما يجود به عليه قصدا للعموم المسؤل بان يجود
عليه فى ذلك اليوم بايصاله بشفاعته له الى كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب (وما)
نافيه (سواى) اى غيرى (هو العاصى ولكن تنكرى) الواقع فى قولى لعاص (استحياء)
منك ان اذكرلك نفسى بلفظ يدل عليها بخصوصها مواجها لك بالتصريح بارتكابها
ما نهيتها عنه وحمل الاستحياء على التنكير مبالغة كرجل عدل فان قلت ذاك مصدر ان
بخلاف هذا قلت المراد التشبيه من حيث ان حمل الخبر فى كل يحتاج لتأويل لان الحمل
شرطه المساواة وهى غير موجودة هنا للتباين مدلوليهما هذا تقرير عبارته وفيه
مؤاخذتان احداهما الذى عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على
المسند اليه وكذا تعريف الخبر على ما ذكره صاحب المفتاح وشهدله الاستعمال نحو ان
الله هو الرزاق أى لا رزاق سواه وفى الفائق وكلام الكشاف يميل اليه أيضا ان
تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام فعلى
الاول ان هو العاصى دال على حصر العصيان فى سواى كزيد هو القائم والمستفاد من
النفى الداخل على الجملة نفى ذلك الحصر بناء على ما هو المشهور ان النفى يتوجه للقيد فان
توجه للمقيد أيضا توجه الاعتراض الآتى من باب أولى وحينئذ فمفهومه يشمل شيئين
انه عاص وحده وانه عاص هو وغيره لانك اذا قلت ليس سوى زيد هو القائم احتمل
مفهومه ان زيدا هو القائم وحده وانه هو وغيره قائمان واذا أفهم النظم ذلك لم يصح
قوله ولكن الخ لانه أثبت على احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده من انه
العاصى وحده أى ادعاء وهضما للنفس لا حقيقة لانه الواقع بخلاف ذلك ثانيتهما ان
التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحياء ولئن أفاده فان شأن السائل عدم الحياء لان
المطلوب من المحتاج ان يرفع حاجته مبينا لنفسه حتى يعرف حاله فيتعطف عليه فابهامه
لنفسه حينئذ غير لائق ولك ان تجيب عن الاولى بان من الواضح ان سوى كغير لا تتعرف
بالاضافة الا اذا وقعت بين ضدين بل قال جماعة لا تتعرف بها مطلقا وان أل فى العاصى
للعهد الذهنى فهى للجنس على حد * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فيراعى فيها التعريف
تارة والتنكير أخرى وحينئذ زال الحصر الموهم مفهومه ما مر وصار المعنى وما سواى
عاصيا بل أنا العاصى وحدى وعن الثانية بان السائلين على أقسام منهم من يغلب عليه
الحياء والخجل من ارتكاب ما كان سببا لسؤاله فيستر نفسه حياء وخجلا من المواجهة
بالتصريح بارتكاب القبائح سترا واحتشاما من اعترافه بالنقائص والفضائح خشية
من انه قد يظهر عليه ما يعين سبب سؤاله فيكون مقتضيا لحرمانه والناظم رحمه الله
تعالى لمزيد اجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم راعى ذلك فنكر نفسه وذكر الوصف المقتضى
لسؤاله على جهة الابهام لا التفصيل حياء من ان يبين نفسه أو معصيتها فيكون ذلك

(قوله مبالغة) اى حيث جعل تنكره عين الحياء مع ان الحياء وصف قائم بالشخص كقيام العدل بالرجل لا انه عينه (قوله يحتاج لتأويل) فكما اول رجل عدل بذى عدل او بعادل ليصح الحمل يؤول هنا بتقدير مضاف اى سبب تنكرى استحياء لصحة الحمل (قوله وفيه مؤاخذتان) اى فى النظم (قوله من يغلب عليه الحياء) اى ومنهم من يظهر نفسه عند رفع حاجته ليعرف حاله فيحصل العطف عليه والناظم لاحظ مقام الحياء تارة كما هنا فتنكر ولاحظ التعطيف تارة فتعرف حيث قال فيما يأتى كل يوم ذنوبه الخ

سببا الرده *(تنبيه)* لا زالت اطالب ان ماذكره الناظم هنا من ان سبب التنكير له قد يكون للاستحياء هل صرح به أحد غيره حتى وجدتهم صرحوا بما يقرب منه وهو قولهم لكل من التعريف والتنكير مقام لا يليق بالآخر فمن أسباب التنكير ارادة الوحدة نحو وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى أي وحده أو ارادة النوع نحو هذا ذكر أي نوع من الذكر وعلى أبصارهم غشاوة أي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شيء من الغشاوات ومما يحتملهما والله خلق كل دابة من ماء أي كل نوع منها من كل نوع منه او كل فرد من افرادها من افراد النطف أو ارادة للتعظيم بمعنى انه اعظم من ان يعين أو يعرف نحو فأذنوا بحرب ولهم عذاب اليم ان لهم جنات وسلام عليه أو ارادة التكثير نحو ان لنا لاجرا اى وافرا عظيما جليلا أو ارادة التقليل نحو ورضوان من الله اكبر اى ورضوان قليل منه اكبر من الجنات باسرها وارادة التحقير بمعنى انحطاط شأنه الى حد لا يمكن ان يعرف نحو من اى شئ خلقه اى من شئ حقير مهين ثم بينه بقوله من نطفة خلقه وهذا المعنى يقرب من الاستحياء الذى ذكره الناظم * وهنا قاعدة يعم نفعها وهى ان الاسم اذا ذكر مرتين فان كانا معرفتين فالثانى عين الاول غالبا دلالة على المعهود الذى هو الاصل فى اللام والاضافة نحو اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين او نكرتين فالثانى غير الاول غالبا وقد اجتمعا فى آية فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فهو تصريح بما ذكر فى القسمين او الاول نكرة فقط فكالقسم الاول نحو رسولا فعصى فرعون الرسول او عكسه حكمت القرائن ونقضت هذه القاعدة بآيات كثيرة نحو هل جزاء الاحسان اى العمل الا الاحسان اى الثواب وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله ويؤت كل ذى فضل فضله ويرده ما مر من انها اغلبية على ان بعض المحققين بين ان جميع ما اورد عليها من الآيات من جملة افرادها وانه لم يشذ عنها شئ لكن فى بعضه تكلف (وتداركه) اى أدركه (بالعناية) منك له بان تمده بسوابغ كرمك وتفرغ عليه سجال حلمك حتى لا يأتى قط به فوة (مادام له بالذمام) بمعجمة قسم متعلق بتداركه أي تداركه والازم خلوه عن معنى يليق بالسياق بحق حرمتك التى أنعم الله بها عليك مادام له (منك ذماء) بالمعجمة أى تعلق واصله بقية الروح فى المذبوح أى مادام فيه أدنى تعلق واستمساك بك لانك اكرم الكرماء فى الخلق وعادة الكريم ان من تعلق به نجا من كل ما يخافه من أليم العذاب وبعد الحجاب ولو لا وقد (أخرته) أى ذلك العاصى (الاعمال) السيئة التى ارتكبها (والمال) الفانى الذى أمسكه عن صرفه فى وجوه الخير أو جمعه من وجوه الشر حتى اشتغل به قلبه وطاش فى جمعه لبه ولم يبال من اى واد جمعه ولا باى وصف اكتسبه (عما قدمه) (الصالحون) جمع صالح وهو القائم بحقوق الله وحقوق العباد وهو يشمل حتى الملائكة ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم أن المصلى اذا قال فى تشهده

(قوله اى كل نوع الخ) عبارة المطول اى كل نوع من انواع الدواب من نوع من انواع المياه وهو نوع النطفة الذى يختص بذلك من الدواب (قوله من افراد النطف) وهى نطفة ابيه المختصة به (قوله بالذمام) اى الحرمة انتهى صحاح (قوله ذماء) بفتح المعجمة ممدود بقية الروح وهو فى الاصل مصدر ذمى المذبوح يذمى اذا تحرك انتهى قاله ابن مالك

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصابت كل عبد صالح فى السماء والارض وبين أخرته وقدم جناس التطابق كالحسنات والسيآت والملح والفرات والاستقامة والاعوجاج والنوم واليقظة ووراء وامام والصيف والشتاء والحر والبرد ويومى والباقى والرجاء والخوف والاقوياء والضعفاء الاتيات (والاغنياء) من الاعمال الصالحات والانفاق فى وجوه الخيرات وهذا لف ونشر مرتب لان الاول للاعمال والثانى للمال ثم اعترف بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية متندما عليها للحديث الصحيح الندم توبة وقال (كل يوم) وليلة (ذنوبه صاعدات) مع ملائكة الليل والنهار الذين يرفعون اعمال العباد فيها الى الله تعالى اظهارا لعظيم فضل الطائع وقبيح فعل العاصى (وعليها) اى من أجلها (أنفاسه صعداء) اى متواترة ممدودة من شدة ما يلقى من كرب الندم وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع فى ورطتها انه (الف البطنة) بالكسر اى ملء بطنه من الطعام والشراب كذا قال الشارح والذى فى القاموس انها الاشر والبطر وقال فى البطر انه النشاط والاشر قلة احتمال النعمة والدهش والحيرة او الطغيان بالنعمة وكراهة الشئ من غير أن يستحق الكراهية اه وكل ذلك صحيح هنا وقال فى البطن بوزن كتف انه الاشر المتول ومن همه بطنه والرغيب لا ينتهى عن الاكل (المبطئة السير) الى الله تعالى اى المعوقة عن الاجتهاد فى رضاه باستفراغ الوسع فى الاعمال الصالحة التى هى سبب هداية السبيل وتنزيه النفس عن النقائص وعن كل وصف دنئ وخلق رذيل ولو لم يكن من شؤم البطنة الاما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة امعاء من أنها تفسد العقل باذهاب فطنته والبدن بازالة نشاطه وقوته (بدار) وهى الدنيا (بها) اى فيها (البطان) جمع بطين ككرام جمع كريم (بطاء) جمع بطئ على وزن الجمع قبله فهم متأخرون عن الفائزين متخلفون عن السابقين (ف) بسبب عصيانه (بكى ذنبه بقسوة قلب) اى مع شدته وغلظته المؤديين الى أن البكاء صورى لا حقيقى ومن ثم (نهت) تلك القسوة (الدمع) عن أن يبرز منه شئ من عين ذلك الباكى (ف) بسبب هذا النهى انقلب (البكاء) عن حقيقته وهو حزن يعترى القلب فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجرى الدموع ويتبع الرجوع وصار ذلك البكاء كأنه (مكاء) بالتخفيف اى كالصفير بجامع أن كلا صوت يجرى على اللسان ولم يتأثر به القلب وبين البكاء والمكاء الجناس المضارع (وغدا) اى صار ذلك العاصى بعد ما وقع منه من المعاصى والبكاء الذى لا يفيد لمزيد قسوة قلبه (يعتب) من عتب عليه وجد عليه (القضاء) من قضاه صنعه وقدره أن يقول لم أو كيف قدر على هذا (و) الحال انه (لا عذر لعاص) يحتج به على الله تعالى حتى يسقط اثمه وتندفع مؤاخذته (فيما يسوق) اليه (القضاء) والقدر من المعاصى لان الله تعالى أجرى عادته الالهية فى هذا العالم على

(قوله فى سبعة امعاء) قال الشارح فى شرح الشمايل والمراد المبالغة فى شرهه ونهمته لا حقيقة العدد او حقيقة لقول اهل التشريح ان للآدمى سبعة امعاء فالمؤمن يكتفى بملء واحد منها والكافر لا يكتفى الا بملء جميعها والمراد الجنس والا فكثير من المؤمنين يأكلون اكثر من غيرهم وقيل المراد المؤمن الكامل وهو لكثرة فكره واشفاقه من المناقشة فى الحساب حتى من المباح يقلل اكله دائما اه قال الهروى وفيه وجه احسن من ذلك وهو انه مثل ضربه للمؤمن زهده فى الدنيا والكافر حرصه عليها (قوله يعتب من عتب) قال فى المختار عتب عليه وجد وبابه طرب ونصر وقال فى فصل الواو من باب الدال ووجد عليه فى الغضب موجدة بكسر الجيم ووجدانا ايضا بكسرها ووجد فى الحزن وجدا بالفتح

اسباب ومسببات تناط بتلك الاسباب و ينسب وقوعها اليها نظرا للصورة الوجودية وان كان الكل فى الحقيقة انما هو بقضائه وقدره كما يدل على ذلك كله قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فأسند تعالى اليه صلى الله عليه وسلم الرمى واليهم القتل باعتبار الصورة الوجودية ونفاهما عنهم باعتبار الحقيقة الايجادية اشارة الى أنه يجب علينا رعاية المقامين بان نسند الافعال الى فاعليها صورة ليمدحوا أو يذموا باعتبار جريان تلك الصورة عليهم والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد عن ذلك وانفراد الحق تبارك وتعالى به وأن تعتقد بطلان مذهب القدرية الذين ينفون قدرة الحق و يثبتون قدرة العبد تخيلا منهم أنهم فروا بذلك عن نسبة القبيح الى الله تعالى وغفلة عن انه يلزمهم ماهو أقبح من ذلك وهو أن يجرى فى ملكه تعالى ما لا يشاؤه على أن نسبة أفعال العباد الى الله تعالى لا تستلزم نسبة القبيح اليه لان الشئ انما هو قبيح بالنسبة لفعلنا لا لفعله تعالى لانه يتصرف فى ملكه بما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وأن تعتقد بطلان مذهب الجبرية أيضا لانه يلزم عليه أن لا ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم لان المجبر هو المكره على الشئ من كل وجه لم يصدر منه فعل ينسب اليه حتى يدار عليه حكم وقد علم من الشريعة الغراء أن الله تعالى أسند الافعال لعباده ومدحهم عليها تارة وذمهم أخرى فتنتج ماقلناه من التوسط بين المذهبين بأن نظرنا الى الافعال من حيث الصورة وأنطنا بها احكاما ومن حيث الحقيقة وأنطنا بها احكاما لان هذا هو العدل السوى والطريق الواضح الجلى ونظير هذا مذهب الرافضة والناصبية وأهل السنة فالرافضة سبوا الشيخين وعثمان وأكثر الصحابة ووالوا عليا وشيعته والناصبية سبوا عليا وشيعته ووالوا أولئك الاكثرين وأهل السنة عدلوا فوالوا الكل وترضوا عنهم فكانوا فى الجنة وكان كل من ذينك هنا وغيرهم فى النار فان قلت قوله ولا عذر الخ ينافيه احتجاج آدم بالقضاء والقدر فى قصته المشهورة مع موسى عليهما الصلاة والسلام لما قال له موسى عليهما الصلاة والسلام أنت أبونا آدم الذى أخرجتنا من الجنة بخطيئتك اى بالنسبة لمقامك والا فهى ليست بخطيئة حقيقة لانه نسى كما فى الآية أيضا ولعموم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال له ألم تجد فى التوراة قد قدر على ذلك قبل أن أخلق بأربعين سنة فقال نعم فقال أتلومنى على ذنب قدره الله على قبل أن اخلق باربعين سنة قال نبينا صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الصحيح فحج آدم موسى وكذا احتج عمر على أبى عبيدة بالقدر لما ذهب الى الشام فرأى فيها طاعونا فأراد الرجوع فقال له ابو عبيدة أفرارا من قدر الله تعالى يا امير المؤمنين فقال له عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيدة لاوجعته ضربا نعم نفر من قدر الله الى قدر الله قلت لا ينافيه اما الاول فلأن الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع فى الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه وقبل أن يستوفى منه ما وجب عليه به ليمنع بذلك مؤاخذته

(قوله واليهم القتل) تأمله فانه لم يسنده لهم وانما اسنده اليه سبحانه فلم يوجد الا نفيه عنهم (قوله احتجاج آدم) احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام قال ابو الحسن القابسى معناه التقت ارواحهما فى السماء فوقع الحجاج بينهما قال القاضى عياض ويحتمل أنه على ظاهره وانهما اجتمعا باشخاصهما (قوله نسى) اى سها لان النسيان مستحيل على الانبياء لانه نقص (قوله قدر على ذلك) المراد بالتقدير هنا الكتابة فى اللوح المحفوظ أو فى صحف الملائكة اى كتبه الله على قبل خلقى باربعين سنة ولا يجوز أن يكون المراد حقيقة القدر فان علم الله وما قدره على عباده واراده من خلقه ازلى ولم يزل سبحانه مريدا لما أراده من خلقه من طاعة ومعصية وخير وشر اه من شرح مسلم للنووى (قوله لو غيرك قالها) اى كلمة أبى عبيدة (قوله لاوجعته) اى لاعترضه على فى مسئلة اجتهادية وافقنى عليها أهل الحل والعقد اه شرح مسلم

به لم يجز ايضا وان كان لا امنع ذلك بل امنع تعبيره به ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى واما الثانى فالواقع من عمر ليس من الاحتجاج بالقدر فى ذلك وانما هو بيان لاسرار ما جاءت به الشريعة المطهرة لان الشارع نهى عن دخول بلد الطاعون مع انه ان قدر موته بذلك الطاعون لم ينفعه عدم الدخول والا لم يضره ذلك الدخول فبين عمر رضى الله تعالى عنه أن المسببات منوطة باسبابها من غير نظر فى عواقبها وان الله تعالى كما قدر على اناس الموت بالطاعون قدر على آخرين عدم الموت به فالامتناع من الدخول فرار من القدر الى قدر آخر والدخول تجاسر على ما لعله يكون فتنة للداخل فانه لو وقع به ربما نسب موته الى فعله فحرم عليه خشية الفتنة فان قلت والممتنع من الدخول اذا سلم ربما نسب السلامة الى فعله ايضا قلت هذا اخف لان الاول القاء باليد الى التهلكة وهى منهى عنه فى الكتاب والسنة والثانى بمنزلة التداوى والفرار من الهلاك وهذا محمود فى الكتاب والسنة فان قلت لم جاز الفرار قبل الدخول لا بعده مع استوائهما فى المعنى المعلل به فيما مر قلت لا مساواة بينهما لانا لو جوزنا الفرار لاهل البلد لخرجوا وتركوا المرضى من غير حافظ ولا متعهد وذلك يؤدى الى هلاكهم غالبا فاقتضت المصلحة العامة منع الناس من الخروج واما من لم يدخل فلا يترتب على عوده مفسدة فجاز ثم رأيت الغزالى ذكر ما قررته فى الجواب عن كلام عمر رضى الله تعالى عنه ونقله عنه النووى وغيره واقروه حيث قال فان قيل ما فائدة الدعاء مع القضاء مع ان الدعاء لا يرده فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم فقدر الله الامر وقدر سببه اه فتأمل هذا المحل فانه مهم نفيس وفيه شبه كثيرة ازالها بحمد الله تعالى هذا التقرير الواضح لمن ألهمه رشده واسعد الله جده وخلصه من ورطات الفتن وغوائل البدع والمحن حقق الله لنا بذلك بمنه وكرمه واذا تقرر أن لا عذر فيما سوقه القضاء بالمعنى السابق فاذا كانت المعصية صغيرة او كبيرة فكيف يعذر من (اوثقته) اى حبسته فى الدنيا عن الخلوص من التبعات وفى الآخرة عن مقامه المكرم (من الذنوب) حال متقدمة على صاحبها وهو (ديون) اى ديون تراكمت عليه ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه فى حقوق الله تعالى وحقوق عباده (شددت فى اقتضائها) اى فى طلبها منه (الغرماء) لان حقوق الآدميين مبنية على المشاححة والمضايقة (ماله حيلة) اى طريق فى التخلص من تلك الديون (سوى حيلة الموثق) اى الاسير الذى صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة من هو كذلك تنحصر فى شيئين لا ثالث لهما الاول انهما (اما توسل) الى الله تعالى فى خلاصه بما سبق له من عمل خالص او بشفاعة الشافعين (او دعاء) اليه فى أن يرضى عنه غرماءه

(قوله وغوائل) اى دواهى

ويبدل عليه ذيل عفوه وحلمه ورضاه (راجيا) حال من عاص وضميرانوه الذكورة اى مؤملا املا قريبا (ان تعود اعمالها السوء) عليه (بغفران الله) له مغفرة عامة لا تبقى عليه وصمة ذنب ولا تذر له قسوة قلب (و) الحال ان تلك الاعمال (هى) فى جنب الغفران (هباء) اى مثله فى انها لا وجود لها اذ هو غبار يرى فى شعاع الشمس اذا دخلت عليه عند طلوعها من كوة (او) ان (ترى سيآته حسنات) منة عليه باندراجه فى سلك الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات (ف) بسبب استحالة السيآت حسنات (يقال) عند رؤيته ذلك (استحالت الصهباء) اى الخمرة من الخمرية والنجاسة الى الخلية والطهارة فتشبيه السيآت بالخمر والحسنات بالخل استعارة مصرحة واثبات الاستحالة التى هى من لوازم المشبه به تخييلية (كل امر تعنى) اى تعتنى وتهتم أنت يارسول الله (به) وتلتفت اليه (تقلب الاعيان) جمع عين وهو الجسم وهو معنى تفسيرها بانها المبصر مستقلا بنفسه (فيه) بان تتحول من صفتها التى لا تريدها الى الصفة التى تريدها (وتعجب البصراء) جمع بصير حساومعنى اى ذووا البصائر والبصر من ذلك القلب الخارق للعادة المشاهد بالابصار الذى لا يعارض بجحود ولا انكار وشاهده ما وقع لك فى ذلك الفعل اذ (رب) هى هنا للتكثير قاله الشارح (عين) من عيون الماء اى عيون كثيرة (تفلت) اى بصقت (فى مائها الملح) الذى لا يتساغ لاحد (فاضحى) ماؤها الملح (و) الحال انه (هو الفرات) اى العذب السائغ للشاربين او هو كالنهر المسمى بالفرات الذى هو احد الانهار الاربعة النازلة من الجنة كما صح به الحديث (الرواء) بالفتح اى الذى يحصل بقليله الرى الكامل لشاربيه قال الشارح فى وهو الفرات الرواء الجملة خبر أضحى انتهى وهو جار فى ذلك على مذهب الاخفش وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة الحالية لكن الجمهور انكروا ذلك وتأولوا الجملة على الحال والفعل على التمام واعل نسخته بلا واو قبل هو * (تنبيه) * لم ار خصوص التفل فى ماء عين ملح فانقلبت عذبا فضلا عن كثرته التى قالها الشارح حملا وبحتمل أن الناظم اخذ ذلك مما رواه ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم بصق فى بئر اريس فلم يكن بالمدينة بئر اعذب منها او وجود الاعذبية فى هذه ببركة بصاقه صلى الله عليه وسلم فيها امنزل منزلة ماء ملح صار عذبا وفى حديث سنده حسن انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة وهذا يقتضى أن ما عدا بئر رومة من بقية آبار المدينة كانت مياهها فيها ملوحة منعت الاستعذاب منها ومن جملتها هذه بئر اريس وقد صارت ببركة تفله صلى الله عليه وسلم فيها اعذب بئر بالمدينة فصار ماؤها الذى تقرر انه ملوحة اعذب بئر بالمدينة فنتج من هذا صحة ما قاله الناظم رحمه الله تعالى فتأمله ثم رأيت للبغوى فى الصحابة عن بشر الاسلمى ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء الحديث السابق فى بئر رومة فتعبيره باستنكارهم مياهها يدل على ان فيها ملوحة وما تقرر فى بئر اريس يدل على زوال ملوحتها بالكلية

(قوله تخييلية) فيه أن التخييلية انما تكون للمكنية لا للتصريحية (قوله كل أمر تعنى) قال فى المختار وعنى بحاجته يعنى بها على مالم يسم فاعله عناية فهو بها معنى على مفعول ثم قال وفى الحديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه اى مالا يهمه (قوله جمع عين وهو الجسم الخ) هذا بيان لمعناها الاصلى والا فالمراد بها هنا الصفات بقرينة قوله بان تتحول صفتها الخ او هناك مضاف محذوف اى صفات الاعيان (قوله اى الذى يحصل بقليله الرى الكامل لشاربيه) الذى فى القاموس أن الرواء بالفتح كسماء الماء الكثير المروى فمن أين أخذ الشارح التقييد بالقلة وقد يقال مراد الشارح الذى يحصل بقليله كما يحصل بكثيره فليس مراده اخراج غيره من مدلول الرواء فتأمل (قوله دار أنس) لعله بئر دار أنس (قوله ما قاله الناظم) لكن الكثرة التى صرح الشارح أنها معنى لرب لم يظهر وجهها

قول المحشى قوله دار انس الذى فى نسخ الشارح التى بايدينا بئر أريس فلعل ما كتب عليه المحشى وقع له فى نسخة

وانها صارت اعذب حتى من بئر زمزم ثم رأيت الشريشي شارح مقامات الحريري ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل في بئر اريس فعاد ماؤها عذبا بعد ان كان اجاجا وما ذكره غير صحيح فقد قال الحافظ الكبير الزين العراقي انه لم ير اصلا لحديث تفله صلى الله عليه وسلم في بئر اريس قال غيره ومن الغرائب قول العز بن جماعة صح انه صلى الله عليه وسلم تفل فيها فحينئذ ما قاله الشريشي لا اصل له ولا عند ابن جماعة لان فيها زيادة كون مائها كان اجاجا فصار عذبا وهذا لم يقل فيه ابن جماعة ولا غيره انه ورد فضلا عن كونه صح ولعل الناظم رحمه الله رأى ذلك في كلام مثل الشريشي ممن لا يعتد به في الحديث فاعتمده ثم رأيت الحافظ السيوطي ذكر ذلك بلا سند فقال وريقه صلى الله عليه وسلم يعذب الماء الملح انتهى ويحتمل ان مراده كما يؤخذ من تعبيره بعذب لا باعذب ان ريقه صلى الله عليه وسلم فيه قوة ذلك فلا يكون فيه دليل لما في النظم اصلا واذ قد فرط مني ما سبقت الاشارة اليه فلا يسعني الا مزيد الندم والتوجع منه والتأوه عليه بان اقول على الدوام والاستمرار (آه) كلمة توجع اي توجعي عظيم وندمي زائد دائم (من) اجل (ما جنيت) على نفسي من الذنوب وقبائح العيوب (ان) هي بمعنى اذ على حد وخافوني ان كنتم مؤمنين وما قررته ان ذلك التوجع بقيد الندم الوارد فيه عنه صلى الله عليه وسلم الندم توبة اي معظمها المتكفل بباقيها كالحج عرفة (كان يغني ألف من عظيم ذنب) من اضافة الصفة للموصوف (وهاه) اي مسماها وهو التوجع المقيد بالندم المفيد للتوبة كما مر ويصح ان تكون ان على حالها من الشك لانا وان سلمنا ان كلمة آه تفيد الندم لكن قبولها ظني لا قطعي على الاصح ولك ان تمنعه بانه يكفي في كونها بمعنى اذ ان قبولها ظني لان ظن الوقوع ينافي وضع ان من التردد فيه ولما عرض بوقوع التوبة صرح برجائها المبين ان الاهتمام بها منع من الا كتفاء عنها بالتعريض فقال (ارتجي) أي أومل لحسن ظني بربي عملا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن ظنه بربه وبقوله تعالى انا عند ظن عبدي بي فلا يظن عبدي بي الا خيرا (التوبة) وهي الندم على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض آخر كاطلاع الناس عليه وصرف دراهم فيه فان ذلك لا يعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابسته فعلها من حيث الندم عليها لا لغرض آخر أيضا وعزمه على أن لا يعود اليها ما عاش كذلك أيضا لا نحو قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى بترك أدائه فورا وباداء ما عصى باخذه ظلما الى مالكه أو وكيله أو وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما انه متى قدر على الخروج منه خرج منه لفوره والتوبة ولو من الصغائر واجبة اجماعا وتصح على الاصح من ذنب دون ذنب وتصح على الاصح أيضا وان سبقها توبة من ذلك الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك (النصوح) أي التي لا يعود من حصلت له الى الذنب أبدا لوقوعها خالصة عن كل شائبة من شوائب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض آخر ولو أخرويا

(قوله كان اجاجا) اي ملحا مرا كما في المختار (قوله في بئر أريس) بفتح الهمزة مصروف كما في شرح مسلم (قوله ولعل الناظم الخ) اي داع لحمل الناظم على ذلك الذي لم يثبت دون حمله على ما بئر أنس على الوجه السابق (قوله آه) ويقال ايضا أوه وأوه وكل اسم فعل بمعنى اتوجع (قوله وهو التوجع) على تقدير مضاف اي اسم اتوجع لان الهاء وهاه اسمان مسماهما آه ومعنى آه اتوجع (قوله من التردد فيه) فيه أن مطلق التردد يشمل الظن فلا ينافي الاولى انما وضع ان للشك بمعناه المعروف فتدبر وهذا هو المشهور في وضع ان بقرينة قوله على حالها من الشك وحينئذ فقوله من التردد المراد به خصوص الشك تأمل

(قوله واستغفارنا الخ) قال الغزالي في الاحياء لا تظن أن رابعة تذم حركة اللسان بالاستغفار من حيث انه ذكر الله تعالى بل تذم غفلة القلب فهو محتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين قال وهذا معنى قول القائل الصادق حسنات الابرار سيآت المقربين وقوله القائل الصادق ربما يوهم انه حديث وليس كذلك بل هو من كلام شيخ الطائفة الجنيد كما في فتاوى شيخ الاسلام الحديثية وفي طبقات الاولياء للمناوي في ترجمة الجنيد (قوله من كبرتي) عبارة المصباح الكبر في السن وقد كبر الرجل يكبر كبرا وزان عنب اى اسن ومكبرا ايضا بكسر الباء يقال علاه المكبر والاسم الكبرة بالفتح يقال علت فلانا كبرة وكبر بالضم يكبر أي عظم فهو كبير وكبار فاذا أفرط قيل كبار بالتشديد والكبر بالكسر العظمة وكذا الكبرياء وكبر الشئ أيضا معظمه قال تعالى والذي تولى كبره وفي القاموس كبر كبرا كعنب وكبرا بالضم وكبارة بالفتح نقيض صغر فهو كبير وكبار كرمان ويخفف ثم قال وكبر كفرح كبرا كعنب ومكبرا كمنزل طعن في السن ثم قال وكبر ككصغر عظم وجسم انتهى المراد منه (قوله كنت في نومة الشباب) شبه غفلته في حال شبابه بالنومة بجامع عدم الانتفاع والاحتياج الى موقظ بل حجاب الانتفاع على طريق الاستعارة المصرحة (قوله والحال ان لمتي) قال في المصباح اللمة بالكسر الشعر اذا لم يجاوز شحمة الاذن والجمع لمم ولمام فاذا جاوز شحمة الاذن فهو جمة بالضم هذا يقتضي ان اللمة شعر الرأس الموصوف بما ذكر لانه اسم للجمة كما صنع الشارح (قوله ويشهد لذلك الحديث الخ) ليس فيه ما يفيد الفرق بين زمن الشباب وزمن الشيخوخة فتدبر

---

كان تاب لاجل دخول الجنة فان ذلك لا يؤثر في صحة أصل التوبة وانما يؤثر في كمالها لانها مشوبة بغرض النفس بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لكن أني يفيدني هذا الترجي (و) الحال اني متلبس بما قد ينافيها اذ (في القلب نفاق) من حيث العمل باعتبار انه قد يبطن خلاف ما يظهر لا من حيث الاعتقاد لان ذلك لا يصدر الا ممن آمن بلسانه فقط (وفي اللسان) والاركان (رياء) أي نظر الى الخلق باعتبار ان ما يصدر منهما قد يكون فيه شوب نظر الى طلب رزق أو ثناء من مخلوق ومع ذلك لا اترك التوبة رجاء قبولها ولاجل ذلك قالت رابعة رحمها الله تعالى استغفارنا وان كان يحوج الى استغفار لا يوجب ترك الاستغفار (ومتى) للاستفهام التعجبي (يستقيم قلبي) بان لا يبقى فيه نظر الى ما يحجب عن الله تعالى من أهل أو مال أو جاه اوغير ذلك بل الى الله تعالى وحده (و) الحال اني قد وصلت الى حالة تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما جبل عليه من الغفلة واللهو وتلك الحالة هي انه حصل (للجسم اعوجاج من) اجل (كبرتي) اى كبر سني وهو عظمي من كبر بكسر الباء اى اسن (وانحناء) القامة وهو من عطف الرديف او الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء كلها والانحناء يختص بالقامة اذ هو تقوس الظهر وتبعد حينئذ الاستقامة بخلاف ايام الشباب فان العود رطب والقلب لين فادنى وعظ يؤثر فيه واقل زاجر يردعه عما هو متلبس به فيبادر الى التوبة سريعا وانما أخرت التوبة الى هذا الزمن لاني (كنت في نومة الشباب) التي تكثر فيها الغفلات وتتوالى على اهله الهفوات فاستحكمت غفلتي حتى صرت كالنائم المستغرق الذي لا يفيق من نومه لا يحركه قوي (فما استيقظت) من تلك الغفلة في حال من الاحوال (الا و) الحال ان (لمتي) أي لحيتي (شمطاء) اى اختلط سوادها ببياضها وما تقرر في زمن الشباب اولا انه محل قرب التوبة والانزجار بادنى وعظ وهنا انه محل الغفلات والهفوات لا تنافي بينهما لانه وان كان محل الهفوة والزلة لكن صاحبه يتنبه سريعا الى زلاته ويرجع عنها حالا كما ان العود الرطب يستقيم اعوجاجه بادنى عمل بخلاف زمن الشيخوخة فانه زمن الاصالة عن كل هفوة وزلة لكن صاحبه المرتكب للمعاصي الى ان شاب يعسر عليه الرجوع والتوبة فورا لان عوده قسا وصلب فلا يتقوم اعوجاجه الا بعد الياس ويشهد لذلك الحديث ان قيل لك ان جبلا تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق (و) حينئذ

(قوله وهو السير ليلا) عبارة القاموس السرى كالهدى سير عامة الليل انتهى وذلك أخص مما ذكره 

بلغت هذا السن الذى تعسر فيه التوبة كما تقرر (تماديت) اى طالت ان (اقتفى) أى
اتبع (أثر القوم) الصالحين السابقين الى المراتب العلية والفائزين بنيل المآرب
السنية (فطالت) على (مسافة) بينى وبينهم لبعد الدرجات التى فازوا بها (واقتفاء
لاعمالهم واخلاقهم لانهم استغرقوا فيها أوقاتهم وانقطعوا الى الله تعالى عن كل غفلة
وتبعة (ف) بسبب طول المسافة التى بينى وبينهم (وراء) خبر مقدم (السائرين) أى
السائرين ليلا من السرى وهو السير ليلا وعدل اليه عن وراءهم الذى هو القياس ليفيد
انهم أحيوا لياليهم بالعبادات وامتازوا فيه بلذيذ المناجاة (وهو) أى ذلك الوراء
(امامى) جملة معترضة للتصريح بما علم من قوله اقتفى الخ انه مع طول المسافة بينه وبينهم
وتعذر اتباعه لهم صار بينه وبينهم موانع ايضا (سبل) مبتدا مؤخر اى طرق (وعرة) اى
يعسر سلوكها لان اولئك القوم كلفوا نفوسهم من الاعمال والتخلق بكرائم الاخلاق
والاحوال ما اوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قام به اولئك
(وارض عراء) بفتح اوله اى فضاء واسعة (جد) اولئك القوم (المدلجون) اى السائرون
من اول الليل او اكثره والقياس جدوا ايضا فعدل الى الاظهار ليبين انهم على فرقتين
منهم من يحيى بعض الليل ومنهم من يحيى كله او اكثره وهذا القسم الثانى افضل واكمل
لانهم رأوا ما تجدد به جدهم مما لم يره من قبلهم (غب) اى عاقبة (سراهم) من الفوز برضا
الله تعالى وقربه والاطلاع على حقائق معرفته والتمتع بشهوده وهذا مقتبس من قولهم
عند الصباح يحمد القوم السرى (وكم من تخلف) عنهم فى سيرهم وهذا راجع لقوله
فوراء السائرين وقوله جد راجع لقوله السائرين ففيه لف ونشر مرتب (الابطاء) اى
التأنى فى السير المفوت لادراك منازلهم وفى ذكره هذا ايماء الى غاية التحسر والتألم
بذكر حالهم التى جد واعتباها وفاتته لعجزه عن ادراكها لما هو عليه مما لا يوصله الى
ذلك الغرض لبعده عن تلك اللطائف وتباعده عن بلوغ المعارف كيف وما هم عليه من
الجد فى السير الى الله تعالى (رحلة) عظيمة عن مواطن الشهوات ومواطن الشبهات
وقبائح الارادات وقواطع البطالات ورحلتهم هذه عز على ان اقتفيهم فيها لانى (لم يزل
يفندنى) اى يكذب على او يضعف رأيى (الصيف اذا ما) زائدة (نويتها والشتاء) كذلك
اى اذا جاء الشتاء انوى الى الصيف لان الشتاء يكثر فيه البرد والثلوج والامطار فيعسر
السير فيها واذا جاء الصيف اقول اصبر بها الى الشتاء لان الاعمال تتيسر فيه اكثر ومن ثم
قال النبى صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفى
سنده من ضعفه جماعة ووثقه آخرون والارجح توثيقه فى هذا السند بخصوصه ومن
ثم صححه ابن خزيمة ويشهد له احاديث منها مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة اما ليله فطول
للقائم واما نهاره فقصير للصائم وحديث لم ينزل قط عذاب من السماء على قوم الا عند

الشارح (قوله أحيوا لياليهم) أى عامة لياليهم كما أفادته عبارة القاموس فيحمل عليه قوله أولا وهو السير ليلا بأن يراد عامة ليل وعليه تتساوى عبارته عبارة القاموس (قوله والقياس جدوا) أى القوم (قوله منهم من يحيى بعض الليل) أى قليلا منه لان احياء أكثره وصف الفرقة الاولى من الفرقتين السارين والمدلجين هذا والذى يفيده كلام الشارح الراجع للقاموس كما سبق ان القوم اما سارون أو مدلجون وان السارين هم الذين أحيوا معظم الليل وان المدلجين هم الذين أحيوا كل الليل أو أكثره وينبغى ان يراد هنا احياء كله ليحصل التغاير بين الفرقتين فيراد بالفرقة الاولى التى أحيت معظم الليل وبالثانية التى أحيت كله وأما الفرقة التى أحيت بعض الليل أى أقل من معظمه فلم تستفد من كلام الناظم اذ ليس من مدلول السارين ولا من مدلول المدلجين كما عرفت فهذه الفرقة الثالثة هى الفرقة المتمادية فى السير المتخلفة عن اللحوق التى جعل الناظم نفسه منها تواضعا رضى الله عنه

(قوله اى يكذب على) كان الظاهر يكذبنى قال فى القاموس وفنده تفنيدا كذبه وعجزه وخطأ رأيه كافنده

انسلاخ الشتاء وعما اوجب ابطائى عن تلك الرحلة انه (يتقى حر وجهى) وهو ما يبدو من الوجنة (الحر والبرد) باتقائه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقة العبادة فى الشتاء والصيف كما ان ما فى البيت الذى قبله كذلك (و) الحال انه (قد عز) اى صعب على (من لظى) اى جهنم متعلق بقوله (الاتقاء) لانى متلبس بما يؤل بى اليها الا ان يتغمدنى الله برحمته ولاجل هذا (ضقت ذرعا) بالمعجمة (من) اجل (ما) موصولة او مصدرية (جنيت) اى ضعفت طاقتى عن ان تحمل وزره ولم اجد من يخلصنى من ثقله واصل الذرع الخلق (فيومى قطرير) اى شديد وهذا كذكر عز والرحلة والصيف والشتاء وضقت ذرعا فيه اقتباس من الآيات المذكور فيها ذلك وتلميح الى ما فيها من القصص (وليلتى درعاء) بالمهملة اى مظلمة كناية عن شدة ما يلقى فيها واصل الدرعاء التى يطلع قمرها عند الفجر ومراده ان ذلك الضيق ملازم له نهارا وليلا لا ينفك عنه فى واحد منهما *(تنبيه)* وقع للشارح انه قال الليلة الدرعاء بالمهملة ليست من الليالى البيض بل هى احدى الليالى الثلاث التى تلى الليالى البيض وليس بصحيح وعبارة القاموس وليلة درعاء يطلع قمرها عند الصبح وليالى درع بالضم وكصرد للثلاث التى تلى البيض لاسوداد اوائلها وابيضاض سائرها انتهت ففيه التصريح بان الدرعاء ليست من احدى تلك الثلاث وان تلك الثلاث لها وهى جمع معنى غير المفرد وتوهم الشارح ان الجمع اذا كان معناه ذلك لزم انه معنى المفرد وهو انما يتم ان كانت درعاء مفرد ذلك الجمع وعبارة القاموس صريحة فى خلاف ذلك لانه فسرها بمعنى غير معنى الجمع فتامله (و) لكن خفف عنى ذلك انى (تذكرت رحمة الله) أى سعتها التى دل عليها قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى أى ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وهذه العندية عندية الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه تعالى عنه علوا كبيرا (ف) بسبب ذلك (البشر) أى الفرح والسرور (لوجهى) متعلق بخبر البشر وهو تلقاء وهذا اولى من جعل الشارح له خبرا وتلقاء خبرا ايضا (انى) اى فى اى مكان (انحى) اى اتوجه (تلقاء) اى مقابل اى فالبشر مقابل لوجهى فى اى مكان توجهت اليه لانى مستشعر لسعة الرحمة ومعول عليها مع نظرى الى قول الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى عن ربه انا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى الا خيرا (ف) بسبب تذكرى لما جنيت المقتضى لمزيد الخوف واسعة الرحمة المقتضية لسعة الرجاء (الخ) اى أقام (الرجاء والخوف فى القلب) فهما على حد سواء كما هو الراجح عند أئمتنا ان الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله ويردهما انهما اذا استويا أمنت غلبة أحدهما فلا محذور يخشى حينئذ بخلاف غلبة أحدهما فانه يخشى منه المحذور الذى فى

(قوله ان الله كتب كتابا) يحتمل انه اللوح المحفوظ ويحتمل انه غيره وقوله فهو عنده فوق العرش اى فى محل عظيم (قوله اى ان مظاهر الخ) اشار بذلك الى جواب ما قيل ان الرحمة والغضب يرجعان الى صفتين من صفاته تعالى وهما الاحسان والانتقام او ارادتهما وصفات الله المتعلقة بذاته لا ترتيب فيها ولا سبق لبعضها على بعض وحاصل الجواب ان المراد بسبق الرحمة غلبة مظاهرها من المخلوقات وكثرتها على مظاهر الغضب تأمل (قوله تلقاء) المصادر انما تجىء على التفعال بفتح التاء كالتذكار والتكرار ولم يجئ بالكسر الا حرفان وهما التبيان والتلقاء

مقابله أما المريض فيغلب الرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى اى يظن انه يغفرله ويرحمه (وللخوف والرجا) اذا تواردا على القلب (احفاء) اى استقصاء ومنازعة لتضاده مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتراء شدة وحصر للنفس لا يطاقان لان من لازمه الكف عن كل محرم بل وشبهة بل وعن ما فضل عن حاجته من الحلال كما هو شأن الزاهدين اذ لم يحملهم على ذلك الا عظيم خوفهم ولو من هول السؤال ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار سعة الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها بكرمه واذا تضاد مقتضاهما لزم ان كلا يستقصى فى مقتضاه ضد ما يستقصيه الآخر لكن قد تقرر ان الاولى للصحيح ان يستوى عنده المقتضيان لئلا يغلب أحدهما فيخشى منه المحذور السابق آنفا ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضى لليأس (صاح) اى يا صاحبي وفيه نوع تجريد اذ الاصل يا نفسي (لا تأس) من رحمة الله (ان ضعفت عن) الداب فى (الطاعة) لضعف همتك وغلبة بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك عن أهوال القيامة (واستأثرت) اى انفردت (بها الاقوياء) بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى تدربت عليها فصارت عندها من الذ مألوفاتها وأعظم مشتهياتها (ان) فيه شائبة تعليل للنهى عن اليأس ان ضعفت عن الطاعة (لله رحمة) عظيمة ادخرها لبعض عباده تعم القوى والضعيف والشريف والوضيع (وأحق الناس منه) متعلق بقوله (بالرحمة الضعفاء) أى الذين لا يعولون على أعمالهم ولا يغترون بأحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه واخلاصهم لله فى عبادتهم فهم أقوى نية فى العبادة وابعد عن الرياء فربما حصلت لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الاقوياء وفى الحديث القدسى انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى اى لان مطلوبهم رضاى ومعتقدهم انه لا عمل لهم ومما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى منامه الذى رآه لابى بكر وعمر فيما يتعلق بخلافتهما وقرب مدة خلافة أبى بكر وطول مدة خلافة عمر اثبت لابى بكر مع انه أفضل الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام نحو ذلك الضعف فقال بعد ان بين انه على بئر وانه نزع منها دلوا وان أبا بكر أخذها منه فنزع بها دلوا أو دلوين وفى نزعه ضعف والله يغفرله ضعفه فهو ليس ضعف يقين ولا عمل وانما هو

(قوله فيغلب الرجاء) فائدة كان الشبلى يقول انما تصفر الشمس عند الغروب لانها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام وهكذا المؤمن اذا قرب خروجه من الدنيا اصفر لونه لانه يخاف المقام واذا طلعت الشمس طلعت مضيئة منيرة وكذلك المؤمن اذا خرج من قبره خرج ووجهه مشرق مضىء (قوله احفاء) بالحاء المهملة (قوله من رحمة الله) مع قوله فيما يأتى للنهى عن اليأس غير مناسب تفسير المتن به  لان تأس من الاسا وهو الحزن وما ذكره الشارح بيان لليأس والاياس يقال يئس وايس بمعنى قنط فكان الظاهر ان يقول فى البيان اى لا تحزن حزنا يؤدى لليأس اى القنوط من رحمة الله للنهى عن اليأس الخ تأمل (قوله واستأثرت بها) اى بكثرتها (قوله ادخرها الخ) أخرج الطبرانى عن معاوية ابن حيدة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل خلق مائة رحمة رحمة بين خلقه يتراحمون بها وادخر لاوليائه تسعة وتسعين اه من البدور السافرة للسيوطى وظاهر ان مراد الشارح بالرحمة المدخرة العامة لمن ذكرهم هى الرحمة التى ذكرها فى الحديث بين خلقه (قوله اى الذين الخ) انظره مع سياق الكلام ومقتضى المقام اه طبلاوى اى لان المقام والسياق يقتضيان تفسير الضعفاء بالقليلين الاعمال ويجاب بان ذلك أشار اليه بقوله مع قيامهم الخ وبين بان محل كونهم أحق بالرحمة من الله مع قلة أعمالهم ان اتصفوا بما ذكر (قوله والله يغفرله) المشهور فى الصحيح ان هذا الكلام مقول فى الصديق رضى الله عنه وفى رواية انه مقول فى عمر رضى الله عنه وعلى كلا الروايتين ضعف فليس فى ذلك تنقيص ان قيل فيه ذلك ولا اشارة لذنب وانما هى كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم ونعمت الدعامة وفى الحديث الصحيح كان المسلمون يقولون افعل كذا والله يغفرلك وهذا كعادة العرب فى قولهم تربت يمينك وقال بعضهم هذا إخبار منه عليه الصلاة والسلام بان الله قد غفرله وجازاه على القيام بامر الامة على أتم الوجوه وقال القاضى ابن العربى لما رأى عليه الصلاة والسلام مدة الصديق قصيرة قال والله يغفرله اى يرضى عنه ويعطيه ثواب أطول مدة وأكثر عمل

ضعف انكسار وافتقار وفى الحديث ان الله لا ينظر الى الصور وانما ينظر الى الاعمال والقلوب اى لا الى الاعمال فقط بل لما يصحبها مما فى القلوب من اخلاص وافتقار أو ضدهما ثم استدل على ان الضعيف قد يحصل له ما لا يحصل للقوى بمثال ظاهر فى الوجود فقال (ف) بسبب الاحقية المذكورة للضعفاء (ابق فى) الضعفاء المشبهين بنحو (العرج) جمع اعرج وهو من برجله ما يمنعه من استقامة المشى (عند منقلب الذود) اى رجوعه الى ربه وهو جماعة الغنم كذا وقع للشارح وهو سبق قلم سرى اليه من تعبير النهاية بقوله واللفظة مؤنثة لا واحد لها من لفظها كالغنم اه فتوهم ان قوله كالغنم راجع الى قوله والذود من الابل ما بين الخمس الى التسع وقيل ما بين الثلاث والعشر واللفظة مؤنثة لا واحد لها من لفظها كالغنم فهذا صريح فى ان التشبيه انما هو فى انه لا واحد له من لفظه لا غير وعبارة القاموس وثلاثة ابعرة الى العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين أو ما بين الثنتين والتسع مؤنث ولا يكون الا من الاناث وهو واحد وجمع أو جمع لا واحد له او واحد جمع أذواد وقولهم الذود الى الذود ابل يدل على انها فى موضع اثنين لان الاثنين الى الاثنين جمع انتهت (فى العود تسبق العرجاء) اليه فتفوز منه بما واها فتأخرها أوجب لها السبق فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات ربما أوجب لك سبق المكثر منها لانه قد يصحبك من الذل والافتقار والاخلاص ما يخاف تأخرك بخلاف المكثر قد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تأخره ومن ثم قال العارف المحقق التاج بن عطاء الله رحمه الله رب معصية أورثتك ذلا وانكسارا خير من طاعة اورثتك عزا واستكبارا واعلم انه لم يجعل ذات المعصية خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذى أفاده ان المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذى صحب الطاعة فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم هنا وفيما قبل يتنزل على هذا فتنبه له واذا تأخرت عن الطاعة اضعفك عنها فلازم الذلة والانكسار و (لا تقل) حال كونك (حاسد الغيرك) الذى أكثر منها اى متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه (هذا) القوى بسبب قوته (اثمرت نخله) اى كثرت أعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح وآثر التشبيه بالنخل لان النخلة أفضل الشجر لانها خلقت من فضل طينة آدم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عماتكم النخل ولاجل هذا اشابهت الآدمى فى كثير من صفاته الحسية والمعنوية كما لا يخفى (ونخلى) اى أعمالى (عفاء) بالفتح اى كالتراب لا ثمرة لها ولا يعتد بها بسبب ضعفى لانك حينئذ تعترض على الحكيم فى فعله وتخصيصه لكل منكما بما أراده وقدره ومن ثم كان الحسد كفرا لنعمة المنعم ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وخرج بحاسدا المنصرف الى الحسد المذموم الحسد المحمود المسمى بالغبطة وهو ان تمنى ان يكون لك من النعم والخيرات مثل ما لغيرك مع بقائها له فهذا مطلوب كما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله

نوم الاكياس وفطرهم يغبنون سهر الحمقى وصيامهم ومثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من أعمال المغترين اه وقد بين فى حديث الكيس والاحمق حيث قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقوله يغبنون اى يغلبون (قوله رب معصية الخ) وقال العارف بالله الشاذلى رضى الله عنه كل شهوة تدعوك الى الرغبة فى مثلها فهى عدة الشيطان وسلامه وكل شهوة تدعوك الى طاعة الله والرغبة فى سبيل الخير فهى محمودة وكل حسنة لا تثمر نورا أو علما فى الوقت فلا تعدلها أجرا وكل سيئة اثمرت خوفا وهربا الى الله ورجوعا اليه فلا تعدلها وزرا اه ومن مقام العارفين ما حكى عن الامام أبى محمد النيسابورى انه دخل المسجد مرة يعتكف فى رمضان فرأى المتعبدين يجتهدون والقراء يقرؤن فقطع الاعتكاف وخرج فقيل له فى ذلك فقال لما رأيت تعظيمهم بعباداتهم واعتمادهم عليها دون الله لم يسعنى الا الخروج خوفا من نزول البلاء عليهم (قوله كالتراب) فالعفاء التراب قال صفوان بن محرز اذا دخلت بيتى فاكلت رغيفا وشربت عليه ماء فعلى الدنيا العفاء اه من المختار

لا حسد الا فى اثنتين الحديث واحذر ان تتكل على رجائك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجاء
الا مع عمل ومن ثم قالوا كل رجاء لم يصحبه عمل فهو غرور وبل مع رجائك اجتهد (وأت
بالمستطاع من عمل البر) امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم الناسخ على ما قيل لقوله
تعالى اتقوا الله حق تقاته فانه صلى الله عليه وسلم لما فسر هذا بان يعبد الله فلا يعصى
ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر قالوا اينا يطيق ذلك فنزلت تلك مبينة لهم ان المطلوب
انما هو ما يقدرون عليه دون ما عداه ويصح ان تكون تلك مبينة للمراد من هذه فلا نسخ
وهو أولى فقد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص وانكسار (ف) كما
انه (قد يسقط الثمار) الكثيرة أو النفيسة (الاتاء) اى النخل الصغار اذا اخلصت ارضه
وزادريه وخصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك أنت قد تفوز بسبب ضعفك بالمعنى
السابق بما لم يفز به القوى الناظر الى قوته ونفسه ففى كلامه هنا وفيما مر تمثيل وتذييل
وهو من ارق فنون البلاغة والطف طرق البراعة وتفسير الاتاء بالنخل الصغار وقع فى
كلام الشارح ولم يبين ضبطها هو بفتح الهمزة أو كسرها ولا انه بالمثناة أو المثلثة ولم أر
فى القاموس هذا الذى ذكره الشارح وانما الذى فيه الاتاء بالفوقية ككتاب تفسيره
بما يخرج من الشجر والثمار وفى الاثاء كاناء بالمثلثة تفسيره بالحجارة والماشية وهذا يمكن
تنزيل كلام الناظم عليه اى ان النخلة اذا طالت وصعب عليك رقيها قد يمكنك ان تسقط
بعض ثمرها بضربة بحجر واعلم ان أفضل الاعمال واسرعها انتاجا واعظمها وسيلة هو
مزيد محبة نبينا صلى الله عليه وسلم فانها اسباب لكل خير دنيوى واخروى (و) حينئذ فعليك
ان تكون ممن امتلأ قلبه (بحب النبى) صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون
أحب اليه من ماله وأهله وولده والناس أجمعين ومر الكلام على ذلك قريبا بما ينبغى
مراجعته واذا حظيت بهذه المحبة (فابغ) أى اطلب (رضا الله فى حبه الرضا) من الله
تعالى المنعم بما ليس فى الحساب (والحباء) اى العطاء منه تعالى لجميع الخيرات الدنيوية
والاخروية كالتوفيق للاعمال الصالحة والفوز بالمقامات العلية فكن على رجاء من ذلك
اذا طلبته بمحبته صلى الله عليه وسلم فانها انم الوسيلة فاتبعونى يحببكم الله ثم عاد الى
الضراعة واظهار المسكنة والضعف وابداء التحسر والتحزن والاستغاثة بمن لا يخيب
المستغيثين به فقال مؤملا انه ببركة توسله به يتخلص من فرطات ذنوبه (يا نبى الهدى) اى
الدلالة على الله بالنسبة للكل ومنه وانك لتهدى الى صراط مستقيم والايصال اليه بالنسبة
للمؤمنين ومنه انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (استغاثة) بالرفع خبر
مبتدا محذوف اى مسؤلى وهى نداء من يخلص من شدة أو يخففها والنصب مفعول
مطلق اى استغيث بك استغاثة اى اناديك نداء (ملهوف) اى مضطر متحسر محتاج الى
من ينقذه مما يهلكه (اضرت بحاله الحوباء) اى مسكنة ذنوبه وضعف همته وذلك لانه

(يدعى الحب) لله ورسوله (وهو) اى والحال انه يصدر منه ما يكذب دعواه من مخالفتهما
لانه لايزال (يأمر) نفسه أو غيره (بالسوء) اى الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبئ عن عدم
المحبة كما هو واضح لمن تأمل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ولهذا أشار الى
تمنيه ان يصدق فى دعواه محبتهما فقال (ومن) استفهامية اى من الذى يتكفل (لى)
فيه التفات (ان تصدق) منى (الرغباء) اى للعزيمة المصممة فى الرجوع الى الله تعالى
بالتوبة والعمل الصالح وادعاء الحب مع ظهور ما يكذبه نقص أى نقص ومما يكذبه
أيضا دوام الغفلة عن محبوبه حتى انه لا يريانه ولا فى النوم ومن هذا حاله (اى حب يصح
منه) التفات (و) الحال ان (طرفى) التفات (للكرى) اى النوم (واصل) لا ينفك النوم
عنه فى وقته وليس هذا شأن المحب (وطيفك) اى خيالك (راء) اى محتجب عنى كما احتجب
الراء عن واصل بن عطاء الرجل المشهور لانه هجرها فلم يتكلم قط بكلمة فيها راء بل يرادفها
أو يقاربها خشية من ان يعير بلثغته بالراء فصار هجر الشئ المستمر يمثل عندهم بهجر
واصل للراء ففى النظم التورية لان واصلا بالنظر للكرى اسم فاعل وللراء اسم علم وتلميح
لانه أشار الى قصة واصل المشار اليها وفيه الاستفهام الانكارى اى كيف تصدق محبتى
وانا مواصل للكسل والنوم سلمنا ان مواصلة النوم لا تؤثر فى المحبة لانها أمر وجدانى
فكيف توجد مع عدم خطور خيال المحبوب بالضمير يقظة ولا فى حالة النوم وهذا ينافى
المحبة كما هو محسوس لاستلزامها ان طيف المحبوب لا يغيب عن مخيلة المحب نوما ولا
يقظة ثم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد مع ما قدمه فى ان فقد خطور الطيف
هل هو لذلك أو لغيره فقال (ليت شعرى) اى ليتنى علمت (أذاك) اى اعدم خطور طيفه
بقلبى (من) أجل (عظم ذنب) وقع منى وهو الظاهر (أم حظوظ المتيمين) اى المحبين
(حظاء) جمع حظوة بالكسر والضم وهى المكانة والقياس فى الجمع الضم والكسر كعروة
وعرى وبين حظوظ وحظاء الجناس المطلق اى انصباؤهم من المحبوب متفاوتة فبعضهم
يحظى بالقرب من غير كثير عمل وبعضهم لا يحظى به مع كثرة العمل (ان يكن عظم زلتى)
التى ارتكبتها (حجب رؤياك) اى رؤيا طيفك عنى فى النوم التى فقدتها (فقد عز داء قلبى
الدواء) اى قل بل عدم الدواء الذى يكون لمرض قلبى فلا يوجد له شفاء بوجه لانه لا يوجد
الا من جنابه صلى الله عليه وسلم فان فرض انه آخذ انسانا بعظيم ذنبه لم يكن لاحد غيره
ان ينقذه منه ثم هذا التردد فى وجوه المحبة الذى سبق انما هو لمزيد الخوف وان الانسان
على مدرجة ان يؤاخذ بذنبه وان كان محبا الا ان زوال محبته بل هى باقية ورجاؤه فى محبوبه
واسع وان كانت ذنوبه كثيرة فحينئذ (كيف يصدا) اى يسود (با) سبب (الذنب) الذى
ارتكبه ذلك المحب (قلب محب) لك (و) هى للحال (له) اى لقلبه متعلق بجلاء (ذكرك)
مضاف للمفعول اى ذكره لك بالصلاة والسلام عليك وسؤال الوسيلة وغيرهما مما يعود
عليه وعليك بزيادة القرب فان الخلق كلهم مفتقرون الى ذلك ويصح للفاعل اى ذكرك له

(قوله وأنا مواصل الكسل) هو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة فيه مع امكانه (قوله عظم ذنب) قال فى المختار عظم الشئ بوزن قفل أكثره ومعظمه (قوله عظم زلتى) اى ان يكن غاية عظم زلتى حجب الخ (قوله داء قلبى) اى الداء (قوله كيف يصدا بالذنب الخ) اعلم ان الناظم مع ربه بحسب تجلياته سبحانه عليه فلا يدوم على حالة فتارة يرى الذنوب فيتحسر على ما سلف منه من ارتكابها وتارة يرى النعمة فيشكر ولا يرى لنفسه قدرا

(الجميل) العائد على الذاكر بما لم يكن فى حسابه (جلاء) وما غلب على ظنه ما أشار الى التردد فيه بان فى قوله ان يكن الخ من ان سبب حجب الرؤيا عنه عظيم ذنبه صرخ كما يصرخ من وجد آخذ ماله أو قاتل أبيه بعد يأسه منه فقال (هذه علتى) التى قد أضنت جسمى وادهشت لبى لا غيرها (و) الحال انك (أنت طبيبى) العالم بها الماهر فى ازالتها فانك (ليس يخفى عليك فى القلب داء) وأنت لا أحد من الخلق أكرم ولا أعلم منك فعجل لى بدواء ذلك المحصل للشفاء من وصمة جميع ماهنالك فان شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا يخيب (و) انما رفعت اليك قصتى وشكوت اليك قلة حيلتى مما جنيت على نفسى لان (من الفوز) اى النجاة والظفر الملى بجميع المطلوبات الذى لا فوز أعظم منه (ان ابثك) من بث وابث نشر واظهر (شكوى) هى الاخبار عن النفس أو الغير بسوء فعله لكن هذه انما (هى شكوى) منى لنفسى (اليك) لا الى غيرك اى انشر واظهر بين يديك فى ضمن مدحى لك ما كاد ان يهلكنى من عظيم ذنوبى وقبيح عيوبى رجاء ان تمحنى بنظرة تزيل عنى كل وصمة وتوجب لى منك كل رحمة لان رجائى فيك واسع ومحبتى لك متزايدة (وهى) اى تلك الشكوى الواقعة فى ضمن ذلك المديح البديع (اقتضاء) اى طلب من كرمك الواسع وفيضك الهامع ان اتخلص من تلك الفرطات واتجو من بوائق سائر الورطات وان يحصل لى الشفاء من جميع الادواء فان جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤل ومرغوب لاسيما الخادم حضرتك الفانى فى محبتك كيف وقد (ضمنتها) بالبناء للمفعول اى تلك الشكوى لتقبل وتعود على بركة قبولها بما هو المقصود منها بالذات (مدائح) لجنابك بديعة جمع مدحة اى كلام متضمن للثناء الجميل الذى هو المدح المباين للحمد أو المرادف له أو الاعم منه أو الاخص منه أقوال مرت (مستطاب) بالرفع صفة مدائح الذى هو نائب الفاعل (فيك منها) اى من تلك الشكوى متعلقان بما قبلهما أو بعدهما ومن تبعيضية (المديح) لك (والاصغاء) من سامعها اليها لان أوصافك الكريمة زينتها فصارت بها فى غاية الكمال الذى يشنف الاسماع ويملأ عبيره أرجاء القلوب والبقاع ومن استطابة ذلك المديح ان الله تعالى يسره على فى هذه القصيدة البديعة ببركة الحبائى اليك اذ (قل ما) مصدرية (حاولت) تلك الشكوى (مديحك) اى لا برازه معنى فيه لم أسبق اليه أو أسلوب من أنواعه اللائقة بك والمطلوب فيها ان تجرى على اعلى سنن البلاغة وقانون البراعة (الا ساعدتنى اميم ودال وحاء) اى مسمى هذه الاسماء وهو مدح أيضا اى ما توقف على معنى أو نوع من تلك الانواع فوجهت همتى الى الاحسن منها الا وجدت الالفاظ الدالة على مدحك تبادرنى الى تأديته بغاية الالطاف وتساعدنى عليه بنهاية الاسعاف فتأتى قريحتى منه بما هو أبدع وأبلغ وكون ما مصدرية هو ما ذكره الشارح وعليه قال المعنى قلت محاولتى مديحك فى غير حال كونها مساعدة بهذه الحروف الثلاثة فانها لا تقل حينئذ بل تكثر اه ويلزم عليه وقوع الاستثناء المفرغ فى غير نفى

أو شبهه وهو النهي أو الاستفهام وهو ممنوع عند أكثر النحاة ومن جوزه في الموجب كقام الا زيد ردوا عليه بانه يلزمه الكذب اذ تقديره ثبوت القيام لجميع الناس الا زيد وهو غير جائز بخلاف النفي عنهم الا فردا فانه جائز فان قلت جوز المبرد التفريغ في موجب يلزمه نفي كلو ولولا نحو لولا القوم الا زيدا لاكرمتك وما هنا كذلك لان قل يلزمه نفي ما عدا القليل فهو نفي في الجملة قلت ما ذكره يرد بان التفريغ يدخل في الجملة الثانية التي هي الاولى وأما الجواب الذي هو منفي فخارج عما دخلت عليه الا على ان كون قل يفيد نفيا يشبه النفي الذي في التفريغ ممنوع واذا تقرر ذلك تعين تأويل النظم بان يقال فاعل قل محذوف دل عليه المذكور وان ما نافية والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال والتقدير قل ان يستصعب على ما اردته من مدحك لاني ما حاولته في حال من الاحوال الا ساعدني مدحك على أكمل ما ينبغي ولاجل هذه المساعدة المشتملة على ما أردته من أعلى أنواع البلاغة (حق) اى ثبت واستقر (لي فيك) اى في مدحك ما لم يكن في حسابي وهو (ان اساجل قوما) وهم الشعراء الذين مدحوك اى أفاخرهم فأقول ما صنعته خير مما صنعتموه وأبين لهم ذلك حتى يذعنوا لي في ذلك ويصير واقد (سامت منهم لدلوي الدلاء) وحينئذ أفوز منك بابلغ مما فازوا به وعبر بالدلو لان السجل هو الدلو العظيمة المملوءة مذكر وملء الدلو ومن هذا قولهم الحرب بينهم سجال ككتاب اى تصل منها على هؤلاء وأخرى على هؤلاء ذكره في القاموس وعليه فالمساجلة تطلق على تنازع المستقين على بئر بدلاء مختلفة ايريد كل منهم ان يظفر على دلوه قبل الآخرين شبههم المادحين في تنازعهم فيما يبرزونه وادعاء كل ان ما أبرزه خير مما أبرزه غيره فهي استعارة بالكناية واثبات المساجلة استعارة تخييلية وذكر الدلو ترشيح ثم أشار الى علة أخرى لتميزه عنهم وتسليمهم له ذلك فقال (ان لي غيرة) بالفتح على مديحك اى حمية توجب لي أن لا أحب ان غيري يسبقني اليه (و) الحال انه (قد زاحمتني في معاني) ألفاظ (مديحك الشعراء) وأرادوا ان يسبقوني فيه (و) الحال انه استحكم (اقابي فيك) اى في محبتك (الغلو) اى مجاوزة الحد الذي بلغ اليه أمثالي (وأنى) يكون (للساني في مدحك الغلواء) اى الاسراع والتقدم عليهم بما لا يصلون اليه لولا اسعافك وامدادك ونظرك لي بما يميزني عليهم فانى استفهامية بمعنى كيف نحو أنى يحيي هذه الله بعد موتها أو بمعنى من أين نحو أنى لك هذا وترد أيضا بمعنى متى أو حيث ويحتمل الكل نحو فأتوا حرثكم انى شئتم لكن الذي اختاره أبو حيان وغيره انها في الآية شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه لا استفهامية والا لاكتفت بما بعدها كما هو شأنها ان تكتفي بما بعدها اى يكون كلاما يحسن السكوت عليه اسما كان أو فعلا ويصح كسران اى واني فالياء اسمها لكن الاول ابلغ وأظهر كما لا يخفى (فـ) بسبب صدق محبتي وشدة غيرتي ومزاحمة اقراني لي مع ارادتهم التقدم على (اثب خاطرا) اى قريحة لي على هذا المدح البديع بان تمدها بما يفوق به جميع مزاحميها

ومسابقيها فانك أكرم من جازى محبيه وأجود من جاد على مادحيه وأنا من أصدقهم
محبة وأبلغهم مدحة كيف وقلبى (باذله مدحك) لذة تحمله على ان يبذل وسعه مع صدق
التوجه اليك وبلك فى اختراع مالم يسبق اليه ولا حام أحد قبله عليه (علما) اى لاجل علمه
(بانه) اى مدحك (اللا ْلاء) اى الفرح التام كذا فى القاموس وغيره فان كان الفرح
بالجيم فواضح أو بالحاء المهملة ففيه بعد ويصح انه من تلأْلاء البرق بمعنى لمع اى علما بان
مدحك يضىء قلوب المادحين لاسيما أبلغهم حتى يأتى فى مدحك بالمعانى البديعة
والاساليب العجيبة كما وقع لى فى هذا النظم لتميزه على غيره بامور منها انه (حاك) اى نسج
ذلك الخاطر فيه (من صنعة القريض) اى الشعر (برودا) جمع برد وهو نوع من أنواع
الثياب اليمانية فيه زينة (للثم تحك وشيها) اى نقشها بالالوان المختلفة (صنعاء) مدينة
باليمن مشهورة بجودة النسج والوشى شبه المعانى البديعة فى ادهاشها القلوب عند
سماعها بالابراد الموشية المدهشة للابصار عند رؤيتها وأثبت لها ما هو من لوازم المشبه
به وهو الوشى والحوك كما أثبت للمشبه به ما هو ملايم له وهو القريض ففيه استعارة
تصريحية مرشحة بذكر الوشى والحوك ومجردة بذكر القريض ومنها انه قد (أعجز الدر
نظمه) اى ان نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها فاق
الدر النفيس المنظوم الذى يدهش الفكر ويخطف البصر اضوئه وصفائه (فاستوت
فيه) اى فى العجز عنه (اليدان) اى القريحتان (الصناع) بفتح الصاد المهملة والنون
والعين المهملة اى الحاذقة الماهرة (والخرقاء) اى الغبية (ف) بسبب ما تميز به هذا النظم
عن غيره (ارضه) اى اقبله يا خير من أمله المادحون ورجاه العارفون وأكرم خلق الله
وأجودهم وتجاوز عما فيه وان كان فيه من الفصاحة مالا يدركه غيرك يا (أفصح امرئ
نطق الضاد) اى بها اى يا أفصح العرب العرباء وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم
أنا أفصح من نطق بالضاد الحديث وخصها لان غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها
والعرب وان أحسنوه لكنهم متفاوتون فيه وكلهم لم يصل منهم أحد الى الحد الذى كان
صلى الله عليه وسلم يصل اليه فى تأديتها وكان وجه هذا الاقتباس اظهار الناظم ان ما أتى
به وان بالغ فى بلاغته لا يتأهل الى حد مدحه صلى الله عليه وسلم لان فصاحته معجزة لغيره
فاذا بلاغة تؤدى ما يليق به فكانه يقول يا أفصح الفصحاء اقبل ما جئت به وان لم يشم أدنى
رائحة من روائح فصاحتك بل ولا وفى بما يليق بكمالك ويؤيد هذا قوله الآتى أبذكر
الآيات الخ (ف) بسبب اختصاص الضاد به اذ أو تعسر النطق بها على غير العرب وتعذر
نهايته على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد
(قامت) فاعله الظاء وأشار بقامت الى انها تسمى بالظاء القائمة حال كونها (تغار منها)
اى الضاد (الظاء) لكون الضاد تميزت عليها بتلك المرتبة العلية اى ارادت الظاء
فضلا عن غيرها ان يحصل لها مرتبة تضاهى تلك المرتبة فلم تحصل لها فغارت حينئذ ثم

(قوله أنا أفصح من نطق بالضاد) نقل الحافظ السيوطى فى كتابه الدرر المنتثرة فى الاحاديث المشتهرة عن الحافظ ابن كثير ان هذا الحديث المذكور لا أصل له فاحفظه ولا تغتر بسكوت الشارح عليه

طلبي من كرمك يا أكرم الخلق الرضا بهذه القصيدة ليس لكونها وفت بحقوقك الواجب استقصاؤها في مدحك بل للطامع في سعة حلمك وجودك (أبذكرى الآيات) في هذا النظم اى الخصائص والمعجزات التى علمناها الدالة على وصولك لما لم يصل اليه مخلوق (أوفيك مدحا) لا اذ لا يمكن ان يوفيك ذلك الا من أحاط بمقامك وأنى ذلك لغيرك مثلى (اين منى) الوفاء بذلك وأنا من جملة العاجزين المقصرين (واين منها الوفاء) بذلك وهى محصورة وكمالاته صلى الله عليه وسلم غير محصورة (أم) متصلة (امارى) اى أجادل (بهن) اى بذكرى لتلك الآيات (قوم نبى) اى المادحين لنبينا صلى الله عليه وسلم اى لم أذكر تلك الآيات بقصد ان أوفى بها حقه صلى الله عليه وسلم ولا بقصد ان أجادل بها أمتك ومن ظن بي واحدا منهما فهو غبى لا يفهم ولا يعقل شيأ او (ساء ما ظنه بى الاغبياء) لانهم لقلة فطنتهم يتجاسرون على الناس بما هم بريئون منه (ولك) استئناف أو عطف على محذوف اى لك الآيات التى لا تحصى ولك (الامة) الوسط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا اى خيارا عدولا لتكونوا شهداء على الناس (التى غبطتها) من الغبطة وهى كما مر وده الانسان ان له من الخير مثل غيره من غير سلبه عنه والحسد وده ذلك مع سلبه عنه (بك لما) اى حين (أتيتها) اى أرسلت اليها (الانبياء) فانهم وان كانوا من أمتك بنص واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية ومر الكلام عليها لكنهم ودوا ان يكونوا من اتباعك الذين بعثت فيهم ليفوزوا بغاية الفخر كما فاز بذلك أمتك الذين بعثت فيهم فاطاعوك فان قلت كان القياس غبطتك بها الانبياء لانها أفضل من أممهم بنص جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس اى ودوا ان يكون لهم مثلها كما صرح به موسى صلى الله عليه وسلم فيما يأتى قلت هذا وان كان هو القياس لكنه ارتكب فيه القلب الذى هو من أحد أنواع البديع خشية ان يتوهم من ذلك مدحه لنفسه لان مدح العام مدح لكل من افراده فتأمله ثم رأيت ما يدل للقياس المذكور وهو ما رواه أبو نعيم أيضا ان الله تعالى لما ذكر لموسى عليه الصلاة والسلام صفات هذه الامة قال يا رب فاجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها منها قال فاجعلنى من أمة ذلك النبى قال استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال واهل نظرك اليها (لم تخف بعدك الضلال) بما تركتها عليه من الشريعة الواضحة البيضاء التى لا يزيغ عنها الا هالك (و) الحال ان (فينا) اعلام الهدى وهم (وارثوا نور هديك) اى ما كنت عليه وأصحابك وهؤلاء هم (العلماء) الذين هم أهل السنة والجماعة وهم اتباع أبى الحسن الاشعرى وأبى منصور الماتريدى رضى الله تعالى عنهما وذلك كما أخبرتنا به بقولك فى الاحاديث الصحيحة لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك اى وهؤلاء هم أهل العلوم الشرعية والالهية من أهل السنة لان الناس مع وجودهم آمنون من كل محنة وضلالة

(قوله لغيرك) لعله لغير (قوله أجادل) اى أخاصم خصاما شديدا وما ذكره قبل من قوله حق لى فيك ان أساجل الخ ليس من قبيل الجدال كما لا يخفى بل من باب التحدث بنعمة الله عليه حيث أجرى على خاطره ولسانه مالم يصل اليه غيره من المادحين له صلى الله عليه وسلم

دينة وبقولك أيضا العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا
والعلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر صححه جماعة وفى رواية بزيادة تحبهم أهل السماء وتستغفر
لهم الحيتان فى البحر وفى أخرى وانما العالم من عمل بعلمه وفى أخرى أقرب الناس من
درجة النبوة أهل العلم والجهاد وفى أخرى كاد حملة القرآن ان يكونوا انبياء الا انهم
لا يوحى اليهم وفى أخرى من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى
اليه ورواية علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل لا اصل لها ولكن معناها صحيح لما تقرر ان
العلماء ورثة الانبياء وقوله تعالى وورث سليمان داود اى فى العلم والحكمة والنبوة
والرسالة ومنه فهب لى من لدنك وليا يرثنى للخبر الصحيح انا نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركناه فهو صدقة وأشار الناظم بما ذكره الى ان الله تعالى خص هذه الامة فى التوراة
بخصائص لم يؤتها لغيرهم تكرمة لنبيهم وزيادة فى شرفه صلى الله عليه وسلم منها كما فى
حديث أبى نعيم ان موسى عليه السلام لما رأى مدح هذه الامة فى التوراة قال يارب
أجد فى الالواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد ثم ذكر
ذلك مع أوصاف أخر وكرر جوابه كذلك قال يارب فاجعلنى من أمة محمد فقال ياموسى
انى اصطفيتك على الناس برسالاتى الآية فقال رضيت يارب وفى رواية انه سأل ربه هل
فى الامم أكرم عليك من أمتى فبين ان فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر أمم الانبياء
عليهم الصلاة والسلام كفضله تعالى على سائر خلقه ومنها ان أحدا لا يدخل الجنة قبلهم
ومنها الوضوء على الكيفية المخصوصة والتيمم واباحة الغنائم وان كل الارض تصح
صلاتهم فيها ويجوز جعلها مسجدا الا محل مسجد الضرار ومجموع الصلوات الخمس
والتأمين خلف الفاتحة كما صح به الخبر والركوع للخبر به رواه البزار والطبرانى ومن ثم
قال جمع مفسرون ان صلاة من قبلنا لا ركوع فيها وفسروا اركعوا بصلوا واركعى مع
الراكعين بصلى مع المصلين وان صفوفهم فى الصلاة كصفوف الملائكة رواه مسلم والجمعة
رواه البخارى وساعة الاجابة فى يومها ورمضان عند الجمهور والتشبيه فى الآية لمطلق
الصوم وخبر انه كتب على من قبلنا فى سنده مجهول ونظر الله اليهم أوله وتزيين الجنة فيه
وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك واستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا وعموم
المغفرة لهم آخر ليلة فيه رواه البيهقى بسند لا بأس به بلفظ أعطيت أمتى فى شهر رمضان
خمسا لم يعطهن نبى قبلى الحديث واستغفار الحيتان لهم حتى يفطروا رواه البزار
والسحور وتأخيره وتعجيل الفطر رواه الشيخان واباحة الطعام والجماع الى الفجر
والاسترجاع عند المصيبة قاله سعيد بن جبير ورفع اثقال التكليفات التى كانت على من
قبلهم كحتم القصاص حتى فى الخطا وقطع الاعضاء الخاطئة وموضع النجاسة وقتل
النفس فى التوبة والمؤاخذة بالخطا والنسيان وما استكرهوا عليه كما صح به الخبر وان
الله لم يجعل عليهم فى دينهم من حرج وان الاسلام وصف خاص بهم عند جماعة لكن الذى

(قوله انا نحن) تقدم ان الرواية انا معاشر بدون نحن وان رواية نحن بدون انا فرواه بالمعنى وظاهر كلامه هنا وجود رواية فيها ذكر الضميرين فحرر (قوله سائر الانبياء) اى أمم الانبياء

قول المحشى قوله سائر الانبياء والا لعل هذا فى نسخة وقعت له والا فالنسخ التى بأيدينا سائر أمم الانبياء

(قوله اقطابا) جمع قطب وهو أخص هؤلاء الطوائف ولم يرد فيه شئ في السنة وانما ورد فيه بعض آثار (قوله وأوتادا) هم أربعة يحفظ الله بهم العالم الكل وتقدم من الار بعة ركن من أركان البيت وهم أخص من الابدال (قوله وابدالا كما في أحاديث في الابدال) منها قوله صلى الله عليه وسلم الابدال في هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا وو ردانهم بالشام وو رد انهم أربعون رجلا وأربعون امرأة وجمع بان حديث الثلاثين ان كان على قلب ابراهيم كما ذكر فيه والعشرة الزائدة مع النساء الاربعين قلوبهم على قلب غيره من الانبياء وانما سموا ابدالا لابدال الله مكان من مات منهم غيره روى الحكيم الترمذي ان الارض شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى سوف أجعل على ظهرك أربعين صديقا كلما مات منهم رجل أبدلت مكانه رجلا وقيل انما سموا ابدالا لتبدل سيئاتهم حسنات وهذا المعنى يشمل غير الابدال بالمعنى الخاص المقتضي حصرهم في العدد السابق ولذا قال العارف المرسي جلت في الملكوت فرأيت أبا مدين معلقا بساق العرش فقلت ما مقامك قال رأس الابدال قلت فالشاذلي قال ذاك بحر لا يحاط به وقال المرسي كنت جالسا بين يدي استاذي الشاذلي فدخل جماعة فقال هؤلاء الابدال فنظرت ببصري فلم أرهم ابدالا فتحيرت فقال الشيخ من بدلت سيئاته حسنات فهو بدل فعلمت انه أول مراتب البداية ومن علامات البدل انه لا يولد له واذا رحل عن موضع جعل موضعه حقيقة روحانية فاذا جاء موضعه أحد تجسدت له تلك الحقيقة الروحانية فكلمته وكلها وهو غائب عنهم قال في الفتوحات قوله في الخبر على قلب ابراهيم وقوله في خبر آخر على قلب آدم معناه انه يتقلب في المعارف الالهية بتقلب ذلك النبي اذ واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من رسول أو ملك يرد على قلب الولي الذي هو على قلبه وربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان ومعناه ماذكر وذكروا ان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يكن أحد على قلبه من الاولياء لانه لم يخلق الله قلبا مثل قلبه فقلوب الانبياء والمرسلين والملائكة بالنسبة الى قلبه كسائر الكواكب بالنسبة الى الشمس قال العارف النووي رضي الله عنه شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا أشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة اهـ وقد سبق ان البدلاء بالشام وذلك مروي عن علي بن أبي طالب وروي عنه ان النجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان والخضر عليه الصلاة والسلام سيد القوم وعن الخضر ان النجباء سبعون وان النقباء عشرة وان العرفاء سبعة وان الاوتاد أربعون وتقدم نقلا عن بعضهم انهم أربعة وما ذكرناه ان نبينا لم يكن أحد من الاولياء على قلبه ولا على قدمه لما سبق منقول عن روض الرياحين لليافعي لكن رأيت في مناقب سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه لبعض المحققين ان قلب هذا القطب وقدمه على قلب وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث نقل عنه انه قال أنا على قدم جدي رسول الله ما رفع قدما الا وضعت قدمي في الموضع الذي رفع قدمه منه الا أن يكون قدما من أقدام النبوة فانه لا سبيل الى ان يناله غير نبي اهـ ويمكن الجمع بان ما قاله القطب الجيلاني



اعتقده ابن الصلاح وغيره خلافه وان شريعتهم أكمل من سائر الشرائع كما ان نبيهم صلى الله عليه وسلم أكمل الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد كان لموسى وشريعته من الجلال الصرف ضد ما كان لعيسى وشريعته من كل وجه وشريعتنا اعتدل فيها الامران فسلمت من شدة تلك ولين هذه واعتدلت في جميع جزئياتها ومن ثم وهب الله لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير أمة أخرجت للناس واعطاهم مرتبة الشهادة على من سبقهم في القيامة فاقامهم مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الشهادة عليهم وكمل لهم من المحاسن ما فرقه في الامم كما كمل لنبيهم عليه الصلاة والسلام ما فرقه في الانبياء ولكتابهم ما فرقه في الكتب وانهم لا يجتمعون على ضلالة كما في الحديث المشهور واسانيده كثيرة وشواهده متعددة من المرفوع وغيره وان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة وفي حديث ضعيف منقطع اختلاف أصحابي لكم رحمة وفي رواية اقتضى كلام الخطابي ان لها أصلا عنده وبه رد زعم كثيرين من الائمة انه لا اصل لها اختلاف امتي رحمة للناس وان الطاعون شهادة لهم وعذاب على غيرهم لخبر به رجاله ثقات وانهم حفظوا آثار رسولهم على قوانين علم الحديث بما لم يوجد نظيره في امة وان منهم اقطابا واوتادا

ونقباء ونجباء وابدالا كما جاء في احاديث في الابدال ونحوهم وانهم يخرجون من قبورهم
بلا ذنوب لاستغفار المؤمنين لهم رواه الطبراني وغيره وانهم اول من تنشق عنهم الارض
رواه ابو نعيم ويعرفون يوم القيامة بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء رواه البخاري اى
ينادون بهذا الوصف ويكونون بهذه الصورة ويكونون مع نبيهم على كوم مشرف في
الموقف يغبطهم فيه جميع الامم رواه جماعة ويعرفون ايضا بسيما السجود في وجوههم
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو بياض شديد وقال شهر بن حوشب نور كالقمر
ليلة البدر قال تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود الآية وقيل هذا في الدنيا وعليه
قال ابن عباس السمت الحسن او سمت الاسلام وخشوعه وقيل الصفرة في الوجه من أثر
السهر ويؤتون كتبهم بايمانهم رواه احمد وغيره ويسعى نورهم بين ايديهم كما صح به الخبر
ويصل لهم ما سعى لهم من صوم وحج وصدقة ودعاء وقراءة بل وكل عبادة عند كثيرين وآية
وأن ليس للانسان الا ما سعى منسوخة او في حق الكافر ويدخل منهم الجنة سبعون الفا
بغير حساب رواه الشيخان زاد الطبراني والبيهقي مع كل واحد منهم سبعون الفا
(ف) بسبب ان في هذه الامة واوتي هديك المخصوصين بهذه الخصائص التي لم توجد لغيرهم
من الامم (انقضت آي الانبياء) اى معجزاتهم لانتساخ شرائعهم بموتهم وان من كان من
بعد موسى الى عيسى انما هو مرسل بكتاب موسى (وآياتك) اى معجزاتك (في الناس)
قبل وجودك ومعه وبعد وفاتك (ما لهن انقضاء) فيه العكس نحو ولاهن حل لهم ولا هم
يحلون لهن ورد العجز على الصدر اما الاولان فقد مر منهما جملة منها ما في كتب الله تعالى
من ذكره ونعته ونحو وجه بارض العرب وما جرى بين يدي ايام مولده ومبعثه من الامور
العجيبة الموهنة للكفر ولاهله والمؤيدة لشأن العرب كقصة الفيل وعقاب اهله وخمود
نار فارس وسقوط شرافات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وخمود نارهم وما سمع
من الهواتف الصارخة به صلى الله عليه وسلم وباوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة
لولادته صلى الله عليه وسلم وتظليل الغمام له في سفره الى غير ذلك مما ورد في الاخبار الى
بعثته صلى الله عليه وسلم مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته عليه الصلاة والسلام
واما الاخير فكثير جدا اذ في كل حين يقع لخواص امته من خوارق العادات بسببه
مما يدل على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى كما قال (والكرامات) الواقعة (منهم) اى
الناس (معجزات) اذ كل منهما امر خارق للعادة وانما يفترقان بالتحدي وعدمه لكنها
في الحقيقة معجزات لك (حازها من نوالك) اى عطائك وكرمك (الاولياء) لو كان القياس
حازوها لكنه اظهر ليبين ان مراده بهم العائد على الناس خواصهم وهم الاولياء جمع
ولي فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج عن امرهما
ونهيهما الى ما يغضبهما او مفعول لان الله تعالى والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد
امداده وكرمه وضابط الولي انه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصي المعرض

= في غير ما تميز به رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الخلق من
العلوم والاسرار فانه لم يصل أحد
لجميع ما وصل اليه لا نبي مرسل
ولا ملك مقرب وكلام اليافعي
على ذلك (قوله اى معجزاتك)
المراد بها مطلق الخوارق أعم
من أن تكون معجزة حقيقة
أو ارهاصا او تأسيسا أو كرامة
(قوله قبل وجودك وبعد وفاتك)
فان الموجود حينئذ من الخوارق
لا يسمى معجزة حقيقة لعدم القرن
بالتحدي وسيشير لذلك بقوله مما
هو تأسيس (قوله فيه العكس)
وهو ان يقدم في الكلام جزء ثم
يؤخر وهو في البيت انقضت
وانقضاء وان كان أحدهما مثبتا
والآخر منفيا وان اختلفا
صورة فان الاول فعل والثاني
مصدر فلا يجب ان يكون نظير
الآية وهذا يقال له العكس
اللفظي ولهم عكس معنوي وهو
ان يأتي شاعر بمعنى ويأتي آخر
بعكسه كقوله

قد يدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

فعكس ذلك المعنى آخر فقال

وربما فات بعض القوم أمرهم
مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

عن الانهماك فى اللذات كذا قالوه ويتجه ان هذا ضابط للولى الكامل وان أصل الولاية يحصل لمن وجدت فيه صفات العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقهاء * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم المتكررة الدائمة أيضا ما يقع للمتوسلين به من خوارق العادات بسببه مما لا يحصى أيضا هذا كله مع قطع النظر الى القرآن الكريم اما بالنظر اليه وانه معجزته الكبرى ففيه من المعجزات المتكررة بتكرر الازمنة ما لا يحصى أيضا واعلم انه صلى الله عليه وسلم كما فضله الله فى البدء بان جعله أول الانبياء خلقا واجابة يوم ألست بربكم جعله أول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع وأول ناظر الى ربه وأول نبى يقضى بين أمته وأولهم اجازة بامته على الصراط وداخلا الجنة وهم أول الامم دخولا اليها وزاده من لطائف التحف ونفائس الطرف ما لا يحد كبعضه را كبا وتخصيصه بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى فى فصل القضاء وبلواء الحمد الذى تحته آدم فمن دونه وبالسجود أمام العرش ويفتح عليه حينئذ بما لا يفتحه عليه ولا على أحد قبله ولا يفتح أيضا على أحد بعده والنداء يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع وقيامه صلى الله عليه وسلم عن يمين العرش الذى لم يقمه مخلوق يغبطه فيه الاولون والآخرون وشهادته للانبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم * (تنبيه) * علم مما تقرر ان الكرامة ظهور أمر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة على يد من عرفت ديانته واشتهرت ولايته باتباع نبيه فيما جاء به والا فهى استدراج أو سحر أو اذلال كما وقع لمسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى انه جاءه أعور يدعو له فدعا له فعميت الصحيحة أيضا وتسمى اهانة وقد يظهر الخارق على يد عامى تخليصا له من فتنة ويسمى معونة وانكر جماعة محرومون كاكثر المعتزلة وان وافقهم بعض منا لكن يتعين تأويل كلامه لان جلالته تأبى ان ترضى بهذا الزيف الذى انتحلوه جواز الكرامة ووقوعها وعليه قيل يمتنع كونها بقصد واختيار لادائهما الى السقوط عن مرتبة الولاية وقيل يمتنع كونها من جنس معجزة نبى والا لالتبست بالمعجزة وردهما الفخر الرازى رحمه الله تعالى بان المرضى تجويز جملة على خوارق العادات فى معرض الكرامات والمميز لها عن المعجزة انما هو ادعاء النبوة وكأنه لم يرض قول جماعة منهم القشيرى لا تنتهى الى احياء ميت ولا الى وجود ولد من غير أب ومن ثم رد بعمومه قولهم ما جاز ان يكون معجزة لنبى جاز ان يكون كرامة لولى وليس من شرط المعجزة غير القرآن اذ لا يمكن نظيرها بل ان يعجز المعارضون عن نظيرها ومن أدلة الجواز ان الوقوع ممكن كالمعجزة وقدرة الله تعالى شاملة لها ولا بدع ان الملك يصدق رسوله بخرق بعض العادات ثم يفعل مثل ذلك بعض اتباعه اكراما له ومن أدلة الوقوع النص القاطع بما وقع لمريم كلما دخل عليها زكريا المحراب الآية وفى ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام ولاصحاب الكهف ولوزير سليمان عليه الصلاة والسلام فى عرش بلقيس ونظائر ذلك وزعم انها ارهاص باطل على ان المعتزلة لا يقولون به سلمنا هو لا يمنع

(قوله وبالسجود الخ) اى لانه باق على وضوء غسل الموت كما قاله الجلال البلقينى أو يقال ليست تلك الدار دار تكليف فلا يتوقف السجود على وضوء وفى مسند الامام أحمد ان زمن هذه السجدة قدر جمعة من جمع الدنيا

تسمية ذلك كرامة على يد من ظهرت عليه والتواتر المعنوى وان كانت التفاصيل آحادا
فى كرامات الصحابة لاسيما ماوقع لعمر وعلى رضى الله تعالى عنهما وتابعيهم ومن بعدهم
الى زمننا بل ظهورها يكاد يلحق بظهور معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا عجب
من انكار المبتدعة ذلك فانهم حرموا من مشاهدة شئ منها من أنفسهم ومشايخهم وكثرة
ظهورها لايخرجها عن كونها خارقة خلافا لمن زعمه لانه يلزمه ذلك فى المعجزة على ان
الكثرة فيها بالاتفاق قلتها بالنسبة للعادة المستمرة وظهور الخارق على يد غير الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لايخل بقدرهم بل يزيد فى جلالة أقدارهم والرغبة فى اتباعهم حيث نالت
أممهم واتباعهم مثل هذه الدرجة ببركة الاقتداء بشريعتهم والاستقامة على طريقتهم
وعلم ان الخارق لايسمى كرامة الا ان ظهر على يد من هو بعلم ان الكرامة لاتشتبه
بالسحر أصلا لانا ننظر لحال من ظهر الخارق على يديه فان توفرت فيه شروط الولاية فذلك
الخارق كرامة فى حقه والا فهو سحر أو غيره مما مر وزعم ان الساحر لايمكن ان يقلب عينا
كآدمى حمارا ولا يقلب طبيعة بخلاف الولى ليس فى محله بل الخلاف فيهما واحد قال جمع
يستحيل عليهما ذلك وجمع يجوز فى حقهما ذلك وهو الاصح واما قوله تعالى فلا يظهر على
غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول الآية فالاستثناء فيه منقطع بدليل فانه يسلك الخ
بل يعينه أن غيبه مفرد مضاف فهو للعموم واستغراق النفى فى هذا الكل فرد فرد من
المخلوقين اذ مدلول العام كلية لا كلى ولا كل خلافا لمن وهم فيه فجعل الآية عليه باق على
حقيقته اذ الغيوب كلها لم يطلع الله عليها أحدا من خلقه وانما غايته من أطلعه منهم أنه
أطلعه على جزئيات مخصوصة وبتقدير انه متصل وان المراد انه لايظهر على بعض غيبه الا
الرسول فلا حجة لهم فيه لان القطع الضرورى بوقوع الكرامات للانبياء عليهم الصلاة
والسلام والاولياء يعين ان المراد من الآية غيب مخصوص اى لايظهر على ذلك الغيب
المخصوص الا من ارتضى من رسله واما البقية من الرسل والانبياء والاولياء فلا يظهرهم
على ذلك المخصوص بل على غيره واعلم ان من الكفر الصراح ما حكى عن بعض الكرامية
ان الولى غير النبى قد يبلغ درجة النبوة وعن بعض المتصوفة الجهلة ان الولاية فوق
رتبة النبوة وان الولى قد يبلغ حالة يسقط عنه فيها التكليف قال الغزالى رحمه الله تعالى
وقتل الواحد من هؤلاء خير من قتل مائة كافر لان ضرر أولئك فى الدين أشد وليس من
أولئك العارفان العالمان المحققان الوليان الكبيران المحيوى ابن العربى والسراج بن
الفارض واتباعهما بحق خلافا لمن زل فيهم قدمه وطغى قلمه الا ان يكون أراد بما قاله
الذب عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادرة عند من لايحيط باصطلاحهم (ان) تأكيد
لقوله ماهن انقضاء (من معجزاتك) الباهرة (العجز) من سائر الناس (عن وصفك) مفرد
مضاف فهو للعموم اى عن الاحاطة بكل فرد فرد من أوصافك التى اختصك الله بها (اذ
لايحده) اى الوصف المذكور (الاحصاء) اى العد (كيف يستوعب الكلام) الصادر

(قوله الكرامية) بفتح الكاف وتخفيف الراء نسبة الى محمد بن كرام على زنة قطام (قوله وعن بعض المتصوفة) اى الناسبين أنفسهم للتصوف وليسوا من أهله فانه لم يقع لاحد من أهله انهم نصبوا خلافا بين مطلق النبوة والرسالة وان نصبوه بين ولاية الرسول ورسالته فقال المحقق ابن العربى فى فتوحاته ان ولايته أكمل من رسالته لشرف المتعلق فان ولايته متعلقة بالله وحده ورسالته متعلقة بالخلق (قوله وليس من أولئك الخ) أشار بذلك الرد على ابن تيمية حيث جعلهما منهم حاشاهما وبئس من نسبهما الى ادنى ضلالة رضى الله عنهما ونفعنا بهما

من واصفيك (سجاياك) أى مافيك من الاخلاق الكريمة والفضائل والاوصاف البالغة أقصى مايمكن البشر الرقى اليه وهى لاحد لها باعتبار أنك لا تزال تترقى فى مراتب القرب فى الحياة وبعد الممات وفى الموقف وفى الجنة الى مالانهاية له ولا انقضاء (وهل تنزح البحار) المشبهة أوصافك بها فى ان بتلك قيام الوجود الحسى وبهذه قيام الوجود المعنوى لما انه صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة الاكبر عن الله تعالى فى امداده (الركام) المشبهة بها الالفاظ فى ان كلا يتوصل به الى حيازة بعض المطلوب دون انتهائه وهذا تذييل مبين لما اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين المرشح لهما بذكر التنزح اذ أوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من أول الزمان الخ لا تحد ولا تحصى ومما يزيد ذلك بيانا وايضاحا أنه (ليس من غاية لوصفك) اى أوصافك توجد حتى انى (ابغيها) اى أطلبها (وللقول) اى منى (غاية) لما تقرر أن ذلك الترقى لانهاية له اذ لا مطمع فى الاطلاع عليه وبفرضه لا تحده العبارة بخلاف القول منه فانه محدود متناه وبهذا أعنى قولى منى أولا ومنه ثانيا مع ماتقرر يندفع ماأشار اليه الشارح من الاشكال فى ذلك (وانتهاء) تأكيد والفرق بين الغاية والنهاية اعتبارى ومما يزيده بيانا وايضاحا أيضا أن نقول (انما فضائلك) اى فضائلك (الزمان) اى يشبهه من حيث الاجمال فيهما وأما بالنسبة الى التفصيل فجزئيات كل كجزئيات الآخر (وآياتك) اى معجزاتك وخصائصك (فيما نعده) ونحسبه (الاناء) جمع انى كمعى وامعاء كذا ذكره الشارح والذى فى القاموس والانى ويكسر والانو بالكسر الوقت والساعة من الليل أو ساعة ما منه والانى كالى وعلى كل المراد هنا مطلق الساعات واللحظات فكما ان هذه لا تحد فكذلك تلك هذا * ولا تظن أنى باطالتى فى هذه القصيدة معددا أوصافه صلى الله عليه وسلم أخالف ماقدمته أنها لا تعد لانى (لم أطل فى تعداد مدحك) فيها (نطقى و) الحال انى (مرادى بذلك استقصاء) اى حصر لاوصافك وانما مرادى بذلك برد الغليل وشفاء العليل كما أفاده قوله المشتمل على اداة الاستثناء الذى هو منقطع هنا (غير أنى) لم أرد الحصر لكنى (ظمآن وجد) اى بى من شدة شوقى لسماع تلك الاوصاف غاية الظما والتعطش للارتواء من سماعها (وما) اى ليس يحصل (لى بقليل من) الماء الذى أشربه حال (الورود) منه (ارتواء) بمابى من العطش فاطالتى فى التعداد طلب مزيد الارتواء من سماع تلك الاوصاف لا لطلب حصر لتعذره وفى كلامه استعارة مصرحة لانه شبه شغفه بتلك الآيات وذكر أفضل الصفات بظماء شديد لا يرويه الا الماء الكثير ورشح لذلك بذكر الورود والارتواء (ف) بسبب حصول الارتواء لى من تلك الاطالة اختم بما هو المتعين من الدعاء لك بالصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فاقول (سلام) عظيم شريف اى سلامة من كل آفة ونقص كائنة (عليك تترى) اى يتكرر ويتبع بعضه بعضا دائما وفى القاموس ترى يترى كرمى تراخى وأترى عمل أعمالا متواترة بين كل

(قوله فانه محدود الخ) اى لانه مركب من الحروف المتناهية والمركب من المتناهى متناه والمتناهى لا يحصر غير المتناهى (قوله ماأشار اليه الشارح) عبارة الشارح رحمه الله تعالى ثم ذكر شيأ من معجزاته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو عجز الواصفين عن استيعاب مافيه من الفضائل والفواضل اذ هى لسعة الامداد لا يحصرها الضبط بالاعداد ثم استدل على ذلك بانها لا تتناهى لانها فضل من الله ومواهب وفضله ومواهبه لاغاية لها ولا انتهاء والقول متناه لانه مركب من الحروف المتناهية فهو متناه والمتناهى لا يحصر غير المتناهى وفى هذا الدليل كلام ليس هذا موضع ذكره اه فتأمله مع ماذكره الشارح (قوله مصرحة) اى وتبعية لجريانها فى المشتق وهو ظمآن بعد جريانها فى المصدر وهو الظمأ (قوله اى سلامة الخ) هذا بيان لاصل معنى السلام والمراد هنا زيادة التعظيم لان سلامته مما ذكر حاصلة له فلا معنى لطلبها ولا سيما بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم فى دار البقاء تأمل

عما بن فترة اه وقد يشكل على استعمال الناظم تترى هنا مرادا به ماذكر الا أن يجاب بانه أراد أصل المعنى وهو مطلق التتابع من غير اعتبار تراخ ولا فترة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ عن المعنى اللغوى الى ما هو أخص أو أعم منه للضرورة مع الاستغناء بفهم ذلك الخصوص أو العموم منه من قرينة المقام والسياق فتأمله (من الله وتبقى به) أى بسببه على عمر الازمنة الى فنائها وما بعد ذلك مما لا منتهى لا آخره (لك البأواء) أى الفخر لان تسليم أمتك عليك مع التكرار والدوام زيادة فى شرفك وفخرك (و) انما ذكرت سلام الله عليك ابتداء مبادرة الى أشرفيته وسلامك ثانيا لانك فى الحقيقة لا يكافئك من سلام الخلق غير سلامك على نفسك فحينئذ (سلام عليك منك فما) اى ليس (غيرك) من المخلوقين (منه) متعلق بالسلام (لك) متعلق بكفاء ولك بمعنى عليك (السلام كفاء) اى مكافئ لحضرتك من المكافأة وهى المساواة اذ كيف يساويك سلام من هو دونك ولم يحط بفضائلك ومع ذلك لا يطلب من غيرك عدم السلام عليك بل يطلب من كل أحد السلام عليك وان لم يكافئك سلامه فمن ثم قال (وسلام) عليك (من كل ما خلق الله) من كل ناطق وجامد وفى نسخة من خلق فالاولى غلبت غير العاقل لكثرته والثانية غلبت العاقل لشرفه على حد ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض وانما جمعت بهذا العموم (لتحيا بذكرك الاملاء) جمع ملا وهو الجماعة وبالغ الناظم حيث طلب السلام عليه صلى الله عليه وسلم من ربه ثم من نفسه ثم من سائر المخلوقات ليجتمع له صلى الله عليه وسلم سائر وجوه السلامة فيه وفى شريعته وأمته وجميع آثاره ولاجل هذا العموم الذى يوجد فى السلام دون الصلاة خصه بالذكر وقد ذكروا كما ذكرته فى كتابى الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم الذى لم يصنف فى هذا الباب مثله فى ايثار الزائر للسلام وتكريره دون الصلاة ما يؤخذ منه ما ذكرته فتأمله (وصلاة) وهى من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم اى من الله تعالى ومنك ومن كل مخلوق نظير ما مر فى السلام (كالمسك) فى الطيب والنفع البالغ (تحمله) اى ذلك المسك الذى هو عين صلاتى (منى شمال) وهى التى تهب من جهة القطب الى المغرب (اليك) حتى يتعطر الوجود بعبيره وتحيا الارواح بنشره ومسيره (أو نكباء) وهى الصبا وتهب من سهيل الى القطب والجنوب وتسمى الازيب وهى التى تهب من سهيل الى المغرب والدبور وهى التى تهب من المغرب سميت بذلك لانها تهب من ظهر الكعبة والحاصل ان الريح ان هبت من تجاه الكعبة فالصبا وهى حارة يابسة أو من ورائها فالدبور وهى باردة رطبة أو من يمينها فالجنوب وهى حارة رطبة أو من شمالها فالشمال وهى باردة يابسة وهى ريح الجنة التى تهب عليهم رواه مسلم ولهذه الخصوصية للشمال بدأ بها الناظم * (تنبيه) * تفسير النكباء بما ذكر وقع فى كلام بعضهم وعبارة القاموس والنكباء ريح انحرفت ووقعت بين ريحين وهو بسط عبارته فى ذلك فى شرح قول الناظم فكأن الصبا لديك الرخاء وعبارة كفاية المتحفظ الرياح أربع

(قوله وسلام عليك منك) اى أطلب من الله ان يجرى على لسانك سلاما عليك لا تقابلك (قوله ولاجل هذا العموم الخ) فيه ان الصلاة تكون ممن ذكر أيضا نعم يظهر توجيه التخصيص بانه قد يطلب تقديمه على الصلاة عند القدوم على قبره الشريف للزيارة فانه حينئذ أفضل من الصلاة كما سبق (قوله خصه بالذكر) كان الاولى قدمه على الصلاة والا فهو لم يخصه بذلك بل قرنه مع الصلاة (قوله هو عين صلاتى) تأمله فان المشبه غير المشبه به نعم قالوا فى الاستعارة ان المشبه عين المشبه به ادعاء

الصبا والدبور والشمال والجنوب فالصبا هي الريح الشرقية ويقال لها القبول وهي تهب
من مشرق الاستواء وهو مطلع الشمس في زمن الاعتدال والدبور تقابلها وهي الغربية
لأنها تهب من مغرب الشمس والشمال وهي الريح الشآمية وتسمى الجربياء وهي
تهب من ناحية القطب والجنوب وهي الريح اليمانية وتسمى النعامى والازيب وهي
تهب من ناحية سهيل وكل ريح انحرفت عن مهاب هذه الرياح الاربع ووقعت بين
ريحين منها فهي نكباء وجمعها نكب اهـ المقصود منه وبه يعلم ما في تفسير النكباء
بالصبا وهو وان صح تجوزا لكن لا حاجة اليه مع ايهامه انه وضع حقيقي لها (وسلام على
ضريحك) اى قبرك المكرم وهو أفضل حتى من الكعبة بل ومن العرش ولكون المراد
من الضريح هنا البقعة التي ضمت أعضاءه الشريفة لم يكن في افراده السلام هنا كراهة
لانه عين السلام عليه الذي ضم اليه الصلاة فيما مر (تخضل) بمعجمتين اى تبتل (به منه) اى
القبر المكرم (تربة وعساء) اى لينة ذات رمل شبه السلام بالماء الكثير الطيب البارد
البالغ في النفع فهو استعارة مصرحة وخيل له بذكر تخضل (وثناء) في هذه القصيدة
(قدمته) ه (بين يدى نجواى) اى سؤالى منك بلوغ المأمول الواقع في هذه القصيدة بقولى
جد لعاص الخ وفي غيرها (اذ) اى لاجل أني (لم يكن لدى) اى عندى (ثراء) بالمثلثة اى
مال أتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة اذ
الامر فيها كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو أأشفقتم الآية وجاء انه لم يعمل بها قبل
النسخ من تقديم الصدقة بين يدى النجوى غير على كرم الله وجهه ورضي عنه ولا يلزم من
نسخ الوجوب نسخ الندب ولذا يسن لمن يريد زيارته صلى الله عليه وسلم ان يقدم بين يدى
زيارته صلى الله عليه وسلم صدقة والناظم رحمه الله تعالى ظاهر كلامه أنه كان يعتقد بقاء
الندب فاعتذر انه لا مال له يتصدق به بين يدى سؤاله وانه جعل حسن توسله وثنائه بدل
المال الذي يتصدق به * (تنبيه) * تفسيرى لدى بعندى لانهما مثلها في أكثر أحكامها
من كونها ظرف مكان تستعمل في الحضور والقرب الحسيين والمعنويين نحو عند مليك
مقتدر عند ربهم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه ان رحمتي سبقت غضبي ولا
تستعمل الا ظرفا وغير ذلك فلا ينافي ذلك انها قد تفارقها في كثرة جر عند بمن خاصة
وامتناع جر لدى مطلقا وفي أن عند تكون ظرفا للاعيان والمعاني وتستعمل في الحاضر
والغائب بخلاف لدى فيهما وتفارق عند ولدى لدن في أن ذينك يصلحان في ابتداء غاية
وغيرها ويكونان فضلة نحو وعندنا كتاب حفيظ ولدينا كتاب ينطق بالحق ولدينا مزيد
ونحوه ويعربان بخلافها فهي في لغة الاكثرين وجر لدن أكثر من نصبها وقد لا تضاف وقد
تضاف للجملة بخلافهما قال الراغب لدن أخص من عند وأبلغ لانها تدل على ابتداء
الفعل (ما) مصدرية ظرفية (اقام الصلاة) اللغوية أو الشرعية (من عبد الله) وأبدى هذا
مع انقطاعه استغناء عنه بما بعده على انا لا نسلم انقطاعه لان أهل الجنة يدعون ويتعبدون

(قوله مصرحة) لعله مكنية
لذكر المشبه وحذف المشبه به
ولذا قال وخيل اذ التخييلية انما
هي للمكنية تأمل (قوله مع
انقطاعه الخ) اى ان خصصناه
بغير أهل الجنة والا فلا انقطاع
كما سبق له قريبا وهذا آخر
ما منّ به الملك الوهاب واليه
سبحانه وتعالى المرجع والمآب
نسأله من فضله ان يجعلها هداية
نافعة لكل قلب منيب كاشفة
ظلمات الاوهام عن كل صب
مصيب والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على خاتم
المرسلين حقيقة الصلوات
وروح الكلمات محمد جامع
الاجمال الذاتي القرآني حاوي
التفصيل الصفاتي الفرقاني
وعلى آله وأصحابه وازواجه
واحبابه * قال جامعها حفظه
الله وكان الفراغ من تعليقها يوم
الاربعاء غرة شهر شعبان سنة
سبعين ومائة والف من هجرة
اشرف المرسلين عليه افضل
الصلاة والسلام وأسأل الله
من فضله حسن الختام ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

كما علم من أحاديث اقرأ وارق وغيرها لكن للتلذذ لا للتكليف ولا يضر في ذلك التأبيد انقطاعه مدة يسيرة للخبر الصحيح لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله الله ولا ينافيه الخبر الصحيح أيضا لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم الى أن تقوم الساعة لان المراد قرب قيامها لما جاء أن الله قبيلها يرسل ريحا لينة فلا تمر على مؤمن ولا مؤمنة الا مات ثم تمحض الكفرة فلا يبقى على وجه الارض مؤمن ثم تقوم الساعة (و) ما (قامت) اى بقيت على أبلغ نظام واتقن احكام (بربها) اى بايجاده وامداده (الاشياء) اى الموجودات في الدنيا والآخرة وأبدها بالاول مع انقطاعه بفناء هذه الدار الماضي وللتبرك بذكر المتعبدين آخر كلامه وبالثاني الذي لا ينقطع لدوام نعيم الجنة وعذاب النار ليجمع بين شرف الاول ودوام الثاني مع الاشارة بالختم بذكر الرب سبحانه وتعالى الى استفتاح أبواب تربيته واستمناح مواضع لطفه وهدايته جعلنا الله تعالى ممن حقق له حقائق قربه وامداده واسعافه واسعاده وآمننا من كل فتنة ومحنة مسبغا علينا رضاه متفضلا بكل ما نتمناه انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك افضل صلاة وافضل سلام وافضل بركة على افضل الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم عدد معلوماتك وعلينا معهم كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون قال مؤلفه رحمه الله تعالى وافق الفراغ منه قرب نصف ليلة الجمعة ثاني جمادى الاولى سنة ست وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية



بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم انبيائه يقول المتوسل الى الله بالجاه الفاروقي ابراهيم عبد الغفار الدسوقي خادم التصحيح بدار الطباعة اعانه الله على مشاق هذه الصناعه تم بعون باري البشر طبع شرح الامام ابن حجر على القصيدة البهية المسماة بالهمزيه في مدح خير البريه موشى الحواشي والطرر بدرر عبارات حاشية العلامة الحفني الغرر على ذمة المكرم الامثل المحترم المبجل الراجي من مولاه التوفيق الى ما يحبه حضرة سيدي على افندي القلنجي بالمطبعة العامره الزاهية

الزاهره المتوفرة دواعى مجدها المشرقة كواكب سعدها فى ظل من تعطرت بثنائه
الانديه واخضرت بيمن طلعته الاوديه سيد ولاة الانام بهجة الليالى والايام رب
الآثار الشهيره والمنن الجمة الغزيره صاحب الهمم القيصريه والمفاخر الكسرويه
من اجتمعت القلوب على وده وأجمعت الملوك على أنه البدر فى أوج سعده الراقى بهممه
الى كل مقام معتلى جناب اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على لازالت الايام مضيئة
بطلعة وجوده وأهالى واديه متمتعة بكرمه وجوده ولا برح متمتما بوجود انجاله
الكرام وأشباله العظام الفخام وكان طبعه مشمولا بادارة من ناطت به المعالى باباك
اعنى سعادة حسين بك حسنى ونظارة وكيله القائم مقامه فى سلوك سبيله من
عليه احاسن اخلاقه تثنى حضرة محمد أفندى حسنى وملاحظة ذى
القدر المجيد حضرة ابى العينين افندى احمد وقد وافق
تمام تمثيله وكمال تشكيله اواسط ثانى الربيعين
من سنة الف ومائتين واثنتين وتسعين من
هجرة خاتم المرسلين صلى الله وسلم
عليه وكل منتسب اليه
مالاح بدر تمام
وفاح مسك
ختام
تم